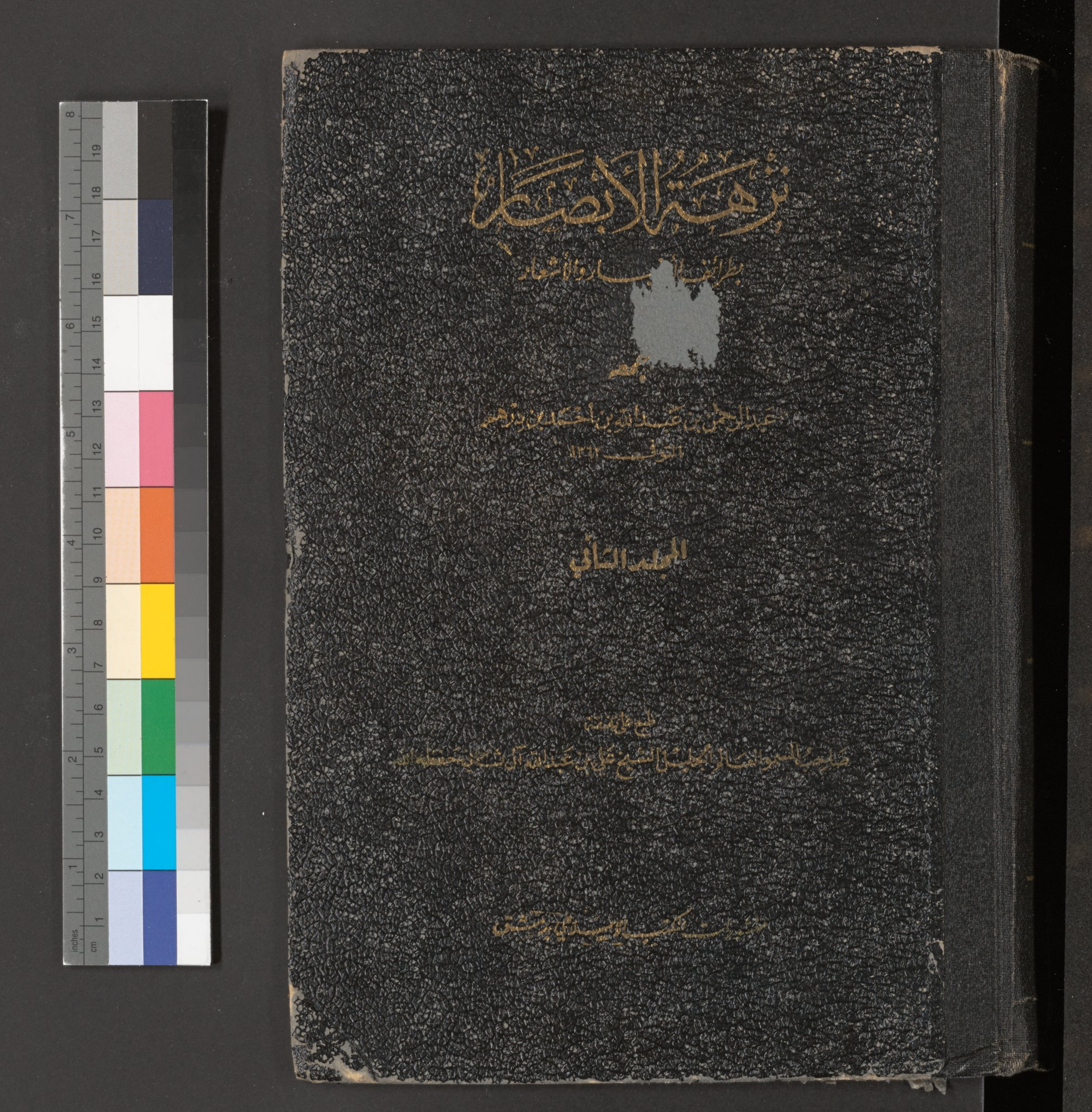
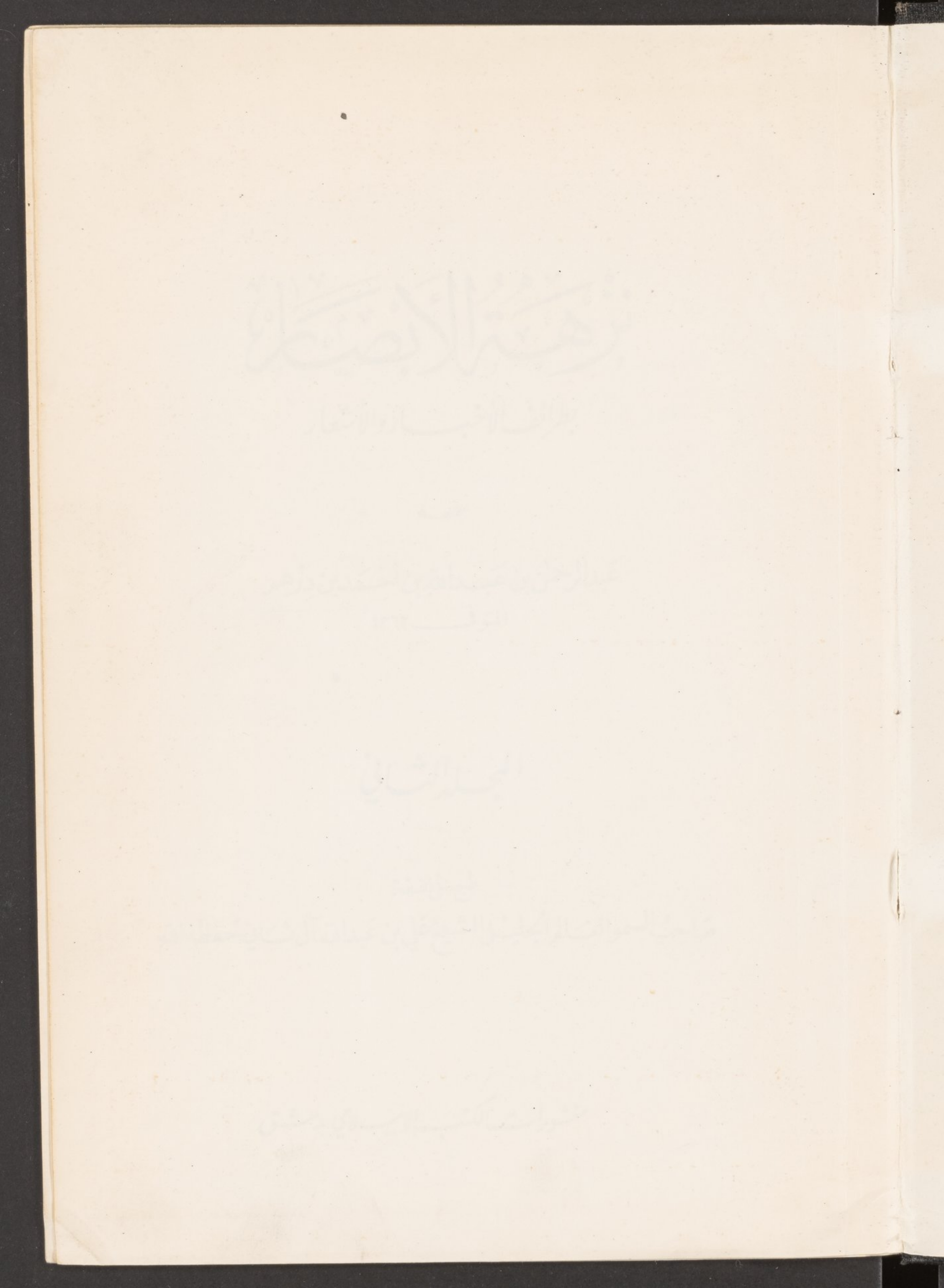
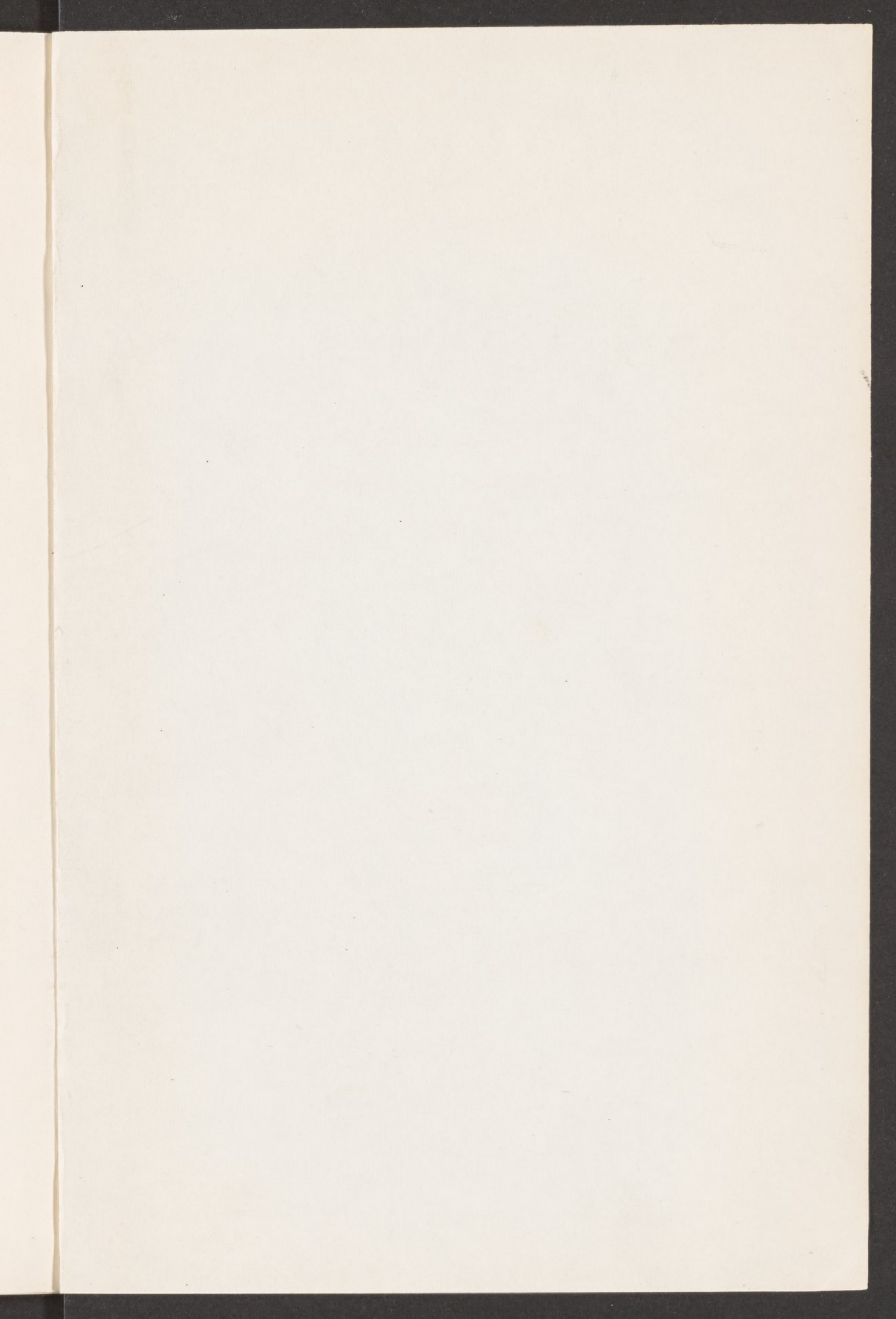

نزهة الأبصار
بطرائف الأخبار والأشعار
جمع
عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن درهم
المتوفى ١٣٦٢
المجلد الثاني
طبع على نفقة
صاحب السمو العالي الجليل الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني حفظه الله
منشورات المكتب الإسلامي بدمشق





٧١٢

نزهة الأبصار

بطرائف الأخبار والأشعار

جمعه

عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن درهم

المتوفى ١٣٦٢

المجلد الثاني

طبع على نفقة

صاحب السمو العالم الجليل الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني حفظه الله

منشورات المكتب الاسلامي بدمشق

هذا الكتاب

وقف لله تعالى

من

صاحب السمو

الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني

حفظه الله

شعر

أبي تمام (١)

قال أبو الفرج :

هو حبيب بن أوس الطائي ومنشؤه منبج (٢) بقرية منها يقال : لها جاسم. شاعر مطبوع لطيف الفطنة دقيق المعاني غواص على ما يستصعب منها ويعسر متناوله على غيره والسليم من شعره لا يتعلق به احد . ومن الناس من يتعصب له ويفضله على جميع الشعراء من سالف وخالف، وقوم يعتمدون الردي‌ء من شعره فينشرونه ويطوون محاسنه . وليست اساءة من اساء في القليل وأحسن في الكثير مسقطة إحسانه، والتوسط في كل شيء اجمل والحق أحق أن يتبع وقد فضل أبا تمام من الرؤوساء والكبراء والشعراء من لا يشق الطاعنون عليه غباره، ولا يدركون وان جدوا آثاره . وروي أن محمد بن الزيات كان يقول : أشعر الناس طراً الذي يقول يعني أبا تمام :

وما أبالي وخيرُ القولِ أصدقه
حقنتَ لي ماءَ وجهي أو حقنتَ دمي

وسئل ابراهيم بن العباس من أشعر أهل زماننا ؟ فقال : الذي يقول يعني أبا تمام : (٣)

مطر أبوكَ أبو أهلة وائلٍ ملأ البسيطة عدةً وعديدا

---

(١) قوبلت وصححت أشعار أبي تمام على ديوانه المطبوع في بيروت (تفسير محيي الدين الخياط) وكذلك شرح شاهين عطية « مختارات البارودي » ، ثم على ديوانه « من ذخائر العرب » وإليه الاشارة .

(٢) كذا في الاغاني واكثر من ترجم له من الثقات ذكروا بأنه ولد في جاسم من قرى حوران التابعة لدمشق .

(٣) ديوانه : ٤١٨/١

نَسَبٌ كأنَّ عليهِ من شمسِ الضحى نوراً ومن فلقِ الصباحِ عمودا

قال ابو الفرج :

قدم عمارة بن عقيل بغداد فاجتمع الناس اليه فكتبوا شعره وشعر أبيه وعرضوا عليه الاشعار فقال بعضهم ها هنا شاعر يزعم أنه أشعر الناس طراً فقال: انشدوني من قوله فأنشدوه :[١]

غدت تستجيرُ الدمعَ خوفَ نوى غدِ
وعادَ قتاداً عندها كلُّ مرقدِ

وانقذها من غمرة الموت أنه صُدودُ فراقٍ لا صُدود تعمد

فأجرى لها الاشفاقُ دمعاً مورداً من الدم يجري فوقَ خدٍّ مورد

هي البدرُ يغنيها تودُّد وجهها إلى كلِّ من لاقتْ وإن لم تودّد

ثم قطع الانشاد فقال عمارة زدنا من هذا فوصل إنشاده فقال :

ولكنّني لم أحوِ وفراً مجمعاً ففزتُ به إلاّ بشملٍ مبدد

ولم تعطني الأيامُ نوماً مسكناً ألذُّ به إلاّ بنومٍ مُشرَّد

فقال عمارة لله دره لقد تقدم في هذا من سبقه اليه على كثرة القول فيه حتى حبب الاغتراب فيه فأنشده :

وطولُ مُقام المرء في الحي مخلقٌ لديباجتيهِ فاغترب تتجدد

فإنّي رأيتُ الشمسَ زيدت محبة إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

فقال عمارة كمل والله لئن كان الشعر بجودة اللفظ وحسن المعاني واطراد المراد واتساق الكلام فإن صاحبكم هذا اشعر الناس . وكان علي بن الجهم يصف ابا تمام ويفضله فقال له رجل والله لو كان ابو تمام اخاك ما زدت على مدحك هذا فقال ان

---

(١) ديوانه ٢/٢٢

لم يكن أخا بالنسب فانه اخ بالادب والمودة اما سمعت ما خاطبني به حيث يقول[١]

إنْ يُكدِ مطّرفُ الاخاءِ فإننا ‏ ‏ نَغدو ونسري في إخاءٍ تالد

أو يختلف ماءُ الوصال فماؤنا ‏ ‏ عذبٌ تحدَّرَ من غمام واحد

أو يفترق نسبٌ يؤلف بيننا ‏ ‏ أدبٌ أقمناهُ مقامَ الوالد

وكان محمد بن حازم يفضل ابا تمام ويقدمه ويقول لو لم يقل الا مرثيته التي اولها :

أصمَّ بك الناعي وإن كان أسمعا ‏ ‏ وأصبح مغنى الجودِ بعدكَ بلقعا

وقوله :

لو يقدرون مَشوا على وجناتهم ‏ ‏ وجباههم فضلًا عن الأقدام

لكفاه ، وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر كان عمارة بن عقيل عندنا يوماً فسمع مؤدباً كان لولد أخي يرويهم قصيدة أَبي تمام :[٢]

الحقُ أبلج والسيوفُ عَوار ‏ ‏ فحذار من أسد العرين حذارِ

فلما بلغ قوله :

سود اللباس كأنما نَسجَت لهم ‏ ‏ أيدي السموم مدارعاً من قارِ

بكروا وأسروا في متون ضوامرٍ ‏ ‏ قيدَت لهم من مربطِ النّجار

لا يبرحون ومن رآهم خالهم ‏ ‏ أبداً على سَفرٍ من الاسفار

فقال عمارة لله دره ما يعتمد معنى إلا أصاب أحسنه. كأنه موقوف عليه . قال ابراهيم بن العباس ما تكلمت في مكاتبتي إلا على ما جاش به صدري إلا أني قد استحسنت قول أبي تمام :[٣]

---

(١) ديوانه : ١ /٤٠٦ ‏ ‏ (٢) ديوانه : ١٩٨/٢

(٣) ديوانه : ٢١/٣

إذا مارقٌ بالغدر حاوَلَ غَدرةً فذاكَ حريٌّ أن تئيمَ حلائله

فإنْ باشر الإصحارَ فالبيض، والقنا قراه وأحواضُ المنايا مناهله

وإن يبنِ حيطاناً عليه فانما اولئك عُقّالاتهُ لا معاقله

وإلا فاعلمهُ بأنك ساخطٌ ودعه فإنَّ الخوف لاشك قاتله

فاخذت هـذا المعنى في بعض رسائلي فقلت ما كان يحرزهم يبرزهم وما كان يعقلهم يعتقلهم . ثم قال : إن أبا تمام اخترم وما استمتع بخاطره ولا نزح ركي فكره حتى انقطع رشأ عمره . قال يزيد المهلبي : ما كان أحد من الشعراء يقدر أن يأخذ درهماً في حياة ابي تمام بالشعر فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه . لما قدم ابو تمام خراسان اجتمع الشعراء اليه وسألوه أن ينشدهم فقال قد وعدني الاميران انشده غداً وستسمعونني فلما دخل على عبد الله بن طاهر انشده :[1]

أهنَّ عوادي يوسفٍ وصواحبه فعزماً فقدماً أدركَ السؤلَ طالبه

فلما بلغ إلى قوله :

وقلقل نأيٌ من خراسانَ جأشها فقلت اُطمئني أنضرُ الروض عازبه

وركب كأطراف الاسنة عرسوا على مثلها والليلُ تسطو غياهبه

لأمرٍ عليهم أن تتم صدوره وليس عليهم أن تتم عواقبه

فصاح الشعراء بالامير ابي العباس ما يستحق هذا الشعر غير الامير حفظه الله وقال شاعر منهم يعرف بالرياحي لي عند الامير اعزه الله جائزة وعدني بها وقد جعلتها لهذا جزاء عن قوله للامير، فقال بل نضعفها لك ونقوم

---

(١) ديوانه ١/٢٢٣

له بما يجب له علينا فلما فرغ من القصيدة نثر عليه الف دينار فلقطها الغلمان ولم يمس منها شيئاً فوجد عليه عبد الله وقال يترفع عن بري ويتهاون بما اكرمته به فلم يبلغ ما أراده منه بعد ذلك فقال ابو تمام :

لم يبقَ للصيفِ لا رسمٌ ولاطلل　　ولا قشيبٌ فيستكسى ولاسمل

عدل من الدمع أن يُبكى المصيف كما
يُبكى الشباب ويُبكى اللهو والغزل

يمنى الزمانِ طوت معروفها وغدت
يسراه وهي لنا من بعده بدل

فدخل ابو العميثل شاعر آل طاهر على عبد الله فقال : أيها الامير أتتهاون بمثل ابي وتجفوه فوالله لو لم يكن له من النباهة في قدره والاحسان في شعره والشائع من ذكره لكان الخوف من شره والتوقي لذمه يوجب على مثلك رعايته ومراقبته فكيف وله بنزوعه اليك من الوطن وفراقه السكن وقد قصدك عاقداً بك امله معملا اليك ركابه متعباً فيك فكره وجسمه وفي ذلك مايلزمك قضاء حقه حتى ينصرف راضياً ولو لم يأت بفائدة ولا سمع فيك منه ما سمع إلا قوله :

يقول في قومَسٍ صحبي وقد أخذتْ
منا السُّرى وخطى المهَرية القودِ

أمطلعَ الشمس تبغي أن تؤمَ بنا　　فقلت كلاّ ولكنْ مطلعَ الجود

لكفى فقال عبدالله نبهت فاحسنت وشفعت فلطفت وعاتبت فاوجعت ولك ولأبي تمام العتبى ، وأمر له بالف دينار وما يحمله من الظهر وخلع عليه

خلعة تامة وزاد في اكرامه .

قال جابر الكوخي حضرت أبا دلف وعنده ابو تمام وقد أنشده قصيدته[1]

على مثلها من أربع وملاعبِ أذيلت مصونات الدموع السواكب

فلما بلغ قوله :

إذا افتخرتْ يوماً تميمٌ بقوسها وزادت على ماوطدت من مناقب

فانتم بذي قارٍ أمالت سيوفكم عروشَ الذين استرهنوا اقوس حاجب

محاسنُ من مجدٍ متى تقرنوا بها محاسنَ أقوام تكن كالمعايب

فقال أبو دلف : يا معشر ربيعة ما مدحتم بمثل هذا الشعر قط فما عندكم لقائله فبادروه بمطارفهم يرمون بها عليه فقال ابو دلف قد قبلها منكم واعاركم لبسها وسأنوب عنكم في ثوابه . تمم القصيدة يا أبا تمام فاتمها فامر له بخمسين الف درهم وقال والله ما هي بازاء استحقاقك وقدرك فاعذرنا فشكره وقام ليقبل يده فحلف ان لا يفعل ثم قال انشدني قولك فى ابن حميد محمد فأنشده :

وما ماتَ حتى ماتَ مضربُ سيفهِ

من الضربِ واعتلَّت عليه القنا السمر[2]

وقد كانَ فوت الموت سهلًا فرده اليه الحفاظُ المرُّ والخلق الوعر

ونفسٌ تعافُ العار حتى كأنهُ هو الكفرُ يومَ الروع أودونه الكفر

فاثبتَ في مستنقعِ الموت رجلهُ وقال لها من تحتِ أخمصك الحشر

غدا غدوةً والحمدُ نسج ردائه فلم ينصرف إلا واكفانه الأجر

كأنَّ بني نبهانَ يوم مصابه نجومُ سماء خرَّ من بينها البدر

يُعزون عن ثاوٍ تعزّى به العلى ويبكي عليه البأسُ والجودُ والشعر

---

(١) ديوانه : ١/٢٠٥

(٢) ديوانه : ٣٦٨

فلما أنشده إياها قال والله لوددت انها في . قال بل افدي الامير بنفسي واهلي وأكون المقدم دونه فقال انه لم يمت من رثي بهذا الشعر . قدم ابو تمام مادحاً للحسن بن رجاء فاستنشده قصيدته اللامية التي مدحه بها فلما انتهى إلى قوله :[١]

أنا ذو عرفتِ فإن عرتكِ جهالةٌ ... فأنا المقيمُ قيامةَ العذال

عطفت ملامتها على ابنِ ملمةٍ ... كالسيف جِابِ الصبر شختِ الآل

عادت له أيّامه مسودةً ... حتى توهم أنّهنّ ليالي

قال له الحسن والله ماتسود عليك بعد اليوم فلما قال :

لاتنكري عطلَ الكريم من الغنى ... فالسيلُ حربٌ للمكانِ العالي

وتنظري خبب الركاب ينصّها ... محيي القريض إلى مميت المال

قام الحسن على رجليه وقال والله لاتتمها إلا وأنا قائم فقام أبو تمام لقيامه وقال :

قدقلت وهي تنال من عرض الفلا ... بملاطسٍ بالوخد غير أوال

أحوامل الأثقال إنك في غدٍ ... بفناء أحمل منك للاثقال

لما وردنا ساحة الحسن انقضى ... عنا تعجرف دولة الإمحال

أحيى الرجاء لنا برغم نوائبٍ ... كثرت بهنّ مصارع الآمال

أغلى عذارى الشعر انّ مهورها ... عند الكرام وإن رخصن غوالي

ترد الظنونُ بنا على تصديقها ... ويحكم الآمال في الأموال

أضحى سمي أبيك فيك مصدقاً ... بأجل فائدة وأيمن فال

ورأيتني فسألت نفسك سيبها ... لي ثم جدت وما انتظرت سؤالي

---

(١) ديوانه : ٣|٧٦

كالغيث ليس له ـ أريد نواله   أو لم يرد ـ بدٌ من التهطال

فتعانقا وجلسا فقال له الحسن ما أحسن ما جلوت به هـذه العروس فقال والله لو كانت من الحور العين لكان قيامك لها أوفى مهورها . كان دعبل عند الحسن بن رجاء يضع من ابي تمام فقال له قائل يا ابا علي اسمع مني ما قاله فان انت رضيته فذاك والا وافقتك على ما تذمه منه واعوذ بالله فيك من ألا ترضاه ثم أنشده[١] :

أما إنه لولا الخليط المودعُ   ومغنى عفا منه مصيفٌ ومربع

فلما بلغ إلى قوله :

هو السيل إن واجهته انقدت طوعهُ   وتقتاده من جانبيه فيتبع

ولم أر نفعاً عند من ليس ضائراً   ولم أر ضراً عند من ليس ينفع

معاد الورى بعد الممات وسيبه   معادٌ لنا قبل الممات ومرجع

فقال دعبل لم ندفع فضل هذا الرجل ولكنكم ترفعونه فوق قدرة وتقدمونه على من تقدمه وتنسبون اليه ما قد سرقه فقال له احسانه صيرك له عائباً وعليه عاتباً . انشد ابو تمام ابا الحسن محمد بن الهيثم بالجبل قوله فيه :

أسقى ديارهم أجشُّ هزيمُ   وغدت عليهم نظرة ونعيم

فلما فرغ أمر له بالف دينار وخلع عليـه خلعة حسنة فلما كان من الغد كتب اليه ابو تمـام :[٢]

قد كسانا من كسوة الصيف خِرقٌ   مكتسٍ من مكارم ومساع

حلةً سابريةً ورداء   كسحا القيض أو رداء الشجاع

كالسراب الرقراق في النعت إلا   أنه ليس مثله في الخداع

(١) ديوانه : ٢ / ٣١٩

(٢) ديوانه : ٢ / ٣٤١

قصبياً تسترجف الريحُ متنيـ ـه بأمرٍ من الهبوب مطاع
رجفاناً كأنـه الدهرَ منـ ـه كبد الضبِّ أو حشى المرتاع
يطرد اليوم ذا الهجير ولو شبـ ـه في حره بيوم الوداع
حـلةً من أغر أروع رحب الصدر رحب الفؤاد رحب الذراع
سوف أكسوك ما يعفي عليها من ثناء كالبرد برد الصناع
حسن هاتيك في العيون وهذا حسنُهُ في القلوب والأسماع

فقال محمد بن الهيثم ومن لا يعطي هذا ملكه والله لا يبقى في داري ثوب الادفعته إلى أبي تمـام فأمر له بكل ثوب كان يملكـه له في ذلك: الوقت، جاء دعبل الى الحسن بن وهب في حاجة بعد وفاة ابي تمام فقال له رجل في المجلس يا أبا علي انت الذي تطعن على من يقول : [١]

شهدتُ لقد أقوت مغانيكم بُعدي ومحت كما محت وشائع من برد
وأنجدتمُ من بعد إتهام داركم فيا دمع أنجدني على ساكني نجد

فصاح دعبل : أحسن والله وجعل يردد (انجدني على ساكني نجد) ثم قال رحمه الله لو كان ترك لي شيئاً من شعره لقلت إنـه أشعر الناس .قال الواثق لابن أبي دؤاد بلغني أنك أعطيت أبا تمام الطائي في قصيدة مدحك بها الف دينار قال لم افعل ذلك يا أمير المؤمنين ولكني اعطيته خمسمائة دينار للذي قاله للمعتصم : [٢]

فاشـدد بهارون الخلافـة إنه سكنٌ لوحشتها ودار قرار

---

(١) ديوانه : ٢ / ١٠٩
(٢) ديوانه : ٢ / ١٩٨

فتبسم وقال إنه لحقيق بذلك . وتمام الأبيات :

بفتى بني العباس والقمر الذي ... حفَّته أنجم يعربٍ ونزار

كرم الخؤولة والعمومة مجّه ... سلفاً قريشٍ فيه والأنصار

هو نوءُ يُمنٍ فيهم وسعادةٍ ... وسراجُ ليلٍ فيهمُ ونهار

فاقمع شياطين النفاق بمهتد ... ترضى البرية هديهُ والباري

ليسير في الآفاق سيرة رأفةٍ ... ويسوسها بسكينة ووقار

فالصينُ منظومٌ بأندلسٍ إلى ... حيطان رومية فملك ذمار

ولقد علمت بأن ذلك معصمٌ ... ما كنت تتركه بغير سوار

فالأرض دارٌ اقفرت مالم يكن ... من هاشم ربٌّ لتلك الدار

سورُ القران الغرفيكم أنزلت ... ولكم تصاغ محاسن الاشعار

وذكر أنه لما مدح محمد بن الزيات بقصيدته التي أولها :(١)

ديمة سمحة القياد سكوبُ ... مستغيثٌ بها الثرى المكروب

لو سعت بقعة لاعظام نعمى ... لسعى نحوها المكان الجديب

قال له ابن الزيات : يا أبا تمام انك لتحلي شعرك بجواهر لفظك ودرر معانيك ما يزيد حسناً على بهي الجواهر في أجياد الكواعب وما ندخر لك شيئاً من جزيل المكافأة إلا ويقصر عن شعرك في الموازاة ، وكان بحضرته فيلسوف فقال : إن هذا الفتى يموت شاباً فقيل له من أين حكمت عليه بذلك فقال رأيت فيه من الحدة والذكاء والفطنة مع لطافة الحس وجودة الخاطر ما علمت به ان النفس الروحانية تأكل جسمه كما يأكل السيف المهند غمده ، وهو لم يتخط الأربعين سنة جملة .

(١) ديوانه : ١ / ٢٩٦

وقد أحببت أن أنقل من مختار قصائده لأنها من فائق الشعر ومما يرتاح لسماعه أهل الأدب والمروءة فمن ذلك قصيدته التي مدح بها الحسن ابن سهل وهي : (١)

أبدت أسى أن رأتني مُخلِسُ القصب
وآل ما كان من عجبٍ إلى عجب

ستٌ وعشرون تدعوني فأتبعها
إلى المشيب ولم تظلم ولم تحُب

يومي من الدهر مثل الدهر مشتهرٌ
عزماً وحزماً وساعي منه كالحقب

فأصغري أنَّ شيباً لاح بي حدثاً
وأكبري أنني في المهد لم أشب

فلا يؤرقك إيماض القتير به
فإن ذاك ابتسام الرأي والأدب

رأت تغيُّرَه فاهتاج هائجها
وقال لاعجُها للعبرة : انسكبي

لايطرد الهمَّ إلا الهمُّ من رجلٍ
مقلقل لبنات القفرة النجب

ماضٍ إذا الهممُ التفَّت رأيت له
بوخدهنَّ استطالات على النوب

لاتنكري منه تخديداً تخلّلهُ
فالسيف لايزدرى إن كان ذا شطب

ستصبح العيس بي والليل عند فتى
كثير ذكر الرضى في ساعة الغضب

صدفت عنه ولم تصدف مواهبهُ
عني وعاوده ظني ولم يخب

كالغيث إن جئته وافاك ريّقُهُ
وإن ترحلت عنه لجَّ في الطلب

خلائق الحسن استوفي البقاء فقد
أصبحت قرة عين المجد والحسب

كأنما هو من أخلاقهِ أبداً
وإن ثوى وحده في جحفلٍ لجب

صيغت له شيمةٌ غراءُ من ذهبٍ
لكنها أهلك الأشياء للذهب

(٢) ديوانه : ١ / ١١٥

لما رأى أدباً في غير ذي كرمٍ قد ضاع أو كرماً في غير ذي أدب

سما إلى السورةِ العلياءِ فاجتمعا

في فعلهِ كاجتماع النورِ والعشب

بلوتُ منه وأيامي مذممّةٌ مودة وُجِدت أحلى من الشنب

من غير ما سببٍ ماضٍ كفى سبباً للحر أن يعتفي حراً بلا سبب

وله يمدحه : (١)

أأيامنا ما كنت إلا مواهباً وكنت بإسعاف الحبيب حبائبا

سنغرب تجديداً لعهدك في البكا فما كنت في الأيام إلا غرائبا

ومعترك للشوق أهدى به الهوى إلى ذي الهوى نجل العيون ربائبا

كواعب زارت في ليال قصيرة تخيّلن لي من حسنهنّ كواعبا

سَلَبْن غطاء الحسن عن حرِ أوجهٍ

تظلُّ للبِّ السالبيها سوالبا

وجوه لو ان الأرض فيها كواكب

توقد للساري لكانت كواكبا

سلي هل عمرت القفر وهو سباسبٌ

وغادرتُ ربعي من ركابي سباسبا

وغربت حتى لم أجد ذكر مشرق وشرقت حتى قد نسيت المغاربا

خطوبٌ إذا لاقيتهنّ رددنني جريحاً كأني قد لقيت كتائبا

ومن لم يسلّم للنوائب أصبحت خلائقه طراً عليه نوائبا

---

(١) ديوانه : ١ / ١٤٥

وقد يكهم السيفُ المسمى منية وقد يرجع السهم المظفر خائبا

فآفة ذا أن لا يصادف رامياً وآفة ذا أن لا يصادف ضاربا

وملآن من ضغن كواه توقلي إلى الهمة القعسا سناماً وغاربا

شهدت جسيمات العلا وهو غائبٌ ولو كان أيضاً شاهداً كان غائبا

إلى الحسن اقتدنا ركائب صيرت لها الحزن من أرض الفلاة ركائبا

نبذت إليه همتي فكأنما كدرت بها نجماً على الأرض ثاقباً

وكنت امرءاً ألقى الزمان مسالما فآليت لا ألقاه إلا محاربا

لو اقتسمت أخلاقه الغر لم تجد معيباً ولا خلقاً من الناس عائبا

إذا شئت أن تحصي فواضل كفه فكن كاتباً أو فاتخذ لك كاتبا

عطايا هي الأنواء إلا علامة دعت تلك أنواءً وهذي مواهبا

فأقسم لو أفرطت في الوصف عامداً

لأكذب في مدحيه لم آتِ كاذباً

ثوى ماله نهب المعالي فأوجبت عليه زكاة الجود ماليس واجباً

وتحسن في عينيه إن جئت زائراً وتزداد حسناً كلما جئت طالبا

خدين العلا أبقى له البذلُ والنهى

عواقب من عرفٍ كفتهُ العواقبا

يطول استشارات التجارب رأيهُ إذا ماذوو الرأي استشاروا التجاربا

برئت من الآمال وهي كثيرة لديك وإن جاءتك حدباً لواغباً

وهل كنتُ إلا مذنباً يوم انتحي سواك بآمالي فجئتك تائباً

وقال يمدح عياش بن لهيعة الحضرمي[١] :

---

(١) ديوانه : ١ / ١٥٣ !

تقي جمحاتي لست طوع مؤنبي وليس جنيبي إن عذلت بمصحبي

فلم توقدي سخطاً على متنصل ولم تنزلي عتباً بساحة معتب

رضيت الهوى والشوق خدناً وصاحباً
فإن كنت لم ترضي بذلك فاغضبي

تصرف حالات الفراق مصرفي على صعب حالات الأسى ومقلبي

ولي بدن يأوي إذا الحب ضافه إلى كبد حرّى وقلب معذب

وحوطية شمسية رشئية مهفهفة الأعلى رداح المحقب

تصدّع شمل القلب من كل وجهة
وتشعبه بالبث من كل مشعب

بمختبل ساج من الطرف أحور ومقتبل صاف من الثغر أشنب

من المعطيات الحسن والمؤتياته مجلببة أو عاطلاً لم تجلبب

لو ان امرأ القيس بن حجر بدت له
لما قال مرّا بي على أم جندب

فتلك شقوري لا ارتيادك بالأذى محلي إلا تبكري تتأوبي

أحاولت إرشادي فعقلي مرشدي أم استمت تأديبي فدهري مؤدبي

هما أظلما حالي ثمة أجليا ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب

شجى في حلوق الحادثات مشرق به عزمه في الترهات مغرب

رأيت لعياش خلائق لم تكن لتكمل إلا في اللباب المهذب

له كرم لو كان في الماء لم يغض وفي البرق ما شام امرؤ برق خلّب

اخو أزمات بذله بذل محسن إلينا ولكن عذره عذر مذنب

إذا أمّه العافون ألفوا حياضه ملاءً وألفوا روضه غير مجدب

إذا قال أهلًا مرحباً نبعت لهم مياه الندى من تحت أهل ومرحب

يهولك أن تلقاه صدراً لمحفل ونحراً لأعداء وقلباً لموكب

مصادٌ تلاقت لوذاً بريوده قبائل حيي حضرموت ويعرب

بأروع مضاء على كل أروع وأغلب مقدام على كل أغلب

كلوذِهم فيما مضى بجدوده بذي العرف والأحماد قَيْلٍ ومرحب

ذوون قيولٌ لم تزل كل حلبة تمزق منهم عن أغرَّ محبَّب

همامٌ كنصلِ السيف كيف هززته

وجدتَ المنايا منه في كلّ مضرب

تركت حُطاماً منكبَ الدهر إذ نوى

زحاميَ لما أن جعلتك منكبي

وما ضيق أقطار البلادِ أضافني إليك ولكنْ مذهبي فيك مذهبي

وأنتَ بمصرٍ غايتي وقرابتي بها وبنو أبيكَ فيها بنو أبي

ولا غرو أن وطأتَ أكناف مرتعي لمهملِ أخفاضي ورَفَّهت مشربي

فقومتَ لي ما اعوجَ من قصد همتي

وبيَّضتَ لي ما اسودَّ من وجه مطلبي

وهاك ثياب المدح فاجرر ذيولها عليك وهذا مركبُ الحمد فاركب

وقال يمدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني :[١]

لقد أخذت من دارِ ماويةَ الحقْبُ

أنحلُ المغاني للبلى هي أم نهبُ ؟

---

(١) ديوانه : ١٨٤/١

وعهدي بـها إذ ناقضُ العهـد بدرُهـا
مراحُ الهـوى فيهـا ومسرحـه الخصب

مؤزرة من صنعة ِالوبل والندى بوشي ولا وشيٍ وعصب ولا عصبُ

تردد في آرامها الحسنُ فاغتدت قرارةً من يُصبي ونجعةً من يصبو

سواكنُ في برٍّ كما سكنَ الدمى نوافرُ من سوء كما نفرَ السرب

كواعبُ أتراب لغيداءَ أصبحت وليس لها في الحسن شكل ولا ترب

لها منظرٌ قيدُ النواظر لم يزل يروح ويغدو في خُفارته الحبُ

تظل سراة القوم مثنى وموحداً نشاوى بعينيها كأنهمُ شرب

إلى خالدٍ راحت بنا أرحبية مرافقها من عن كراكرها نُكب

جرى النَجَدُ الأحوى عليها فأصبحت
من السير ورُقاً وهي في نجدها صُهب

إلى ملكٍ لولا سجالُ نواله لما كان للمعروفِ نقي ولا شخب

من البيضِ محجوبٌ عن السوء والخنا ولا تحجبُ الأنواء من كفه الحجب

مصونُ المعالي لا يزيد أذاله ولا مزيدٌ ولا شريكٌ ولا الصُلب

وأشباه بُكر المجد بكرُ بن وائل وقاسطُ عدنانٍ وأنجبه هِنبُ

مضوا وهمُ أوتاد نجد وأرضها يرونَ عظاماً كلما عظم الخطب

وما كان بين الهضب فرق وبينهم سوى أنهم زالوا ولم يزل الهضب

لهم نسب كالفجر ما فيه مسلك خفي ولا واد عنود ولا شعب

هو الإضحيان الطلق رفّت فروعه فطاب الثرى من تحته وزكى الترب

إلى أن قال :

فما دب إلا في بيوتهم الندى ولم ترب في إلا في حجورهم الحرب

أولاك بنو الأحساب لولا فعالهم درجن فلم يوجد لمكرمة عقب

لهم يوم ذي قار مضى وهو مفردٌ وحيد من الأشباه ليس له صحب

به علمت صهب الأعاجم أنه به أعربت عن ذات أنفسها العرب

هو المشهد الفصل الذي ما نجا به

لكسرى بن كسرى لا سنام ولا صلب

إلى أن قال :

رددت أديم الغزو أملس بعدما غدا ولياليه وأيامه جرب

بكل فتى ضرب يعرض للقنا محياً محلىً حليه الطعن والضرب

ومنها :

بجودك تبيض الخطوب إذا دجت وترجع عن ألوانها الحجج الشهب

هو المركب المدني إلى كل سؤدد وعلياء إلا أنه المركب الصعب

إذا سبب أمسى كهاماً لدى امرئٍ

أجاب رجائي عندك السبب العضب

وسيارة في الأرض ليس بنازحٍ على وخدها حزن سحيق ولا سهب

تذرُّ ذرور الشمس في كل بلدة وتمضي جموحاً ما يُرد لها غرب

عذارى قواف كنت غير مدافع أبا عذرها لا ظلم منك ولا غصب

إذا أنشدت في القوم ظلت كأنها مسرة كبر أو تداخلها عجب

مفصلةٌ باللؤلؤ المنتقى لها من الشعر إلا أنه اللؤلؤ الرطب

وقال يمدح أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي ، وهي من عيون القصائد :[1]

على مثلها من أربـع وملاعب أذيلت مصونات الدموع السواكب
أقول لقرحان من البين لم يضف رسيس الهوى بين الحشا والترائب
أعني أفرِق شمل دمعي فإنـني أرى الشمل منهم ليس بالمتقارب
فما صار في ذا اليوم عذلك كله عدوي حتى صار جهلك صاحبي
وما بك إركابي من الرشد مركباً ألا إنما حاولت رشد الركائب
فكلني إلى شوقي وسر يسر الهوى إلى حرقاتي بالدموع السوارب
أميدان لهوي من أتاح لك البلى فاصبحت ميدان الصبا والجنائب
أصابتك أبكار الخطوب فشتت هواي بأبكار الظباء الكواعب
وركب يساقون الركاب زجاجة من السير لم تقصد لها كف قاطب
فقد أكلوا منها الغوارب بالسُّرى وصارت لها أشباحهم كالغوارب
يصرف مسراها جذيل مشارق إذا آبه همٌّ عذيق مغارب
يرى بالكعاب الرود طلعة ثائر وبالعرمس الوجناء غرة آيب
كأن به ضغناً على كل جانب من الأرض أو شوقاً إلى كل جانب
إذا العيس لاقت بي أبا دلف فقد تقطع ما بيني وبين النوائب
هنالك تلقى المجد حيث تقطعت تمائمه والجود مرخي الذوائب
تكاد عطاياه يجنُّ جنونها إذا لم يعوذها بنغمة طالب
إذا حركته هزة المجد غيَّرت عطاياه أسماء الأماني الكواذب
تكاد مغانيـه تهشُّ عراصُها فتركب من شوق إلى كل راكب

---

(١) ديوانه : ١ / ٢٠٥

إذا ما غدا أغدى كريمة ماله هدياً ولو زفت لألأم خاطب

يرى أقبح الأشياء أوبة آمل كسته يد المأمول حلة خائب

وأحسن من نور تفتحه الصبا بياض العطايا في سواد المطالب

إذا ألجمت يوماً لُجيمٌ وحولها

بنو الحصن نجل المحصنات النجائب

فإن المنايا والصوارم والقنا أقاربهم في الروع دون الأقارب

جحافل لايتركن ذا جبرية سليماً ولا يحرُبن من لم يحارب

يمدون من أيدٍ عواص عواصم

تصولُ بأسياف قواض قواضب

إذا الخيل جابت قسطل الحرب صدعوا

صدور العوالي في صدور الكتائب

إذا افتخرت يوماً تميمٌ بقوسها وزادت على ما وطدت من مناقب

فانتم بذي قار أمالت سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

محاسن من مجد متى تقرنوا بها محاسن أقوام تكن كالمعايب

معالٍ تمادت في العلو كأنما تحاول ثأراً عند بعض الكواكب

وقد علم الافشين وهو الذي به يُصان رداء الملك عن كل جاذب

بأنك لما استخذل النصر واكتسى أهابيِّ تسفى في وجوه التجارب

تجللتّه بالرأي حتى أريته به ملء عينيه مكان العواقب

بأرشق إذ سالت عليهم غمامةٌ جرت بالعوالي والعتاق الشوازب

سللت لهم سيفين رأياً ومنصلاً وكلٌ كنجم في الدجنّة ثاقب

وكنت متى تهزز لخطبٍ تغشـهِ ضرائبُ أمضى من رقاق المضارب

فذكرك في قلب الخليفة بعدها خليفتك المقفى بأعلى المراتب

فإن تنس يذكرأو يقل فيك حاسدٌ يغُل قوله أوتنأ دارٌ صاقب

فانت لديه حاضرٌ غيرُ حاضرٍ بذكرٍ وعنه غائب غير غائب

فلو كان يفنى الشعر أفناه ما قرت حياضك منه في العصور الذواهب

ولكنه صوبُ العقول إذا انجلت سحائب منه أعقبت بسحائب

أقول لأصحابي هو القاسم الذي به شرح الجود التباس المذاهب

وإني لأرجو عاجـلًا أن تردني مواهبـُهُ بحراً تُرجّى مواهبي

وقال يمدح عمر بن طوق التغلبي : [1]

أحسن بأيام العقيق وأطيب والعيش في أظلالهـنّ المعجب

ومصيفهنّ المستظلّ بظـله سرب المها وربيعهنّ الصيَّب

أُصُل كبرد العصب نيط إلى ضحى عبقٍ بريحـان الرياض مطيب

وظلالهـنّ المشرقـات بخـرّدٍ بيضٍ كواعبَ غامضاتٍ الأكعب

وأغنّ من دُعج الظباء مريبٍ بدلنّ منه أغنّ غـير مربب

لله ليلتنـا وكـانت ليلة ذخرت لنا بين اللوى فالعُليب

مالت وقد أعلقت كفّـي كفّـها حلاً وما كل الحـلال بطيب

فنعمتُ في شمس إذا حُجبت بـدت من نورهـا فكأنهـا لم تحجب

---

(١) ديوانه : ١/٩٧

وإذا دنت خلت الظباء ولدنها
ربعيّة واسترُضعت في الربرب

إنسيّةٌ إن حصلت أنسابها جنية الأبوين مالم تنسب

قد قلت للزباء لمّا أصبحت في حدّ ناب الزمان ومخلب

لمدينة عجماء قد أمسى البلى فيها خطيباً باللسان المعرب

فكأنما سكن الفناء عراصها أوصال فيها الدهر صولة مغضب

لكن بنو طوقٍ وطوقٌ قبلهم شادوا المعالي بالثناء الاغلب

فستخربُ الدنيا وأبنية العلى وقبابها جددٌ بهم لم تخرب

رفعت بأيام الطعان وأغشيت رقراق لونٍ بالسماحة مذهب

يا طالباً مسعاتهم لتنالها هيهات منك غبار ذاك الموكب

أنت المعنّى بالغواني تبتغي أقصى مودتها برأس أشيب

وطىء الخطوب وكفّ من غلوائها
عُمرُ بن طوقٍ نجم أهل المغرب

ملتف أعراق الوشيج إذا انتمى
يوم الفخار ثريٌّ تربِ المنصب

في معدنِ الشرف الذي من حليه سبكت مكارم تغلب ابنة تغلب

قد قلت في غسق الدجى لعصابةٍ طلبت أبا حفص: مناخ الأركب

الكوكب الجشميُّ نصب عيونكم
فاستوضحوا بضياء ذاك الكوكب

يُعطي عطاء المحسن الخضل الندى عفواً ويعتذر اعتذار المذنب

ومرحبٌ بالزائـرين وبشره يغنيك عن أهلٍ لديه ومرحب

يغـدو مؤمله إذا ماحطّ في أكنافـه رحل المكل الملغب

سلس اللبانة والرجاء ببابـه كَثَبَ المنى ممتد ظل المطلب

الجد شيمتـهُ وفيه فكاهةٌ سمـحٌ ولا جـدٌ لمن لم يلعب

شرسٌ ويتبع ذاك لينُ خليقةٍ لاخير في الصهباء مالم تقطب

صلبٌ إذا اعوجّ الزمان ولم يكن ليلين صلب الخطب من لم يصلب

الودُّ للقربى ولكن عرفـه للأَبعد الأَوطان دون الأقرب

وكذاك عتاب بن سعد أصبحوا وهمُ زمـام زمانـنـا المتقلب

هم رهطُ من أمسى بعيداً رهطه وبنو أبي رجُـلٍ بغير بني أب

ومنافسٌ عُـمرَ بن طوق ماله من ضغنه غير الحصى والأثلب

تعب الخلائق والنوال ولم يكن بالمستريح العرض من لم يتعب

بشحوبه في المجد أشرق وجهـه لايستنير فعـال من لم يشحب

بحر يطمّ على العفاة وإن تهج ريح السؤال بموجـه يغلولب

والشولُ ما حُلبت تدفق رِسلهـا

وتجـفُ درَّتهـا إِذا لـم تحلب

ياعقب طوق أيّ عقب عشيرةٍ أنتم وربَـةَ معقب لم يعقب

قيدت من عمر بن طوق همّتي بالحوّل الثبت الجنان القلّب

نفق المديحُ ببابه فكسوته عقداً من الياقوت غير مثقب

أولى المديح بأن يكون مهذباً ما كان منه في أغر مهذب

غربت خلائقـهُ فأغرب شاعرٌ فيه فأحسن مُغربٌ في مُغرب

لما كرمت نطقت فيك بمنطق حقٍّ فلم آثم ولم اتحوّب

ومتى مدحت سواكَ كنتُ متى يضق عني له صدق المقالة أكذب

وقال يمدح أبا العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب :[1]

أهنّ عوادي يوسف وصواحبُه فعزماً فقدماً أدرك السؤل طالبه

إذا المرء لم تستخلص الحزمَ نفسُه فذروته للحادثات وغاربه

أعاذلتي ما أخشن الليل مركباً وأخشنُ منه في الملمات راكبه

ذريني وأهوال الزمان أُقاسها فأهواله العظمى تليها رغائبه

ألم تعلمي أنّ الزماع على السرى أخو النجح عند الحادثات وصاحبه

دعيني على أخلاق الصُّم التي هي الوفر أو سربٌ ترنّ نوادبه

فإن الحسام الهندواني إنما خشونته ما لم تفلل مضاربه

وقلقل نأيي من خراسان جأشها فقلت اطمئني انضر الروض عازبه

وركب كأطراف الأسنة عرسوا على مثلها والليل تسطو غياهبه

لأمر عليهم أن تتم صدورُه وليس عليهم أن تتم عواقبه

على كل موار الملاط تهدمت عريكتُه العلياء وانضمّ حالبه

رعته الفيافي بعد ما كان حقبةً رعاها وماء الروض ينهلّ ساكبه

فأضحى الفلا قد جدّ في بري نحضِه وكان زماناً قبل ذاك يلاعبه

---

(١) ديوانه : ١ / ٢٢٣

فكم جزع وادٍ جب ذروة غارب وبالأمس كانت أتمكته مذانبه

إليك جزعنا مغرب الملك كلما وسطنا ملاً صلت عليك سباسبه

فلو أن سيراً رمنه فاستطعنه لصاحبنا شوقاً إليك مغاربه

إلى ملك لم يلق كلكل بأسه على ملك إلا وللذل جانبه

إلى سالب الجبار بيضة ملكه وآمله غادٍ عليه فسالبه

وأي مرام عنه يعدو نياطه غداً وتكل الناعجات أخاشبه

وقد قرب المرمى البعيد رجاؤه وسهلت الأرض العزاز كتائبه

إذا أنت وجهت الركاب لقصده تبينت طعم الماء ذو أنت شاربه

جدير بأن يستحيي الله باديا به ثم يستحيي الندى ويراقبه

سما للعلا من جانبيه كليهما سمو عباب الماء جاشت غواربه

فنول حتى لم يجد من ينيله وحارب حتى لم يجد من يحاربه

وذو يقظات مستمر مريرها
إذا الخطب لاقاه اضمحلت نوائبه

وأين بوجه الحزم عنه وإنما مرائي الأمور المشكلات تجاربه

أرى الناس منهاج الندى بعدما عفت
مهايعه المثلى ومحت لواحبه

ففي كل نجد في البلاد وغائر مواهب ليست منه وهي مواهبه

لتحدث له الأيام شكر خناعة تطيب صبا نجد به وجنائبه

فوالله لو لم يلبس الدهر فعله لأفسدت الماء القراح معائبه

فقد بث عبد الله خوف انتقامه على الليل حتى ماتدب عقاربه

يقولون إن الليث ليث خفيةٍ نواجـذه مطروزة ومخالبـه

ومـا الليث كلُّ الليث إلا ابن عثرةٍ يعيش فواق ناقـة وهـو راهبـه

ويوم أمـام الموت دحض وقفتـه ولو خرَّ فيـه الدينُ لانهـل كاثبـه

جلوت به وجه الخليفة والقنا ةِ قد اتسعت بين الضلوع مذاهبه

شفيت صداه والصفيح من الطلى رواءٌ نواحيه عذاب مشاربه

ليالي لم يقعد بسيفك أن يرى هو الموت إلا أن عفوك غالبه

فلو نطقت حربٌ لقالت محقةً ألا هكذا فليكسب المجد كاسبه

ليعلم أنَّ الغر من آل مصعب غداةَ الوغى آل الوغي وأقاربه

كواكب مجد يعلم الليلُ أنها إذا نجمتْ باءت بصغر كواكبه

ويا أيها الساعي ليدركَ شأوه ترحزحْ قصياً أسوأ الظن كاذبه

فحسبكَ من نيل المراتب أن ترى عليماً بأن ليستْ تنال مراتبه

إذا ما امرؤ ألقى بربعك رحله فقد طالبته بالنجاحِ مطالبـه

وقال يمدح أمير المؤمنين المعتصم بالله أبا اسحاق محمـــد بن هارون الرشيد ويذكر فتح عمورية :[١]

السيف أصدق أنباءً من الكتبِ في حده الحدُّ بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهنَّ جلاءُ الشك والريب

والعلمُ في شهب الأرماح لامعةً بين الخميسين لا في السبعة الشهب

---

(١) ديوانه : ١ / ٤٥

أين الراويةُ بل أين النجوم وما صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصاً وأحاديثاً ملفقةً ليست بنبع إذا عدّتْ ولا غرب
عجائبا زعموا الأيام مجفلةً عنهن في صفر الأصفار أو رجب
وخوفوا الناسَ من دهياءَ مظلمة إذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب
وصيروا الأبرج العليا مرتبةً ما كان منقلباً أو غير منقلب
يقضون بالأمر عنها وهي غافلةٌ ما دار في فلك منها وفي قطب
لو بينت قطّ أمراً قبل موقعه لم يخف ما حلّ بالأوثان والصلب
فتح الفتوح تعالى أن يحيط به نظمٌ من الشعر أو نثر من الخطب
فتحٌ تفتّح أبوابُ السماءِ له وتبرز الأرضُ في أثوابها القشب
يا يوم وقعة عمورية انصرفت عنك المنى حُفّلاً معسولة الحلب
أبقيتَ جدَّ بني الإسلام في صعد والمشركين ودار الشرك في صبَب
أمٌّ لهم لو رجوا أن تفتدى جعلوا فداءها كلَّ أم برة وأب
وبرزةُ الوجه قد أعيت رياضتها كسرى وصدت صدوداً عن أبي كرب
من عهد إسكندر أو قبل ذلك قد شابت نواصي الليالي وهي لم تشب
بكرٌ فما افترعتها كفُّ حادثة ولا ترقّتْ إليها همة النوب
حتى إذا مخض الله السنينَ لها مخضَ البخيلة كانت زبدة الحقب
أتتهمُ الكربة السوداء سادرةً منها وكان اسمُها فراجة الكرب
جرى لها الفألُ نحساً يومَ أنقرة
إذْ غودرت وحشة الساحات والرحب
لمّا رأت أختها بالامس قد خربت كان الخراب لُها أعدى من الجرب
كمْ بين حيطانها من فارسٍ بطلٍ قاني الذوائبِ من آني دم سرب

بسنةِ السيفِ والخطي من دَمِهِ لاسنةِ الدين والاسلام مختضب

لقد تركتَ أميرَ المؤمنين بها للنار يوماً ذليلَ الصخر والخشب

غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى يقله وسطها صبحٌ من اللهب

حتى كأنَّ جلابيبَ الدجى رغبت عن لونها أو كأنَّ الشمس لم تغب

ضوءٌ من النار والظلماءُ عاكفة وظلمةٌ من دخان في ضحى شحب

فالشمسُ طالعةٌ من ذا وقد أفلت والشمسُ واجبةٌ في ذا ولم تجب

تصرحَ الدهرُ تصريحَ الغمام لها عن يومِ هيجاءَ منها طاهرٍ جُنُب

لم تطلع الشمسُ فيه يومَ ذاك على بانٍ بأهلٍ ولم تغرب على عزب

ما ربعُ ميَّة معموراً يطيف بهِ غيلان أبهى ربى من ربعها الخرب

ولا الخدودُ وقد أدمينَ من خجل أشهى إلى ناظري من خدها الترب

سماجةٌ غنيت منا العيونُ بها عن كلِّ حسنٍ بدا أو منظرٍ عجب

وحسنُ منقلبٍ تبدو عواقبه جاءت بشاشته عن سوءِ منقلب

لم يعلمِ الكفرُ كم من أعصر كمنت له المنية بين السمرِ والقضب

تدبيرُ معتصم بالله منتقمٍ لله مرتقبٍ في الله مرتهب

ومطعَمِ النصرِ لم تكهم أسنته يوماً ولا حجبت عن روح محتجب

لم يغزُ قوماً ولم ينهض إلى بلد إلاّ تقدمه جيشٌ من الرعب

لو لم يقدْ جحفلاً يومَ الوغى لغدا من نفسه وحدها في جحفل لجب

رمى بك الله برجيها فهدمها ولو رمى بك غيرُ الله لم تصب

من بعدِ ما أشَّبوها واثقينَ بها والله مفتاحُ باب المعقل الأشب

وقال ذو أمرهم لا مرتعٌ صددٌ للسارحينَ وليس الورد من كثب

أمانياً سلبتهم نجحَ هاجسها ظبي السيوف وأطرافُ القنا السلب

إن الحمامين من بيضٍ ومن سمرٍ دلوا الحياتين من ماءٍ ومن عشب
لبيتَ صوتاً زبطرياً هرقتَ له
كأسَ الكرى ورضابَ الخردِ العرب
عداك حرُّ الثغورِ المستضامة عن برد الثغورِ وعن سلسالها الخصب
أجبته معلناً بالسيفِ منصلتاً ولو أجبتَ بغيرِ السيف لم تجب
حتى تركتَ عمود الشرك منقعراً ولم تعرّجْ على الأوتاد والطنب
لمّا رأى الحربَ رأيَ العين توفلسٌ والحربُ مشتقة المعنى من الحرب
غدا يصرّفُ بالأموالِ جريتها فعزّه البحرُ والتيار ذو العبب
هيهات زعزعتِ الأرض الوقور به عن غزو محتسبٍ لا غزو مكتسب
لم ينفقِ الذهبَ المربي بكثرتِه على الحصى وبه فقرٌ إلى الذهب
إن الاسود أسود الغاب همتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلب
ولّى وقد ألجم الخطيُّ منطقَه بسكتة تحتها الأحشاءُ في صخب
أحذى قرابينَهُ صرفُ الردى ومضى
يحثُّ أنجى مطاياه من الهرب
موكلاً بيفاعِ الأرض يُشرِفه من خفة الخوفِ لا من خفة الطرب
إن يعدُ من حرها عدوَ الظليم فقدْ أو سعتَ جاحمها من كثرة الحطب
تسعون ألفاً كآساد الشرى نضجت جلودهم قبل نضجِ التين والعنب
يارب حوباءَ لما اجتُثَّ دابرهم طابت ولو ضمخت بالمسك لم تطب
ومغضبٍ رجعتْ بيض السيوف بهِ
حيَّ الرضى من رداهمْ ميت الغضب

والحربُ قائمةٌ في مأزقٍ لجِجٍ تجثو الرجالُ به صغراً على الركب

كم نيل تحتَ سناها من سنى قمرٍ وتحتَ عارضها من عارض شنب

كمْ كان في قطع أسباب الرقاب بها إلى المخدرةِ العذراء من سبب

كم أحرزت قُضب الهندي مصلتةً تهتزُّ من قُضب تهتز في كثب

بيضٌ إذا انتضيتْ من حجبها رجعت أحقّ بالبيضِ أبداناً من الحجب

خليفةَ الله جازى الله سعيك عن جرثومةِ الدين والاسلام والحسب

بصرتّ بالراحة الكبرى فلم ترها تُنال إلاّ على جسرٍ من التعب

إن كان بين صروفِ الدهر من رحم موصولةٍ أو ذمامٍ غير منقضب

فبين أيامك اللاتي نُصرت بها وبين أيامِ بدر أقرب النسب

أبقت بني الأصفرِ الممراضِ كاسمِهم صفرَ الوجوهِ وجلّتْ أوجه العرب

وقال يمدح محمد بن عبد الملك الزيات :[١]

ديمةٌ سمحةُ القيادِ سكوبُ مستغيثٌ بها الثرى المكروب

لو سعت بقعةٌ لإعظام نعمى لسعى نحوَها المكانُ الجديب

لذّ شؤبوبها وطابَ فلو تسـ ـطيعُ قامت فعانقتها القلوب

فهي ماءٌ يجري وماءٌ يليه وعزالٍ تُنشا وأخرى تذوب

كشفَ الروضُ رأسه واستسرّ المحل منها كما استسرّ المريب

---

(١) ديوانه : ١ / ٢٩٦

أيها الغيثُ حيّ أهلاً بمغدا ... كَ وعند السرى وحين تؤوب

لأبي جعفر خلائق تحكيهنّ ... قد يشبه النجيبَ النجيب

أنت فينا في ذا الأوان غريب ... وهو فينا في كلِّ وقت غريب

ضاحكٌ في نوائب الدهر طلقٌ ... وملوكٌ يبكون حين تنوب

فإذا الخطب طالَ نالَ الندى ... والبذل منه مالا تنالُ الخطوب

خُلُقٌ مشرقٌ ورأي حسامٌ ... ووِدادٌ عذب وريح جنوب

كلَّ يوم له وكل أوانٍ ... خُلُقٌ ضاحك ومال كئيب

إنْ تقاربه أو تباعده ما لم ... تأتِ فحشاءَ فهو منك قريب

ما ألْتقى وفرُه ونائلهُ مُذ ... كانَ إلاّ ووفرهُ المغلوب

فهو مُدنٍ للجود وهو بغيضٌ ... وهو مقصٍ للمال وهو حبيب

يأخذُ المعتفين قسراً ولو كفّ ... دعاهم اليه وادٍ خصيب

غير أنّ الرامي المسددَ يحتا ... طُ مع العلم أنه سيصيب

وقال يمدح حبيش بن المعافى :[1]

نُسائلها أيَّ المواطن حلتِ ... وأيَّ بلاد أوطنتها وأيَّتِ

وماذا عليها لو أشارت فودعت ... إلينا بأطراف البنان وأومت

وما كان إلاّ أن تولت بها النوى ... فولى عزاءُ القلب لما تولت

فأما عيون العاشقين فأسخنت ... وأما عيون الكاشحين فقرت

ولما دعاني البينُ وليتُ إذ دعا ... ولمّا دعاها طاوعته ولبت

ولم أرَ مثلي كان أوفى بعهدها ... ولا مثلها لم ترعَ عهدي وذمتي

---

(١) ديوانه : ١

مشوقٌ رمته أسهم البين فانثنى صريعاً لها لمّا رمته فأصمت

ولو أنها غير النوى فوّقت له بأسهمها لم تصمِ فيه وأشوت

كأنّ عليه الدمعَ ضربة لازبٍ إذا ماحمام الأيك في الايك غنت

لئن ظمئت أجفانُ عين إلى البكا لقد شربت عيني دماً فتروَّت

عليها سلامُ الله أنّى استقلتِ وأنّى استقرت دارها واطمأنت

ومجهولةِ الأعلام طامسةِ الصُّوى

إذا اعتسفتها العيسُ بالركب ضلَّت

إذا ما تنادى الركب في فلواتها أجابت نداء الركب منها فأصدت

تعسفتُها والليلُ مُلقٍ جِرانه وجوزاؤه في الافق لما استقلت

بعفعمةِ الأنساع موجدة القرا أمونِ السرى تنجو إذا العيسُ كلّت

طموح بأثناءِ الزمام كأنّما تخالُ بها من عدوها طيفَ جنة

إلى حيث يلقى الجود سهلا منالهُ وخير امرىءٍ شدت اليه وحطت

إلى خير من ساس البرية عدله ووطّد أعلام الهدى فاستقرت

حبيشُ حبيش بن المعافى الذى به أُمِرَّت حبالُ الدين حتى استمرت

ولولا أبو الليث الهمام لأَخلقت من الدين أسبابُ الهدى وأرثت

أقر عمود الدين في مستقره وقد نهلت منه الليالي وعلّت

ونادى المعالي فاستجابت نداءه ولو غيرُهُ نادى المعالي لصُمَّت

ونيطت بحقويه الامور فأصبحت بظلِ جناحيه الامور استظلت

وأحيا سبَيل العدل بعد دثوره وأنهج سبلَ الجود حين تعفَّت

ويلوي بأحداثِ الزمان انتقامه إذا ما خطوبُ الدهر بالناس ألوت

ويجزيك بالحسنى إذا كنتَ محسناً
ويغتفرُ العظمى إذا النعلُ زلت

يلمُّ اختلالَ المعتفينَ نواله إذا ما ملماتُ الزمان ألمّتِ
إذا ظلماتُ الرأي أسدل ثوبها تطلعَ فيها فجره فتجلت

همام ورِيُّ الزند مستحصدُ القوى
إذا ما الأمورُ المشكلات أظلّت

به انكشفت عنا الغيابة وانفرت جلابيبُ جور عمّنا واضمحلت
أغرُ ربيط الجأشِ ماضٍ جنانه إذا ما القلوبُ الماضيات ارجحنّت
نهوض بثقل العبءِ مضطلعٌ به وإنْ عظمتْ فيه الخطوب وجلت
تطوعُ له الأيام خوفَ انتقامهِ إذا امتنعتْ من غيره وتأبت
له كلّ يوم شملُ مجدٍ مؤلفٍ وشملُ ندى بين العفاة مشتت
أبا الليث لولا أنت لانصرمَ الندى وأدركتِ الأحداثُ ما قد تمنت

أخافَ فؤادَ الدهر بطشُك فانطوتْ
على رُعُبٍ أحشاؤه وأجنت

حللتَ من العزِ المنيف محلّةً أقامتْ بفوديها العلى وأبنّت
ليَهنْنِيء تنوخاً أنهم خيرُ أسرة إذا أحصيت أولى البيوت وعدت
وأنك منهم في اللباب الذي له تطاطأتِ الأحياءُ صغراً وذلت
بنى لتنوخَ اللهُ مجداً مؤيداً تزلُّ عليه وطأةُ المتثبت

إذا ما حلومُ الناسِ حلمك وازنتْ
رجحتَ بأحلام الرجال وخفت

إذا ما يدُ الأيام مدتْ بنانها إليك بخطبٍ لم تنلك وشُلّت

وإن أزْمات الدهر حَلّتْ بمعشر　　أرقت دماءَ المحل فيها فطلّت

إذاما امتطينا العيسَ نحوك لم نخف

عشاراً ولم نخشَ اللتيا ولا اللتي

وقال يمدح مالك بن طوق :[١]

أقول لمرتادِ الندى عندَ مالكِ　　تعوذْ بجدوى مالكٍ وصلاته

فتىً جعلَ المعروفَ من دون عرضه

سريعاً إلى المُمتاح قبل عِداته

ولو قصّرت أمواله عن سماحِهِ　　لقاسم من يرجوه شطرَ حياته

ولو لم يجدْ في قسمةِ العمر حيلةً　　وجازَ له الاعطاءُ من حسناته

لجاد بها من غيرِ كفرٍ بربه　　وواساهمُ من صومِهِ وصلاته

وقال أيضاً يمدحه[٢]

قِفْ بالطلولِ الدراساتِ عُلاثا　　أضحتْ حبالُ قطينهنَّ رِثاثا

قسمَ الزمانُ ربوعها بين الصَّبا　　وقَبولها ودبورها أثلاثا

فتأبدتْ من كلّ مخطفةِ الحشا　　غيداءَ تُكسى يارقاً ورعاثا

كالظبيةِ الأدماءِ صافت فارتعتْ　　زهر العرارِ الغضِ والجثجاثا

حتى إذا ضربَ الخريفُ رواقه　　سافت بريرَ أراكةٍ وكباثا

سيافةُ اللحظات يغدو طرفها　　بالسحرِ في عُقدِ النهى نفّاثا

زالتْ بعينيكَ الحمولُ كأنها　　نخلٌ مواقر من نخيل جُواثا

يومَ الثلاثا لا أزال لبينهم　　كدرَ الفؤادِ لكل يوم ثُلاثا

(١) ديوانه : ٣١٣/١　　(٢) ديوانه : ١ / ٣١٤

إنّ الهموم الطارقاتكَ موهناً منعت جفونَك أنْ تذوق حثاثا

ورأيتَ ضيفَ الهمِ لايرضى قرىً

إلاّ مداخلة الفقارِ دِلاثا

شجعاءَ جرّتها الذميلُ تلوكه أصُلاً إذا راح المطي غِراثا

أُجُداً إذا وَفَتِ المهارى أرقلت رَقلاً كتحريق الغضا حثحاثا

طلبت فتى جُشَم بن بكر مالكا ضِرغامها وهزبرها الدلّاثا

ملك إذا استسقيت مزنَ بنانه قتَل الصدى وإذا استُغيث أغاثا

قد جربته تغلبُ ابنة وائلٍ لا خاتراً غدراً ولا نكّاثا

مثل السبيكة ليس عن أعراضها بالغيب لا ندُساً ولابحّاثا

طرح التمذي عنه وشذَّب سيفهُ عن عيصها الخُرّابَ والخبّاثا

ضاحي المحيّا للهجيرِ وللقنا تحت العجاج تخاله محراثا

همْ مزقوا عنه سبائب حلمهِ وإذا أبو الأشبال أُحرج عاثا

لولا القرابةُ جاسهم بوقائعٍ تنسي الكُلاب وملهماً وبُعاثا

بالخيل فوق متونهنّ فوارس مثل الصقورِ إذا لقينَ بُغاثا

لكن قراكم صفحهُ من لم يزلْ وأبوه فيكم رحمةً وغياثا

عفّ الإزار تنال جارةُ بيتهِ أرفاده وتُجنَّبُ الارفاثا

عمرو بنُ كلثوم بن مالكٍ الذي تركَ العلى لبني أبيه تراثا

ردعوا الزمانَ وهمْ كهولٌ جلّةٌ

وَسَطوا على أحداثه أحداثا

ألقى عليه نجارهُ فأتى بهِ يقظانَ لا ورعاً ولا ملتاثا

تركوا مواعده إذا وَعدُ امرئٍ أمسى كأحلام الكرى أضغاثا

وترى تَسَحُّبَنا عليه كأننا جئناه نطلبُ عنده ميراثا

كمْ مسهب بك لو عدتك قِلاصه تبغي سواكَ لأوعثتْ إيعاثا

يا مالكَ ابن المالكينَ أرى الذي كنا نؤمل من إيابك راثا

لولا اعتمادُك كنتُ في مندوحة عن برقَعيدَ وأرضِ باعِيناثا

والكامخيَّةُ لم تكنْ لي موطناً ومقابرُ اللذاتِ من فبراثا

لم آتها من أيّ وجه جئتها إلا حسبتُ بيوتها أجداثا

بلدُ الفلاحةِ لو أتاها جرولٌ أعني الحطيئةَ لاغتدى حرّاثا

تصدا بها الأفهامُ بعد صقالها وتردُ ذكرانَ العقولِ إناثا

أرضٌ خلعتُ اللهوَ خلعي خاتمي فيها وطلّقتُ السرورَ ثلاثا

وقال يمدح خالد بن يزيد الشيباني :(١)

طلل الجميع لقد عفوتَ حميدا وكفى على رُزئي بذاكَ شهيدا

دِمَنٌ كأنّ البين أصبح طالباً دِمَناً لدى آرامها وحقودا

قربتَ نازحة القلوب من الجوى وتركتَ شأوَ الدمع فيك بعيدا

خضلاً إذا العبراتُ لم تبرحْ لها وطناً سرى قَلِقَ المحلِّ طريدا

امواقفَ الفتيانِ تطوي لم تزرْ شوقاً ولم تندب لهنّ صعيدا

أذكرتنا الملكَ المضللَ في الهوى والأعشيينِ وجَرولاً ولبيدا

حَلُّوا بها عقدَ النسيب ونمنموا من وشيها رَجَزاً بها وقصيدا

---

(١) ديوانه : ١ / ٤١٠

راحتْ غواني الحيّ عنكَ غوانياً يلبسنَ نأياً تارةً وصدودا
من كلّ سابغةِ الشبابِ إذا بدتْ تركتْ عميدَ القريتين عميدا
أزْرينَ بالمردِ الغطارفِ بدَّناً غيداً ألفنهُمُ غطارف غيدا
أحلى الرجالِ من النساءِ مواقعاً من كان أشبههم بهنّ خدودا
فاطلبْ هدواً في التقلقلِ واستثر بالعيسِ من تحت السهادِ هجودا
من كلّ معطيةٍ على عللِ السُّرى وخداً يبيتُ النومُ منه شريدا
تخدي بمنصلِتٍ يظلّ إذاونى ضرباؤه حِلساً لها وقتودا
جعل الدجى جملاً وودع راضياً بالهونِ يتخذُ القُعود قعودا
طلبتْ ربيع ربيعة المهمي لها فتفيأتْ ظلاً لها ممدودا
بكريّها علويها صعبيها الـ حصنيّ شيبانيها الصِّنديدا
ذُهليها مُريّها مطريّها يُمنى يديها خالدَ بن يزيدا
نسبٌ كأنّ عليه من شمس الضحى
نوراً ومن فلقِ الصباح عمودا
عُريانُ لا يكبو دليلٌ من عمىً فيه ولا يبغي عليه شهودا
شرفٌ على أولى الزمانِ وإنما خلَقُ المناسبِ ما يكونُ جديدا
لو لم تكنْ من نبعةٍ نجديّةٍ عُلويّةٍ لظننتُ عودكَ عودا
مطرٌ أبوكَ أبو أهلّةِ وائلٍ ملأ البسيطةَ عُدّةً وعديدا
أكفاءَهُ تلدُ الرجالُ وإنما ولدَ الحتوفُ أساوداً وأسودا
رُبْداً ومأسدةً على أكتادها لِبدٌ تخالُ فليلهنّ لبودا
ورثوا الأبوّةَ والحظوظَ فأصبحوا
جمعوا جُدوداً في العلى وجُدودا

وقُر النفوسِ إذا كواكب قعضبٍ

أردين عفريتَ الوغى المرِّيدا

زُهر إذا طلعت على حجب الكلى نحست وإن غابت تكون سعودا

ما إن ترى إلاّ رئيساً مقصداً تحت العجاج وعاملاً مقصودا

فزعوا إلى الحَلَق المضاعفِ وارتدوا

فيها حديداً في الشؤون حديدا

ومشوا أمام أبي يزيدَ وحولهُ مشياً يهدُّ الراسيات وئيدا

يغشون أسفحهم مذانبَ طعنةٍ سفحاً وأشنعَ ضربة أُخدودا

ما إن ترى الأحساب بيضاً وُضَّحاً إلاّ بحيث ترى المنايا سواد

لَبس الشجاعةَ إنها كانت له قِدماً نشوقاً في الصِّبا ولدودا

بأساً قبيلياً وبأسَ تكرم جَمّ وبأسَ قريحةٍ مولودا

وإذا رأيتَ أبا يزيدٍ في ندى ووغىً ومبدي غارةٍ ومُعيدا

يُقري مرجيه مُشاشة مالِهِ وشبا الأسنة ثُغرةً ووريدا

أيقنتَ أن من السماحِ شجاعةً تُدمي وأنّ من الشجاعة جودا

وإذا سرحتَ الطرفَ نحو قبابِهِ لم تلقَ إلاّ نِعمةً وحسودا

ومكارماً عُتُق النجار تليدة إن كان هضبُ عمَايتين تليدا

ومتى حللتَ به أنالكَ جهده ووجدتَ بعد الجهد فيه مزيدا

متوقدٌ منه الزمانُ وربّما كان الزمانُ بآخرين بليدا

أبقى يزيدُ ومزيدٌ وأبوهما وأبوه ركنكَ في الفخار شديدا

سلفوا يرونَ الذكرَ عقباً صالحاً ومضَوا يعدونَ الثناءَ خلودا

إنّ القوافيَ والمساعي لم تزلْ مثلَ الجمان إذا اصاب فريدا

هي جوهرٌ نثرٌ فإنْ ألفتَه بالشعرِ صار قلائدا وعقودا
في كلّ معتركٍ وكل مقامةٍ يأخذن منهُ ذمةً وعهودا
وإذا القصائدُ لم تكنْ حُفراءها لم ترضَ منها مشهداً مشهودا
من أجل ذلك كانت العربُ الألى يدعونَ هذا سؤدداً محدودا
وتندُّ عندهمُ العلى إلاّ عُلى جُعلتْ لها مِررَ القصيدِ قيودا

وقال يمدحه (١)

يقولُ أناسٌ في حُبَيناءَ أبصروا عِمارةَ رحلي من طريفٍ وتالدِ
أصادفتَ كنزاً أم صبحتَ بغارةٍ ذوي غرةٍ حاميهم غيرُ شاهد
فقلتُ لهم: لا ذا ولا ذاكَ ديدني ولكنني أقبلتُ من عند خالد
جذبتُ نداه غدوةَ السبت جذبةً فخرَّ صريعاً بين أيدي القصائد
فأُبتُ بنعمى منه بيضاءَ لدنةٍ كثيرةِ قرحٍ في قلوبِ الحواسد
هي الناهد الريّا إذا نعمةُ امرىءٍ سواه غدت ممسوحةً غيرَ ناهد
فَرعْتُ عِقابَ الأرضِ والشعر مادحاً
له فارتقى بي في عقاب المحامد
فألبسني من أُمهاتِ تِلادهِ وألبستُهُ من أمهاتِ قلائدي

وقال يمدح حفص بن عمر الأزدي : (٢)

عفتْ أربعُ الحلاّتِ للأربع الملد لكل هضيم الكشح مجدولة القدّ
لِسلمى سَلامانٍ وعمرةِ عامرٍ وهندِ بني هندٍ وسُعدى بني سعدِ
ديارٌ هراقتْ كلَّ عينٍ شحيحةٍ وأوطنتِ الأحزانَ كلَّ حشاً جلد

---

(١) ديوانه : ٢/٥ (٢) ديوانه : ٢ / ١١٨

فعوجا صدور الأرحبي وأسهلا بذاك الكثيب السهل والعلم الفرد
ولاتسألاني عن هوى قد طعمتما جواه فليس الوجدُ إلاّ من الوجد
حططتُ إلى أرض الجديدي أرحلي بمهرية تنباعُ في السير أو تخدي
تؤمُّ شهاب الأزد حفصاً فإنهم
بنو الحرب لاينبوا ثراهم ولا يكدي
ومن شكّ أن الجود والبأس فيهمُ كمن شك في أنّ الفصاحة في نجد
أنختُ إلى ساحاتهم وجنابهمْ ركابي فأضحى في ديارهمُ وفدي
إلى سيفهمْ حفص وما زال يُنتضى
لهمْ مثلُ ذاك السيف من ذلك الغمد
فلم أغش باباً أنكرتني كلابُهُ ولم أتشبث بالوسيلة من بُعد
فاصبحتُ لاذل السؤال أصابني ولاقدحت في خاطري روعة الرد
يرى الوعد أخزى العار إن هو لم تكنْ
مواهبهُ تأتي مقدّمة الوعد
فلو كان مايعطيه غيثاً لأمطرت سحائبه من غير برقٍ ولا رعد
دريّةُ خيلٍ لا يزال لدى الوغى له مخلبٌ وردٌ من الأسد الورد
من القوم جعدٌ أبيضُ الوجه والندى
وليس بنانٌ يجتدى منه بالجعد
فأبتُ وقد مجت خراسانُ داءها وقد نغلت أطرافها نغل الجلد
وأوباشها خزرٌ إلى العرب الألى لكيما يكون الحرُ من خول العبد
ليالي بات العزُ في غير بيتهِ وعُظّم وغدُ القوم في زمن وغد
وماقصدوا إذ يسحبون على الثرى برودهمُ إلاّ إلى وارث البرد

ورامو ادمَ الإسلام لامن جهالةٍ ولا خطأٍ بلْ حاولوه على عمد

فجّوا به سماً زعافا ولو نأتْ سيوفك عنهم كان أحلى من الشهد

ضممت إلى قحطان عدنان كلها ولم يجدوا إذا ذاك من ذاك من بد

فاضحت بك الأحياء أجمع ألفة وأحكم في الهيجاء نظماً من العقد

و كنت هناك الأحنف الطب في بني تميم بن مُرٍ والمهلب في الأزد

و كنت أبا غسان مالك وائلٍ عشية دانى حلقة الحلف بالعقد

ولما أماتت أَنجم العرب الدجى

سرت وهي أتباع لكوكبك السعدي

وهل أسدُ العِرّيس إلاّ الذي له فضيلته في حيث مجتمع الأسد

فهم منك في جيش قريب قدومه عليهم وهمْ منْ يُمن رأيك في جند

ووقّرت يا فوخ الجبان على الردى

وزدتَ غداة الروع في نجدة النجد

رأيت حروب الناس هزلاً وإن علا سناها وتلك الحربُ معتدة الجد

ولا فئةٌ إلاّ القنا ونأيتمُ فما لكمُ إلا الأسنة من زرد

ولامدد إلا السيوف لوامعاً ولا معقلٌ غيرُ المسومة الجرد

فياطيب مجناها وبارد وقعها على الكبد الحرّى وزاد على البرد

ورفّعت طرفاً كان لولاك خاشعاً وأوردت ذود العز في أول الورد

فتى برّحت هماته وفعالهُ به فهو في جهْدٍ وما هو في جهد

متتٌ إليه بالقرابةِ بيننا وبالرحمِ الدنيا فاغنت عن الود

رأى سالف القربى وشابك آلهِ أحقّ بانْ يرعاه في سالف العهد

فيا حسنَ ذاك البر اذ أنا حاضرٌ ويا طيب ذاك القول والذكر من بعدي

وما كنت ذا فقرٍ إلى صلبِ ماله   وما كان حفص بالفقير إلى حمدي
ولكن رأى شكري قلادة سؤددٍ   فصاغ لها سلكا بهياً من الرفد
فما فاتني ما عنده من حِبائِهِ   ولا فاته من فاخر الشعر ما عندي
وكم من كريم قد تخضرّ قلبه   بذاك الثناء الغضّ في طرق المجد

وقال يمدح المعتصم وفيها من بديع الوصف والتشبيه المرقص المطرب : (١)

رقّت حواشي الدهر فهي تمرمرُ   وغدا الثرى في حَليِه يتكسّرُ
نزلت مقدمةُ المصيف حميدةً   ويدُ الشتاءِ جديدةٌ لا تكفر
لولا الذي غرس الشتاءُ بكفهِ   قاسى المصيف هشائماً لا تُثمر
كم ليلةٍ آسى البلاد بنفسِهِ   فيها ويوم وَبْلُهُ مُثعنجرُ
مطرٌ يذوبُ الصحوُ منه وبعده   صحوٌ يكادُ من الغضارة يقطر
غيثانِ فالأنواءُ غيثٌ ظاهرٌ   لك وجهه والصحوُ غيث مُضمر
وندىً إذا ادّهنت به لممُ الثرى   خِلت السحاب أتاه وهو مُعذّر
أربيعنا في تسع عشرة حِجةً   حقاً لهُنّكَ للربيعُ الأزهر
ما كانتِ الأيامُ تسلب بهجةً   لو أنّ حسن الروض كان يُعمَّر
أوَ لا ترى الأشياء إن هي غيرت   سمجت وحسنُ الأرض حين تغير
يا صاحبيّ تقصّيا نظريكما   ترَيا وجوه الأرض كيف تصوّر
تريا نهاراً مُشمساً قد شابه   زهرُ الربى فكأنما هو مقمر
دنيا معاشٌ للورى حتى إذا   حل الربيعُ فإنما هي منظر
أضحت تصوغ بطونُها لظهورها   نوراً تكادُ له القلوب تنور

---

(١) ديوانه : ١٩١/٢

من كلّ زاهرةٍ ترقرقُ بالندى ... فكأنها عينٌ إليك تحدر

تبدو ويحجبها الجميم كأنها ... عذراءُ تبدو تارةً وتخفر

حتى غدتْ وهداتُها ونجادُها ... فئتين في حلل الربيع تبختر

مصفرّةً محمرةً فكأنها ... عُصَبٌ تيمنُ في الوغى وتمضر

من فاقعٍ غضِ النبات[1] كأنه ... در يشقق قبلُ ثم يزعفر

أو ساطعٍ من حمرةٍ فكأنّ ما ... يدنو إليه من الهواءِ مُعصفر

صبغُ الذي لولا بدائعُ لطفه ... ما عاد أصفرَ بعدَ إذ هو أخضر

خُلُقٌ أطلّ من الربيع كأنه ... خُلُقُ الإمام وهديه المتنشر

في الأرضِ من عدلِ الإمام وجوده ... ومن النباتِ الغضّ سُرجٌ تزهر

تُنسى الرياضُ وما يروّض فعلُه ... أبداً على مرّ الليالي يُذكر

إن الخليفة حين يُظلمُ حادثٌ ... عينُ الهدى وله الخلافةُ محجر

كثرتْ به حركاتُها ولقد تُرى ... في فترةٍ وكأنّها تتفكر

مازلتُ أعلم أنّ عقدةَ أمرها ... في كفّه مذ خلّيت تتخير

بالثامن المستخلف اتسق الهدى ... حتّى تخير رشده المتحير

سكنَ الزمانُ فلا يدٌ مذمومةٌ ... للحادثات ولا سَوامٌ تذعر

نظم البلادَ فأصبحتْ وكأنها ... عِقدٌ كأنّ العدلَ فيه جوهر

لم يبق مبدىً موحشٌ إلّا ارتوى ... من ذكره فكأنّما هو محضَرُ

ملكٌ يضلُّ الفكر في أيامه ... ويقلُّ في نفحاتِه ما يكثر

---

(١) فى الاصل : البنات ، وهو خطأ .

فليَعْسُرَنَّ على الليالي بعدها
أنْ يُبتلى بصروفهنَّ المعسر

وقال يمدح أحمد بن المعتصم وهي من غرر القصائد وفائق الشعر : [١]

ما في وقوفكَ ساعةً من باسِ   نقضي ذمامَ الأربعِ الأدراسِ
فلعلَّ عينكَ أنْ تعينَ بمائها   والدمعُ منهُ خاذلٌ ومُواسِ
لايُبعدُ المشتاقَ وسنانُ الهوى   يبسُ المدامعِ باردُ الأنفاسِ
إنَّ المنازلَ ساورتها فُرقةٌ   أخلتْ من الآرامِ كلَّ كِناسِ
من كلِّ ضاحكةِ الترائبِ أرهفتْ
إرهافَ خُوطِ البانةِ الميَّاسِ
بدرٌ أطاعتْ فيكَ بادرةَ النوى   ولعاً وشمسٌ أُولعتْ بشماسِ
بِكرٍ إذا ابتسمتْ أراكَ وميضُها   نورَ الأقاحِ برملةٍ ميعاسِ
وإذا مشتْ تركتْ بقلبكَ ضِعفَ ما
بحليِّها من كثرةِ الوسواسِ
قالتْ وقد حُمَّ الفراقُ فكأسهُ   قد خولطَ الساقي به والحاسي
لاتنسينْ تلكَ العهودَ فإنما   سُمِّيتَ إنساناً لأنكَ ناسِ
إن الذي خلق الخلائقَ قاتها   أقواتها لتصرفِ الأحراسِ
فالأرضُ معروفُ السماءِ قِرىً لها
وبنو الرجاءِ لهمْ بنو العباسِ
القومُ ظلُّ اللهِ أسكنَ دينَهُ   فيهمْ وهمْ جبلُ الملوكِ الراسي

---

(١) ديوانه : ٢/٢٤٢

في كلّ جوهرة فِرند مشرقٌ ... وهمُ الفرندُ لهؤلاءِ الناس

هدأت على تأميل أحمدَ همتي ... وأطاف تقليدي به وقياسي

بالمجتبى والمصطفى والمشتري ... للحمد والحالي بـه والكاسي

والحمد بُـرْ دُ جمالٍ اختالت بهِ ... غررُ الفعال وليس برد لباس

و كأنّ بينهما رضاع الثدي من ... فرطِ التصافي أو رضاع الكاس

فرعٌ نمـا من هـاشمٍ في تربةٍ ... كان الكفيءَ لها من الأغراس

لاتهجرُ الأنواءُ منبتهـا ولا ... قلبُ الثرى القاسي عليها قاسِ

نـُو رُ العرارةِ نوره ُ ونسيمـهُ ... نشرُ الخزامى في اخضرار الآس

أبليتَ هـذا المجد أبعد غايةٍ ... فيه وأكرم شيمةٍ ونحاس

إقدامَ عمرو في سماحة حاتم ... في حلم أحنفَ في ذكاءِ إياس

لا تُـنكروا ضربي له مَـن دونهُ ... مثلاً شروداً في الندى والباس

فالله قد ضربَ الأقلَّ لنوره ... مثلاً من المِشكاةِ والنبراس

إنْ تحو خـصْلَ المجدِ في أنُـفِ الصِبا

يا ابنَ الخلائف يا أبـا العبـاس

فلرب نارٍ منكمُ قد انتجتْ ... بالليل من قبسٍ من الأقباس

ولربّ كفلٍ في الحروب تركتهُ ... لصعابهـا حِلساً من الأحلاس

أمددته في العُدم والعدم الجوى ... بالجود والجودُ الطبيبُ الآسي

آنستـه بالدهر حتـى إنـه ... لـيَظُنـُّهُ عرسـاً من الأعراس

غلب السرورُ عـلى همومي بالذي

أظهرت من برّي ومن إيناسي

أملٌ من الآمـال أحكم فتله ... فكأنه مرسٌ من الأمراس

عَدَلَ المشيبُ على الشبابِ ولم يكنْ
من كَبْوةٍ لكنهُ من ياسِ
أثرُ المطالبِ في الفؤآد وإنما أثرُ السنينَ ووسمها في الراس
فالآنَ حين غرستُ في كرمْ الثرى
تلكَ المنى وبنيتُ فوقَ أساس

وقال يرثي محمد بن حميد الطوسي وهي من غرر المراثي :[1]

كَذا فليجلِّ الخطبُ وليفدحِ الأمرُ
فليس لعينٍ لم يفضْ ماؤها عذرُ
توفيتِ الآمالُ بعدَ محمدٍ وأصبحَ في شغلٍ عن السفرِ السفرُ
وما كانَ إلا مالَ من قلَّ ماله وذخراً لمن أمسى وليسَ له ذخر
وما كان يدري مجتدي جودَ كفه إذا ما استهلتْ أنه خُلق العسر
ألا في سبيل الله من عُطِّلتْ له فجاجُ سبيل الله وانثغرَ الثغر
فتىً كلّما فاضتْ عيونُ قبيلةٍ
دماً ضحكتْ عنه الأحاديثُ والذكر
فتى دهره شطران فيما ينوبه ففي بأسه شطرٌ وفي جوده شطر
فتىً ماتَ بينَ الطعنِ والضربِ ميتةً
تقوم مقام النصرِ إنْ فاته النصر
وما ماتَ حتى ماتَ مضربُ سيفه
من الضرب واعتلتْ عليه القنا السمر
وقد كان فوتُ الموت سهلاً فردَّه اليه الحفاظُ المرُّ والخُلُق الوعر

---

(١) ديوانه : ٢٦٨

ونفسٌ تعافُ العارَ حتّى كأنما

هو الكفرُ يومَ الروعِ أودونه الكفر

فأثبتَ في مستنقعِ الموتِ رجلَهُ

وقال لها من تحتِ أخمصِك الحشر

غدا غدوةً والحمدُ نسجُ ردائهِ   فلم ينصرفْ إلاّ وأكفانه الأجر

تردّى ثيابَ الموتِ حمراً فما دجا   لها الليلُ إلاّ وهي من سندسٍ خضر

كأنّ بني نبهانَ يومَ وفاتِهِ   نجومُ سماءٍ خرّ من بينها البدر

يُعزّونَ عن ثاوٍ تعزّى به العلى   ويبكي عليه البأسُ والجودُ والشعر

وأنّى لهمُ صبرٌ عليه وقد مضى   إلى الموتِ حتّى استشهدا هو والصبر

فتىً كان عذبَ الروحِ لا من غضاضةٍ

ولكنّ كبراً أنْ يُقالَ به كِبر

فتىً سلبتْه الخيلُ وهو حِمىً لها   وبزّته نارُ الحربِ وهو لها جمر

وقد كانتِ البيضُ المآثيرُ في الوغى   بواترَ فهي الآنَ من بعده بُتْر

أمن بعدِ طيٍّ الحادثاتِ محمداً   يكونُ لأثوابِ الندى أبداً نشر

إذا شجراتُ العرفِ جذّتْ أصولها   ففي أيِّ فرعٍ يوجدُ الورقُ النضر

لئن أبغضَ الدهرَ الخؤونُ لفقده   لعهدي به ممّن يُحبُّ له الدهر

لئن غدرتْ في الروعِ أيامُهُ به   فما زالتِ الأيامُ شيمتها الغدر

لئن لبستْ فيه المصيبةَ طيٌّ   فما عريتْ منها تميمٌ ولا بكر

كذلك ما ننفكُّ نندبُ هالكاً   يشارُكنا في فقده البدوُ والحضر

سقى الغيثُ غيثاً وارتِ الأرضُ شخصه

وإنْ لم يكنْ فيه سحابٌ ولا قطر

وكيف احتمالي للغيوث صنيعةً بإسقائها قبراً وفي لحده البحر

مضى طاهرَ الأثواب لم تبقَ روضةٌ
غداة ثوى إلاّ اشتهت أنها قبر

ثـوَى في الثرى من كان يحيا به الثرى
ويغمرُ صـرفَ الدهرِ نائله الغمر

عليكَ سلامُ الله وقفاً فإنني رأيتُ الكريمَ الحرَّ ليس له عمر

وقال يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف (١)

أما إنه لولا الخليطُ المودّعُ وربع خلا منه مصيف ومَربعُ

لرُدتْ على أعقابها أريحيّة من الشوقِ واديها من الدمعُ مترع

لحقنا بأخراهمْ وقد حوَّم الهوى
قلوباً عهدنا طَيرها وهي وُقّع

فرُدت علينا الشمس والليلُ راغمٌ
بشمس لهم من جانب الخدر تطلع

نضاضوؤها صبغ الدجنّة وانطوى
لبهجتها ثوبُ السماءِ المجزّع

فوالله ما أدري أأحلامُ نائمٍ ألمتْ بنا أم كانَ في الركب يوشع

وعهدي بها تُحيي الهوى وتُميته وتشعبُ أعشار الفؤاد وتصدع

وأقرعُ بالعتبى حُميّا عتابها وقد تستقيدُ الراحَ حين تُشعشع

وتقفو لي الجدوى بجدوى وإنّما يروقك بيتُ الشعر حين يُصرّع

(١) ديوانه ٢ : ٣١٩/٢

ألم تـر آرامَ الظبـاءِ كأنما

رأت بي سيدَ الرملِ والصبحُ أدرع

لئن جزع الوحشيُّ منها لرؤيتي لإنسيـها من شيب رأسي أجزع

غدا الهمُّ مختطاً بفودي خطةً طريق الردى منها الى النفس مهيع

هو الزورُ يُجفى والمعاشر يجتوى وذو الإلف يُقلى والجديدُ يرقّع

له منظرٌ في العين أبيضُ ناصع ولكنه في القلب أسودُ أسفع

ونحن نزجّيـه على الكره والرضى

وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع

لقد ساسنا هذا الزمانُ سياسةً سُدىً لم يسسها قبل عبدٌ مجدَّع

تروحُ علينـا كلَّ يوم وتغتدي خطوبٌ كأنَّ الدهر منهنّ يصرع

حلتْ نطفٌ منه لنِكسٍ وذو الحجا

يُداف له سمٌّ من العيش منقع

لقد آسفَ الاعداءَ مجدُ ابن يوسف

وذو النقص في الدنيا بذي الفضل مُولع

أخذتُ بحبلٍ منـه لمّـا لويته على مِرَرِ الأيام ظلت تقطع

هو السيلُ إن واجهته انقـدتَ طوعـه

وتقتادهُ من جانبيـه فيتبـع

ولم أرَ نفعاً عندمن ليس ضائراً ولم أرَ ضراً عند من ليس ينفع

يقول فـيُسمع ويمضي فيسرعُ ويضربُ في ذاتِ الإله فيوجع

مُمَرٌّ له من نفسه بعضُ نفسِـه وسائرها للحمد والأجر أجمع

رأى البخلَ من كلٍّ فظيعاً فعافه على أنّه منه أمرُّ وأفظـع

وكلُّ كسوفٍ في الدراري شنعة ... ولكنّه في الشمسِ والبدر أشنع

معادُ الورى بعد المماتِ وسيبُه ... معادٌ لنا قبل الممات ومرجع

له تالدٌ قد وفّر الجودُ هامَه ... فقرّت وكانتْ لا تزال تروع

إذا كانتِ النعمى سلوباً من امرىءٍ ... غدتْ من خليجي كفهِ وهي مُتْبع

وإن عثرتْ سودُ الليالي وبيضُها ... بوحدته ألفيتهُ وهو مجمعِ

وإن خفرتْ أموال قومٍ أكفُهمْ ... من النيل والجدوى فكفّاه مقطعُ

ويومٍ يظلُ العزُ يُحفظ وسطه ... بسمرِ العوالي والنفوسُ تضيعُ

مصيف من الهيجا ومن جاحِم الوغى ... ولكنهُ من وابل الدمِ مربع

عبوسٍ كسا أبطاله كل قونسٍ ... ترى الموتَ فيه وهو أقرع أنزع

وأسمرَ محمرُّ العوالي يؤمه ... سنانٌ بحبات القلوب ممتع

من اللائي يشربن النقيعَ من الكُلى ... غريضاً ويروى عندهنّ فينقع

شققتَ إلى جباره حومةَ الوغى ... وقنّعته بالسيفِ وهو مقنع

أظلتكَ آمالي وفي البطشِ قوةٌ ... وفي السهم تسديدٌ وفي القوسِ منزع

وإن الغنى لي لو لحظت مطالبي ... من الشعر إلا في مديحك أطوع

وإنك لو أهزلت في المحلِ لم تضع ... ولم ترعَ إن أهزلتَ والروضُ ممرع

رأيتُ رجائي فيك وحدك همة ... ولكنّه في سائرِ الناس مطمع

وكمْ عاثرٍ منا أخذتَ بضبعه ... فأضحى له في قلةِ المجد مطلع

فصار اسمه في النائبات مدافعاً ... وكانَ اسمه من قبلُ وهو مدفّع

وما السيفُ إلاّ زبرةٌ لو تركته ... على الحالةِ الأولى لما كان يقطع

فدونكها لولا ليَانٌ نسيبها ... لظلّت صِلابُ الصخر منها تصدع

لها أخواتٌ قبلها قد سمعتها ... وإنْ لم ترُغْ بي مدتي فستسمع

وقال في الفخر :(١)

أَنا ابنُ الذين استُرضع الجودُ فيهمُ وسُمّيَ فيهمْ وهو كهلٌ ويافع

نجوم طواليع جبالٌ فوارعٌ غيوثٌ هواميعٌ سيولٌ دوافع

مضوا وكأن المكرمات لديهمُ لكثرةِ ما أوصوا بهنّ شرائع

فاي يّدٍ في المحل مدت ولم يكن

لها راحةٌ من جودِهم وأصابع

همُ استودعوا المعروف محفوظَ مالنا

فضاعَ وما ضاعتْ لدينا الودائع

بهاليلُ لوعاينتَ فيضَ أكفهمْ لأيقنتَ أنّ الرزق في الارض واسع

إذا خفقتْ في الأرض أرواح جودهمْ

حداها النّدَى واستنشقتها المطامع

رياحُ كريح العنبرِ الغضّ في الندى

ولكنها يوم اللقاء زعازع

هي السمُّ ما تنفكُ في كلّ بلدة تسيلُ به أرماحهمْ وهو ناقع

أصارت لهم أرضِ العدو قطائعاً نفوسٌ لحدّ المرهفات قطائع

بكلّ فتى ماشابَ من هولِ وقعة ولكنّه قد شِبْنَ منه الوقائع

إذا ماأغاروا فاحتووا مالَ معشرٍ أغارتْ عليهم فاحتوته الصنائع

فتعطي الذي تعطيهمُ الخيل والقنا أكفٌّ لإرث المكرمات موانع

وقال يمدح أبا الحسن موسى بن عبد الملك :(٢)

قِرى دارهمْ مني الدموعُ السوافكُ وإنْ عادصُبحي بعدهمْ وهو حالكُ

---

(١) ديوانه ٢/

(٢) ديوانه ٢/٤٥٦

وإن بكرت في ظعنهم وحدوجهم زيانبُ من أحبابنا وعواتك
سقت ربعهم لابل سقت منتواهمُ من الأرض أخلافُ السحاب الحواشك
وألبسهم عصب الربيع ووشيه ويمنته نبتُ الثرى المتلاحكُ
إذا غازل الروضُ الغزالة نشّرت زرابيّ في أكنافه ودرانك
إذا الغيثُ غادى نسجه خلت أنّه أتت حقبةٌ حرسٌ له وهو حائك
ألكني إلى حي الاراقم إنّه من الطائر الاحشاء تُهدى المآلك
كُلوا الصبر غضاً واشربوه فإنكم أثرتم بعير الظلم والظلمُ بارك
أتاكم سليلُ الغاب في صدر سيفه سنىً لدجى الإظلام والظلم هاتك
إذا سيل سدّ العذر من صلب ماله وإن هم لم تُسدد عليه المسالك
ركوبٌ لأثباج المهالك عالمٌ بأن المعالي دونهنّ المهالك
ألحّ وما حكّتُم وللقدر التقى غريمان في الهيجا مُلحٌ وماحك
هو الحارثُ الناعي بجيراً وإن يُدن له فهو إشفاقاً زهيرٌ ومالك
رقاحيٌّ حربٍ طالما انقلبتْ له قساطلُ يوم الروع وهي سبائك
ومستنبطٌ في كلّ يوم من الوغى قليباً رشاءاها القنا والسنابك
مطلٌ على الروح المنيع كأنّه لصرف المنايا في النفوس مُشارك
فما تترك الأيامُ مَن هو آخذٌ ولا تأخذُ الأيامُ من هو تارك
عفوٌ إذا لم يشلم العفو عزمه وذو تُدرأ بالفاتك الخرق فاتك
ربيب ملوكٍ أرضعته ثُديّها وسمعٌ تربتهُ الرجال الصعالك
ولو لم يُكفكف خيله عر كتكم بأثقالها عركَ الأديم المُعارك
ولولا تقاهُ عاد بيضاً مُفلقاً بأدحيه بيض الخدور الترائك

ولا اصطُفيت شول فظلت شوارداً ... قروم عِشار ما الهن مبارك
إذاً للبستم عار دهرٍ كأنما ... لياليه من بين الليالي عوارك
ولا استُلبت فرش من الأمن تحتكم ... هي المثل في لين بها والأرائك
ولكن أبى أن يُستباح بكفه ... سنامكم من قومكم وهو تامك
وأن تصبحوا تحت الأظل وأنتم ... غوارب حيي تغلب والحوارك
فتنجذم الأسباب وهي مُغارة ... وتنقطع الأرحام وهي شوابك
فلا تكفُرُنّ الصامتي محمداً ... أيادي شفعاً سيبُها متدارك
أهبّ لكم ريح الصفاء جنائباً ... رُخاءً وكانت وهي نكب سواهك
فردّ القنا ظمآن عنكم وأغمدت ... على حرّها بيض السيوف البواتك
فآبت على سعد السعود برحله ... عتاق المذاكي والقلاص الرواتك
غدا وكأنّ اليوم من حسن وجهه ... وقد لاح بين البيض والبيض ضاحك
حياتك للدنيا حياة ظليلة ... وفقدك للدنيا فناء مواشك
متى يأتك المقدار لا تدع هالكاً ... ولكن زمان غال مثلك هالك

وقال يمدح المعتصم بالله :[1]

فحواك عين على نجواك يا مذل ... حتام لا يتقضى قولك الخطل
وإنّ أسمج من تشكو اليه هوى ... من كان أحسن شيء عنده العذل
ما أقبلت أوجه اللذات سافرة ... مذ أدبرت باللوى أيامنا الأول
إن شئت أن لا ترى صبراً لمصطبر ... فانظر على أيّ حال أصبح الطلل
كأنّما جاد مغناه فغيره ... دموعنا يوم بانوا وهي تنهمل
ولو تراهم وايانا وموقفنا ... في موقف البين لاستهلالنا زجل

(١) ديوانه : ٥/٣

مِن حرقة أطلقتها عبرةٌ أسرت قلباً ومن غزَل في نحره عَذل
وقد طوى الشوق في أحشائنا بقرٌ عينٌ طوتهن في أحشائها الكلل
فرغنَ للشجو حتى ظل كلٌّ شج حران في بعضه عن بعضه شغُل
طُلَّت دماءٌ هريقت عندهنَّ كما طُلَّت دماءُ هدايا مكةَ الهمل
هانت على كلّ شيء فهو يسفكها حتى المنازلُ والأَحداج والابل
يخزي رُكامَ النقا ما في مآزرها ويفضح الكحلَ في أجفانها الكحل
تكاد تنتقلُ الارواح لو تُركت من الجسوم اليها حين تنتقل
بالقائمِ الثامن المستخلف اعتدلت قواعدُ الملك ممتداً لها الطِوَلُ
بيمن معتصمٍ بالله لا أودٌ بالدين مذ ضم قطريه ولا خلل
يَهني الرعية أنَّ الله مقتدراً أعطاهمُ بأبي إسحاق ما سألوا
لو كان في عاجلٍ من آجل بدلٌ لكان في وعدِهِ من رفدِهِ بدل
تغايرَ الشعرُ فيه إذ سهرتُ له حتى ظننتُ قوافيه ستقتتل
لولا قبوليَ نصحَ العزم مرتجلاً لراكضاني إليه الرحلُ والجملُ
له رياضُ ندىً لم يُكبِ زهرتها خُلفٌ ولم تتبختر بينها العلل
مدى العفاةِ فلم تحللْ به قدمٌ إلاّ ترحّل عنها العثر والزلل
ما إنْ يبالي إذا حلّى خلائقه بجوده أيّ قُطريه حوى العطل
كأنّ أمواله والبذلُ يمحقها نهبٌ تقسمه التبذير أو نَفَلُ
شرستَ بل لنتَ بل قانيتَ ذاك بذا فأنتَ لاشك فيك السهلُ والجبلُ
صلى الإله على العباس وانبجستْ على ثرىً حلَّهُ الوكّافة الهطل
ذاك الذي كان لو أنّ الأنامَ له نسلٌ لما راضهم جبن ولا بخل

أبو النجوم التي ما ضرّ ثاقبها ... أن لم يكن برجه ثورٌ ولا حمل

من كل مشتهرٍ في كل معتركٍ ... لم يعرف المشتري فيه ولا زُحل

يحميه لألاؤه أو لوذعيّته ... من أن يُذال بمن أو ممن الوجل

ومشهدٍ بين حكم الذلّ منقطعٍ ... صاليه أو بحبال الموتِ متصل

ضنكٍ إذا خرست أبطاله نطقت ... فيه الصوارمُ والخطّية الذبل

لا يطمعُ المرءُ أن يجتاب غمرته ... بالقول ما لم يكن جسراً له العمل

جلّيت والموت مُبدٍ حر صفحته ... وقد تفرعن في أفعاله الأجل

أبحت أو عاره بالضرب وهو حمى ... للموت ينبت فيه الكربُ والوهل

آلُ النبي إذا ما ظلمة طرقت ... كانوا لها سُرُجا أنتم لها شعل

قومٌ إذا وعدوا أو واعدوا غمروا ... صدقاً مذانبُ ما قالوا بما فعلوا

يستعذبون مناياهم كأنهمُ ... لا ييأسون من الدنيا إذا قتلوا

أسدُ العرين إذا ما الموتُ صبّحها ... أو صبّحته ولكن غابُها الأسل

تناولُ الغوثَ أيدي الموت قادرةً ... إذا تناول سيفاً منهمُ بطل

ليسقمِ الدهرُ أو تصحح مودته ... فاليوم أول يومٍ صح لي أمل

أدنيت رحلي إلى مُدنٍ مكارمه ... الي مهتبلاً ما جئت أهتبل

إلى ثمال بني الدنيا الذي حليت ... بحلي معروفه الأمنية العطل

يحميه حزم لحزم البخل مهتضم ... جوداً وعرض لعرض المال مبتذل

فكرٌ إذا راضه راض الأمور به ... رأيٌ تفنن فيه الريث والعجل

قد جاء من وصفك التفسيرُ معتذراً ... بالعجز إن لم يغثني الله والجملُ

لقد لبستَ أميرَ المؤمنين بها حلياً نظاماه بيتٌ سار أو مثل
غريبةٌ تؤنس الآداب وحشتها فما تحلُّ على قوم فترتحل

وقال يمدح أبا المستهل محمد بن شقيق الطائي :[1]

تحمّلَ عنه الصبرُ يومَ تحملوا وعادتْ صَباه في الصبا وهي شمأل
بيومٍ كطول الدهر في عرض مِثله ووجدي َمن هذا وهذاك أطول
تولّوا فولتْ لوعتي تحشد الأسى عليَّ وجاءتْ مقلتي وهي تهمل
ألا بكرتْ معذورةً حين تعذل تعرفني مِلعيش ما لستُ أجهل
أأتبعُ ضنكَ الأمر والامر مدبرٌ وأدفعُ في صدر الغنى وهو مقبل
محمدُ يابن المستهل تهللتْ عليكَ سماءٌ من ثنائي تهطل
فكمْ مشهدٍ أشهدته الجودَ فانقضى
ومجدكَ يُستحيى ومالكَ يُقتل
بلوناكَ أمّا كعبُ عرضك في العلى فعالٍ ولكن جدْ مالك أسفل
تحملتَ مالو حُمّلَ الدهرُ شطره لفكرّ دهراً أيُّ عبئيه أثقل
أبوكَ شقيقٌ لم يزلْ وهو للندى شقيقٌ وللملهوف ذخرٌ ومعقل
أفادَ من العليا كُنوزاً لو انها صوامتُ مالٍ ما درى أينَ تجعل
فحسبُ امرئٍ أنتَ امرؤٌ آخرٌ له
وحسبكَ فخراً أنه لك أول
فهلْ للقريض الغضِ أو مَنْ يصوغه
على أحدٍ إلاّ عليك معوّل

---

(١) ديوانه : ٣/ ٧٢

ليهنَ امرؤٌ يُثني عليك فإنه ... يقول وإنْ أربى ولا يتقوَّل

ستَهْلُنَ عليكَ المكرماتِ فوصفُها ... علينا إذا ما استجمعت فيك أسهل

رأيتك للسفر المطرَّد غايةً ... يؤمّونها حتى كأنك منهل

سألتك ألاّ تسألَ الله حاجة ... سوى عفوه ما دمتَ تُرجى وتُسأل

وإياكَ لا إيايَ أمدحُ مثلما ... عليكَ يقيناً لا عليَّ المعوّل

ولا ترَيَنْ أن العلى لك عندما ... تقولي ولكنّ العلى حين تفعل

ولا شك أنّ الخير منك سجية ... ولكنّ خير الخيرِ عندي المعجَّل

وقال يمدح محمد بن حسان الضبي :[1]

أزعمتَ أنّ الربعَ ليس يُتيِّمُ ... والدمعَ في دمنٍ عفتْ لا يسْجمُ

ولقد أراكَ من الكواعب كاسياً ... فاليوم أنت من الكواعب مُحرَمُ

يا موسمَ اللذاتِ غالتكَ النوى ... بعدي فربعكَ للصبابةِ موسم

لحَظَتْ بشاشتكَ الحوادثُ لحظةً ... ما زالتُ أعلمُ أنّها لا تسلم

أينَ التي كانتْ إذا شاءتْ جرى ... من مقلتي دمعٌ يعصفره دم

بيضاءُ تسري في الظلامِ فيكتسي ... نوراً وتسربُ في الضياء فيظلم

يستعذبُ الرعديدَ فيها حتفَهُ ... فتراه وهو المستميتُ المعلِم

مقسومةٌ في الحسن بلْ هي غايةٌ ... فالحسنُ فيها والجمالُ مقسَّم

مظلومةٌ للورد أطاق طرفها ... في الخلق فهو معَ المنون محكّم

---

(١) ديوانه : ٢٨٣

مَذلتْ فلم تكتمْ جفاكَ (تَكتَمُ)

إنّ الذي يَعقُ المَلول لمغرم

إنْ كان وصلك آضَ وهو محرمٌ — منك الغداةَ فما السلوُّ محرم

عزمٌ يفلُ الجيشَ وهو عرمرمٌ — ويردُ ظفرَ الشوق وهو مقلم

وفتى إذا ظَلم الزمانُ فما يُرى — إلاّ إلى عزماتِهِ يتظلم

لولا ابنُ حسانَ المرجى لم يكن — بالرّقةِ البيضاء لي مُتلوَّم

شافهتُ أسباب الغنى بمحمدٍ — حتّى ظننتُ بأنها تتكلم

قد تُيّمت منه القوافي بامرىءٍ — ما زالَ بالمعروف وهو متيم

يحلو ويعذبُ إنْ زمانٌ ناله — بغنىً وتلتاثُ الخطوبُ فيكرم

تلقاه إنْ طرق الزمانُ بمغرمٍ — شرهاً إليه كأنما هو مُغرم

لا يحسبُ الإقلالَ عدماً بل يرى — أنّ المقلّ من المروءة معدم

مازالَ وهو إذا الرجالُ تواضخوا — عندَ التقدّم حيثُ كان يُقدَّم

يحتلُّ من سعدِ بن ضبة في ذُرى — عاديّةٍ قد كللتها الأنجم

قوم يَمُجُّ دماً على أرماحهم — يومَ الوغى المستبسلُ المستلئم

يعلمونَ حتى ما يشكّ عدُوهمْ — أنّ المنايا الحمرَ حيٌّ منهم

لو كان في الدنيا قبيلٌ آخرٌ — بإزائهمْ ما كان فيها مُصرِم

ولأنتَ أوضحُ فيهم من غرةٍ — شدختْ ولاسِيما حواها أدهم

تجري على آثارهمْ في مسلكٍ — ما إنْ له إلاّ المكارمَ معلم

لم ينأ عني مطابٌ ومحمدٌ — عونٌ عليه أوْ إليه مسلّم

لم يذعرِ الأيامَ عنك كمرتدٍ — بالعقل يَفهم عن أخيه ويُفهمُ

مِمَّنْ إذا ما الشعرُ صافحَ سمعَه يوماً رأيتَ ضميرَه يتبسم

وقال يمدح أحمد بن أبي داود [1]

ألَمْ يأنِ أن تُروى الظماءُ الحوائمُ وأنْ ينظمَ الشملَ المبدَّدَ ناظمُ

لئن أرقأ الدمعَ الغيورُ وقد جرى لقد رَويتْ منه خدودٌ نواعمُ

كما كادَ يُنسى عهدُ ظمياءَ باللوى ولكنْ أملَّته عليه الحمائم

بعثْنَ الهوى في قلبِ مَنْ ليسَ هائماً فقلّ في فؤادٍ رُعْنَهُ وهو هائم

لها نغمٌ ليست دموعاً فإن علت مضت حيث لاتمضي الدموعُ السواجم

أما وأبيها لو رأتني لأيقنت بطول جوىً تنقدُّ منه الحيازم

رأت قسماتٍ قد تقسّم نضرَها سُرى الليل والإسآدُ فهي سَواهمُ

وتلويحَ أجسام تصدَّعُ تحتها قلوبٌ رياحُ الشوقِ فيها سمائم

ينال الفتى من عيشه وهو جاهلٌ ويُكدي الفتى في دهره وهو عالم

ولو كانتِ الأرزاقُ تجري على الحجا هلكنَ إذاً من جهلهنَّ البهائم

جزى الله كفاً ملؤها من سعادةٍ سعت في هلاكِ المال والمال نائم

فلم يجتمع شرقٌ وغربٌ لقاصدٍ ولا المجدُ في كفّ امرىءٍ والدراهم

ولم أرَ كالمعروف تُدعى حقوقه مغارم في الأقوام وهي مغانم

ولا كالعلى ما لم يُرَ الشعرُ بينها فكالأرضِ غفلاً ليس فيها معالم

وما هو إلا القول يسري فيغتدي له غررٌ في أوجهٍ ومواسم

(1) ديوانه: ٣/١٧٦

يرى حكمةً ما فيه وهو فكاهةٌ ويقضي بما يقضي به وهو ظالم

إلى أحمدَ المحمود أمّت بنا السرى نواعب في عرض الفلا وروَاسم

جوائفُ يظلمنَ الظليمَ إذا عدا وسيجَ أبيه وهو للبرق شائم

نجائبُ قد كانتَ نعائمَ مرةً من المرِ أو أماتهنَّ نعائم

إلى سالم الأخلاق من كلّ عائبٍ وليس له مالٌ على الجود سالم

جديرٌ بأن لا يصبحَ المال عنده جديراً بأن يبقى وفي الأرض غارم

وليس ببانٍ للعلى خُلُقُ امرىءٍ وإن جلّ إلا وهو للمال هادم

له من إيادٍ قمةُ المجدِ حيث ما سَمَت ولها منهُ البنا والدعائم

أناسٌ إذا راحوا إلى الروح لم ترح مسلَّمةً أسيافهم والقوائم

بنو كلّ مشبوح الذراع إذا التنا ثنت أذرع الابطال وهي معاصم

إذا سيفُه أضحى على الهام حاكماً غدا العفوُ منه وهو في السيف حاكم

أخذتَ بأعضاد العريب وقد خوت عيونٌ كليلاتٌ وذلّت جماجم

فأضحَوا لو اسطاعوا الفرطَ محبةٍ لقد علِّقت خوفاً عليكَ التمائم

ولو علم الشيخانِ أُدٌ ويعربٌ لسُرَّت إذاً تلك العظام الرمائم

تلاقى بك الحيانِ في كل محفلٍ جليل وعاشت في ذراك العمائم

فما بال وجهِ الشعر أسودَ قاتماً وأنفُ العلى من عطلةِ الشعر راغم

تدارَكه إنّ المكرمات أصابعٌ وإنّ حُلى الأشعار فيها خواتم

إذا أنتَ لم تحفظه لم يكُ بدعةً ولا عجباً أن ضيعته الأعاجم

فقد هزّ عطفيهِ القريضُ توقعاً لعدلك مُذ صارت إليك المظالم

ولولا خِلال سنّها الشعرُ ما درى بغاةُ العلى من أينَ تُؤتى المكارم

وقال يمدح محمد بن الحسن الضبي :[1]

ما اليومُ أولَ توديعي ولا الثاني ... البينُ أكثرُ من شوقي وأحزاني

دعِ الفراقَ فإنّ الدهرَ ساعده ... فصار أملكَ من روحي بجثماني

خليفةُ الخضر من يربعْ على وطنٍ ... في بلدةٍ فظهورُ العيس أوطاني

بالشامِ أهلي وبغدادُ الهوى وأنا ... بالرقّتينِ وبالفسطاطِ إخواني

وما أظنُّ النوى ترضى بما صنعتْ ... حتى تشافهَ بي أقصى خُراسان

خلّفتُ بالأفق الغربيّ لي سكناً ... قد كانَ عيشي به حُلواً بحُلوان

غصنٌ من البان مهتزٌّ على قمرٍ ... يهتزُّ مثل اهتزاز الغصن في البان

أفنيتُ من بعده فيض الدموع كما ... أفنيت في هجره صبري وسُلواني

وليسَ يعرفُ طيبَ الوصلِ صاحبُهُ ... حتى يصابَ بنأيٍ أو بهجران

إساءةَ الحادثاتِ استبطني نفقاً ... فقد أظلّكَ إحسانُ ابنِ حسّان

أمسكتُ منه بود شدّ لي عُقَداً ... كأنما الدهرُ في كفي بها عان

إذا نوى الدهرُ أن يودي بتالدِهِ ... لم يستعن غيرَ كفّيه بأعوان

لو أنّ إجماعنا في وصفِ سؤدده ... في الدّينِ لم يختلفْ في الأمة اثنان

وقال يمدح أمير المؤمنين الواثق بالله[2] :

بأبي المنازلُ إنّها لشجونُ ... وعلى العُجُومة إنها لَتُبينُ

فاعقِل بنضو الدار نِضوكَ يَقتَسِمْ ... فرطَ الصبابةِ مسعدٌ وحزينُ

لا تمنعنّي وقفةً أشفي بها ... داءَ الفراق فإنها ماعُون

---

(١) ديوانه : ٣٠٨/٣ (٢) ديوانه : ٣/ ٣٢٣

واسق الأثافي من شؤونك ريّها ... إن الضنين بدمعه لضنين

والنؤي أهمد شطره فكأنه ... تحت الحوادث حاجب مقرون

حزن غداة الحزن هاج غليله ... في أبرق الحنّان منك حنين

سمة الصبابة عبرة أو زفرة ... متكفل بهما حشاً وشؤون

لولا التفجع لادّعى هضب الحمى ... وصفا المشقّر أنّه محزون

سيروا ذوي الحاجات ينجع سعيكم ... غيث سحاب الجود منه هتون

فالحادثات بوبله مصفودة ... والمحل في شؤبوبه مسجون

حملوا ثقيل الهمّ واستنأى بهم ... سفر يهدّ المتن وهو متين

حتى إذا ألقوه عن أكتافهم ... بالعزم وهو على النجاح ضمين

وجدوا جناب الملك اخضر فاجتلوا ... هارون فيه كأنه هارون

ألفوا أمير المؤمنين وجدّه ... خضل الغمام وظلّه مسكون

فغدوا وقد وثقوا برأفة واثق ... بالله طائره لهم ميمون

قرّت به تلك العيون وأشرقت ... تلك الخدود وإنهنّ لجون

ملكوا خطام العيش بالملك الذي ... أخلاقه للمكرمات حصون

ملك إذا خاض المسامع ذكره ... خفّ الرجاء إليه وهو ركين

ليث إذا خفق اللواء رأيته ... يعلو قرا الهيجاء وهي زبون

جعل الخلافة فيه ربّ قوله ... سبحانه للشيء كن فيكون

ولقد رأيناها له بقلوبنا ... وظهور خطب دونها وبطون

ولذاك قيل من الظنون جليّة ... صدق وفي بعض القلوب عيون

ولقدْ علمنا مذْ ترعرعَ أنه　　لأمين ربِّ العالمين أمين

يا ابنَ الخلائفِ إنَّ بُردك ملؤه　　كرمٌ يذوب المزنُ منه ولين

نورٌ من الماضي عليكَ كأنه　　نورٌ عليه من النبيِّ مُبين

يسمو بك السفاحُ والمنصورُ والمهديُّ والمعصومُ والمأمون

من يعشْ ضوءَ الآلِ يعلمْ أنهم　　ملأٌ لدى ملأ السماء مكين

فرسانُ مملكةٍ وأُسدُ خلافةٍ　　ظلُّ الهدى، غابٌ لهمْ وعرين

قومٌ غدا الميراثُ مضروباً لهم　　سُورٌ عليه من القُرآنِ حصين

فيهم سكينةُ ربهم وكتابهُ　　وإمامتاه واسمهُ المخزون

وادٍ من السلطان محمِيٌّ لم يكن　　ليضمَّ فيه الملكَ إلاّ الدين

في دولةٍ بيضاءَ هارونية　　متكنفاها النصرُ والتمكين

قد أصبح الإسلامُ في سلطانها　　والهندُ بعضُ ثغورها والصين

يفدي أمينَ اللهِ كلُّ منافق　　شنآنه بينَ الضلوع كمين

ممن يداهُ يُسريانِ ولم تزل　　فينا وكلتا راحتيكَ يمين

تدعى بطاعتك الوحوش فترعوي　　والأسدُ في عريسها فتدين

مافوقَ مجدكَ مُرتقىٍ مجدٍ ولا　　كلُّ افتخار دونَ فخركَ دون

جاءتكَ من نظم اللسان قلادة　　سمطانِ فيها اللؤلؤُ المكنون

حُذيت حذاء الحضرميةِ أرهفت　　وأجابها التحصيرُ والتلسين

إنسيَّة وحشيَّةٌ كثرُت بها
حركاتُ أهل الأرض وهي سكون

ينبوعها خضلٌ وحَلْيُ قريضها　　حلْيُ الهدى ونسيجُها موضون

أمّا المعاني فهي ابكارٌ إذا　　نُصَّت ولكنَّ القوافيَ عون

ولقدْ علمنا مذ ترعرعَ أنه لأمين ربِّ العالمين أمين

يا ابنَ الخلائفِ إنَّ بُردك ماؤه كرمٌ يذوبُ المزنُ منه ولين

نورٌ من الماضي عليك كأنه نور عليه من النبيِّ مُبين

يسموبكَ السفاحُ والمنصورُ والـ ـمهديُّ والمعصومُ والمأمون

من يَعشْ ضوءَ الإلهِ يعلمْ أنهم مَلأٌ لدى مَلأ السماءِ مكين

فرسانُ مملكةٍ وأُسدُ خلافة ظلُّ الهدى، غابٌ لهم وعرين

قومٌ غدا الميراثُ مضروباً لهم سُورٌ عليه من القرآنِ حصين

فيهم سكينةُ ربهم وكتابُهُ وإمامتاه واسمُهُ المخزون

وادٍ من السلطان مُحميٌّ لم يكن ليضمَّ فيه الملكَ إلاّ الدين

في دولةٍ بيضاءَ هارونية مُتكنّفاها النصرُ والتمكين

قد أصبح الإسلامُ في سلطانها والهندُ بعضُ ثغورِها والصين

يفدي أمين الله كلُّ منافقٍ شنآنه بين الضلوع كمين

ممن يداهُ يسريانِ ولم تزل فينا وكلتا راحتيكَ يمين

تُدعى بطاعتك الوحوشُ فترعوي والأسدُ في عريسها فتدين

ما فوقَ مجدكَ مُرتقى مجدٍ ولا كلٌّ افتخارٍ دون فخرك دون

جاءتكَ من نظم اللسان قلادةٌ سِمطان فيها اللؤلؤُ المكنون

حُذِيت حذاء الحضرمية أرهفت وأجابها التخصيرُ والتلسين

إنسيةٌ وحشيةٌ كَثُرت بها حركاتُ أهلِ الأرضِ وهي سكون

ينبوعها خضِلٌ وَحلي قريضها ... حَلي الهدى ونسيجها موضون

أما المعاني فهي أبكارٌ إذا ... نُصَّت ولكنَّ القوافيَ عون

أحذاكها صَنَعُ الضمير يمدُّه ... جَفْرٌ إذا نضبَ الكلامُ مُعِينُ

ويسيءُ بالإحسان ظناً لا كمَنْ ... يأتيكَ وهو بشعره مفتون

يرمي بهمّتِهِ إليك وهمّه ... أملٌ له أبداً إليك حَرون

فَمُناه في حيثُ الأماني رُتَّعٌ ... ورجاؤه حيث الرجاءُ كنين

ولعلَّ ما يرجوه مما لمْ يكنْ ... بكَ عاجلا أو آجلا سيكون

أقول : لقد جاوزت القدر وأخللت بما اشترطت من الاختصار، وأكثرت من شعر الرجل لأني كلما نقلت قصيدة ونظرت التي بعدها فإذا هي مثلها أو أجود منها حتى تمادى بي استحسان شعره إلى الاكثار منه . فلله دره من شاعر ! ما أعذب مقاله وأوسع مجاله وأرق معانيه وأثبت مبانيه .

تم الاختيار من شعر أبي تمام وأخباره ويليه الاختيار من شعر أبي عبادة البحتري وأخباره .

شعر

أبي عُبادة البحتري (١)

قال البكري :

هو الوليدُ بن عبيد بن يحيى بن عبيد من بني بحر بن عتود بن عنبس بن سلامان بن نفيل بن عمرو بن الغوث بن جلهمة وهي طيء ، شاعر مقدم لا يعدل به احد يفضل على حبيب والناس في تفضيلها على اختلاف .

قال أبو الفرج :

كان البحتري شاعراً فصيحاً حسن المذهب ، نقي الكلام ، ختم به شعراء المحدثين وله تصرف في ضروب الشعر سوى الهجاء فإن بضاعته فيها نزرة . قال عبد الله بن الحسن : سألت المبرد عن أبي تمام والبحتري أيهما أشعر فقال : لأبي تمام استخراجات لطيفة ومعان ظريفة وجيده أجود من شعر البحتري ومن تقدمه من المحدثين وشعر البحتري أحسن استواء من شعره لأن البحتري يقول القصيدة كلها فتكون سليمة من طعن طاعن وأبو تمام يقول البيت النادر والبارد وهذا المعنى كان أعجب إلى الأصمعي وما أشبهه إلا بغائص يخرج الدرة والمخشلبة وهي زجاجة توضع مكان الدرة ثم قال : لأَبي تمام والبحتري من المحاسن ما لو قيس بأكثر شعر الاوائل ما وجد فيه مثله

---

(١) قوبل شعر البحتري على ديوانه المطبوع في بيروت وعلى مختارات البارودي وأشير لديوانه بحرف « د » والى المختارات بكلمة « م ب » .

وللبحتري بيتان لو وضعا في شعر زهير لجازا فيه وهما :[١]

فما سفهُ السفيه وإن تـعَـدّى ... بأنجعَ فيك من حـلمِ الحليم

متى أحفظتَ ذا كرمٍ تخطّى ... إليكَ ببعضِ أفعالِ اللئيم

وذكر المبرد شعراً له وقدمه على نظرائه وهو قوله :

وإذا ذكرت محاسنَ ابنيْ صاعد ... أدّت إليك مخائلَ ابني مخـلدِ

كالفرقـدينِ إذا تأمـلَ ناظـرٌ ... لم يعلُ موضعُ فرقدٍ عن فرقد

وقوله :[٢]

مَـن شاكرٌ عني الخليفة للذي ... أولاه من فضلٍ ومن إحسان

حتى لقد أفضلتُ من إفضاله ... ورأيتُ نهج الجود حيث أراني

ملأت يداه يدي وشرَّد جودُه ... بـُخلي وأفقرني كما أغناني

وله أيضاً في الفتح بن خاقان وقد نزل الى الاسـد فقتله :[٣]

حـَملتَ عليه السيفَ لاعطفكَ انثنى

ولا يـدُكَ ارتدت ولا حـَدُّه نبـا

فأحجمَ لمـّا لم يجدْ فيكَ مطعماً ... وصمَّمَ لما لم يجد عنكَ مهربا

وقوله :

وما منعَ الفتح بن خاقان نيلـه ... ولـكنّها الأيام تُـعطي وتحرم

سحابٌ خطاني جوده وهو مسبلٌ ... وبحرٌ عداني فيضه وهو مفعَمُ

وبدرٌ أضاءَ الأرض شرقاً ومغرباً ... وموضعُ رجلي منه أسود مظلم

---

(١) د : ٦٦٢ و م ب ٢٥

(٢) د ٤٥ (٣) د ٨٢

أأشكو نداه بعد أن وسع الورى ومَن ذا يذمّ الغيث الا مذمم

وله في انتقاض صلح بين عشيرته :

إذا ما الجرح رمّ على فسادٍ تبيّن فيه تفريطُ الطبيب

وللسهمُ الشديد أشدّ حباً إلى الرامي من السهمِ المصيب

ومن جيد شعره :

ولمّا التقينا واللّوى موعدٌ لنا تبيّن رائي الدرِ حسناً ولاقطُه

فمن لؤلؤٍ تجلوه عندَ ابتسامها ومن لؤلؤ عندَ الحديث تُساقطه

والبحتري مكثر جداً . وديوان شعره مختلف بالزيادة والنقص لأن شعره لا ينضبط لكثرته . قال البحتري : كنت أنظم الشعر في حداثتي وكنت أرجع فيه الى الطبع ولم اكن أقف على تسهيل مأخذه ووجوه اقتضابه حتى قصدت أبا تمام وانقطعت فيه اليه وتكلفت في تعريفه عليه فكان أول ما قال لي يا أبا عبادة تخير الأوقات وأنت قليل الهموم ، صفر من الغموم واعلم أن العادات جرت في الاوقات أن يقصدها الانسان لتأليف الشيء وحفظه ومن ذلك وقت السحر لان النفس تكون قد أخذت بحقها من الراحة وقسطها من النوم فإن أردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقاً والمعنى رشيقاً واكثر فيه من بيان الصبابة وتوجع الكآبة وقلق الاشواق ، ولوعة الفراق ، واذا أخذت في مدح سيد فأشهر مناقبه وأظهر مناسبه وأبن معالمه وشرف مقاومه ونفض المعاني واحذر المحتمل منها وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ الهجينة وكن وكأنك خياط تقطع الثياب على مقادير الاجسام واذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل شعراً الا وانت فارغ القلب واجعل شهوتك الى قول الشعر

الذريعة الى حسن نظمه فإن الشهوة تجمع النفس .وجملة الحال أن تعتبر نفسك بما سبق من شعر الماضين فما استحسنت العلماء فاقصده وما تركوه فاجتنبه ترشد إن شاء الله تعالى فاعملت نفسي فيما قال فوقفت على السياسة .

قال يمدح أمير المؤمنين المتوكل على الله ويهنيه بعيد الفطير :(١)

أُخفي هوىً لكِ في الضلوع وأظهر
وأُلام من كمدٍ عليكِ وأعذرُ

وأراكِ خنت على النوى مَن لم يخنْ ... عهد الهوى وهجرتِ من لا يهجر

وطلبتُ منك مودةً لم أُعطها ... إن المعنّى طالبٌ لا يظفر

هل دينُ علوةَ يُستطاع فيقتضى ... أو ظلمُ علوة يستفيق فيقصر

بيضاءُ يعطيك القضيبَ قوامها ... ويريكَ عينيها الغزالُ الأحور

تمشي فتحكمُ في القلوب بدلّها ... وتميسُ في ظلّ الشباب وتخطرُ

وتميلُ من لين الصبى فيقيمها ... قدٌ يؤنّثُ تارةً ويذكّر

إني وإن جانبتُ بعضَ بطالتي ... وتوهّم الواشون أني مقصِر

ليشوقني حسنُ العيون المجتلي ... ويروقني وردُ الخدود الأحمر

اللهُ مكّنَ للخليفة جعفرٍ ... مُلكاً يحسّنه الخليفةُ جعفر

نعمى من الله اصطفاه بفضلها ... والله يرزق مَن يشاء ويقدر

فاسلم أمير المؤمنين ولا تزلْ ... تُعطى الزيادة في البقاء وتشكر

عمت فواضلُك البرية فالتقى ... فيها المقلُّ على الغنى والمكثر

بالبر صمت وأنت أول صائم ... وبسنة الله الرضيّه تفطر

---

(١) د : ١٧ م ب ٢٥٦

فانعم بيوم الفطر عيناً إنه ... يوم أغر من الزمان مشهر

أظهرت عز الملك فيه بجحفل ... لجب يحاط الدين فيه وينصر

خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت ... عدداً يسير بها العديد الأكثر

فالخيل تصهل والفوارس تدعي ... والبيض تلمع والأسنة تزهر

والأرض خاشعة تميل بثقلها ... والجو معتكر الجوانب أغبر

والشمس ماتعة توقد بالضحى ... طوراً ويطفئها العجاج الأكدر

حتى طلعت بضوء وجهك فانجلى ... ذاك الدجى وانجاب ذاك العثير

وافتن فيك الناظرون فاصبع ... يوما إليك بها وعين تنظر

يجدون رؤيتك التي فازوا بها ... من أنعم الله التي لا تكفر

ذكروا بطلعتك النبي فهللوا ... لما طلعت من الصفوف وكبروا

حتى انتهيت الى المصلى لابساً ... نور الهدى يبدو عليك ويظهر

ومشيت مشية خاضع متواضع ... لله لا يزهى ولا يتكبر

فلو ان مشتاقاً تكلف فوق ما ... في وسعه لمشى إليك المنبر

أبديت من فصل الخطاب بحكمة ... تنبي عن الحق المبين وتخبر

ووقفت في برد النبي مذكراً ... بالله تنذر تارة وتبشر

ومواعظ شفت الصدور من الذي ... يعتادها وشفاؤها متعذر

حتى لقد علم الجهول وأخلصت ... نفس المروى واهتدى المتحير

صلوا وراءك آخذين بعصمة ... من ربهم وبذمة لا تخفر

فاسلم بمغفرة الإله فلم يزل ... يهب الذنوب لمن يشاء ويغفر

اللهُ أعطاكَ المحبةَ في الورى وحباكَ بالفضل الذي لا ينكر
ولأنت أملأ للعيونِ لديهمُ وأجلّ قدراً في الصدور وأكبر

وقال يمدحه ويذكر وفد الروم :[1]

قل للسحاب إذا حدته الشمألُ وسرى بليلٍ ركبهُ المتحمّلُ
عرّج على حلبٍ فحيِّ محلةً مأنوسة فيها لِعلوةَ منزلُ
لغريرةٍ أدنو وتبعدُ في الهوى وأجودُ بالودِ المصون وتبخل
وعليلة الألحاظ ناعمة الصبا غرِيَ الوشاةُ بها ولجّ العذل
لا تكذبنّ فأنت ألطفُ في الحشا عهداً وأحسن في الضمير وأجمل
لو شئتِ عدتِ إلى التناصبِ في الهوى
وبذلتِ من مكنونه ما أبذل
أحنو إليك وفي فؤادي لوعةٌ وأصدُّ عنك ووجه ودي مقبل
وإذا هممتُ بوصل غيركِ ردّني ولهٌ إليك وشافعٌ لك أول
وأعزُّ ثم أذلُّ ذلة عاشقٍ والحبُ فيه تعززٌ وتذلّلُ
إنّ الرعية لم تزل في سيرة عُمَريّةٍ مذ ساسها المتوكل
الله آثرَ بالخلافةِ جعفراً ورآه ناصرَها الذي لا يخذل
هي أفضلُ الرتبِ التي جعلت له دونَ البريةِ وهو منها أفضل
ملكٌ إذا عاذ المسيء بعفوه غفرَ الاساءةَ قادراً لا يعجل
وعفا كما صفح السحابُ ورعدهُ قصفٌ وبارقهُ حريقٌ مُشعَلُ
يتقبلُ العباسَ عمَّ محمدٍ ووصيَّه فيما يقول ويفعل

---

(١) د : ٢٣ و م ب ٢٨٣

شرفٌ خصصتَ به ومجدٌ باذخٌ ... متمكن فوقَ النجوم مؤثـلُ

لا يَعدمَنكَ المسلمونَ فإنهم ... في ظلّ ملكك أدركوا ما أمّلوا

حَصَّنتَ بيضتهم وحطتَ حريمهم ... وحملتَ من أعبائهم ما استثقلوا

فاديتَ بالأسرى وقد غلقوا فلا ... مَنٌّ يُنال ولا فداءٌ يقبل

ورأيتَ وفد الروم بعد عنادهم ... عرفوا فضائلكَ التي لا تجهل

لحظوكَ أولَ لحظة فاستصغروا ... من كان يعظم فيهم ويبجل

أحضرتهم حِججاً لو اجتلبت بها ... عصمُ الجبال لأقبلت تتنزل

وراوكَ وضاحَ الجبين كما يُرى ... قمرُ السماء السعد ليلة يكمل

نظروا إليك فقدسوا ولو أنّهم ... نطقوا الفصيح لكبروا أو هللوا

حضروا السماطَ فكلّما راموا القرى ... مالت بأيديهم عقولٌ ذهل

تهوي أكفهم إلى أفواههم ... فتحيد عن قصد السبيل وتعدل

متحيرونَ فباهتٌ متعجبٌ ... ممّا رأى أو ناظرٌ متأمل

ويود قومهمُ الأُلى بعثوا بهم ... لو ضمهم بالأمس ذاكَ المحفل

قد نافس الغيبَ الحضورُ على الذي ... شهدوا وقد حسدَ الرسولَ المرسلُ

عجّلتَ رفدهمُ وأفضلُ نائلٍ ... حُبيَ الوفودُ به الهنيء المعجل

فاللهَ أسألُ أن تعمرَ صالحاً ... فدوامُ عمركَ خيرُ شيءٍ يُسألُ

وقال يمدحه :[١]

أَنافعي عندَ ليلى فرطُ حُبيها ولوعةٌ لي أبديها وأخفيها
أم لا تقاربُ ليلى من يقاربها ولا تداني بوصل من يدانيها
بيضاء أوقد خديها الصبا وسقى أجفانها من مُدام الراح ساقيها
في حمرة الورد شكلٌ من تلهبها وللقضيب نصيبٌ من تثنيها
قد علِمَت أنني لم أرضَ كاشحها فيها ولم أستمع من قول واشيها
ويومَ جدَّ بنا عنها الرحيلُ على صبابة وحدا الاظعانَ حاديها
قامت تودعني عجلى وقد حدرت سوابقٌ من تؤام الدمع تُجريها
واستنكرت ظعني عنها فقلتُ لها إلى الخليفة أمضى العيس مُمضيها
إلى إمامٍ له ما كان من شرف يُعدُّ في سالفِ الدنيا وباقيها
خليفة الله ما للحمد مُنصرفٌ إلاّ إلى نعم أصبحت توليها
فلا فضيلة إلا أنت لابسها ولا رعيّة إلا أنت راعيها
مِلك كملك سليمانَ الذي خضعت له البريّةُ قاصيها ودانيها
وزلفةٍ لك عند الله تُظهرها لنا ببرهانِ ما تأتي وتبديها؟
لما تأبدَ محلُ الارض واحتبست غرُّ السحائبِ حتى ما نرجيها
وقمتَ مستسقياً للمسلمينَ جرت غرُّ الغمام وحلّت من عزاليها
فلا غمامة إلا انهلّ وابلها ولا قرارة إلا سال واديها
وطاعةُ الوحش إذ جاءتك من خرقٍ أحوى وأدمانةٍ كُحلٍ مآقيها
كالكاعبِ الرود يخفى من ترائبها روعُ العبير ويبدو في تراقيها

(١) د : ٢٢

ألفانِ وافت على قدرٍ مسارعةً إلي قبول الذي حاولته فيها
إن سرتَ سارتْ وإن وقفتها وقفت
صوراً إليك بالحاظٍ تواليها
يُرعنَ منك الى وجهٍ يرين له جلالةً يكثر التسبيح رائيها
حتى قطعتَ بها القاطولَ وافترقت
بالخير في عرصةٍ فسحٍ نواحيها
فنهرُ نيرك وردٌ من مواردها وساحةُ التّل مغنىً من مغانيها
لولا الذي عرفته فيكَ يومئذ لما أطاعكَ وسطَ البيد عاصيها
فضلانِ حُزتهما دونَ الملوكِ ولم تَظهرْ بنيلهما كِبراً ولا تيها

وقال يمدح الفتح بن خاقان ويصف دخوله عليه وسلامه عليه :(١)

هَبِ الدارَ ردّت رَجْعَ ما أنت قائله
وأبدى الجوابَ الربعُ عما تسائله
أفي ذاك برءٌ من جوىً ألهبَ الحشا
توقدُه واستغزرَ الدمعَ جائلُه
هو الدمع موقوف على كل دمنة تعرج فيه أو خليط تزايله
تـرادفهم خفضُ النعيم ولينهُ وجادهمُ طلّ الربيع ووابله
وإن لم يكن في عاجل الدهر منهم نوالٌ وغيثٌ من زمانكَ آجله
مضى العامُ بالهجران منهم وبالنوى
فهل مقبلٌ بالوصلِ والقربِ قابلُه
أرجّم في ليلى الظنون وأرتجي أواخر حبّ أخلفتني أوائله

---

(١) د : ٥١ و م ب ٢٨٥

وليلةَ هوَّمنا على العيس أرسلت بطيفِ خيالٍ يُشبه الحقَ باطله

فلولا بياضُ الصبح طال تشبّثي بعطفي غزالٍ بتُّ وهناً أغازله

وكم من يد لليل عندي حميدةٍ وللصبح من خطبٍ تُذم غوائله

وقد قلتُ للمعلي الى المجد طرفه دع المجد فالفتح بن خاقان شاغلُه

سنان أميرِ المؤمنين وسيفه وسيب أمير المؤمنين ونائله

تشبُّ به للناكثين حروبه ويدنو به للخابطينَ نوافله

أطلَّ بنعماه فمَنْ ذا يطاولِه وعمَّ بجدواه فمن ذا يساجله

ضمنتُ عن الساعين أن يلحقوا به إذا ذُكرت آلاؤه وفواضله

أيبلغه بالبذل قومٌ وقد سعَوا فما بلغوا بعضَ الذي هو باذله

رمى كاب الأعداء عن حدِّ نجدةٍ

بها قطعت تحت العجاج مناصله

وما السيفُ إلاّ بزٌّ غاد لزينةٍ إذا لم يكن أمضى من السيف حامله

يُداني بمعروفٍ هو الغيثُ في الثرى

توالى نداه واستنارت خمائله

أمنت به الدهرَ الذي كنتُ أتقي ونلتُ به القدر الذي كنتُ آمله

ولمّا حضرنا سدّة الإذنِ أخرّت رجالٌ عن الباب الذي أنا داخله

فأفضيتُ من قربٍ الى ذي مهابة أقابل بدر الافق حين أقابله

إلى مسرفٍ في الجود لو أنّ حاتماً لديه لأمسى حاتمٌ وهو عاذله

بدا لي محمود السجية شمّرت سرابيله عنه وطالت حمائله

كما انتصب الرمح الرديني ثقفت أنابيبهُ للطعن واهتزّ عامله

وكالبدرِ وافته لتمٍ سعوده فتمّ سناه واستهلت منازله

فسلمت فاعتاقت جناني هيبةٌ   تنازعني القولَ الذي أنا قائله

فلمّا تأملتُ الطلاقة وانثنى   إليَّ ببشرٍ آنستني مخايله

دنوتُ فقبلتُ الندى من يدِ امرىءٍ   جميلٍ محياه سِباطٍ أنامله

وقال يمدحه :[١]

ألمت وهل إلمامها لكَ نافعُ   وزارت خيالاً والعيونُ هواجعُ

بنفسيَ من تنأى ويدنو اد ّكارها   ويبذلُ عنها طيفها وتمانع

خليليَّ أبلاني هوى متلوّن   له شيمة تأبى وأخرى تطاوع

وحرضَ شوقي خاطرُ الريح إذ سرى   وبرقٌ بدا من جانبِ الغرب لامع

وماذاك أنَّ الشوقَ يدنو بنازحٍ   ولا أنني في وصل علوَةَ طامع

خلا أنَّ شوقاً ما يغبُّ ولوعةً   إذا اضطرمت فاضت عليها المدامع

علاقةُ حبٍّ كنت أكتم بثّها   إلى أن أذاعتها الدموعُ الهوامع

إذا العينُ راحت وهي عين على الجوى   فليس بسرٍّ ما تسرُّ الاضالع

فلا تحسبا أني نزعتُ ولم أكن   لأنزعَ عن إلفٍ إليه أنازع

وإن شفاء النفس لو تستطيعه   حبيب مُواتٍ أو شباب مراجع

ثنى أملي واحتازه عن معاشر   يبيتون والآمال فيهم مطامع

جناب من الفتح بن خاقان ممرعٌ   وفضلٌ من الفتح بن خاقان شائعُ

---

(١) د : وم ب ٣٣٢

أغرُّ لنا من جوده وسماحِهِ ظهيرٌ عليه ما يخيبُ وشافع

ولمّا جرى للمجدِ والقومُ خلفه تغوّلَ أقصى جهدهم وهو وادع

وهل يتكافا الناسُ شتى خلالهم وما تتكافا في اليدينِ الأصابع

يُبجَّلُ إجلالاً ويكبر هيبةً أصيلُ الحجا فيه تقى وتواضع

إذا ارتدَّ صمتا فالرؤوس نواكسٌ

وإن قال فالأعناقُ صورٌ خواضع

وتسودُّ من لبسِ السلاح وحمله سرابيلُ وضّاح به المسكُ رادع

منيفٌ على هام الرجال إذا مشى أطال الخطى بادي البسالةِ رائع

وأغلبُ ما تنفكُّ من يقظاته ربَايا على أعدائهِ وطلائع

جنانٌ على ما جرّتِ الحربُ جامع

وصدرٌ لما يأتي به الدهرُ واسع

يدٌ لأمير المؤمنين وعدةٌ إذا التاث خطبٌ أو تغلب خالع

مغامرُ حربٍ ما تزال جياده مطلّحةً منها حسيرٌ وظالع

جديرٌ بأن تنشق عن ضوءِ وجهه ضبابةُ نقعٍ تحتها الموتُ ناقع

وأن يهزم الصفَ الكثيفَ بطعنةٍ لها عاملٌ في إثرها متتابع

تذودُ الدنايا عنه نفسٌ أبيةٌ وعزمٌ كحدِ الهندوانيّ قاطع

بعيدُ مقيل السرِ لا يدركُ التي يحاولها منه اللبيبُ المخادع

ولا يعلمُ الأعداء من فرطِ عزمه متى هو مصبوبٌ عليهم فواقع

خلائقُ ما تنفكُّ توقف حاسداً له نفَسٌ في إثرها متراجع

ولن ينقلَ الحسادُ مجدكَ بعدما تمكّنَ رضْوى واطمأنَّ متالع

أأكفركَ النعماءَ عندي وقد نمت عليَّ نموّ الفجر والفجرُ ساطع

وأنتَ الذي أعزَزتَني بعدَ ذِلَّتي
فلا القولُ مخفوضٌ ولا الطرفُ خاشع

وأغنيتني عن معشرٍ كنتُ برهةً
أكافحهمْ عن نيلهم وأقارع

فلستُ أبالي جادَ بالعرف باذلٌ
على راغبٍ أو ضنّ بالخير مانع

وأقصرتُ من حمدِ الرجال وذمهم
وفيهمْ وَصولٌ للإخاء وقاطع

أرى الشكرَ في بعض الرجال أمانةً
تفاضلُ والمعروفُ فيهمْ ودائع

ولم أرَ مثلي أتبعَ الحمدَ أهلَه
وجازى أخا النعمى بما هو صانع

قصائد ما تنفك فيها غرائب
تألق في أضعافها وبدائع

مكرمةُ الأنساب فيها وسائلٌ
إلى غير من يُحبي بها وذرائع

تنالُ منالَ الليل في كلّ وجهةٍ
وتبقى كما تبقى النجومُ الطوالع

إذا ذهبتْ شرقاً وغرباً فأمعنت
تبينتُ من تركو لديه الصنائع

وقال يمدحه :(١)

بنا أنتِ من مجفوةٍ لم تُعتَّبِ
ومعذورةٍ في هجرها لم تُؤنَّبِ

ونازحةٍ والدارُ منها قريبةٌ
وما قربُ ثاوٍ في التراب مغيّبِ

قضَتْ عقبُ الأيام فينا بفرقةٍ
متى ما تُغالبْ بالتجلد تغلب

فإنْ أبكِ لا أشفِ الغليلَ وإنْ أدَعْ
أدعْ لوعةً في الصدر ذات تلهب

ألا لا تذكّرني الحمى إن ذكره
جوىً باطنٌ للمستهامِ المعذب

إتتْ دون ذاك الدهر أيام جُرهُمِ
وطارتْ بذاك العيش عنقاءُ مغرب

---

(١) د ٧٤ و م ب ٢٢٠

ويا لائمي في عَبرةٍ قد سفحتها لبينٍ وأخرى قبلها لتجنب
تحاولُ منّي شيمةً غير شيمتي وتطلبُ عندي مذهباً غيرَ مذهبي
وما كبدي بالمستطيعةِ للأسى فأسلو ولا قلبي كثير التقلّب
ولمّا تزايلنا من الجزع وانتأى مشرّقُ ركبٍ مصعد عن مغرّب
تبينتُ أن لادارَ من بعد عالجٍ تسُرُّ وأنْ لاخلةً بعدَ زينب
لعلَّ وجيفَ الركب في غلسِ الدجى
وطيَّ المطايا سَبْسَباً بعد سبسب
يُبلغني الفتحَ بن خاقان إنّه نهايةُ آمالي وغايةُ مطلبي
فتى لا يرى أكرومةً لمزنّدٍ إذا ما بَدَت أكرومةٌ لم يُعقّب
ومستشرفٍ بين السلاطين مشرق على أعينِ الرائين يعلو فيرتبي
يَغضّونَ فضلَ الطرف من حيثُ مابدا
لهمْ عن مهيبٍ في الصدور محبب
إذا عرضوا في جدهِ نفرتْ بهم بسالة مشبوح الذراعين أغلب
غدا وهو طودٌ للخلافة ماثلٌ وحدُّ حسام للخليفةِ مُقْضب
نفى البغيَ واستدعى السلامة وانتهى
إلى شرفِ الفعلِ الكريمِ المهذبِ
إذا انساب في تدبير أمرٍ ترافدتْ له فكرٌ ينجحنَ في كلّ مطلب
خفيٌّ مَدَبّ الكيد تثني أناتُه تسرُّعَ طيشِ الجاهل المتوثب
ويبدي الرضى في حالةِ السخطِ للعدى
وقودٌ متى يَقدَحْ بزنديهِ يُثقِب
فماذا يغر الخائنين وقد رأوا ضرائبَ ذاك المشرفيّ المجرب
غرائبُ أخلاقٍ هي الروضُ جاده مُليثٌّ العزالي ذو ربابٍ وهيدب

فكمْ أعجبتْ من ناظرٍ متأملٍ   وكمْ حيّرتْ من سامعٍ متعجبِ

وقد زادها إفراطَ حُسْنٍ جوارها

طوالعَ في داجٍ من الليل غيهبِ

وحسنُ دراريّ الكواكبِ أن تُرى

طوالعَ في داجٍ من الليل غيهبِ

أرى جمعكم يا أهلَ حمص مجمّعاً   بعقبِ افتراقٍ منكمُ وتشعبِ

وكنتم شعاعاً من طريدٍ مسردٍ   وثاوٍ ردٍ أو خائفٍ مترقبِ

ومن نفرٍ فوق الجذوع كأنهم

إذا الشمسُ لاحتهمْ حرابي تَنْضُبِ

تلافاكمُ الفتح بن خاقان بعدما   تدهدهتمُ من حالقٍ متصوِّبِ

بعارفةٍ أهدت أماناً لخائفٍ   وغوثاً لملهوفٍ وعوناً لمذنبِ

عنتْ طيئاً جمعاً وثنّت بمذحجٍ

خصوصاً وعمّت في الكلاع ويَحصبِ

رددت الردى عن أهلِ حمصٍ وقد بدا

لهمْ جانبُ الومِ العبوس العصبصبِ

ولو لم تدافعْ دونها لتفرقتْ   أيادي سباعنها سبا ابنةِ يشجُبِ

رفدتهمُ عند السرير وقد بدا

لهم ما بدا من سخط أسوانِ مغضبِ

فكانتِ يداً بيضاء مثل اليد التي   نعشتَ بها عمرو بنِ غنمٍ بن تغلبِ

فلم ترَ عيني نعمتين استحقتا   ثناءهما في ابني مَعدٍ ويعربِ

إن العربُ انقادت اليك قلوبها   فقد جئتَ إحساناً إلى كلّ معرب

ولم تتعمدْ حاضراً دون غائب   ولم تتجانفْ عن بعيد لأقرب

شكرتكَ عن قومي وقومك إنني   لسانُهما في كلِّ شرق ومغرب

وما أنا إلاّ عبدُ نعمتك التي   نُسبتُ اليها دونَ أهلي ومنصبي

ومولى أيادٍ منك بيضٍ متى أقل   بآلائها في مشهد لم أكذّب

وآليتُ لا أنسى بلوغك بي العلى   على كرهِ شتى من شهود وغيّب

ودفعي بك الأعداءَ عني وإنما   دفعت بركنٍ من شَرَوْرَى ومنكب

وقال يمدحه :(١)

حلفتُ لها بالله يومَ التفرّق   وبالوجدِ من قلبي بها المتعلّق

وبالعهدِ ما البذلُ التمليل بضائع   لديّ ولا العهد القديم بمخلق

وأبثثتها شكوى أبانت عن الجوى   ودمعاً متى يشهدْ ببث يُصدّق

وإني لأخشاها عليّ إذا نأتْ   وأخشى عليها الكاشحين وأتقي

واني وإن ضنّت عليّ بودها   لأرتاحُ منها للخيال المؤرق

يعزّ على الواشين لو يعلمونها   ليالٍ لنا تزدادُ فيها ونلتقي

فكم غلّة للشوق أطفأت حرّها   بطيفٍ متى يطرق دجى الليل يطرق

أضمّ عليه جفنَ عيني تعلّقاً   به عند إجلاء النعاسِ المرنّق

أجِدَّكَ ما وصلُ الغواني بمطمعٍ   ولا القلبُ من رقّ الغواني بمعتق

---

(١) د ٧٧ وم ب ٢٧٨

وددتُ بياضَ السيف يومَ لقينني مكانَ بياض الشّيب لاحَ بمفرقي

وصدَّ الغواني عند إيباض لِمّتي وقصّرنَ عن لبيكَ ساعة منطقي

اذا شئت أنْ لا تعذلَ الدهرَ عاشقاً

على كَدرٍ من لوعة الحبِّ فاعشقِ

وكنتُ متى أبعدْ عن الخلّ أكتئب لهُ ومتى أظعنْ عن الدارِ أشتق

تلفتُّ من عَليا دمشق ودوننا للبنانَ هضبٌ كالغمام المعلق

إلى الحِيرة البيضاء فالكرخ بعدما ذممتُ مقامي بين بُصرى وجلّق

إلى مَعقِلي عزّي وداريْ إقامتي وقصد التفاني بالهوى وتشوقي

مقاصيرُ ملكٍ أقبلتْ بوجوهها إلى منظرٍ من عرضِ دجلة مونق

كأنّ الرياضَ الحوّ يكسينَ حولها أفانينَ من أفوافِ وشي ملفق

إذا الريحُ هزت نورهنَّ تضوعت روائحهُ من فار مسكٍ مفتق

كأنّ القبابَ البيضَ والشمس طلقةُ

تُضاحكها أنصافُ بيضٍ مفلّق

ومن شرفاتٍ في السماءِ كأنّها قوائم بيضٍ من حمام محلّق

رباعٌ من الفتح بن خاقان لم تزل غنىً لعديمٍ أو فكاكاً لمرهق

فلا العائذُ اللاجي إليها بمسلمٍ ولا الطالبُ الممتاحُ منها بمخفق

يحلُّ بها خرقٌ كأنّ عطاءه تَلاحُقُ سيلِ الدّيمة المتبعق

تَدَفّقُ كفٍّ بالسماحةِ ثرّةٍ وإسفار وجهٍ بالطلاقةِ مشرق

توالت أياديهِ على الناسِ فاكتفى بها كلُّ حيٍّ من شآم ومعرق

فكم حقنت في تغلبِ الغلبِ من دمٍ

مباحٍ وأدنت من شتيت مُفرق

وكم نفَّست في حمصَ من متأسفٍ   غدا الموتُ منه آخذاً بالمخنق

وكم قطعت عرضَ الأرندِ اليهمُ   كتائبُ تُزجي فيلقاً بعدَ فيلق

به استأنفوا بردَ الحياة وأُسندوا   إلى ظلّ فينانٍ من العيش مورق

فشكراً بني كهلانَ للمنعم الذي   أتاحَ لكم رأي الامام الموفّق

ثنى عنكمُ زحفَ الخلافة بعدما   أضاءت بروقُ العارض المتألّق

وقد شهرتْ بيض السيوف وأعرضت   صدورُ المذاكي من كُميت وأبلق

هنالكَ لو لم يفنلتكم حُملتُمُ   على مثلِ صدرِ اللّهذميّ المذلق

فلا تكفُرُنَّ الفتحَ آلاء منعم   نجوتم بها من لاحجِ القطر ضيق

وعودوا له بالشكر منكم يعُد لكم   بسيبِ جواد بالّهى متدفق

له خلقٌ في الجودِ لا يستطيعه   رجالٌ يرومونَ العلى بالتخلق

إذا جهلوا من أين تختصرُ العلى   درى كيفَ يسمو في ذراها ويرتقي

أطلَّ على الأعداءِ من كلّ وجهة   وشارفهمْ من كلّ غرب ومشرق

ببيضٍ متى تشهر على القوم يغلبوا   وخيلٍ متى تركض الى النصر تسبق

أُعين بنو العباس منه بصارمٍ   جُرازٍ وعزمٍ كالشهاب المحرق

وصدرٍ أمين الغيب يهدي إليهمُ   نصيحةَ حرّانِ الجوانح مشفق

وحولهمُ من نصره ودِفاعِه   تكهّفُ طودٍ بالخلافة محدق

رأيتكَ من يطلب محلكْ ينصرف   ذميماً ومن يطلب بسعيك يلحق

لكَ الفضلُ والنعمى عليَّ مبينةٌ   ومالِيَ إلا ودُّ صدري ومنطقي

وقال يرثي بني حميد بن غانم الطوسي : (١)

أَقَصْرَ حميدٍ لاعزاءَ لمغرمِ ولاقصرَ عن دمعٍ وإنْ كانَ من دمِ
أفي كل عامٍ لاتزالُ مُروَّعاً بفذٍّ نعيٍّ تارةً أو بتوأم
مضى أهلُك الأخيارُ إلاّ أقلهم وبادوا كما بادت أوائلُ جرهم
فصرتَ كعشٍّ خلفتهُ فراخهُ بعلياءِ فرع الأثلةِ المتهشم
أحبَّ بنكوكَ المكرماتِ ففرّقتْ جماعتهم في كلِّ دهياءَ صيلم
تدانت مناياهمْ بهمْ وتباعدتْ مضاجعهم من تُربك المتنسم
فكلٌّ له قبرٌ غريبٌ ببلدةٍ فمِنْ منجدٍ نائي الضريح ومُتهم
قبورٌ بأطراف الثغورِ كأنّما مواقعُها منها مواقعُ أنجم
بشاهقةِ البذّينِ قبرُ محمدٍ بعيدٌ من الباكينَ في كلّ مأتم
تشقُ عليه الريحُ كلّ عشيةٍ جيوبَ الغمام بين بكرٍ وأيّم
وقبرانِ في أعلى النِّباجِ سقتهما بروقُ سيوف الغوث غيثاً من الدم
أقبرا أبي نصرٍ وقحطبةٍ هما بحيثُ هما أم يذبلٍ ويرمرم
وبالموصل الزوراءِ مَلْحَدُ أحمدٍ وبين ربى القاطول مصرعُ أصرم
وكم طلبتهم من سوابق عَبرةٍ متى ما تنهنهْ بالملامة تسجم
نوادبُ في أقصى خُراسانَ جاوبتِ نوائحَ في بغدادَ بُحّ الترنم

---

(١) د / ٤٨٥ وم ب ٣١٦

لهن عليهم حنة بعد أنة ... ووجد كدفاع الحريق المضرم
أبا غانم أردى بنيك اعتقادهم ... بأن الردى في الحرب أكبر مغنم
مضوا يستلذون المنايا حفيظة ... وحفظاً لذاك السؤدد المتقدم
وما طعنوا إلا برمح موصل ... ولا ضربوا إلا بسيف مثلم
ولما رأوا بعض الحياة مذلة ... عليهم وعز الموت غير محرم
أبوا أن يذوقوا العيش والذم واقع ... عليه وماتوا ميتة لم تذمم
وكلهم أفضى إليه حمامه ... أميراً على تدبير جيش عرمرم
تولى الردى منهم بهبة صارم ... ومجة ثعبان وعدوة ضيغم
حتوف أصابتها الحتوف وأسهم ... من الموت كر الموت فيها بأسهم
ترى البيض لم تعرفهم حين واجهت ... وجوههم في المأزق المتجهم
ولم تتذكر ريها بأكفهم ... إذا أوردوها تحت أغبر أقتم
بلى غير أن السيف أغدر صاحب ... وأكفر من نالته نعمة منعم
بنفسي نفوس لم تكن حملة العدى ... أشد عليها من وقوف التكرم
ولو أنصفت نبهان ما طلبت بها ... سوى المجد إن المجد خطة مغرم
دعاها الردى بعد الردى فتتابعت ... تتابع منبت الفريد المنظم
سلام على تلك الخلائق إنها ... مسلمة من كل عار ومأثم
مساع عظام ليس يبلى جديدها ... وإن بليت منهم رمائم أعظم
ولا عجباً للأسد إن ظفرت بها ... كلاب الأعادي من فصيح وأعجم

فَحَرْبَةُ وحشيّ سقت حمزةَ الردى

وموتُ عليّ من حسام ابن مُلجمِ

أبا مسلمٍ لازلتَ من مُودع لنا   من المزن مسكوبِ الحيا ومسلم

مدامعُ باكٍ من بني الغيث واله   أعار كها أم ضاحكٍ متبسم

لئن لم تمتْ نهبَ السيوف ولم تُقم   بواكيك أطرافَ الوشيج المقوم

لبالركْضِ من آل المنية مُعلما   إلى كلّ قرمٍ بالمنية معلم

وحملك ثقل الدرع يحْمَى حديدُها

على حرّ جسمٍ بالحديد مهدم

وما جدتْ فيه ابتسامكَ للندى   إذا أظلمتْ أجداثُ قومٍ بمظلم

تم الاختيار من شعر البحتري وأخباره ويليه الاختيار من شعر المتنبي وأخباره .

شعر المتنبي (١)

قال أبو الفرج :

هو أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي المعروف بالمتنبي الشاعر المشهور ، وهو من أهل الكوفة . وقدم الشام في صباه وجال في أقطارها واشتغل بفنون الأدب ومهر فيها . وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشيها ، ولا يسأل عن شيء إلا استشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر . وأما شعره فهو في النهاية من الجودة فمن ذلك ما روى له الشيخ تاج الدين الكندي رحمه الله بيتين لا يوجدان في ديوانه وكانت روايته لهما بالاسناد الصحيح وهما :

أبعينِ مُفتقرٍ إليكَ نظرتني ... فأهنتني وقذفتني مِنْ حالق

لستَ الملومَ أنا الملومُ لأنني ... أنزلتُ آمالي بغيرِ الخالق

ولمّا كان بمصر مرض وكان له صديق يغشاه في علته فلما أبلّ انقطع عنه فكتب إليه : وصلتني - وصلك الله - معتلا ، وقطعتني مبلا ، فان رأيت ان لا تحبب العلة الي ولا تكدر الصحة عليّ فعلت إن شاء الله تعالى

قال أحمد بن محمد النامي الشاعر المشهور : أود أن كون سبقت المتنبي إلى بيتين قالهما وهما :

---

(١) قوبل شعر المتنبي على «العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب» للشيخين ناصيف وابراهيم اليازجي . وأشير اليه بكلمة اليازجي .

رماني الدهر بالأرزاء حتى فؤادي في غشاءٍ من نبال
فصرتُ إذا أصابتني نبالٌ تكسرتِ النصالُ على النصال

والبيت الثالث :

في جحفلٍ ستر العيون غباره فكأنما يُبصرن بالآذانِ

واعتنى العلماء بديوانه وشرحوه بشروح عدة مابين مطولات ومختصرات ولم يُفعل هذا بديوان غيره ، وإنما قيل له : المتنبي لانه ادعى النبوة في بادية السماوة وتبعه خلق كثير فخرج إليه لؤلؤ أمير حمص نائب الأخشيدية فأسره وتفرق اصحابه فحبسه ، ثم رجع عن ادعاء النبوة وتاب وحسن مذهبه . وقيل : إنه قال : أنا أول من تنبأ بالشعر . ثم التحق بسيف الدولة ابن حمدان في سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة ثم فارقه ودخل مصر سنة ست واربعين وثلاث مئة ومدح كافوراً الأخشيدي (وانوجور) ابن الأخشيدي . وكان يقف بين يدي كافور وفي رجليه خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق . ولمّا لم يرضه هجاه وفارقه ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلاث مئة ووجه خلفه كافور رواحل إلى جهات شتى فلم يلحق به . وكان كافور وعده بولاية بعض اعماله فلما رأى تعاليه في شعره وسموه بنفسه خافه وعوتب فيه فقال : يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد ﷺ أما يدعي المملكة مع كافور فحسبكم . قال ابو الفتح بن جني النحوي : كنت قرأت ديوان أبي الطيب المتنبي عليه فقرأت عليه قوله في كافور القصيدة التي أولها : [1]

---

(١) القصيدة في ديوانه ص : ٥٠٢

أغالبُ فيك الشوقَ والشوقُ أغلبُ
وأعجبُ من ذا الهجرِ والوصلُ أعجبُ

حتى بلغت الى قوله :

ألا ليتَ شعري هل أقولُ قصيدة فلا أشتكي فيها ولا أتعتَّبُ
وبي ما يذودُ الشعرَ عني أقلهُ ولكنّ قلبي يا ابنة القوم قُلَّبُ

فقلت له : يعز علي كيف يكون هذا الشعر في غير سيف الدولة. فقال : حذرناه وأنذرناه فما نفع ،ألست القائل فيه :

أخا الجود أعطِ الناس ما أنتَ مالك ولا تعطينّ الناسَ ما أنا قائلُ

فهو الذي أعطاني كافور بسوء تدبيره وقلة تمييزه . ثم إنه قصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه الديلمي فأجزل جائزته ، ولما رجع من عنده قاصداً بغداد ثم الى الكوفة في شعبان لثمانٍ خلون منه عرض له فاتك بن أبي الجهل الاسدي في عدة من اصحابه وكان مع المتنبي أيضاً جماعة من أصحابه فقاتلهم فقتل المتنبي وابنه محسد وغلامه مفلح بالقرب من النعمانية في موضع يقال له :الصافية .

ذكر ابن رشيق في كتاب «العمدة» في باب منافع الشعر ومضاره أن المتنبي لما فر حين رأى الغلبة قال له غلامه : لا يتحدث عنك بالفرار وأنت القائل :

الخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفني والسيفُ والرمح والقرطاس والقلم

فكرَّ راجعاً حتى قتل . وكان سبب قتله هذا البيت وذلك سنة اربع وخمسين وثلاث مئة . ومولده سنة ثلاث وثلاث مئة بالكوفة في محلة كندة

فنسب اليها وليس هو من كندة التي هي القبيلة، بل هو جعفي القبيلة، وهو جعف بن سعد العشيرة من مذحج . وانما قيل له: سعد العشيرة لانه كان يركب فيما قيل في ثلاث مئة من ولده وولد ولده فاذا سئل قال: هؤلاء عشيرتي مخافة العين عليهم . ويحكى ان المعتمد بن عباد اللخمي صاحب قرطبة واشبيلية أنشد يوماً في مجلسه بيت المتنبي :

إذا ظفرتْ منكَ العيونُ بنظرةٍ　　أثابَ لها مُعيي المطيّ ورازمُهْ

فجعل يردده استحساناً له وفي مجلسه ابن وهبون الأندلسي فأنشد ارتجالا :

لئنْ جادَ شعرُ ابنِ الحسين فانما　　تجيدُ العطايا واللُّهى تفتح اللَّها

تَنبأ عجباً بالقريضِ ولو درى　　بأنك تروي شعره لتألّها

وذكر الافليلي : أن المتنبي انشد سيف الدولة قصيدته التي أولها :

لكلِّ امرىءٍ من دهره ماتعودا　　وعادةُ سيفِ الدولة الطعنُ بالعدى

وأنشده إياها وهو قاعد فقال بعض الحاضرين يريدون أن يكيدوا أبا الطيب : لو أنشدها قائماً لأسمع فان اكثر الناس لا يسمعون . فقال أبو الطيب أما سمعتم أولها (لكل امرىء من دهره ما تعودا) وهذا من مستحسن الأجوبة. وبالجملة فسمو نفسه وعلو همته وأخباره وما جرياته كثير والاختصار أولى نقلت هذه الترجمة من « وفيات الاعيان » لابن خلكان باختصار، قال يمدح سيف الدولة[1] :

فديناكَ من ربعٍ وإن زدتنا كَرْبا　　فإنك كنتَ الشرقَ للشمس والغربا

وكيفَ عرفنا رسمَ من لم يدع لنا　　فؤاداً لِعِرْفانِ الرسوم ولا لُبّا

---

(١) اليازجي : ٣٣٤

نزلنا عن الأكوار نمشي كرامةً لمن بانَ عنهُ أنْ نلمَّ به رَكْبا

ومَنْ صحبَ الدنيا طويلاً تقلبتْ على عينه حتى يرى صِدقها كذبا

وكيفَ التذاذي بالأصائل والضحى إذا لم يعد ذاكَ النسيمُ الذي هبا

ذكرتُ به وصلاً كأنْ لم أفز بهِ وعيشاً كأني كنتُ أقطعه وثبا

وفتانةُ العينين قتالةَ الهوى إذا نفحتْ شيخاً روائحُها شبا

لها بَشَرُ الدرِ الذي قُلدتْ بهِ ولم أرَ بدراً قبلها قُلِد الشهبا

فيا شوقُ ما أبقى ويالي مِنَ النوى

ويا دمعُ ما أجرى ويا قلبُ ما أصبى

لقد لعب البينُ المشتِّتُ بها وبي فزوّدني في السير ما زوّد الضبا

ومن تكنِ الأسدُ الضواري جدودَه يكنْ ليلهُ صبحاً ومطعمه غصبا

ولستُ أبالي بعد إدراكيَ العلى أكانَ تراثاً ما تناولتُ أمْ كسبا

فربَّ غلامٍ علَّم المجدَ نفسهُ

كتعليم سيفِ الدولةِ الطعنَ والضربا

إذا الدولةُ استكفتْ به في ملمة كفاها فكان السيف والكف والقلبا

تُهاب سيوفُ الهند وهي حدائدٌ فكيفَ إذا كانتْ نزاريّة عُرْبا

ويرهب ناب والليث والليث وحده فكيف إذا كان الليوثُ له صحبا

ويُخشى عبابُ البحر وهو مكانهُ فكيف بمَنْ يغشى البلادَ إذا عبّا

عليمٌ بأسرارِ الديانات واللغى له خطراتٌ تفضحُ الناسَ والكتبا

فبوركتَ من غيثٍ كأنَّ جلودنا

به تُنبتُ الديباجَ والوشيَ والعَصْبا

ومن واهبٍ جزلاً ومن زاجرٍ هلا ومن هاتكٍ دِرعاً ومن نثرٍ قُضبا

هنيئاً لأهل الثغر رأيك فيهم — وأنك حزب الله صرت لهم حزبا
وأنك رعت الدهر فيها وريبه — فإن شك فليحدث بساحتها خطبا
فيوماً بخيل تطرد الروم عنهم — ويوماً بجود يطرد الفقر والجدبا
سراياك تترى والدمستق هارب — وأصحابه قتلى وأمواله نهبى
أتى مرعشاً يستقرب البعد مقبلا — وأدبر إذ أقبلت يستبعد القربا
كذا يترك الأعداء من يكره القنا — ويقفل من كانت غنيمته رعبا
وهل ردعنه باللقان وقوفه — صدور العوالي والمطهمة القبا
مضى بعدما التف الرماحان ساعة — كما يتلقى الهدب في الرقدة الهدبا
ولكنه ولى وللطعن سورة — إذا ذكرتها نفسه لمس الجنبا
وخلى العذارى والبطاريق والقرى
وشعث النصارى والقرابين والصلبا
أرى كلنا يبغي الحياة لنفسه — حريصاً عليها مستهاماً بها صبا
فحب الجبان النفس أورثه البقا — وحب الشجاع الحرب أورثه الحربا
ويختلف الرزقان والفعل واحد — إلى أن يرى إحسان هذا لذا ذنبا
فأضحت كأن السور من فوق بدئه
إلى الأرض قد شق الكواكب والتربا
تصد الرياح الهوج عنه مخافة — وتفزع فيها الطير أن تلقط الحبا
وتردي الجياد الجرد فوق جبالها — كما ندف الصنبر في طرقها العطبا
كفى عجباً أن يعجب الناس أنه — بنى مرعشاً تباً لآرائهم تبا
وما الفرق ما بين الأنام وبينه — إذا حذر المحذور واستصعب الصعبا
لأمر أعدته الخلافة للعدى — وسمته دون العالم الصارم العضبا

ولم تفترقْ عنه الأسنّةُ رحمةً　　ولم تتركِ الشامَ الأعادي له حبّا

ولكن نفاها عنه غير كريمةٍ　　كريمُ الثنا ماسبَّ قطُّ ولاسبّا

وجيشٌ يُثنّي كل طود كأنه　　خريقُ رياحٍ واجهتْ غُصناً رطباً

كأن نجومَ الليل خافت مغارَه　　فمدتْ عليها من عجاجته حُجباً

فمن كان يُرضي اللؤمَ والكفرَ ملكُه

فهذا الذي يُرضي المكارمَ والربّا

وقال يمدح كافوراً سنة ست واربعين وثلاث مئة :[١]

مَنِ الجآذرُ في زيِّ الاعاريب　　حُمْرَ الحلى والمطايا والجلابيب

إن كنتَ تسأل شكّاً في معارفها　　فمَن بلاكَ بتسهيدٍ وتعذيب

لا تجزني بضنًى بي بعدها بقرٌ　　تجزي دُموعي مسكوباً بمسكوب

سوائرٌ ربّما سارت هوادجها　　منيعةً بين مطعونٍ ومضروب

وربما وَخدت أيدي المطيّ بها　　على نجيعٍ من الفُرسانِ مصبوب

كم زورةٍ لكَ في الاعراب خافيةٍ　　أدهى وقد رقدوا من زورةِ الذيب

أزورهم وظلام الليل يشفعُ لي　　وأنثني وبياضُ الصبح يُغري بي

قد وافقوا الوحشَ في سكنى مراتعها

وخالفوها بتقويضٍ وتطنيب

جيرانها وهُمُ شرُّ الجوارِ لها　　وصحبُها وهمُ شر الأصاحيب

فؤادُ كلِّ محبٍّ في بيوتهمُ　　ومالُ كلِّ أخيذِ المالِ محروب

ما أوجهُ الحضرِ المستحسناتُ به　　كأوجهِ البدويات الرعابيب

---

(١) اليازجي ٨٤٠

حسنُ الحضارةِ مجلوبٌ بتطريةٍ — وفي البداوةِ حسنٌ غير مجلوب

أينَ المعينُ من الآرام ناظرةً — وغيرَ ناظرةٍ في الحسنِ والطيب

أفدي ظباءَ فلاةٍ ما عرفنَ بها — مضغَ الكلامِ ولا صبغَ الحواجيب

ولا برزنَ من الحمّام ماثلة — أوراكهنّ صقيلاتِ العراقيب

ومِن هوى كل من ليست مموّهة — تركتُ لونَ مشيبي غيرَ مخضوب

ليتَ الحوادثَ باعتني الذي أخذت — مني بحلمي الذي أعطت وتجريبي

فما الحداثةُ من حلمٍ بمانعةٍ — قد يوجدُ الحلمُ في الشبان والشيب

ترعرعَ الملكُ الاستاذُ مكتهلا — قبل اكتهالٍ أديباً قبل تأديب

مجرّباً فهماً من قبل تجربةٍ — مهذباً كرماً من غير تهذيب

حتى أصابَ من الدنيا نهايتها — وهمّهُ في ابتداءاتٍ وتشبيب

يدبرُ الملكَ من مصرٍ الى عدنٍ — إلى العراق فأرض الروم فالنوب

ولا تُجاوزها شمسٌ إذا أشرقت — إلا ومنه لها إذنٌ بتغريب

إذا أتتها الرياحُ النكب من بلدٍ — فما تهبُّ بها إلا بترتيب[1]

يُصرّفُ الامر فيها طين خاتمه — ولو تطلّس منه كلُّ مكتوب

يحطُّ كلّ طويل الرمح حامله — من سرج كلّ طويل الباع يعبوب[2]

كأن كلّ سؤالٍ في مسامعه — قميصُ يوسفَ في أجفان يعقوب

إذا غزته أعاديه بمسألةٍ — فقد غزته بجيش غيرِ مغلوب

أو حاربته فما تنجو بتقدمةٍ — ممّا أرادَ ولا تنجو بتجبيب

أضرَت شجاعته أقصى كتائبه — على الحِمامِ فما موتٌ بمرهوب

---

(١) ذاك الله تعالى - جامع الكتاب -

(٢) الضمير من حامله للخاتم .

قالوا هجرتَ إليه الغيثَ قلتُ لهم إلى غيوثِ يديه والشآبيب

إلى الذي تهبُ الدولاتِ راحته ولا يُمُنُّ على آثار موهوب

ولا يروعُ بمقدور به أحداً ولا يفزّعُ موفوراً بمنكوب

بلى يروع بذي جيش يجدّله ذا مثلِه في أحمّ النقع غربيب

وجدتُ أنفعَ مالٍ كنتُ أذخره ما في السوابقِ من جري وتقريب

لمّا رأينَ صروفَ الدهر تغدرُ بي وفينَ لي ووفت صمّ الأنابيب

فُتنَ المهالك حتّى قال قائلها ماذا لقينا من الجرد السراحيب

تهوي بمنجردٍ ليست مذاهبه للبسِ ثوبٍ ومأكولٍ ومشروب

يرى النجومَ بعيني من يحاولها كأنها سلبٌ في عينِ مسلوب

حتى وصلتُ الى نفس محجبةٍ تلقى النفوس بفضلٍ غير محجوب

في جسم أروعَ صافي العقل تُضحكه خلائقُ الناسِ إضحاكَ الأعاجيب

فالحمدُ قبلُ له والحمدُ بعدُ لها وللقنا ولإدلاجي وتأويبي

وكيف أكفر يا كافور نعمتها وقد بلغنكَ بي يا كلّ مطلوبي

يا أيها الملكُ الغاني بتسميةٍ في الشرق والغرب عن وصفٍ وتلقيب

أنتَ الحبيبُ ولكنّي ألوذبه من أن أكونَ مُحبّاً غير محبوب

وقال يمدح كافوراً أيضاً : [١]

أغالبُ فيكَ الشوقَ والشوقُ أغلبُ وأعجبُ من ذا الهجرِ والوصلُ أعجبُ

---

(١) اليازجي : ٥٠٢

أَمَا تغلطُ الأيام فيَّ بأنْ أرى | بغيضاً تُنائي أو حبيباً تُقرب
ولله سيري ما أقلَّ تَئية | عشية شرقِيِّ الحدالى وغُرَّبُ
عشيةَ أحفى الناس بي مَن جفوتهُ | وأهدى الطريقينِ الذي أتجنب
وكم لظلام الليل عندكَ من يدٍ | تخبرُ أنَّ المانويةَ تكذب
وقاكَ ردى الأعداءِ تسري إليهمُ | وزاركَ فيه ذو الدَّلال المحجب
ويومٍ كليل العاشقين كمنتهُ | أراقبُ فيه الشمس أيّان تغرب
وعيني إلى أُذني أغرَّ كأنهُ | من الليل باقٍ بين عينيه كوكب
له فضلةٌ في جسمه عن إهابه | تجيءُ على صدرٍ رحيب وتذهب
شققتُ به الظلماءَ أُدني عنانه | فيطغى وأرخيه مِراراً فيلعب
وأصرعُ أي الوحش قفَّيتُهُ به | وأنزلُ عنه مثلهُ حين أركب
وما الخيلُ إلا كالصديق قليلةٌ | وإنْ كثرت في عين مَن لا يجرب
إذا لم تشاهدْ غير حسن شياتها | وأعضائها فالحسنُ عنكَ مغيَّب
لحا اللهُ ذي الدنيا مُناخاً لراكبٍ | فكلّ بعيدِ الهمّ فيها معذّب
ألا ليت شعري هل أقولُ قصيدةً | فلا أشتكي فيها ولا أتعتب
وبي ما يذودُ الشعرَ عني أقلُّه | ولكنَّ قلبي يابنة القوم قُلَّب
وأخلاقُ كافورٍ إذا شئتُ مدحه | وإنْ لم أشأ تُملي عليَّ فأكتب
إذا ترك الانسان أهلاً وراءه | ويمَّم كافور فما يتغرب
فتى يملأ الأفعالَ رأياً وحكمةً | ونادرةً أحيانَ يرضى ويغضب
إذا ضربتْ بالسيف في الحرب كفُّهُ | تبينتَ أنَّ السيف بالكفّ يضرب

تريدُ عطاياه على الغيثِ كثرةً   وتلبثُ أمواه السحابِ فتنضب

أبا المسكِ هلْ في الكأس فضلٌ أناله
فإني أغني منذُ حينٍ وتشرب

وهبتَ على مقدار كفَّي زماننا   ونفسي على مقدارِ كفيك تطلب

إذا لم تَنُطْ بي ضيعة أو ولايةً   فجودك يكسوني وشغلك يسلب

يضاحكُ في ذا العيد كُلٌّ حبيبه   حِذائي وأبكي من أحبُّ وأندب

أحنُّ إلى أهلي وأهوى لقاءهمْ   وأين من المشتاق عنقاءُ مُغرب

فإن لم يكنْ إلاّ أبو المسك أوهُمُ   فإنك أحلى في فؤادي وأعذب

وكلُّ امرئٍ يولي الجميلَ محببٌ   وكل مكانٍ ينبتُ العزَّ طيب

يريدُ بك الحسادُ ما الله دافعٌ   وسمرُ العوالي والحديدُ المذرَّب

ودونَ الذي يبغونَ مالو تخلصوا
إلى الموت منه عشت والطفلُ أشيب

إذا طلبوا جدواك أعطوا وحُملوا
وإنْ طلبوا الفضلَ الذي فيك خُيبوا

ولو جاز أن يحووا علاك وهبتها   ولكنْ من الأشياءِ ما ليس يوهب

وأظلمُ أهلِ الظلم من بات حاسداً   لمن بات في نعمائهِ يتقلّب

وأنت الذي ربيت ذا الملك مُرضَعاً   وليس له أمٌّ سواك ولا أب

وكنت له ليثَ العرين لشبله   ومالك إلا الهندُواني مخلب

لقيتَ القنا عنه بنفسٍ كريمةٍ   إلى الموت في الهيجا من العار تهرب

وقد يتركُ النفسَ التي لا تهابه   ويخترمُ النفسَ التي تتهيب

وما عَدِم اللاقوك بأساً وشدةً ولكنَّ من لاقوا أشدُّ وأنجب

ثناهم وبرقُ البيض في البيض صادقٌ عليهم وبرقُ البيض في البيض خلّب

سللت سيوفاً علّمت كلَّ خاطبٍ على كل عودٍ كيف يدعو ويخطب

ويغنيك عما ينسبُ الناسُ أنه إليك تناهى المكرماتُ وتنسب

وأيُّ قبيلٍ يستحقكَ قدرُهُ معدُّ بن عدنانٍ فداك ويعرب

وما طربي لمّا رأيتك بدعةً لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب

وتعذلني فيكَ القوافي وهمّتي كأني بمدحٍ قبلَ مدحكَ مذنب

ولكنه طال الطريقُ ولم أزلْ أفتشُ عن هذا الكلام ويُنهب

فشرّق حتى ليس للشرق مشرقٌ وغرّب حتى ليس للغرب مغرب

إذا قلته لم يمتنعْ من وصوله جدارٌ معلّى أو خباءٌ مطنّب

وقال يمدحه :(١)

مُنى كنَّ لي أنَّ البياض خضابُ فيخفى بتبييض القرونِ شبابُ

ليالي عند البيض فوادي فتنةٌ وفخرٌ وذاك الفخرُ عندي عاب

وكيف أذمُّ اليومَ ما كنت أشتهي وأدعو بما أشكوه حينَ أُجاب

جلا اللونُ عن لونٍ هدى كلَّ مسلكٍ كما انجاب عن ضوءِ النهار ضباب

وفي الجسمِ نفسٌ لا تشيبُ بشيبه ولو أنَّ ما في الوجهِ منه حراب

لها ظفرٌ إن كلَّ ظفرٌ أُعده وناب إذا لم يبقَ في الفم ناب

---

(١) اليازجي : ٥١٥

يغيرُ مني الدهر ما شاءَ غيرها وأبلغُ أقصى العمر وهي كعاب
وإني لنجمٌ تهتدي بي صُحبتي إذا حالَ من دون النجوم سحاب
غنيٌّ عن الأوطان لا يستفزّني إلى بلدٍ سافرت عنه إياب
وعن ذملانِ العيس ما سامحت به والإ ففي أكوارهنّ عُقاب
وأصدى فلا أبدي إلى الماءِ حاجةً وللشمسِ فوق اليَعْملات لعاب
وللسرّ مني موضعٌ لا يناله نديمٌ ولا يُفضي إليه شراب
وللخود مني ساعةٌ ثم بيننا فلاةٌ إلى غير اللقاءِ تجاب
وما العشقُ إلا غرةٌ وطماعةٌ يعرّضُ قلبٌ نفسَهُ فيصاب
وغيرُ فؤادي للغواني رميّةٌ وغيرُ بناني الزجاج ركاب
تركنا لأطراف القنا كلّ شهوة فليس لنا إلاّ بهن لِعاب
نُصرفها للطعن فوق حوادرٍ قد انقصفت فيهنّ منه كِعاب
أعزُّ مكان في الدنى سرجُ سابحٍ وخيرُ جليس في الزمان كتاب
وبحرُ أبي المسك الخضمُّ الذي له
على كلِّ بحرٍ زخرةٌ وعُباب
تجاوزَ قدرَ المدح حتى كأنه بأحسنِ ما يثنى عليه يُعاب
وغالبه الأعداءُ حتى عَنَوْا له كما غالبت بيضَ السيوف رقاب
وأكثرُ ما تلقى أبا المسك بِذلةً إذا لم تصن إلا الحديدَ ثياب
وأوسعُ ما تلقاه صدراً وخلفه رِماءٌ وطعنٌ والأمام ضراب
وأنفذُ ما تلقاه حكماً إذا قضى قضاءً ملوكُ الأرض منه غضاب
يقودُ إليه طاعة الناس فضلُه ولو لم يقدْها نائلٌ وعِقاب
أيا سيداً في جسمه روحُ ضيغمٍ وكمْ أُسُدٌ أرواحُهنّ كلاب

ويا آخذاً من دهره حق نفسه ومثلك يعطى حقه ويهاب
لنا عند هذا الدهر حق يلطه وقد قل إعتاب وطال عتاب
وقد تحدث الأيام عندك شيمة وتنعمر الأوقات وهي يباب
ولا ملك إلا أنت والملك فضلة
كأنك سيف فيه وهو قراب
أرى لي بقربي منك عيناً قريرة وإن كان قرباً بالبعاد يشاب
وهل نافعي أن ترفع الحجب بيننا ودون الذي أملت منك حجاب
أقل سلامي حب ماخف عنكم
وأسكت كيما لا يكون جواب
وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطاب
وما أنا الباغي على الحب رشوة ضعيف هوى يبغى عليه ثواب
وما شئت إلا أن أدل عواذلي على أن رأيي في هواك صواب
وأعلم قوماً خالفوني فشرقوا وغربت أني قد ظفرت وخابوا
جرى الخلف إلا فيك أنك واحد وأنك ليث والملوك ذئاب
وأنك لو قويست صحف قارىء
ذئاباً فلم يخطىء فقال ذباب
وإن مديح الناس حق وباطل ومدحك حق ليس فيه كذاب
إذا نلت منك الود فالمال هين وكل الذي فوق التراب تراب
وما كنت لولا أنت إلا مهاجراً له كل يوم بلدة وصحاب
ولكنك الدنيا إلي حبيبة فما عنك لي إلا إليك ذهاب

وقال يمدح المغيث بن علي بن بشر العجلي :[١]

دمعٌ جرى فقضى في الربع ما وَجَبا لأهله وشفى أنّى ولا كَرَبا

عُجْنا فأذهبَ ما أبقى الفراقُ لنا من العقول ولا رَدَّ الذي ذهبا

سَقيته عبراتٍ ظنّها مطراً سوائلاً من جفون ظنّها سحبا

دارُ الملم لها طيفٌ تهدّدني ليلاً فما صدقتْ عيني ولا كذبا

أنأيتهُ فدنا أدنيته فنأى جَمشته فنبا قبّلتُه فأبى

هام الفؤادُ بأعرابيةٍ سكنتْ بيتاً من القلب لم تَمْدُدْ له طنبا

مظلومةُ القدِ في تشبيهِهِ غُصُناً مظلومةُ الريق في تشبيهه ضَرَبا

بيضاءُ تُطمع فيما تحت حلتها وعزّ ذلك مطلوباً إذا طلبا

كأنها الشمس يُعيي كفَّ قابضه شُعاعُها ويراه الطرفُ مقتربا

مرتْ بنا بين تِربيها فقلتُ لها من أين جانس هذا الشادنُ العربا

فاستضحكتْ ثم قالت كالمغيث يُرى ليث الشرى وهو من عِجْلٍ إذا انتسبا

جاءتْ بأشجعِ من يُسمى وأسمح من أعطى وأبلغ من أملى ومن كتبا

لو حلَّ خاطرُه في مُقعدٍ لمشى أو جاهلٍ لصحا أو أخرسٍ خطبا

إذا بدا حجبتْ عينيك هيبتُه وليس يحجبه سترٌ إذا احتجبا

---

(١) اليازجي : ٩٢

بياضُ وجهٍ يريكَ الشمسَ حالكةً ودرُّ لفظٍ يريكَ الدرَّ مَخْشَلَبا

وسيفُ عزمٍ تردُّ السيفَ هيبته رطبَ الغرارِ من التأمور مختضبا

عمرُ العدوِّ إذا لاقاه في رهجٍ أقل من عمرِ ما يحوي إذا وهبا

تَوَقَّهُ فإذا ما شئتَ تبلوَه فكنْ مُعَادِيَهُ أو كنْ له نشبا

تحلو مذاقته حتى إذا غضبا حالتْ فلو قطرتْ في الماءِ ما شُرِبا

وتغبطُ الأرضُ منها حيث حلَّ بها وتحسدُ الخيلُ منها أيَّها ركبا

ولا يردُّ بفيهِ كفَّ سائله عن نفسه ويردُّ الجحفلَ اللجبا

وكلّما لقي الدينارُ صاحبه في ملكه افترقا من قبل يصطحبا

مالٌ كأن غراب البين يرقبه فكلّما قيلَ هذا مجتدٍ نعبا

بحرٌ عجائبه لم تُبقِ في سَمَرٍ ولا عجائبَ بحرٍ بعدها عجبا

لا يقنعُ ابنَ علي نيلُ منزلةٍ يشكو محاولها التقصيرَ والتعبا

هزَّ اللواءَ بنو عجل به فغدا رأساً لهم وغدا كلٌّ لهم ذنبا

التاركينَ من الأشياء أهونَها والراكبينَ من الأشياء ما صعبا

مُبرقعي خيلهم بالبيض متخذي هامَ الكماة على أرماحهم عَذَبا

إن المنيةَ لو لاقتهم وقفتْ خرقاءَ تتهم الإقدام والهربا

مراتبٌ صعِدتْ والفكرُ يتبعها فجازَ وهو على آثارها الشُهُبا

محامدٌ نزفتْ شعري ليملأها فآلَ ما امتلأتْ منه ولا نضبا

مكارمٌ لك فُتَّ العالمين بها من يستطيعُ لأمرٍ فائتٍ طلبا

لما أقمتَ بانطاكيّةَ اختلفتْ إليَّ بالخبرِ الركبانُ في حلبا

فسرتُ نحوك لا ألوي على أحدٍ أحثُّ راحلتيَّ الفقرَ والأدبا

أذاقني زمني بلوى شرقت بها لو ذاقها لبكى ما عاش وانتحبا

وإنْ عَمَرتُ جعلت الحربَ والدةً

والسمهريَّ أخاً والمشرفيَّ أبا

بكلِّ أشعث يلقى الموت مبتسماً حتى كأنَّ له في قتله أربا

قُحٍّ يكاد صهيلُ الخيل يقذفه من سرجه مَرَحاً بالعزِّ أوطربا

فالموتُ أعذر لي والصبرُ أجمل بي والبرُّ أوسع والدنيا لمن غلبا

وقال يمدح علي بن منصور الحاجب :[1]

بأبي الشموسُ الجانحاتُ غواربا اللابساتُ من الحرير جلاببا

المنهباتُ عيوننا وعقولنا وجناتِهِنَّ الناهبات الناهبا

الناعماتُ القاتلاتُ المحييا ت المبديات من الدّلال غرائبا

حاولن تفديتي فخفنَ مُراقباً فوَضعْنَ أيديهنَّ فوق ترائبا

وبسمنَ عن بردٍ خشيت أذيبه من حرِّ أنفاسي فكنتُ الذائبا

يا حبذا المتحملونَ وحبذا وادٍ لثمتُ به الغزالة كاعبا

كيف الرجاءُ من الخطوبِ تخلصا من بعد ما أنشبنَ فيَّ مخالبا

أوحدْنني ووجدن حزناً واحداً مُتناهياً فجعلْنَهُ لي صاحبا

ونصبنني غرض الرماة تُصيبني مِحَنٌ أحدُّ من السيوف مضاربا

أظمتني الدنيا فلما جئتها مُستسقياً مطرتْ عليَّ مصائبا

وحُبيتُ من خوصِ الركاب بأسودٍ

من دارشٍ فغدوتُ أمشي راكبا

---

(١) اليازجي : ١٠٥

حالٌ متى علمَ ابن منصورٍ بها   جاء الزمانُ إليَّ منها تائبا
ملكٌ سنانُ قناتِه وبنانُهُ   يتباريانِ دماً وعرفاً ساكبا
يستصغرُ الخطرَ الكبيرَ لوفدِهِ   ويظن دجلةَ ليس تكفي شاربا
كرماً فلو حدّثتهُ عن نفسه   بعظيم ما صنعت لظنكْ كاذبا
سلْ عن شجاعته وزُرْه مسالماً   وحذارِ ثم حذارِ منه محاربا
فالموتُ تُعرف بالصفات طباعُهُ   لم تلق خلقاً ذاق موتاً آئبا
إنْ تلقه لا تلقَ إلاّ جحفلاً   أو قسطلاً أو طاعناً أو ضاربا
أو هارباً أو راغباً أو طالباً   أو راهباً أو هالكاً أو نادبا
وإذا نظرتَ إلى الجبال رأيتها   فوقَ السهول عواسلاً وقواضبا
وإذا نظرتَ إلى السهول رأيتها   تحتَ الجبال فوارساً وجنائبا
وعجاجةً تركَ الحديدُ سوادها   زنجاً تبسّم أو قذالاً شائبا
فكأنما كُسي النهار بها دجى   ليلٍ وأطلعتِ الرماح كواكبا
قد عسكرتْ معها الرزايا عسكراً
وتكتّبتْ فيها الرجالُ كتائبا
أُسْدٌ فرائسها الأُسودُ يقودها   أسدٌ تصير له الأسود ثعالبا
في رتبةٍ حجبَ الورى عن نيلها   وعلا فسمّوهُ عليّ الحاجبا
ودعوه من فرطِ السخاء مبذراً   ودعوهُ من غصبِ النفوس الغاصبا
هذا الذي أفنى النضار مواهباً   وعداه قتلاً والزمان تجاربا
ومخيّبُ العذّال مما أمّلوا   منه وليس يردُّ كفاً خائبا
هذا الذي أبصرتُ منه حاضراً   مثلَ الذي أبصرتُ منه غائباً

كالبدر من حيث التفتَ رأيته يهدي إلى عينيك نوراً ثاقبا

كالبحر يقذفُ للقريب جواهراً جوداً ويبعثُ للبعيد سحائبا

كالشمس في كبد السماء وضوؤها يغشى البلادَ مشارقاً ومغاربا

أمُهجِنَ الكرماءِ والمزري بهم وتروكَ كلِّ كريم قوم عاتبا

شادوا مناقبهم وشدت مناقباً وُجِدتْ مناقبهمْ بهنَّ مثالبا

لبيكَ غيظَ الحاسدين الراتبا إنا لنخبر من يديك عجائبا

تدبيرَ ذي حُنَكٍ يفكر في غد وهجومَ غِرٍّ لا يخاف عواقبا

وعطاءَ مالٍ لو عداه طالبٌ أنفقته في أَن يلاقي طالبا

خذْ من ثناي عليك ما أَسطيعه لا تلزمنّي في الثناء الواجبا

فلقد دهشتُ لما فعلت ودونه ما يُدهش الملكَ الحفيظ الكاتبا

وقال يمدح أبا أيوب :[1]

سِربٌ محاسنه حُرمتُ ذواتِها داني الصفاتِ بعيدٌ موصوفاتها

أوفى فكنتُ إذا رميتُ بمقلتي بشراً رأيت أرقَّ من عبراتها

يستاقُ عِيسَهُم أنيني خلفها تتوهمُ الزفراتِ زجرَ حداتها

وكأنها شجرٌ بدتْ لكنّها شجرٌ جنيتُ المرَّ من ثمراتها

لا سرتِ من إبلٍ لو اني فوقها لمحَتْ حرارةُ مدمعي سِماتها

وحملتُ ما حملتْ من هذي المها

وحملتِ ما حملتُ من حسراتها

إني على شغفي بما في خمرها لأَعِفُّ عمّا في سرابيلاتها

---

(١) اليازجي ١٨٩

وترى المروّةَ والفتوةَ والأبوّةَ فيَّ كلٍّ مليحةٍ ضرّاتها

هنّ الثلاثُ المانعاتي لذتي
في خلوتي لا الخوف من تبعاتها

ومطالبٍ فيها الهلاك أتيتها
ثبتَ الجنان كأنني لم آتها

ومقانبٍ بمقانبٍ غادرتها
أقوات وحشٍ كنَّ من أقواتها

أقبلتها غرر الجياد كأنما
أيدي بني عمران في جبهاتها

الثابتين فروسةً كجلودها
في ظهرها والطعنُ في لباتها

العارفين بها كما عرفتهم
والراكبين جدودهم أمّاتها

فكأنها نتجت قياماً تحتهم
وكأنهم وُلدوا على صهواتها

إن الكرامَ بلا كرامٍ منهمُ
مثل القلوب بلا سويداواتها

تلك النفوسُ الغالباتُ على العلى
والمجدُ يغلبها على شهواتها

سُقيت منابتها التي سقت الورى
بيدي أبي أيوب خيرِ نباتها

ليس التعجبُ من مواهبِ ماله
بل من سلامتها إلى أوقاتها

عجباً له حفظ العنان بأنملٍ
ما حفظها الأشياء من عاداتها

لو مرّ يركض في سطور كتابةٍ
أحصى بحافر مُهره ميماتها

يضع السنان بحيث شاء مجاولا
حتى من الآذان في أخراتها

تكبو وراءك يا ابن أحمد قُرّحٌ
ليست قوائمهنّ من آلاتها

رعْدُ الفوارسِ منك في أبدانها
أجرى من العسلان في قنواتها

لا خلقَ أسمحُ منك إلا عارفٌ
بك راءَ نفسك لم يقل لك هاتها

إلى آخرها :

وقال يمدح سيف الدولة :[١]

عواذلُ ذاتِ الخالِ فيَّ حواسدُ ... وإنّ ضجيعَ الخودِ مني لماجدُ

يردُّ يداً عن ثوبها وهو قادرٌ ... ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد

متى يشتفي من لاعج الشوق في الحشا ... محبٌ لها في قربهِ متُباعد

إذا كنتَ تخشى العارَ في كل خلوةٍ ... فلِم تتصبّاكَ الحسانُ الخرائد؟

ألحّ عليَّ السقمُ حتى ألفته ... وملَّ طبيبي جانبي والعوائد

مررتُ على دار الحبيب فحمحمت ... جوادي وهل تشجي الجيادَ معاهد

وما تنكرُ الدهماءَ من رسم منزلٍ ... سقتها ضريبَ الشول فيه الولائد

أهمُّ بشيءٍ والليالي كأنّها ... تطاردني عَن كونهِ وأطارد

وحيدٌ من الخلان في كلّ بلدةٍ ... إذا عَظُمَ المطلوبُ قلّ المساعد

وتُسعدني في غمرةٍ بعد غمرةٍ ... سبوحٌ لها منها عليها شواهد

تَثَنّى على قدرِ الطعانِ كأنما ... مفاصلُها تحتَ الرماحِ مراود

وأوردُ نفسي والمهندُ في يدي ... مواردَ لا يُصدِرْن من لا يجالد

ولكنْ إذا لم يحملِ القلبُ كفَّه ... على حالةٍ لم يحملِ الكفَّ ساعد

خليليّ إني لا أرى غيرَ شاعر ... فلِمْ منهمُ الدعوى ومني القصائد

فلا تعجبا أنّ السيوفَ كثيرةٌ ... ولكن سيفَ الدولةِ اليومَ واحد

له من كريمِ الطبع في الحرب منتضٍ ... ومن عادةِ الإحسان والصفح غامِد

---

(١) اليازجي : ٣٢٦

ولمّا رأيتُ الناسَ دون محلّهِ تيقنتُ أن الدهرَ للناس ناقد

أحقهم بالسيف مَن ضربَ الطلى وبالأمنِ مَن هانتْ عليه الشدائد

وأشقى بلادِ الله ما الرومُ أهلُها بهذا وما فيها لمجدك جاحد

شننت بها الغارات حتى تركتها وجفنُ الذي خلف الفرنجة ساهد

مخضّبةٌ والقومُ صرعى كأنهمْ وإنْ لم يكونوا ساجدين مساجد

تنكّسهم والسابقاتُ جبالهمْ وتطعن فيهمْ والرماحُ المكايد

وتضربهم هبراً وقد سكنوا الكُدى

كما سكنتْ بطنَ التراب الأساود

وتُضحي الحصونُ المشمخرّات في الذرى

وخيلُك في أعناقهنّ قلائد

عصفن بهم يوم اللقان وسُقتهم بِهِنزيطَ حتى ابيضَّ بالسبي آمد

وألحقنَ بالصفصافِ شابورَ فانهوى وذاقَ الردى أهلاهما والجلامد

وغلّس في الوادي بهنّ مشيَّع مباركُ ماتحت اللثامين عابد

فتىً يشتهي طولَ البلاد ووقتُه تضيقُ به أوقاتُهُ والمقاصد

أخو غزواتٍ ماتُغِبُّ سيوفُهُ رقابَهُم إلا وسيحانُ جامد

فلم يبق إلا مَن حماها من الظُبى

لمَى شفتيها والثُدِيُّ النواهد

تُبكّي عليهن البطاريقُ في الدجى وهنَّ لدينا ملقياتٌ كواسد

بذا قضتِ الأيامُ ما بين أهلها مصائبُ قومٍ عندَ قومٍ فوائد

ومن شرفِ الإقدام أنك فيهمُ على القتل مومومقٌ كأنك شاكد

وأنّ دماً أجريته بك فاخرٌ — وأنّ فؤاداً رُعْتَهُ لكَ حامد

وكلٌّ يرى طرق الشجاعةِ والندى — ولكنّ طبعَ النفسِ للنفس قائد

نهبتَ من الأعمارِ ما لو حويته — لهُنِّئَتِ الدنيا بأنّك خالد

فأنت حُسامُ الملك والله ضاربٌ — وأنت لواءُ الدين والله عاقِد

وأنت أبو الهيجا بنُ حمدان يا ابنهُ — تشابهَ مولودٌ كريمٌ ووالد

وحمدانُ حمدونٌ وحمدون حارثٌ — وحارثُ لقمانٌ ولقمانُ راشد

أُولئك أنيابُ الخلافةِ كلُّها — وسائرُ أملاكِ البلاد الزوائد

أحبكَ يا شمس الزمان وبدره — وإنْ لامني فيك السُّهى والفراقد

وذاكَ لأنَّ الفضل عندك باهرٌ — وليس لأنَّ العيش عندك بارد

فإنّ قليل الحبِ بالعقل صالحٌ — وإنّ كثير الحبِ بالجهل فاسد

وقال يمدح سيف الدولة ويهنئه بعيد الأضحى : (١)

لكلِّ امرئٍ من دهره ما تعودا — وعادةُ سيفِ الدولة الطعنُ في العِدى

وأنْ يكذب الإرجاف عنه بضدّه — ويُمسي بما تنوي أعاديهِ أسعدا

وربّ مريد ضرّه ضرّ نفسه — وهادٍ إليه الجيش أهدى وما هدى

ومستكبرٍ لم يعرفِ الله ساعةً — رأى سيفه في كفّه فتشهدا

هو البحر غُصْ فيه إذا كان راكداً — على الدرّ واحذره إذا كان مُزبداً

فإنّي رأيتُ البحر يعثر بالفتى — وهذا الذي يأتي الفتى مُتعمدا

---

(١) اليازجي : ٣٨٤

تظلُّ ملوكُ الأرض خاشعةً له　　تفارقه هلكى وتلقاه سجدا

وتحيي له المالَ الصوارمُ والقنا　　ويقتلُ ما تحيي التبسمُ والجدا

ذكيٌّ تظنّيهِ طليعةُ عينِهِ　　يرى قلبُهُ في يومه ما ترى غدا

وصولٌ إلى المستصعبات بخيلِه　　ولو كان قرنُ الشمس ماءً لأوردا

لذلك سمّى ابنُ الدمستقِ يومه　　مماتاً وسماه الدمستقُ مولِدا

سريتَ إلى جيحانَ من أرضِ آمدٍ　　ثلاثاً لقد أدناكَ ركضٌ وأبعدا

فولّى وأعطاكَ ابنَه وجيوشَه　　جميعاً ولم يُعطِ الجميعَ ليحمدا

عرضتَ له دونَ الحياة وطرفِهِ　　وأبصرَ سيفَ الله منكَ مجردا

وما طلبتْ زرقُ الأسنة غيرَه　　ولكنّ قسطنطينَ كان له الفدا

فأصبحَ يجتابُ المسوحَ مخافة

وقد كان يجتابُ الدلاصَ المسرّدا

ويمشي به العكازُ في الدير تائباً　　وما كان يرضى مشيَ أشقرَ أجردا

وما تابَ حتى غادر الكرُّ وجهه　　جريحاً وخلّى جفنَهُ النقعُ أرمدا

فإنْ كان يُنجي من عليٍّ ترهّبٌ　　ترهبتِ الأملاكُ مثنى وموحدا

وكلُّ امرىءٍ في الشرق والغرب بعده

يُعدُّ له ثوباً من الشعر أسودا

هنيئاً لك العيدُ الذي أنتَ عيدُهُ　　وعيدٌ لمن سمّى وضحّى وعيّدا

ولازالت الأعيادُ لُبْسَكَ بعده　　تُسلّم مخروقاً وتعطى مجدّدا

فذا اليومُ في الأيامِ مثلُك في الورى

كما كنتَ فيهم أوحداً كان أوحدا

هو الجدُّ حتى تفضلُ العينُ أختها　　وحتى يكونُ اليومُ لليومِ سيّدا

فواعجباً من دائلٍ أنتَ سيفه أما يتـوقـّى شفرتي ما تقلـدا!

ومن يجعلِ الضرغام للصيدِ بازهُ تـصيّـده الضرغامُ فيما تصيـدا

رأيتك محضَ الحلمِ في محض قدرةٍ

ولو شئتَ كان الحِلمُ منك المهندا

وما قتل الأحرار كالعفوِ عنهم ومن لك بالحرّ الذي يحفظ اليدا

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإنْ أنت أكرمت اللئيم تمردا

ووضعُ الندى في موضعِ السيف بالعُلى

مضرٌ كوضعِ السيف في موضع الندى

ولكن تفوقُ الناس رأياً وحكمة كما فقتهم حالاً ونفساً ومحتِدا

يدقُّ على الأفكار ما أنت فاعلٌ فيُترَكُ ما يخفى ويؤخذُ ما بدا

أزلْ حسد الحساد عني بكبتهم فأنت الذي صيّرتهمْ لي حُسَّدا

إذا شدَّ زندي حسنُ رأيك في يدي

ضربتُ بنصلٍ يقطعُ الهامَ مغمدا

وما أنا إلا سمهريٌّ حملته فزيّنَ معروضاً وراعَ مسددا

وما الدهرُ إلا من رواةِ قصائدي إذا قلتُ شعراً أصبحَ الدهر منشدا

فسار به من لا يسيرُ مشمّراً وغنّى به من لا يُغني مغردا

أجزني إذا أنشدت شعراً فإنما بشعري أتاكَ المادحون مرددا

ودع كلَّ صوتٍ غير صوتي فإنني أنا الطائرُ المحكيُّ والآخر الصدى

تركتُ السُّرى خلفي لمن قلَّ مالهُ

وأنعلتُ أفراسي بنعماكَ عسجدا

وقيدتُ نفسي في ذراكَ محبةً ومن وجد الإحسان قيداً تقيدا

إذا سأل الإنسانُ أيامهُ الغنى | وكنتَ على بعدٍ جعلنكَ موعدا

وقال يمدح كافوراً ولم يلقه بعدها : (١)

أودُّ من الأيامِ ما لا تودُّهُ | وأشكو إليها بيننا وهي جندُهُ
يباعدن حِباً يجتمعن ووصلُه | فكيف بحِبٍ يجتمعن وصدُّهُ
أبى خلقُ الدنيا حبيباً تُديمهُ | فما طلبي منها حبيباً تردُّهُ
وأسرعُ مفعولٍ فعلت تغيراً | تكلّفُ شيءٍ في طباعك ضدُّهُ
رعى اللهُ عيساً فارقتنا وفوقها | مهاً كلُّها يُولى بجفنيه خدُّهُ
بوادٍ به ما بالقلوبِ كأنه | وقد رحلوا جيدٌ تناثرَ عقده
إذا سارتِ الأحداجُ فوق نباتِهِ | تفاوحَ مسكُ الغانيات ورنده
وحالٍ كإحداهنَّ رمتُ بلوغها | ومن دونها غولُ الطريق وبُعدُهُ
وأتعبُ خلقِ اللهِ من زاد همُّهُ | وقصّر عما تشتهي النفسُ وجده
فلا ينحللْ بالمجد مالُكَ كلُّهُ | فينحلَّ مجدٌ كان بالمال عقده
ودبِّره تدبيرَ الذي المجدُ كفُّهُ | إذا حاربَ الأعداءَ والمالُ زنده
فلا مجدَ في الدنيا لمن قلَّ مالهُ | ولا مالَ في الدنيا لمن قلَّ مجده
وفي الناسِ من يرضى بميسورِ عيشهِ | ومركوبه رجلاه والثوبُ جلده
ولكنّ قلباً بين جنبيّ ماله | مدىً ينتهي بي في مُرادٍ أحدُّهُ
يرى جسمَه يُكسى شفوفاً تربُّه | فيختارُ أن يُكسى دروعاً تهده
يكلفني التهجيرَ في كلّ مهمهٍ | عليقي مراعيه وزادي رُبدُهُ

(١) اليازجي ٤٨٦

وأمضى سلاحٍ قلّد المرءُ نفسَه رجاءُ أبي المسكِ الكريم وقصده

هما ناصرا من خانه كلُّ ناصرٍ وأسرةُ من لم يكثرِ النسلَ جدُّه

أنا اليومَ من غلمانه في عشيرةٍ لنا والدٌ منه يُفدّيه وُلده

فمن ماله مالُ الكبير ونفسهُ ومن ماله دَرُّ الصغير ومهده

نجرُ القنا الخطيَّ حولَ قبابه وتردي بنا قُبُّ الرباطِ وجرده

ونمتحنُ النُشّابَ في كلِ وابلٍ دويُّ القِسيِّ الفارسية رعده

فإلاّ تكن مصرُ الشرى أو عرينه فإنّ الذي فيها من الناس أُسْده

سبائكُ كافورٍ وعِقيانه الذي بصمّ القنا لا بالأصابعِ نقده

جَلاها حَواليه العدوُّ وغيرُه وجرَّبها هزلُ الطرادِ وجده

أبو المسك لا يَفنى بذنبك عفوُه

ولكنّه يَفْنى بعُذْرِكَ حِقْده

فيا أيها المنصورُ بالجَدّ سعيُهُ ويا أيها المنصورُ بالسعي جدُّه

تولّى الصِبا عني وأخلفتَ طيبه وما ضرني لمّا رأيتك فقده

لقد شبَّ في هذا الزمانِ كهولهُ لديكَ وشابتْ عندغيركَ مردُه

ألا ليتَ يومَ السيرِ يُخبِرُ حرُّه فتسألُهُ والليلَ يخبرُ برده

وليتك ترعاني وحيرانُ مُعرِضٌ فتعلم أني من حسامِك حده

وأني إذا باشرت أمراً أريده تدانت أقاصيه ولان أشده

وما زال أهلُ الدهرِ يشتبهون لي إليك فلمّا لحتَ لي لاحَ فرده

يقالُ إذا أبصرتُ جيشاً وربَّه

أمامكَ ملكٌ ربُّ ذا الجيشِ عبده

وألقى الفمَ الضحّاكَ أعلمُ أنه قريبٌ بذي الكفِّ المفداةِ عهده

فزارك منّي مَن إليك اشتياقهُ وفي الناس إلاّ فيك وحدكَ زهده
يخلِّفُ من لم يأتِ داركِ غايةً ويأتي فيدري أنّ ذلك جهده
فإن نلتُ ما أملتُ منك فربما شربتُ بماءٍ يُعجز الطيرَ ورده
ووعدكَ فعلٌ قبلَ وعدٍ لأنه نظيرُ فعالِ الصادقِ القول وعده
وكنْ في اصطناعي محسناً كمجربٍ
يبِنْ لك تقريبُ الجوادِ وشدُّه
إذا كنتَ في شكٍ من السيف فابلُهُ
فإمّا تُنفيّه وإما تُعدُّه
وما الصارمُ الهنديُ إلا كغيره إذا لم يفارقْه النجادُ وغمده
وإنك لَلمشكورُ في كل حالة ولو لم يكنْ إلا البشاشةَ رفده
وكلُّ نوال كان أو هو كائنٌ فلحظةُ طرفٍ منك عندي ندُّه
وإني لفي بحرٍ من الخير أصلُهُ عطاياكَ أرجو مدَّها وهي مده
وما رغبتي في عسجدٍ أستفيده ولكنّها في مفخرٍ أستجده
يجودُ به من يفضحُ الجودَ جودُه
ويحمده مَنْ يفضحُ الحمدَ حمده
فإنك ما مرَّ النحوسُ بكوكب فقابلته إلاّ ووجهكَ سعده

وقال يمدح أبا عبيدة بن يحيى البحتري المنبجي : (١)

أريقكِ أم ماء الغمامة أم خمرُ ؟ بفيَّ برودٌ وهو في كبدي جمْرُ
أذا الغصنُ أم ذا الدعصُ أم أنت فتنةٌ
وذيّا الذي قبلتُهُ البرقُ أم ثغر ؟

(١) اليازجي : ٥٦

رأتْ وجهَ من أهوى بليلٍ عواذلي ... فقلنَ نرى شمساً وما طلعَ الفجر

رأينَ التي للسحرِ من لحظاتها ... سيوفٌ ظُباها من دمٍ ابداً حمر

تناهى سكونُ الحسنِ في حركاتها ... فليس لراءٍ وجهها لم يمتْ عذر

إليك ابن يحيى بن الحسين تجاوزتْ ... بي البيدَ عنسٌ لحمُها والدم الشِعر

نضحتُ بذكراكم حرارةَ قلبها ... فسارت وطولُ الأرض في عينها شبر

إلى ليث حربٍ يُلحم الليثَ سيفَه ... وبحرِ ندى في جودِه يغرقُ البحر

فتىً كلَّ يومٍ يحتوي صلب ماله ... رماحُ المعالي لا الردينيةُ السمر

تباعد ما بين السحاب وبينه ... فنائلُها قطرٌ ونائلُه غمر

ولو تنزلُ الدنيا على حكم كفّه ... لأصبحتِ الدنيا وأكثرها نزر

أراه صغيراً قدرها عظمُ قدرِه ... فما لعظيمٍ قَدْرُهُ عندَه قدر

متى ما يشر نحو السماء بوجهه ... تخرّ له الشعرى وينخسف البدر

يرى القمر الأرضيَّ والملك الذي ... له الملكُ بعدَ الله والمجدُ والذِكْر

كثيرُ سهادِ العين من غير علةٍ ... يؤرّقه فيما يشرفه الفكر

له مننٌ تُفني الثناءَ كأنما ... به أقسمتْ أن لا يؤدي لها شكر

أبا أحمدٍ ما الفخرُ إلا لأهله ... وما لامرىءٍ لم يمسِ من بحترٍ فخر

همُ الناسُ إلا أنهم من مكارمٍ ... يُغني بهم حضرٌ ويحدو بهم سفر

بمن نضرب الأمثالَ أمْ من نقيسُهُ ... إليك وأهلُ الدهرِ دونك والدهر ؟

وقال يمدح القاضي أبا الفرج أحمد بن الحسين : (١)

لجنّيةٍ أم غادةٍ رُفعَ السجفُ ... لوحشيةٍ لا . ما لوحشيةٍ شنفُ

---

(١) اليازجي : ١٠١

نفورٌ عرتها نفرةٌ فتجاذبت سوالفَها والحليُ والمرطُ والردفُ

وخيّل منها مرطُها فكأنما تثنى لنا خوطٌ ولا حظنا خشفُ

زيادة شيبٍ وهي نقص زيادتي وقوة عشقٍ وهي من قوتي ضعف

هراقت دمي من بي من الوجد مابها

من الوجد بي والشوقُ لي ولها حلف

ومن كلما جردتها من ثيابها كساها ثياباً غيرها الشعر الوحفُ

وقابلني رُمّانتا غصنِ بانةٍ يميلُ به بدرٌ ويمسكه حقف

أكيداً لنا يابينُ واصلت وصلنا؟ فلا دارُنا تدنو ولا عيشُنا يصفو

أردد ويلي لو قضى الويلُ حاجةً وأكثر لهفي لو شفى غلةً لهف

ضنىً في الهوى كالسم في الشهدِ كامناً

لَذذتُ به جهلاً وفي اللذة الحتف

فأفنى وما أفنته نفسي كأنما أبو الفرج القاضي له دونها كهف

قليلُ الكرى لو كانت البيضُ والقنا

كآرائه ما أغنت البيضُ والزَّغف

يقوم مقام الجيش تقطيبُ وجهه ويستغرقُ الألفاظَ من لفظِه حرف

وإنْ فقدَ الإعطاءَ حنّت يمينه إليه حنينَ الإلفِ فارقه الإلف

أديبٌ رست للعلم في أرضِ صدره

جبالٌ جبالُ الأرضِ في جنبها قُف

جوادٌ سمت في الخيرِ والشر كفُه سمُواً أَودّ الدهرُ أنّ اسمه كف

وأضحى وبين الناس في كل سيّد من الناس إلا في سيادته خُلْف

يُفدّونه حتى كأنّ دماءهم لجاري هواهُ في عروقهم تقفو

وُقوفَيْنِ في وَقْفَيْنِ شكرٍ ونائلٍ فنائلُه وقفٌ وشكرهمُ وقف

ولمّا فقدنا مثلَه دام كشفنا عليه فدام الفقدُ وانكشف الكشف

وما حارتِ الأوهامُ في عظم شأنه بأكثرَ ممّا حارَ في حسنِه الطرف

ولا نالَ من حساده الغيظُ والأذى بأعظم مما نال من وفرِه العرف

تَفكّرُهُ علمٌ ومنطقه حكمُ وباطنُهُ دينٌ وظاهره ظَرْف

أماتَ رياحَ اللؤم وهي عواصفٌ ومغنى العلى يُودي ورسم الندى يعفو

فلم نَرَ قبل ابن الحسين أصابعاً إذاما هطلن استحيتِ الديمُ الوطف

ولا ساعياً في قلّة المجد مدركاً بأفعالِهِ ماليس يدركُه الوصف

ولم نَرَ شيئاً يحملُ العبءَ حملَهُ ويستصغر الدنيا ويحملُه طِرْف

ولا جَاسَ البحرُ المحيطُ لقاصدٍ ومِن تحته فرشٌ ومِن فوقه سقف

فواعجبا منّي أحاول نعتَه وقد فنيت فيه القراطيسُ والصحف

ومن كثرةِ الأخبار عن مكرَماته يمُرُّ له صنفٌ ويأتي له صنف

وتفترُّ منه عن خصالٍ كأنها ثنايا حبيبٍ لا يُمَلُّ لها رشف

قصدتكَ والراجون قصدي إليهم كثيرٌ ولكن ليس كالذنْبِ الأنف

ولا الفضةُ البيضاء والتبرُ واحداً نفُوعانِ للمُكدي وبينهما صرفُ

ولست بدونٍ يُرتجى الغيثُ دونه ولا مُنتهى الجود الذي خلفَهُ خاف

ولا واحداً في ذا الورى في جماعةٍ ولا البعضَ من كلٍ ولكنّك الضعف

ولا الضعفَ حتى يتبعَ الضعفَ ضِعفُهُ ولا ضعفَ ضعفِ الضعفِ بل مثله ألفُ

وذنبي تقصيري وما جئتُ مادحاً بذنبي ولكن جئتُ أسألُ أن تعفو

وقال عند مسير سيف الدولة لنصرة أخيه ناصر الدولة لما قصد الموصل :(١)

أعلى الممالكِ ما يُبنى على الأسلِ والطعنُ عند محبيهنّ كالقُبلِ

وما تقرُّ سيوفٌ في ممالكها حتى تُقلقلَ دهراً قبلُ في القُلل

مثلُ الأمير بغى أمراً فقرَّبَهُ طولُ الرماح وأيدي الخيل والإبل

وعزمةٌ بعثتها همةٌ ، زُحلٌ من تحتها بمكان الترب من زُحل

على الفراتِ أعاصيرٌ وفي حلبٍ توحشٌ لملقّى النصرِ مقتبل

تتلو أسنته الكتبَ التي نفذتْ ويجعلُ الخيلَ أبدالاً من الرسل

يَلقى الملوكَ فلا يلقى سوى جزرٍ وما أعدّوا فما يَلقى سوى نَفلِ

صانَ الخليفةُ بالأبطال مهجته صيانةَ الذكر الهنديّ بالخِلل

ألفاعلُ الفعلَ لم يفعلْ لشدته والقائل القولَ لم يتركْ ولم يُقلِ

والباعثُ الجيشَ قد غالت عجاجته ضوءَ النهار فصار الظهرُ كالطَّفل

الجوُّ أضيقُ ما لاقاه ساطعُها ومقلةُ الشمس فيه أحيرُ المقل

ينالُ أبعدَ منها وهي ناظرةٌ فما تقابله إلاّ على وَجَل

قد عرّضَ السيفَ دون النازلاتِ به وظاهرَ الحزمَ بينَ النفس والغيل

ووكّل الظنَّ بالأسرار فانكشفت له ضمائرُ أهل السهل والجبل

هو الشجاع يعدُّ البخلَ من جُبن وهو الجوادُ يعد الجُبنَ من بخل

يعودُ من كلّ فتحٍ غيرَ مفتخرٍ وقد أغذَّ اليهِ غيرَ محتفل

---

(١) اليازجي : ٢٨١

ولا يُجير عليه الدهرُ بغيتهُ ولا تحصّن درعٌ مهجةَ البطل

إذا خلعتُ على عرضٍ له حللًا وجدتُها منهُ في أبهى من الحلل

بذي الغباوة من إنشادها ضررٌ كما تضرُّ رياحُ الوردِ بالجُعل

لقد رأت كلُّ عينٍ منك مالئَها وجرَّدتْ خيرَ سيفٍ خيرةُ الدول

فما تُكشفك الأعداءُ عن مللٍ

من الحروب ولا الآراءُ عن زلَل

وكم رجالٍ بلا أرضٍ لكثرتِهمْ

تركتَ جمعهمُ أرضاً بلا رجل

ما زالَ طرفْك يجري في دمائهمُ

حتى مشى بك مشيَ الشارب الثمل

يا من يسيرُ وحكم الناظرينَ له فيما يراه وحكمُ القلب في جدل

إن السعادة فيما أنت فاعله وفقتَ مرتحلًا أو غيرَ مرتحل

أجرِ الجيادَ على ما كنتَ مجرِيها وخذْ بنفسك في أخلاقك الأول

ينظرنَ من مقلٍ أدمى أحجتَها قرعُ الفوارس بالعسَّالةِ الذُبل

فلا هجمتَ بها إلا على ظفرٍ ولا وصلتَ بها إلا إلى أمل

وقال يمدح أبا محمد الحسين بن عبيد الله بن طغج بن جف :[1]

أنا لائمي إن كنتُ وقتَ اللوائم علمتُ بما بي بينَ تلكَ المعالم

ولكنني مما ذهلتُ متيَّمٌ كسالٍ وقلبي بائحٌ مثلُ كاتم

وقفنا كأنا كلٌّ وجدِ قلوبنا تمكّنَ من أذوادنا في القوائم

(١) اليازجي : ١٢٨

وَدُسنا بأخفاف المطايا ترابها ... فما زلت أستشفي بلثم المناسم
ديارُ اللواتي دارهنّ عزيزةٌ ... بطول القنا يُحفظنَ لا بالتمائم
حسانُ التثني ينقشُ الوشيُ مثله ... إذا مسنَ في أجسامهنّ النواعم
ويبسمنَ عن درٍّ تقلدنَ مثله ... كأنّ التراقي وشّحتْ بالمباسم
فما لي وللدنيا طِلابي نجومُها ... ومسعاي منها في شُدوق الأراقم
من الحِلم أن تستعمل الجهل دونه ... إذا اتسعتْ في الحلم طُرْق المظالم
وأنْ تردَ الماءَ الذي شطره دمٌ ... فتسقى إذا لم يُسقَ من لم يزاحم
ومن عرَف الأيامَ معرفتي بها ... وبالناسِ روّى رمحه غيرَ راحم
فليس بمرحوم إذا ظفروا به ... ولا في الردى الجاري عليهم بآثمْ
إذا صلتُ لم أتركْ مصالاً لفاتك ... وإنْ قلتُ لم أتركْ مقالاً لعالم
وإلا فخانتني القوافي وعاقني ... عن ابنِ عبيد الله ضعفُ العزائم
عن المقتني بذلَ التلادِ تلادَهُ ... ومجتنبِ البخل اجتنابَ المحارم
تمنى أعاديهِ محلّ عُفاته ... وتحسدُ كفّيه ثقالُ الغمائم
ولا يتلقى الحربَ إلا بمهجةٍ ... مُعظمةٍ مذخورةٍ للعظائم
وذي لجبٍ لا ذو الجناح أمامَه ... بناجٍ ولا الوحش المثارُ بسالم
تمرّ عليه الشمسُ وهي ضعيفةٌ ... تطالعه من بينِ ريشِ القشاعم
إذا ضوؤها لاقى من الطير فرجةً ... تدوّر فوق البَيض مثل الدراهم
ويَخفى عليك البرقُ والرعد فوقه ... من اللمعِ في حافاتهِ والهماهم
أرى دونَ ما بين الفرات وبرقة ... ضِراباً يُمشي الخيلَ فوق الجماجم
وطعن غطاريف كأن أكفهم ... عرفن الردينيات قبل المعاصم
حمته على الأعداءِ من كلِ جانب ... سيوفُ بني طُغجٍ بنِ جفّ القماقم

هُمُ المحسنونَ الكرَّ في حومة الوغى ... وأحسنُ منه كرُّهمْ في المكارم

وهمْ يحسنونَ العفوَ عن كلّ مذنبٍ ... ويحتملونَ الغُرْمَ عن كل غارم

حييون إلا أنهمْ في نزالهمْ ... أقلُّ حياءً من شفار الصوارم

ولولا احتقارُ الأُسدِ شبَّهتهم بها ... ولكنّها معدودةٌ في البهائم

سرى النومُ عنّي في سُراي إلى الذي ... صنائعهُ تسري إلى كلّ نائم

إلى مطلقِ الأَسرى ومخترم العدى ... ومُشكي ذوي الشكوى ورغم المراغم

كريمٌ نفضتُ الناس لما بلغته ... كأنهمُ ما جفَّ من زادِ قادم

وكادَ سروري لا يفي بندامتي ... على تركه في عُمري المتقادم

وفارقتُ شرَّ الأرض أهلاً وتربة ... بها علويٌّ جَدُّهُ غيرُ هاشم

بلى اللهُ حسادَ الأمير بحلمِهِ ... وأجلسه منهمْ مكانَ العمائم

فإن لهم في سرعة الموت راحةً ... وإن لهمْ في العيش حزَّ الغلاصم

كأنك ما جاودت من بانْ جودُهُ ... عليكَ ولا قاتلتَ من لم تقاوم

وقال يرثي أبا شجاع فاتك الاخشيدي الملقب بالمجنون : [١]

الحزنُ يقلقُ والتجمّلُ يردعُ ... والدمعُ بينهما عَصِيٌّ طيِّعُ

يتنازعانِ دموعَ عينِ مسهدٍ ... هذا يجيُّ بها وهذا يرجع

النومُ بعد أبي شجاعٍ نافرٌ ... والليلُ مُعيٍ والكواكبُ ظلّعُ

إني لأجبنُ من فراقِ أحبتي ... وتحسُّ نفسي بالحِمام فأشجُعُ

---

(١) اليازجي : ٥٣١

ويزيدني غضبُ الأعادي قسوةً ويلمُّ بي عتبُ الصديقِ فأجزع
تصفو الحياةُ لجاهلٍ أو غافلٍ عمّا مضى منها وما يُتوقع
ولمنْ يغالطُ في الحقائق نفسهُ ويسومُها طلبَ المُحالِ فتطمع
أين الذي الهرمان مِنْ بُنيانه ما قومُه ما يومُه ما المصرعُ ؟
تتخلفُ الآثار عن أصحابها حيناً ويُدركها الفناءُ فتتبع
لم يرضِ قلبَ أبي شجاعٍ مبلغٌ قبلَ المماتِ ولم يسَعْهُ موضع
كنا نظنُّ ديارَه مملوءةً ذهباً فماتَ وكلُّ دارٍ بلقع
وإذا المكارمُ والصوارمُ والقنا وبناتُ أعوجَ كلُّ شيءٍ يجمع
المجدُ أخسرُ والمكارمُ صفقةٌ من أن يعيش لها الكريمُ الأروع
والناسُ أنزلُ في زمانك منزلاً من أن تقايسهم وقدرُك أرفع
بردْ حشاي إنِ استطعتَ بلفظةٍ فلقد تضرُّ إذا تشاءُ وتنفع
ما كان منك إلى خليلٍ قبلها ما يُستراب به ولا ما يوجِعُ
ولقدْ أراكَ وما تلمُّ ملمةٌ إلا نفاها عنك قلبٌ أصمع
ويدٌ كأنَّ نوالها وقتالها فرضٌ يحقُّ عليك وهو تبرُّع
يا مَنْ يبدلُ كلَّ يومٍ حُلَّةً أنَّى رضيتَ بحلةٍ لا تنزع
ما زلتَ تخلعها على مَن شاءها حتى لبستَ اليومَ ما لا تخلع
ما زلتَ تدفعُ كلَّ أمرٍ فادحٍ حتّى أتى الأمرُ الذي لا يدفع
فظللتَ تنظرُ لا رماحُك شرَّعٌ فيما عراكَ ولا سيوفُك قُطَّعُ
بأبي الوحيدُ وجيشهُ متكاثفٌ يبكي ومن شرِّ السلاحِ الأدمعُ
وإذا حصلت من السلاح على البكا فحشاكَ رُعْتَ به وخدكَ تقرع

وصلتْ إليكَ يدٌ سواءٌ عندها الـ بازي الأُشيهبُ والغرابُ الأبقع

مَن للمحافل والجحافل والقِرى؟ فَقَدَتْ بفقدكَ نيِّراً لا يطلع

ومَنِ اتخذتَ على الضيوف خليفةً ضاعوا ومثلُكَ لا يكادُ يُضيِّع

قُبحاً لوجهكَ يا زمانُ فإنه وجهٌ له مِنْ كلِّ قبحٍ برقع

أيموتُ مثلُ أبي شجاعٍ فاتكٍ ويعيشُ حاسدُه الخصيُّ الأوكع؟

أيدٍ مقطعةٌ حَوالَيْ رأسه وقفاً يصيحُ بها ألا مَنْ يصفع؟

أبقيتَ أكذبَ كاذبٍ أبقيته وأخذتَ أصدقَ مَنْ يقولُ ويسمع

وتركتَ أنتنَ ريحةٍ مذمومةٍ وسلبتَ أطيبَ ريحةٍ تتضوع

فاليومَ قرَّ لكلِّ وحشٍ نافرٍ دمُهُ وكانَ كأنه يتطلَّع

وتصالحتْ ثمرُ السياطِ وخيلُهُ وأوتْ إليها سُوقُها والأذرع

وعفا الطِرادُ فلا سنانٌ راعفٌ فوقَ القناةِ ولا حُسامٌ يلمع

ولّى وكلُّ مُخالمٍ ومنادمٍ بعدَ اللزومِ مُشيِّعٌ ومودِّع

قد كانَ فيه لكلِّ قومٍ ملجأٌ ولسيفهِ في كلِّ قومٍ مرتع

إنْ حلَّ في فُرسٍ ففيها ربُّها كسرى تذلُّ له الرقابُ وتخضع

أو حلَّ في رومٍ ففيها قيصرٌ أو حلَّ في عربٍ ففيها تُبَّع

قد كانَ أسرعَ فارسٍ في طعنةٍ فرساً ولكنَّ المنيةَ أسرعُ

لا قلّبتْ أيدي الفوارسِ بعده رُمحاً ولا حملتْ جواداً أربعُ

أبيات متفرقة

أبيات أدبية ألحقتها بعد تمام هذا المجلد.

ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان لمّا ذكر (جبل أرْوَنْد) المطل على مدينة همذان ؛ قال : وأهل همذان كثيراً مايذكرونه في أحاديثهم وأسجاعهم وأشعارهم ويعدونه من أجلّ مفاخر بلدهم ، وكثيراً ما يتشوقون إليه في الغربة وعلى سائر البلاد يفضلونه وفيه يقول عين القضاة عبد الله بن محمد الميانجيّ في رسالة كتبها إلى أهل همذان وهو محبوس :[1]

ألا ليت شعري هل ترى العينُ مرةً
ذرى قُلَّتي أرْوَنْدَ من هَمَذانِ

بلادٌ بها نِيطت عليَّ تمائمي
وأُرضعتُ من عِقّانها بلبانِ

وقال ياقوت : العقان بقية اللبن في الضرع . وقال شاعر من أهل همذان :

تذكّرتُ من أروندطيبَ نسيمه
فقلتُ لقلبٍ بالفراق سليم

سقى الله أرونداً وروضَ شعابه
ومن حلَّه من ظاعنٍ ومقيم

وأيامنا إذْ نحن في الدار جيرةٌ
وإذْ دهرُنا بالوصل غيرُ ذميم

قال : ويقال إن أكثر المياه في الجبال من أسفلها إلا أروند فإن ماءه من أعلاه ومنابعه في ذروته . قال بعض شعرائهم يفضله على بغداد ويتشوقه :

---

(١) معجم البلدان : ٢ / ١٦٣

وقالتْ نساءُ الحيِّ أينَ ابنُ أُختِنا ألا خبِّرونا عنه حُيِّيتمُ وفدا

رعاه ضمانُ اللهِ هلْ في بلادكمْ أخو كرمٍ يرعى لذي حسبٍ عهدا

فإنّ الذي خلفتموه بأرضكمْ فتىً ملأ الأحشاءَ هجرانُهُ وجدا

أبغدادكمْ تنسيه أرونْدَ مربعاً ألا خابَ من يشري ببغدادَ أروندا

فدتهنَّ نفسي لو سمعنَ بما أرى رمى كلُّ جيدٍ من تنهُّدِهِ عقدا

وقال محمد بن بشير الهمذاني يصف أروند :

سقياً لظلّك يا أروندُ من جبلٍ وإنْ رميناكَ بالهجران والملل

هل يعلمُ الناسُ ما كلفتني حججاً من حبِّ مائك إذ يشفي من العلل

لازلتَ تُكسى من الأنواءِ أرديةً من ناضرٍ أنقٍ أو ناعمٍ خضل

حتى تزور العذارى كلَّ شارقةٍ أفياءَ سفحك يستصبين ذا الغزل

وأنت في حُللٍ والجوُّ في حللٍ والبيضُ في حلل والروض في حلل

وقال محمد بن بشير أيضاً يصف أروند :

تزينتِ الدنيا وطابتْ جنانُها وناح على أغصانها ورشانُها

وأمرعتِ القيعانُ واخضرَّ نبتها وقام على الوزنِ السواءِ زمانها

وجاءتْ جنودٌ من قرى الهند لم تكن

لتأتي إلاَّ حين يأتي أوانها

مسودةٌ دعجُ العيون كأنما لغاتُ بناتِ الهند تحكي لسانها

لعمركَ ما في الأرض شيءٌ نلذُّه من العيش إلا فوقه همذانها

إذا استقبل الصيفُ الربيعَ وأعشبتْ

شماريخُ من أروندَ شمٌّ قنانها

وهاج عليهم بالعراق وأرضه هواجرُ يشوي أهلها لهبانها

سقتك ذرى أروند من سيح ذائبٍ من الثلج أنهاراً عذاباً رعانها

ترى الماءَ مُستناً على ظهر صخرهِ ينابيعَ يُزهي حسنُها واستنانها

كأنّ بها شَوْباً من الجنة التي تفيضُ على سكانِها حيوانها

فياساقي الكأس اسقنيها مُدامة على روضةٍ يشفي المحبَ جنانها

مكلّلةٍ بالنورِ تحكي مضاحكاً شقائقَها في غاية الحسن بانها

كأنّ عروسَ الحيّ بين خلالها قلائدُ ياقوتٍ زهاها اقترانها

تهاويلُ من حمرٍ وصفرٍ كأنها ثنايا العذارى ضاحكاً أقحوانها

قال طاهر بن عبدالله بن طاهر الطبري القاضي الشافعي رحمه الله: كتبت إلى أبي العلاء المعري حين ورد بغداد

وما ذاتُ درٍّ لا يحلُّ لحالبٍ تناوله واللحمُ منها محلَّلُ

لمن شاء في الحالين حيّاً وميّتاً ومن رامَ شربَ الدّرِ فهو مُضلل

إذا طعنت في السنِ فاللحمُ طيبٌ وآكله عند الجميع مغفل

وخرفانها للأكل فيها كزازةٌ فما لحصيفِ الرأي فيهنّ مأكل

وما يجتني معناه إلاّ مُبرّزٌ عليمٌ بأسرار القلوبِ محصّل

فاجابني وأملى على الرسول في الحال :

جوابانِ عن هذا السؤال كلاهما صوابٌ وبعضُ القائلين مضلل

فمَنْ ظنّه كرماً فليس بكاذبٍ ومن ظنه نخلاً فليس يُجهَّل

لحومها الأعنابُ والرُطَبُ الذي هو الحلُّ والدرُّ الرحيقُ المسلسل

ولكن ثمار النخل وهي غضيضة ... تمرٌ وغضُّ الكرمِ يجنى ويؤكل

يكلفني القاضي الجليلُ مسائلاً ... هي النجمُ قدراً بل أعزُّ وأطول

ولو لم أجبْ عنها لكنتُ بجهلها ... جديراً ولكنْ من يودّك مقبل

فاجبته بقولي :

أثارَ ضميري مَنْ يعزُّ نظيرُه ... من الناسِ طُراً سابغ الفضل مُكمل

ومن قلبه كتبُ العلوم بأسرها ... وخاطره في حدّة النار مشعل

تساوى له سرُّ المعاني وجهرها ... ومعضلُها بادٍ لديه مفصّل

ولمّا أثارَ الحب قاد منيعه ... أسيراً بأنواع البيان مكبل

وقربه من كلِّ فهمٍ بكشفه ... وإيضاحه حتى رآه المغفل

وأعجبُ منه نظمه الدرَّ مسرعاً ... ومرتجلاً من غير ما يتمهل

فيخرجُ من بحرٍ ويسمو مكانه ... جلالاً إلى حيثُ الكواكب نزّل

فهنّاه اللهُ الكريمُ بفضله ... محاسنه والعمرُ فيها مطول

فأجاب مرتجلاً وأملى على الرسول :

ألا أيُّها القاضي الذي بدهائه ... سيوفٌ على أهل الخلاف تسلّل

فؤادكَ معمورٌ من العلم آهلٌ ... وجدّك في كلّ المسائل مقبل

فإن كنتَ بين الناس غير مموّل ... فأنت من الفهم المصون ممول

إذا أنت خاطبتَ الخصومَ مجادلاً ... فأنت وهمْ مثل الحمائم أجدل

كأنكَ مِنْ في الشافعي مخاطبٌ ... ومن قلبه تمُلي فما تتمهل

وكيف يرى علم ابن إدريس دارساً ... وأنتَ بإيضاح الهدى متكفل

تفضلتَ حتى ضاق ذرعي بشكر ما
فعلتَ وكفّي عن جوابك أجمل

لأنك في كه الثريا فصاحةً
وأعلى ومن يبغي مكانك أسفل

فعذرك في أني أجبتك واثقاً
بفضلك والإنسانُ يسهو ويذهل

وأخطأتُ في انفاذِ رقعتك التي
هي المجدُ لي منها أخيرٌ وأول

ولكن عداني أن أروم احتفاظها
رسولك وهو الفاضلُ المتفضل

ومن حقها أن يصبح المسكُ عاطراً
بها وهي في أعلى المواضع تجعل

فمن كان في أشعاره متمثلا
فأنت امرؤٌ في العلم والشعر أمثل

تجملتِ الدنيا بأنك فوقها
ومثلك حقاً مَنْ به تتجمل

ومن المراثي الجيدة أبيات ذكرها ابن خلكان في تاريخه «وفيات الاعيان» لأبي إسحاق ابراهيم بن عثمان الغزي الشاعر المشهور رثى بها أبا الحسن علي بن محمد الطبري الملقب عماد الدين المعروف بالكيا الهراسي الفقيه الشافعي وهي :

هي الحوادثُ لا تُبقي ولا تذر
ما للبرية مِنْ محتومها وَزرُ

لو كان يُنجي علوٌّ مِنْ بوائقها
لم تكسفِ الشمسُ بل لم يخسف القمر

قلْ للجبانِ الذي أمسى على حذرٍ
من الحِمام متى ردَّ الردى الحذر

بكى على شمسه الإسلام إذ أفلتْ
بأدمعٍ قلَّ في تشبيهها المطر

حبرٌ عهدناه طلقَ الوجه مبتسماً
والبشرُ أحسنُ ما يُلقى به البشر

لئن طوته المنايا تحتَ أخمصها فعلمه الجمُّ في الآفاق منتشر

سقى ثراكَ عمادَ الدين كلَّ ضحىً صوبُ الغمام ملثُّ الودق منهمر

عند الورى مِنْ أسىً أبقيته خبرٌ فهل أتاكَ من استيحاشهم خبر

أحيا ابنَ ادريس درسٌ أنت تورده تحارُ في نظمه الأذهان والفكر

مَنْ فاز منه بتعليقٍ فقد علقت يمينه بشهابٍ ليس ينكدر

كأنما مشكلاتُ الفقه يوضحها جباهُ دهمٍ لها من لفظه غرر

ولو عرفتُ له مثلاً دعوتُ له وقلت دهري إلى شرواه مفتقر

ومن جيد الثناء وفائق المديح ما قال أبو تمام في محمد بن حسان الضبي (١)

بمحمدٍ سار الزمانُ محمداً فينا وأعتبَ بعد سوءِ فعاله

بمروَّقِ الأخلاق لو عاشرته لرأيتَ نُجحك في جميع خصاله

مَنْ ودَّني بلسانه وفؤادِه وأمالني بيمنه وشماله

أبداً نفيدُ غرائباً من ظرفه ورغائباً من جوده وفعاله

لك شاهد من قلبه بل حالفٌ متبرعٌ أن العلى من باله

وسألتَ عن أمري فسل عن أمره دوني فحالي قطعةٌ من حاله

لو كنتَ شاهدَ بذله لشهدتَ لي بوارثةٍ أو شِرْكةٍ في ماله

وقوله في مالك بن طوق وأحسن : (٢)

أقولُ لمرتادِ الندى عندَ مالكٍ تعوَّذْ بجدوى مالكٍ وصِلاته

---

(١) ديوانه : ٣١/٣ ، وفيه أنه يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات .

(٢) الديوان : ٣١٣/١ وقد مر ذكرها

فتىً جعلَ المعروفَ من دون عرضهِ سريعاً إلى الممتاح قبل عداته
ولو قصرتْ أموالُه عن سماحهِ لقاسمَ مَن يرجوه شطر حياته
ولو لم يجدّ في قسمة العمر حيلةً وجاز له الإعطاءُ من حسناته
لجاد بها من غيرِ كفرٍ بربه وواساهمُ من صومهِ وصلاته

للحسن بن وهب الكاتب وهي من ظريف الشعر :

أبتْ مُقلتاكَ لِفرطِ الحزنْ عليكَ الرقادَ وبردَ الوسنْ
وحقّ لعينيك أنْ لا تناما وقلبكَ مختلسٌ مرتهن
وبين الجوانح داءٌ دفين لعمركَ مستترٌ قد كَمنْ
نجيُّ الهموم وقرن الكلوم ووهي الحلوم وبعدُ الوطن
شديدُ النفار كثير العثار خليعُ العذار يجرُّ الرسن
أفي كلّ يومٍ تطيلُ الوقوفَ تُناجي الديارَ وتبكي الدمن
وتستخبر الدارَ عَنْ أهلها وتذري الدموعَ على مَن ظعن
كأنك لم ترَ فيما مضى من الدهرِ ذا صبوةٍ مفتتن
عذرتك أيام شرخ الشباب وفرعُك فرعُ نضير الغصُنْ
فأمّا وقد زال ظلّ الشباب عنكَ وولّى كأنْ لم يكن
وألبسكَ الشيبُ بعدَ الشباب قناعَ بياضٍ كلون القطن
وصرتَ قذى في عيون الحسانِ يخنّك عهداً وإنْ لم تخن
ويصدفنَ عنك إذا رمتهنّ وكنتَ لهنّ زماناً سكن
فمالك عذرٌ وأنتَ امرؤٌ بما فيه رشدك طبٌّ فطن

شعر المعري (١)

هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري التنوخي ، الشاعر المتفنن ، وهو عربي النسب من قبيلة تنوخ بطن من قضاعة من بيت علم وقضاء ، ولد بمعرة النعمان سنة ٣٦٣ ، وجدر في الثالثة من عمره ، و كف بصره ، وتعلم على أبيه وغيره من أئمة زمانه ، وكان يحفظ ما يسمعه من مرة واحدة ، وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة ، ونسك في آخر عمره ، ولم يبرح منزله ، وسمى نفسه رهين المحبسين ، العمى والمنزل ، وبقي مكباً على التدريس والتأليف ، ونظم الشعر ، مقتنعاً بالقليل من الدنانير ، يستغلها من عقار له مجتنباً أكل الحيوان ، وما يخرج منه مكتفياً بالنبات والفاكهة والدبس ، متعللاً بأنه فقير ، وأنه يرحم الحيوان ، وعاش عزباً إلى أن مات سنة ٤٤٩ بالمعرة ، وأمر أن يكتب على قبره

هذا جناه أبي عليَّ ... وما جنيتُ على أحد

وله كثير من الشعر يناقض بعضه بعضاً في حقيقة العالم والشرائع والمعبود ، وللناس في اعتقاده أقوال كثيرة ، والظاهر أنه شاك متحير ، وهو أحكم الشعراء بعد المتنبي ، ويفضل عليه في الغريب ، والأخيلة الدقيقة ، والطبيعيات والاجتماعيات ، والأخلاق والقوانين ،

---

(١) قوبل شعر ابي العلاء على ديوانه «التنوير على سقط الزند» وعلى «مختارات البارودي».

ونظام الحكومات ، والفلسفة والشرائع والأديان ، ولذلك يفضله الافرنج ؛ وهو في هذه الأمور معدوم النظير ، ومن شعره يمدح الفصيصي ويهنئه بعيد الأضحى :

يا ساهر البرق أيقظ راقد السَّمُر ... لعل بالجزع أعواناً على السهر [1]

وإن بخلتَ على الأحياءِ كلهم ... فاسق المواطرَ حياً من بني مطر

ويا أسيرة حجليها أرى سفهاً ... حمل الحُليّ لمن أعيى عن النظر

ما سرتُ إلا وطيف منك يصحبني ... سُرى أمامي وتأويباً على أثري

لو حطّ رحلي فوق النجم رافعهُ ... وجدت ثم خيالاً منك منتظري

يود أن ظلام الليل دام له ... وزيد فيه سوادُ القلب والبصر

لوِ اختصرتم من الإحسان زرتكم ... والعذب يُهجر للإفراط في الخصر

أبعد حولٍ تناجي الشوق ناجية ... هلاّ ونحن على عشرٍ من العُشر؟

كم بات حولك من ريم وجازيةٍ ... يستجديانك حسن الدلِّ والحور

فما وهبت الذي يعرفن من خلق ... لكن سمحت بما ينكرن من درر

وما تركت بذات الضال عاطلةً ... من الظباء ولا عار من البقر

قلدت كل مهاة عقد غانية ... وفزت بالشكر في الآرام والعفر

ورب ساحب وشي من جآذرها ... وكان يرفل في ثوب من الوبر

حسّنت نظم كلام توصفين به ... ومنزلا بك معموراً من الخفر

فالحسن يظهر في شيئين رونقه ... بيت من الشعر أو بيت من الشعر

أقول والوحش ترميني بأعينها ... والطير تعجب مني كيف لم أطر

---

(١) التنوير : ٣٠ م ب ٣٣٢

لمشمعلين كالسيفين تحتهما مثل القناتين من أين ومن ضمر

في بلدة مثل ظهر الظبي بت بها كأنني فوق روق الظبي من حذر

لا تطويا السر عني يوم نائبة فان ذلك ذنب غير مغتفر

ياروّع الله سوطي كم أروع به فؤاد وجناء مثل الطائر الحذر

باهت بمهرة عدناناً فقلت لها لولا الفصيصي كان المجد في مُضر

وقد تبين قدري ان معرفتي من تعلمين سترضيني عن القدر

القاتل المحل إذ تبدو السماء لنا كأنها من نجيع الجدب في أزر

وقاسم الجود فى عال ومنخفض كقسمة الغيث بين النجم والشجر

ولو تقدم في عصر مضى نزلت في وصفه معجزات الآي والسور

يبين بالبشر عن احسان مصطنع كالسيف دل على التأثير بالأثر

فلا يغرنك بشر من سواه بدا ولو أنار فكم نور بلا ثمر

يا ابن الالي غير زجر الخيل ما عرفوا

إذ تعرف العُرب زجر الشاء والعكر

والقائديها على الأضياف تتبعها ألافها والوف اللأم والبدر

جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم

بعد الممات جمال الكتب والسير

وافقتهم في اختلاف من زمانكم

والبدر في الوهن مثل البدر في السحر

الموقدون بنجد نار بادية لا يحضرون وفقد العز في الحضر

إذا همى القطر شبتها عبيدهم تحت الغمائم للسارين بالقطر

من كل أزهر لم تأشر ضمائره للثم خد ولا تقبيل ذي أشر

لكن يقبل فوه سامعي فرسٍ مقابل الخلق بين الشمس والقمر

كأن أُذنيه أعطت قلبه خبراً عن السماء بما يلقى من الغير

يُحس وطء الرزايا وهي نازلةٌ فينهب الجري نفس الحادث المكر

من الجياد اللواتي كان عوّدها بنو الفصيص لقاء الطعن بالثُغر

تُغني عن الورد إن سلو صوارمهم أمامها لاشتباهِ البيض بالغدر

اعاذ مجدك عبد الله خالقهُ من أعين الشهب لا من أعين البشر

فالعين يسلم منها ما رأت فنبت عنه وتلحق ما تهوى من الصور

فكم فريسة ضرغام ظفرت بها فحزتها وهي بين الناب والظفر

ما جت نمير فهاجت منك ذا لبدٍ والليث أفتك أفعالا من النمر

هموا فأموا فلما شارفوا وقفوا كوقفةِ العير بين الورد والصدر

وأضعف الرعب أيديهم فطعنهم بالسمهرية دون الوخز بالابر

تُلقي الغواني حفيظ الدر من جزع

عنها وتلقي الرجال السرد من خور

فكم دلاص على بطحاءَ ساقطةٍ وكم جُمان مع الحصباء منتثر

دع اليراع لقوم يفخرون به وبالطوال الردينيات فافتخر

فهن اقلامك اللاتي اذا كتبت مجداً أتت بمدادٍ من دم هدر

وكل أبيض هندي به شطبٌ مثل التكسر في جار بمنحدر

تغايرت فيه أرواح تموت بهِ من الضراغم والفرسان والجزر

روض المنايا على ان الدماء به وان تخالفن ابدال من الزهر

ما كنت أحسب جفناً قبل مسكنه

في الجفن يُطوى على نار ولا نهر

ولا ظننت صغار النمل يمكنها مشيٌ على اللج أو سعي على السعر

قالت عداتك ليس المجد مكتسباً مقالة الهجن ليس السبق بالحضر

رأوك بالعين فاستغوتهم ظننٌ ولم يروك بفكر صادق الخبر

والنجم تستصغر الابصار صورته والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

يا غيث فهم ذوي الافهام ان سدِرت

إبلي فمرآك يشفيها من السدَر

والمرء مالم تفد نفعاً اقامته غيم حمى الشمس لم يمطر ولم يسر

فزانها الله أن لاقتك زينته بنات أعوج بالأحجال والغرر

افنى قواها قليل السير تدمنهُ والغمر يفنيه طول الغرف بالغمَر

حتى سطرنا بها البيداء عن عرض وكل وجناء مثل النون في السطر

علوتم فتواضعتم على ثقةٍ لما تواضع أقوام على غرَر

والكبر والحمد ضدان اتفاقهما مثل اتفاق فتاء السنّ والكبر

يجني تزايد هذا من تناقص ذا والليل إن طال غال اليوم بالقصر

خفّ الورى واقرتكم حلومكم والجمر تعدم فيه خفة الشرر

وأنت من لو رأى الانسان طلعته في النوم لم يمس من خطب على خطر

وعبد غيرك مضرور بخدمته كالغمد يبليه صون الصارم الذكر

لولا قدومك قبل النحر أخره إلى قدومك أهل النفع والضرر

سافرتَ عنا فظل الناس كلهم يراقبون إياب العيد من سفر

لو غبت شهرك موصولا بتابعهِ وأبت لانتقلَ الاضحى إلى صفر

فاسعد بمجدٍ ويوم إذ سلمت لنا فما يزيد على أيامنا الاخر

ولاتزال لك الازمـانُ ممتعةً بالآل والحال والعليـاءِ والعمر

وله أيضاً : (١)

اليك تناهي كل فخر وسؤدد فأبل الليالي والأنامَ وجدّد
لجدك كان المجد ثم حويته ولابنك يبنى منه أشرف مقعد
ثلاثـة أيام هي الدهر كله وما هنّ غير اليوم والامس والغد
وما البدر إلا واحد غير أنه يغيب ويأتي بالضياءِ المجدد
فلا تحسب الأقمار خلقاً كثيرة فجملتُهـا من نيرٍ متردد
وللحسن الحسنى وإن جاد غيره فذلـك جود ليس بالمتعمَّـد
له الجوهر الساري يؤمم شخصه يجوب اليه محتـداً بعد محتد
ولو كتموا أنسابهم لعزتهـم وجوهٌ وفعلٌ شاهد كل مشهد
وقد يجتدى فضل الغمام وإنمـا من البحر فيما يزعم الناس يجتدي
ويهدي الدليل القومَ والليلُ مظلم ولكنّـه بالنجم يهدي ويهتدي
فيـا أحلم السادات من غير ذلة ويا أجود الأجواد من غير موعد
وطئت صروف الدهر وطأة ثائر فأتلفت منهـا أنفسـاً لم تصفد
وعلمتـه منـك التأني فانثنى إذا رام أمراً رامـه بتـأيـد
وأثقلته من أنعم وعوارف فسار بها سير البطيء المقيد
ودانت لك الأيام بالرغم وانضوت إليك الليالي فارم من شئت تُقْصد
بسبع إماءٍ من زغاوة زوّجت من الروم في نعماك سبعة أعبد
ولولاك لم تسلم أفاميـة الردى وقد أبصرت من مثلها مصرع الردي
فأنقذت منهـا معقلاً هضباتهُ تلفّـع من نسج السحاب وترتدي

---

(١) التنوير ٧٧ - م ب ٣٣٠

وحيداً بثغر المسلمين كأنه بفيه مبقى من نواجذِ أدرد

بأخضر مثل البحر ليس اخضراره من الماءِ لكن من حديد مسرَّد

كأن الأنوق الخرس فوق غباره طوالعُ شيب في مفارق أسود

وليس قشيب الهند الا كناية من القضب في كف الهدان المعرد

متى أنا في ركب يؤمّون منزلا توحّد من شخص الشريف باوحد

على شدقميات كأن حداتها اذا عرس الركبان شراب مرقد

تلاحظ اعلام الفلا بنواظر كحلنَ من الليل التمام باثمد

فقد اذهبت اخفافها الارض والوجى دماً وتردَّى فضلة كل مُزبد

يَخَلْن سماماً في السماء إذا بدت لهنَّ على أين سماوة مورد

تظن به ذوب اللجين إذا بدت له الشمس اجرت فوقه ذوب عسجد

تبيت النجوم الزهر في حجراته شوارع مثل اللؤلؤ المتبدد

فأطمعن في اشباحهن سواقطاً على الماءِ حتى كدن يلقطن باليد

فمدت الى مثل السماءِ رقابها وعبت قليلا بين نسر وفرقد

وذكرن من نيل الشريف مواردا فما نلن منه غير شرب مصرد

ولاحت لها نار يشب وقودها لأضيافه في كل غور وفدفد

بخرق يطيل الجنح فيها سجوده وللارض زيٌّ الراهب المتعبد

ولو نشدت نعشا هناك بناته لما تت ولم تسمع له صوت منشد

وتكتم فيه العاصفات نفوسها فلو عصفت بالنبت لم يتأود

فمرت إذا غنى الرديف وقد ونت بذكراه زفت كالنعام المطرَّد

يحاذرن وطءَ البيد حتى كأنما يطأن برأسِ الارض هامة اصيد

وينفرن في الظلماءِ عن كل جدول نفارَ جبان عن حسام مجرد
تطاول عهد الواردين بمائه وعطّل حتى صار كالصارمِ الصدي
إلى بردى حتى تظل كأنها إذا كرعت فيه لواثم مبرد
أرى المجد سيفاً والقريض نجاده ولولا نجاد السيف لم يتقلد
وخير حمالات السيوف حمالة تجلت بابكار الثناء المخلد
وأعرض من دون اللقاءِ قبائل يَعلُّون خرصان الوشيج المقصد
غواة إذا النكباء حفت بيوتهم أقاموا لها الفرسان في كل مرصد
يطيعون أمراً من غوي كأنه على الدهر سلطان يجور ويعتدي
إذا نفرت من رغد عيشٍ سوامه سعى نحوه بالمشرفي المهند
وقد علمت هذي البسيطة أنها تراثك فلتشرف بذاك وتردد
وإن شئت فازعم أن من فوق ظهرها عبيدك واستشهد الهك يشهد
وذكرك يذكي الشوق في كل خاطر ولو أنه في قلب صمّاء جلمد

وله أيضاً :[1]

مغاني اللوى من شخصك اليومَ أطلال وفي النوم مغنى من خيالكِ محلالُ
معانيكِ شتى والعبارة واحد فطرفك قتال وزندك مغتال
وأبغضت فيك النخل والنخل يانع واعجبني من حبكِ الطلح والضال

---

(١) التنوير ٤٦ .

فأذهل أني بالعراق على شفا　　رزيٌّ الامَاني لاأنيسٌ ولامال

مقلٌّ من الأهلين يُسرٍ واسرةٍ　　كفى حزناً بين مُشتٌ وإقلال

طويت الصِباطيٌّ السجل وزارني　　زمان له بالشيب حكم واسجال

إذا جن ليلي جُنَّ لبي وزائد　　خفوق فؤآدي كلما خفق الآل

وماء بلادي كان أنجع مشرباً　　ولو أن ماء الكرخ صهباء جريال

حروف سُرى جاءت لمعنى أردته　　برتني أسماءٌ لهن وأفعال

يحاذرن مَن لدغ الازمة لااهتدى　　مخبرها أن الازمة أصلال

فيا وطني ان فاتني بك سائغ　　من العيش فيلنعم لساكنك البال

فان استطع في الحشر آتِك زائراً　　وهيهات لي يوم القيامة اشغال

وكم ماجد في سيف دجلة لم أشم　　له بارقاً والمرء كالمزن هطال

من الغر تراك الهواجر معرض　　عن الجهل قذاف الجواهر مفضال

سيطلبني رزقي الذي لوطلبته　　لما زاد والدنيا حظوظ وإقبال

إذا صدق الجد افترى العم للفتى　　مكارم لاتكري وان كذب الخال

واهوى لجراك السماوة والقطا　　ولو أن صنفيه وشاة وعذال

حملت من الشامين أطيب جرعة　　وانزرها والقومُ بالقفر ضلال

يلوذ بأقطار الزجاجة بعدما　　اريقت لما اهديت في الكثر أمثال

فسقياً لكأس من فم مثل خاتم　　من الدر لم يهمم بتقبيله خال

صحبت كرانا والركاب سفائن　　كعادك فينا والركائب اجمال

أعمت الينا أم فعال ابن مريم　　فعلت وهل يُعطى النبوة مكسال

كأن الخزامى جمَّعت لك حُلة　　عليكِ بها في اللونِ والطيب سربال

عجبت وقد جزت الصراة رفلّة وما خضلت مما تسربلتِ أذيال

متى ينزل الحي الكلابيُّ بالساً يحييك عني ظاعنون وقفال

تحية ود ما الفرات وماؤه باعذب منها وهو ازرق سلسال

وإن زعموا أن الهجير استشفهم اليها فنها في المزايد اسمال

أتعلم ذات القُرط والشنف أذني

يشنفني بالزأر أغلب رِئبال

فيا دارها بالحزن ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

إذا نحن أهللنا بنؤيك ساءنا فهلا بوجه المالكية إهلال

تصاحب في البيداءِ ذئباً وذابلاً كلا صاحبيها في التنوفةِ عسّال

إذا أعرب الرعيان عنها سوامها

أريح عليها الليلَ هيق وذيّال

تسيء بنا يقظى فاما إذا سرت رقاداً فاحسان الينا واجمال

بكت فكأن العقد نادى فريده هلمَّ لعقد الحلف قلبٌ وخلخال

وهل يحزن الدمع الغريب قدومه على قدم كادت من اللين تنهال

تحلى النقى درّين دمعا ولؤلؤاً وولت اصيلا وهي كالشمس معطال

باشنب معطار الغريزة مقسم لسائفهِ ان القسيمة متفال

فلا اخلف الدمع الذي فاض شأنها دعاءً لها بل أخلف النظم لآل

وغنت لنا من دار سابور قينة من الورق مطراب الاصائل ميهال

رأت زهراً غضا فهاجت بمزهر مثانيه احشاء لطفن وأوصال

فقلت تغني حيث شئت فانما غناؤك عندي يا حمامة إعوال

وتحسدك البيض الخوالي قلادةً بجيدك فيها من شذى المسك تمثال

ظلمن وبيت الله كم من قلادة توازرها سور لهنّ واحجال

بدت حية قصراً فقلت لصاحبي حياة وشر بئس ما فعل الفال

اتبصر ناراً أوقدت لخويلد ودون سناها للنجائب إرقال

واقتال حرب يفقد السلم فيهم على غيرهم أمضى القضاء واقتال

وعرض فلاة يحرم السيف وسطها الا إن احرام الصوارم احلال

إذا قدحت فالمشرفي زنادها وإن هي حُشّت فالعوامل اجذال

تمنيتُ أن الخمر حلت لنشوةٍ تجهّلني كيف اطمأنت بي الحال

ولهُ أيضاً : (١)

لعل نواها ان تريع شطونُها وأن تتجلى عن شموس دجونها

بنا من هوى سعدى البخيلة كاسمها إذا زايلته عين سعدى وسينها

إذا ما انحنا حرة فوق حرّةٍ بكى رحمة الوجناء منها وجينها

أرنّت بها من خشية الموت رنةً فدل عليها الناعبات رنينها

يعز علينا ان يظل ابن دأية يفتش ما ضُمّت عليه شؤونها

رحلنا بها نبغي لها الخير مثلنا فما آب إلا كورها ووضينها

فقد حنّ سوطي في يدي من غرامها وحن اشتياقاً في حشاها جنينها

تعاطت نهى حتى إذا ما تعرضت لها هضبات الشام جن جنونها

ولما رمت أبصارها تطلب الحمى ولم تر تلك الارض ساءت ظنونها

---

(١) التنوير ١٨٩

بذلنا لها محض اللُّجين كرامة   فلم يرضها في الجنح إلا لجينها
ولما رأتنا نذكر الماء بيننا   ولا ماء غارت من حذار عيونها
كأنْها توقت وردنا ثم عينها   فضم إليها ناظريها جبينها
وقد حلفت أن تسأل الشمس حاجة   وان سألتك اليسر برت يمينها
ملقى نواصي الخيل كل مرشة   من الطعن لا يرجو البقاء طعينها
ومشكل فرسان الوغى كل نثرة   يود خليجٌ راكدٌ لو يكونها
إذا ألقيت في الأرض وهي مفازة   إلى الماء خلت الأرض يجري معينها
وتبغي على القاع السوي تثبتاً   فيمنعها من أن تثبت لينها
وما برحت في ساحة الحي يرتمي   بها موجها حتى نهتها حزونها
غدير وشته الريح وشية صانع   فلم يتغير حين دام سكونها
كأن الدبي غرقى به غير أعين   إذا رد فيها ناظر يستبينها
وما حيوان البر فيها بسالم   إذا لم يغثه سيفها أو سفينها
وتصغي وترني كل خلقٍ لعلها   تنق ضفاديها ويلعب نونها
فلو لم يضعها عنه للسلم فارس   لخلد ما دامت عليه غضونها
ولو علمت نفس الفتى يوم حتفه   ولاقته فيها لم تخنه منونها
أمون إذا أودعت نفسك حرزها   ولاقيت حرباً لم يخنك أمينها

وله أيضاً : [١]

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل   عفاف وإقدام وحزم ونائل
اعندي وقد مارست كل خفيةٍ   يُصدق واش أو يخيب سائل
تعد ذنوبي عند قوم كثيرة   ولا ذنب لي إلا العلى والفضائل

(١) التنوير ١٩٨ - م ب ٣٣٤

كأني إذا طلت الزمان وأهله ... رجعت وعندي للأنام طوائل

وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم ... بإخفاءِ شمس ضوؤها متكامل

يُهم الليالي بعض ما أنا مضمر ... ويُثقِل رضوى دون ما أنا حامل

وإني وإن كنت الأخير زمانه ... لآتٍ بما لم تستطعه الأوائل

وأغدو ولو أن الصباح صوارم ... وأسري ولو أن الظلام جحافل

واني جواد لم يحل لجامه ... ونصلٌ يمان أغفلته الصياقل

فإن كان في لبس الفتى شرف له ... فما السيف إلا غمده والحمائل

ولي منطق لم يرض لي كنه منزلي ... على أنني بين السماكين نازل

لدى موطن يشتاقه كل سيد ... ويقصر عن إدراكه المتناول

ولما رأيت الجهل في الناس فاشياً ... تجاهلت حتى ظُنَّ أني جاهل

فواعجباً كم يدعي الفضل ناقص ... ووا أسفاً كم يظهر النقص فاضل

وكيف تنام الطير في وكناتها ... وقد نصبت للفرقدين الحبائل

ينافس يومي فيَّ أمسي تشرفاً ... وتحسد أسحاري علي الأصائل

وطال اعترافي بالزمان وصرفه ... فلستُ أبالي من تغول الغوائل

فلو بان عنقي ما تأسف منكبي ... ولو مات زندي ما بكته الأنامل

إذا وصف الطائي بالبخل مادر ... وعيَّرَ قساً بالفهاهة باقل

وقال السهى للشمس أنت ضئيلة ... وقال الدجى للصبح لونك حائل

وطاولت الأرض السماءَ سفاهةً ... وفاخرت الشهب الحصى والجنادل

فيا موت زر ان الحياة ذميمةٌ ... ويا نفس جدي إن دهرك هازل

تم الاختيار من شعر أبي العلاء المعري وأخباره ويليه بعض المقاطيع الجيدة لشعراء لم أظفر من شعرهم إلا بقليل فأحببت ذكره هنا .

شعر

قرواش بن المقلد (١)

لله در الحادثات فإنها صدأ اللئام وصيقل الأحرار
ما كنت إلا زبرة فطبعنني سيفاً وأطلق طرقهن غراري

وله أيضاً :

من كان يحمد أو يذم مورثا للمال من آبائه وجدوده
فانا امرؤ لله أشكر وحده شكراً كثيراً جالبا لمزيده
لي أشقر ملء العيون مغاور يعطيك ما يرضيك من مجهوده
ومهند عضب إذا جردته خلت البروق تجول في تجريده
ومثقف لدن القناة كأنما أم المنايا ركبت في عوده
وبذا حويت المال إلا أنني سلطت جود يدي على تبديده

وله أيضاً :

وآلفة للطيب ليست تغبه منعمة الأطراف لينة اللمس
إذا ما دخان الند من جنبها علا على وجهها أبصرت غيماً على شمس

ويليه الاختيار من شعر ابن رشيق

(١ و ٢) ابن خلكان ١٣٢

شعر

ابن رشيق

قال يعتذر إلى بعض أصحابه وقد اتهمه أنه نال منه :

وقد كنت لا آتي إليك مخاتِلا   لديك ولا أثني عليك تصنعا
ولكن رأيت المدح فيك فريضة   علي إذا كان المديح تطوعا
ففهتُ بما لم يخف عنك مكانه   من القول حتى ضاق مما توسعا
فلا تتخالجك الظنون فإنها   مآثم واترك للصنائع موضعا
فلو غيرك الموسوم عندي بريبة   لاعطيت فيه مدعي القوم ما ادعى
فوالله ما طولت باللوم فيكم   لسانا ولا عرضت للذم مسمعا
ولكنني أكرمت نفسي أن تهن   واجللتها عن أن تذل وتخضعا
فباينت لا أن العداوة باينت   وقاطعتُ لا أن الوفاء تقطعا

ويليه الاختيار من شعر أبي الشياج مقاتل بن عطية

---

(١) المنتخب ١٣٩

شعر

أبي الهيـاج

قال يمدح الوزير مكرم بن علي الكرماني :

وورود ركايا الدمع تكفي الركائبا   وشم تراب الربع يشفي الترائبا
إذا شمت من برق العقيق عقيقةً   فلا تنتجع دون الجفون السحائبا

ومنها عند الخروج من المديح :

إلي ماجـد لم يقبل المجـد وارثا   ولكن سعى حتى حوى المجد كاسبا
تبسم ثغر الدهر عنه بصاحب   إذا جد لم يصحب سوى العزم صاحبا
تصيخ له الاسماع مادام قائلا   وتعنو له الأبصـار مادام كاتباً
ولم أر ليثاً خادراً مثل مكرم   ينافس في العليا ويعطي الرغائبا
ولو لم يكن ليناً مع الجود لم يكن   إذا صال بالأقلام صارت مخالبا
إذا زان قوماً بالمناقب واصف   ذكرت له وصفاً يزين المناقبا
له الشيم الشمّ التي لو تجسمت   لكانت لوجه الدهر عينا وحاجبا
ثـنى نحو شمطاء الوزارة طرفـه   فصارت بادنى لحظة منه كاعبا
تناول أولاهـا وما مـد ساعداً   واحرز اخراها وما قام واثبا

ويليه الاختيار من شعر يموت بن المزرع الشيباني .

شعر

يموت ابن المزرع الشيباني

قال يوصي ابنه مهلهلا :[١]

مهلهل قد حلبت شطور دهري — وكافحني بها الزمن العنوت

وحاربتُ الرجال بكل فج — فأذعن لي الحُثالة والرتوت

فأوجع ما أجن عليه صدري — كريم غتّهُ زمنٌ غَتوت

كفى حزناً بضيعةِ ذي قديم — وأبناءُ العبيد لها التخوت

وقد أسهرت عيني بعد غمضٍ — مخافة أن تضيع إذا فنيت

وفي لطف المهيمن لي عزاء — بمثلك ان فنيت وإن بقيت

فسر في الأرض وابغ بها علوماً — ولا تقطعك جائحة ثبوت

وإن بخل العليم عليك يوماً — فذلّ له وديدنك السكوت

وقل بالعلم كان أبي جواداً — يقال ومن أبوك فقل يموت

يُقرُّ لك الأباعدّ والأداني — بفضلٍ ليس يجحده البَهوت

فائدة نحوية :

قال أبو العلاء المعري : حدثني عبد السلام البصري ، قال : كنت في مجلس أبي سعيد السيرافي وبعض أصحابه نقرأ عليه « إصلاح المنطق » لابن السكيت فمر ببيت حميد بن ثور وهو :

---

(١) ابن خلكان ٤٥٥

ومطوية الأقراب أما نهارها فنصٌ وأما ليلها فذميل

فقال أبو سعيد : ومطوية أصله بالخفض ، ثم التفت الينا ، وقال : هذه واورب ، فقلت أطال الله بقاء القاضي إن قبلها ما يدل على الرفع فقال ، وما هو ؟ قلت :

أتاك بي الله الذي أنزل الهدى ونورٌ وإسلام عليك دليل

ومطوية الأقراب البيت ، فعاد فأصلحه بالرفع ، وكان ابنه محمد حاضراً ، فتغير وجهه ، وقام والغضب يستطير في شمائله ، وقصد دكانه ، وكان سماناً فباعه ، واشتغل بعلم النحو إلى أن برع فيه ، فعمل شرح إصلاح المنطق ، وأجاد فيه إلى الغاية ، ولقد رأيته ، وهو مشتغل بشرحه ، وبين يديه مائتا ديوان للعرب ينقل منها .

ويليه الاختيار من شعر السبط بن التعاويذي

شعر

السبط ابن التعاويذي [1]

حتام أرضى في هواك وتغضب وإلى متى تجني عليَّ وتعتب ؟

ما كان لي لولا ملالُك زلة لما مللت زعمت أني مذنب

---

(١) م ب ٣٨٤

خذ في افانين الصدود فان لي قلباً على العلاتِ لا يتقلب
أتظنني اضمرت بعدك سلوة هيهات عطفك من سلوي أقرب
لي فيك نار جوانح لا تنطفي حزنا وماء مدامع لا تنضب
أنسيت أياماً لنا ولياليا للهو فيها والبطالة ملعب
أيام لا الواشي يعدُّ ضلالةً ولهى عليك ولا العذول يؤنب
قد كنت تنصفني المودة راكباً في الحب من اخطاره ما اركب
واليوم أقنع أن يمر بمضجعي في النوم طيف خيالك المتأوب
ما خلت أن جديد أيام الصبا يبلى ولا ثوب الشبيبة يسلب
حتى انجلى ليل الغواية واهتدى ساري الدجى وانجاب ذاك الغيهب
قالت وريعت من بياض مفارقي ونحول جسمي بان منك الأطيب
ان تنقمي سقمي فخصرك ناحل أو تنكري شيبي فثغرك أشنب

وقال أيضاً يتوجع بصره، ويذكر جزع زوجته من ذلك :

وباكيةٍ لم تبك فقراً ولا رمى بجيرتها الأدنين نأيٌ مطوّح
رمتها يدُ الأقدار في ليث غابها بحادثِ خطبٍ والحوادث تفدح
رأت جللاً لا الصبر يجمل بالفتى على مثله يوماً ولا الحزن يقبح
فلا غرو أن تبكي الدماء لكاسب لها كان يسعى في البلاد ويكدح
عزيز عليها أن تراني جاثماً ومالي في الأرض البسيطة مسرح
وأن لا أقود العيس تنفخ في البُرى وجرد المذاكي في الأعنة تمرح
أظل حبيساً في قرارةِ منزلٍ رهين أسى أمسي عليه وأصبح
مقامي منه مظلم الجوِّ قاتم ومسعاي ضنك وهو صحان أفيح
أقاد به قود الجنيبة مسمحاً وما كنت لولا ماقضى الله أسمح
كأني ميت لا ضريح لجنبهِ وما كل ميت لا أبا لك يُضرح

وها أنا لا قلبي يُراعُ لفائتٍ فيأسى ولا يلهيه حظ فيفرح

فلله نصل فل مني غراره وعود شبابٍ عاد وهو مصوّح

وسقياً لأيام ركبت بها الهوى جموحاً ومثلي في هوى الغي يجمح

وماضي صبا قضيت منه لبانة خلاساً وعين الدهر زرقاء تلمح

ليالي عندي للغواني مكانة فالحاظها ترنو إليّ وتلمح

وليلى بها أضعاف مابي من الهوى أعرّض بالشكوى لها فتصرح

وله أيضاً يمدح يوسف بن أيوب صاحب الديار المصرية :

أهلا بطلعة غادة فضح الدجى بضيائها

سمح الزمان بوصلها فدنت على عُدَوائها

باتت تعاطيني المدا م وكنت من أكفائها

فسكِرت من ألحاظها وغنيت عن صهبائها

بيضاء قتلي دأبها في نأيها ونوائها

فإذا دنت بجفونها وإذا نأت بجفائها

لا تلتقي أبداً موا عدها بيوم وفائها

الشمس من ضراتها والبدر من رقبائها

والصبح فوق لثامها والليل تحت ردائها

مضرية تنمى إذا نسبت إلى حمرائها

بانت وأطراف الرماح تجول حول خبائها

فالموت دون فراقها والموت دون لقائها

ولقد مررت بربعها بعد النوى وفنائها

والعين في الاطلال سا كبة على أطلالها

فوقفت أنشد في مطا ... لعها بدور سمائها
وبكيت حتى كدت أء ... طف بانتي جرعائها
يا موحش العين التي ... أنست بطول بكائها
غادرت بين جوانحي ... نفساً تموت بدائها
تشتاق عيني أن ترا ... ك وأنت في سودائها
وإذ بخلت بنظرة ... سمحت بمجّة مائها
فكأنها كف الخليـ ... فة اسبلت بعطائها

وبعد هذا شرع في المديح وأجاد :

ويليه الاختيار من شعر الظافر بن القائم المعروف بالحداد .

شعر

الظافر بن القائم (الحداد)

فمن ذلك قوله وهو في غاية الرقة :

لو كان بالصبر الجميل ملاذه ... ما سحّ وابل دمعه ورذاذه[(١)]
ما زال جيش الحب يغزو قلبه ... حتى وهى وتقطعت أفلاذه
لم يبق منه مع الغرام بقية ... إلا رسيس يحتويه جُذاذه
من كان يرغب في السلامة فليكن ... أبداً من الحدق المراض عياذه
لا تخدعنك بالفتور فإنه ... نظر يضر بقلبك استلذاذه

---

(١) ابن خلكان وغيره .

يا أيها الرشأ الذي من طرفهِ سهم إلى حب القلوب نفاذه
در يلوح بفيك مَنْ نظّامُه خمر يجول عليه من نبّاذه ؟
وقناة ذاك القد كيف تقومت وسنان ذاك اللحظِ ما فولاذه؟
رفقاً بجسمك لايذوب فانني أخشى بأن يجفو عليه لاذه
هاروت يعجز عن مواقع سحره وهو الامام فمن ترى استاذه ؟
تالله ما علقت محاسنك امرءاً إلا وعز على الورى استنفاذه
اغريت حبك بالقلوب فأذعنت طوعاً وقد أودى بها استحواذه
مالي أتيت الحظ من أبوابه جهدي فدام نفوره ولِواذه
إياك من طمع المنى فعزيزه كذليله وغنيه شحاذه

ويليه الاختيار من شعر الحسن بن زيدان اليمني .

شعر

علي بن زيدان اليمني [١]

قال يمدح الفائز بن الظافر صاحب مصر ووزيره الصالح بن رزيك : [٢]

الحمد للعيس بعد العزم والهمم حمداً يقوم بما أولت من النعم
لا أجحدُ الحق عندي للركاب يدٌ تمنت اللجم فيها رتبة الخُطُم
قربن بُعد مزار العز من نظري حتى رأيت إمام العصر من أمم

---

(١) أقول : المشهور أن القصيدة لعمارة اليمني كما في ابن خلكان وغيره .

(٢) ابن خلكان وغيره .

ورحن من كعبةِ البطحاءِ والحرم وفداً إلى كعبةالمعروف والكرم

فهل درى البيت أني بعد فرقته ما سرت من حرم إلا إلى حرم

حيث الخلافة مضروب سرادقها بين النقيضين من عفو ومن نقم

وللامامة أنوارٌ مقدسة تجلو البغيضين من ظُلمٍ ومن ظلَم

وللنبوةِ آيات تنص لنا على الحقيقين من حُكم ومن حكم

وللمكارم أعلام تعلمنا مدحَ الجزيلين من بأس ومن كرم

وللعلى ألسن تثني محامدها على الحميدين من فعل ومن شيم

وراية الشرف البذاخ ترفعها يد الرفيعين من مجدٍ ومن همم

أقسمت بالفائز المعصوم معتقداً فوز النجاة واجر البرِّ في القسم

لقد حمى الدين والدنيا واهلها إمامنا الفائز الفراج للغُمم

اللابس الفخر لم تنسج غلائله إلا يد الصانعين السيف والقلم

وُجوده شرَّف الايام فافتخرت وَجودُه أعدم الشاكين للعدم

قد ملَّكته العوالي رق مملكة تعير أنف الثريا عزة الشمم

أرى مقاماً عزيز الشأنِ او همني في يقظتي انها من جملةِ الحلم

يوم من العمر لم يخطر على أملي ولا ترقت اليه رغبة الهمم

ليت الكواكب تدنو لي فانظمها عقود مدح فما أرضى لكم كلمي

ترى الوزارة فيه وهي باذلة عند الخلافة نصحاً غير متهم

عواطف علمتنا أن بينهما قرابة من جميل الرأي لا الرحم

خليفة ووزير مدَّ عدلهما ظلّا على مفرق الاسلام والامم

زيادة النيل نقص عند فيضهما فما عسى يتعاطى هاطل الديم؟

ويليه الاختيار من شعر ابن عمار المهري الاندلسي .

شعر

ابن عمار المهري الاندلسي (١)

قال يمدح المعتمد بن عباد من قصيدة مطلعها : (٢)

أدرِ الزجاجة فالنسيم قد انبرى والنجم قدصرف العيون عن السرى
والصبح قد أهدى لنا كافوره لما استرد الليل منا العنبرا

ومن مديحها :

ملك إذا ازدحم الملوك بمورد ونحاه لا يردون حتى يصدرا
أندى على الاكباد من قطر الندى والذّ للأجفان من سنة الكرى
قدّاح زند المجد لا ينفك من نار الوغى إلى إلا نار القِرى

وقال أيضاً يمدحه من قصيدة مطلعها : (٣)

عليَّ وإلاّ ما بكاءُ الغمائم وفيَّ وإلا فيم نوح الحمائم؟

ومنها في وصف وطنه :

ذكرت بها عهد الصِبا فكأنما قدحت بنار الشوق بين الحيازم
لياليَ لا ألوي على رشد لائم عناني ولا أثنيه عن غي هائم
أنال سهادي من عيون نواعس واجني عذابي من غصون نواعم

---

(١) قوبلت أشعار ابن عمار على ما وجد في ابن خلكان ، وبلاغة العرب في الاندلس ، واثار الادهار .

(٢) ابن خلكان ٧ وبلاغة العرب ١١٥

(٣) ابن خلكان ٧ وآثار الادهار ٣٥٠

وليل لنـا بالسد بين معاطف من النهر ينساب انسياب الاراقم

تمر علينـا ثم عنـا كأنهـا حواسد تمشي بيننا بالنمائم

بحيث اتخذنا الروض صار يزورنا هداياه في أيدي الرياح النواسم

وبتنا ولا واشٍ يحس كأنمـا حللنا محل السرّ من صدر كاتم

ومن مديحها :

ملوك مناخ العز في عرصاتهم ومثوى المعالي بين تلك المعالم

هم البيت ما غير الظبى لبنائه بأس ولا غير القنا بدعائم؟

إذا قصر الروع الخطى نهضت بهم طوال العوالي في طوال المعاصم

وايد أبت من ان تأوب ولم تفز بجز النواصي أو بجز الغلاصم

ندامى الوغى يجرون بالموت كاسها إذا رجعت أسيافهم بالجماجم

هناك القنا مجرورة عن حفائظ وثم الظبى مهزوزة عن عزائم

إذا ركبوا فانظره أول طاعن وإن نزلوا فارصده آخر طاعم

وهي طويله أجاد فيها .

وقال يهنيء المعتضد ببعض الفتوح وهو فتح قرمونة وكان القائد ابنه الظافر :

ألا للمعالي ما تُعيد وما تبدي ولله ما تخفيه عنـا وما تبدي

جنيتَ ثمار النصر طيبة الجنى ولا شجر غير المثقفة المُلد

وقلدت أجياد الربى رائق الحلى ولا دُرَرٌ غير المطهمة الجُرد

بكل فتى عاري الاشاجع لابس إلى غمرات الموت محكمة السرد

نجوم سماء الحرب ان يدج ليلها يدور بهم افواجها فلك السعد

خميس به تردي بنيك بمرهف حكاك كما قُدَّ الشراك من الجلد

ببدر ولكن من مطالعه الوغى وليث ولكن من براثنه الهندي

فتى ثقفٌ بين الحمائل مقدم جنى الموت في كفيه أحلى من الشهد

سقيت به ديناً عفاتك مخصباً فأجناك من روض الندى زهر الحمد

وجندته نحو الملوك محارباً فوافاك يقتاد الملوك من الجند

ورب ظلام سار فيه إلى العدى ولا نجم إلا ما تطلع من غمد

أطل على قرمونة متبلجاً مع الصبح حتى قيل كان على وعد

فيا حسن ذاك السيف في راحة الندى

ويابرد تلك النار في كبد المجد

لك الله أن كانت عداتك بعضها لبعض فكل منهم جميعاً إلى فرد

يهود او كانت بربراً فانقضى الظبى وأنبهم منها بألسنة لد

أقول وقد نادى ابن اسحاق قومه لأرضك يرتاد المنية من بعد

لقد سلكت نهج السبيل إلى الردى ظباءٌ دنت من غابة الاسد الورد

كأني ببادیس قد حط رحله

إلى الفرس الطاوي من الفرس النهد

إلى الفرس الجاري به طلق الردى سريعاً غنياً عن لجام وعن لبد

يحن إلى غرناطة فوق متنه كما حن مقصوص الجناح إلى الورد

وما الملك إلا حلية بك حسنها وإلا فما فضل السوار بلا زند

ولا عجب إن لم يدن لك مارق فليس جمال الشمس في الأعين الرمد

هنيئاً ببكر في الفتوح نكحتها وما قبضت غير المنية من نقد

تحلت من السيف الخضيب بصفحة وقامت من الرمح الطويل على قد

ودونكها من نسج فكري حلة مطرزة العطفين بالشكر والحمد

ألذّ من العذب القراح على الصدى وأطيب من وصل الهوى عقب الصد

وما هـذه الأشعار إلا مجامرٌ تضوّعُ فيها للندى قطـع الند
وكنت نثرتَ الفضل فيَّ وإنمـا نثرت سقيط الطل في ورق الود
وما أنا باغٍ من نداك بقدر مـا يُضاف لتأميلي ويعزى إلى ودي
فأقسم لو قسّـمت جودك بيننا على قدر التأميل فزت به وحدي
قنعت بما عندي من النعم الـتي يفسرها قولي قنعتُ بما عندي

وله يمدح المعتمد:

أفي كل يوم تحفـة وتفقـد بفضل نوالٍ واهتبال يؤكـد
تبرعت بالمعـروف قبل سؤاله وعدتَ بما أوليت والعود أحمد
أمـا وصنيـع زارني بجماله حـديث كما هب النسـيم المغرد
لقد هز أعطاف القوافي وهزني إلى شكر إحسان أغيبُ فيشهد
وإن أنا لم أشكرك صادقَ نيةٍ تقوم عليهـا آية النصـح تعضـد
فلا صح لي دين ولا برمذهب ولا كرمت نفسي ولا طاب مولد

ومر ابن عمار على أبي عيسى بن لبنون في بعض أسفاره وكان بينهما اتحاد ومودة أكيدة فلم يعج إلى فنائه فكتب إليه يعاتبه بقوله :

خُتمت بعصرك أعصر الأجواد وعنت لذكرك ألسنُ الوراد
وسبقتَ أمـلاك الزمـان عـلى مـدىً
ضـلوه حـتى كـنت أنت الهـادي
وغدوت أكثرهم حسوداً في العلى إن الكـريم طليبـة الحساد
وبدا بفضلك نقص كل معاند تتبـين الأشيـاء بالأضـداد
وقفت بمغناك العيون فلاحظت أسَدَ العرين به وبـدر النادي

وأَتتك وافـدة الرجال فقابلت ... أمل الحريص ونجعـة المرتاد
وصدرنَ قد حملن عنك عوارفاً ... أصبحن كالأطواق في الأَجياد
فضل أرانا جود حـاتم طيىءٍ ... وفخـار كعبٍ في قبيل اياد
ايهٍ أبا بـكر أتظـلم ساحـتي ... ظلما وصبح العدل عندك باد
عجباً لوعدك كيف تمسكه يد ... موصولة الأَفعـال بالأوعـاد
ولسيب جودك كيف لم تسمع به ... لصحيح ظني أو صحيح ودادي
إني لمعتقـد إخاءك موئـلي ... وأرى ولاءك معقـلي وسنادي
وأصول منك على الزمان بمنصِلٍ ... جعل الطُلى بدلا من الأغمـاد
فسقى محلك دانيـا أو نائيـا ... صوبُ الغمام المستهل الغـادي
ولئن رحلت لقد حللت بمنزل ... من نور عيني أو سواد فؤادي

فراجعه ابن عمار بقوله :

عطلتُ من حلي السروج جيادي ... وسلبتُ أعناق الرجال صعادي
وثنيتُ عزمي عن مسير هزني ... سعدي إليه وحثـني إسعادي
وسلبت من ثوب المروءة والنهى ... نفسي فخلت عن بـني عبـاد
إن لم أحلك من فؤادي منزلا ... ينبيك أنـك مالك لقيـادي
وأخص جانبك الرفيـع بخدمـةٍ ... تسقيك صفو أحبةٍ وأعادي
وأرد بذكرك من ثنائي روضـة ... غنـاءَ حاليـة بنَورِ ودادي
حتى تبين أن عرسك قد دنا ... لجنى وزرعك قـد أتى لحصـاد
ياسيدي وأنـا الذي ناديتـه ... لرضى وقلبي منـه خير منـاد
أعطاك فضل الابتداء ولو جرى ... حـكم لأنكر أن تـكون البادي
لله در عقيـلة أبرزتهـا ... من خدر فكرك في حلى الانشاد

فرعاء عاطرة الذوائب واللمى غيداء حالية الطلى والهادي
خلصت إليّ مع المساء فعارضت صلة الحبيب أتى بلا ميعاد
غض من النظم البديع أفادني حظ الكرام وخطة الأمجاد
وشيٌ سخت يداك الصناع برقمه فكسوتنيه مذهبا باياد
يعدي الصحيفه ناظري فبياضها ببياضه وسوادها بسوادي
أدى تحيتك الزكية طيبها كافور قرطاس ومسك مداد
ولقد تيمّن لو أعانت قدرة حسن الجزاء بها وهزّ النادي
لكن عجزت فما استقل بنشأتي ماء الفرات ولا ثرى بغداد
عذراً ففيك لكل طالب حجة خصم ألدُّ ووجه عذر باد
بك فاخر القلم القصير وطاول الرمح الطويل كتابة بطراد
ولك الفصاحة أو لسيفك كلما استمطيت متني منبر وجواد
ثنيت عليك حلى الوزارة مثلما حمل الحسام عليك ثني نجاد
وتتوّجت منك القيادة بالذي ترك الرياسة مهنة القواد
أنت الحلال الحلو رق طبيعة وصفا مزاجا كالسحاب الغادي
من معشر يتشرف اللاذوا بهم كتشرف الأيام بالأعياد
جلوا فحلوا في الأنام مكانةً كمكانة الآلاف في الأعداد
أفديك من حر تعبد برّهُ شكري وقل له الفدى والفادي
فلقد ظفرتُ من اقتبالك بالمنى وبلغت أقصى غايتي ومرادي
وأرحت من تعبي بعهدك في ندى ظل فبتُّ على وثير مهاد
وشددت منك يدي بعِلق مظنةٍ ونفضتها بزعانف انكاد
متعالين على الوفاء بعلّةٍ ضحك الطبيب لها مع العواد

جمحوا إلى ظلمي فسمت جماحهم ولقيت شدتهم بلين قياد

فاستبطنوا حقداً وبين جوانحي طبع يَسلُّ سخائم الاحقاد

ولكم دعيّ في الاخاء أعرته جذب ابن سفيان بضبع زياد

حتى إذا رفض الوفاء رفضته واعتضت عنه بطيّب الميلاد

لا ذنب لي في طرد سائمة الهوى منه على السرح الوبيل الصادي

أنا قد رضيتك فارضني وأعدّني إن كنت محتاجاً إلى الأعداد

اني لممن ان دعوت لنصرة يوماً بساطا حجة وجلَاد

ولئن بلغت إلى رضاي فربما الفيتني لرضاك بالمرصاد

وعلى تظاهرنا الضمان بقلة الأَعداء ثم بكثرة الحساد

وزعمت تظلم ساحة ما بيننا ظلما وصبح العذلِ عندي باد

كلا فما التسويف من شيمي ولا ليَّ الجميل بعادةٍ من عادي

لابد من ذاك السفار وإن عدت عنه الليالي إنهنّ عوادي

سفرٌ إن استبعدته فاستمطني حرصي أواجعل من ثنائك زادي

خذها نتيجة منكر لودادها برم لها قال لها متفاد

حذر من الود المخل وإنما أهدي الزيوف إلى يد النقاد

تم الاختيار من شعر ابن عمار ويليه الاختيار من شعر ابن خفاجة الاندلسي.

شعر

ابن خفاجة الاندلسي

ذكره صاحب الذخيرة ثم قال هو أبو اسحاق ابراهيم ابن أبي الفتح ابن عبد الله بن خفاجة الأندلسي الشاعر المشهور ولد سنة ٤٥٠ بالأندلس وتوفي بها سنة ٥٣٣ رحمه الله تعالى. قال يمدح أمير المسلمين، ويهنئه بتقليده كورة اشبيلية:

ارأيك أمضى أم حسامك يقطع ومرآك أبهى أم حديثك يسمع؟

وكل له في جانب الملك مسلك كريم ومن نفس الامارة موقع

لك الخير ما أهداك والسهم صائب يطيش وما أعداك والخيل تمزع

ولا غير أطراف الأسنة مقول يُبين ولا غير الفرائص مسمع

وما الوشي حسنا غير بيض محاسن لبستَ على عطفي علاك وتخلع

ولا النجم نأياً غير ذروة معقل تذود العدى عن جانبيه وتمنع

تفوت رجاء المرتجين وعوده ويدنو به سعد الأمير فيطمع

أحطت به حصر الاحاطة مضعفاً ترلزل من أركانهِ وتضعضع

وأمطرته غيثاً من الغيث واكفاً يظاهره وبل من النبل يهمع

تضم جناح الجيش حوليه ضمة تكاد بها أضلاعه تتقعقع

فكم ضربة فوهاء ثم ومقلة جرت هذه تدمي وهاتيك تدمع

ولا بأس إلا من سيوفك تُنتضى ولا سعد إلا من رماحك تُشرع

وهل أنت إلا رحمة الله تنكفي　　عذاباً على أهل المعاصي فتقمع

فكم حرز عز قد غشيت ببطشه　　تصمُّ العدى رجاتها حين تسمع

وغادرته من معقل وهو معقر　　لمعتقديه مصنعاً وهو مصرع

فانجز فيه موعد السيف فاتك　　يهون عليه الجانب المتمنع

وأهوى به طيب الحديث فنشره　　يخب به ركب الثناءِ ويوضع

إذا هز أعطاف المعالي حسبته　　يدير بها كأساً عليه تشعشع

وحسبك من فلج لأبيض واضحٍ　　يعيد ويبدي في المعالي فيبدع

ويارب جيش للعدو كأنه　　عباب خضم قد طمى يتدفع

عرضت له والليث دونك جرأة　　فأجفل إجفال النعامة يجزع

ولقيته ريح المهابة بارحا　　فاقلع إقلاع الغمامة تقشع

وأدبر لايلوي على مُتعذر　　حذار فتى يسري إليه فيسرع

وقد جال دمع القطر في مقلة الدجى

ولفت نواصي الخيل نكباء زعزع

له من صدور الأعوجية والقنا　　شفيع إلى نيل الأماني مشفع

وظفره في ملتقى الخيل ساعدٌ　　الفٌّ وقلبٌ بين جنبيه أصمع

وأبيضُ يتلو سورة الفتح يُنتضى　　ويستقبل الفرق الكريم فيركع

ومنجرد ضخم الجزارة أوحد　　يطير به تحت العجاجة أربع

وحصداء تزري بالسنان حصينة　　ووجه وقاح بالحديد مقنع

رتعت على حكم السماح بربعه　　ومربع أبناء السماحة مرتع

وعجت عليه عوجة الصب شاقه　　بريق ترأى آخر الليل يلمع

ولم أرد الأوشال أنقع غلةً　　ويمنى أبي أسحاق للبحر منبع

وهضبته أحمى جنابا لخائف وأبطحه أندى مراداً وأمرع
فمن مثل ابراهيم والصبح أبلج ومن مثل ابراهيم والحق أصدع؟
إمام تدانى رأفةً وسما به إلى المجد بيت طاول النجم أروع
تجلى ومن بطحاء مكة حنَّة إليه وللبيت الحرام تطلع
ترى لقريش فيه برق مخيلةٍ يلوح وعرق للخلافة ينزع
أما وأياد أنطقتني بحمده وقد طوقتني والحمامة تسجع
لئن هز من أرجاء حمصٍ مسرة حديثٌ بملقاه اليها يرجع
لقد ناب منا والخطوب ممضة وشيك نواه والحوادث ترجع
وفارقني صبري لذكرى فراقه وشافهني قبل الوداع تودع
و كنت جماد العين أجهل ما البكا فعلمني داعي النوى كيف تدمع
فاستودع الله الأمير ومهجة أشيعها فيمن هناك أشيع
وَهُنِّئتها من دار ملك وهنئت به ملكاً والله يعطي ويمنع

و له أيضاً يمدحه :

قل لمسرى الريح من إضم وليالينا بذي سَلَمِ
طال ليلي في هوى قمرٍ نام عن ليلي ولم أنم
وأبي حياه من رشأ مستطاب اللثم والشيم
وتساوى ما بنظرته وبجسمي فيه من سقم
لا مسحت الجفن من سهر ووقيت القلب من ألم
ولئن راودت من سنة لبما أرتاد من حُلم
وخيال لو سرى لخبا ما بصدر الصب من ضرم
فسقى الله مضاجعنا بين طلح الجزع والسلم
وبكى باكي الغمام به بين منهل ومنسجم

فلكم شكوى هناك لنا ولكم نجوى بها وكم
والتثام بين معتنق واعتناق بين ملتثم
بكلام رق جانبه بين منثور ومنتظم
فتعاقدنا يداً بيد وتعاهدنا فماً لفم
وانتصفنا من مظالمنا وأخذنا أخذ محتكم
وانثنى يمشي بها غصن من جناه نور مبتسم
وقبلت الكأس من يده فاجتنينا الورد من عنم
وسواء در منطقه وحلاه حسن منتظم
صُم سّمعي فيه عن عذل وابن ستين أخو صمم
فأراني لا أرى صدداً عن ولوع والغرام عمي
أين ماعاينت من شغف أين ما قضيت من لمم؟
أين ما أحرزت من أمل آل يطويني على ألم؟
هل لدي اليوم منه سوى طول قرع السن من ندم؟
كل ريان إلى ظمأ كل وُجدان إلى عدم
أي شمل غير منصدع أي حبل غير منصرم؟
آهِ تحت الليل من أرق ووراء البرء من سقم
مال بي عن عيشة كرمت عمرٌ أدنى إلى الهرم
عاث في خط العذار بهِ شرر قد طار في فحم
وبياض العيس مقترن بسواد العذرِ واللمم
وكفاني مسُّ فاقتهِ ان يذيع الدهر مهتضمي
لا لعمر المجد والكرم ومضاء السيف والقلم

قسماً براً ويشفعه … قسم أرعاه من قسم

لا ينال الدهر من جهتي … وبابراهيم معتصمي

الامام المستقل به … ركن بيت الفضل والكرم

والشهاب المستضاء به … في دياجي الظلم والظلَم

مل ٔ نفس الدهر من شرف … قد رسا طوداً على القِدم

وسماح باسط يده … باليد الطولى من النعم

من قريش في الصميم ومن … فتية الهيجاءِ في القمم

حملت زهو الكلام له … دولة قامت على قدم

نهضت في كل معضلة … بوجود السعد في الخدم

واهتدت في كلِّ مجهلة … بأبي إسحاق من علم

يا له من فارس نجد … لو نضى عن صارم خذم

وارتدى منه على غضب … بحسام غير منثلم

نضيت يوماً به ظبتا … مشرفي ليس بالقصِم

كم مضى يفري وكم سفكت … شفرتاه من عبيط دم

والحسام المشرفي هنا … رمزة تومي إلى الحشم

ورجال قادة نجب … نزلوا عن رتبة البُهم

وأحلوا من مراكزهم … واستطارت خيلهم بهم

فتفرى الجيش عن ملك … سافر عن وجه ملتثم

مقدم في الروع مجترىء … ضارب بالسيف مقتحم

وبهم ما جر ذلك من … كلم عار أو جنى كلم

لا تقدم غير مضطهدٍ … وقريع غير مهتضم

صابر في الله محتسب واثق بالله معتصم

في ضمان المشرفي بهِ وقعة للعرب في العجم

فتكة في الروم قاصمة ظهر عز الروم والصنم

يجمع الضرب التؤام بها بين فلّ الروم والرمم

حق حمص أن تسر به أرضها من عالم عَلِم

وغمام دون ريّقه برق بشر غير متهم

ما ابتدى إلا رأيت به شيخ رأي في فتى كرم

ظلّ يندى وجهه خفراً وهو ذاكي شعلة الفهم

سخرت بالنجم همتهُ وازدرت يمناهُ بالديم

أعصمت نفس امرئ علقت

منه بالوثقى من العِصَم

واستجارت من مخيّمِهِ بفناءِ البيت والحرم

ومن قوله :

تخيرتهُ من رهط أعوج سابحا أغر كريم الوالدين نجيبا

خفيفاً ولم يحلم بسوط كأنما يفوت عدواً أو يؤم حبيبا

سرى وانتمى برق بذي الأثل ليلة

فبات بها هذا لذاك نسيبا

وحن إلى سفر فطار إلى السرى يخوض خليجاً أو يجوب كثيبا

يؤم بها أرضاً عليّ كريمة ومرتبعا فيها إليّ حبيبا

ورب نسيم مَرّبي وهو عاطر رقيق الحواشي لايحس دبيبا

وجدت به من ذلك الماء بلة ومن نور هاتيك الاباطح طيبا

فصافحت ريعان النسيم تشوقا   اليها ولازمت القضيب رطيبا
وقد قلد النوار جيداً لربوةٍ   هناك ونحراً للفضاء رحيبا
وأفصحت الورقاء في كل تلعةٍ   نشيداً وقد رق النسيم نسيبا
وكان على عهد الشباب تغنيا   يشوق أخا وجدٍ فعاد نحيبا
دعا لغروب الدمع والدار غربة
فلم أر إلا داعياً ومجيبا

وله أيضاً :

سقياً ليوم قد أنختُ بسرحةٍ   ريا تلاعبها الشمال فتلعب
سكرى يغنيها الحمام فتنثني   طربا ويسقيها الغمام فتشرب
يلهو فترفع الشبيبة راية   فيه ويطلع للبهارةِ كوكب
والروض وجه ازهر والظل فر   ع أسود والماءُ ثغر أشنب
في حيث أطربنا الحمام عشية   فشدا يغنينا الحمام المطرب
واهتز عطف الغصنِ من طرب بنا
وافتر عن ثغر الهلال المغرب
فكأنه والحسن مقترن به   طوق على بُرد الغمامة مذهب
في فتية تسري فينصدع الدجى   عنها وتنزل بالجديب فيخصب
كرموا فلا غيث السماحةِ مخلف   يوماً ولا برق اللطافةِ خلَّب
من كل ازهر للنعيم بوجهه   ماء يرقرقه الشباب فيسكب

وقال مجيباً عن شعر ورد عليه من بعض أصحابه :

أطِرسُك أم ثغر تبسم واضح   ولفظك أم روض تنفس نافح؟
لَواني َ ليَّ الخيزرانةِ هزةً   وتهفو باعطاف الكرام المدائح

كلام يرف النور من جنباته ... وتندى به تحت الهجير الجوانح

تُنـصلُ يوم الروع سمر القنا به ... وتطبع منه للجلادِ الصفائح

يشف سواد النفس عنه كما سرى ... وراءَ الدجى برق تطلّع لامح

وإني لظمــآن اليـه عـلاقـة ... وها أنا في بحر البلاغةِ سابح

بعثت به يندى كما جاد عارض ... ويطربني طوراً كما حن صادح

تلوح به في دهمةِ الحبرِ غرة ... ويركض في شوط الفصاحة سائح

فان أنا لم أشكرك والدار غربة ... فلا جادني غادٍ من المزنِ رائح

ولا استشرفتْ يوماً إليّ به الربى ... جلالاً ولا هشت إليّ الأباطح

ومن قوله (١)

أبى البرق إلا أن يحنّ فؤادُ ... ويكحل اجفان المحب سهادُ

فبتُّ ولي من قانئِ الدمع قهوة ... تدار ومن إحدى يديّ وِساد

تنوح لي الورقاء وهي خلية ... وينهل دمع المزن وهو جماد

وقد كان في خديّ للدهم ملعب ... فقد صار فيه الورادِ طراد

وليل كما مد الغراب جناحهُ ... وسال على وجه السجل مِدادُ

به من وميض البرق والليل فحمة ... شرارٌ ترامى والغمام زناد

سريتُ به أحييه لاحيةُ السرى ... تموت ولا ميت الصباح يعاد

يقلب مني العزم إنسان مقلة ... لها الافق جفن والظلام سواد

بخرق لقلب البرق خفقة روعة ... به وجفن النجم فيه سهاد

(١) قوبلت على بلاغة العرب ١٩٧

سحيق ولا غير الرياح ركائب　　هنـاك ولا غير الغـمام مزاد

كأني وأحشاء البـلادِ تجنني　　سريرة حب والظلام فؤاد

أجوب جيوبَ البيدِ والصبح صـارم

لـه الليل غمـد والنجومُ نجـاد

وفي مصطلى الآفاق جمر كواكب

عـلاهـا من الفجرِ المطلِّ رمـاد

ولما تفرى من دجى الليل طحلب　　وأعرض من ماء الصباح ثماد

حننت وقد ناح الحمام صبابة　　وشقَّ من الليل البهيمِ حداد

على حين شطت بالاحبـة نية　　وحالت فيـاف بيننا وبلاد

عشية لا مثل الجـواد ذخيرة　　ولا مثل رقراق الحديد عـتاد

إذا زار خطب خفرتني ثـلاثة　　سنان وعضب صـارم وجواد

فبت ولا غير الحسـام مضاجع　　ولا غير ظهر الاعوجي مهـاد

معـانق خل لا يُخـِل وإنما　　مكان ذراعيـهِ عليَّ نجـاد

وله يمدح أبا إسحاق ابراهيم من ملوك الاندلس ويهنئه بالعيد :

سجعت وقد غنى الحمام فرجّعـا　　وما كنت لولا أن يغني لأسجعا[1]

وأندب عهداً بالمشقرِ سالِفاً　　وظل غمام للصِـبا قد تقشعـا

ولم أدر ما ابكي أرسم شبيبة　　عفا أم مصيفاً من سليمى ومربعا

وأوجع توديع الاحبة فرقـة　　شباب على رغم الاحبة ودعا

وما كان أشهى ذلك الليل مرقدا　　واندى محيا ذلك الصبح مطلعا

---

(١) قوبل بعض هذه القصيدة على «آثار الادهار» ص ٢٠٣

وأقصر ذاك العهد يوماً وليلة   وأطيب ذاك العيش ظلاً ومكرعا
زمان تقضى غير عهد محاسن   تسوم صفات القلب أن تتصدعا
ومن لي برد الريح من أبرق الحمى
وريا الخزامى من اجارع لعلعا
وقد فات ذاك العهد إلا تذكراً   لواني على ظهر المطي توجعا
وكنت جليد القلب والشمل جامع   فما انفض حتى فاض فارفض أدمعا
وَبلَّت نجادي عبرة مستهلة   اكفكف منها بالبنان تصنعا
واني وعيني بالظلام كحيلة   لآبي لجنبي أن يلائم مضجعا
وأكبر شأناً أن أرى الصبح أبيضا   بعين ترى ربع الشبيبة بلقعا
كأني لم أذهب مع اللهو ليلة   ولم أتعاطَ البابلي المشعشعا
ولم اتحامل بين ظل بسرحة   وسجع لغرّيد وماء باجرعا
ولم أرم آمالي بازرق صائب   وأبيض بسام وأسمر أصلعا
وأبلق خوار العنان مطهم   طويل الشوى والساق أقود أتلعا
جرى فجرى البرق اليماني عشية   فابطأ عنه البرق عجزاً وأسرعا
كأن سحاباً أسحماً تحت لبده   يضاحك عن بدر سرى فتصدعا
وحسب الاعادي منه أن يزجروا به   مغيراً غراباً صبَّح الحي أبقعا
كأن على عطفيه من خلع السرى   قميص ظلام بالصباح ترقعا
ركضت به بحراً تدفق مائجاً   وأقبلت أم الرأل نكباء زعزعا
يؤلل من إذنٍ فاذن تشوفاً   إلى صرخة من هاتف أو تطلعا
كأن له من عامل الرمح هاديا   منيفاً ومن ذلق الاسنة مسمعا
فسكنتُ منه بالتغني على السرى   أمسّحُ من اعطافه فتسمعا

ولما انتحى ذكر الأمير استخفه ⠀⠀ فخفَّض من لحن الصهيل ورفعا
حنينا إلى الملك الاغر مردداً ⠀⠀ وشجوا على المسرى القصي مرجعا
ففي حب ابراهيم أعرب صاهلاً ⠀⠀ وفي نصر ابراهيم كر تشيعا
مليك تباهي الحمد وشياً مذهباً ⠀⠀ به وترأى المجد تاجا مرصعا
غشيت به أندى من المزن راحة ⠀⠀ وأطيب افياء وامرع مربعا
وأعدى نداه الغيث فانهل واكفاً ⠀⠀ وحسبك من سقياه أن سجامعا
فرب حديث عن علاه سمعته ⠀⠀ وما طائر البشرى باحسن مسمعا
فيا شائمي برقاً بتوضح موهناً ⠀⠀ وقعقع إرعاداً سحيراً فاطمعا
إذا كف من قطريكما عارض الندى ⠀⠀ وراقكما برق البشاشة فارتعا
فان أبا إسحاق أخصب تلعة ⠀⠀ وأشهى ندى ظل وأعذب مكرعا
وحسبكما أن قد تأسى به الحيا ⠀⠀ فعاود من رحماه ما كان اقلعا
وعز الهدى منه بأمجد أوحد ⠀⠀ طويل نجاد السيف ابلج أروعا
أحل به العود السليب سماحة ⠀⠀ وأحرم مطرور الظبا لاتورّعا
إذا دبَّ أخفى من خيال مكيدة ⠀⠀ تصوّبَ أسرى من شهاب واطلعا
وما السيف من كف الكمي مجرداً ⠀⠀ بأسطى وراء النقع منه واسطعا
دعا باسمه داعي الحفيظة والندى ⠀⠀ فلبى على شرخ الشباب واهطعا
وهبَّ كما هب الحسام شهامة ⠀⠀ وعبَّ كما عب الخضم تبرعا
وجربه ذيل الخميس ابن غابة ⠀⠀ تردى غلاما بالعلى وتلفعا
وداس العدى ركضا وأجرى إلى الوغى ⠀⠀ باطوع من يمناه فعلا وأطبعا

فلم يدر أياً منهما النصل منطقا　　فصيحاً وإفرنداً كريماً ومقطعا

وخفض من صيت الأبيّ وصوته　　وزلزل من ركن العصي وضعضعا

والقت اليه بالمقادة قادة　　تطامن من أعناقها ما ترفعا

وذلل من أخلاقه كل ريض　　وأصبح خوارُ الشكيمة طيعا

فمن مبلغ الأيام عني أنني　　تبوأت منه حيث شئت تمتعا

وطرت ثناءً واطلعت ثنيةً　　فاشرفت أبضاعاً وأشرفت موضعا

فهنيت عيداً قد تلقاك قادما　　ولم يك لولا أن طلعت ليطلعا

وحسبك جد قد أظلك قادِما　　فما هو إلا أن تقول فيسمعا

وحياك من فرع لأشرف دوحة　　نسيم كأرواح العذارى تضوعا

يلاعب من خوط الاراكة معطفاً　　ويمسح من مسرى الغمامة مدمعا

وبما تصرف فيه من الغزل إلى الرثاء قوله :

أفي ما تؤدي الريح عرف سلام　　ومما يشب البرق نار غرام؟

وإلا فماذا أرّج الريح سحرةً　　وأذكى على الأحشاء لفح ضرام؟

أما وجمان من حديث علاقة　　يهز إليه الشيخ عطف غلام

تحلت به ما بين سلمى ومربع　　سوالف أيام سلفن كرام

لقد هزني في ريطة الشيب هزة　　أرتني ورائي في الشباب أمامي

فلولا دفاع الله عجت مع الهوى　　وجلت ُبواديه أجرُّ خطامي

ورب ليال بالغميم أرقتها　　لمرضى جفون بالفرات نيام

يطول عليّ الليل يا أم مالك　　وكل ليالي الصب ليل تمام

ولم أدر ما أشجى وأدعى إلى الهوى　　أخفقة برق أم غناء حمام؟

إذا ما استخفتني لها أريحية　　عثرت بذيلي لوعة وظلام

وخضخضت دون الحي احشاء ليلة
يخفرني فيها وميض غمام

فقضيتها ما بين رشفة لوعة
وأنة شكوى واعتناق غرام

وأحسن ما التفت عليه دجنةٌ
عناق حبيب عن عناق حسام

فليت نسيم الريح رقرق أدمعي
خلال ديار باللوى وخيام

وعاج على أجراع واد بذي الغضى
فصافح عني فرع كل بشام

مسحت له عن ناظري صبابة
وأقلل بدمعي من قضاء ذمام

فيا عرف ريح عاج عن بطن لعلع
يجر على الأنداءِ فضل زمام

بما بيننا بالحقف من رمل عالج
وفي ملتقى الأرطى بسفح شمام

تلذذْ بدار القصف عني ساعة
وأبلغْ نداماها أعم سلام

وقل لغمام ألحف الأرض ذيله
فلف فجاجاً تحته باكام

أمالك من ظل يبل أوامي ؟
أمالك من ظل يبرد مضجعي

وأي ندى أو برد ظل لمزنةٍ
على عقْب أتراب رزئن كرام ؟

وقفت وقوف الشك بين قبورهم
أعظمها من أعظم ورجام

وأندب أشجى رنةٍ من حمامة
وأبكي وأقضي من ذمام رمام

قضوا بين واد للسماح ومشرع
وغارب عز في العلى وسنام

ومنتصب كالرمح هزة عزة
وفتكة بأس واستواء قوام

ومنصلت كالسيف نصرة صاحب
وضحكة بشر واعتزاز مقام

ومنتقل مستقبل كعبة العلى
يصلي بأهليها صلاة زؤام

تهل له من عفة في طلاقة كأن ببرديه هلال صيام
وما ضره أن يستتر لعاتم إذا ما بدا في آخر بتمام

تم الاختيار من شعر ابن خفاجة الأندلسي ويليه الاختيار من شعر بديع الزمان الهمذاني

شعر

بديع الزمان الهمذاني (١)

قال طابع ديوانه محمد شكري المكي : هو الاستاذ فخر همذان بديع الزمان أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني المتوفي سنة ٣٩٨ وقد أربى على ٤٠ سنة وله ديوان شعر هو « ديوان الأدب » يحق أن تفخر به العجم على العرب ، يزري بعقود الجمان ، وقلائد العقيان ، فمنه قوله في أبي بكر الخوارزمي :

برق الربيع لنا برونق مائه فانظر لروعة أرضه وسمائه
فالترب بين ممسَّك ومعنبرٍ من نوره بل مائِهِ وروائه
والماء بين مصندل ومكفر من حسن كدرتهِ ولونِ صفائه
والطير مثل المحسنات صوادحا مثل المغني شادياً بغنائه
والورد ليس بمسك رياه بل يهدي لنا نفحاته من مائه

---

(١) قوبل شعر بديع الزمان على ماوجد منه في اليتيمة .

زمن الربيع جلبت أزكى متجر وجلوت للرائينَ خير جلائه

فكأنه هذا الرئيس إذا بدا في خلقِهِ وصفائه وعطائه

يعشو اليه المجتدي والمجتني والمجتوي هو هارب بذمائه

ما البحر في تزخاره والغيث في أمطارهِ والجودُ في أنوائه

بأجلَّ منه مواهباً ورغائباً لازال هذا المجد حول فنائه

والسادة الباقون سادة عصره متمدحين بمدحه وثنائه

وقال يمدح صاحب الجيش أبا علي .

عليَّ أن لا أريح العيس والقتبا والبس البيد والظلماء واليلبا [1]

وأترك الخود معسولا مقبّلها وأهجر الكأس تغذو شربها طربا

حسبي الفلا مجلسا والبوم مطربة والسير يسكرني من مسه تعبا

وطفلة كقضيب البان منعطفاً إذا مشت وهلال الشهر منتقبا

تظل تنثر من أجفانها درراً دوني وتنظم من أسنانها حببا

قالت وقد علقت ذيلي تودعني والوجد يخنقها بالدمع منسكبا

لادر در المعالي لا يزال لهـا برق يشوقك لا هوناً ولا كثبا

يامشرعا للندى عذبـاً موارده بيناه مبتسم الأرجاء إذ نضبا

أطلعت لي قمراً سعداً مطالعه حتى إذا قلت يجلو ظلمتي غربا

كنت الشبيبة أبهى ما دجت درجت

وكنت كالورد أزكى ما أتى ذهبا

أستودع الله عيناً تنتحي دفعاً حتى تؤوب وقلباً يرتمي لهبا

---

(١) التيمية ٢٩٢ ، ٢٩٣

وظاعناً أخذت منه النوى وطراً   من قبل أن أخذت منه المنى أربا
فقلت ردي قناع الصبر إن لنا   إليك أوبة مشتاق ومنقلبا
أبى المقام بدار الذلِّ لي كرم   وهمة تصل التوخيد والخببا
وعزمة لا تزال الدهر ضاربة   دون الأمير وفوق المشتري طنبا
ياسيد الأُمراء افخر فما ملك   إلا تمناك مولى واشتهاك أبا
إذا دعتك المعالي عرف هامتها   لم ترض كسرى ولا من قبله ذنبا
أين الذين أعدوا المال من ملك   يرى الذخيرة ما أعطى وما وهبا
ما السيف محتطماً والسيل مرتكماً   والبحر ملتطماً والبحر مقتربا
أمضى شباً منك أدهى منك صاعقة   أجدى يميناً وأدنى منك مطَّلبا
وكاد يحكيك صوب الغيث منسكباً   لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت
والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا
يامن يراه ملوك الأرض فوقهم   كما يرون على ابراجها الشهبا
لا تكذبنَّ فخير القول أصدقه   ولا تهابنْ في أمثالها العربا
فما السموأل عهداً والخليل قرىً   ولا ابن سعدى ندى والشنفرى غلبا
من الأمير بمعشار إذا اقتسموا   مآثر المجد فيما أسلفوا نهبا
ولا ابن حجر ولا الذبيان يعشرني   والمازني ولا القيسي منتدبا
هذا لركبته هذا لرهبته   هذا لرغبته هذا إذا طربا

وقال يمدح ابراهيم بن أحمد :

سقى الله نجداً كلما ذكروا نجدا   وقلَّ لنجد أن أهيم به وجدا

طربت وهاجتني شمالٌ بليلةٌ   وجدتُ لمسراها على كبدي بردا
ويا حبذا نجداً وبرد أصيله   وعيشا تركناه بساحتهِ رغدا
ليالِيَ شملي بالأحبة جامع   وإذ غصني الريان لا يسع الجلدا
لعمر ظباءٍ بالعقيق أو انس   لقد صدن مني باللوى أسداً وردا
ولو لم يساقطنَ الحديث كأنما   يشعشعن بالخمر المعتقة الشهدا
منعت فؤادي أن يباح له حمى   وصنتُ دموعي أن أفض لها عقدا
وعزم إذا خيمتُ سافر وحده   شققت به الليل عن منكبي بردا
فطمتُ عليه العزم قبل رضاعه   إليه وأعلمت المسومة الجردا
ولا غور إلا شممت له يداً   ولا خطر إلا قدحت له زندا
ولا قفرة إلا وأمسيتُ صلها   ولا حضر إلا وظلتُ له وفدا
كحلت بهمي عين كلِّ كريهة   إليها تخطيت الأساود والأسدا
بهمة مستحل من المجد مرّه   وعزمة مستدن من الشرف البعدا
وطئت بها بسط الملوك مبجلاً   وما وصلت لي منهمُ رحمٌ عهدا
وأصبحت للباب المحبب والجا   ويوسع غيري إن يمر به طردا
ولست بهياب إذا لم تطل يد   موكلة والواخدات بنا وخدا
غدا الدهر مني حاليا بمفاخرٍ   ورحت كنصل السيف يحملني فردا
وقد علم الأقوام أن شريعتي   من المجد لم تسهل على أحد وردا
ولست فتى إن شمت برق سحابة   لغير كريم أو سمعت لها رعدا
متى أتت الشيخ الجليل مطيتي   فقدت يدي أن لم أقدَّ لها جلدا ؟
ترَ ملكا يعطي الجزيل إذا صحا   ويضرب هامات الملوك إذا شدّا
يحكّم إلا في محارمه الندى   ويعمل إلا في مكارمه القصدا

ألم ترني قيدتُ في طوس عزمتي ولولاه ما كانت على كبدي تندى

وكنت امرءاً لا أرتضي المجد خادماً

ذهاباً بنفسي فاتّسمتُ له عبدا

قصدناك لا أن الضلال أجارنا ولكننا جرنا لنلقاكم عمدا

فلا أملي أعيى ولا صارمي نبا ولا منزعي أشوى ولا مطلبي أكدى

فلو كنت غيثاً لم يُشم برق خلبٍ ولو كنت بحراً لم يزل أبداً مدا

أمل ءفمي فخراً وسع يدي ندى وحسب المنا مناوقدر الجدا اجد؟

أعرني يدا تهمي دنانير في الندى كما تنثر الأغصان يوم الصّبا وردا

أعرك ثناءً لا تغبُّ وفوده كما تنشر الأمطار فوق الربى بَردا

وألبسك مدحاً لا يعاد فريده كما ينفخ الند الزكي إذا ندّا

تعيد المساعي غضة بعد يبسها وشيب المعاني بعد كبرتها مردا

هلمَّ العطايا فاللهى تفتح اللها وسح الندى يستنجز الخاطر الوعدا

جلبت إليك المدح مغلى بسومه أرغبة مبتاع بمدحي أم زهدا

اشم بمدحي كفاً بها تبتني العلى ولا تعدني رأيا به تعمر المجدا

فما العمر إلا ما اقتنى لك ذكره بمنشب ظفر ما بقيتَ لها سدا

وقال يمدح الشيخ أبا نصر بن أبي زيد :

ياشيخ أي رِفاق السيرِ مسبوقُ أأنت أم أنا أم عزمي أم النوق؟

آثرتكُنَّ ولولا المجد آثرني كأسٌ وكنٌّ وندمانٌ ومعشوق

وفارسيٌّ كوجه الفيلِ مضطرِب

ينحى عليه رشيق القدِّ ممشوق

وفتيةٌ كنجوم الليل مسعِدة كلٌّ إذا لاح سامي الطرف مرموق

في فاغم النور موشيّ جوانبهُ كأنه من خصال الشيخ مسروق

واهاً الشوس القوافي كيف أبدلها وكل واحدةٍ منهن عيُّوق

لا لا أزفُّك إلا كفء مكرمةٍ ولا أبيعك حتى ينفق السوق

شمّي يمين وزير المشرقين غدا فإنه بنسيم النجم مخفوق

شمي يداً لمعالي فوق كل يد وتحت كل فم أنيابه روق

قالت أما دون بلخ للمنى غرض أدنى ودون وزير الشرق مخلوق؟

بلى بلاد وأقوام وأهل غنى بي عنهم وبهم عن همتي ضيق

كم رائع الجسم إلا أنه طلل وهائل الصوتِ إلا أنه بوق

إني امرؤ في مقام الفخر يحرمني عطاء غيرك أني منك مرزوق

بما جمعت تفاريق الكمال غداً بين الملوك وبيني منك وفاروق

فإن مددت يدي يوماً فلا رجعت لغيركم أبداً ما حنت النوق

مجداً أروض على مكروهه خلقي إن الرياضة للأخلاق راووق

اقر السلام وزير الشرق في سحر نسيمه بذكي المسك مفتوق

وأنت يانومة الفجر ابتغي نفقاً إن القرار ولما ألقه موق

وانعم صباحاً وزير المشرقين ولا يفتك في أمل عزم وتوفيق

فضل المزية إن المكرمات له مجموعة وهي في الدنيا تفاريق

ومطفل من بنات الزنج يخدمها من آلةٍ طبعتها الهند ابريق

طاعت ليمناك واسطاعت رياضتها

فشأنها الدهر ترقيع وتمزيق

اذا دجاليل خطب اطلعت شمعاً يجلو الدجى بدمي فيها تراويق

شمع يداك له شمع حجاك له　　دمع سجيته جمع وتفريق

كأن يمناك بحر وهي زورقه　　أليس من آلة البحر الزواريق

ووابل صعدته الريح لحت له　　والبحر فرغ له والدلو انبيق

فارتد منك على أعتابه خجلا　　ولم تفض دمعه تلك الحماليق

واينق كقسي النبع ليس لها　　إلا الحقائب حملا والصناديق

أخذن منك مواثيقاً مغلظة　　إن الكرام سجاياهم مواثيق

وقال يمدح الأمير خلف بن أحمد

سماء الدجى ما هذه الحدق النجلُ

أصدر الدجى حالٍ وجيد الضحى عطل ؟ [1]

لك الله من عزم أجوب جيوبهُ　　كأني في أجفان عين الدجى كحل

كأن الدجى نقعٌ وفي الجوحومة　　كواكبها جند طوائرها رسل

كأن مطايانا سماء كأننا　　نجوم على اقتابها برجها الرحل

كأن القرى سكرى ولا سكر بالقرى

كأن الربى ثكلى وما بالربى ثكل

كأن السرى ساقٍ كأن الكرى طُلا

كأنا لها شرب كأن المنى نقل

كأن الفلا ناد به الجنُّ فتيةٌ　　عليه الثرى فرش حشيته الرمل

كأن الربى كوم كأن هزالها　　لكثرة ما يغتالها الخف والنعل

كأن الذي تنفي الحوافر في الثرى　　خطوطٌ مسامير النعال لها شكل

---

(١) في مقابلة على ماورد في اليتيمة ٢٠٠

كأنا جياع والمطي لنا فم كأن الفلا زاد كأن السرى أكل

كأن بصدر العيس حقداً على الثرى فمن يدها خبط ومن رجلها نكل

كأن ينابيع الثرى ثدي مرضع وفي حجرها مني ومن ناقتي طفل

كأنا على أرجوحة من مسيرنا لغور بها نهوي ونجد بها نعلو

كأنا على سير السواني مسافة لمجهلة تمضي ومجهلة تتلو

كأن الدجى جفن كأن نجومه على ظهره حلي كأنا له نصل

كأن بني غبراء حين لقيتهم ذئاب كأني بين أنيابهم سخل

كأن أبانا أودع الملك الذي قصدناه كنزاً لم يسع رده مطل

كأن يدي في الطرس غواص لجة

بها كلمي در به قيمتي تغلو

كأن فمي قوس لساني له يدٌ مديحي له نزع به أملي نبل

كأن دواتي مطفل حبشيّة بناني لها بعل ونفسي لها نسل

كأن بنيها عكس ابناءِ عصرنا

فان يرضعوا يبكوا وإن يفطموا يسلوا

وإن ضربت أعناقهم عاش ميتهم فقتلهم أن لا يعمهم القتل

كأن ألهمت فضل الذي باسمِه جرت

فسارت وما غير الرؤوس لها رجل

كأن الأمير اختصها فاعتلت به معارج كل العاليات لها سفل

وإلا فما بال الملوك نراهمُ عبيد قناة لا تمر ولا تحلو

ألا عتبث جمل وبيني وبينها من البيد عذر لو به علمت جمل

أتعجب من شكواي دهري كأنني شكوت لما لم يشكه الناس من قبل

يذكرني قرب العراق وديعة لدى الله لا يسليه مال ولا أهل

حنته النوى عني وأضنته غيبتي وعهدي به كالليث جؤجؤه عبل

إذا ورد الحجاج لاقى رفاقهم بفوارتي دمع هما السجل والنجل

يسائلهم عن ابنهِ كيف حاله إلى ما انتهى لَمْ لَمْ يعد هل له شغل

أضاقت به حال أطالت له يدٌ أأخره نقص أقدمه فضل

أفيصوا عن الفرع الذي أنا أصله وما بال فرع ليس يحضره الاصل

يقولون وافى حضرة الملك الذي له الكنف المأمول والنائل الجزل

فقيد له طرف وحلت له حبا وخير له قصر ودر له نزل

وفاضت عليه مطرة خلفيّةٌ بها للغوادي عن ولايتها عزل

يذكرهم بالله إلاّ صدقتم لديَّ أجِدٌّ ما تقولون أم هزل

فدا لك من أبناء دهرك من غدا ولا قوله علم ولا فعله عدل

طوينا للقياك الملوك وإنما بمثلك عن أمثالهم مثلنا يسلو

ولما بلوناكم تلونا مديحكم فيا طيب ما نبلو ويا صدق ما نتلو

ويا ملكاً أدنى مناقبه العلى وايسر ما فيه السماحة والبذل

هو البدر إلا أنه البحر زاخراً سوى أنه الضرغام لكنه الوبل

محاسن يبديها العيان كما ترى وإن نحن حدثنا بها دفع العقل

فقولا لوسام المكارم باسمهِ ليهنك إذ لم تبق مكرمة غفل

وجاريت أفراد الملوك إلى العلى فحقاً لقد أعجزتهم ولك الفضل

سمابك من عمرو بن يعقوب محتد كذا الاصل مفخوراً به وكذا الاصل

تم الاختيار من شعر بديع الزمان الهمذاني ويليه الاختيار من شعر ابن النبية

شعر

ابن النبيه (١)

وهو كمال الدين علي بن محمد بن النبيه .

قال يمدح الناصر أحمد أمير المؤمنين :

يا كرصبوحك أهنى العيش باكره ... فقد ترنم فوق الأيك طائره (٢)

والليل تجري الدراري في مجرته ... كالروض تطفو على نهر أزاهره

وكوكب الصبح نجاب على يده ... مخلق تملأ الدنيا بشائره

فانهض إلى ذوب ياقوت لها حبب ... تنوب عن ثغر من تهوى جواهره

حمراء من وجنة الساقي لها شبه ... فهل جناها مع العنقود عاصره

ساق تكون من صبح ومن غسق ... فابيض خداه واسودت غدائره

سود سوالفه لعس مراشفه ... نعس نواظره خرس أساوره

مُفلج الثغر معسول اللمى غنج ... مؤنث الجفن فحل اللحظِ شاطره

مهفهف القد يندى جسمه ترفا ... مخصر الخصر عبل الردف وافره

تعلمت بانة الوادي شمائله ... وزورت سحر عينيه جآذره

كأنه بسواد الصدغ مكتحل ... أو ركبت فوق صدغيه محاجره

خذ من زمانك ما أعطاك مغتنماً ... وأنت ناه لهذا الدهر آمره

---

(١) قوبل شعر ابن النبيه على ما ورد في فوات «الوفيات» «والمستطرف» .

(٢) الفوات ٧٢ - والمستطرف ٣٣٤

فالعمر كالكأس تستحلي أوائله   لكنه ربما مرّت أواخره
فليس يخذل في يوم الحساب فتى   والناصر ابن رسول الله ناصره
امام عدل لتقوى الله باطنه   وللجلالة والاحسان ظاهره
تجسد المجد في اثناء بردته   وتوجت باسمه العالي منابره
راع بطرف حمى الاسلام ساهره   ساطٍ بسيف أباد الكفر شاهره
في صدره البحر أو في بطن راحتهِ
كلاهما يغمر السؤآل زاخره
يقضي بتفضيله سادات عترته   لو كان صادقه حيا وباقره
كل الكلام قصير عن مناقبه   إلا إذا نظم القرآن شاعره
محجب في سجوف العز لو فرجت   عن نور وجه يباهي الصبح باهره
نضاه سيفا على اعداءِ دولتهِ   ما كل سيف له تثنى خناصره
فضل اصطفاء أتى من غير مسألة   يغني به عن أخ بر يوازره
تهن نعمى أمير المؤمنين ودم   يا أيها الأشرف الميمون طائره
بجد سيفك آيات العصا نُسِخت
إذا تفرعن يوم الروع كافره
سَلِ الكلى والطلى يامن يساجله   فالرمح ناظمه والسيف ناثره
تنجست بدم القتلى صوارمُه   وطهرت بيد التقوى مآزره
جم النوال شديد البطش متئد   كالدهر يرجى كما تخشى بوادره
إذا حبى اعنتِ الأيدي مواهبهُ   وإن سطا سدت الدنيا عساكره
أينَ المفر لمن عاداه من يده   والوحش والطير اتباع تسايره؟
يا جامعاً بالعطايا شمل عترتهِ   كالقطب لولاه ما صحت دوائره

إن جاد شعري فهذا الفضل علمني
من غاص في البحر جاءته جواهره

وقال يمدح الملك العادل سيف الدين أبا بكر أخا الملك السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب :

لمن شجر قد أثقلتها ثمارها ... سفائن برٍ والسراب بحارها؟
حروف إذا استقريتها في انفرادها ... سطور إذا استولى عليها قطارها
حنايا إذا الساري السري ارتمى بها ... فهنَّ سهام يستطير شرارها
توالت كموج البحر مزبدة البرى ... عليها قباب بالدموع احمرارها
وفي الكلة الحمراء بيضاء طفلة ... بزرق عيون السمر تحمي احورارها
اثار لها نقع الجياد سرادقا ... به دون ستر الخدر عنا استتارها
لها طلعة من شعرها وجبينها ... تعانق فيها ليلها ونهارها
لها من مهاة الرمل جيد ومقلة ... وليس لها استيحاشها ونفارها
وما سكنت وادي العقيق ولا اللوى ... ولكن بعيني أو بقلبي دارها
إذا ما الثريا والهلال تقارنا ... أشكك هل ذا قرطها وسوارها
فأي قضيب جال فيه وشاحها ... واي كثيب ضاق عنه ازارها
وما كنت ادري قبل لؤلؤ ثغرها ... بأن نفيسات اللآلي صغارها
هي البدر إلا أن عندي محاقه ... هي الخمر إلا أن حظي خمارها
أيا كعبة من حالها حجر لها ... بعيد علينا حجها واعتمارها
فان بلغتها النفس يوما بشقها ... فقلبي لها هديٌ ودمعي جمارها
سقا الله مياً فارقين وقد سقى ... سجال سحاب لايغب قطارها

وما لي أستسقي لها صيّب الحيا ⁂ وراحة سيف الدين تطمي بحارها؟
ففي بحر مال قد تطلع قصرها ⁂ وفي بحر ماءٍ يستقر قرارها
هو العادل الظلام للمال والعدى ⁂ خزائنه قد أقفرت وديارها
كريم له نفس تجود بما حوت ⁂ وأعجب شيء بعد ذاك اعتذارها
عليم بنور الله ينظر قلبه ⁂ فلم يغن إسرار القلوب استتارها
حسام له حد يروع مضاؤه ⁂ وصفحة صفح للذنوب اغتفارها
له راحة في السلم تجنى جنانها ⁂ ويوم هياج الحرب توقد نارها
أنامله طوراً غصون نواضر ⁂ وطوراً سيوف داميات شفارها
به دمر الله الفساد وأهله ⁂ به ملة الإسلام عال منارها

وقال يمدحه ويذكر بناء قلعة الطور :

تنقبت بالنور والنور ⁂ واعتجرت لكن بديجورِ
ساحرة الطرف ولكنهُ ⁂ من فترة في زي مسحور
شفَّ بياض اللاذ (١) عن جسمها ⁂ كالخمرِ في باطنِ بلور
كأنما معصمها جدول ⁂ صيغ له سد من النور
تبسمُ عن منظوم درفان ⁂ تكامت جاءت بمنثور
كأن في مقلتها ضيغماً ⁂ ينظر من أجفان يعفور
كنها بدر تمام على ⁂ غصن نقا أخضرَ ممطور
زارت ففككت عرى جيبها ⁂ بالضم من رمان كافور

---

(١) اللاذ : قماش حرير لطيف جداً ، « قاموس » (جامع الكتاب)

وبتُ أطفي بجنا ريقها ... حرقة صادي القلب مهجور
يا ليلة الوصل استقري ويا ... سيرة سلطان الورى سيري
الملك العادل من أمَّه ... فقد رأى موسى على الطور
إن كان قدك قديماً فقد ... عمرته أحسن تعمير
كأنه تاج على مفرقٍ ... إذا استدارت شرف السور
يزاحم النجم له منكب ... كالنجم في الرفعة والنور
كأنما أوقفته حارساً ... ينظر من وعكٍ إلى صور
فكلما لاح له بارق ... يرتعد الصخر من الدور
بنى سليمان بأعوانه ... وأنت بالغر الجماهير
تصافح الأحجار أيدٍ لهم ... لا ترتضي لمس الدنانير
دانت لك الدنيا وسكانها ... ما بين أمارٍ ومأمور
هل يقدر الأعداء أن يمسحوا ... ما خط في لوح المقادير
يا مالكا تنسخ أيامه ... ما خط في أفك الأساطير
أسهره الذب عن الدين لا ... عشق ربيبات المقاصير
مؤيد الرايات والرأي في ... حالةِ تدبير وتدمير
إن جنحوا للسلم فاجنح لها ... ما خدع الحرب بتقصير
كم لك في يافا وفي المرج من ... وقائع غرٍ مشاهير
عشرون ألفاً غير اتباعهم ... ما بين مقتول ومأسور
طهرتَ بيتَ القدسِ من رجسهم ... وكان مأوى للخنازير
يا ذاكر الله يا ناسيا ... للعرف مع كثرة تكرير

إلى محل الاجر والشكر يا أكرم مأجور ومشكور

وقال يمدح السلطان موسى الاشرف :

يستوجب النصر من صحت عزائمه ويقتني الشكر من عمت مكارمه

بالمال والنفس نال المجد طالبه إن العظيم لمن هانت عظائمه

في كل دور لهذا الدين منتظر يشيده بعد ما تخفى معالمه

فاليوم كلٌّ امامي لنا تبع بان شاه ار من المهدي قائمه

يا يوم دمياط ما أبقيت من شرف لمن تقدم إلا أنت هادمه

عذراء نادت على بعد فانقذها ملك غيور مصونات كرائمه

رأت بنو الاصفر الأعلام طالعة والنقع يرمد عين الشمس فاحمه

والجيش يلتف مرطاه على ملك كالليث تزأر حوليه ضراغمه

والجوبكي سهاماً كلما ضحكت عن كل برق يماني غمائمه

وكل طرف إذا طال الطراد به يطير من حدةٍ لولا شكائمه

ودون دمياط بحر حال بينهم من الظبا ليس ينجو منه عائمه

ذلوا لملك أعان الله صاحبه موسى سليمانه والسيف خاتمه

وسالموها وردوا أهلها ومضوا والثغر من فرح يفتر باسمه

كأنهم أبصروا ماقد مضى زمناً كما يرى مزعج الاحلام نائمه

طهرت منبرها العالي ومنزرها من رجسها بعدما ساخت قوائمه

وقت تكسر تمثال المسيح به برغم من هو باللاهوت لائمه

قل للكمي وسرته سلامته هذا هو الموت فاحذر أن تلائمه

عادوا بحزن إلى أوطانهم ومضوا وكل بيت بقاهم فيه مأتمه

تبكي القسوس على أسرى ولو كهم وذاك أمر قضى بالعدل حاكمه

يا باذلا في سبيل الله مهجته لله لا للذي جادت معالمه

لولاك زلزل دين المصطفى ووهى وأصبح البيت قد حلت محارمه

قضيت في الغرب مفروض الجهاد ولو فرغت للشوق ما قامت اعاجمه

أقول للحاسد المحزون ذا ملك والنجم والفلك الدوار خادمه

قولاً وعذراً فاني قد برى جسدي وكيف ينهض من قصت قوائمه

قالوا تأخرت والتأخير ينقصني من جود من عمت الدنيا مكارمه

لا أرهب الدهر أن يثني مودته لا أختشي قطع رزق وهو قاسمه

لافارقت ألسن المداح دولته فاحسن الروض ما غنت حمائمه

وقال يمدحه ويهنئه بالعيد :

قد بلغتك خطا المهرية الرسمِ دار الأحبة فاشكر نعمة النّعمِ

لو كنت تنصف ما رغمت آنفها ولا خضبت الخطا من خفها بدم

يا برق عذراً فان الشوق كلفني إن الحبيب بمرآنا فلا تلم

من كل ملتفة الأعضاء مائلة الارداف ناعمة الأطراف كالعنم

كأنما الشعر يهواها إذا خطرت تمشي يقبل منها موضع القدم

كأنما الموت يسري في جوانبها وكل لحظ رسول طالب بدم

يا أهلها قد كفيتم من صيانتها حمل الرديني والصمصامة الخذم

وشاحها معدم والحجل مقتدر كذاك تختلف الأرزاق بالقسم

كأنما هي من لين ومن ترف ماء تجسد للأبصار كالصنم

اياك در على لالاء لبتها وارجع إلى اليم والأصداف والظلم

ولا تقل انني من جنس مبسمها فأنت تؤخذ بالأدنى من القيم

عشق الغواني وعشق المجد مشتبه   وإنما الفرق بين الناس بالهمم

فعين هذا تراعي وصل غانية   وعين موسى عن الإسلام لم تنم

الاشرف الملك الوهاب منذ أتى   شم الأنوف بما فيها من النعم

نال العلى بيد بيضاء ما برحت   مافوق كل يد أو تحت كل فم

الله أكبر كم رزق وكم أجل   قسمته تحت حد السيف والقلم

ياموقد النار للأضياف من كرم   وموقد النار للأعداء من نقم

فكم لسلمك من نار على علم   وكم لحربك من نار على علم

السيف مثلك طلق الوجه مبتسم   إذا اكفهرت وجوه الخيل والبهم

ما بين جو من الهيجاء مضطرم   وبين بحر من الآذي ملتطم

هنالك البيض تفني الهام من شره   والسمر تلدغ في الأكباد من قرم

بكر المعالي نفور قط ما نسبت   إلا ببذل نوال أو بسفك دم

شرفت أيوب موسى مثل ما شرفت   بالمصطفى نفس ابراهيم في القدم

أعدت للدين والدنيا وساكنها   عصر الشبيبة بعد الشيب والهرم

أنا الذي شملتني منك عاطفة   فما أقول على مافات واندمي

غرستني بيد أثرى ثراي بها   فاقطف ثمار جنان الشكر من كلمي

واسعد بعيد رزقت الناس كلهم   فيه ففزت باجر الناس كلهم

تم الاختيار من شعر ابن النبيه ويليه الاختيار من شعر مهيار الديلمي

شعر

مهيار الديلمي[١]

هو أبو الحسين مهيار بن مرزويه ، الكاتب الفارسي الديلمي ، الشاعر المشهور ، كان مجوسياً فأسلم ، وكان شاعراً ، جزل القول ، مقدماً على أهل وقته ، وله ديوان شعر كبير ،وهو رقيق الحاشية ،طويل النفس في قصائده وذكره صاحب « دمية القصر » ، وأثنى عليه ، وذكره ابن بسام في كتاب « الذخيرة » في محاسن أهل الجزيرة ، وبالغ في الثناء عليه ، وذكر من شعره ، ومن نظمه المشهور قصيدته التي أولها :

سقى دارها بالرقمتين وحياها ... مُلثٌ يحيل الترب في الدار أمواها[٢]

وكيف بوصل الحبل من أم مالك ... وبين بلادينا زرود ولبناها

يراها بعين الشوق قلبي على النوى ... فيحظى ولكن من لعيني برؤياها

فلله ما أصفى وأكدر حبها ... وأبعدها مني الغداة وأدناها

إذا استوحشت عيني انست بان أرى ... نظائر تصبيني اليها وأشباهها

وأعتنق الغصن الرطيب لقدها ... وأرشف ثغر الكأس أحسبه فاها

ويوم الكثيب استشرفت لي ظبية ... مولهة قد ضل بالقاع خشفاها

وبذلة خوف الشكل حبة قلبها ... فتزداد حسنا مقلتاها وليتاها

---

(١) قوبل شعر مهيار الديلمي على ديوانه المطبوع في مصر وعلى ابن خلكان .

(٢) ابن خلكان ١٩٦

فما ارتاب طرفي فيك يا أم مالك — على صحة التشبيه أنك اياها
فان لم تكوني خدها وجبينها — فإنك أنت الجيد أو أنت عيناها
ألوامة في حب دار عزيزة — يشق على رجم المطامع مرماها
دعوه ونجداً انها شأن قلبه — فلو أن نجدا بلغة ما تعداها
وهبكم منعتم أن يراها بعينه — فهل تمنعون القلب أن يتمناها
وليل بذات الأثل قصّر طوله — سرى طيفها آها لذكرته آها
تخطت إليّ الهول مشيا على الهوى — وأخطاره لا يبعد الله ممشاها
وقد كان اسداف الدجى ان يضلها — فما دلها إلا وميض ثناياها

وقال وكتب بها إلى الرئيس أبي الحسن الهماني في عيد النحر وهو ببغداد يهنئه :

استنجد الصبر فيكم وهو مغلوب — وأسأل النوم عنكم وهو مسلوب [1]
وأبتغي عندكم قلباً سمحت به — وكيف يرجع شيء وهو موهوب
ما كنت أعرف ما مقدار وصلكم — حتى هجرتم وبعض الهجر تأديب
أستودع الله في أبياتكم قمراً — تراه بالشوق عيني وهو محجوب
أرضى واسخط أو أرضى تلونه — وكل ما يفعل المحبوب محبوب
أما وواشيه مردود بلا ظفر — وهل يجاب وبذل النفس مطلوب
لو كان ينصف ما قال انتظر صلة — تأتي غداً وانتظار الشيء تعذيب
أو كان في الحب إسعاد ومنعطف — منه كما فيه تعنيف وتأنيب
يا اللوائي بغصن الشيب وهو إلى — خدود وهن من الألوان منسوب

---

(١) ديوانه : ٢٤

تأبى البياض وتأبى أن أسوده بصبغة وكلا اللونين غربيب

ما أنكرت أمس منه ناصلا يققاً ما تنكر اليوم منه وهو مخضوب

ليت الهوى صان قلبي عن مطامعه فلم يكن قط يستدنيه مرغوب

إني لأسغب زهداً والثرى عمم نبتاً وأظما وغرب الغيث مسكوب

ولا أرق لحرص خاب صاحبه سعياً وأعلم أن الرزق مكتوب

عقبى الطماعة في مال يُمنّ به عصارة لا يغطي خبثها الطيب

طهر خلالك من خل تعاب به

واسلم وحيداً فما في الناس مصحوب

إني بليت بمضطر رفيقهم والماء يملح وقتاً وهو مشروب

كم يوعد الدهر آمالي ويخلفها أخاً أسر به والدهر عرقوب

اسعى لمثل سجايا في أبي حسن وهل يُبلغني الجوزاء تقريب

فدى محمد المنسي نائله مراجع نيله المنزور محسوب

حالٌ تحدثه الأحلام جاهلة لحاقه وأخو الأحلام مكذوب

ان قدم الحظ قوماً غالطاً بهم أو بيَّنتهم عنايات وتقريب

فالسيف يخبر قطعاً وهو مدخر والطرف يكرم طبعا وهو مجنوب

حذار من حدث النعماء مؤتنف علاؤه بشفيع الوجه مجلوب

تسوؤه سائلا من أين سؤدده إن اللئيم بما قد ساد مسبوب

أأنت أنت وفي الدنيا أبو حسن صدقت ان لفي الدنيا أعاجيب

إذا رأيت ذيول السرح آمنة لم يحمها فلأمر يحلم الذيب

يا مابسي الشيمة الغراء ضافية عليّ ان قلصت عني الجلابيب

علقت منك بعهد لا مواثقه تنسى ولا حبله بالغدر مقضوب

وأحمدتك اختباراتي وقد سبرت　　غور الرجال وكدَّتها التجاريب

فلتجزينك عني كل غادية　　لها مِنَ الكلم الفياض شؤبوب

إذا وسمت حياها باسمك انحدرت　　له الزبى وأطاعتهُ المصاعيب

فاسلم لهن ولي ما طاف مستلمٌ　　سبعاً وعلق بالأستار مكروب

ترجى وتخشى فسيح الباب ممتنعاً　　إن الكريم لمرجو ومرهوب

وقال وقد أوجب عليه بعض الرؤساء المشهورين حقاً ، وهو أبو الحسن أحمد بن عبد الله الكاتب ، وذلك بقصده إياه في علة نالته عاده فيها عدة دفعات من غير أن يكون سبق إليه بمعرفة ، ولا جرى بينهما لقاء إلا بالذكر والصفة من الاستاذ أبي الحسن المختار ابن عبد الله الذهبي ، وواصل تفقده تبرعاً وابتداء ما يوجب الشكر ، ويعرفه مثله من أمثاله في ذلك الوقت ، وكتب بها إليه يشكره ، وأنفذها في رجب سنة ٤١٢ اثنا عشر واربع مئة . قال:

هوىً لي وأهواء النفوس ضروب　　تجانب قوسي أن تهب جنوب [١]

يدل عليها الريفُ أين مكانه　　ويخبرها بالمزن كيف تصوب

ونمشي على أرض الحمى ثم نلتقي　　فيبلغني منها الغداة هبوب

أماني بعيد لو رآها لسرها　　مكانَ الحيا من مقلتيه غروب

ودمع إذا غالطت عنه تشاهدت　　قوارف في خدي له وندوب

على أن ذكراً لا تزال سهامه　　ترى مقتلاً من مهجتي فتصوب

إذا قيل ميٌّ لم يرعني بحلمه　　حياء ولم يحبس بكاي رقيب

---

(١) ديوانه : ٤٠

أعير المنادي باسمها السمع كله على علمه اني بذاك مريب
وكم لي في ليل الحمى من إصاخةٍ
إلى خبر الاحلام وهو كذوب
توقر منها ثم تسفه أضلعي ويجمد فيها الدمع وهو يذوب
وما حب مي غير برد طويته على الكره طي الرث وهو قشيب
رأت شعرات غير البين لونها فأمست بما تطريه أمس تعيب
أساءكِ أن قالوا أخ لك شائب فأسوأ منه أن يقال خضيب
ومن عجب أن البياض ولونه إليك بغيض وهو منك حبيب
أحين عسى غصني طرحت حبائلي إليّ فهلا ذاك وهو رطيب
تظنينه من كبرة فرط ما انحنى كأن ليس في هذا الزمان خطوب
فعدي سنيه إنما العهد بالصبى وإن خانه صبغ العذار قريب
وفي خطل الرمح انحناء وإنما تعدّ أنابيب له وكعوب
همومي من قبل اكتهالي تكهل وغدرك من قبل المشيب مشيب
وما كان وجه يوقد الهم تحته لتنكر فيه شيبة وشحوب
لو ان دمي حلت صبيغة لونه مبيضة ما قلت ذاك عجيب
ألم تعلمي أن الليالي جحافل وأن مدارات الزمان حروب
وأن النفوس العارفات بليّة وحمل السجايا العاليات لغوب
يسيغ الفتى أيامه وهو جاهل ويغتص بالساعات وهو لبيب
وبعض مودات الرجال عقارب لها تحت ظلماء العقوق دبيب
تواصوا على حب النفاق ودينهم بأن يتنافى مشهد ومغيب
فما أكثر الإخوان بل ما أقلهم على نائبات الدهر حين تنوب

وقبل ابن عبد الله ما خلت أنه　　يُرى في بني الدنيا الولود نجيب
ألا إن باني المجد يخلص طينه　　وكل الذي فوق التراب مشوب
سقى الله نفساً مذ رعت قُلَّة العُلى
فكل مراعيها أعمُّ خصيب
وحيا على رغم الغزالة غرة　　إذا طلعت لم تدج حين تغيب
وحصَّن صدراً قلب أحمد تحته　　يضيق ذراع الدهر وهو رحيب
من القوم بسَّامون والجوعابس　　وراضون واليوم الأصم غضوب
رأوا بابنهم ليث الشرى وهو سارب
لحاجته والبحر وهو وهوب
فتى سوَّدته نفسه قبل خطة　　وشابت علاه وهو بعد ربيب
وقدمه أن يملق الناس عقبه　　سماح مع الريح العصوف ذهوب
إذا ظن أمراً فاليقين وراءه　　ويصدق ظني تارة ويخوب
وخلق كريم لم يَرضْه مؤدب　　تمطق فوه الثدي وهو أديب
تحمل أعباء الرياسة ناهضاً　　بها قاعداً والحادثات وثوب
وصاحت به الجلى لسدِّ فروجها　　فأقدم فيها والزمان هيوب
وكم أعجبته النائبات فردها　　رِداداً وعاد النبع وهو صليب
هنالك اتفاق الناس أنك واحد　　إذا كان للبدر المنير ضريب
وأعجب ما في الجود أنك سالب　　به كل ذي فضل وأنت سليب
أأنسى لك النعمى التي تركت فمي
يصعِّد يبغي شكرها ويصوب
ملكت فؤادي عند أول نظرةٍ　　كما صاد عذريا أغنُّ ربيب

وكنت أخاف البابلي وسحره ولم أدرِ أن الواسطي خلوب

وغناك أقوام بوصف مناقبي فرنحّ نشوان وحن طروب

رفعت منار الفخر لي بزيارة وسمتَ بها مغنايَ وهو جديب

وكنت لداءٍ جئتني منه عائداً شفاءً وبعض العائدين طبيب

وأنهلتني من خلقك العذب شربة حلت لي وما كل الدواء يطيب

ولما جلالي حسن وجهك بشره تبين في وجه السقام قطوب

أجبتَ وقد ناديت غيرك شاكياً وذو المجد يدعى غيره فيجيب

فطنتَ لها أكرومة نام غفلة من الناس عنها مائق وأريب

ذهبتَ بها في الفضل ذكراً بصوته

سبقتَ فلم يقدر عليك طلوب

لئن كان في قسم المكارم شطرها فللدينِ فيها والولاءِ نصيب

ستعلم أن الصنع ليس بضائع عليّ ولا الغرس الزكي يخيب

وتحمد مني ماسعيتَ لكسبه وما كل ساعٍ في العلاءِ كسوب

ومهما يشبك الشعر ذكراً مخلداً عليها فان الله قبل يثيب

وتسمع في نادي الندى أي فِقرةٍ

يقوم بها في الوافدين خطيب

متى امتدبي عمر وطالت مودة فربعك حسنُ من ثنايَ وطيب

ودونك مني ضيغم فاه فاغرٌ متى مادنامن سرح عرضك ذيب

محاسن قوم وسمة في جباههم ولي حسنات سرهنّ غيوب

وما الحسن ماتثني به العين وحدها ولكنّ ما تثني عليه قلوب

لقد عقلت دنياك مذ قيضتك لي وراح عليها الحلم وهو غريب

أظن زماني أن زجرتَ ظروفه سيرجع عما ساءني ويتوب
تخاتلني الاخبار أخلب برقها بأنك يا بدر الكمال تغيب
فأمسك قبل البين أحشاء موجع لها بين أثناء الحذار وجيب
بأي فؤاد أحمل البعد والهوى جديد وذا وجدي وأنت قريب
فلا تصدع الأيام شمل محاسن تسافر مصحوباً بها وتؤوب
ولا تعدم الدنيا بقاءك وحده فانك في هذا الزمان غريب

وقال يمدح سيد الوزراء مؤيد الملك أبا علي الرخجي ويشكر انعامه عليه :

إذا عم صحراء الغمير جدوبُها كفى دار هند أن جفني يصوبُها[1]
وقفت بها والطرف مما توحشت طريدُ رباها والفؤاد جذيبها
وقد درست إلانشايا عواصف من الريح لم يفطن لهنّ هبوبها
خليلي هذي دار أنسي وربما يبين بمشهور الامور غيوبها
قفا نتطوّع للوفاء بوقفةٍ لعل المُجازي بالوفاء يثيبها
فلا دار إلا أدمعٌ ووكيفها ولا هند إلا أضلعٌ ووجيبها
وعيرتماني زفرة خف وقدها ملياً وعيناً أمس جفّت غروبها
فان تك نفسي أمس في سلوة جنت فقد رجع اليوم الهوى يستتيبها
وإن يُفن يوم البين جُمةَ أدمعي فعند جفوني للديار نصيبها
تكلفني هند إذا التحت ظامئاً أمانيّ لم تنهز لري ذَنوبها
وأَطلب أقصى ودها أن أناله غلاباً وقد أعيا الرجال غلوبها
بمنعطف الجزعين لمياءُ لو دعت (بَسمدَين) رُهباناً صَبت وصليبها

---

(١) ديوانه : ٤٥

تبسَّم عن بيض صوادعَ في الدجى رِقاق ثنـاياها عِـذاب غروبها
إذا عادت المسواك كان تحيّـةً كأن الذي مس المساويك طيبها
وكم دون هند رضت من ظهر ليلةٍ أشدُّ من الاخطار فيها ركوبُها
فنادمتها والخوفُ يُروي عظامها المدام ويروى بالبكاءِ شريبهـا
إذا شربت كأساً سقتني بمثلها من الدمع حتى غاض دمعي وكوبها
حمى الله بالوادي وجوهاً كواسيا إذا اوجه لم يكس حسناً سليبها
بـوادٍ يود الحاضرون لو انهـا مواقع مـا ألقت عليه طنوبُـها
إذا وصف الحسن البياض تطلقت سواهم يُفدي بالبياض شحوبها
ولله نفس من نهاهـا عذولها ومن صونها يوم العُذيب رقيبها
لكل محب يوم يظفر ريبـة فسل خلواتي هل رأت ما يريبها ؟
إذا اختلطت لذات حب بعاره فأنعمها عندي التي لا أصيبها
وساء الغواني اليوم إخلاق لمتي فهل كان ممـا سرهنّ قشيبها ؟
سواء عليها كثُّها ونسيلهـا وناصلها من عفتي وخضيبهـا
وتعجب أن خصّـت قوادم مفرقي وأكثر أفعـال الزمان عجيبهـا
ومن لم تغيره الليـالي بعَـدّهِ طِـوال سنيها غيرته خطوبهـا
إذا سُل سيف الدهر والمرء خاسر فأهون ما يلقى الرؤوس مشيبها
يُعدد أقوام ذنوبَ زمانهم فمن لي بـأيام تعدُّ ذنوبها ؟
يقولون دار الناس ترطب أكفهم ومن ذا يداري صخرة أو يذيبها ؟
ومـا أطمعتني أوجه بابتسامها فيؤيسـني ممـا لديها قطوبهـا
وفي الارض أوراق الغنى لو جذبتها لرفَّ على أيدي النوال رطيبهـا
إذا إبلي أمست تماطل رعيها فهل ينفعنّي من بلادٍ خصيبها ؟

عذيريَ من باغ يَـودُّ لنفسِـهِ نزاهة أخلاقي ويمسي يعيبهـا
إذا قصرت عني خطاه أدَبَّ لي عقارب كيدٍ غير جلدي نشيبها
ومن أملي في سيد الناس أن لي مطاعم يغني عن سواها كسوبها
إذا ما حمى مؤيد الملك حوزة من الصم لم يقدر عليها طلوبها
عليٍّ ضواف من سوالف طوله يجرر أذيال السحاب سحوبها
وعذراءَ عندي من نداه وثيّبٍ إذا جُليت زان العقود تريبها
عوارف تأتي هـذه إثر هذهِ كما رفدت أعلى القناةِ كعوبها
إذا عدد المجد انبرين فوائتاً عقودَ البنان أن يَعُدَّ حسيبها

إلى أن قال :

وغيران لا يرضيه إصلاح جسمه بدارٍ إذا كان الفساد يشوبها
وقاها من الأطماع حتى لو انه جرى الدمُ فوق الارض ماشم ذيبها
ومد عليها حامياً يد مُشبل له عصبة بعد النذير وثوبها
يد كل ريح تمتري ماءَ مزنها فما ضرها أن لا تهبَّ جنوبها
أرى شبهه الايام عادت بصيرة ومذنبها قد جاء وهو منيبها
وذلت فأعطاها يد الصفح ماجد إذا سيل تراك الذحول وهوبها
لك الله راعي دولة ريع سرحها وراح أمام الطاردين عزيبها
نفضت وفاض الرأي حتى استقدتها
وما كل آراء الرجال مصيبها
محملة من ثقل منّك أوسُقاً ينوء بها مركوبها وجنيبها
فعطفاً عليها الآن تصف حياضها وتُبقلْ مراعيها وتدمل ندوبها
فما رأمت أبواءها عند مالكٍ سواك ولا حنت لغيرك نيبها

تسربل بأثواب الوزارة انها   لك انتصحت أردانها وجيوبها

وقدطال ما منيتها الوصل معرضاً   وباعدتها من حيث أنت قريبها

ومن يك مولاها الغريب وجارها   فأنت أخوها دنية ونسيبها

وهي طويلة اقتصرت منها على هذا القدر طلباً للاختصار وقد أجاد في آخرها ومن قوله يهنىء الاستاذ أبو طالب بن أيوب بعيد الفطر :

أنا اليوم مما تعهدين بعيد   تريدين مني والعلاء يُريد[1]

طوى رسني عن قبضة الحب خالعاً   قواه وقد ماً كنت حيث يقود

هوىً وليالي اللهو بيض وهبته   اليها وأيام الكريهة سود

وهيف رُقاق موضع الهيف فُتّنني   وهن جسوم حلوة وقدود

دعيني وخلقاً من سنيّ استفدته   عزيزاً فمعدود السنين مفيد

ولا تحسبيني صبغ لونين في الهوى   أتوب فتبدو فرصة فأعود

ولا كامناً في الحي أنظر سربه   على خدعة الأشراك كيف أصيد

وحص غرابي يا ابنة القوم أجدل   بصير بأوكار الشباب صيود

أراك تريني ناقصاً ونقيصتي   ليال وأيامٌ عليّ تزيد

لكل جديد باعترافك لذة   فمالكِ عفت الشيب وهو جديد

تأخرت بالصمصام وهو مصمّم   وخالفتِ رأي الرمح وهو سديد

متى ضنت الدنيا عليّ فأبصرت   لساني فيها بالسؤال يجود

إذا كنت حراً فاجتنب شهواتها   فإن بنيها الزمان عبيد

---

(١) ديوانه : ٢٣١

وبن في عيون الناس منهم مباعدا إذا اشتبهوا واسلم وأنت وحيد

وقل بلسان الحظ ان خطيبه بليغ ومن أعيا عليه بليد

إذا شئتَ أن تلقى الانام معظماً فلا تلقهم إلا وأنت سعيد

ورب نجيب كابن أيوب واحد تراه مع الحالات حيث تريد

صديق وما يغني صديقك لم يطق ثقيلا ولم يقرب عليه بعيد

أعدُّ سجايا الاكرمينَ وتنقضي وأمُّ سجاياه الكرام ولود

إذا قمت ُأتلوهنَّ قالت لي العُلى أعدْ والحديث المستحب يعود

وصَدقَ وصفي والمحب بمعرض من الريب آياتٌ عليه شهود

يدٌ في الندى ماء وقلب إذا التوت عليه حبالُ المشكلات حديد

ومخضوبة الأطراف لم تصب عاشقاً عميداً وكم أودى بهنَّ عميد

قواطع أوصال البلاد سوائر وما ثار عن أخفافهنَّ صعيد

إذا نار حرب أوقدت أو مكيدة فهنَّ لها امَّا احترقن وقود

وعلمه أن يصنع المجد منبت عريق وبيت في العلاء قعيد

وحامون بالرأي الجميع حماهم ووَفرهمُ عند الحقوق شريد

مطاعيم أرواح الشتاء إذا طغت سواجر في أبياتهم وركود

سخا بهمُ أن السخاءَ شجاعة وشجَّعهم أن الشجاعة جود

وقيتُ من الحساد فيك فكل من يرى ودك الباقي علي حسود

يَوَدون ما أصفيتني من مودةٍ وما أصطفي من شكرها وأجيد

لبعضهم من بعضهم متخلص وتأبى غلول بينهم وحقود

وعذراء مما استنجب الفكر وارتضى معلقة في الخدر وهي شرود

نجوم سجاياك الصباح إذا سرت قلائد في أعناقها وعقود

إذا يوم عيدٍ زفها قام ناصباً لتجهيز أخرى مثلها لك عيد
لها بعد ما يفنى الزمان وأهله بقاء على أحسابكم وخلود

وقال يمدح الأمير أبا الذواد المفرج بن علي بن مزيد أخي نور الدولة دُبيس . وذكر ملاقاته للأسد ، وظفره به ، وأنفذها إليه في شهر ربيع الآخر سنة ٤١٠ .

بعينيك يوم البين غيبي ومشهدي وذل مقامي في الخليط ومقعدي [1]
وقولي - وقد صاحوا بها يعجلونها - نشدتكم في طارق لم يزوّد
اناخ بكم مستسقياً بعض ليلة ولم يدر أن الموت منها ضحى الغد
أتحمون عن عض الضراغم جاركم ويقتلني منكم غزالٌ ولا يدي ؟
ومازلت أبكي كيف حُلت بحاجر قوى جلدي حتى تداعى تجلدي
وعنفني سعد على فرط ما رأى فقلت أتعنيفٌ ولمتك مسعدي ؟
وما ذاك الا أن عجلت بنظرةٍ قتلتُ بها نفسي ولم أتعمد
تحرش باحقاف اللوى عُمر ساعة ولولا مكان الريب قلت لك ازدد
وقل صاحب لي ضل بالرمل قلبه لعلك أن يلقاك هاد فتهتدي
وسلم على ماءٍ به برد غلتي وظل أراك كان للوصل موعدي
وقل لحمام البانتين مهنئاً تغنّ خليا من غرامي وغرد
أعندكم يا قاتلين بقيةٌ على مهجة إن لم تمت فكأن قد

(١) ديوانه : ٣٠٤

ويا أهل نجد كيف بالغور بعدكم بقاء تهامـيّ يهيم بمنجد ؟
ملكتم عزيزاً رقه فتعطفـوا علـى منكر للذل لم يتعـوّد
أغـدراً وفيكم ذمـة عربيـة وبخلا ومنكم يستفاد ندى اليد؟
فليت وجوه الحي أعدت قلوبه ففجر لي ماء بها كلُّ جلمد
وليتكم جيران عوف تُـلقِنوا خلال الندى والجود من آل مزيد
من الضيقي الأعذار والواسعي القرى
إذا ما جمادى قال لليلة ابردي
ولف على خيشومه الكلب مقعيا يرى الموت إلا ما استغاث بموقد
وشديديه الحالب الضرع غامراً على مُصفر قد مسه الجدب مثمد
وبات غلام الحي يسند ظهره من النضد الواهي إلى غير مسند
هنالك يأوي طارق الليل منهم إلى كل رطب مثمر النبت مزبد
كريم القرى والوجه ملء جفانه رحيب الرواق منعم العيش مرفد
قايل على الكوم الصفايا حنوه إذا السيف ردّاهنّ للساق واليد
كمثل أبي الذوّاد لا متعلل إذا سئل الجدوى ولا بمنكد
فتى بيته للطارقين وسيفهُ لهام العدى والمال للمتزود
ويوماه إما لاكتساب عظيمة من المجد أو داعي صياح ملدد
وفى بشروط الملك وهو ابن مهده وسوّدَ في خيط التميم المعقّد
وجاد على العلات والدهر أشهب باحمر من خير الرحال وأسود
ولم تحتسبه عن مساعي شيوخه سنوه التي حلته حلية أمرد
أناف بجديه وأسند ظهره إلى جبلين من عفيف ومزيَد
له في ملوك الشرق والغرب منهم نجوم سماء من ثريا وفرقد

أيا راكب الوجناء يخبط ليله ... على الرزق لم يقصد ضلالاً لمقصد
ترامت به الآفاق ينشد حظه ... فلم يعطه التوفيق صفحة مرشد
أنخها تُفرج همها بمفرّج ... وطلق شقاء العيش من بعد واسعد
ورد جمة الجود التي ما تكدرت ... بمن ورد ظل المنى المورق الندى
ونم في أمانٍ أن يسوءك ظالم ... علت يده أو أن تُراع بمعتد
حماك أبو الذواد مالك أمره ... على كل حام منهمُ ومذوّد
أخو الحرب إما مخمد يوم أوقدت ... وإما شبوبٌ نارها غير مخمد
له الخطوة الأُولى إذا السيف قصرت ... به ظبتاه فهو يوصل باليد
إذا ابتدر الغارات كان سهامها ... له من قتيل أو اسير مصفّد
خفيف أمام الخيل رسغ جواده ... إذا الخوف أقعى بالحصان المعرد
ولما كفى الأقران في الروع وارتوت ... صوارمه من حاسر ومسرّد
تعرض للأُسد الغضاب فلم يدع ... طريقاً لذي شبلين منها ومُفرد
حماها الفريس أن تطيف بارضه ... وشردها عن غيلها كل مشرد
وهانت فصارت مضغة لسلاحه ... ممزقة في صعدةٍ ومهند
ولما لقيت الأدرع الجهم واحداً ... جرى مُلبد يشتد في إثر مُلبد
نصبت له لم تستعن بمؤازر ... عليه ولم تنصر بكثرة مسعد
وقفت وقد طاش الرجال بموقف ... متى تتمثلهُ الفرائص ترعد
فأوجرته نجلاءَ أبقت بجنبه ... فتوقا إذا ما رقعت لم تسدد
تحدّرُ منها لبتاه وصدره ... على ساعد رخو وساق مقيد
فلم تغنه إذ حان وثبة غاشم ... ولم ينتقذه منك إقعاء مُرصد

رأى الموت في كفيك رأي ضرورة
فأورد منه نفسه شر مورد

وأحرزتها فخراً يخصك ذكره تناقله الأفواه في كل مشهد
جمعت الغريبين الشجاعة والندى وما كل مُرد للكماة بمرفد
وقمت باحكام السياسة ناظما عُراها فما فاتتك حلة سيد
أتاني من الأنباء أنك مغرم بفضل مديحي عارف بتوحدي
حبيب إليك أن ترف عرائسي عليك تهادى بين شاد ومنشد
متى ما تجد لي عند غيرك غادة مخدرة تغبط عليها وتحسد
فقلت كريم هزه طيب أصله وواحد قوم شاقه مدح أوحد
وليس عجيباً مثلها عند مثله اذا هب يقظان لها بين رقَّد
فأرسلتها تلقي إليك عنانها وغيرك أعيتهُ فلم تتقوَّد
لها فارس من وصف مجدك دائس
بأرساغها ما بين طود وفدفد
يرى كل شيء قانيا ورداؤه على عُنقِ باق في الزمان مخلد
متى تجزها الحسنى بحق ابتدائها تزرك بعين تملأ السمع عوَّد
فوفر على عجز البعول صداقها وعرّس بها أمَّ البنين وأولد
وصنها وأكرم نزلها إن بيتها كبيتك في أفق الفخار المشيد
وكن كعلي أو فكن لي كثابت وفاءً وإعطاءً وإن شئت فازدد

وقال يمدح الأجل عميد الرؤساء أبا طالب محمد بن أيوب ويهنئه بالمهرجان سنة ٤١٨ :

أمنها على أن المزار بعيدُ   خيال سرى والساهرون هجودُ؟[1]

طوى بارقاً طي الشجاع وبارق   خِطارٌ يفلُّ القلب وهو حديد

يجوب الدجى الوحشي والبيد وحده

فكيف وكسر البيت عندك بيد

نعم تحمل الاشواق والعيس ظلعٌ   ويمشي الهوى والناقلات قعود

وتتسع البلوى فيمضي مصمماً   جبان عن البرق الخفوق يحيد

من المبلغي والصدق قصد حديثه   وفي القول غاو نقله ورشيد

عن الرمل بالبيضاء هل هيل بعدنا   وبان الغضا هل يستوي ويميد

وهل ظبيات بين جو ولعلع   تمرُّ على وادي الغضى وتعود

سوانحُ للرامين تصطاد مثلها   وحوش الفلا وهي الرماة تصيد

ويوم النقا خالفن منّا فعاذلٌ   خلي ومعذول الغرام عميد

سفكن دماً حراً وأهون هالك   دم حكمت عينٌ عليه وجيد

حملن الهوى مني على ضعف كاهل   وهي وتقول الحاملات جليد

تطلّعت الاشراف عيني ريادة   لقلبي سفاها والعيون ترود

وما علمت أن البدور برامة   وجوه ولا ان الغصون قدود

وقالوا غداً ميقات فرقة بيننا   فقلت لسعد انه لوعيد

غداً نعلن الشكوى فهل أنت واقف

تسائل حادي الركب أين يريد ؟

وهل تملك الابقاءَ أو تجحد الهوى   ووجهك قاض والدموع شهود

وقد كنت أبكي والفراق دَعابه   دلالٌ أداري عطفه وصدود

---

(١) ديوانه : ٣٠٩

فما أنا من بينٍ رجاءُ إيابه وعود تقضى دونه وعهود

هل السابق الغضبان يملك أمره فما كل سير اليعملات وخيد

رويداً بأخفاف المطي فانها تداس جباه تحتها وخدود

عذيري من الآمال أما ذراعها فرحب وأما نيلها فزهيد

يُرينك أن النجم حيث تحطه وأن زمام الليث حيث تقود

ودون حصاة الرمل ان رمتها يد دَفوع وسهم للزمان سديد

سقى الناس كأس الغدر ساقٍ معدِّلٌ

متى يُبد قبل السكر فهو معيد

فمستبرد يهنى بأول شربة ومستكثر يُثنى له ويزيد

ونحى ابن أيوب فاصبح صاحياً وفاءٌ عريق في الكرام تليد

فلو لم يبرز يوم كل فضيلة كفى أنه يوم الحفاظ وحيد

حواني وأيام الزمان أراقمٌ وهبهب عني والخطوب أسود

ولبى دعائي والصدى لايجيبني بيقظتهِ والسامعون رقود

وانهضني بالدهر حتى دفعته وجانبه وعرٌ عليَّ شديد

وقد قعدت بي نصرة اليد اختها وقلّص عني الظل وهو مديد

تكفل لي بالعيش حتى رعيته على وخم الأيام وهو رغيد

وأطلق من ساقيَّ حتى أناف بي على أربي والحادثات قيود

فما راعني من عقني وهو واصل ولا ضرني من غاب وهو شهيد

من القوم مدلول على المجد واصل إذا ضل عن طرق العلاءِ بليد

عتيق نجار الوجه أبيض صرحت به عن صفاياها غطارف صيد

كرام تضيء المشكلات برأيهم　　وينظم شمل المجد وهو بديد
يسود فتاهم في خيوط تميمه　　ويشأى كهول الناس وهو وليد
إذا نزلوا بالارض غبراء جعدة　　أماهَ حصاً فيها وطاب صعيد
كأن نصوعَ الأرض حين تسحبت
مآزر　منهم　فوقها　وبرود
سخا بهم أن السخاء شجاعة　　وشجعهم أن الشجاعة جود
لهم بابنهم ما للسحابة اقلعت　　من الروض يوم الدجن وهو صَخود
وما غاب من دار العلى شخص هالك
مضى　وبنوه　الصالحون　شهود
أبا طالب لا يُخلف الفخر دوحة　　وأنت لها فرع وبيتك عود
بغى الناس أدنى ما بلغت فطيرت　　رياحك عصفاً والبغاة ركود
وشال بك القدح المعلى وحطهم　　وليس لهاوٍ بالطباع صعود
فلو كلَّمتك الشمس قالت لحقت بي
علاءً　وإشراقاً　فأين　تريد ؟
أقر لك الاعداء بالفضل عَنوة　　ومعترف من لم يسعْه جحود
وكيف يماري في الصباح معاند　　وقد فلق الخضراء منه عَمود
تسمَّع من الحساد وصفك واغتبط
فاعجب　فضلٍ　ما　رواه　حسود
وإن نكلوا شيئاً فان فصاحتي　　وراءك كنز في الكلام عتيد
وبين يدي نعماك مني حمية　　لها مدد من نفسها وجنود
إذا راحت حرباً رأيت كماتها　　تلاوذ من أطرافها وتحيد

اذود بها عن سرح عرضك كلما   تقطع فيه للفريسة سيد

إذا انشطت من عقلة الفكر أرسلت   بها طلقات وثبهنّ شرود

مطايا لابكارِ الكلام إذا مشي   على حسك السعد ان منه رديد

نطقت بها الإعجاز والمؤمنون لي   على دينها بين الجنان خلود

ويحسدني قوم عليها وحظها   شقيٌ وحظ المقرفات سعيد

تمنوا على اخصابهم جدب عيشها   وأنهم خصوا بها وافيدوا

ولم أحسِب البلوى عليها مزاحمٌ   ولا أن ضنك العيش فيه حسود

لها الحسب الحر الصريح إذا طغت   عليها إماءُ غيرها وعبيد

يزورك منها والنساء فوارك   كواعب تُصفيك المودة غيد

لهنَّ جديد من نوالك كلما   أتى طالعاً يوم بهنَّ جديد

ففي كل يوم مهرجان مقلَّد   بهن ونيروز لديك وعيد

هذا آخر ما اردت نقله من المطولات، ولو ظفرت بديوانه كاملًا لنقلت منه أكثر من ذلك، ولكني لم أظفر من ديوانه إلا بالمجلد الاول، فلله دره من شاعر ما أثبت مبانيه، وأجل معانيه، وفيما نقلت من شعره دليل على تقدمه. قال صاحب «دمية القصر» في حقه: هو شاعر له في مناسك الفضل مشاعر، وكان تحت كل كلمة من كلماته كاعب، وما في قصائده بيت يتحكم عليه بلو وليت، وهي مصبوبة في قوالب القلوب، وبمثلها يعتذر الزمان المذنب من الذنوب، وذكر له عدة مقاطيع فمنها القصيدة المتقدمة الهائية ومنها يقول:

إن التي عَلَّقتَ قلبك حبها   راحت بقلب منك غير علوقِ [1]

---

(١) ديوانه: ٢٩٦؛ ٣٢٧، ٣٥٧ وابن خلكان ١٩٦، ١٩٧.

عقدت ضمان وفائها في خصورها | فوهى كلا العقدين غير وثيق

ومنهـــا :

بـكر العارض يحدوه النُّعامى | فسقاكِ الله يا دار أمامـا[1]

وبجرعـاء الحمى قلبي فعج | بالحمى واقر على قلبي السلاما

وترحل فتحدث عجبـاً | أن قلباً سار عن جسم أقاما

قل لجيران الغضـا آهـاً على | طيب عيش بالغضا لو كان داما

نصل العـام ولا ننساكـم | وقصارى الوجد أن نسلخ عاما

حمّلوا ريح الصَبا من نشركم | قبل أن تحمل شيحاً وخزاما

وابعثوا أشباحكم لي في الكرى | إن أذنتم لجفوني أن تنامـا

ومن قوله :

أرِقتُ فهل لهاجعـةٍ بسلع | على الأرِقين أفئدة ترِقّ[2]

نشدتك بالمـودة يا ابن ودي | فإنـك بي من ابن أبي أحق

أسِـلْ بالجزع دمعك ان عيني | إذا استبررتها دمعـاً تعِـق

وإن شق البكاء على المعافى | فلم أسألك إلا ما يَشقِق

وله في القناعة وقد أحسن :

يُلحى على البخل الشحيح بماله | أفلا تكون بماء وجهك أبخَلا[3]

أكرم يديك عن السؤال فانما | قدرُ الحياة أقلُّ من أن تَسألا

ولقد أضم إليَّ فضل قناعـتي | وأبيت مشتمـلاً بها متـزملا

---

(١) ابن خلكان ١٩٦ ، ١٩٧

(٢) ديوانه : ٣٥٧ ، وابن خلكان ١٩٦ ، ١٩٧

(٣) ديوانه : ١٣٨ ، ابن خلكان ١٩٧

وأري الغدو على الخصاصة شارة تصف الغنى فتخالني متموّلا

وإذا امرؤٌ افنى الليالي حسرة وأمانياً أفنيتهنّ توكلا

ومن بديع مدائحه من جملة قصيدة :

وإذا رأوك تفرقت أرواحهم فكأنما عرفتك قبل الأعين [١]

وإذا أردت بأن تفل كتيبة لاقيتها فتسمّ فيها واكتن .

وله من جملة قصيدة أبيات تتضمن العتب وهي :

إذا صوّر الإشفاق لي كيف أنتم وكيف إذا ماعنّ ذكري صبرتم [٢]

تنفست عن عتبٍ فؤادي مفصح به ولساني للحفاظِ يجمجم

وفي فيّ ماءٌ من بقايا ودادكم كثيراً به من ماءِ وجهي أرقتم

أرقت وما ضناً عليه وبينه وبين انسكاب ريثما اتكلم

قال جامعه ويعجبني بيت له من قصيدة قوله :

متى انتم من ظاعنين وخلّفوا قلوباً أبت أن تعرف الصبر عنهم

تم الاختيار من شعر مهيار الديلمي ويليه الاختيار من شعر ابن هاني الاندلسي .

---

(١) و (٢) ديوانه ١٣٨ وابن خلكان ١٩٨

شعر

ابن هاني [1]

هو أبو القاسم وأبو الحسن محمد بن هاني الأزدي المهلبي من ولد يزيد بن حاتم بن المهلب الأزدي ، وقيل : إنه من ولد أخيه روح بن حاتم ، ولد بمدينة اشبيلية ، ونشأ بها ، واشتغل وحصل له حظ وافر من الأدب وعمل الشعر ومهر فيه ، وكان حافظاً لأشعار العرب وأخبارهم ، واتصل بصاحب اشبيلية ، وحظي عنده ، وكان كثير الانهماك في الملاذ متهماً بمذهب الفلاسفة ، واتصل بالمعز أبي تميم معد ابن المنصور العبيدي ، وبالغ في إكرامهِ ، ثم توجه المعز إلى الديار المصرية ، وخرج في أثره ، فلما وصل إلى برقة ، وجد مقتولاً في بعض طرقها ، ولم يعرف سبب قتله وذلك سنة اثنتين وستين وثلاث مائة وعمره ست وثلاثون سنة ، ولما بلغ المعز قتله تأسف عليه كثيراً ، وقال : هذا رجل كنا نرجو أن نفاخر به أهل المشرق ؛ فلم يقدر لنا ذلك . وله في المعز المذكور غرر مدائح ، ونخب أشعار ، وله ديوان شعر أجاد فيه كل الإجادة ، لولا ما فيه من الغلو في المدح ، والافراط المفضي إلى الكفر لكان من أحسن الدواوين ، وليس في المغاربة من هو في طبقته لا من متقدميهم ولا من متأخريهم ، بل

---

(١) قوبل شعر ابن هاني على ديوانه للبستاني ، وابن خلكان .

هو أشعرهم على الاطلاق ، وهو عندهم كالمتنبي عند المشارقة ، وكانا متعاصرين .

قال يمدح المعز وهي من القصائد الطنانة ، وهي أول ما أنشده بالقيروان وأجازه عليها جائزة جليلة :

هـل من أعقـّةِ عالـج يبرين　　أم منهما بقر الحدوج العين[1]
ولمن ليـال ما ذممنا عهـدها　　مـذ كنّ إلاّ أنهـنّ شجون
المشرقات كأنهن كواكب　　والناعمـات كأنهـنّ غصون
بيض وما ضحك الصباح وإنها　　بالمسك من طرر الحسان لجون
أدمى لها المرجان صفحة خده　　وبكى عليها اللؤلؤ المكنون
أعدى الحمام تأوّهي من بعدها　　فكـأنـه فـيما سجعن رنـين
بانوا سراعـاً للهوادج زفرة　　ممـا رأين وللمطيّ حنـين
فكأنما صبغوا الضحى بقبابهم　　ان عصفرت فيها الخدود جفون
ماذا على حُلل الشقيق لو انها　　عن لابسيها في الخـدود تبين
لأعطشنّ الروض بعدهم ولا　　يُرويه لي دمـع عليه هتون
أأعير لحظ العين بهجـة منظر　　واخونهـم إني إذاً لخؤون
لا الجو جوّ مشرق ولو اكتسى　　زهراً ولا الماء المعين معين
لايبعدن إذا العبير له ثرى　　والبان دوح والشموس قطين
أيام فيـه العبقـري مفوّف　　والسابري مضـاعف موضون
والزاعبيـة شرّع والمشرفيـة　　لمـّع والمقربات صُفون
والعهد من ظمياء إذ لا قومها　　خُزرٌ ولا الحرب الزَّبون زبون

(١) ديوانه : للبستاني ١٧١

عهدي بذاك الجو وهو أسنة ... وكناس ذاك الخشف وهو عرين

هل يدنيني منه أجرد سابح ... مرح وجائلة النسوع أمون

ومهند فيه الفرند كأنه ... زمر له خلف الغرار كمين

عضب المضارب مقفر من أعين ... لكنه من أنفس مسكون

قد كان رشح حديده أجلا وما ... صاغت مضاربه الرقاق قيون

وكأنما يلقى الضريبة دونه ... بأس المعز أو اسمه المخزون

هذا معد والخلائق كلها ... هذا المعز متوجاً والدين

إلى أن قال :

ملك كما حُدثت عنه رأفة ... فالخز ماء والشراسة لين

ووراء حق ابن الرسول ضراغم ... أسد وشهباء السلاح منون

والطالبان المشرفية والقنا ... والمدركان النصر والتمكين

وصواهل لا الهضب يوم مغارها ... هضب ولا البيد الحزون حزون

جنب الحمام وما لهن قوادم ... وعلا الربود وما لهن وكون

فلهن من وُرق اللجين توجس ... ولهن من مقل الظباء شفون

فكأنها تحت الغبار كواكب ... وكأنها تحت الحديد دجون

عُرفت بساعة سبقها لا انها ... علقت بها يوم الرهان عيون

وأجل علم البرق فيها أنها ... مرت بجانحتيه وهي ظنون

في الغيث شبه من نداك كأنما ... مسحت على الأنواء منك يمين

أما الغنى فهو الذي أوليتنا ... فكأن جودك بالخلود رهين

تطأ الجياد بنا البدور كأنها ... تحت السنابك مرمر مسنون

فالفيء لا متنقل والحوض لا ... متكدر والمن لا ممنون

انظر إلى الدنيا باشفاق فقد ارخصت هذا العِلق وهو ثمين
لو يستطيع البحر لاستعدى على جدوى يديك وإنه لقمين
أمدده أو فاصفح له عن نيلهِ فلقد تخوف أن يقال ضنين

وقد اختصرت آخر هذه القصيدة وإن كانت من جيد شعره لأنه تجاوز فيها الحد في حق أهل البيت رضي الله عنهم وقال قولاً ينافي مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة الإمامة .

وقال يمدح جعفر بن علبون :

فُتقت لكم ريح الجلاد بعنبرِ وأمدكم فلقُ الصباح المسفر[1]
وجنيتم ثمر الوقائع يانعاً بالنصر من ورق الحديد الأخضر
وضربتم هام الكماةِ ورعتم بيض الخدور بكل ليث مخدر
أبني العوالي السمهرية والسيو ف المشرفية والعديد الأكثر
كل الملوك من السروج سواقط إلا الممملك فوق ظهر الأشقر
من منكم الملك المطاع كأنه تحت السوابغ تبّع في حمير
القائد الخيل العتاق شوازبا خُزراً إلى لحظ السنان الأخزر
شعث النواصي حسرة آذانها قبّ الأياطل داميات الأنسر
تنبو سنابكهنّ عن عفر الثرى فيطأنَ في خد العزيز الأصعر
جيش تقدّمه الليوث وفوقه كالغيل من قصب الوشيج الأسمر
وكأنما سلبَ القشاعم ريشها مما يشق من العجاج الأكدر
وكأنما اشتملت قناه ببارقٍ متألقٍ أو عارض متعنجر

---

(١) ديوانه : ٣٢٢

تمتد ألسنة الصواعق فوقه عن ظلتي مزن عليه كنهور
ويقوده الليث الغضنفر معلماً في كل شثن اللبدتين غضنفر
نحر القبول من الدبور وسار في جيش الهرقل وعزمة الإسكندر
في فتية صدأ الدروع عبيرهم وخلوقهم علق النجيع الأحمر
لا يأكل السرحان شلو طعينهم مما عليه من القنا المتكسر
أنسوا بهجران الأنيس كأنهم في عبقري البيد جنّة عبقر
يَغشَون بالبيد القفار وإنما تلِد السَّبنتى في اليباب المقفر
فرواية الصنديد تخبر عنهم واسامة الصديق أصدق مخبر
قد جاوروا أجم الضواري حولهم فإذا هم زأروا بها لم تزأر
ومشوا على قطع النفوس كأنما تمشي سنابك خيلهم في مرمر
قوم يبيت على الحشايا غيرهم ومبيتهم فوق الجياد الضمر
وتظل تسبح في الدماء قبابهم فكأنهنّ سفائن في أبحر
فحياضهم من كل مهجة خالع وخيامهم من كل لبدة قسور
من كل أهرت كالح ذي لبدة أو كل أبيض واضح ذي مغفر
حي من الأعراب إلا أنهم يردون ماءَ الأمن غير مكدَّر
راحوا إلى أم الرئال عشية وغدوا إلى ظبي الكثيب الأعفر
طردوا الأوابد في الفدافد طردهم للأعوجيَّةِ في مجالِ العثير
ركبوا إليها يوم لهو قنيصهم في زيّهم يوم الخميس المصحر
انا لتجمعنا وهذا الحي من بكر أزمّة سالف لم تُخفر
أحلافنا فكأننا من نسبة ولداتنا فكأننا من عنصر

اللابسين من الجلاد الهبر ما ... أغناهم عن لأمةٍ وسنوَّر
لي منهم سيف إذا جردته ... يوما ضربت به رقاب الأعصر
وفتكت بالزمن المدجج فتكة ... البراض يوم هجائن ابن المنذر
صعب إذا نوب الزمان تصعبت ... متنمر للحادث المتنمر
فإذا عفا لم تلق غير مملك ... وإذا سطا لم تلق غير مُظفر
وكفاك من حب السماحة انها ... منه بموضع مُقلةٍ من محجر
فغمامه من رحمة وعراصُه ... من جنَّةٍ ويمينه من كوثر

وقال يمدح القائد جوهراً ، ويذكر توديعه عند خروجه من القيروان إلى مصر، ويصف الجيش، ويذكر خروجه للتشييع وذلك سنة ٣٥٨

رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع ... وقد راعني يوم من الحشر أروع[1]
غداة كأن الأفق سد بمثله ... فعاد غروب الشمس حيث تطلع
فلم أدر إذ سلمت كيف أشيّع ... ولم أدر إذ شيعت كيف أودع
وكيف نخوض الجيش والجيش لجة ... واني بمن قاد الجيوش لمولع
وأين ومالي بين ذا الجمع مسلك ... ولا لجوادي في البسيطة موضع
ألا ان هذا حشد من لم يذق له ... غرار الكرى جفن ولابات يهجع
نصيحته للملك سدت مذاهبي ... فما بين قيد الرمح والرمح إصبع
فقد ضرعت حتى الرواسي لمارأت ... فكيف قلوب الإنس والإنس أضرع
فلا عسكر من قبل عسكر جوهر ... تخب المطايا فيه عشراً وتوضع
تسير الجبال الجامدات لسيره ... وتسجد من أدنى الحفيف وتركع

---

(١) ديوانه : ٣٥٥ ، والمنتخب ٣٩٨

إذا حل في أرض بناها مدائناً ... وإن سار عن أرض ثوت وهي بلقع

سموت له بعد الرحيل وفاتني ... فأقسمت ألا لا يلائم مضجع

فلما تدار كت السرادق في الدجى ... عشوت إليه والمشاعل ترفع

فبتُّ وبات الجيش جما سميره ... يؤرقني والجنُّ في البيد هجع

فتخرق جيب المزن والمزن دالح ... وتوقد موج اليم واليم أصقع

وهمهم رعدٌ آخر الليل قاصف ... ولاحت مع الفجر البوارق تلمع

وأوحت إلينا الوحش ما الله صانع ... بنا وبكم من هول ما نتسمع

ولم تعلم الطير الحوائم فوقنا ... إلى أين نستذري ولا أين نفزع

إلى أن تبدى سيف دولة هاشم ... على وجهه نور من الله يسطع

كأن ظلال الخافقات أمامه ... غمائم نصر الله لا تتقشع

كأن السيوف المصلتات إذا طمت ... على البر بحر زاخر الموج مترع

كأن أنابيب الصعاد أراقمٌ ... تلمظ في أنيابها السم منقع

كأن العتاق الجرد مجنوبةً له ... ظباء ثنت اجيادها فهي تتلع

كأن الكماة الصيد لما تغشمرت ... حواليه أسد الغيل لا تتكعكع

كأن حماة الرحل تحت ركابه ... سيول نداه أقبلت تتدفع

كأن سراع النجب تنشر يمنة ... على البيد آلٌ في الضحى يترفع

كأن صعاب البخت إذ ذللت له ... أسارى ملوك عضها القد ضرَّع

كأن خلاخيل المطايا إذا غدت ... تجاوب أصداء الفلا تترجع

تهيج وسواس البرين[١] صبابة ... عليها فتغرى بالحنين وتولع

---

(١) الحلق (جامع الكتاب)

لقد جل من يقتاد ذا الخلق كله وكل له من قائم السيف أطوع

تحف به القواد والامر أمره ويقدمه رأي الخلافة أجمع

ويسحب اذيال الخلافة رادعاً به المسك من نشر الهدى يتضوع

له حلل الإكرام خص بفضلها نسائج بالتبر المشهر تلمع

برود أمير المؤمنين برودهُ كساه الرضى منهن ماليس يخلع

وبين يديه خيله وسروجه تقاد عليهن النضار المرصع

وأعلامه منشورة وقبابه وحجابه تدعى لأمر فتسرع

مليك ترى الاملاك دون بساطه وأعناقهم ميل إلى الارض خضع

قياماً على أقدامهم قد تنكبت صوارمها كل يطيع ويخضع

تحل بيوت المال حيث محله وجم العطايا والرواق المرفع

إذا ماج أطنابُ السرادق بالضحى

وقامت حواليه القنا تتزعزع

وسل سيوف الهند حول سريره ثمانون الفاً دارع ومقنّع

رأيتَ من الدنيا اليه منوطة فيمضي بامر الله فيها ويصدع

وتصحبه دار المقامة حيثما أناخ وشمل المسلمين المجمع

وتعنو له السادات من كل معشر فلا سيد منه أعز وأمنع

فلله عينا من رآه مخيما إذا جمع الانصار للاذن مجمع

وأقبل فوج بعد فوج فشاكر له أو سؤول أو شفيع مشفع

فلم يفتأوا من حكم عدل يعمهم وعارفة تسدى اليهم وتصنع

يسوسهم منهُ أب متكفل برعي نبيهِ حافظ لايضيع

فستر عليهم في الملمات مسبل وكنز لهم عند الائمة مودع

بطيء عن الامر الذي يكرهونه   عجول اليهم بالندى متسرع

ولله عينا من رآه مقوضاً   إذا جعلت أولى الكتائب تسرع

ونوديَ بالترحال في فحمة الدجى   فجاءته خيل النصر تردي وتمزع

فلاح لها من وجهه البدر طالعاً   وفي يده الشعرى العبور تطلع

وأضحى مردّىً بالنجاد كأنه   هزبر عرين ضم جنبيه أشجع

فكبرت الفرسان لله اذ بدا   وظل السلاح المنتضى يتقعقع

وحف به أهل الجهاد فمقدم   وماض وإصليت وأطلق أروع

وعب عباب الموكب الفخم حوله

وزفّ كما زف الصباح الملمّع

وثار بريا المندلي غباره   ونشر فيه الروض والروض موقع

وقد رُتبت فيه الملوك مراتباً   فمن بين متبوع وآخر يتبع

تسير على أقدارها في عجاجة   ويقدمها منه العزيز الممنع

وما لؤمت نفس تُقر بفضله   وما اللؤم إلا دفع ما ليس يدفع

لقد فاز منه مشرق الارض بالتي

تفيض لها من مغرب الارض ادمع

ألا كل عيش دونه فمحرم   وكل حريم بعده فمضيع

وإن بنا شوقاً اليه ولوعة   تكاد لها اكبادنا تتصدع

ولكنما يسلي من الشوق أنه   لنا في ثغور المجد والدين أنفع

وإن المدى منه قريب واننا   اليه من الايماء باللحظ أسرع

فسر أيها الملك المطاع مؤيداً   فللدين والدنيا اليك تطلع

وقد أشعرت أرض العراقين خيفة   تكاد لها دار السلام تضعضع

وأعطت فلسطين القياد وأهلها　　فلم يبق منها جانب يتمنع

وما الرملة المقصورة الخطو وحدها　　باول أرض ما لها عنك مفزع

وما ابن عبيد الله يدعوك وحده　　غداة رأى أن ليس في القوس منزع

بل الناس كل الناس يدعوك غيره　　فلا أحد إلا يذل ويخضع

وان باهل الارض فقراً وفاقة　　اليك وكل الناس آتيك مهطع

إلا إنما البرهان ما أنت موضح　　وما الرأي إلا وفق ما أنت مزمع

رحلت إلى الفسطاط ايمن رحلة　　بايمن فال في الذي أنت مجمع

ولما حششت الجيش لاح لاهله　　طريق إلى اقصى خراسان مهيع

قد استقبل الناس الربيع وقد غدت　　متون الربى من سندس تتلفع

وقد أخضل المزن البلاد ففجرت　　ينابيع حتى الصخر أخضل ممرع

وأصبحت الطرق التي أنت سالك　　مقدسة الظهران تُسقى وتربع

وقد بسطت فيها الرياض درانكا　　من الوشي إلا أنها ليس ترفع

وغرد فيها الطير بالنصر واكتست　　زرابيَّ من انوارها لاتوشع

سقاها فرواها بك الله آنفا　　فنعم مَراد الصيف والمتربع

وما جهلت مصر وقد قيل من لها　　بأنك ذاك الهبرزي السميدع

وأنك دون الناس فاتح قفلها　　فأنت لها المرجو والمتوقع

فان يك في مصر رجال حلومها　　فقد جاءهم نيل سوى النيل يهرع

ويممهم من لايغير بنعمة　　فيسلبهم لكن يزيد فيوسع

ولو قد حططت الغيث من عقر دارهم　　كشفت ظلام المحل عنهم فامرعوا

وداويتهم من ذلك الداء إنه   إلى اليوم رجزٌ فوقهم ليس يقلع

وكفكفت عنهم من يجور ويعتدي   وأمنت منهم من يخاف ويجزع

إذاً لرأوا كيف العطايا بحقها   لسائلها منهم وكيف التبرع

وأنساهم الاخشيدَ من شسع نعله

أعز من الاخشيد قدراً وارفع

سيعلم من ناواك كيف مصيره   ويبصر من قارعته كيف يقرع

إذا صلت لم يكرم على السيف سيد   وإن قلت لم يقدم على القول مصقع

تقيك الليالي والزمان وأهله   ومصفيك محض الود والمتصنع

تعبت لكيما تعقب الملك راحةً   فمهلا فداك المستريح المودع

فاشفق على قلب الخلافة إنه   حناناً واشفاقاً عليك مروع

تحملت أعباء الخلافة كلها   وغيرك في أيام دنياه يرتع

فوالله ما ادري أصدرك في الذي   تدبره أم فضل حلمك أوسع؟

وما بلغ الاسكندر الرتبة التي   بلغتَ ولا كسرى الملوك وتبع

سموت من العليا الى الرتبة التي

تُرى الشمس فيها تحت قدرك تضرع

إلى غاية ما بعدها لك غاية   وهل خلف افلاك السموات مطلع

إلى أينَ تبغي ليس خلفك مذهب   ولا الجواد في لحاقك مطمع

وقال يمدح المعز، وهو بالمنصورية بعد رجوعه من تشييع عسكر المنصور النافذ إلى مصر يصف القائد جوهر مقدم العسكر قال:

سقتني بما مجت شفاه الأراقم   وعاتبني فيها شفار الصوارم[1]

(١) ديوانه ١٤٧

عدتني اليها الحرب يصرف نابها ... وصلصال رعد في زئير الضراغم

فكيف بها نجديةً حال دونها ... صعاليك نجد في متون الصلادم

أنى دونها نأي المزار وبعده ... وآساد أغيال وجنٌ صرائم

واشوس غيرانٌ عليها حُلاحل ... طويل نجاد السيف ماضي العزائم

ولو شئت لم تبعد عليَّ خيامها ... ولو طنبت بين النجوم العواتم

وبات لها مني على ظهر سابح ... اشمٌ أبي الظلم من آل ظالم

وأسهدها جر الرياح على الثرى ... بايدي فتوّ الازد صفر العمائم

فهل تبلغنّيها الجياد كأنها ... أعنتها من طول لوك الشكائم

من الاعوجيات التي تززق الغنى ... وتضمن أقوات النسور القشاعم

من اللاء هاجت للنوى اريحيَّتي ... وهزت إلى فسطاط مصر قوادمي

فشيعت جيش النصر تشييع مزمع ... وودعته توديع غير مصارم

وقد كنت لا الوي على من تركته ... ولكن عداني ما ثنى من عزائمي

فلو أنني استأثرت بالاذن وحده ... لسرتُ ولم أحفل بلومة لائم

طربتُ إلى يوم أوفيه حقهُ ... ليعلم أهل الشعر كيف مُقاومي

وأصبو إلى مصر لساعة مشهدٍ ... يعض لها غيّابها بالأباهم

فان لم أشاهد يومها ملء ناظري ... أشاهدهُ ملء السمع ملء الحيازم

وقد صورت نفسي لي الفتح صورة ... وشامته لي من غير نظرة شائم

كذاك إذا قام الدليل لذي النهي ... على كون شيء كان ضربة لازم

على أنني قضيت بعض مآربي ... وأقررت عيني بالجيوش الخضارم

وآنست من أنصار دولة هاشم ... جحاجحةً تسعى لدولة هاشم

ويمت في طرق الجهاد سبيلهم لأصلى كما يصلون لفح السمائم

وفارقتهم لا مؤثراً لفراقهم ولا مستخفاً بالحقوق اللوازم

فلله ما ضم السرادق والتقت عليه ظلال الخافقات الحوائم

فثم مصابيح الظلام وشيعة الـ إمام وأسد المأزق المتلاحِم

وفي الجيش ملآن به الجيش باسط يديه بقسطاس من العدل قائم

مدبر حرب لا بخيل بنفسه عليها ولا مستأثر بالغنائم

ولا صارف راياته عن محارب ولا ممسك معروفه عن مسالم

وللصارخ الملهوف أول ناصر وللمترف الجبار أول قاصم

فلا عبقري كان أو هو كائن فرى فريَه في المعضلات العظائم

كذلك ما قاد الكتائب مثله لإنصاف مظلوم ولا قمع ظالم

ولم يتجمّع لامرىء كان قبله بناء المعالي واجتناب المآثم

جزته جوازي الخير عنا فانه سقانا بشؤبوب من العدل ساجم

فقد سار فينا سيرة لم يسر بها من الناس إلا مثل كعب وحاتم

متى نختلف في الأمر ألَّفَ بيننا طبيب بأدواء القلوب السقائم

فلا رأيه في حالة يتبع الهوى ولا سمعه مستوقفٌ للنمائم

أفاء علينا ظل أنعمه التي زهين بأيام العلى والمكارم

وما غال جيش الشرك قبلك غائل ولا سيما بعد العطايا الجسائم

وبعد صلات ما رأى الناس مثلها ولا سمعوا في السالفِ المتقادم

أُولئك قوم يعلم الله أنهم قد اقتسموا الدنيا اقتسام المغانم

فكم ألف ألفٍ قد غدوا يطؤونها بأقدامهم وطء الحصى بالمناسم

ولو كنت ممن يستريب عيانه ويدركه فيما رآى وهم واهم

لحدثت نفسي أنني كنت حالما وإن لم أكن فيما رأيت بحالم

فلا يسألني من تخلف عنهم فيقرع في آرائه سن نادم

لعمري هم الأنصار حقاً فكلهم من المجد في بيت رفيع الدعائم

فقد أظهروا من شكر نعمة ربهم وقائدهم مالست عنه بنائم

وإني قد حملت منهم ودائعاً كرائم تهدى من نفوسٍ كرائم

إليك أمير المؤمنين حملتها ودائع كالأموال تحت الخواتم

شهدت بما أبصرته وعلمته شهادة برٍ لا شهادة آثم

فقمت بها عن ألسن القوم خطبة إذا ذكرت لم تخزهم في المواسم

تم الاختيار من شعر ابن هاني الأندلسي ويليه الاختيار من شعر الصفى الحلي .

شعر

الصفي الحلى [1]

قال جامع كتاته :

هو تاج الأدباء والفضلاء عمدة الشعراء والفصحاء صفي الدين أبو المحاسن عبد العزيز بن سرايا بن أبي القاسم الحلي التنيسي .

فمن قوله في الفخر والحماسة :

---

(١) قوبل شعر الصفي الحلي على ماورد في ديوانه المطبوع في بيروت .

لئن ثلمت حدي صروف النوائبِ
فقد أخلصت سبكي بنار التجاربِ [1]

وفي الأدب الباقي الذي وهبنني ... عزاء من الأموال عن كل ذاهب
فكم غاية أدركتها غير جاهدٍ ... وكم رتبة قد نلتها غير طالب
وما كل وانٍ في الطلاب بمخطىءٍ
ولا كل ماض في الأمور بصائب
سمت بي إلى العلياء نفس أبية ... ترى أقبح الأشياء أخذ المواهب
بعزم يريني ما أمام مطالبي ... وحزم يريني ما وراء العواقب
وما عابني جاري سوى أن حاجتي ... اكلفها من دونه للأجانب
وإن نوالي في الملمات واصل ... اباعد أهل الحي قبل الأقارب
وليس حسود ينشر الفضل عائباً ... ولكنه مغرى بعدِّ المناقب
وما الجود إلا حلية مستجادة ... إذا ظهرت أخفت وجوه المعائب
لقد هذبتني يقظة الرأي والنهى ... إذا هذبت غيري صروف التجارب
واكسبني قومي وأعيان معشري ... حفاظ المعالي وابتذال الرغائب
سَراة يقر الحاسدون بفضلهم ... كرام السجايا والعلى والمناصب
إذا جلسوا كانوا صدور مجالسٍ ... وإن ركبوا كانوا صدور مواكب
أسود تغانت بالقنا عن عرينها ... وبالبيض عن أنيابها والمخالب
يجودون للراجي بكل نفيسة ... لديهم سوى أعراضهم والمناقب
إذا نزلوا بطن الوهاد لغامض ... من القصد أذكوا نارهم بالمناكب
وإن ركزوا غب الطعان رماحهم ... رأيت رؤوس الأسد فوق الثعالب

(١) ديونه : ٥

فأصبحت أفني ما ملكت لأقتني ... به الشكر كسباً وهو أسنى المكاسب

وأرهن قولي عن فعالي كأنه

عصا الحارث الدعميّ أو قوس حاجب

ومن يك مثلي كامل النفس يغتدي

قليلاً معاديه كثير المصاحب

فما للعدى دبت أراقم كيدهم ... إليّ وما دبت إليهم عقاربي

وإني ليدمي قائم السيف راحتي ... إذا دميت منهم خدود الكواعب

وما كل من هز الحسام بضارب ... ولا كل من أجرى اليراع بكاتب

وما زلت فيهم مثل قدح بن مقبل ... بتسعين أمسى مقبلا غير خائب

فإن كلّموا منا الجسوم فإنها ... فلول سيوف ما نبت في المضارب

وما عابني إن كلمتني سيوفهم ... إذا ما نبت عني سيوف المثالب

ولما أبت إلا نزالا كماتهم ... درأت بمهري في صدور المقانب

فعلمت شم الأرض شمّ انوفهم ... وعودت ثغر الترب لثم الترائب

بطرف علا في قبضة الريح سابح ... له أربع تحكي أنامل حاسب

تلاعب أثناء الحسام مزاجه ... وفي الكر يبدي كرة غير لاعب

ومسرودة من نسج داود نثره ... كلمع غدير ماؤه غير ذائب

واسمر مهزوز المعاطف ذابل ... وأبيض مسنون الغرارين قاضب

إذا صدفته العين أبدى توقدا ... كأن على متنيه نار الحباحب

ثنى حده فرط الضراب فلم يزل ... حديد فرند المتن رث المضارب

صدعت به هام الخطوب فرعتها ... بأفضل مضروب وأفضل ضارب

وصفراء من ورق الأراوى نحيفة إذا جذبت صرت صرير الجنادب

لها ولد بعد الفطام رضاعه يسرُّ عقوقاً رفضه غير واجب

إذا قرب الرامي إلى فيه نحره سعى نحوه بالقسر سعي المجانب

فيقبل في بطء كخطوةِ سارق ويدبر في جري كركضة هارب

هناك فجأت الكبش منهم بضربة فرقت بها بين الحشا والترائب

لدى وقعة لا يقرع السمع بينها بغير انتداب الشوس أو ندب نادب

فقل للذي ظن الكتابة غايتي ولا فضل لي بين القنا والقواضب

بجدّ يراعي أو حسامي علوته وبالكتب أرديناه أم بالكتائب

وكم ليلة خضت الدجى وسماؤه معطلة من حلي در الكواكب

سريت بها والجو والسحب مقتم فلما تبدى النجم قلت لصاحبي

أصاح ترى برقا أريك وميضه يضيء سناه أم مصابيح راهب

بحرف حكى الحرف المفخم صوتها سليلة نجب ألحقت بنجائب

تعاف ورود الماء أن سبق القطا إليه وما علت به في المشارب

قطعت بها خوف الهوان سباسبا إذا قلت تمت أردفت بسباسب

يسامرني في الفكر كل بديعة منزهة الألفاظ عن قدح عائب

يرتلها الشادون في نغماتهم وتحدو بها طوراً حداة الركائب

فأدركت ما أملت في طلب العلى ونزهت نفسي عن طلاب المواهب

ونلت بها سؤلي من العز لا الغنى وما عدّ من عاف الهبات بخائب

وله في الحماسة أيضاً :

سلي الرمـاح العوالى عن معاليـنـا
واستشهدي البيض هل خاب الرجا فينا [1]

وسائـلي العُرب والأتراك مـا فعلت
في أرض قبر عبيد الله أيدينا

لما سعينا فـما رقت عزائمنـا | عما نروم ولا خابت مساعينا
يايوم وقعة زوراء العراق وقد | دنّا الأعادي كما كانوا يدينونا
بضمر ما ربطنـاها مسومـة | إلا لنغزو بها من بات يغزونا
وفتية ان نقل أصغوا مسامعهم | لقولنـا أو دعوناهم أجابونا
قوم إذا استُخصموا كانوا فراعنة | يوماً وإن حكموا كانوا موازينا
تدرعوا العقل جلبابا فإن حميت | نار الوغى خلتهـم فيها مجانينا
إذا ادّعوا جاءت الدنيا مصدقة | وإن دعوا قالت الأيام آمينا
إن الزرازير لمـا قـام قائمهـا | توهمت أنها صارت شواهينا

ظنت تأني البزاة الشهب عن جزع
وما درت أنـه قـد كان تهوينـا

بيادق ظفرت أيدي الرخاخ بها | ولو تركناهم صاروا فرازينا
ذلوا بأسيافنا طول الزمان فمذ | تحكموا أظهروا أحقادهم فينا
لم يغنهم مالنا عن نهب أنفسنا | كأنهم في أمـان من تقاضينا
أخلوا المساجد من أشياخنا وبغوا | حتى حملنا فأخلينا الدواوينـا

---

(١) ديوانه : ١٠

ثم اثنينا وقد ظلت صوارمنا تميس عجباً ويهتز القنا لينا

وللدماءِ على أثوابنا علق بنشره عن عبير المسك يغنينا

فيالها دعوة في الأرض سائرة قد اصبحت في فم الأيام تلقينا

انا لقوم أبت أخلاقنا شرفاً

ان نبتدي بالأذى من ليس يؤذينا

بيض صنائعنا سود وقائعنا خضر مرابعنا حمرٌ مواضينا

لايظهر العجز منا دون نيل منى ولو رأينا المنايا في أمانينا

ما أعوزتنا فرامين نصول بها إلا جعلنا مواضينا فرامينا

إذا جرينا إلى سبق العلى طلقاً إن لم نكن سبقاً كنا مصلينا

نغشى الخطوب بأيدينا فندفعها وإن دهتنا دفعناها بأيدينا

ملك إذا فوِّقت نبل العدو لنا رمت عزائمه من بات يرمينا

عزائم كالنجوم الشهب ثاقبة مازال يحرق فيهنَّ الشياطينا

أعطى فلاجوده قد كان عن غلطٍ منه ولا أجره قد كان ممنونا

وكم عدو لنا أمسى بسطوته

يبدي الخضوع لنا ختلا وتسكينا

كالصل يظهر ليناً عند ملمسه حتى يصادف في الاعضاءِ تمكينا

يطوي لنا الغدر في نصح يشيربه ويمزج السم في شهد ويسقينا

وقد نغض ونغضي عن قبائحه ولم يكن ذاك عجزاً عن تقاصينا

لكن تركناه إذ بتنا على ثقة أن الأمير يكافيه فيكفينا

وقال مسمطاً قصيدة السموأل بن عادياء في الحماسة :

قبيح بمن ضاقت عن الرزق أرضه
وطول الفلا رحب لديه وعرضه[1]

ولم يبل سربال الدجى فيه ركضه
إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل

إذا المرء لم يحجب عن العين نومها
ويغلي من النفس النفيسة سومها
أضيع ولم تأمن معاليه لومها
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها
فليس إلى حسن الثناء سبيل

وعصبة غدرٍ أرغمتها جدودنا
وباتت ومنها ضدنا وحسودنا
إذا عجزت عن فعل كيدٍ يكيدنا
تعيرنا انا قليل عديدنا
فقلت لها إن الكرام قليل

رفعنا على هام السماك محلَّنا
فلا ملكٌ إلا تفيّأ ظلنا
فقد خاف جيشُ الأكثرين أقلنا
وما قلَّ من كانت بقاياه مثلنا
شباب تسامى للعلى وكهول

يوازي الجبال الراسيات وقارنا
وتبنى على هام المجرة دارنا
ويأمن من صرف الحوادث جارنا
وما ضرنا أنا قليل وجارنا
عزيز وجار الأكثرين ذليل

ولما حللنا الشام تمت أموره
لنا وحبانا ملكه وأميره
وبالنيرب الأعلى الذي عز طوره
لنا جبل يحتله من نجيره
منيع يرد الطرف وهو كليل

---

(١) ديوانه : ١٩

يريك الثريا من خلايا شعابه وتحدق شهب الأرض حول هضابه

ويعثر خطو السحب دون ارتكابه رسا أصله تحت الثرى وسما به

إلى النجم فرع لا يُنال طويل

وقصر على الشقراء قد فاض نهره وفاق على فخر الكواكب فخره

وقد شاع ما بين البرية شكره هو الأبلق الفرد الذي شاع ذكره

يعز على من رامه ويطول

اذا ما غضبنا في رضى المجد غضبة لندرك ثأراً أو لنبلغ رتبة

نزيد غداة الكر في الموت رغبة وإنا لقوم لا نرى القتل سبةً

إذا ما رأته عامر وسلول

أبادت ملاقاة الحروب رجالنا وعاش الأعادي حين ملوا قتالنا

لأنا إذا رام العداة نزالنا يقرب حب الموت آجالنا لنا

وتكرهه آجالهم فتطول

فمنا معيدُ الليث في قبض كفه ومورده في أسره كأس حتفهِ

ومنا مبيد الألف في يوم زحفه وما مات منا سيد حتف أنفهِ

ولا طُل يوماً حيث كان قتيل

إذا خاف ضيماً جارنا وجليسنا فمن دونه أموالنا ورؤوسنا

وإن أججت نار الوقائع شوسنا تسيل على حد الظبات نفوسنا

وليست على غير الظبات تسيل

جنى نفعنا الأعداء طوراً وضرنا فما كان أحلانا لهم وأمرنا

ومذ خطبوا يوماً صفانا وبرنا صفونا فلم نكدر واخلص سرنا

اناث اطابت حملنا وفحول

لقد وَفَّتِ العلياء في المجد قسطنا   وما خالفت في منشأِ الاصل شرطنا

فمذ حاولت في ساحة العز هبطنا   علونا إلى خير الظهور وحطنا

لِوَقتٍ إلى خيرِ البطون نزول

تقر لنا الاعداء عند انتسابنا

وتخشى خطوب الدهر فصل خطابنا

لقد بلغت أيدي العلى في انتخابنا   فنحن كماءِ المزن مافي نصابنا

كهام ولا فينا يعد بخيل

نغيث بني الدنيا ونحمل هولهم   كما يومنا في العز يعدل حولهم

نطول أناسا تحسد السحب طولهم   وننكر إن شئنا على الناس قولهم

ولا ينكرون القول حين نقول

لاشياخنا سعي به الملكَ أيدوا   ومن سعينا بيت العلاء مشيَّد

فلا زال منا في الدسوت مؤيدٌ   إذا سيد منا خلا قام سيد

قوؤل بما قال الكرام فعول

سبقنا إلى شأو العلى كل سابق   وعم عطانا كل راج ووامق

فكم قد خبت في المحل نار منافق   وما أخمدت نار لنا دون طارق

ولا ذمنا في النازلين نزيل

علونا فكان النجم دون علونا   وسام العداة الخسف فرط سمونا

فماذا يسر الضد في يوم سوئنا   وأيامنا مشهورة في عدونا

لها غرر معلومة وحجول

لنا يوم حرب الخارجي وتغلب   وقائع فلَّت للظبى كل مضربِ

فاحسابنا من بعد فهر ويعرب   وأسيافنا في كل شرق ومغربِ

بها من قراع الدارعينَ فلول

ابدنا الاعادي حين ساء فعالها   فعاد عليها كيدها ونكالها

ببيض جلاليلَ العجاج صقالها   معودة أن لاتسل نصالها

فتغمد حتى يستباح قتيل

همُ هوّنوا في قدر من لم يهنهم   وخانوا غداة السلم من لم يخنهمُ

فان شئت خير الحال منا ومنهم   سلي إن جهلت الناس عنا وعنهم

فليس سواءً عالم وجهول

لئن ثلمَ الأعداء عرضي بسومهم   فكم حاموا بي في الكرى عندنومهم

وإن أصبحوا قطباً لابناء قومهم   فان بني الديان قطب لقومهم

تدور رحاهم حولهم وتجول

وقال وكتب بها إلى صديق تاخرعنه في واقعة ،وكان قد انجده في عدة وقائع ،وهي من أحسن أنواع التضمين التي اخترعها وأصعبها ، وذلك أنه عمد إلى عشرين بيتاً من قصيدة الطغرائي على الترتيب فخرج صدورها باعجاز عشرين بيتاً من قصيدة المتنبي التي عاتب بها سيف الدولة ،وناسب بينهما مناسبة عجيبة يوافق غرضه ولم يغرم فيها من نظمه إلا المطلع وأول بيت الختام وهي :

قل للخلي الذي قد نام عن سهري   ومن بجسمي وحالي عنده سقم (١)

تنام عني وعين النجم ساهرة   واحرّ قلباه ممن قلبه شبم

فالحب حيث العدى والاسد رابضة

فليت أنا بقدر الحب نقتسم

(١) ديوانه : ٢٩ ، ٣٠

فهل تعين على غي هممتُ به ... في طيه أسف في طيه نعم

حب السلامة يثني عزم صاحبه ... إذا استوت عنده الانوار والظلم

فان جنحت اليه فاتخذ نفقا ... ليحدثن لمن ودعتهم ندم

رضى الذليل بخفض العيش يخفضه

وقد نظرت اليه والسيوف دم

إن العلى حدثتني وهي صادقة ... أنّ المعارف في أهل النهى ذمم

أهبت بالحظ لوناديت مستمعا ... واسمعت كلماتي من به صمم

لعله ان بدا فضلي ونقصُهم ... أدركتها بجواد ظهره حرم

أعلل النفس بالآمال أطلبها ... لو أن أمركم من أمرنا أمم

غالي بنفسي عرفاني بقيمتها ... حتى ضربت وموج الموت يلتطم

ما كنت أوثران يمتدبي زمنٌ ... شهب البزاة سواء فيه والرخم

أعدى عدوك أدنى من وثقت به ... فلا تظنّنّ أن الليث مبتسم

وحسن ظنك بالايام معجزة ... ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

إن كان ينجح شيء في ثباتهم ... فما لجرح إذا أرضاكم ألم

يا وارداً سؤر عيش صفوه كدر ... وشر ما يكسب الانسان مايصم

فيم اعتراضك لج البحر تركبه ... والله يكره ما تأتون والكرم

ويا خبيراً على الأسرار مطلعا ... فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

قد رشحوك لامر لو فطنت له ... تصافحت فيه بيض الهند واللمم

فافطن لتضمين لفظ فيك أحسبه ... قد ضمن الدر إلا أنه كلم

وقال يمدح نجم الدين غازي بن أرتق ماردين سنة ٧٠٢ ويهنئه بعيد النحر :

لا يمتطي المجد من لا يركب الخطرا
ولا ينـال العـلى من قـدم الحـذرا[1]

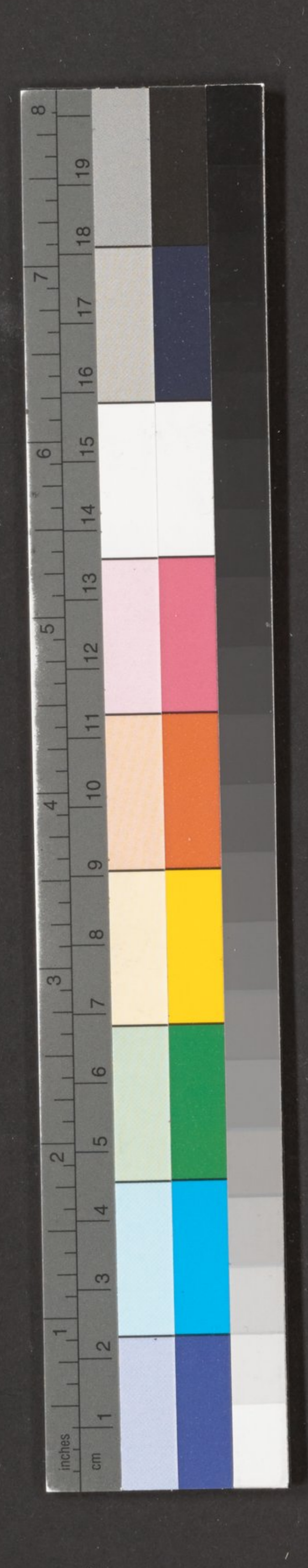
ومن أراد العلى عفواً بلا تعب قضى ولم يقض مما رامه وطرا
لا بـد للشهد من نحل يمنعه لا يجتني النفع من لا يحمل الضررا
لا يبلغ السؤل إلا بعد مؤلمةٍ ولا تتم المنى إلا لمن صبرا

وأحزم الناس من لو مات من ظمأ
لا يقرب الورد حتى يعرف الصدرا

وأغزر الناس عقلاً من إذا نظرت عيناه أمراً غـدا بالغير معتبرا
فقد يقال عثار الرجل ان عثرت ولا يقال عثار الرأي إن عثرا
من دبر العيش بالآراء دام لـه صفواً وجاء اليه الخطب معتذرا
يهون بالرأي ما يجري القضاء به من اخطأ الرأي لا يستعتب القدرا
من فاته العز بالاقلام أدركه بالبيض تقدح من أعطافها الشررا
بكل أبيض قد أجرى الفرندبه ماء الردى فلو استقطرته قطرا
خاض العجاجة عرياناً فما انقشعت حتى أتى بدم الابطال مُـتَّزرا
لا يحسن الحلم إلا في مواطنـه ولا يليق الندى إلا لمن شكرا
ولا ينال العلى إلا فتىً شرفت خلاله فاطاع الدهر ما أمرا
كالصالح الملك الموهوب سطوته فلو توعد قلب الليث لانفطرا
لما رأى الشر قد أبدى نواجذه والغدر عن نابه للحرب قد كشرا
رأى القسي اناثا في حقيقتها فعافها واستشار الصارم الذكرا

---

(١) ديوانه ٢٩



فجرد العزم من قبل الصفاح لها ... ملك عن البيض يستغني بما شهرا

يكاد يقرأ من عنوان همته ... ما في صحائف ظهر الغيب قد سطرا

كالبحر والدهر في يومي ندى وردى

والليث والغيث في يومي وغى وقرى

ما جاد للناس إلا قبل ما سألوا ... ولا عفا قط إلا بعد ما قدرا

لاموه في بذله الأموال قلت لهم ... هل تقدر السحب ألا ترسل المطرا

إذا غدا الغصن غضا في منابته ... من شاء فليجن من أفنانه الثمرا

من آل ارتق المشهور ذكرهم ... إذ كان كالمسك إن أخفيته ظهرا

الحاملين من الخطي أطوله ... والناقلين من الأسياف ماقصرا

لم يرحلوا عن حمى أرض إذا نزلوا

الا وأبقوا بها من جودهم أثرا

تبقى صنائعهم في الأرض بعدهم ... والغيث إن سار أبقى بعده الزهرا

لله در سما الشهباء من فلك ... فكلما غاب نجم أطلعت قمراً

يا أيها الملك الباني لدولته

ذكرا طوى ذكر أهل الأرض وانتشرا

كانت عداك لها دست فقد صدعت ... حصاة جدك ذاك الدست فانكسرا

أوقع إذا غدروا اسوط العذاب بهم ... يظل يخشاك من آذى ومن غدرا

وأرعب قلوب العدى تنصر بخذلهم ... إن النبي بفضل الرعب قد نصرا

ولا تكدر بهم نفساً مطهرة ... فالبحر من يومه لا يعرف الكدرا

ظنوا تأنيك عن عجز وما علموا ... ان التأني فيهم يعقب الظفرا

أحسنتم فبغوا جهلاً وما اعترفوا ... لكم ومن كفر النعما فقد كفرا

واسعد بعيدك ذا الأضحى وضح به وصل وصلّ لرب العرش مؤتمرا

وانحر عداك فبالإنعام ما صلحوا إن كان غيرك للأنعام قد نحرا

وقال يمدح النبي صلى الله عليه وسلم :

كفى البدر حسناً أن يقال نظيرُها فيزهى ولكنا بذاك نضيرها [1]

وحسب غصون البان أن قوامها يقاس به ميادها ونضيرها

أسير حجول مطلقات لحاظها قضى حسنها أن لا يفك أسيرها

تهيم بها العشاق خلف حجابها فكيف إذا ما آن منها سفورها

وليس عجيباً إن غررت بنظرة اليها فمن شأن البدور غرورها

وكم نظرة قادت إلى القلب حسرة يقطع أنفاس الحياة زفيرها

فواعجباً كم نسلب الاسد في الوغى وتسلبنا من أعين الحور حورها

فتور الظبى عند القراع يشينها وما يرهف الاجفان الا فتورها

وجذوة حسن في الخدود لهيبها يُشبُّ ولكن في القلوب سعيرها

إذا آنستها مقلتي خرّ صاعقاً جناني وقال القلب لا دُكَّ طورها

وسرب ظباءٍ مشرقات شموسُه على حلة عدّ النجوم بدورها

تمانع عمّا في الكناس أسودها وتحرس ماتحوي القصور صقورها

تغار من الطيف الملم حماتها ويغضب من مر النسيم غيورها

إذا ما رأى في النوم طيفاً يزورها توهمه في اليوم ضيفا يزورها

نظرنا فاعدتنا السقام عيونها ولذنا فأولتنا النحول خصورها

---

(١) ديوانه ٤١ ، ٤٤

وزرنا فأسد الحي تذكي لحاظها ... ويسمع في غاب الرماح زئيرها
فيا ساعد الله المحب لأنه ... يرى غمرات الموت ثم يزورها
ولما ألمت للزيارة خلسة ... وسُجف الدياجي مسبلات ستورها
سعت بيننا الواشون حتى حجولها ... ونمت بنا الأعداء حتى عبيرها
وهمت بنا لولا غدائر شعرها ... خطى الصبح لكن قيدته ضفورها
ليالي يعديني زماني على العدى ... وان ملئت حقداً عليَّ صدورها
ويسعدني شرخ الشبيبة والغنى ... إذا شانها اقتارها وقتيرها
ومذ قلبَ الدهرِ المجنَّ أصابني ... صبوراً على حالٍ قليلٍ صبورها
فلو تحمل الأيام ما أنا حامل ... لما كاد يمحو صبغة الليل نورها
سأصبر إما أن تدور صروفها ... عليَّ وإما تستقيم أمورها
فإن تكن الخنساء إني صخرها ... وإن تكن الزباء اني قصيرها
وقد أرتدي ثوب الظلام بجسرة ... عليها من الشوس الحماة جسورها
كأني باحشاءِ السباسب خاطر ... فما وجدت إلا وشخصي ضميرها
وصادية الأحشاءِ غضّي بآلها ... يعز على الشعرى العبور عبورها
ينوح بها الخريت ندباً لنفسه ... إذا اختلفت حصباؤها وصخورها
إذا وطئتها الشمس سال لعابها ... وان سلكتها الريح طال هديرها
وإن قامت الحربا توسد شعرها ... أصيلا أذاب الطرف منها هجيرها
تجنب عنها للحذار جنوبها ... وتدبر عنها في الهبوب دبورها
خبرت مرامي أرضها فقتلتها ... وما يقتل الأرضين إلا خبيرها

بخطوة مرقال أمون عثارها كثير على وفق الصواب عثورها

ألذّ من الأنغام رجعُ بغامها وأطيب من سجع الهديل هديرها

نساهمُ شطر العيش عيساً سواهما

لفرط السُّرى لم يبق إلا شطورها

حروف كنونات الصحائف أصبحت

تخط على طرس الفيافي سطورها

إذا نظمت نظم القلائد في البرى تقلدها خصر الربى ونحورها

طواها طواها فاغتدت وبطونها تجول عليها كالوشاح ضفورها

يعبر عن فرط الحنين أنينها ويُعرب عما في الضمير ضمورها

نسير بها نحو الحجاز وقصدها ملاعب شعبي بابها وقصورها

فلما ترامت عن زرود ورملها ولاحت لها أعلام نجدٍ وقورها

وصدت يميناً عن شميط وجاوزت

رُبى قطن والشهب قد شف نورها

وعاج بها عن رمل عاج دليلها فقامت لعرفان المراد صدورها

غدت تتقاضانا المسير لأنها إلى نحو خير المرسلين مسيرها

ترض الحصى شوقاً لمن سبح الحصى لديه وحيا بالسلام بعيرها

إلى خير مبعوث إلى خير أمة إلى خير معبود دعاها بشيرها

ومن أخمدت مع وضعه نار فارس وزلزل منها عرشها وسريرها

ومن نطقت توراة موسى بفضله وجاء به انجيلها وزبورها

ومن بشر الله العباد بأنه مبشرها عن إذنه ونذيرها

محمدٌ خير المرسلين بأسرها وأولها في الفضل وهو أخيرها

أيا آية الله التي قد تبلّجت ... على خلقِهِ أخفى الضلال ظهورها

عليك سلام الله ياخير مرسلٍ ... إلى أمة لولاه دام غرورها

عليك سلام الله يا خير شافع ... إذا النار ضم الكافرين حصيرها

عليك سلام الله يامن تشرفت ... به الإنس طُراً واستتم سرورها

عليك سلام الله يا من تعبدت ... له الجنُّ وانقادت إليه امورها

إلى أن قال في مدح أهل البيت رضي الله عنهم :

جبال إذا ما الهضب دكت جبالها ... بحار إذا ما الأرض غارت بحورها

شموس لكم في الغرب ردت شموسها ... بدور لكم في الشرق شقت بدورها

إذا جولست للبذل ذل نظارها ... وإن سوجلت في الفضل عز نظيرها

وقال في الصحب رضي الله عنهم :

وصحبك خير الصحب والغرر التي ... بها أمنت من كل أرض ثغورها

كماة حماة في القراع وفي القرى ... إذا شط قاريها وطاش وقورها

إلى أن قال :

إذا ما القوافي لم تحط بصفاتكم ... فسيان منها جمُّها ويسيرها

وهي طويلة اقتصرت منها على هذا القدر .

وقال يمدح الملك الناصر لدين الله محمد بن قلاوون وقد اقترح عليه أرباب الدولة معارضته قصيدة المتنبي : (بابي الشموس الجانحات غواربا)

أسبلن من فوق النهود ذوائبا ... فتركن حبات القلوب ذوائبا [(١)]

(١) ديوانه : ٥٥

وجلون من صبح الوجوه أشعةً غادرن فود الليل منها شائبا
بيض دعاهن الغبي كواعبا ولو استبان الرشد قال كواكبا
وربائب فإذا رأيت نفارها من بسط انسك خلتهن رباربا
سفّهن رأي المانوية عندما اسبلن من ظلم الشعور غياهبا
وسفرن لي فرأين شخصاً حاضراً
شُدهت بصيرته وقلباً غائباً
أشرقن في حلل كان وميضها شفق تدرعه الشموس جلاببا
وغربن في كلل فقلت لصاحبي بأبي الشموس الجانحات غواربا
ومعربد اللحظات يثني عطفه فيخال من مرح الشبيبة شاربا
حلو التعتب والدلال يروعه عتبي ولست أراه إلا عاتبا
عاتبته فتضرجت وجناته وازورّ ألحاظا وقطب حاجبا
فإذا بني الخدّ الكليم وطرفه ذو النون إذ ذهب الغداة مغاضبا
ذو منظر تغدو القلوب لحسنه نهباً وإن منح العيون مواهبا
لابدع إن وهب النواظر حظوة من نوره ودعاه قلبي ناهبا
فمواهب السلطان قد كست الورى
نعماً وتدعوه القساور سالبا
الناصر الملك الذي خضعت له صيد الملوك مشارقاً ومغاربا
ملك يرى تعب المكارم راحة ويعد راحات الفراغ متاعبا
بمكارم تذر السباسب أبحراً وعزائم تذر البحار سباسبا
لم تخل أرض من ثناه وإن خلت من ذكره ملئت قنا وقواضبا
ترجى مواهبه ويرهب بطشه مثل الزمان مسالماً ومحاربا

فإذا سطا ملأ القلوب مهـابة ... وإذا سخا ملأ العيون مواهبا

كالغيث يبعث من عطاه وابلاً ... سبطاً ويرسل من سطاه حاصبا

كالليث يحمي غـابه بزئيره ... طوراً وينشب في القنيص مخالبا

كالسيف يبدي للنواظر منظراً ... طلقـاً ويمضي في الهياج مضاربا

كالسيل تحمد منه عذباً واصلا ... ويعده قوم عذابـاً واصبـاً

كالبحر يهدي للنفوس نفائساً ... منه ويبدى للعيون عجائبـا

فاذا نظرت ندى يديه ورأيـه ... لم تلف إلا صيّبا أو صائبـا

أبقى قلاوون الفخار لولده ... إرثا ففـازوا بالثناءِ مكاسبا

قوم إذا سئموا الصوافن صيروا ... للمجد أخطار الامور مراكبا

عشقوا الحروب تيمناً بلقى العدى ... فكأنهم حسبوا العداة حبائبا

وكأنما ظنوا السيوف سوالفاً ... واللدن قـداً والقسي حواجبا

يا أيها الملك العزيز ومن له ... شرف يجر على النجوم ذوائبا

أصلحت بـين المسلمين بهمة ... تذر الاجانب بالوداد أقاربا

ووهبتهم زمن الامانِ فمن رأى ... ملكا يكون له الزمان مواهبا

فرأوا خطاباً كان خطباً فادحاً ... لهم وكتباً كنّ قبل كتائبا

وحرست ملكك من رجيم مارد ... بعزائم إن صلت كنّ قواضبا

حتى إذا خطف المكافح خطفة ... أتبعته منهـا شهابـاً ثاقبـا

لا ينفع التجريب خصمك بعدما ... أفنيت من أفنى الزمان تجـاربا

صرّمت شمل المارقين بصارم ... تبديه مسلوباً فيرجع سالبا

صافي الفرندحكى صباحاً جامداً ... أبدى النجيع به شعاعاً ذائبا

وكتيبةٍ تذر الصهيل رواعداً ... والبيض برقاً والعجاج سحائبا

حتى إذا ريح الجلاد حدت لها   مطرت فكان الوبل نبلا صائبا

بذوائب مُلدٍ يُخلن أراقماً   وشوائل جرد يخلن عقاربا

تطأ الصدور من الصدور كأنما   تعتاض من وطءِ التراب ترائبا

فاقمت تقسم للوحوش وظائفاً   فيها وتصنع للنسور مآدبا

وجعلت هامات الكماة منابراً   وأقمت حد السيف فيها خاطبا

يا راكب الخطر الجليل وقوله   فخراً بمجدك لاعدمت الراكبا

صيرت أسحار السماح بواكراً   وجعلت أيام الكفاح غياهبا

وبذلت للمداح صفو خلائق   لو أنها للبحر طاب مشاربا

فرأوك في جنب النضار مفرطاً   وعلى صلاتك والصّلاة مواظبا

إن يحرس الناس النضار بحاجب

كان السماح لعينِ مالك حاجبا

لم يملؤوا فيك البيوت غرائبا   إلا وقد ملأوا البيوت رغائبا

أوليتني قبل المديح عناية   وملأت عيني هيبة ومواهبا

ورفعت قدري في الانام وقدرأوا   مثلي لمثلك خاطباً ومخاطبا

في مجلس سوّى الخلائق في الندى   وترتبت فيه الملوك مراتبا

وافيته في الفلك أسعى جالساً   فخراً على من جاء يمشي راكبا

فأقمت انفذ في الزمان أوامراً   مني وأنشب في الخطوب مخالبا

وسقتني الدنيا غداة أتيته   رِياً وما مطرت عليّ مصائبا

فطفقت أملأ من ثناك ونشره   حقباً واملأُ من نداك حقائبا

اثني فتثنيني صفاتك مظهراً   عياً وكم أعيت صفاتك خاطبا

لو أن أعضانا جميعاً السنٌ   تثني عليك لما قضينَ الواجبا

وقال يمدح السلطان الملك المنصور غازي بن أرتق، ويصف فيها ديوانا نظمه فيه على حروف المعجم وهي تسعة وعشرين قصيدة تسمى المحبوكات :

إن لم أزر ربعكم سعياً على الحدق فان وِدّي منسوب إلى الملق [1]

تبت يدي أن تثنني عن زيارتكم بيض الصفاح ولو سُدت بها طرقي

ياجيرة الحي هلا عاد وصلكم لمدنف من خمار الوجد لم يُفق

لاتنكروا فرقي من بعد بعدكم إن الفراق لمشتق من الفرق

لله ليلتنا بالقصر كم قصرت فظلت مصطبحاً في زي مغتبق

وبات بدر الدجى فيها يسامرني منادماً فيزين الخلق بالخلق

فكم خرقنا حجاباً للعتاب بها وللعفاف حجاب غير منخرق

والصبح قد اخلقت ثوب الدجى يده وليته جاد للعشاق بالخلق

أبلى الظلام وماذا لو يجود به على جفون لطيب الغمض لم تذق

ما أحسن الصبح لولا قبح سرعته وأعذب الليل لولا كثرة الأرق

هبَّ النسيم عراقياً فشوّقني وطالما هب نجدياً فلم يَشق

فما تنفست والارواح سارية الا اشتكت نسمات الريح في حرقي

ذر أيها الصب تذكار الديار إذا متعت فيها بعيش غير متّسق

فكم ضممت وشاحا بالظلام بها ما زاد قلبك إلا كثرة القلق

فخل تذكار زوراء العراق إذا جاءت نسيم الصبا بالمندل العبق

فهذه شهب الشهباء ساطعة وهذه نسمة الفردوس فانتشق

فتلك أفلاك سعد لايلوذ بها من مارد لخفي السمع مسترق

---

(١) ديوانه : ٦٣

سماء مجد بدا فيها فزينها بدر تخرّ لديه أنجم الافق
ملك غدا الجود يجري من أنامله فلو تكلف ترك الجود لم يطق
أعاد ليل الورى صبحاً وكم ركضت
جياده فأرتنا الصبح كالغسق
مشتت العزم والأموال ماتركت يداه للمال شملا غير مفترق
إذا رأى ماله قالت خزائنه افديك من ولدٍ بالثكل ملتحق
لولا أبو الفتح نجم الدين مافتحت أبواب فضل عليها اللؤم كالغلق
ملك به اكتست الأيام ثوب بهاً مثل اكتساء غصون البان بالورق
تهوى الحروب مواضيه فان ذكرت
جنت فلم تر منها غير مندلق
حتى إذا جردت في الروع أغمدها في كل سابغة مسرودة الحلق
يا أيها الملك المنصور طائره ومن أياديه كالأطواق في عنقي
أحييت بالجود آثار الكرام وقد كان الندى بعدهم في آخر الرمق
لو أشبهتك بحار الارض في كرم لأصبح الدر مطروحاً على الطرق
لو أشبه الغيث جوداً منك منهمراً لم ينج في الأرض مخلوق من الغرق
كم قد أبدت من الاعداء من فئةٍ تحت العجاج و كم فرقت من فرق
رويت يوم لقاهم كل ذي ظماء
في الحرب حتى جلال الخيل بالعرق
ويوم وقعة عباد الصليب وقد أركبتهم طبقاً في البيد عن طبق
مزقت بالموصل الحدباء شملهم في مأزق بوميض البيض ممتزق
بكل أبيض دامي الخد تحسبه صبحاً عليه دم الابطال كالشفق

آلى على غمده أن لا يراجعه ... إلا إذا عاد محمراً من العلق

فاستبشرت فئة الاسلام إذ لمعت ... لهم بوارق ذاك العارض الغدق

وأصبح العدل مرفوعاً على نشز ... لما وليت وبات الجور في نفق

كم قد قطعت اليك البيد ممتطياً

عزماً إذا ضاق رحب الأرض لم يضق

يدلني في الدجى مهري ويؤنسني ... حدُّ الحسام إذا ما بات معتنقي

والليل أطول من عذل العذول على ... سمعي وأظلم من مرآه في حدقي

أهدي قلائد أشعار فرائدها ... در نهضت به من أبحر عمق

يضمها ورق لولا محاسنه ... ما لقبوا الفضة البيضاء بالورق

نظمتها فيك ديواناً ازفُّ بهِ ... مدائحاً في سوى علياك لم ترق

ولو قصدت به تجديد وصفكم ... لكان ذلك منسوباً إلى الحمق

تسع وعشرون إذ عدت قصائدها ... ومثلها عدد الأبيات في النسق

لم أقتنع بالقوافي في أواخرها ... حتى لزمت أواليها فلم تعق

ما أدركت فصحاء العرب غايتها ... قبلي ولا أخذوا من مثلها شبقي

جرت لتركض في ميدان حومتها ... قوم فأوقفتهم في أول الطرق

فليحسن العذر عن ايرادهنَّ إذا ... رأيت جري لساني غير منطلق

فلو رأت بأسك الآساد لاضطربت ... به فرائصها من شدة الفرق

يا آل أرتق لولا فضل جودكم ... لدام خرق المعالي غير مرتتق

لقد رفعتم باسداء الجميل لكم ... ذكراً إذا قبض الله الأنام بقي

لا زال يهمي على الوفاد نائلكم ... بوابل من سحاب الجود مندفق

وقد سمى هذه القصائد: درر النحور في مدائح المنصور وهذه الأولى منها:

أبت الوصال مخافة الرقباء ... وأتتك تحت مدارع الظلماء[1]

أصفتك من بعد الصدود مودة ... وكذا الدواء يكون بعد الداء

أحيت بزورتها النفوس وطالما ... ضنت بها فقضت على الأحياء

أتت بليل والنجوم كأنها ... درر بباطن خيمة زرقاء

أمست تعاطيني المدام وبيننا ... عتب غنيت به عن الصهباء

أبكي وأشكو ما لقيت فتلتهي ... عن در ألفاظي بدر بكائي

آبت إلى جسدي لتنظر ما انتهت ... من بعدها فيه يد البرحاء

ألفت به وقع الصفاح فراعها ... جزعاً وما نظرت جراح حشائي

أمصيبة منا بنبل لحاظها ... ما أخطأته أسنة الأعداء؟

اعجبت مما قد رأيت وفي الحشا ... أضعاف ما عاينت في الأعضاء؟

أمسي ولست بسالم من طعنة ... نجلاء أو من مقلة كحلاء

إن الصوارم واللحاظ تعاهدا ... أن لا أزال مزملا بدمائي

أجنت علي بما رأيت معاشرٌ ... نظروا إليّ بمقلة عمياء

أكسبتهم مالي فمذ طلبوا دمي ... لم أشكهم إلا إلى البيداء

أبعدتُ عن أرض العراق ركائبي ... متنقلاً كتنقُّل الأفياء

أرجو بقطع البيد قطع مطامعي ... وأروم بالمنصور نصر لوائي

أدركته فجعلت ألثم فرحةً ... بوصوله أخفاف نوق رجائي

أضحى يهنّيني الزمان بقصده ... ويشير كفُّ العزّ بالإيماء

---

(١) ديوانه : ٤٩٠

أَوْمت إليّ مشيرةً أن لاتخف وابشر فإنك في ذرى العلياء
أبماردين تخاف خطفه ماردٍ وشهابها في القلعة الشهباء ؟
ألهيتُ عن قومي بملكٍ عنده تنسى البنونُ فضائلَ الآباء
إني تركت الناس حين وجدته تركَ اليتيم في وجود الماء
المرتقي فلكَ الفخار إذا اغتدى وإذا بدا فالناسُ كالحِرباء
أفني جيوشَ عِداته بخوافق الرّايات بل بسواكنِ الآراء
أسيافه نقم على أعدائهِ وأكفه نِعمَ على الفقراء
إن حلّ حلّ النهب في أركانه أو سار سار الخلف في الأعداء
أمجندل الأبطال بل يا منتهى الآمال بل يا كعبة الشعراء
أقبلت نحوكَ في سواد مطالبي حتى أتتني باليد البيضاء
أرقى إلى عرش الرجا رب الندى فكأن يومي ليلةُ الأسراء

وقال في قافية الباء :

بدت لنا الراح في تاج من الحُبَبِ فمزّقت حُلةَ الظلماءِ باللهبِ (١)
بكرٌ إذا زُوِّجت بالماء أولدها أطفال درٍ على مهدٍ من الذهب
بقية من بقايا قوم نوح إذا
لاحت جلَت ظلمة الأحزان والكرَب
بعيدةُ العهد بالمعصار لو نطقت لحدَّثتنا بما في سالف الحُقُب
باكرتهم برفاق قد زهت بهم
قبل السُّلاف سُلاف العلم والأدب

---

(١) ديوانه : ٤٩١

بكل متّشح بالفضل متزر ... كأن في لفظه ضرباً من الضرب

بروضة ظل فيها الطلّ أدمُعُه ... والدهرُ مبتسمٌ عن ثغره الشنب

بكت عليه أساليب الحيا فغدا ... جذلان يرفل في أثوابه القشب

بسط من الأرض قد حاكت مطارفها

يدُ الربيع وجادتها يدُ السحب

باتت تجود علينا بالمياه كما ... جادت يدُ الملك المنصور بالذهب

بحر تدفّق بحر الجود من يده ... فأصبح الملك يزهو زهوَ معتجب

بادٍ ببذل الندى قبل السؤال ومن ... في دولةِ الترك أحيا ذمة العرب

بدر أضاءت ثغورُ الملك فابتسمت ... به فكان لثغر الملك كالشنب

بنى المعالي وأفنى المالَ نائلُهُ ... فالملك في عرس والمال في حرب

ببأسهِ أضحت الأيامُ جازعةً ... فلا تصاحب عضواً غير مضطرب

بأس تذلل صعب الحادثات له ... فأصبح الدهر يشكو شدة التعب

به تناسيتُ ما لاقيتُ من نصبٍ ... ولذة الشبع تُنسي شدة السغب

بادرتُه وعقاب الهمِ يطردني ... فاليوم قد عاد كالعنقاء في الهرب

بكم تبلّج وجه الحق يا ملكا ... به تشرّف هامَ الملك والرتب

بنيت للمجد أبياتاً مشيدة ... ولم يُمدّ لها لولاك من طُنب

بسطتُ في الأرض عدلاً لوله اتّبعت

نوائبُ الدهر لم تغدُر ولم تنب

بلغتَ سيفك في هام العدو كما ... أنشبتُ سيفَ العطا في قمه النشب

باشر غرائب أشعاري فقد برزت ... إليك أبكارُ أفكاري من الحجب

بدائعٌ من قريضٍ لو أتيت بها ... في غير كم كان منسوباً إلى الكذب

بقيت ما دام الأفلاك في نعم
محروسة من صُروف الدهر والنّوب

وكل هذه القصائد على هذا النمط التزم فيها الحرف في أول البيت وفي آخره إلى أن أكمل حروف المعجم فمن أراد الوقوف عليها فليراجع ديوانه :

وقال يمدح الملك الصالح شمس الدين أبا المكارم صالح حين ولي الملك بعد وفاة أخيه الملك العادل سنة ٧١٠ وأرسلها إليه من بغداد

ماهبتِ الريحُ إلاهزّني الطربُ ... إذ كان للقلب في مرِّ الصبا أرب (١)

لذاك إن هيمنت في الدوح أنشده ... بيني وبينك يادوح الحمى نسب

ياجيرة الشعب لولا فرطُ بُعدكم ... لما غدا القلب بالأحزان ينشعب

فهل يجود بكم عدلُ الزمان لنا ... يوماً وترفع فيما بيننا الحُجُب

يا سادة ما ألفنا بعد كم سكناً ... ولا اتخذنا بديلا حين نغترب

بودِّكم صار موصولا بكم نسبي ... إن المودة في أهل النُّهى نسب

جميلكم كان في رقيِّ لكم سبباً ... لايوجد الحكم حتى يوجد السبب

فكيف أنسا كم بعد المشيب وقد ... صاحبتكم وجلابيب الصبا قشب

أم كيف أصبر مغتراً بأُمنية ... والدار تبعد والآجال تقترب

قد زرتكم وعيون الخطب تلحظني ... شزراً وتعثر في آثاري النُّوب

وكم قصدت بلاداً كي أمر بكم ... وأنتم القصد لا مصر ولا حلب

وكم قطعت إليكم ظهرَ مقفرةٍ ... لاتسحب الذيل في أرجائها السحب

---

(١) ديوانه : ١٢١

ومهمهٍ كسماء الدجن معتكرٍ نواظرُ الأسد في ظلمائه شهب

حتى وصلتُ إلى نفسٍ مؤيدةٍ منها اللهى والنُّهى والمجدُ يكتسب

بمجلسٍ لو رآه الليث قال به يانفسُ في مثل هذا يلزم الأدب

منازل لو قصدناها بأرؤسنا لكان ذاك علينا بعض ما يجب

أرض ندى الصالح السلطان وابلها ورأيه لرحا أحوالها قُطُب

ملك به افتخرت أيامه شرفاً واستبشرت بمعالي مجده الرتب

وقالت الشمس حسبي أن فخرتُ به وجهي له شبه واسمي له لقب

لا يعرف العفو إلا بعد مقدرةٍ ولا يرى العذر إلا بعدما يهب

سماحة عُنْونت بالبشر غايتها كما تعنون في غاياتها الكتب

وهمة حار فكر الواصفين لها حتى تشابه منها الصدق والكذب

قالوا هو البدر قلت البدر مُمتحِق

قالوا هو الشمس قلت الشمس تحتجب

قالوا هو الغيث قلت الغيث منتظر

قالوا هو الليث قلت الليث مغتصب

قالوا هو السيلُ قلت السيل منقطع

قالوا هو البحر قلت البحر مضطرب

قالوا هو الظلُ قلت الظل مُنتقِلٌ قالوا هو الدهر قلت الدهر منقلب

قالوا هو الطود قلت الطود ذو خرسٍ

قالوا هو الموت قلت الموت يُجتنبُ

قالوا هو السيف قلت السيف ننتدبُه

وذاك من نفسه بالجود يُنتدب

قالوا فما منهمُ يحكيه قلت لهم ... كلٌّ حكاهُ ولكن فاته الشنب

يا ابن الذين غدت أيامهم عِبراً ... بين الأنام بها الأمثال قد ضربوا

كالأسد إن غضبوا والموت إن طلبوا

والسيف إن ندبوا والسيل إن وهبوا

إن حُكِّموا عدلوا أو أملوا بَذلوا

أو حوربوا قتلوا أو غُولبوا غلبوا

سويتَ مسراهمُ في كل منقبةٍ ... لم يسْرِها بعدهم عجمٌ ولا عرب

وفقتهم بخِلال قد خُصصت بها

لولا الخُصوص تساوى العود والحطب

حملت أثقال مُلْك لا يقام بها ... لو حُملتها الليالي مسّها التعب

وحُطت بالعدل أهل الارض كلهم ... كأنما الناس أبناء وأنت أب

لكل شيء إذا علّلته سبب ... وأنت للرزق فيما بيننا سبب

مولاي دعوة عبد داره نزحت ... عليكم قربه بل قلبه يجب

قد شاب شَعري وشِعري في مديحكم

ودُونّت بمعاني نظميَ الكتب

والناس تحسدكُم فيه وتحسدهُ ... فيكم وليس له في غيركم طلب

فلا أرتنا الليالي منكمُ بدلاً ... ولا خلت منكم الاشعار والخطب

وقال وكتب بها الى الشيخ العالم محمود بن يحي النحوي الحلي من ماردين يصف فيها حال مقامه واقبال سلطانه عليه :

اخلاّيَ بالفيحاءِ ان طال بعدُكم ... فأنتم إلى قلبي كسحريَ من نحري [1]

---

(١) ديوانه : ١١٦

وإن يخلُ من تكرار ذكرى حديثكم
فلم يخل يوماً من مديحكمُ شعري
فوالله لا يشفي نزيف هواكم
سوى خمرِ انسٍ كان منكم بها سكري
أرى كل ذي داء يداوي بضده
وليس يداوي ذو الخمار بلا خمر
أطالب نفسي بالتصبرِ عنكمُ
وأول ما افقدتُ بعدكم صبري
فان كان عصر الأنس منكم قد انقضى
فوالعصر إني بعد ذلك في خسر
بكيت لفقد الأربع الخضر منكم
على الرملة الفيحاء بالاربع الحمر
فكيف بقي إنسان عيني وقد مضى
على ذاك الانسان حينٌ منَ الدهر
سقى روضة السعدي من أرضِ بابلٍ
سحاب ضحوكُ البرق منتحب القطر
وحيّا الحيا مغنى قضيتُ بربعهِ
فروض الصبا مابين رملة والجسر
ورُبَّ نسيم مرَّ لي من ديار كم
ففاح لنا من طيهِ طيّبُ النشر
وأذكرني عهداً وما كنت ناسياً
ولكنه تجديد ذكرٍ على ذكر
فيا أيها الشيخ الذي عقد حبه
تنزل مني منزل الروح في صدري
تجاذبني الأشواق نحو ديار كم
وأحذر من كيد العدو الذي يدري
مخافة مذاق اللسانِ يُسرُّ لي
ضروب الردى بين البشاشة والشر
وينثر لي حبَّ الوفاء تملقاً
وينصب لي من تحتهِ شَركَ الغدر
وما أنا من يلقي إلى الحتف نفسه
ويجهد في استخلاصها منه بالقسر

إذا كان ذكر المرء شيخَ حياته ... فإن طريف المال كالواوِ في عمرو

ولكنّ لي في ماردينَ معاشراً ... شددتُ بهم لما حللتُ بها أزري

ملوكٌ إذا ألقى الزمان حباله ... جعلتهمُ في كل نائبةٍ ذخري

وما أحدثت أيدي الزمان إساءةً ... ووافيتهم إلا انتقمتُ من الدهر

إذا جئتهم مستصرخاً حقنوا دمي ... وإن جئتهم مستجديا وفروا وفري

عزائم من لم يخشَ بالبطش من ردىً ... وإنعام من لم يخشَ بالجود من فقر

وروّوا بماء الجود غرس أبيهم ... فاينع في أغصانه ثمرُ الشكر

وقلدني السلطان منه بأنعم ... اخفّ بها نهضي وإن أثقلت ظهري

هو الصالح الملك الذي صلحت به ... أمور الورى واستبدل العسر باليسر

يبيتُ بها كفي على الفتح بعدما ... بنت نُوَبُ الأيام قلبي على الكسر

وبدلتُ من دُهم الليالي وغيرها ... لديه بأيامٍ محجلةٍ غُرِّ

حططتُ رحالي في ربيع ربوعهِ ... ولولاه لم أثنِ الأعنّة عن مصري

منازل ما لاقيت فيها ندامة ... سوى أنني قضّيت في غيرها عمري

فلم يك كالفردوس غير سميه ... من الخلد لا خلد الخليفةِ والقصر

ووادٍ حكى الخنساءَ لا في شجونها ... ولكن له عينان تجري على صخر

كأن به الجو دان بالسحب شامت ... فما انتحبت إلا انثنى باسم الثغر

تعانقت الأغصان فيه فأسبلت ... على الأرض أستاراً من الورق الخضر

إذاما حبال الشمس منها تخلصت   إلى روضة ألقت شرا كا من التبر

تدار به من دير شهلان قهوة   جلتها لنا أيدي القسوس من الخدر

إذا ما حسوناها وسار سرورها   إلى منتهى الافكار من موضع السر

نعدّ لها نقل الفكاهة والحجى   ونجلو عليها بهجة النظم والنثر

ونحن نوفي العيش باللهو حقه   ونسرق ساعات السرور من العمر

وقد عمنا فصل الربيع بفضله   فبادرنا بالورد في أول القطر

فيا أيها المولى الذي وصف فضله   يجل عن التعداد والحد والحصر

أبثك بالاشعار فرط تشوقي   ولا أتعاطى حصر وصفك بالشعر

وأعجب شيء أنني مع تيقظي   إلى مخلص الالفاظ من شرك الهجر

أسوق إلى البحر الخضم جواهري   وأهدي إلى أبناء بابل من سحري

فمَنْ فدتك النفس بالعذر منعماً   عليَّ وشاور حسن رأيك في الامر

تم الاختيـــار من شعر الصفي الحلي ويليه الاختيـــار من شعر الامير محمد بن علي بن مقرب العيوني .

شعر

ابن مقرب (١)

هو الأمير محمد بن علي بن مقرب العيوني رحمه الله قال يشكو جور زمانه ويتظلم من جور بني عمه عليه وإخوانه .

أفي كل دار لي عدو أصاوله ... وخصم على طول الليالي أزاوله (٢)

وطاو على البغضاء يصرف نابه ... علـيَّ وبالشحناء تغلي مراجله

كأن أباه كان قاتله أبي ... وها أنا إن أوفى بي العمر قاتله

دعوني وأرض الله فهي عريضة ... فلن يُفلل العزم الذي أنا حامله

سيشهد لي بالسير في كل مهمهٍ ... أواخر ليلي إن أعش وأوائله

سئمت مدارةَ اللئام وغرني ... صديق أصافيه وخل أواصله

وضقت ذراعاً بابن عم محبب ... إليَّ وإن لم تسق أرضي مخائله

فكم ليلةٍ عللت نفسي بذكره ... وسكنت قلبي فأطمأنت بلابله

ولما التقينا كان حظي جفاؤه ... وكان لغيري بره ونوافله

ولم أستشر قلبي على بت حبلهِ ... من اليأس إلا كاد لبي يزايله

حنواً عليه وانتظاراً لعله ... يُريع فتعصي في استماعي عواذله

وإني مع الغبن الذي يرمض الحشا ... لأحمي وأرمي دونه من يناضله

وأظهر للأقوام أني بقربه ... مليك يُرجى بره وفواضله

---

(١) قوبل شعر ابن مقرب على ديوانه المطبوع في مكة المكرمة .

(٢) ديوانه : ٧٥

فإن ذكروه بالندى قلت ماجد وهوب لجل المال حلو شمائله

وعنفني في قصده واصطفائه رجال وفي النظم الذي أنا قائله

وقالوا أليس الماء يعرف طعمه بأول سَجْل يرتوي منه ناهله

وأنت فقد جربت كل مجرب وطاولت مالا كان حي يطاوله

وقلت فأحسنت المقال ولم تدع لمبتدع الأشعار معنى يحاوله

وقمت مقاماً لو يقام لغيره لقال ارتياحاً أحسن البر عاجله

فدع عنك مولى لا يفيدك قربه وذُمَّ ابن عم لا يعمك نائله

وهل ينفع النجدي غيم لأرضه صواعقه العظمى وللغور وابله

فقلت ذروني إنه ابن محمد وإن ساءني إعراضه وتغافله

وإني لا وليه حيا من غمامة بها يمرع الوادي ويخضر باقله

أقول لرهط من سَراة بني أبي ودمع المآقي قد تداعت حوافله

إلام بني الأعمام نغضي على القذى

ونكثر ليان العلى ونماطله؟

هل الشر إلى ما ترون وربما تداعى فأنسى آجل الشر عاجله

وهل يحمل العزم الثقيل أخو العلى

ويضعف عن حمل الظلامة كاهله

وما بعد سلب المال والعز فاعلموا مقام وزاد المرء لا بد آكله

ولا بعد تحكيم العدى في نفوسنا وأموالنا شيء من الخير نأمله

أطاعت بنا اخواننا كل كاشحٍ خبيث الطوايا يشبه الحق باطله

وجاز لديهم قول من قال إننا عدو مع الإمكان تخشى غوائله

فأين عقول القوم إذ يقبلونه فما يستوي منقوص عقل وكامله

أنحن بنينا العز أم كان غيرنا　　بناه وشر الناس من خاب آمله

وهل كان عبد الله والد معشر　　سوانا فيستصفي وتمشي وسائله

فأقسم ما هـذا لخير وإنـه　　لأول ما الأمر المقـدر فاعله

ومن يستمع في قومه قول كاشحٍ　　أصيبت كما شاء الأعادي مقاتله

وما كل من يبدي المودة ناصحاً　　كما ليس كل البرق يصدق خائله

وقد يظهر المقهور أقصى مودةٍ　　وأوهاقه مبثوثـة ومنـاجله

ومن لم يقابل بالجلالة قومـه　　أتاه من الأعـداء مالا يقابله

ومن لم يُبح زرق الأسنةِ لحمـه　　أبيح حماه واستُرِقّت حلائله

ومن لم يدبر أمره ذو بصيرة　　شفيق بكته عن قريب ثواكله

وكم من جواد ضيـع الحزم فـالتقت

عليـه　　عـداه بالردى　　ودخـائله

وما المرء إلا عقـله ولسانـه　　إذا قال لا أبراده　وغلائـله

فقومـوا بعزم واجعلوني مقدماً　　فـإني حسام لم ترصـع حمائله

وسيروا على طير الفلاح فقد أرى　　رسول الجلى أوفى وقامت دلائله

فإني　كفيل　بالخراب لبلدةٍ　　يراعى بها من كل حيٍ أراذله

ومن ضعف رأي المرء إكرام ناهق

وقـد مات هزلاً في الأواخيّ صـاهله

ومن ضيَّع السيف اتكالاً على العصا

شكا وقْعَ حد السيف ممن ينازله

وليس يزين الرمحَ إلا سنانـهُ　　كما لا يزين الكفْ إلا أنامله

فإن ترفضوا نصحي فما أنا فيكمُ　　بأول ميمون عصتـه قبائـله

سأمضي على الأيام عزمي وإن أبت لأظفرَ منها بالذي أنا آمله

فإن بقربي من رجالي متوّجاً تواصل أسباب العلى من يواصله

منيع الحمى لا يذعر القومُ سرحَه

ولا يمنع الأعداءُ شيئاً يحاوله

إليك عماد الدين عقد جواهرٍ تناهى فما يؤتى بعقد يشاكله

فقد كنت قد عفت القريض زهادةً

بمستامه إذ يرخص الدرَّ جاهله

وأكبرت نفسي عن مديحي مذمماً بكل قبيح خبرتنا شمائله

ولولاك لم أنبس ببيتٍ ولو طمى

من الشعر بحر يردفُ الموج ساحله

ولكنّ لي فيكم هوى وقرابة تحركني والرحم يُحمد واصله

وإني لأشنا المدح في غير سيدٍ أبوه أبي لو زاحم النجم كاهله

فلا زلت كهفاً للعشيرة تلتجي إليه إذا ما الدهر عمت زلازله

وقال يمدح الأمير فضل :

رويدك ياهذا المليك الحُلاحلُ فما المجد إلا بعض ما أنت فاعل[(1)]

دع الشعر حتى يشمل الجد حكمة وشأنك والدنيا فأنت المقابل

فقد جزت مقدار الشجاعة والندى وتربك في لعب الصبا متشاغل

وأدركتَ مافوق الكمال ولم يُقل لمثلك في ذا السن إنك كاهل

---

(١) ديوانه : ٧٦

أخذت بأعضاد العشيرة بعدما
هوت وعلت فوق الرؤوس الأسافل

وانقذتها من بعدما لعبت بها يدالدهر واستولت عليها الأراذل
فأنت لناشيها أخ ولطفلها أب راحم وابن لذي الشيب واصل
على أنك المولى الذي يقتدى به ولكن طبعاً تقتضيه الشمائل
أطاعت لك الأيام كرهاوسلّمت إليك مقاليد الأُمور القبائل
فقدأذعنت للخوف منك وأهطعت إلى قول مأمولٍ تلقّاه آمل
فقل لليالي كيف تجري حروفها فما الفضل شيء غيرما أنت فاعل
زهت بك آفاق البلاد وأخصبت رباها وطابت في ذراك المآكل
ونامت عيونٌ ربما عافت الكرى بلا رمد فيها وقرّت بلابل

تركت الغواة العثر فوضى وطالما
غدت ولها من قبل فينا محافل

وأوليتها منك الهوان فأصبحت وكل غوي خاشع مُتضائل
ولم يبق من حزب الضلال ابن غيةٍ على الأرض إلا وهوخزيان خامل
رفعت عماد الدين من بعدما وهي ورثٌ وأضحى ركنه وهو مائل

وأحييت روح المجد من بعدما قضى
وردَّ عليه التربَ حاثٍ وهائل

وقمت بأحكام الشريعةفاستوت لديك ذوو الأجيال طيٌّ ووائل
وأوهيت كيدالفاسقين فأصبحوا وناصرهم من جملةِ الناس خاذل
وداويت قرحاً كان في كبد العلى تبطّنهُ داءٌ من الغل قاتل
لعمري لنعم المرء أنت إذا التقت صدور المواضي والخفاف الذوابل

ونعم المراعي للنزيلِ إذا غدى أكيلًا وأفنى ماله من ينازل

ونعم صريخ المستجاش إذا ارتوت لدى الروع من هام الكماةِ الصقائل

ونعم المرجى في السنين إذا استوت من الضر أبناء السرا والأرامل

ونعم لسان القوم مهما تأخرت عن القول سادات الرجال المقاول

ونعم مناخ الركب أهدى له السرى سنى النار في الظلماءِ والعام ماحل

فيا سائلي عن جودِ فضلٍ ولم يزل بغيضاً إليَّ العالم المتجاهل

سل القوم عنه يوم جاءَت وأقبلت تخبُّ المذاكي تحته وتناقل

أغارت على درب الجنائدِ غارةً يطير الحصى من وقْعها والجنادل

وطاردت الفتيانُ فيها وأظهرت كناها و كل عارف من يحاول

فولّت حماة القوم خيلًا ولم تزل بنو الحرب في يوم اللقاء تحايل

فراحت عليها الخيل وانبعثت لها جحافل جمع تقتفيها جحافل

نخاضت حذار القتل والأسر خيله وسمر القنا فيهن صادٍ وناهل

فأوردهم صدر الحصان كأنما له الموت جند بالمعادين كافل

وعاجل طعناً سيدَ القوم فاغتدوا وقد عاف كل منهم ما يحاول

يهاود أرواح التوالي وقد غدت إذا ثار منها راجل طاح راجل

أقول وقد طال اهتمامي وعَبرتي على الخد منها مستهل وجائل

وقد قلقت مني الحشا وتتابعت ظواهر أنفاس وأُخرى دواخل

أيا نفس صبراً للبلايا فربما أتى فرج للمرء والمرء غافل

فكم ضاق أمر ثم وافي اتساعُهُ ولا عاجل إلا ويتلوه آجل

وقد يأمن النقص السُّهى لاحتقارِه
ويخشى الخسُوف البدر والبدر كامل

وما بين موتور ولا بين واترٍ لفصلِ القضا إلا ليال قلائل

وليس عجيباً أن يُحقَّر عالم لدى ضده أو أن يوقر جاهل

فقد ربما للجدِ يُكرم ناهقٌ فيخلى له المرعى ويحرمُ صاهل

وقد يلبس الديباج قردٌ ولعبةٌ وتؤتى لأعناق الأسود السلاسل

وما الدهر إلا فرحة ثم ترْحة تناوبها الأيام والكل زائل

فقرّي حياءً واطمئنّي جلادةً فأي كريم سالمته الغوائل؟

فما أنا بالغلّ الجزوع إذا عرا من الدهر خطبٌ أو تعرض نازل

وما كان حلمي للأذى عن ضراعة ولكن لأمرٍ كان مني التثافل

وإلا فعندي للسرى أرحبية وعزم يفلُّ السيف والسيف فاصل

وفيّ على عض الليالي بقية وإن قطعت من راحتيّ الأنامل

ولي عن ديار الذل منأى ومرحل وذا الناس في الدنيا غريب وآهل

ولست غريباً أين كنت وإنما معانيّ غُرب في الورى لا المنازل

ولولا رجائي في الأمير لقلَّصت برحلي عن داري القلاص العباهل

ولكن إذا ما النفس جاشت وعدتها
بما وعدتني فيه تلك المخايل

فاحبس منها الجأش حتى كأنني بها فوق أعلام المجرةِ نازل

وحُقّ لمثلي أن يؤمِّل مثله وفي الناس مأمولٌ يُرجّى وآمل

وإن عليا جده عمي الذي يطول به فخري على من يطاول

وصبارُ جدي عمه وكلاهما خليصان والعم المهذب ناحل

ويجمعنا في الأمهات ابن يوسفٍ عليٍّ ونعمان الأغرّ الحلاحل
وفي دون هذا عنه فضل وسيلة إذا انقطعت عمّا سواه الوسائل
وعندي له المدح الذي ما اهتدى له
جرير ولا تلك الفحول الأوائل
أقرّ بفضل الفضل بادٍ وحاضرٌ وساق إليه الشكر حافٍ وناعل
وأضحى سرير الملك يختالُ فرحة
به وتجلّت عنه تلك القساطل
فيا نحس سر بعداً وسحقاً ولا تجز بداري مدى الأيام أمك هابل
فقد حال فضل دون ما أنت طالب
لديّ وذو الإحسان والجود فاضل
وأصبح دوني راجح وكأنه أخو غابة صعب العريكة باسل
ملوكٌ همُ الشم الرواسي رزانة إذا ما استخف الحلم حق وباطل
وإن نهضوا يوماً لحربٍ رأيتهم كأنهم فوق الجياد الأجادل
نماهم إلى العلياء أشرف والدٍ تقوم له بالمكرمات الدلائل
أبو القاسم الملك الذي عرفت له حدادُ المواضي والعتاق الصواهل
همام له حزمٌ وعزمٌ ومحتدٌ كريم وبأس لا يطاق ونائل
وعدل تساوى فيه سام ويافث وحام ومبدي صرمه والمواصل
ولا برحت تسطو ربيعة في العدى بمثلهم ما طبق الأرض وابل
وما ناح قمريّ الحمام وما دعا أخو فاقة واستجلب الحمدَ بازل
وعاشوا جميعاً في نعيم وغبطةٍ وحاسدهم في غُمَّة لا يزايل

وقال يمدح جمال الدين محمد صاحب الموصل وقد وفد اليه :

بنانك من مغدودق المزنِ أهطلُ
وحلمك من رضوى وثهلان اثقلُ[1]

ودارك دارُ الامن من كل حادث
ومنزلك المعمور للمجد منزل

إذا عُدَّ أرباب النباهةِ والعلى فأنت على رغم المعادين أول

تجاوزت مقدار الكمالِ فما نرى عُلى كاملاً إلا وعلياك اكمل

وحزت خلال الفضل من كل وجهةٍ
فما فاضل إلا وعلياك أفضل

أقول ولي قلبٌ شجاعٌ تضمه جوانحُ يعلو الشوق فيها ويسفل

ولي أنة تُشجي القلوب وزفرةٌ تكاد بأدناها ضلوعي تزيَّل

وقد كدت أن أبدي الحنين تبرماً من الغبن إلا أنني أتجمل

لحى الله دهراً الجأتني صروفه إلى حيث يُلغى حق مثلي ويُهمل

وعاقبَ قومي الغر شر عقوبة وخصص من ينمي عليٌ وعبدل

فلولاهم والله يعلم ذالكم لما فاه لي بالمدح في الناس مِقْول

ولا حط بالفيحاء رحلي ولا رأت
قرى شاطئ الزوراء شخصي واربل

وقد كان لي في إرث جدي ووالدي
غنى فيه للراجي الغنى متموَّل

ولا استقبلتْ جاهي رجال جهالة وجاهل قدري بالمحامد أجهل

(١) ديوانه : ٨٨

فان يك ما أبغي ثقيلاً عليهمُ   فحمل الكريم الحر للمن أثقل
فقد كان لي لولا رجاء محمدٍ   عن الموصل الحدباء منأى ومرحل
ولم آتها إلا على اسم رجائهِ   وللخطب يرجى ذو الندى ويؤمل
ويأبى له البيت الرفيع عماده   رجوعي بحال وصفها ليس يجمل
وكيف وعندي أنه ذو بصيرةٍ   إذا حارت الألباب والجدّ مقبل
خليليَّ ما كل الرجال ولو علوا   كمالٌ ولا كل الأقاليم موصل
هو الماجد السامي الذي لاجنابه   بوعرٍ ولا باب الندى منه مقفل
همام إذا استسقيت مزن بنانه   سقاك حياً من فيضه البحر يخجل
جواد إذا ما الخور عافت فصالها   ولم يبقَ في البزل القراميس محمل
ضحوك إذا ما العام قطّب وجهه   عبوساً وأبدى نابه وهو أعصل
على أنه البكاء في حندس الدجى   خشوعاً ويحيي ليله وهو أليل
يقر له بالجود كعب وحاتم   ويقضي له بالمجد زيد ودغفل
سما لذرى العلياءِ من قبل وائلٍ   وكل فتىً من وائل فهو موئل
بآبائه عزّت نزارٌ وأصبحت   تقول بعزم ما تشاء وتفعل
ملوك هم أودوا عبيد وغادرت   صدور قناهم تبّعاً يتململ
وهم تركوا يوم الكلاب على الثرى   شرحبيل شلواً حوله الطير تحجل
وعمرو ابن هندٍ عمموا أم رأسه   حساماً يدق الهام والبيض من علُ
وآخرهم ما مثله اليوم آخرٌ   وأولهم ما مثله اليوم أول
وإن كمال الدين لازال كاملا   لأشرف أن يسمو بمجد وينبل
هو الطود حلماً والمهند عزمة   هو البحر جوداً بل عطاياه أجزل
له هيبة ملء الصدور ورهبة   على أنه للناسك المتبتل

تولى فأولى الناس خيراً وأصبحت صوادي المنى من جوده وهي نُهَّل

ولاقى البرايا خافضاً من جناحه وفي برده ليث كَمِينٌ ومشبل

تراه فتلقى منه في السلم واحداً ولكنَّه عند الملمات جحفل

صؤولٌ ولا خيل قؤولٌ ولا خفا سؤول بحال الجار والضيف فيصل

فيا أيها الساعي ليدرك شأوه رويدكَ لا يغرُرْكَ سعي مُضلَّل

عرفت بني هذا الزمان فلم أجد سواه إذا حُمِّل الثقلَ يحمل

فكم صاحب صاحبته لا مؤمّل ندىً من يديه غير أني المؤمَّل

وأجهدت نفسي في الثناء كأنني لمجدٍ به من كل باب موكّل

إذا صدئت منه المعالي جلوتها بعارفةٍ مني وللمجد صَيْقل

فلما رماني الدهر من قوس نازع وللدهر حالاتٌ تجور وتعدل

رمى مقلتي فيمن رمي وهو عالم بأن سوى من كاده الدهر مقبل

فاصبحت الحسنى تعدُّ إساءة عليَّ ويُستصفى عدوِّي وأعذل

وتكثر عندي لا القدر ذنوبه وأمشي إلى أبوابه أتنصل

وما ذاك عجزاً عن مكافاةِ خائن ولكنّ حلماً عن ذوي الجهل أفضل

فلا يُبعدن الله شخص محمدٍ فليس على خلقٍ سواه مُعوَّل

ولا كان هذا آخر العهد إنني إلى الله في أن نلتقي أتوسل

فيا شقوتا من عظم خوف مبرّح إليه بأثناءِ الحشا يتغلغل

اليك كمَال الدين عِقدُ جواهر أضنُّ بها عمن سواك وأبخل

ويقصر عن ترصيعها في عقودها أخو دارم والأعشيان وجرول

أبا الكرم المدعو للخطب إنني دَعوتُك والمدعُوُّ لا يتأول

فعزّ كريماً لم يكن في حسابه يزور لأبواب السلاطين يَسأل
ولا خال أن الدهر يسعى لكيده فيلقى عليه منه نحر وكاكل

تم الاختيار من شعر علي بن مقرب العيوني ويليه بعض القصائد المحتوية على جمل من الحكم والمواعظ والاداب :

شعر

صلاح الدين الصفدي

لقد عن لي أن اذكر بعض القصائد المحتوية على جمل من الحكم والمواعظ فمنها لامية صلاح الدين الصفدي وهي قوله :

الجدّ في الجد والحرمان في الكسلِ
فانصب تصب عن قريب غاية الامل
واصبر على كل ما يأتي الزمانِ به صبرَ الحسام بكفِّ الدارع البطل
وجانب الحرص والأطماع تحظ بما ترجو من العز والتأييد في عجل
ولاتكونـنْ على ما فات ذا حزن ولاتظل بما أوتيت ذا جذل
واستشعر الحِلم في كل الامور ولا تسرع ببادرةٍ يوماً إلى رجل
وإن بليت بخصم لا خلاق له فكن كأنّك لم تسمع ولم يقل
ولا تمار سفيها في محاورة ولا حليماً لكي تنجو من الزلل
ولا يغرّنّك من يُبدي بشاشته إليك خِدعاًفان السُمّ في العسل
وان أردت نجاحاً أو بلوغَ منىً فاكتم أمورك عن حافٍ ومنتعل

ان الفتى من بماضي الحزم متصف وما تعـوّد نقص القول والعمل

ولا يقيم بأرض طاب مسكنها حتى يقدّ أديم السهل والجبل

ولا يضيع ساعاتِ الزمان فلن يعود ما فات من أيامه الاول

ولا يراقب إلا من يراقبه ولا يصاحب إلا كل ذي نبل

ولا يعد عيوبا في الورى أبداً بل يعتني بالذي فيه من الخلل

ولا يظن بهم سوءاً ولا حَسناً بلِ التجـارب تهديه علي مهل

ولا يؤمل آمـالا بصبح غدٍ إلا على وجلٍ من وثبة الأجل

ولا يصد عن التقوى بصيرته لأنهـا للمعـالي أوضح السبل

فمن تكن حُلل التقوى ملابسه لم يخش في دهره يوماً من العطل

من لم يصن عرضه مما يدنسهُ عارٍ وإن كان مغموراً من الحلل

من لم تفده صروف الدهر تجربةً فيما يحاولُ فليرعى مع الهَمَل

من سالمته الليالي فليثق عجلا منها بحربِ عدوٍ جاء بالحيل

من ضيع الحزم لم يظفر بحاجته ومن رمي بسهام العجب لم ينل

من جاد ساد واحيا العالمونَ له بديع حمدٍ بمدحِ الفعل متصل

من رام نيل العلى بالمـال يجمعه من غير جود بُلى من جهله وبلي

من يصن نفسه ساءت خليقته بكل طبع لئيم غير منتقِل

من لم جالس الغاغة النوكى جنَى ندماً

لنفسه ورُمي بالحادث الجلل

فخذ مقـال خبير قد حوى حكماً

إذ صِغتها بعد طولِ الخُبر في عملي

شعر

صالح بن عبد القدوس

ومنها قصيدة صالح بن عبد القدوس وهي قوله :

صرمت حبالك بعد وصلك زينب ... والدهر فيه تصرم وتقلب
وكذاك وصل الغانيات فإنه ... آلٌ ببلقعة وبرقٌ خلّب
فدع الصبا فلقد عداك زمانه ... واجهد فعمرك مرَّ منه الاطيب
ذهب الشباب فما له من عودة ... وأتى المشيب فاين منه المهرب
دع عنك ماقدفات في زمن الصبا ... واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب
واخشِ مناقشة الحساب فانه ... لابد يُحصى ما جنيت ويحسب
والليل فاعلم والنهار كلاهما ... أنفاسنا فيه تعد وتحسب
لم ينْسه الملكان حين نسيته ... بل اثبتاه وأنت لاهٍ تلعب
والروح فيك وديعة أودعتها ... ستردُّها بالرغْم منك وتسلب
وغرور دنياك التي تسعى لها ... دارٌ حقيقتها متاع يذهب
وجميع ما حصَّلْته وجمعته ... حقاً يقينا بعد موتك ينهب
تباً لدارٍ لا يدوم نعيمها ... ومشيدها عما قليل يخرب
فاسمع هديت نصائحاً أولاكها ... برٌ نصوح للانام مجرب
لاتأمن الدهر الخؤون فإنه ... ما زال قِدماً للرجال يهذب
وكذلك الأيام في غصاتها ... مضض يذل له العزيز الأنجب
ويفوز بالمال الحقيرُ مكانة ... فتراه يُرجى ما لديه ويرغب

ويسير بالترحاب عند قدومه ... ويقام عند سلامة ويقرب

فاقنع ففي بعض القناعة راحة ... فلقد كسى ثوب المذلة أشعب

لا تحرصنْ فالحرص ليس بزائدٍ

في الرزق بل يشقى الحريص ويتعب

كم عاجز في الناس يؤتى رزقه ... رَغدا ويحرم كيّس ويُخيَّب

فعليك تقوى الله فالزمها تفزْ ... إن التقي هو البهي الأهيب

واعمل بطاعته تنلْ منه الرضى ... إن المطيع لربه لمقرب

أدِّ الأمانة والخيانة فاجتنب ... واعدل ولا تظلم يطيب المكسب

واحذر من المظلوم سهماً صائباً ... واعلم بأن دعاءه لا يحجب

واخفض جناحك للأقارب كلهم ... بتذلل واسمح لهم إن أذنبوا

وإذا بليت بنكبةٍ فاصبر لها ... من ذا رأيت مسلّماً لاينكب؟

وإذا أصابك في زمانك شدة ... وأصابك الخطب الكريه الأصعب

فادعُ لربك إنه أدنى لمن ... يدعوه من حبل الوريد وأقرب

واحذر مؤاخاة الدنيِّ فإنها ... تعدي كما يُعدي الصحيح الأجرب

واختر صديقك واصطفيه تفاخراً ... إن القرين إلى المقارن ينسب

ودع الكذوب ولا يكن لك صاحباً

إن الكذوب لبئس خلاً يصحب

وذر الحقود ولو صفا لك مرة ... وابعده من رؤياك لايستجلب

إن الحقود وإن تقادَمَ عهدُه ... فالحقد باقٍ في الصدور مغيَّب

واحذر لسانك واحترز من لفظِهِ ... فالمرء يسلم باللسان ويعطب

وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن ثرثارة في كل نادٍ يخطُب ؟

والسر فاكتمه ولا تنطق به فهو الأسير لديك اذ لا ينشب

واحرص على حفظ القلوب من الأذى

فرجوعها بعد التنافر يصعب

إن القلوب إذا تنافر ودها شبه الزجاجةِ كسرها لا يشعب

واحذر عدوك إذ تراه باسماً فالليث يبدو نابهُ إذ يغضب

وإذا الصديق رأيته متملقاً فهو العدو وحقه يتجنب

لا خير في وُدِّ امرىءٍ متملقٍ حلو اللسان وقلبه يتلهب

يعطيك من طرفِ اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب

يلقاك يحلف إنه بك واثق وإذا توارى عنك فهو العقرب

وإذا رأيت الرزق ضاق ببلدةٍ وخشيت فيها أن يضيق المذهب

فارحل فأرضُ اللهِ واسعةُ الفضا طُولا وعرضاً شرقها والمغرب

فلقد نصحتك إن قبلت نصيحتي فالنصح أغلى ما يباع ويوهب

خذها إليك نصيحة منظومة جاءت كنظم الدر بل هي أعجب

حكم وآدابٌ وجل مواعظٍ أمثالها لذوي البصائر تكتب

قصيدة

أبي الفتح البستي

قال رحمــه الله تعالى :

زيادة المرء في دنيــاه نقصان ... وربحه غير محض الخير خسران

وكل وجدانِ حظٍ لاثباتَ له ... فإن معناه في التحقيق فُقْدان

يا عامراً لخراب الدهر مجتهداً ... بالله هل لخِراب العمر عمران

ويا حريصاً على الأموال يجمعها ... أنسيت أن سرور الملك أحزان

زع الفؤاد عن الدنيا وزينتها ... فصفُوها كدرٌ والوصلُ هجران

وأرع سمعـك أمثـالاً أفصلها ... كما يفصل ياقوت ومرجان

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالمـا استعبد الإنسان إحسان

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمتهِ ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وكنْ على الدهر معواناً لذي أملٍ ... يرجو نداك فإن الحر معوان

واشدد يديك بحبل الله معتصماً ... فإنه الركن إن خانتك أركان

من يتق الله يُحمد في عواقبـه ... ويكفه شرَّ من عزوا ومن هانوا

من استعان بغير الله في طلبٍ ... فـإن ناصره عجز وخذلان

من كان للخير منَّاعاً فليس له ... على الحقيقـة إخوان وأخدان

من جاد بالمالِ مال الناس قاطبة ... إليه والمال للإنسان فتَّـان

من سالم الناس يسلم من غوائلهـم ... وعاشَ وهو قرير العـين جذلان

من كان للعقل سلطان عليه غدا ... وما على نفسه للحرص سلطان

من مدَّ طرفاً بفرطِ الجهل نحو هوىً
أغضى على الحق يوماً وهو خزيان

من استشار صروفَ الدهر قامَ له على حقيقة طبع الدهر بُرهان

من يزرع الشرّ يحصد في عواقبه ندامةً ولحصد الزرع إبّان

من استنام إلى الأشرار قام وفي قميصه منهم صِلٌّ وثعبان

كن ريِّق البِشر إن الحر زينته صحيفةٌ وعليها البِشر عنوان

ورافق الرِّفق في كل الأُمور فلم يندم رفيقٌ ولم يذممه إنسان

أحسن إذا كان إمكانٌ ومقْدِرةٌ فلن يدوم على الإحسان إمكان

فالروض يزدان بالنُّوار فاغمُهُ والحر بالحلم والإحسان يزدان

صن حرّ وجهك لا تهتك غلالتَه فكل حرٍ لحرِّ الوجه صوّان

دع التكاسل في الخيرات تطلبها فليس يسعد بالخيرات كسلان

لا ظلَّ للمرء أحرى من تقى ونهىً وإن أظلته أوراق وأغصان

والناس أعوانُ من والتَه دولتُهُ وهم عليه إذا عادتْه أعوان

سحبانُ من غير مال باقلٌ حصرٌ وباقلٌ في ثراء المال سحبان

لا تُودِعِ السِّرّ وشّاءً به مَذِلاً فما رعى غنماً في الدوِّ سرحان

لا تحسب الناس طبعاً واحداً فلهم غرائزٌ لست تحصيها وألوان

ما كلُّ ماءٍ كصداءٍ لوارده نعم ولا كلُّ نبتٍ فهو سعدان

لا تخدشنَّ بمطل وجه عارفةٍ فالبِرُّ يخدشه مطلٌ وليّان

لا تستشر غير ندبٍ حاذقٍ يقظٍ قد استوى فيه إسرار وإعلان

فللتدابير فرسانٌ بها ركضوا فيها أبروا كما للحرب فرسان

وللأمور مواقيتٌ مقدرةٌ وكل أمر له حـدّ ومـيزان

كفى من العيش ما قـد سدّ من عوزٍ ففيه للحر غُـنيان وقنيـان

وذو القناعة راضٍ عن معيشتِـه وصاحبُ الحرصِ إن أثرى فغضبان

حسب الفتى عقله خِـلاً يعاشره إذا تحامـاه إخوان وخُـلاّن

هما رضيعا لُبانٍ حكمـة وتقى وساكنا وطن مـال وطغيان

إذا نبا بكريمٍ موطنٌ فـله وراءه في بسيط الأرض أوطان

ياظالمـاً فرحـاً بالعز ساعـدُه إن كنت في سنة فالدهر يقظان

ويا أخا الجهل لو أصبحت في لُجج فأنت ما بينها لا شك ظمآن

لاتحسبنَّ سروراً دائماً أبـداً من سره زمن ساءته أزمـان

يا رافـلا في الشبـاب الوحف منتشياً من كأسه هل أصاب الرشد نشوان ؟

لاتغترِر بشباب رائقٍ خضلٍ فكم تقدم قبل الشيب شُبان

ويا أخا الشيب لو ناصحت نفسك لم يكن لمثلك في الإسراف إمعان

هب الشبيبة تُبلي عذر صاحبها ماعذر أشيب يستهويه شيـطان

وكل كسر فإن الدين يجـبره وما لكسر قناة الدين جُبران

خذها سوائر أمثـال مهذبـةٍ فيها لمن يبتغي التبيان تبيان

ماضر حسانهـا والطبـع صائغها إن لم يصغها قريع الشعر حسان

ومنها لامية الشيخ العلامة اسمـاعيل بن أبي بكر المقري الزبيـدي وهي قولــه :

زيادة القول تحكي النقصَ في العمل
ومنطقُ المرء قد يهديـه للزلل [1]

إن اللسان صغيرٌ جرمُـه ولهُ جرمٌ كبير كما قد قيل في المثل
فكم ندمتُ على ما كنت قلتُ به وما ندمت على مالم أكن أقل
وأضيق الأمر أمر لم تجد معه فتى يعينك أو يهديك للسبل
عقل الفتى ليس يغني عن مشاورة
كعفة الخود لا تغني عن الرجل
إن المشاور إما صائب غرضا أو مخطئ غير منسوب إلى الخطل
لاتحقر الرأي يأتيك الحقير به فالنحل وهو ذبابٌ طائر العسل
ولا يغرنْكَ وُدٌّ من أخي أملٍ حتى تجربه في غيبة الأمل
إذا العدوُّ أحاجتْهُ الاخا عالنٌ عادت عدواته عند انقضاء العلل
لاتجزَعنَّ لخطبٍ مابه حيل تُغني وإلا فلا تعجز عن الحيل
لاشيء أولى بصبر المرء في قدرٍ لابد منه وخطبٍ غير منتقل
لاتجْزَعنَّ على ما فات حيث مضى
ولا على فوت أمر حيث لم تنل
فليس تغني الفتى في الأمر عدته إذا تقضت عليه مدة الأجل
وقدرُ شكرِ الفتى لله نعمته كقدرِ صبر الفتى للحادث الجلل
وإنّ أخوفَ نهجٍ ما خشيتُ به ذهابُ حريّةٍ أو مرتضي عمل
لا تفرحنَّ بسقطات الرجال ولا تهزأ بغيرك واحذر صولة الدول

---

(١) ديوانه : طبع (بمباي) الهند

لا تأمنِ الدهرَ أن يُعلي العدو ولا تستأمن الدهر أن يلقيك في السفل

أحق شيء برد ما تخالفه شهادة العقل فاحكم صنعة الجدل

وقيمة المرء ما قد كان يحسنه فاطلب لنفسك ما تعلو بهِ وسل

اطلب تنلْ لذة الإدراك ملتمساً أو راحة اليأس لا تركن إلى الوكل

فكل داءٍ دواه ُممكن أبداً إلا اذا امتزج الإقتار بالكسل

والمال صُنه وورِّثه العدو ولا تحتاج حياً الى الاخوان في الأكل

وخير مال الفتى مالُ يصون به عرضاً وينفِقه في صالح العمل

وأفضل البرِّ ما لا منَّ يتبُعه ولا تقدمَّه شيءٌ من المطل

وإنما الجود بذل لم تكاف به صنعاً ولم تنتظر فيه جزا رجل

إن الصنائعَ أطواقٌ إذا شكرت وإن كُفرن فأغلال لمنتحل

ذو اللؤم يحصرُ مهما جئت تسأله شيئاً ويحُصر نطقُ الحر ان يسل

وان فوت الذي تهوى لأهونُ منْ إدراكه بلئيمٍ غيرِ محتفل

وان عندي الخطا في الجود أحسن من إصابةٍ حصلت بالمنع والبخل

خير من الخير مسديه إليك كما شرٌّ من الشرِّ أهل الشر والدخل

ظواهر العتب للإخوان أحسن من بواطن الحقد في التسديد للخالل

داوِ الجهول وسامحهُ تُكده ولا تصحب سوى السمح واحذر سقطة العجل

لا تشربنَّ نقيع السُّم متكلاً على عقاقير قد جربن بالعمل

والقَ الأحبة والإخوان إن قطعوا حبْل الودادِ بحبلٍ منك متصل

وأعجز الناس من قد ضاع من يده صديقُ ودٍ فردُّه يَلم بالحيل

استصفِ خلك واستخلصه أحسن من
تبديل خِلٍ وكيف الأمن بالبدل

واحمل ثلاث خصالٍ من مطالبهِ   تحفظْهُ فيها ودع ما شئته وقل
ظلم الدّلال وظلم الغيظ فاعفهما   وظلمُ هفوته فاقسط ولا تمل
وكنْ مع الخلق ما كانوا لخالقهم   واحذر معاشرة الأوغاد والسفل

واخش الأذى عند إكرام اللئيم كما
تخشى الأذى إن أهنت الحر في حفل

والغدر في الناس طبع لاتثق بهم   وإن أبيت فخذ في الأمن والوجل
من يقظة بالفتى إظهار غفلته   مع التحرز من غدر ومن ختل
سل التجارب وانظر في مراءتها   فللعواقب فيها أشرف المثل
وخير ماجرّبته النفس ما اتّعظت   عن الوقوع به في العجز والوكل
فاصبر لواحدةٍ تأمن توابعها   فربّما ضقت ذرعاً منه في النُّزلُ
وللأمور وللأعمال عاقبةٌ   فاخش الجزابغتةً واحذره عن مهل
ذو العقل يترك ما يهوى لخشيته   من العلاج بمكروهٍ من الخلل
من المروءة تركُ المرء شهوته   فانظر لأيّهما آثرت فاحتمل

استحي من ذمِ من إنْ يدنُ توسعهُ
مدحاً ومن مدح من إن غاب ترتذِل

شرُّ الورى بمساوي الناس مشتغلٌ   مثلُ الذباب يراعي موضع العلل

لو كنت كالقدح في التقويم معتدلاً
لقالت الناسُ هذا غير معتدل

لايظلمُ الحرُ إلا من يطاوله   ويظلم النذلُ أدنى منه في الصول

يا ظالما جار فيمن لا نصير له　　إلا المهيمنُ لا تغتر بالمَهَل
غدا تموتُ ويقضي الله بينكما　　بحكمة الحق لا زيغٍ ولا مَيَل
وإن أولى الورى بالعفو أقدرهم　　على العقوبة ان يظفر بذي زلل
حلم الفتى عن سفيه القوم يكثرُ من
أنصاره ويوقيه من الغِيَل
والحلم طبعٌ فما كسبٌ يجود به　　لقوله (خلق الانسانُ من عجل)

ومنها لامية الشيخ أبي اسماعيل الحسين بن علي المعروف بالطغرائي المشهورة بلامية العجم وهي قوله :

أصالة الرأي صانتني عن الخطل　　وحلية الفضل زانتني لدى العطل[1]
مجدي أخيراً ومجدي أولاً شَرَع
والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل
فيم الاقامة بالزوراء لاسَكني　　بها ولا ناقتي فيها ولا جملي
ناءٍ عن الاهل صفر الكفُ منفرد　　كالسيف عُرِّيَ متناهُ من الخلل
فلا صديقُ اليه مشتكَى حزني　　ولا أنيسٌ اليه منتهى جذلي
طال اغترابي حتى حَنَّ راحلتي　　ورحلُها وقِرى العسَّالة الذبل
وضجَّ من لغب نضوِي وعجَّ لما　　يلقَى ركابي ولجَّ الركبُ في عذلي
أريد بسطةِ كفٍ أستعين بها　　على قضاء حقوق للعلى قِبلي
والدهر يعكس آمالي ويقنعُني　　من الغنيمة بعد الكد بالقَفَل
وذي شطاط كصدر الرمح معتقل　　بمثله غير هيَّاب ولا وَكِل
حاوُ الفكاهة مرُّ الجِد قد مُزِجت　　بشدةِ البأس منه رقةُ الغزل

---

(١) ديوانه طبع اسطمبول ٥٤

طردتُ سرحَ الكرى عن وردِ مقلتِهِ
والليل أغرى سوام النوم بالمُقَل

والركبُ ميْل على الاكوارِ من طربٍ
صاحٍ وآخر من خمر الكرى ثمِل

فقلت أدعوك للجلى لتنصرني
وأنت تخذلُني في الحادثِ الجلل

تنام عنّيِ وعينُ النجم ساهرة
وتستحيل وصبْغ الليل لم يحل

فهل تعين على غيٍّ همَمْتُ به
والغي يزجر أحياناً عن الفشل

إني أريد طُروق الحي من إضم
وقد حماه رماةٌ من بني ثعل

يحمون بالبيض والسمر اللدان به
سودَ الغدائر حمر الحلي والحُلل

فسر بنا في ذمام الليل معتسفاً
فنفحة الطيب تهدينا إلى الحلل

فالحب حيث العدى والأسد رابضة
حول الكناسِ لها غاب من الاسل

نؤم ناشئة بالجزع قد سُقَيت
نصالها بمياهِ الغنج والكحل

قد زاد طيب أحاديث الكرام بها
ما بالكرائم من جُبْنٍ ومن بخل

تبيتُ نار الهوى منهم على كبد
حرى ونار القِرى منهم على القلل

يقتلنَ أنضاءَ حب لا حراك بها
وينحرون كرامَ الخيلِ والابل

يشفى لديغُ العوالي في بيوتهم
بنهلةٍ من غدير الخمر والعسَل

لعل المامةً بالجِزْع ثانية
يدبُ منها نسيمُ البرء في علل

لا أكره الطعنة النجلاء قد شفعت
برشقه من نبال الأعين النُجُل

ولا أهابُ الصفاحَ البيض تُسعدني
باللمح من خلل الاستار والكلل

ولا أخل بغزلان أغازلها
ولو دهتني أسودُ الغيل بالغيل

جبُ السلامة يثْني همَّ صاحبه　　عن المعالي ويغري المرء بالكسل

فإن جنحتَ إليه فاتخذ نفقاً　　في الارض أو سُلَّماً في الجوِّ فاعتزل

ودعْ غمار العلى للمقدمين على　　ركوبها واقتنعْ منهن بالبلل

رضى الذليل بخفض العيش مسكنةٌ　　والعز عند رسيم الانيق الذلل

فادرأْ بها في نحور البيد جافلةً　　معارضاتٍ مثاني اللجم بالجدل

إن العلى حدَّثتني وهي صادقة　　فيما تحدث أن العز في النُّقَل

لو أن في شرف المأوى بلوغ منى　　لم تبرح الشمس يوماً دارة الحمل

أهبت بالحظ لو ناديتُ مستمعاً　　والحظ عنيَ بالجهَّالِ في شغل

لعله إن بدا فضلي ونقصُهمُ　　لعينهِ نام عنهم أو تنبَّه لي

أعلل النفس بالآمال أرقُبُها　　ما أضيق العيش لولا فسحة الامل

لم ارتضِ العيش والايام مقبلة　　فكيف أرضى وقد ولَّت على عجل

غالى بنفسيَ عرفاني بقيمتها　　فصنتها عن رخيص القدر مبتذل

وعادة النصل أن يزهى بجوهره　　وليس يعمل إلا في يدي بطل

ما كنت أوثر ان يمتدبي زمني　　حتى أرى دولة الأوغاد والسفل

تقدمتني أناس كان شوطهم　　وراء خطوي إذ أمشي على مهلي

هذا جزاء أمرىءٍ أقرانه درجوا　　من قبله فتمنى فسحة الأجل

وإن علاني من دوني فلا عجب　　لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

فاصبر لها غير محتال ولا ضَجِر　　في حادث الدهر ما يغني عن الحيل

أعدى عدوكَ أدنى من وثِقْتَ بهِ　　فحاذر الناس واصحبهم على دَخَل

وإنما رجل الدنيا وواحدها　　من لا يعوِّل في الدنيا على رجل

وحُسن ظنك بالأيام مَعجَزةٌ   فَظنَّ شراً وكنْ منها على وجل

غاض الوفاءُ وفاض الغدر وانفرجت   مسافة الخلف بين القول والعمل

وشان صدقك عند الناسِ كذبُهم   وهل يُطابق معوجٌّ بمعتدِلِ

إن كان ينجح شيء في ثباتهم   على العهود فسَبق السيف للعذل

يا وارداً سؤر عيش كله كدرٌ   أنفقت صفوك في أيامك الأول

فيم اقتحامك لجَّ البحر تركبه   وأنت يكفيك منه مصَّة الوشل

ملك القناعة لا يُخشى عليه ولا   يُحتاج فيه إلى الأنصار والخول

ترجو البقاء بدار لا ثبات لها   فهل سمعتَ بظل غير منتقل

ويا خبيراً على الأسرار مطلعاً   اصمت ففي الصمت منجاة من الزلل

قد رشحوك لأمر إن فطنت له   فاربأ بنفسك إن ترعى مع الهمل

ومنها لامية للشيخ العلامة الاديب عمر بن الوردي رحمه الله وهي قوله :

اعتزل ذكر الأغاني والغزلَ   وقل الفصل وجانب من هزل

ودع الذكرى لأيامِ الصبا   فلأيام الصبا نجم أفل

إن أهنى عيشة قضّيتها   ذهبت لذاتها والاثم حل

واترك الغادةَ لا تحفل بها   تُمس في عز وتُرفع وتجل

واله عن آلة لهو أطربت   وعن الأمرد مرتج الكفل

وافتكر في منتهى حسن الذي   أنت تهواه تجد أمراً جلل

واهجر الخمرة إن كنتَ فتى   كيف يسعى في جنون من عقل

واتق الله فتقوى الله ما باشرت قلب امرىء إلا وصل
ليس من يقطع طُرقاً بطلا إنما من يتقي الله البطل
صدق الشرع ولا تركن إلى رجل يرصد في الليل زُحل
حارت الأفكار في حكمة من قد هدانا سبلنا عز وجل
كتب الموت على الخلق فكم فلَّ من جيش وأفنى من دول
أين نمرودٌ وكنعانُ ومن ملكَ الارضَ وولّى وعزل
أين من سادوا وشادوا وبنوا هلك الكل فلم تغن القلل
أين عادٌ أين فرعون ومن رفع الاهرام من يسمع يخل
أين أربابُ الحجى أهل التُقى
أين أهل العلم والقومُ الاول
سيعيد الله كُلاً منهم وسيجزي فاعلا ما قد فعل
يا بنيَّ اسمع وصايا جمعت حِكماً خصت بها خير الملل
إطلب العلم ولا تكسلْ فما أبعد الخير على أهل الكسل
واحتفل للفقه في الدين ولا تشتغل عنه بمال وخول
واهجر النوم وحصله فمن يعرف المطلوب يحقر ما بذل
لاتقل قد ذهبت أربابه كلٌّ من سار على الدرب وصل
في ازدياد العلم إرغام العدى وجمال العلم إصلاح العمل
جمّل المنطق بالنحو فمَن حُرِمَ الاعراب بالنطق اختبل
انظم الشعر ولازم مذهبي في اطراح الرفد لا تبغِ النّحل
فهو عنوان على الفضل وما أحسن الشعر إذا لم يُبتذل
مات أهل الجود لم يبق سوى مقرف أو من على الأصل اتكل

أنا لا أختار تقبيل يدٍ قطعها أجمل من تلك القُبل

إن جزَتني عن مديحي صرت في

رقها أو لا فيكفيني الخجل

أعذب الألفاظ قولي لك خذْ وأمرُّ اللفظ نطقي بلعل

مِلْك كِسرى عنه تغني كسرة وعن البحر اكتِفاء بالوشل

اعتبر (نحن قسمنا بينهم) تلقه حقا وبالحق نزل

ليس ما يحوي الفتى من عزمه لا ولا ما فات يوماً بالكسل

قاطع الدنيا فمن عاداتها تُخفض العالي وتُعلي من سفل

عِيشة الراغب في تحصيلها عيشة الزاهد فيها أو أقل

كم جهولٍ وهو مثرٍ مكثرٍ وعليم مات منها بالعلل

كم شجاعٍ لم ينل منها المنى وجبانٍ نال غايات الأمل

فاترك الحيلة فيها واتَّئد إنما الحيلة في ترك الحيل

أيُّ كف لم تنل منها المنى فرماها الله منه بالشلل

لاتقل أصلي وفصلي أبداً إنما أصل الفتى ما قد حصل

قد يسود المرء من غير أبٍ وبحسن السَّبك قد ينفى الزغل

وكذا الورد من الشوك فما يطلع النرجس إلا من بصل

غير أني أحمد الله على نسبي إذ بأبي بكر اتصل

قيمة الإنسان ما يحسنه أكثرَ الانسان منه أو أقل

اكتم الامرين فقراً وغنىً واكسب الفاس وحاسب من بطل

وادّرع جداً وكداً واجتنب صحبة الحمقى وأربابَ الدّول

بين تبذيرٍ وبخلٍ رتبةٌ وكلا هذين إن زاد قتل

لاتخض في حق سادات مضوا ... إنهـم ليسُوا بأهل للزلل

وتغـافل عن أمور انـه ... لم يفز بالحمد إلا من غفل

ليس يخلو المرء من ضد وإن ... حاولَ العزلة في رأس جبل

أبعـد النمامَ واهجرهُ فـما ... بلغ المكروه إلا من نقل

دارِ جارَ الدار ان جارَ وإن ... لم تجد صبراً فما أحلى النُقل

جانب السلطان واحذرْ بطشه ... لا تخاصِم من إذا قال فعل

لاتلِ الحكم وإن هم سألوا ... رغبةً فيك وخالف من عذل

إن نصف الناس أعداءٌ لمن ... ولي الأحكام هذا إن عدل

فهو كالمحبوس عن لذاتـه ... وكلا كفيه في الحشر تغل

إن للنقص والاستثقـال في ... لفظة القاضي لوعظ أومثل

لاتوازي لذّة الحُكم بمـا ... ذاقهَ الشخص إذا الشخص انعزل

فالولايات وإن طابت لمن ... ذاقها فالسم في ذاك العسل

نـصَـبُ المنصبِ أوهى جلدي

وعنـائي من مـداراة السّـفل

قصر الامـال في الدنيـا تفزْ ... فدليل العال تقصير الأمل

إن من يطلبـه الموتُ على ... غرة منه جدير بالوجل

غِـب وزرغباً تزد حبـا فمن ... أكثر التردداد أضنـاه الملل

خذبنصل السيف واترك غِـمده ... واعتبر فضل الفتى دون الحلل

لا يضر الفضلَ إقـلال كما ... لايضرُّ الشمسَ اطباقُ الطفل

حبك الأوطان عجزٌ ظاهرٌ ... فاغترب تلق عن الأهل بدل

فبمكث الماءِ يبقي آسناً ... وسرى البدر به البدر اكتمل

أيها العائبُ قولي عبثا إن طيب الورد مؤذ للجُعل

عد عن أسهم قولي واستتر لا يصيبنَّك سهمٌ من ثعل

لا يغرنك لينٌ من فتى إن للحيات ليناً يعتزل

أنا مثل الماء سهلٌ سائغ ومتى أسخِن آذى وقتل

أنا كالخيزور صعبٌ كسره وهو لدن كيف ما شئت انفتل

غير أني في زمان من يكن فيه ذا مالٍ هو المولى الأجل

واجب عند الورى إكرامُه وقليل الماءِ فيهم يستقل

كل أهل العصر غمر وانا منهمُ فاترك تفاصيل الجمل

وصلاة الله ربّي كلما طلع الشمس نهاراً وافل

للذي حاز العلى من هاشم أحمد المختار من سادَ الأول

وعلى آلٍ وصحب سادةٍ ليس فيهم عاجز إلا بطل

ومن شعر الشيخ صلاح الدين الصفدي كتبها إلى الشيخ جمال الدين ابن نباتة يعاتبه وقد ضمنها من معلقة امرىء القيس فاحسن وهو قوله :

أفي كل عام منك عتبٌ يسوؤني كجلمود صخر حطه السيلُ من علُ

وترمي على طول المدى متجنيًا بسهميك في أعشار قلب مقتل

فأمسي بليلٍ طال جنح ظلامه عليَّ بأنواع الهموم ليبتلي

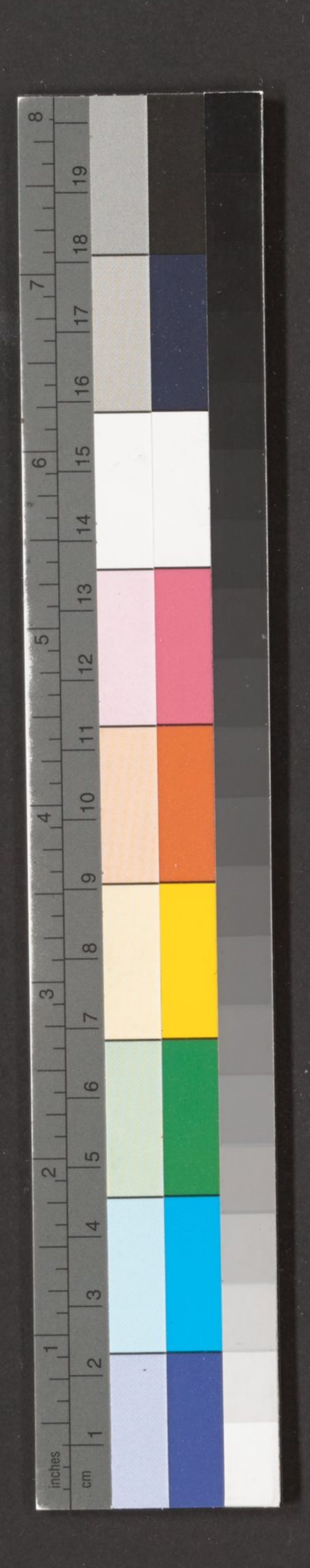
وأغدوا كأن القلب من وقدة الجوى

إذا جاش فيه حميه غلي مرجل

تطير شظاياه بقلبي كأنها بأرجائهِ القصوى أنابيش عنصل

وسالت دموعي من همومي ولوعتي على النَّحر حتى بل دمعي محملي

إذا عاينَ الإخوان مابي من الأسى يقولون لا تهلك اسى وتجمل



ترفق ولا تجزع على فائت الوفا ‏ ‏ فما عند رسم دارس من مُعوَّل

ولي فيك ودٌّ طال ماقد شددْتُهُ ‏ ‏ بأمراس كتان إلى صم جندل

ولي خطراتٌ فيك منها جوانحي ‏ ‏ صبحن سلافا من رحيق مفلفل

كأنّ أمانيها كؤوسُ مدامة ‏ ‏ غذاها نمير الماء غير محلل

سلوتُ غوايات الشبيبة والصبا ‏ ‏ وليس فؤادي عن هواها بمنسل

وأجلو محيا الود فيك لأهله ‏ ‏ متى ما ترقَّ العين فيه تسهل

فكر على جيش الجناية عائداً ‏ ‏ بمنجردٍ قيد الأوابد هيكل

تجد خفرات الأُنس فيه كواعباً ‏ ‏ ترائبها مصقولةٌ كالسنجنجل

وخلِّ الجفا وارجع إلى معهد الوفا ‏ ‏ وإن كنت قد أزمعت صرمي فاجمل

حلاودك الماضي وإن لم تعد أعد ‏ ‏ لدى سمرات الحي ناقف حنظل

فأجابه الشيخ ابن نباتة وأحسن بقوله :

فطمت ولائي ثم أقبلت عاتباً ‏ ‏ أفاطم مهلا بعض هذا التدلل

بروحي ألفاظ تعرّض عتبُها ‏ ‏ تعرض أثناء الوشاح المفصل

فأحيين وداً كان كالرسم عافيا ‏ ‏ بسقط اللوى بين الدّخول فحومل

تعفي رياح العذر منك رقومه ‏ ‏ لما نسجتها من جنوب وشمأل

نعم قوّضت منك المودة وانقضت ‏ ‏ فيا عجبا من رحلها المتحمل

فديتك لاتسلك من الظلم والجفا ‏ ‏ بنا بطن خبت ذي حقاف عقنقل

ولا تنس مني صحبة تصدع الدُّجى ‏ ‏ بصبح وما الإصباح منها بأمثل

(نزهة الأبصار ج ٢ م ١٩)

صحبتك لا ألوي على صاحب عطا　　بجيد معم في العشيرة مخولِ

وحاولت من إدناءِ ودِّك مانأى　　فأنزلت منه العصم من كل منزل

يقلِّبُ لي وجدي به سوط سائقٍ　　وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

وكم خدمةٍ عجلتها ومحبةٍ　　تمتَّعت من لهوبها غير معجل

وكم أسطرٍ منّي ومنك كأنها　　عذارى دوارٍ في مُلاءٍ مذيل

وكم ناصحٍ كذبت دعواه إذ غدت　　عليَّ وآلت حلفة لم تحلل

إلى أن تبدَّى عذره متمطيا　　وأردف أعجازاً وناء بكلكل

فلاطفته في حالتيه ولم أقل　　فسل ثيابي من ثيابك تنسل

وضنَّ بأسطار كأن يراعها　　أساريع ظبي أو مساويك اسحل

يقرِّع سمعي من معاريض نظمه　　مداك عروس أو صلاية حنظل

وعُدنا لودٍ يملأ القلب عودُه　　بكل مغار الفتل شدت بيذبل

أعدت صلاحَ الدين عهد مودةٍ　　بشحمٍ كهداب الدمقس المفتل

فدونك عتبى اللفظ ليس بفاحش　　إذا هي نصَّته ولا بمعطل

وعادات حبٍ هنَّ أشهر فيك من　　قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

ومن المنسوب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي ابنه الحسين رضي الله عنهما :

قدّم لنفسك في الحياة تزوُّداً　　فلقد تُفارقها وأنت مودعُ

واجعل تزوُّدك المخافة والتُّقى　　فلعلَّ حتفك في مسائك أسرع

واهتمَّ للسفر البعيد فإنه　　أنأى من السَّفر القريب وأشنع

واقنع بقوتك فالقنوعُ هو الغنى　　والفقر مقرونٌ بمن لا يقنعُ

واحذر مُصاحبة اللئام وإن هم　　منحوك صفو ودادِهم وتصنَّعوا

أهل المودة ما أنلتهم الرضى   وإذا منعت فسمهم لك منقع

لا تفش سراً ما استطعت إلى امرىء   يفشي إليك سرائراً يستودع

فكما تراه بسر غيرك صانعاً   فكذا بسرك لا محالة يصنع

لا تبدأن بمنطق في مجلس   قبل السؤال فإن ذلك يشنع

فالصمت يحسن كل ظن بالفتى   ولعله خرق سفيه أرقع

ودع المزاح فرب لفظة مازح   جلبت إليك بلابلاً لا تدفع

وحفاظ جار لا تضعه فإنه   لا يبلغ الشرف الجسيم مضيع

وإذا استقالك ذو الإساءة عثرة   فأقله إن ثواب ذلك أوسع

وإذا أئتمنت على السرائر فاخفها   واستر عيوب أخيك حين تطلع

لا تجزعن من الحوادث إنما   خرق الرجال من الحوادث يجزع

وأطع أباك بكل ما وصى به   إن المطيع أباه لا يتضعضع

ومن المنسوب إليه رضي الله عنه :

صن النفس واحملها على ما يزينها   تعش سالماً والقول فيك جميل

ولا ترين الناس إلا تجملا   نبابك دهر أو جفاك خليل

وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد   عسى نكبات الدهر عنك تزول

يعز غني النفس إن قل ماله   ويغنى دني النفس وهو ذليل

ولا خير في ود امرىء متلون   إذا الريح مالت مال حيث تميل

جواد إذا استغنيت عن أخذ ماله   وعند احتمال الفقر عنك بخيل

فما أكثر الإخوان حين تعدّهم ولكنّهم في النائبات قليل

ولبعضهم :

أصون عرضي بمالي لا أدنّسه لا بارك الله بعد العرض في المال

احتال للمال إن أودى فأجمعه ولست للعرض إن أودى بمحتال

تم الاختيار من بعض القصائد والحكم والآداب ويليها الاختيار من شعر عبد الله ابن محمد التنوخي

شعر

محمد التنوخي

هو عبد الله بن محمد التنوخي المعروف بابن قاضي ميلة يمدح ثقة الدولة يوسف بن عبد الله القضاعي صاحب صقلية ويهنئه بعيد النحر ولم أجد له من الشعر غيرها :

يذيل الهوى دمعي وقلبي المعنَّفُ وتجني جفوني الوجد وهو المكلّف

وإني ليدعوني إلى ما سبقته وفارقتُ مغناه الأغنّ المشنّفُ

وأحورُ ساجي الطرف أما وشاحُه فصفرٌ وأما رِدْفه فمفوّف

يطيب اجاجُ الماء من نحو أرضِه ويحْيي ويندى ريحه وهو حرجف

وآيسني من وصله أنّ دونه متالف تسري الريحُ فيها فتتلف

وغـيران يجفو النوم كي لا يرى لنـا
إذا نام شمـلًا في الكرى تتألّـف

يظل على ما كان من قرب دارنا
وغفلتـهِ عمّا مضى يتأسّف

وجون بمُزن الرعد يستنّ ودقه
يُـرى برقهُ كالحيّـة الصل تطرف

كأني إذا ما لاح والرّعد معول
وجفن السحاب الجون بالماء يذرف

سليمٌ وصوتُ الرعد راقٍ وروقه
كنفثِ الرقى من سوء ما اتكاف

ذكرتُ به ريّا وما كنت ناسيا
فاذكر لكنْ لوعـة تتضعف

ولما التقينا محرمين وسيرُنا
بليْـكة ريًّا والركائب تعسف

نظرت إليها والمطيّ كأنمطٍ
غواربها منها معـاطس رعّـف

فقالت أما منكن مّن يعرفُ الفتى
فقد رابني من طولِ ما يتشوّف

أراه إذا سِرنا يسير حذاءنا
ونوقف احقاف المطيّ فيوقف

فقلت لتربيهـا ابلغاهـا بأنّـني
بهـا مّستهام قالتـا نتـكلّـف

وقُولا لها يا أم عمرو أليس ذا
منىً والمنى في خيفة ليس يخلف

تفاءلت في أن تبذلي طارف الوفا
بأن عنّ لي منك البنان المطرف

وفي عرفـات ما يخبّـر أنّني
بعارفةٍ من عطف قلبك أسعف

وأما دماءُ الهدي فهي هُـدىً لنا
يدومُ ورأيٌ في الهوى يتألّـف

وتقبيلُ ركن البيت اقبال دولةٍ
لنـا وزمـان بالمودّة يعطف

فأوصلتـا ما قُلتهُ فتبسّـمت
وقالت أحاديثُ العيافة زخرف

بعيشي ألم أخبر كُما أنّـه فتى
على لفظه بردُ الكلام المفوّف

فلا تأمنا ما استطعتُما كيدنطقه
وقولا ستدري أيُّنا اليوم أعيف

إذا كنت ترجوُ في منى الفوز بالمنى
ففي الخيفِ من أعراضنا تتخوّف

وقد أنذر الإحرامُ أنّ وصالَنا حرامٌ وانّا عن مزارك نصدُف

وهذا وقذفي بالحصى لك مخبرٌ بأن النوى بي عن دِيارك تقذِف

وحاذر نفاري ليلة النَّفر إنه سريعٌ وقُل من بالعيافة أعرف

فلم أرَ مثلينا خليلي مودّةٍ لكلٍّ لسانٌ ذو غرارين مُرهف

أما إنّه لولا أغنّ مُهفهف وأشنب برّاق وأحور أوطف

لراجع مشتاق ونام مسهّد وأيقنَ مرتاب وأقصر مدنِف

وعاذلة في بذل ما ملكت يدي لراجٍ رجاني دون صحبي تعنف

تقول إذا أفنيت مالك كلّه وأملقت من يعطيكه قلت: يوسف

أغرٌّ قضاعيٌّ يكاد نواله لكثرة ما يدعو إلى الشكر يجحف

إذا نحن أخلفنا مخائل ديمة وجدْناحيا معروفه ليس يخلُف

سعَى وسعَى الأملاكُ في طلبِ العُلى
فَفَازَ وأكْدوا إذْ أخفَّ وأوطفوا

ويقظان شاب البطش باللين والتُّقى
بكفيه ما يرجى وما يتخوّف

حسام على من ناصب الدينَ مصلتٌ وسترٌ على من راقبَ اللهَ مغدف

يُسايره جيشان رأيٌ وفيلقٌ ويصحبه سيفان عزمٌ ومُرهفُ

مطلٌّ على من شاءَه فكأنَّما على حكمِه صرفُ الرَّدى يتصرف

يرى رأيه ما لا ترى عينُ غيره ويُغري به ما ليس يغري المثقّف

رعى اللهُ من ترعَى حِمَى الدّين عينُه
ويحمي رُبى الإسلام والليلُ أغضفُ

ومن وعده في مسرح الحمد مطلقٌ وانفاذه في ذّمة الحِلم موقف

ومن يضرب الأعداء هبراً فتنثني صناديدهم والبيض بالهام تُقذف

رماهم بمجرٍ ضعضع الأرض رزّه كأنّ الروابي فيه بالنّبل تدلف

كأنّ الردينيّات في رونق الضُّحى أراقمُ في طامٍ من الآل ترْحفُ

يعود الدّجى من بيضه وهو أبيضٌ ويبدو الضّحى من نقعه وهو أكلف

ويحجب نور الشمس بالنقع عنهمُ ففعلُ الظّبى في هامهم لا يكيّف

لهمْ كلّ عامٍ منك جاؤوك فيلق تُسائل عنهم بالعوالي فتلحف

إذا ماطووا كشحاً على قرح عامهم وبلّوا من الآلام أنشأت تعرف

فكم من أغمّ الوجه غاوٍ تركته وهاديه من عثنون لحييه أكثفُ

هو المقضبُ الماضي بهواه فانثنى صريعاً تراه حبتراً وهو أسقف

لعمري لقد عاديت في الله طالباً رضاه وقد أبليت ما الله يعرف

وطالبتهم في الأهل حتى تركتُهم فُرادى وفي الأديان حتى تحنّفوا

فيا ثقة المُلك الذي لكَ سهمُه يراش لأكباد الأعادي ويرصُف

هنيئاً لك العيد الذي منك حسنُهُ يروق ومن أوصافك الغرّ يوصف

بدا مُعلمُ الأرجاء يزهى كأنما على عطفه وشي العراق المسقف

أتى بعد حولٍ زائراً عن تشوقٍ وقد كان ذا شوقٍ للقياكَ يطرف

فطوّقتُه عزّاً وشنّفته به فلاحَ لنا وهْو الأغر المشنّف

وقابله بالسعّد نجلُك جعفرٌ فيا لك من عيدٍ بملكين تتحفُ

فلا زلت تستجدى فتُولي وترتجى فتكفي وتستدعى لخطبٍ فتكشف

تم الاختيار من شعر التنوخي ويليه الاختيار من شعر أبي فراس الحمداني .

شعر

أبي فراس الحمداني (١)

قال :

أراكَ عصيَّ الدمعِ شيمتُكَ الصبرُ ... أما للهوى نهيٌ عليكَ ولا أمرُ (٢)

بلى أنا مشتاقٌ وعنديَ لوعةٌ ... ولكنَّ مثلي لا يذاعُ له سرُّ

إذا الليلُ أضواني بسطتُ يدَ الهوى ... وأذللتُ دمعاً من خلائقه الكِبرُ

تكادُ تضيءُ النارُ بين جوانحي ... إذا هي أذكتها الصبابةُ والفكرُ

معلّلتي بالوصل والموتُ دونه ... إذا متُّ ظمآناً فلا نزل القطرُ

بدوتُ وأهلي حاضرون لأنني ... أرى أنَّ داراً لستِ من أهلها قفرُ

وحاربتُ قومي في هواكِ وإنّهم ... وإيايَ لولا حبّكِ الماءُ والخمرُ

وإنْ كان ما قال الوشاةُ ولم يكنْ ... فقد يهدمُ الإيمانُ ما شيّد الكفرُ

وفيتُ وفي بعض الوفاءِ مذلّةٌ ... لآنسةٍ في الحيِّ شيمتُها الغدرُ

وقورٌ وريعانُ الصِبا يستفزُّها ... فتأرنُ أحياناً كما يأرنُ المُهرُ

تسائلني من أنت وهي عليمةٌ ... وهل بفتى مثلي على حاله نكرُ

فقلتُ كما شاءتْ وشاءَ لها الهوى ... قتيلُكِ قالت أيُّهم فهُمُ كثرُ

فقلتُ لها لو شئتِ لم تتعنّتي ... ولم تسألي عني وعندكِ بي خبرُ

ولا كان للأحزانِ لولاكِ مسلكٌ ... إلى القلبِ لكنّ الهوى للبلى جسرُ

---

(١) قوبل شعر أبي فراس الحمداني على ديوانه طبع بيروت .

(٢) ديوانه : ٢٠٩

فأيقنتُ أنْ لا عزّ بعدي لعاشق وأن يدي ممّا علقت به صفر

فقالت لقد أزرى بك الدهر بعدنا فقلتُ معاذ الله بل أنت لا الدّهر

وقلّبت أمري لا أرى لي راحةً إذا البين أنساني ألحّ بيَ الهجر

فعدتُ إلى حكم الزمانِ وحكمها لها الذنبُ لا تجزى به ولي العذر

وتجفلُ حيناً ثمّ تدنو كأنّما تُراعي طلًا بالواد أعجزه الحُضر

وإني لنزّالٌ بكلّ مخوفةٍ كثيرٌ إلى نزّالها النظر الشّزْر

وإني لجرّارٌ لكلِّ كتيبة معوّدة أن لا يخلّ بها النّصر

فأظمأ حتى ترتوي البيضُ والقنا وأسغبُ حتى يشبع الذئبُ والنسر

ولا أصبحُ الحي الخلوف بغارة ولا الجيشُ ما لم تأته قبلي النُذر

ويا ربّ دارٍ لم تخفني منيعةٍ طلعتُ عليها بالرّدى أنا والفجر

وساحبةِ الأذيالِ نحوي لقيتها فلمْ يلقها جافي اللّقاء ولا وعر

وهبت لها ما حازه الجيشُ كلّه وراحت ولم يكشف لأبياتها ستر

ولا راحَ يُطغيني بأثوابه الغنى ولا باتَ يثنيني عن الكرم الفقرُ

وما حاجتي في المالِ أبغي وُفوره إذا لم يفرْ عرضي فلا وفر الوفر

أُسرتُ وما صحبي بعزل لدَى الوغى ولا فرسي مُهر ولا ربّه غُمر

ولكن إذا حمّ القضاءُ على امرئ فليس لهُ برّ يقيه ولا بحر

وقال أصيحابي الفرار أو الرّدى فقلتُ هما أمران أحلاهما مرّ

ولكنني أمضي لما لا يُعيبني وحسبك من أمرين خيرهما الأسر

يمنّونَ أن خلّوا ثيابي وإنّما عليّ ثيابٌ من دمائهم حُمر

وقائمُ سيف فيهمُ اندق نصلهُ وأعقاب رُمح فيهمُ حطم الصدر

سيذكرني قومي إذا جدّ جدّهم ... وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر

ولو سدّ غيري ما سددتُ اكتفوا به ... ولو كان يُغني الصفر ما نفق التبر

ونحن أناسٌ لا توسُّط بيننا ... لنا الصدرُ دونَ العالمينَ أو القبر

تهونُ علينا في المعالي نفوسُنا ... ومن خطَب الحسناء لم يغلها المهر

أعزّ بني الدّنيا وأعلى ذوي العُلى ... وأكرُم من فوق التراب ولا فخر

وله أيضاً :

غيري يُغيره الفعال الجافي ... ويحول عن شيَم الكريم الوافي[1]

لا أرتضي وداً إذا هو لم يدم ... عندَ الجفاءِ وقلّة الإنصاف

تعس الحريص وكلّ ما يأتي به ... عِوضاً من الإلحاح والإلحاف

إنّ الغني هُو الغنيُّ بنفسه ... ولو انّه عاري المناكب حافي

ما كلّ ما فوق البسيطة كافياً ... فإذا قنعتَ فكلّ شيء كافي

وتعافُ لي طمع الحريص أُبوتي ... ومروءتي وقناعتي وعفافي

ما كثرة الخيل الجياد بزائدي ... شرفاً ولا عددُ السوام الضافي

ومكارمي عدد النجومِ ومنزِلي ... بيتُ الكرام ومنزلُ الأضياف

لا أقتني لصُروف دهري عدّة ... حتى كأنّ صُروفه أحلافي

خيلي وإن قلّت كثيرٌ نفعها ... بين الصوارم والقنا الرعّاف

شيمٌ عرفتُ بهن مُذ أنا يافعٌ ... ولقد عرفتُ بمثلها أسلافي

ولأبي فراس أيضاً :

---

(١) ديوانه : ٢٥٦

أقولُ وقد ناحتْ بقربي حمامةٌ أيا جارتا هل تشعرين بحالي [1]

معاذَ الهوى ما ذُقتِ طارقةَ النّوى
ولا خطرتْ منك الهموم ببالِ

أتحملُ محزونَ الفؤآد قوادم على غُصن غالي المسافة عالي

أيا جارتا ما أنصفَ الدهر بيننا تعالي أقاسمكِ الهموم تعالي

تعالي تريْ روحاً لدي ضعيفةً تردد في جسم يُعذّبُ بالي

أيضحكُ مأسورٌ وتبكي طليقةٌ ويسكتُ محزونٌ ويندبُ سالي

لقد كنتُ أولى منكِ بالدمع مقلةً
ولكنّ دمعي في الحوادثِ غالي

واذكر هنا بعض المقاطيع الادبية المشتملة على حكم ومكارم اخلاق من ذلك قول بعضهم :

قبيحٌ من الانسان ينسى عيوبهُ ويذكُر عيباً في أخيه قد اختفى

فلو كان ذا عقل لما عاب غيره وفيه عيوب لو رآها به اكتفى

إذا أنا عاتبتُ الملول فإنما أخط بأقلامي على الماءِ أحرُفا

وهبه ارعوى بعد العتاب ألم تكن مودّتهُ طبعاً فصارت تكلّفا

ولغيره :

وذو يقظاتٍ مستمرٌّ مريرهُ إذا الدّهر لاقاها اضمحلّت نوائبه

بصيرٌ باعقاب الأمور كأنّما يُخاطبهُ من كل ّ أمرٍ عواقبه

وأينَ يفرُّ الحزمُ منه وإنما مرائي الأمور المشكلاتِ تجاربه

---

(١) ديوانه : ٣٢٥

غيره :

إذا لم يكن للمرء فضلٌ يزينهُ يُدافع عن إخوانه لم يُسوَّد
وكيفَ يسود القومَ من هو مثلهم بلا منةٍ منه عليهمْ ولا يد

غيره :

إياكَ والحرص إن الحرصَ متعبةٌ فإن فعلت فراع القصدَ في الطلب
قد يرزقُ المرءُ لم تتعبْ رواحلهُ ويحرم المرء ذو الأسفار والتّعب
فازجرْ فؤادكَ عن حرصٍ وعن نَصَبْ فما وربك يأتي الرّزق بالنصب

ولغيره :

إني رأيت الصّبر خَير معوّل في النائبات لمن اراد مُعوّلا
ورأيتُ أسبابَ القناعة اكّدت بعُرى الغنى فجعلتُها لي معقلا
وإذا نبَابي منزلٌ جاوزتُه وجَعلت منه غيرَه لي منزلا
وإذا غَلاَ شيءٌ عليّ تركتُه فيكون أرخص مايكون إذاغلا

ولمحمود البارودي لما نفي من مصر :

محا البينُ ماأبقتْ عيون المهى مني فشبتُ ولم اقضِ اللبانةَ من سني
عَناءً ويأساً واشتياقاً وغُربة ألا شدّ ما ألقاه في الدّهر من غبن
فان أكُ فارقتُ الدّيار فَلي بها فؤادٌ أضلّته عُيونُ المهى عني
بعثتُ به يوم النّوى إثر لحظة فاوقعه المقدارُ في شَركِ الحسن
فهل من فتى في الدّهر يجمعُ بيننا فليس كلانا عن أخيهِ بمستغن
ولما وقفنا للوداع وأسبلت مَدامعنا فوق الترائبِ كالمزن

دعوتُ اصطباري أن يعودَ فبزّني　　وناديتُ حلمي أن يثوب فلمْ يغن

وما هي إلاّ خطرة ثم أقلعتْ　　بناعن شطوطِ الحي أجنحة السفن

وما كنتُ جرّبت النّوى قبلَ هذه

فلمّا دهاني كدتُ أقضي من الحُزن

ولكنّني راجعتُ حلمي فردّني　　إلى الحزم رأي لايحومُ على أفن

فيا قلبُ صبراً إن جزعْت فربّما　　جرتْ سنحاً طير الحوادث باليمن

فقد تورقُ الاغصانُ بعد ذُبولها　　ويبدو ضياءُ البدر في ظُلمة الوهن

واي حُسام لم تصبه كهامةٌ　　ولهذم رمح لم يفلّ من الطعن

ومن شاغبَ الايام لان مريرُه　　وأسلمه طولُ المراس إلى الوهن

وما المرء في دنياه إلا كسالكٍ　　مناهج لاتخلو من السّهل والحزنِ

فإن تكن الدّنيا تولّت بخيرها　　فأهونْ بدُنيا لاتدوم على فن

إذا عرفَ المرءُ القلوبَ وما انطوت

عليه من البغضاء عاش على ضغن

يرَى بصري مالا أودّ لقاءه　　وتسمع أذني ما تعاف من اللحن

تحملتُ خوف المن كلّ رزيّة　　وحمل رزايا الدهر أحلى من المن

وعاشرتُ أخدانا فلمّا بلوتُهم　　تمنّيتُ أن أبقى وحيداً بلاخدن

لبعضهم:

إذا ما ضاقَ صدركَ في بلادٍ　　ترحلْ طالباً أرضاً سواها

عجبت لمن يقيمُ بدار ذلٍ　　وأرضُ الله واسعةٌ فضاها

فذاكَ من الرجال قليل عقلٍ　　بليد ليس يعلمُ من طحاها

فنفسكَ فزبها إن خفتَ ضيماً　　وخلّ الدار تنعي من بناها

فانكّ واجدٌ أرضا بارض ونفسُك لاتجد نفسا سواها
ومن كانت منيّته بأرض فليسَ يموتُ في أرض سواها

ولسعيد بن حميد يستعطف بعض اصحابه وقد هجره :

أقلل عتابك فالبقاءُ قليل والدهر يعدلُ مرّة ويميل
لم أبك من زمن ذممتُ صروفهُ إلا بكيتُ عليه حينَ يزول
ولكلِّ نائبهٍ المتّ فرجةُ ولكل حال أقبلت تحويل
والمنتمون إلى الصفاءِ جماعةٌ إن حصّلوا افناهمُ التّحصيل
وأجل أسباب المنية والردى يومٌ سيقطعُ بيننا ويطول
ولئن سبقت لتفجعنّ بصاحب حبل الصفاء بحبله موصول
فلعل أيام البقاءِ قليلة فعَلام يكثرُ عتبنا ويطول

للعفيف التلمساني من أبيات:

رياضٌ بكاها المُزنُ فهي بواسم وناحتْ لغير الحزن فيها الحمائم[1]
واودَعت الانواء فيهن سرّها فنمّت عليهن الرياحُ النواسم
يبيت النّدى في افقها وهو ناثر ويُضحي على أجبالها وهو ناظم
كأن الاقاحي والشقيق تقابلا خدودٌ جلَاهن الصبا ومباسم
كأن بها للنّرجس الغضّ أعيناً تنبّه منها البعضُ والبعضُ نائم
كأن ظلال القضب فوق غديرها إذا اضطربت تحت الرياح الأراقم
كأنّ غناءَ الورق الحان معبد إذا رقصت تلك القُدود النواعم
كأن نثارَ الشمس تحت غصونها دنانيرُ في بعض وبعض دَراهم
كأن ثماراً في غصون توسوست لعارض خفاق النسيم تمائم

(١) فوات الوفيات ١٧٩

كأنّ القطوفَ الدانيات مواهب ففي كل غصن ماس في الدوح خاتم

ولمحمد بن سوار بن اسرائيل :

عسى الطيف بالزوراء منك يزور فقد نام عنه كاشحٌ وغيور [(١)]

و كيف يزور الطيف صباً مسهداً له النجم بعد الظاعنين سمير

سروا في ضياء من شموس خدودهم فكان سُراهم في الظلام يُنير

ظعائنَ تغزو الجيش وهي رديفةٌ عليهنّ من سمر الرماح ستور

إذا نزلوا أرضاً تولت محُولها وأضحت وفيها روضةٌ وغدير

وإن فارقوا أرضاً غدت ورمالها من الطيب مسكٌ والتراب عبير

أأحبابنا النّاؤون ادعو وبيننا سُهولٌ عسيرٌ قطعها ووُعور

سقى الأبرق الحنان حيث مصيفكم من المزن داني الهيدبين مطير

وداركمُ بالبانِ من أيمنِ الحمى يلوح عليها نضرةٌ وسرور

قريبةُ عهدٍ بالخليط رسُومُها مواثلُ ما محيت لهنّ سطور

ولابن الخياط

خذا من صبا نجدٍ اماناً لقلبه فقد كاد رياها يطير بلُبّه [(٢)]

وإيا كما ذاك النسيم فإنه متى هبّ كان الوجد أيسر خطبه

خليليّ لو احببتُما لعلمتُما محلّ الهوى من مغرم القلب صبّه

تذكّرُ والذكّرى تشُوق وذو الهوى

يتُوق ومن يعلقْ به الحبّ يُصبه

---

(١) الفوات ٢١٧

(٢) م ب ٣٤٢ وغيرها

غرامٌ على يأس الهوى ورجائه وشوقٌ على بعد المزار وقربه

وفي الرّكب مطويّ الضلوع على الجوى

متى يدعُهُ داعي الغرَام يُلبّه

إذا خطرت من جانب الغور نفحةٌ تضمّن منها داءه دون صحبه

ومحتجب بين الأسنة معرض وفي القلب من إعراضه مثل حجبه

أغار إذا آنست في الحي أنّة حذاراً عليه أن تكون لحبه

ويوم الرضى والصب يحمل سُخطه بقلب ضعيف عن تحمّل خطبه

جلى لي براق الثنايا تبينها ولا لي إلاّ باردُ الورد عذبه

كأني لم أقض به الليل زائراً تجول يدي بين المهاد وجنبه

ولا ذقت أمناً من شرار حجوله ولا ارتعت خوفاً من نميمة حقبه

فيا لسقامي من هوىً متعنّت بكى عاذلوه رحمةً لمحبّه

ومن ساعةٍ للبين غير حميدةٍ سمحتُ بطل الدمع فيها وسكبه

ألا ليت اني لم أجل بين حاجرٍ وبين ذرى أعلام رضوى وهضبه

وليت الرياح الرّائحات خوالصٌ إليّ ولو لاقين قلبي بكربه

أهيم إلى ماءٍ ببرقة عاقلٍ ظمئتُ على طول الورود بشربه

واستافُ حرّ الرّمل شوقاً إلى اللوى

وقد أودعتني السّقم قضبانُ كثبه

ولست على وجدي بأول عاشقٍ أصابت سهامُ الحب حبة قلبه

صبرت على وعك الزمان وقد أرى خبيراً بداء الحادثات وطبه

وأعرضت عن نظمِ القوافي ومنطقي

مليّ لمرتاد الكلام بخصبه

وما غرني لو شئت ملك مهذّب   يرى أن صون الحمد غاية كسبه

لقد طال ما هومتُ في سنة الكرى   ولا بدّ لي من يقظة المتنبه

روي عن عوف بن محلم قال كنت : آتي عبد الله بن طاهر في كل سنة ، وكانت صلتي عنده خمسة آلاف درهم فأتيته فشكوت اليه الكبر وضعف حالي ثم أنشدته :

أفي كلّ عامٍ غربة ونزوحُ   أما للنّوى من وثبةٍ فتريحُ ؟

لقد طلح البينُ المشت ركائبي   فهل أرينّ البين وهو طليحُ

وأرقني بالرّي نوحُ حمامةٍ   فنحت وذو الشجو الحزين ينوحُ

على أنها ناحت ولم تذر دمعة   ونحت واسراب الدّموع سفُوح

وناحت وفرخاها بحيث تُراهما   ومن دون افراخي مهامه فيح

الا ياحمام الأيك لاتبك حاضراً   وغُصنك ميّاد ففيم تنوح

عسى جُودُ عبدِ الله ان يعكس النّوى

فتضحي عصا الترحال وهي طريح

فان الغنى يُدني الفتى من صديقه   وعُدم الغنى بالمقُترين نزوح

قال عوف : فتوجع لي عبد الله بن طاهر وقال: صلتك عشرة آلاف درهم توافيك في منزلك في كل سنة إن شاء الله ولا تكلف المسير والمشقة ياعم.

فائدة :

روي أنه لما اراد عمرو بن العاص رضي الله عنه المسير إلى مصر قال لمعاوية رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين ألا اوصيك قال : بلى. قال انظر في فاقة الاحرار فاعمل في سدها ، وطغيان السفلة فاعمل في قمعها ، واستوحش من الكريم الجائع ، ومن اللئيم الشبعان ، فانما يصول الكريم إذا جاع ، واللئيم اذا شبع.

فائـــدة :

روى أبو علي القالي في «أماليه» عن عمه قال: سمعت رجلا يقول: الحسد ما حق للحسنـات ؛ والزهو جالب لمقت الله ومقت الصالحين، والعجب صارف عن الازدياد من العلم داع الى التمخط والجهل والبخل اذم الاخلاق واجلبها لسوء الأحدوثة.

وروى فيه عن عمه :

قال سمعت اعرابياً يوصي ابنه فقال : ابذل المودة الصادقة تستفد اخوانا وتتخذ اعوانا فان العدواة موجودة عتيدة والصداقة مستعزة بعيدة. جنب كرامتك اللئام فانهم ان احسنت اليهم لم يشكروا وان نزلت بك شدة لم يصبروا .

وروى فيه عن المعتمر بن سليمان قال كان يقال: عليك بدينك ففيه معادك وعليك بمالك ففيه معاشك وعليك بالعلم ففيه زينك .

وروى القالي عن عمه :

قال بينما انا سائر في بلاد بني عـــامر إذ مررت بحلة واذا رجل ينشد وإذا هو ندي الصوت فلما رآني اوى الي فقال اعجبك مـــا سمعت فقلت اي والله فقـال من أهل الحضارة أنت قلت نعم قـــال ممن تكون قلت لاحاجة لك في السؤال عن ذلك قال فما يمنعك إذاً اما حل الاسلام الاضغان واطفأ الاحقاد قلت بلى أنا امرؤ من قيس فقال الحبيب القرابة من أيهم انت قلت احد بني سعد بن قيس ثم احد بني اعصر بن سعد فقال زادك الله قربا ثم وثب فأنزلني عن حمـــاري والقى عنه إكافه وقيده بقراب خيمته وقام الى زند فاقتدح واوقد ناراً وجاء بصيدانة فألقى فيهـــا تمراً وافرغ عليه سمناً ثم لته حتى التبك ثم ذر عليه دقيقاً وقربه الي فقلت إني الى غير هذا احوج فقال وما هو قلت تنشدني فقال أصب فاني فاعل فلقمت ثم قلت الوعد يرحمك الله فقال ونمها عن ثم أنشد :

لقد طرقت أمّ الخشيف وانها ... إذا صرعَ القومُ الكرى لطروقُ

أقام فريقٌ من اناس يودهم ... بذاتِ الغضَى قلبي وبان فريق

بحاجةِ محزون يظلّ وقلبه ... رهينٌ ببضّات الحجال صديق

تحملنَ إن هبّت لهن عشيةً ... جنوبٌ وإن لاحت لهن بروق

كأن فضولَ الرقم حينَ جعلنها غذياً على أدم الجمال عذوق

وفيهنّ من بخت النّساءِ ربحلة تكادُ على غرّ السحاب تروق

هجانٌ فأمّا الدّعص من اخرياتها فوعثٌ وأما خصرها فدقيق

ففارقته وانا أشد الناس شوقاً إلى معاودة انشاده .

وصية اعرابية لولدها

قال أبان بن تغلب البصري شهدت أعرابية توصي ابناً لها أراد سفراً وهي تقول له أي بني اجلس امنحك وصيتي وبالله توفيقك فان الوصية اجدى عليك من كثير عقلك قال أبان فوقفت مستمعاً لكلامها مستحسناً لوصيتها فإذا هي تقول له أي بني إياك والنميمة فانها تزرع الضغينة وتفرق بين الاحبة وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضاً وخليق أن لايثبت الغرض على كثرة السهام وإياك والجود بدينك والبخل بمالك وإذا هززت فاهزز كريماً يلن لهزتك ولا تهزز اللئيم فانه صخرة لاينفجر ماؤها ومثل لنفسك مثالاً فما استحسنت من غيرك فاعمل به وما استقبحت من غيرك فاجتنبه فان المرء لايرى عيب نفسه ومن كانت مودته بشره وخالف من ذلك فعله كان صديقه منه على مثل الريح في تصرفها ثم امسكت فقلت بالله عليك الا زدتيه فقالت وأعجبك ما سمعت قلت نعم قالت والغدر اقبح ما تعامل به الناس ومن جمع الحلم والسخاء فقد اجاد الحلة ريطتها وسربالها .

تم اختيار بعض الفوائد الادبية ويليها الاختيار من شعر ابن عنين .

شعر

ابن عنين [١]

عذراً ... فاني لم أجده الا القليل. قال يمدح الملك العادل وأولاده من قصيدة:

وله البنونُ بكلّ أرض منهمُ ملك يقود إلى الاعادي عسكرا [٢]

من كلّ وضاح الجبين تخاله بدراً وان شهدَ الوغى فغضنفرا

متقدم حتى إذا النقع انجلى بالبيض عن سبي الحريم تأخرا

قومٌ زكوا أصلا وطابوا محتدا وتدفقوا جوداً وراقوا منظرا

وتعافُ خيلهمُ الورودَ بمنهل ما لم يكن يومُ الوقائع أحمرا

يعشو إلى نار الوغى شغفاً بها ويجل أن يعشو إلى نار القرى

إلى أن قال:

العادلُ الملكُ الذي اسماؤه في كلّ ناحيةٍ تشرف منبرا

وبكل أرض جنة من عدله الـ ضافي أسال نداه فيها كوثرا

عدلٌ يبيت الذئب منه على الطوى غرثان وهو يرى الغزال الاعفرا

ما في أبي بكر لمعتقدِ الهدى شكٌ يريب بأنه خيرُ الورى

سيف صقالُ المجد أخلص متنه وأبان طيبُ الاصل منه الجوهرا

مـا مدحه بالمستعار له ولا آياتُ سؤدده حديثاً يفترى

بين الملوكِ الغـابرين وبينه في الفضل ما بين الثريا والثرى

---

(١) قوبل شعر ابن عنين على ديوانه شرح خليل مردم .

(٢) ديوانه : ٤

نسخت خـلائقه الحميدةُ مـا اتى
في الكتب عن كسرى الملوك وقيصرا

ملكٌ إذا خفت حُلوم ذوي النهى	في الروع زاد رصانة وتوقرا
ثبت الجنانِ تراع من وثباته	وثباتهُ يوم الوغى أسد الشرى
يقظ يكاد يقول عما في غدٍ	ببديهةٍ أغنتـه أن يتفكرا
حلم تخف له الحلوم وراءَه	رأيٌ وعزم يحقر الاسكندرا
يعفو عن الذنب العظيم تكرُّماً	ويصدُّ عن قول الخنى متكبرا
لا تسمعنَّ حديثَ ملك غيره	يروي فكل الصيد في جوف الفرا

تم الاختيـار من شعر ابن عنين ويليه الاختيـار من شعر علي بن الحسين المعروف بصردر .

شعر صردر (١)

هو علي بن الحسين المعروف بصردر يمدح محمد بن جهير الموصلي الوزير الملقب فخر الدولة الثعلبي .

لجاجة قلبٍ ما يفيق غرورُها	وحاجة نفسٍ ليس يقضى يسيرها (٢)
وقفنا صُفوفاً في الديار كأنها	صحائفُ ملقاة ونحن سُطورها
يقول خليلي والظّباء سوانحُ	أهذي التي تهوى فقلت نظيرها

---

(١) قوبل شعر صردر على ديوانه طبع مصر .

(٢) ديوانه : ٥٦

لئن شابهت أجيادها وعيونها | فقد خالفت أعجازها وصدورها
فواعجباً منها يصدُّ أنيسها | ويدنو على ذُعر الينا نفُورها
وما ذاك إلا أن غزلان عامرٍ | يثقن بأن الزائرين صُقورها
ألم يكفها ما قد جنته شمُوسها | على القلب حتى ساعدتها بدُورها؟
فوالله ما أدري غداة نظرتُها | أتلك سهامٌ أم كؤوسٌ تُديرها؟
فإن كنَّ من نبلٍ فأين حفيفها | وإن كنَّ من خمرٍ فأين سُرورها
أيا صاحبيَّ استأذنا لي خمارها | فقد أذنت لي في الوصول خدورُها
هباها تجافت عن خليل يروعُها | فهل أنا إلا كالخيال يزورها
وقد قُلتما لي ليس في الأرض جنة | أما هذه فوق الركائب حُورها
فلا تحسبا قلبي طليقاً فإنما | لها الصدر سجنٌ وهو فيه أسيرها
يعز على الهيم الخوامس وردُها | إذا كان ما بين الشفاه غديرُها
أراك الحمى قل لي بأي وسيلةٍ | توسّلت حتى قبلتك ثُغورها

ومن مديحها :

اعدت إلى جسم الوزارة روحه | وما كان يرجى بعثُها ونشورها
اقامت زماناً عند غيرك طامثاً | وهذا الزمان قرؤُها وطهورُها
من الحق أن يحُبى بها مستحقُّها | ويُنزعها مردودةً مستعيرُها
إذا ملك الحسناء من ليس كفؤُها | أشار عليهم بالطّلاق مشيرها

وله أيضاً :

قد بان عذرك والخليط مودّع | وهوى النفوس مع الهوادج يرفع (١)

---

(١) ديوانه : ٦٧

لك حيث ماسرت الركائب لفتةٌ أترى البدور بكل ّ واد تطلعُ
في الظاعنين من الحمى ظبي له الأحشاء مرعى والمآقي مكرع
ممنوعُ أطراف الجمال رقيبُه حذراً عليه من العيون البرقعُ
عهدي الحبائل صائدات شبهةُ فارتاع فهو لكل حبلٍ يقطع
لم يدر حامي سربه أني إذا حرم الكلام له لساني الأصبعُ
وإذا الطيوف إلى المضاجع أرسلت بتحيةٍ منه فعيني تسمعُ

يليه الاختيار من شعر أبي الحسن التهامي :

شعر

أبي الحسن التهامي (١)

عبسن من شَعرٍ في الرأس مبتسم ما نفر البيض مثل البيض في اللمم
ماشاب عزمي ولا حزمي ولا خلقي ولا وفائي ولا ديني ولا كرمي
وإنمّـا اعتاد راسي غير صنعته
والشيبُ في الرأس غيرُ الشيبِ في الهمم
ظنت شبيبته تبقى وما علمت ان الشبيبة مرقاة إلى الهرم
وصل الخيال ووصل الخود إن بخلت
سيان ما أشبه الوجدان بالعدم

---

(١) قوبل شعر التهامي على مختارات البارودي

والطيف أفضل وصل إن لذته تخلو من الإثم والتنغيص والندم
لا تحمد الدهر في ضراء يصرفها فلو أردت دوام البؤس لم يدم
فالدهر كالطيف بؤساه وأنعمه من غير قصد فلا تحمد ولا تلم
لا تحسبن كرم الآباء مكرمة لمن يقصر عن غايات مجدهم
حسن الرجال بحسناهم وفخرهم بطولهم في المعالي لا بطولهم
ما اغتابني حاسد إلا شرفت به فحاسدي منعم في زي منتقم
فالله يكلؤ حسادي فأنعمهم عندي وإن وقعت من غير قصدهم

وله أيضاً يرثي ابناً له مات صغيراً ، ويشكو زمانه وحاسديه ، ويفتخر بفضله وفضل قومه ، وهي من أجود المراثي :

حكم المنية في البرية جاري ما هذه الدنيا بدار قرار[1]
بينا يُرى الإنسان فيها مخبراً حتى يُرى خبراً من الأخبار
طُبعت على كدرٍ وأنت تريدها صفواً من الأقذاء والأكدار
ومكلف الأيام ضدّ طباعها متطلبٌ في الماء جذوة نار
وإذا رجوت المستحيل فإنما تبني الرجاء على شفير هار
فالعيش نومٌ والمنية يقظةٌ والمرءُ بينهما خيال سار
فاقضوا مآربكم عجالا إنما أعماركم سفرٌ من الأسفار
وتراكضوا خيل الشباب وحاذروا أن تستردَّ فإنهنَّ عوار
فالدهر يخدع بالمنى ويغصُّ ان هنَّا ويهدم ما بنى ببوار
ليس الزمان وإن حرصت مسالماً خلق الزمان عداوة الأحرار
إني وترت بصارم ذي رونق أعددته لطلابة الأوتار

---

(١) م ب ٢٩٠

والنفس إن رضيت بذلك أو أبت ... منقـادة بأزمـة الأقـدار

اثـني عليـه باثره ولو انـه ... لم يعتبـط أثنيت بالآثار

ياكوكباً ما كان أقصر عمره ... وكذاك عمر كواكب الأسحار

وهـلال أيام مضى لم يستدر ... بـدراً ولم يمهـل لوقت سرار

عجل الخسوف عليه قبل أوانه ... فمحـاه قبل مظنـة الإبدار

واستل من أترابـه ولداتـه ... كالمقلة استُلَّـت من الأشفار

فكأن قلـبي قـبره وكأنه ... في طيـه سـر من الأسرار

إن يعتبط صغراً فرب مضخم ... يبدو ضئيل الشخص للنظـار

إن الكواكب في عـلو محلها ... لترى صغاراً وهي غير صغار

ولدُ المعزّى بعضه فإذا مضى ... بعض الفـتى فالكل بالآثار

أبكيه ثم أقول معتـذراً له ... وفقت حين تركت ألأم دار

جاورتُ أعدائي وجاور ربه ... شتان بـين جواره وجواري

أشكو بعادك لي وأنت بموضع ... لولا الردى لسمعت فيه سراري

والشرق نحو الغرب أقرب شقة ... من بعد تلك الخمسة الأشبار

هيهات قد علقتك أسباب الردى ... واغتـال عمرك قاطع الأعمار

ولقد جريت كما جريتُ لغايةٍ ... فبلغتهـا وأبوك في المضمار

فاذا نطقتُ فأنت أول منطقي ... وإذا سكت فأنت في إضماري

أخفي من البرحاء ناراً مثلمـا ... يخفي من النار الزناد الواري

وأخفض الزافرات وهي صواعد ... وأكفكف العبرات وهي جواري

وشهاب نار الحزن إن طاوعته ... أورى وإن عاصيته متواري

وأكف نيران الأسى ولربمـا ... غلب التصبر فـارتمت بشرار

ثوب الرياءِ يشف عما تحته فإذا التحفت به فإنك عار

قصرت جفوني أم تباعد بينها أم صورت عيني بلا أشفار ؟

جفت الكرى حتى كأن غراره عند اغتماض العين وخز غرار

ولو استزارت رقدة لطحابها ما بين أجفاني من التيار

أحيي الليالي التم وهي تميتني ويميتهنّ تبلج الاسحار

حتى رأيت الصبح تهتك كفّه بالضوء رفرف خيمةٍ كالقار

والصبح قد غمر النجوم كأنه سيل طغى فطفا على النوار

لو كنت تمنع خاض دونك فتية

منّا بحار عوامل وشفار

ودحوا فويق الارض أرضا من دم

ثم انثنوا فبنوا سماءَ غبار

قوم إذا لبسوا الدروع حسبتها سحبا مزرّرة على اقمار

وترى سيوف الدارعين كأنها خلجٌ تمدّ بها أكفّ بحار

لو شرعوا أيمانهم في طولها طعنوا بها عوضاً عن الخطار

جنبوا الجياد إلى المطيّ وراوحوا

بين السروج هناك والأكوار

وكأنما ملؤوا عياب دروعهم وغمود أنصلهم سرار قفار

وكأنما صنع السوابغ عزّه ماء الحديد فصاغ ماء قرار

زردا فأحكم كلَ موضع حلقة بحبابه في موضع المسمار

فتسربلوا بمتون ماءٍ جامدٍ وتقنعوا بحباب ماءٍ جار

أسد ولكن يؤثرون بزادهم والاسد ليس تدين بالايثار

يتزين النادي بحسن وجوههم ... كتزين الهالات بالأقمار

يتعطفون على المجاور فيهم ... بالمنفسات تعطف الأظآر

من كل من جعل الظبى أنصاره ... فكرمن واستغنى عن الانصار

وإذا هو اعتقل القناة حسبتها ... صلا تأبطه هزبر ضاري

والليثُ إن ثاورتـه لم يعتمد ... إلا على الأنياب والأظفار

زرد الدلاص عن الطعان يريحه ... في الجحفل المتضايق الجرار

ما بين ثوب بالدماء مضرّج ... زلق ونقع بالطّراد مثار

والهون في ظل الهوينا كامنٌ ... وجلالة الأخطار في الأخطار

تندى أسرة وجهه ويمينه ... في حالة الإعسار والإيسار

ويمد نحو المكرمات انامـلا ... للرزق في أثنائهنّ مجاري

يحوي المعالي كاسباً أو راغبا ... أبداً يدُارى دونها ويداري

قد لاح في ليل الشباب كواكب ... إن أمهلت آلت إلى الإسفار

وتلهب الاحشاء شيب لمتي ... هذا الضياء شواظ تلك النار

شاب القذالُ وكلّ غصن صائر ... فينانه الأحوى إلى الأزهار

والشبه منجذبٌ فلم بيض الدمى ... عن بيض مفرقه ذوات نفار

وتود لوجعلت سواد قلوبها ... وسواد أعينها خضاب عذاري

لا تنفرُ الظبيات منـه فقد رأت ... كيف اختلاف النبت في الأطوار

شيـآنِ ينقشعانِ أول وهلةٍ ... ظلُ الغمام وصحبة الاشرار

لاحبـذا الشيب الوفي وحبذا ... ظل الشباب الخائن الغدّار

وطري من الدنيا الشباب وروقه
فـإذا انقضى فقد انقضت أوطـاري

قصرت مسافتهُ ومـا حسناتهُ عندي ولا آلاؤه بقصار

نزداد هماً كلما ازددنا غنى والفقر كلّ الفقر في الإكثار

ما زاد فوق الزاد خلف ضائعـاً في حادث أو وارث أو عار

إني لارحم حاسدي لحرِ مـا ضمنت صدورهم من الاوغار

نظروا صنيع الله بي فعيونهم في جنة وقلوبهم في نار

لاذنب لي قد رمت كتم فضائلي فكأنمـا برقعتُ وجه نهـار

وسترتهـا بتواضعي فتطلّعت أعناقهـا تعلو على الأستار

ومن الرجال معالمٌ ومجاهلُ ومن النجوم غوامض ودراري

والناس مشتبهون في إيرادهم وتفاضلُ الاقوام في الاصدار

عمري لقد أوطأتهم طرق العلى فعموا فلم يقفوا على آثاري

لو أبصروا بقلوبهم لتبصروا وعمى البصائر من عمى الأبصار

هلا سعوا سعي الكرام فأدركوا أو سلموا لمواقع الأقدار

وفشت خيانات الثقات وغيرهم حتى اتهمنا رؤية الأبصار

ولربمـا اعتضد الحليم بجاهل لا خير في يمنى بغير يسار

فوائد أدبية

ومن شعر العتبي الأموي :

رأين الغواني الشيب لاح بعارضي   فأعرضن عني بالخدود النواضر
وكنّ إذا أبصرنني أو سمعنني   دنين ورفعن الكوى بالمحاجر
فإن عطفت عني أعنةُ أعينٍ   نظرن بأحداق المهى والجآذر
فإني من قوم كريم ثناؤهم   لأقدامهم صيغت رؤوس المنابر
خلائف في الإسلام في الشرق قادة   بهم وإليهم فخرُ كلْ مُفاخر

ولحسام الدين الواعظي رحمه الله :

من ضيع الحزم في أفعاله ندما   وظل مكتئباً والقلب قد سقما
ما المرء إلا الذي طابت فضائله   والدين زينٌ يزينُ العاقل الفهما
والعلم أنفس شيء أنت ذاخره   فلا تكن جاهلا تستورث الندما
تعلم العلم واجلس في مجالسه   ماخاب قط لبيبٌ جالس العلما
والوالدين فأكرم تنجُ من ضرر   ولا تكن نكداً تستوجب النقما
ولازم الصمت لا تنطق بفاحشةٍ   وأكرم الجار لا تهتك له حُرما
واحذر من المزح كم في المزح من خطر
كم من صديقين قبل المزح فاختصما
وصبر النفس وارشدها إذا جهلت   وإن حضرت طعاماً لا تكن نهما

---

(١) ابن خلكان ٦٦٢

آس اللهيف إذا ما كنت مقتدراً على الزمان وكن للخير مقتسما
وصد نفسك عن لهو وعن مرح وإن حضرت مكانا كنت فيه سما

ولعبد الله بن حجاج من أبيات

قالوا غداً العيد فاستبشر به فرحاً فقلت مالي وما للعيد والفرح
قد كان ذا والنوى لم تمس نازلة بعقوتي وغراب البين لم يصح
أيام لم يخترم قرب البعاد ولم يغدُ الشتات على شملي ولم يرح
فاليوم بعدك قلبي غير متسع لما يسر وصدري غير منشرح
وطائرٌ ناح في خضراء مونقة على شفا جدول بالزهر متشح
بكى وناح ولولا أنه سبب لكان قلبي لمعنى فيه لم يبح
في العمر من واسط والليل ما هبطت فيه النجوم وضوء الصبح لم يلح
بيني وبينك ودٌّ لا يغيره بعد المزار وعهد غير مطرح
فما ذكرتك والأقداح دائرة إلا مزجت بدمعي باكياً قدحي
ولا استمعت لصوت فيه ذكر نوى إلا عصيت عليه كلّ مقترح

ولأبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني رحمه الله تعالى :

من أين للعارض الساري تلهبهُ وكيف طبق وجه الأرض صيّبه
هل استعار جفوني فهي تنجده أم استعار فؤادي فهو يُلهبه ؟
بجانب الكرخ من بغداد لي سكنٌ لولا التجمل لم أنفك اندبه
وصاحب ما صحبت اللهو مذ بعدت دياره وأراني أني لست أصحبه
في كل يوم لعيني ما يؤرقها من ذكره ولقلبي ما يعذبه
ما زال يبعدني عنه وأتبعهُ ويستمر على ظلمي وأعتبه

حتى رثت لي النوى من طول جفوته وسهلت لي طريقاً كنت أذهبه
وما البعـاد دهاني بل خلائقه ولا الفراق شجاني بل تجنبه

فصل أذكر فيه بعض الوصايا والاداب ، والحكم النافعة عن السلف رضي الله عنهم . قال رسول الله ﷺ للانصار : « من سيدكم » قالوا : الجد بن قيس على بخل فيه ، فقال ﷺ « وأي داء أدوى من البخل بـل سيدكم الجعد الابيض عمرو بن الجموح » فقال شاعرهم :

وقال رسول الله والحق قوله لمن قال منا من تسمون سيدا
فقالوا له الجد بن قيس على التي نبخله فيها وإن كان أسودا
فتى مـا تخطى خطوة لدنية ولا مدّ في يوم إلى سوأة يدا
فسوّد عمرو بن الجموح لجوده وحق لعمرو بالندى أن يسودا

فـــائدة :

روي عن عمر بن العزيز رحمه الله تعالى :

مـــا قرن شيء إلى شيء أحسن من حلم إلى علم ومن عفو إلى قدرة . ومن قول أبي العتاهية :

فيارب هب لي منك حلماً فإنني أرى الحلم لم يندم عليه حليم
ويارب هب لي منك عزماً على التقى أقيم به مـا عشت حيث أقيم
ألا إن تقوى الله أكرم نسبة تسامى بها عند الفخار كريم

فـــائدة :

قال الامـــام الشافعي رحمه الله تعالى : إن خيري الدنيا والاخرة في خمس خصال ، وهي غنى النفس ، وكف الاذى ، وكسب الحلال ، ولباس التقوى ، والثقة بالله على كل حال ، وقد نظمهـــا السيد عبد الجليل الحسيني رحمـــه الله تعالى فقال :

أرى خيري الدارين يجمع كله بخمس خـلال يالها من لطائف

بنص الإمام الشافعي أخي التقى هو البحر كنز العلم شمس المعارف

غنى النفس مع كف الأذى وا كتساب ما

يحل وملبوس التقى حصن خائف

على كل حال كن بربك واثقاً بنفع و كشف الضرعند المخاوف

فدونكها خمساً و كن واعياً لها مكباً عليها لا كفدم مخالف

فائدة من كلام ابن المعتز كتبها لبعض أصحابه قال :

اعلم يا أخي أنك لن تكسب ـ أعزك الله المحامد ـ وتستوجب الشرف إلا بالحمل على النفس والحال ، والنهوض بحمل الأثقال ، وبذل الجاه والمال ، ولو كانت المكارم تنال بغير مؤنة لاشترك فيها السفل والأحرار ، وتساهمها الوضعاء من ذوي الأخطار ، ولكن الله تعالى خص بها الكرماء الذين جعلهم أهلها ، فخفف عليهم حملها ، وسوغهم فضلها ، وحظرها على السفلة لصغر أقدارهم عنها ،وبعد طباعهم منها ونفورهامنهم.

فائـــدة :

قال معاوية رضي الله عنه لصعصعة بن صوحان : صف لي عمر ابن الخطاب . فقال : كان عالماً برعيته ، عادلاً في قضيته ، عارياً من الكبر ، قبولاً للعذر ، سهل الحجاب ، مصون الباب ، متحرياً للصواب ، رفيقاً بالضعيف ، غير محارب للقريب ، ولا جاف للغريب .

قيل للأحنف بن قيس : ممن تعلمت الحلم ؟ فقال: من قيس بن عاصم المنقري رأيته قاعداً بفناء بيته ، محتبيا بحمائل سيفه ، يحدث قومه إذا أتي برجل مكتوف ، ورجل مقتول ، فقيل له : هذا ابن أخيك

قتل ابنك ؛ فوالله ما حل حبوته ، ولا قطع كلامه ، ثم التفت إلى ابن أخيه ، فقال يا ابن أخي بئس ما فعلت أثمت بربك ، ورميت نفسك بسهمك ، وأشمت عدوك ، ونقصت عددك ، قتلت ابن عمك . ثم قال لابن له آخر : قم يابني فوار أخاك ، وحل كتاف ابن عمك ، وسق إلى أمه مئة من الإبل دية ابنها ، فإنها غريبة عندنا فلعلها أن تسلو ثم أنشد :

إني امرؤٌ لا يطَّبي نسبي ... دنس يهجنه ولا أفنُ
من منقر في بيت مكرمة ... والغصن ينبت حوله الغصن
خطباء حين يقول قائلهم ... بيض الوجوه أعفة لسْن
لا يفطنون لعيب جارهم ... وهم لحفظ جواره فُطنُ

وقال رجل للأحنف بن قيس : علمني الحلم . فقال : هو الذل يا ابن أخي ، أتصبر عليه ؟ وقال رجل للأحنف : إنك لحليم . فقال : لست بحليم ، ولكني أتحالم ، والله إني لأسمع الكلمة ، فأحم لها ثلاثة أيام ، ما يمنعني من ردها إلا مخافة أن أسمع شراً منها . وقيل له : من أحلم أنت أم معاوية ؟ فقال : ما رأيت أجهل منكم معاوية يقدر ويحلم ، وأنا أحلم ولا أقدر ، فكيف أُقاس به أو أدانيه ؟ !

وقال هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان : بم بلغ الأحنف فيكم ما بلغ ؟ قال : إن شئت أخبرتك بواحدة ، وإن شئت باثنتين ، وإن شئت بثلاث . قال : ما الواحدة ؟ قال : كان أقوى الناس على نفسه . قال : ما اثنتان ؟ قال : كان موقى الشر ، ملقى

الخير . قال : فما الثلاث ؟ قال كان لايجهل ، ولا يبغي ، ولا يبخل .

فائدة من كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال : ثلاث يثبتن لك الود في قلب صاحبك ؛ أن تبدأه بالسلام ، وأن توسع له في المجلس ، وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه . وقال رضي الله عنه : كفى بالمرء عيباً أن تكون فيه خلة من ثلاث أن يعيب بشيء ثم يأتي بمثله ، أو يبدو له من أخيه ما يخفى عليه من نفسه ، أو يؤذي جليسه بما لا يعنيه .

فائدة من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه

من لانت كلمته وجبت محبته ، وقيمة كل إنسان ما يحسنه .

ومن كلام عمر بن عبد العزيز رحمه الله : ثلاث من كن فيه ؛ فقد كمل : من لم يخرجه غضبه عن طاعة الله ، ولم يستنزله رضاه إلى معصية الله ، وإذا قدر عفى وكف .

ومن كلام الحسن البصري : نعم الله أكثر من أن تشكر إلا ما أعان عليه ؛ وذنوب ابن آدم أكثر من أن يسلم منها إلا ما عفا الله عنه .

ولبعضهم في الصبر والاحتمال

تعزَّ فإن الصبر بالحر أجمل ... وليس على ريب الزمان معولُ

وعاقبة الصبر الجميل جميلة ... وأفضل أخلاق الرجال التجمل

فلو كان يغني أن يرى المرء جازعا ... لنائبة أو كان يغني التبذل

لكان التعزي عند كل مصيبة ... ونازلة بالحر أولى وأجمل

فكيف وكلٌّ ليس يعدو حمامه ... وما لامرىء مما قضى الله مرحل

فإن تكن الأيام فينا تبدلت ... ببؤسى ونعمى والحوادث تفعل
فما لينت منا قناةً صليبةً ... ولا ذللتنا للذي ليس يجمل
ولكن رحلناها نفوساً كريمة ... تحمل ما لا يستطاع فتحمل
وقينا بفضل الله منا نفوسنا ... فصحت لنا الاعراض والناس هزل

ومن قول أبي الفتح البستي :

وإذا هممت فناج نفسك بالمنى ... وعداً فخيرات الجنان عداتُ
واجعل رجاءك دون يأسك جُنةً ... حتى تزول بهمك الأوقات
واسترعن الجلساء همك إنما ... جلساؤك الحساد والشمات
ودع التوقع للحوادث إنه ... للحي من قبل الممات ممات
فالهمُّ ليس له ثبات مثلما ... في أهله ما للسرور ثبات
لولا مغالطة النفوس عقولها ... لم يصف للمتيقظين حياة

وقال أيضاً :

بحفظ الجسم تبقى النفس فيه ... بقاء النار تحفظ بالوعاء
فباليأس الممض فلا تمتها ... ولا تمدد لها حبل الرجاء
وعدها في شدائدها رخاء ... وذكرها الشدائد في الرخاء
يعد صلاحها هذا وهذا ... وبالتركيب منفعة الدواء

وللبيد :

أكذب النفس إذا حدثتها ... إن صدق النفس مزرٍ بالامل

قال أبو الفرج :

روي أنه جاء الكميت الشاعر إلى الفرزدق فقال له : ياعم إني قد

قلت قصيدة أريد أن اعرضها عليك قال قل فانشده :

طربت وما شوقاً إلى البيض اطرب
ولا لعباً مني وذو الشوق يلعب ؟

فقال الفرزدق ولماذا لم تطرب . فقال :

ولم تلهني دار ولا رسم منزل ولا يزدهي قلبي بنان مخضب

فقال الفرزدق : أجماد أنت ويحك ؟ فقال :

ولا أنا ممن يزجر الطير همه أصاح غراب أم تعرض ثعلب
ولا السانحات البارحات عشية أمر سليم القرن أم مر أعضب
ولكن إلى أهل الفضائل والنهى وخير بني حواء والخير يطلب

فقال الفرزدق : من هؤلاء لا أم لك . فقال :

إلى النفر البيض الذين بحبهم إلى الله فيما نابني أتقرب

فقال الفرزدق من هم أرحني ؟ فقال :

بني هاشم رهط النبي فإنني بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب

فقال الفرزدق : لو جزتهم إلى سواهم لذهب شعرك باطلا ومنها :

خفضت لهم مني جناح مودةٍ إلى كنف عطفاه أهل ومرحب
ومالي إلا آل أحمد شيعة ومالي إلا مذهب الحق مذهب
بأي كتاب أم بأية سنة يرى حبهم عاراً عليّ ويحسب
يشيرون بالايدي إليّ وقولهم ألا خاب هذا والمشيرون أخيب

روي أنه حج هشام بن عبد الملك ، وأراد استلام الحجر ، فلم يصل إليه إلا بعد زحام ، ثم وضع له كرسي ،وجلس فجاء زين العابدين علي بن الحسين رضي

الله عنها، فلما أراد استلام الحجر تنحى الناس عنه ، فسأل هشام من كان عنده عنه فقالوا: لانعرفه ، وكان الفرزدق حاضرا ، فقـال : أنا اعرفه يا أمير المؤمنين فقـال من هو فأنشد :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم[1]

هـذا ابن خير عباد الله كلهم ... هـذا التقي النقي الطاهر العلم

وليس قولك من هـذا بضائره ... العرب تعرف من أنكرت والعجم

إذا رأته قريش قـال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

يكاد يمسكه عرفان راحتـه ... ركن الحطيم إذا مـا جاء يستلم

يغضي حياء ويغضى من مهابته ... فـلا يكلم إلا حين يبتسم

بكفه خيزران ريحه عبق ... من كف أروع في عرنينه شمم

ينشق نور الهدى عن نور غرته ... كالشمس تنجاب عن اشراقها الظلم

من معشر حبهم دين وبغضهم ... اثم وقربهم منجى ومعتصم

إن عُد أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل من خير أهل الارض قيل هم

لا ينقص العدم بسطاً من أكفهم ... سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا

هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت ... والأسد أسد الشرى والبأس محتدم

مقدم بعد ذكر الله ذكرهم ... في كل أمر ومختوم به الكلم

وللشريف الرضي :

لغير العلى مني القلى والتجنب ... ولولا العلى مـا كنت في العيش أرغب[2]

---

(١) ابن خلكان ٢٦٤

(٢) ديوانه : طبع بيروت (الادبية) ٥٨

إذا الله لم يعذرك فيما ترومه   فما الناس إلا عاذل أو مؤنب
ملكت بحلمي فرصة ما استرقها   من الدهر مفتول الذراعين أغلب
فإن تك سني ما تطاول باعها   فلي من وراء المجد قلب مدرب
فحسبي أني في الأعادي مبغض   وأني إلى غر المعالي محبب
وللحلم أوقات وللجهل مثلها   ولكن أوقاتي إلى الحلم أقرب
يصول عليّ الجاهلون وأعتلي   ويعجم فيّ القائلون وأعرب
يرون احتمالي غصة ويزيدهم   لواعج ضغن أنني لست أغضب
وأعرض عن كأس النديم كأنها   وميض غمام غائر المزن خلب
وقور فلا الألحان تأسر عزمتي   ولا تمكر الصهباء بي حين أشرب
ولا أعرف الفحشاء إلا بوصفها   ولا أنطق العوراء والقلب مغضب
تحلم عن كرّ القوارض شيمتي   كأن معيد المدح بالذم مُطنب
لساني حصاة يقرع الجهل بالحجا   إذا نال مني العاضه المتوثب
ولست براض أن تمس عزائمي   فضالات ما يُعطي الزمان ويسلب
غرائب آداب حباني بحفظها   زماني وصرف الدهر نعم المؤدب
تريشنا الأيام ثم تهيضنا   ألا نعم ذا البادي وبئس المعقب
نهيتك عن طبع اللئام فإنني   أرى البخل يأتي والمكارم تطلب
تعلم فإن الجود في الناس فطنة   تناقلها الأحرار والطبع أغلب

ولعلي الكيلاني :

تأمل ولا تعجل بما أنت باغيا   وكن لازماً للعدل لاتك باغيا[1]

---

(١) عن سلك الدرر مطبعة بولاق ٢٥٦

وجاز الذي أسدى الجميل بمثله ... وسيئه فاجز مسيئاً وعاتيا

ولن جانباً للخل وارع وداده ... ووف بمكيال الذي كان وافيا

ورغ عند رواغ وزغ عند زائغ ... ومع مستقيم العدل كن متساويا

تحلَّ بحسن الخلق للخلق كلهم ... وكن سهلا صعبا نفوراً مواتيا

ودار جميع الناس مادمت بينهم ... وكن تابعاً حقاً نبيلًا مداريا

تحمل لجور الجار وارع جواره

وواصل ذوي الارحام واجف المجافيا

وكن بإله الناس ظنك محسناً ... وبالناس سوء الظن دوماً مراعيا

لتعلم أن الناس لا خير فيهم ... ولا بد منهم فالتبسهم مزاويا

وإن تبد يوماً بالنصيحة لامرىءٍ ... بتهمته إياك كان مجازيا

وإن تتحلى بالسماحة والسخا ... يقال سفيه أخرق ليس واعيا

فإن أمسكت كفاك حال ضرورة ... يقال شحيح ممسك لا مواسيا

وإن كنت مقداماً لكل ملمةٍ ... يقال عجول طائش العقل واهيا

وإن تتغاض عن جهالة ناقص ... يعدوك خواراً جباناً ولاهيا

وإن تتغاض باعتزالك عنهم ... يخالوك من كبر وتيه مجافيا

وإن تتدان منهم لتألفٍ ... يظنوك خداعاً كذوباً مرائيا

ترى الظلم منهم كامناً في نفوسهم ... كذا غدرهم في طبعهم متواريا

وفي قوة الانسان يظهر ظلمه ... وفي عجزه يبقى كما كان خافيا

وهيهات تنجو من غوائل فعلهم ... وأقوالهم مهما تكن متحاشيا

فمن رام إرضاء الأنام بقوله ... وفعل غدا للمستحيل معانيا

ومن ذا الذي أرضى الخلائق كلهم ... رسولاً نبياً أو ولياً وقاضيا

وأعظم من ذا خالق الخلق هل ترى جميع الورى في قسمة منه راضيا
إذا كان رب الخلق لم يرض خلقه فكيف بمخلوق رضاهم مراجيا؟
فلازم رضى رب العباد إذن ولا تبال بمخلوق إذا كنت زاكيا
وسدد وقارب ما استطعت فإنما يكلف عبد فعل ما كان قاويا

ولأبي العتاهية :

اسلك بنيَّ مناهج السادات وتخلقنَّ بأشرف العادات
لا تلهينَّك عن معادك لذة تفنى وتورث دائم الحسرات
إن السعيد غداً زهيد قانع عبد الاله بأخلص النيات
أقم الصلاة لوقتها بشروطها فمن الضلال تفاوت الميقات
وإذا اتسعت برزق ربك فاجعلن منه الأجلَّ لأوجه الصدقات
في الاقربين وفي الأباعدِ تارة إن الزكاة قرينة الصلوات
وارع الجوار لاهله متبرعاً بقضاء ما طلبوا من الحاجات
واخفض جناحك ان منحت امارة وارغب بنفسك عن ردى اللذات

يليها الاختيار من شعر لبيد بن ربيعة :

شعر

لبيد بن ربيعة[1]

يقول جامع هذا المجموع : عذراً فإني لم أظفر بترجمة لبيد بن ربيعة

---

(١) قوبل شعر لبيد بن ربيعة على ديوانه شرح النعساني والشنقيطي .

ومعلقته وقتئذ فأحببت ذكرها هنا لئلا يخلو المجموع منها .

هو ابو عقيل لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه ، أحد أشراف الشعراء المجيدين ؛ وهو من بني عامر بن صعصعة إحدى بطون هوازن من مضر ، وأمه عبسية . نشأ لبيد جواداً شجاعاً فاتكا ، أما الجود فورثه من أبيه الملقب ربيعة المعترين ، وأما الشجاعة والفتك ، فهما خصلتا قبيلته إذ كان عمه ملاعب الاسنة أحد فرسان مضر في الجاهلية ، وأسلم وحسن اسلامه وترك قول الشعر في الاسلام ، فلما ولي الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر ان يحصى ما قيل من الشعر في الاسلام ، فسأل لبيد عما قال من الشعر في الاسلام ، فكتب سورة البقرة وآل عمران و كتب تحتها :

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي   حتى اكتسيت من الإسلام سربالا

فلما وصلت إلى عمر رضى الله عنه ، قال : كم عطاء لبيد ؟ قالوا ألفان . فقال : زيدوه خمسمائة ، فكان عطاؤه الفين وخمسمائة في خلافة عمر وعثمان وعلي ومعاوية وتوفي سنة ٤١ من الهجرة ، وكان يطعم كلما هبت الصبا ، والتزم ذلك في الاسلام . وقيل : إنه عاش مائة وثلاثين سنة ومن شعره :

ما عاتب المرء الكريم كنفسه   والمرء يصلحه الجليس الصالح

واستوطن الكوفة ، وعلى العراق الوليد بن عقبة ، وهبت الصبا ، وليس عنده ما يطعم به ، فعلم بذلك الوليد ، فأرسل اليه بابل ، فنحرها ، وأطعم الناس ، فقال لابنته ألا قلت فيه شعراً تشكرينه به فأنشدت :

إذا هبت رياح أبي عقيل   دعونا عند هبتها الوليدا

أغرّ الوجه أبيض عبشمي   أعان على مروءته لبيدا

بأمثال الهضاب كأن ركبا   عليها من بني حام قعودا

جزاك الله خيراً من أمير نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعد إن الكريم له معاد وظني يا ابن أروى أن تعودا

فقال لبيد : لقد أحسنت إلا أنك استزدته ، فقالت : إنه ملك ، وليس بسوقة ، وليس في سؤاله نقص . ونبغ بالشعر ، وهو غلام ، وجرى فيه على سنن الأشراف والفرسان ، وكان بين قبيلته ، وبين بني عبس أخواله عداوة شديدة في الجاهلية ، فاجتمع وفداهما عند النعمان بن المنذر ؛ وعلى العبسيين الربيع بن زياد ، وعلى العامريين ملاعب الاسنة ، وكان الربيع مقرباً عند النعمان ، يواكله وينادمه ، فأوغر صدره على العامريين ، فلما دخل وفدهم على النعمان ؛ أعرض عنهم فشق ذلك عليهم ، ولبيد يومئذ صغير يحفظ إبلهم ، ويرعاها فسألهم عن خطبهم ، فاحتقروه لصغره ، فألح حتى أخبروه فوعدهم أنه سينتقم لهم منه غداً عند النعمان أسوأ انتقام بهجاء لايجالسه بعد، ولا يواكله ، فكان ذلك فإنه لمادخل عليه خاطب الربيع بكلام أمضه ، وأوجعه ، وأنشد يخاطب النعمان :

مهلاً أبيت اللعن لا تأكل معه فاسته من برص ملمعه
وانه يدخل فيها اصبعه يدخلها حتى يوارى أشجعه
كأنه يطلب شيئاً ضيعه

فقال النعمان : حسبك لقد نكدت علي ما مضى من الأكل معه .
وقال للربيع : أنت كما قال ، فقال : كذب علي فإن كنت في شك فامر من يجردني وينظروني فقال النعمان :

شرد برحلك عني حيث شئت ولا تكثر علي ودع عنك الأقاويلا
قد قيل ما قيل إن صدقاً وإن كذباً فما اعتذارك من قول إذا قيل

وأهمل النعمان الربيع ، وجفاه ؛ وأقبل على العامريين وأجزل صلتهم ، وحباهم ؛ وقضى حوائجهم ؛ وكان هذا أول ما اشتهر به لبيد ، ثم قال بعد ذلك المقطعات والمطولات ؛ وشهد النابغة له ؛ وهو غلام بأنه أشعر هوازن حين رأى معلقته وهي هذه :

عفت الديار محلُّها فمقامها بمنىً تأبد غولها فرجامها [1]
فمدافع الريان عُري رسمها خلقا كما ضمن الوحيَّ سلامها
رزقت مرابيع النجوم وصابها ودق الرواعد جودها فرهامها
من كل سارية وغاد مدجن وعشيةٍ متجاوب ارزامها
فعلا فروع الأيهقان واطفلت بالجلهتين ظباؤها ونعامها
والعين ساكنة على أطلائها عُوذا تأجل بالفضاء بهامها
وجلا السيول عن الطلول كأنها زبرٌ تجد متونها اقلامها
أو رجع واشمة أسف نؤورها كففاً تعرض فوقهنَّ وشامها
فوقفت أسألها وكيف سؤالنا صما خوالد ما يبين كلامها
عريت وكان بها الجميع فابكروا منها وغودر نؤيها وثمامها
شاقتك ظعن الحي حين تحملوا فتكنسوا قُطُناً تصر خيامها
من كل محفوف يُظل عصيَّه زوج عليه كلةٌ وقرامها

---

(١) عن المعلقات شرح النعساني ٩٨ والشنقيطي

زجلًا كأن نعاج توضح فوقها　　وظباء وجرةَ عطفا آرامها

حُفزت وزايلها السراب كأنها　　اجزاع بيشة أثلها ورضامها

بل ما تذكر من نوار وقد نأت　　وتقطعت أسبابها ورمامها

مُرية حلت بفيد وجاورت　　أهل الحجاز فأين منك مرامها

بمشارق الجبلين أو بمحجر　　فتضمنتها فردة فرخامها

فصوائق ان أيمنت فمظنة　　منها وحاف القهر أو طلخامها

فاقطع لبانة من تعرض وصله　　ولشر واصل خُلة صرامها

واحب المجامل بالجزيل وصرمه　　باق إذا ظلعت وزاغ قوامها

بطليح أسفار تركن بقية　　منها وأحنق صُلبها وسنامها

فإذا تغالى لحمها وتحسرت　　وتقطعت بعد الكلال خدامها

فلها هباب في الزمام كأنها　　صهباء راح مع الجنوب جهامها

أو مُلمع وسقت لاحقب لاحه　　طرد الفحول وضربها وكدامها

يعلو بها حدب الأكام مسحجاً　　قد رابه عصيانها ووحامها

بأحزّة الثلبوت يربأ فوقها　　قفر المراقب خوفها آرامها

حتى إذا سلخا جمادى ستة　　جزءاً فطال صيامه وصيامها

رجعا بأمرهما إلى ذي مرة　　حصدٍ ونجح صريمة إبرامها

ورمى دوابرها السفا وتهيجت　　ريح المصايف سومها وسهامها

فتنازعا سبطا يطير ظلاله　　كدخان مُشعلة يشب ضرامها

مشمولة غلثت بنابت عرفج　　كدخان نار ساطع اسنامها

فمضى وقدمها وكانت عادة　　منه إذا هي عردت اقدامها

فتوسطا عرض السريّ وصدعا　　مسجورة متجاوراً قُلامّها

محفوفةً وسط اليراع يظلها ... منها مُصرَّع غابةٍ وقيامها

أفتلك أم وحشية مسبوعةٌ ... خذلت وهادية الصوار قوامها

خنساء ضيَّعت الفرير فلم يرم ... عُرض الشقائق طوفها وبُغامها

لمعفر فهد تنازع شلوه ... غُبس كواسب ما يُمَنُّ طعامها

صادفن منها غرة فأَصبنه ... إن المنايا لا تطيش سهامها

باتت واسبل واكف من ديمة ... يُروي الخمائل دائماً تسجامها

تجتاف أصلاً قالصاً متنبذاً ... بعجوب أنقاءٍ يميل هيامها

يعلو طريقة متنها مُتواتراً ... في ليلة كفر النجوم ظلامها

وتضيء في وجه الظلام منيرة ... كجمانة البحري سُلَّ نظامها

حتى إذا انحسر الظلام وأسفرت ... بكرت تزل عن الثرى أزلامها

علهت تبلد في نهاء صُعائد ... سبعاً تؤاما كاملاً أيامها

حتى إذا يئست وأسحق حالق ... لم يُبله أرضاعها وفطامها

وتسمعت رزَّ الأنيس فراعها ... عن ظهر غيب والأَنيس سقامها

فغدت كلا الفرجين تحسب أنه ... مولى المخافة خلفُها وأمامها

حتى إذا يئس الرماة وأرسلوا ... غضفا دواجن قافلا أعصامها

فلحقن واعتكرت لها مدرية ... كالسمهرية حدها وتمامها

لتذودهنَّ وأيقنت إن لم تذد ... ان قد أحمَّ مع الحتوف حمامها

فتقصدت منها كساب وضرجت ... بدم وغودر في المكر سخامها

فبتلك إذ رقص اللوامع بالضحى ... واجتاب اردية السراب إكامها

أقضي اللبانة لا أفرط ريبة ... أو أن يلوم بحاجة لوامها

أو لم تكن تدري نوارُ بأنني　　وَصّال عقد حبائل جذاءها

تراك أمكنة إذا لم أرضها　　أو يرتبط بعض النفوس حمامها

بل أنت لاتدرين كم من ليلة　　طلق لذيذ لهوها ونِدامها

قد بت سامرها وغاية تاجر　　وافيت إذ رفعت وعزَّ مدامها

أغلي السباء بكل أدكن عاتق　　أو جونةٍ قدحت وفض ختامها

لصبوح صافية وجذب كرينة　　بموتر تأتاله ابهامها

باكرت حاجتها الدجاج بسحرة　　لأعل منها حين هب نيامها

وغداة ريح قد وزعت وقرةٍ　　إذ اصبحت بيد الشمال زمامها

ولقد حميت الخيل تحمل شكتي　　فرطٌ وشاحي إذ غدوت لجامها

فعلوت مرتقباً على مرهبوة　　حرج إلى اعلامهنَّ قتامها

حتى إذا ألقت يدا في كافر　　وأجن عورات الثغور ظلامها

أسهلت وانتصبت كجذع منيفة　　جرداء يحصر دونها جَرامها

رفعتها طرد النعام وفوقه　　حتى إذا سخنت وخف عظامها

قلقت رحالتها وأسبل نحرها　　وابتل من زبد الحميم حزامها

ترقى وتطعن في العنان وتنتحي　　ورد الحمامةِ إذ اجد حمامها

وكثيرةٍ غرباؤها مجهولة　　ترجى نوافلها ويخشى ذامها

غلب تشذَّرُ بالذحول كأنها　　جنّ البدي رواسياً اقدامها

أنكرت باطلها وبؤت بحقها　　يوماً ولم يفخر علي كرامها

وجزور أيسار دعوتُ لحتفها　　بمغالق متشابه أعلامها

أدعو بهن لعاقر أو مطفل　　بُذلت لجيران الجميع لحامها

فالضيف والجار الغريب كأنما   هبطا تبالة مخصباً أهضامها

تأوي إلى الأطناب كل رزية   مثل البلية قالص أهدامها

ويكللون إذا الرياح تناوحت   خلجاً تمد شوارعاً أيتامها

إنا إذا التقت المجامع لم يزل   منا لزاز عظيمة جشّامها

ومقسم يعطي العشيرة حقها   ومغذمر لحقوقها هضامها

فضلًا وذو كرم يعين على الندى   سمح كسوب رغائب غنامها

من معشر سنت لهم آباؤهم   ولكل قوم سنة وإمامها

ان يفزعوا تلق المغافر عندهم   والسن يلمع كالكواكب لامها

لا يطبعون ولا يبور فعالهم   إذ لا تميل مع الهوى احلامها

فبنوا لنا بيتاً رفيعاً سمكه   فسما اليه كهلها وغلامها

فاقنع بما قسم المليك فانما   قسم الخلائق بيننا علامها

وإذا الامانة قسمت في معشر   أوفى باعظم حظنا قسامها

فهم السعاة إذا العشيرة أفظعت   وهم فوارسها وهم حكامها

وهم ربيع للمجاور فيهم   والمرملات إذا تطاول عامها

هم العشيرة أن يبطئ حاسد   أو أن يلوم مع العدى لوامها

تم الاختيار من شعر لبيد ويليه الاختيار من شعر ذي الوزارتين احمد بن زيدون .

شعر

ذي الوزارتين[1]

أحمد بن عبد الله بن زيدون الاندلسي القرطي فمن قوله :

يا قمراً مطلعه المغرب قد ضاق بي في حبك المذهب[2]

ألزمتني الذي الذنب جئته صدقت فاصفح أيها المذنب

وإن من أغرب ما مر بي أنّ عذابي منك مستعذب

ومن قوله ايضاً يتذكر معاهد أصحابه واحبابه :

خليليّ لافطر يسر ولا أضحى فما حال من أمسى مشوقاً كما أضحى[3]

لئن شاقني شرق العقاب فلم أزل أخص بممحوض الهوى ذلك السفحا

وما انفك جوفي الرصافة مشعري دواعيَ بث تعقب الاسف البرحا

ويهتاج قصر الفارسي صبابة بقلبي لا تألو زناد الهوى قدحاً

وليس ذميا عهد مجلس ناصح فاقبل في فرط الولوع به نصحاً

كأني لم أشهد لدى عين شهدةٍ نزال عتاب كان اخره الفتحا

وقائع جانيها التجني وان مشى سفير خضوع بيننا أكد الصلحا

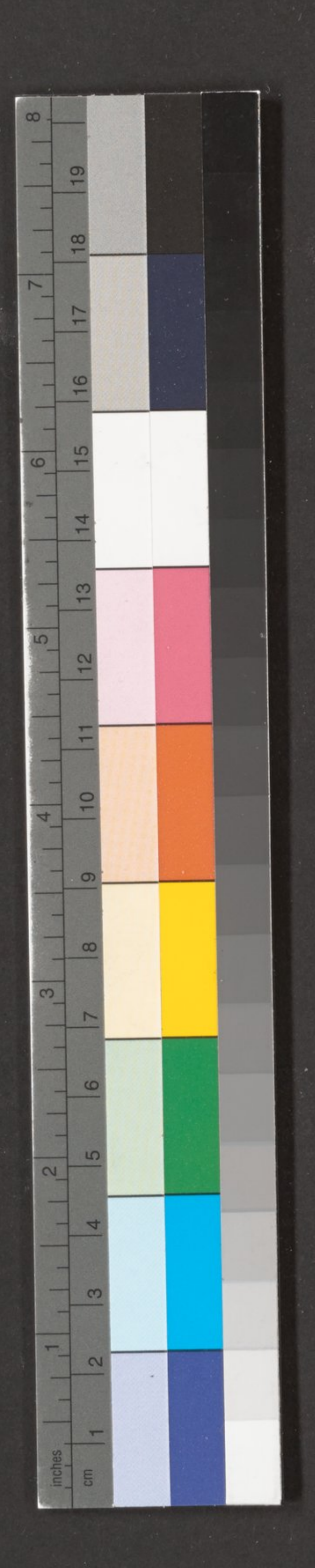
وأيام وصل بالعتيق اقتضيته فالا يكن ميعاده العيد فالفصحا

---

(١) قوبل شعر ابن زيدون على ديوانه شرح الكيلاني مصر .

(٢) ديوانه : ٢٦٩

(٣) ديوانه : ٤



وآصال لهو في مسنّاةِ مالكٍ ... معاطاة ندمان إذ شئت أو سبحا

لدى راكد يصبيك من صفحاته ... قوارير خضر خلتها مردت صرحا

معاهد لذات وأوطان صبوة ... أجلت المعلى في الأماني بها قدحا

ألا هل إلى الزهراء أوبة نازح ... تقضى تنائيها مدامعه نزحا ؟

مقاصير ملك أشرقت جنباتها ... فخلنا العشاء الجون أثناءها صبحا

يمثل قرطيها لي الوهم جهرة ... فقبتها فالكوكب الرحب فالسطحا

محل ارتياح يذكر الخلد طيبه ... إذا عز أن يصدى الفتى فيه أو يضحى

هناك الجمام الزرق تندى حفافها ... ظلال عهدت الدهر فيها فتى سمحا

تعوضت من شدو القيان خلالها ... صدى فلوات قد أطار الكرى ضبحا

اجل إن ليلي فوق شاطىء نيطةٍ ... لأقصر من ليلي بآنة فالبطحا

وهذه معاهد لبني أمية بالأندلس ؛ ومنتزهات حال ملكهم لتلك البلاد ، وكان ابن زيدون يكلف بولادة المهدي فمن قوله فيها :

يا نازحاً وضمير القلب مثواه ... أنستك دنياك عبداً أنت دنياه[١]

الهتك عنه فكاهات تلذ بها ... فليس يجري ببال منك ذكراه

علّ الليالي تبقيني إلى أملٍ ... الدهر يعلم والأيام معناه

وقال يعاتبها على إغفال عهده :

إني ذكرتك بالزهراء مشتاقا

والأفق طلق ووجه الأرض قد راقا[٢]

وللنسيم اعتلال في أصائله ... كأنه رق لي فاعتل إشفاقا

---

(١) ديوانه : ٢٥٨

(٢) ديوانه : ٢٥٧

والروض عن مائه الفضي مبتسم   كما شققت عن اللبات أطواقا

يوم كلذات أيام لنا انصرمت   بتنا لها حين نام الدهر سُراقا

نلهو بما يستميل العين من زهر   جال الندى فيه حتى مال أعناقا

كأن اعينه إذ عاينت أرقي   بكت لما بي فجال الدمع رقراقا

ورد تألق في ضاحي منابته   فازداد منه الضحى في العين إشراقا

كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا   إليك لم يعد عنها الصدر ان ضاقا

لو كان وفىَّ المنى في جمعنا بكم   لكان من اكرم الأيام اخلاقا

لا سكن الله قلبا عنّ ذكركم   فلم يطر بجناح الشوق خفاقا

لوشاء حملي نسيم الصبح حين سرى   وافاكم بفتى أضناه ما لاقى

يا علقي الأخطر الاسنى الحبيب إلى

نفسي إذا ما اقتنى الأحباب اعلاقا

كان التجاري بمحض الود مذ زمن

ميدان انس جرينا فيه اطلاقا

فالآن احمد ما كنا لعهدكم   سلوتم وبقينا نحن عشاقا

وقال يمدح المعتضد :

اما في نسيم الريح عرف معرفِ   لنا هل لذات الوقف بالجزع موقف [1]

فنقضي أوطار المنى من زيارة   لنا كلف منها بما نتكلف

ضمان علينا أن ترار ودونها   رقاق الظُبى والسمهري المثقف

وقومٌ عدىً يبدون عن صفحاتهم   وازهرها من ظلمة الحقد اكلف

---

(١) ديوانه : ٢٣

يودون لو يثني الوعيد زماعنا
وهيهات ريح الشرق من ذاك أعصف

كفانا من الوصل التحية خلسة فيومئ طرف أو بنان مطرف

وإني ليستهويني البرق صبوة إلى برق ثغر إن بدا كاد يخطف

وما ولعي بالراح إلا توهماً لظلم لها كالراح لو يترشف

وتذكرني العقد المرن جمانه مرنات ورق في ذرى الأيك تهتف

فما قبل من أهوى طوى البدر هودج
ولا صان ريم القفر خدرٌ مسجف

ولا قبل عباد حوى البحر مجلس ولا حمل الطود المعظم رفرف

هو الملك الجعد الذي في ظلاله تكف صروف الحادثات وتصرف

رويته في الحادث الإدّ لحظة وتوقيعه الجالي دجا الخطب احرف

طلاقة وجه في مضاء كمثل ما يروق فرندُ السيف والحد مرهف

على السيف من تلك الشهامة ميسم
وفي الروض من تلك الطلاقة زخرف

ولما قضينا ما عنانا أداؤه وكل بما يرضيك داع فملحف

أظنّ الأعادي ان حزمك نائم لقد تعد الفسل الظنون فتخلف

رأيناك في أعلى المصلى كأنما تطلع من محراب داود يوسف

ولما حضرنا الاذن والدهر خادم تشير فيمضي والقضاء مصرف

وصلنا فقبلنا الندى منك في يدٍ بها يتلف المال الجسيم ويُخلف

لك الخير إنيّ لي بشكرك نهضة وكيف أؤدي شكر ما أنت مسلف

أفدت بهيم الحال مني غرة يقابلها طرف الحسود فيطرف

ولولاك لم يسهل من الدهر جانب ولا ذل مقتـاد ولا لان معطف

ولما مات المعتضد رثاه وذكر اكرام المعتمد له وبره فقال :

أعباد يا أوفى الملوك لقد سطا عليك زمان من سجيته الغدر [١]

فهلا عداه إن عليـاك حليـة وذكرك في أردان أيامه عطر

ألأنفس نفس في الورى أقصد الردى وأخطر علق للندى أفقد الدهر

إذا الموت أضحى قصر كل معمر فإن سواء طال أو قصر العمر

ومنهـا :

فهل علم الشلو المقدس أنني مسوّغ حال ضلّ في كنهها الفكر

وان متابي لم يضعه محمد خليفتك العدل الرضى وابنك البر

وارغم في بري أنوف عصابةٍ لقاؤهم جهمٌ ومنظرهم شزر

اذا ما استوى في الدست عاقد حبوةٍ

وقام سماط حافل فلي الصدر

وله بعد فراره من سجن أبي الحزم ابن جهور وقد أقام بقرطبة متواريا ويخاطب الأديب أبا بكر ليشفع له عند أبي الحزم :

شحطنا وما للدار نأيٌ ولا شحطُ

وشط بمن نهوى المزارُ وما شطوا [٢]

أأحبابنا ألوت بحادث عهدنا حوادث لا عقد عليها ولا شرط

لعمركم إن الزمان الذي قضى بشتّ جميع الشمل منا لمشتط

---

(١) ديوانه : ١٤١

(٢) ديوانه : ١٣

وأما الكرى مذ لم أزركم فهاجر زيارتــه غب وإلمامــه فرط
وماشوق مقتول الجوانح بالصدى إلى نطفة زرقاء أضمرهـا وقط
بأبرح من شوقي إليكم ودون ما أدير المنى عنه القتادة والخرط
وفي الربرب الانسي أهوى كناسه
نواحي فؤادي لا الكثيب ولا السقط
غريب فنون الحسن ترتاح درعه متى ضاق ذرعا بالذي حازه المرط
كأن فؤادي يوم أهوى مودعا هوى خافقاً منه بحيث هوى القرط
إذاما كتاب الوجد أشكل سطره فمن زفرتي شكل ومن عبرتي نقط
ألا هل أتى الفتيان أن فتاهم فريسة من يعدو ونهزة من يسطو
وأن الجواد الفائت الشأو صافن تخونه شكل وأزرى به ربط
وأن الحسام العضب ثاو بجفنه وما ذمَّ من غربيه قدٌ ولا قط
عليك أبا بكر بكرت بهمةٍ لها الخطر العالي وان نالها حط
أبي بعدما هيل التراب على أبي ورهطي فذاً حين لم يبق لي رهط
لك النعمة الخضراء تندى ظلالها عليَّ ولا جحد لديَّ ولا غمط
ولولاك لم تثقب زناد قريحتي فينتهب الظلماءَ من نارها سقط
ولا ألفت أيدي الربيع بدائعي فمن خاطري نثر ومن روضه لقط
هرمت وما للشيب وخط بمفرقي ولكن لشيب الهم في كبدي وخط
وطاول سوء الحال نفسي فاذكرت من الروضة الغناء طاولها القحط
مئون من الأيام خمس قطعتها أسيراً وإن لم يبد شدٌ ولا ربط
أتت بي كما ميص الاناء من الأذى واذهب ما بالثوب من درن مسط
أتدنو قطوف الجنتين لمعشر وغايتي السدر القليل أو الخمط

وما كان ظني أن تغرني المنى ... وللغر في العشواء من ظنه خبط

أما وأرتني النجم موطىء اخمصي

لقد أوطأت خدي لا خمص من يخطو

ومستبطىء العتبى إذا قلت قدأنى ... رضاه تمادى العتب واتصل السخط

وما زال يدنيني وينأى قبوله ... هوى سرى منه وصاغية فرط

ونظم ثنائي في نظام ولائه ... تحلت به الدنيا لآليه وسط

على خصرها منه وشاح مفصل ... وفي رأسها تاج وفي جيدها سمط

عدا سمعه عني وأصغى إلى عدى ... لهم في أديمي كلما استمكنوا عط

بلغت المدى إذ قصروا فقلوبهم ... مكامن أضغان أساودها رقط

يولونني عرض الكراهة والقلى ... وما دهرهم الا النفاسه والغبط

ولما انتخوني بالتي لست أهلها ... ولم يمن أمثالي بأمثالها قط

فررت فإن قالوا الفرار أرابهُ ... فقد فر موسى حين هم به القبط

وإني لراج أن تعود كبدئها

لي الشيمة الزهراء والخلق السبط

وحلم امرىء تعفى الذنوب لعفوه ... وتمحى الخطايا مثل مامحي الخط

فمالك لا تختصني بشفاعة ... يلوح على دهري لميسمها علط

يفي بنسيم العنبر الورد نفحها ... إذا شعشع المسك الأحمّ به خلط

فإن يسعف المولى فنعمى هنيئة ... تنفّس عن نفس أنظابها ضغط

وإن يأب الاقبض مبسوط فضله ... ففي يدمولى فوقه القبض والبسط

ولم يزل يروم دنو ولادة ، ويتعذر عليه ، فلما يئس من لقائها كتب اليها يستديم عهدها ، ويعتذر من فراقها بالخطب الذي غشيه ، ويعلمها أنه ما سلا عنها

وهي قصيدة ضربت في الابداع بسهم . وطلعت في كل خاطر ووهم ، ونزعت منزعاً قصر عنه حبيب وابن الجهم أولها :

أضحى التنائي بديلا من تدانينا ... وناب عن طيب لقيانا تجافينا[1]

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا ... شوقا اليكم ولا جفت مآقينا

نكاد حين تناجيكم ضمائرنا ... يقضي علينا الاسى لولا تأسينا

حالت لفقدكم أيامنا فغدت ... سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا

إذ جانب العيش طلق من تألفنا ... ومربع اللهو صاف من تصافينا

وإذ هصرنا غصون الانس دانية ... قطوفها فجنينا منه ماشينا

ليسق عهدكم عهد السرور فما ... كنتم لأرواحنا إلا رياحينا

من مبلغ ملبسينا بانتزاحهم ... حزناً مع الدهر لايبلى ويبلينا

أن الزمان الذي مازال يضحكنا ... انساً بقربكم قد عاد يبكينا

ماحقنا ان تقروا عين ذي حسد ... بنا ولا ان تسروا كاشحا فينا

غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا ... بأن نغصّ فقال الدهر آمينا

فانحل ما كان معقوداً بأنفسنا ... وانبت ما كان موصولا بأيدينا

وقد نكون وما يخشى تفرقنا ... فاليوم نحن وما يرجى تلاقينا

لم نعتقد بعدكم إلا الوفاء لكم ... رأياً ولم نتقلد غيره دينا

لاتحسبوا نأيكم عنا يغيرنا ... ان طالما غير النأي المحبينا

والله ما طلبت أهواؤنا بدلاً ... منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا

ولا استفدنا خليلاً عنك يشغلنا ... ولا اتخذنا بديلاً منك ينسينا

---

(١) ديوانه : ٤

يا ساري البرق غاد القصر فاسق به
من كان صرف الهوى والود يسقينا

ويا نسيم الصبا بلغ تحيتنا … من لو على البعد حيا كان يحيينا

يا روضة طالما أجنت لواحظنا … ورداً جلاه الصبا غضاً ونسرينا

ويا حياة تملينا بزهرتها … منا ضروباً ولذات أفانينا

ويا نعيماً خطرنا من غضارته … في وشي نعمى سحبنا ذيله حينا

لسنا نسميك اجلالا وتكرمة … وقدرك المعتلي عن ذاك يغنينا

إذا انفردت وما شوركت في صفة … فحسبنا الوصف إيضاحاً وتبيينا

يا جنة الخلد بدلنا بسدرتها … والكوثر العذب زقوماً وغسلينا

كأننا لم نبت والوصل ثالثنا … والسعد قد غض من اجفان واشينا

إن كان قد عز في الدنيا اللقاء ففي … مواقف الحشر نلقاكم ويكفينا

سران في خاطر الظلماء يكتمنا … حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

لاغرو في أن ذكرنا الحزن حين نهت
عنه النهى وتركنا الصبر ناسينا

إنا قرأنا الأسى يوم النوى سوراً … مكتوبة وأخذنا الصبر تلقينا

أما هواك فلم نعدل بمنهله … شرباً وإن كان يروينا فيظمينا

لم نجف أفق جمال أنت كوكبه … سالين عنه ولم نهجره قالينا

ولا اختياراً تجنبناه عن كثب … لكن عدتنا على كره عوادينا

دومي على العهد ما دمنا محافظة … فالحر من دان انصافا كما دينا

فما استعضنا خليلا منك يحبسنا … ولا استفدنا حبيباً عنك يثنينا

ولو صبا نحونا من علو مطلعه … بدر الدجى لم يكن حاشاك يصبينا

أبكي وفاءً وإن لم تبذلي صلة فالذكر يقنعنا والطيف يكفينا

وفي الجواب متاع لو شفعت به بيض الأيادي التي ما زلت تولينا

عليك مني سلام الله ما بقيت صبابة بك نخفيها فتخفينا

تم الاختيار من شعر ابن زيدون وأخباره ويليه الاختيار من شعر ابن شرف وأخباره .

شعر

ابن شرف (١)

قال صاحب قلائد العقيان : هو الحكيم الأديب أبو الفضل بن شرف الناظم ، الناثر ، الكثير المعالي والمآثر ، الذي لا يدرك باعه ، ولا يترك اقتفاؤه واتباعه ، إن نثر رأيت بحراً يزخر ، وإن نظم قلد الأجياد دراً تتباهى به وتفخر ، وإن تكلم في علوم الأوائل بهرج الأذهان والألباب ، وولج منها في كل باب ، وهو اليوم بدر هذه الآفاق ، وموقف الاختلاف والاتفاق مع جري في ميدان الطلب إلى منتهاه ، وتصرف بين سماكه وسهاه ، وتصانيف في الحكم ألف منها ما ألف ، وتقدم فيها وما تخلف ، فمنها كتابه المسمى بـ« سر البر » وجزؤه الملقب بـ« نجح النصح » وسواها من تصانيف اشتمل عليها الأوان وحواها . فمن حكمه قوله : العالم مع العلم كالناظر في البحر يستعظم منه ما يرى ، وما غاب عنه أكثر . ومنها : لولا

(١) قوبل شعر ابن شرف على قلائد العقيان .

التسويف كثر العلم . ومنها : الفاضل في الزمن السوء كالمصباح في البراح قد كان يضيء لو تركته الرياح ، ومنها : لا تكن بالحال المتزايدة أغبط منك بالحال المتناهية ، فالقمر آخر إبداره أول إدباره . ومنها : لا تكن بقليلك أغبط منك بكثير غيرك ، فإن الحي برجليه ، وهما ثنتان أقوى من الميت على أقدام الحملة ، وهما ثمان . ومنها : الملتبس بمال السلطان كالسفينة في البحر إن أدخلت بعضه في جوفها أدخل جميعها في جوفه. ومنها: التعليم فلاحة الأذهان ، وليس كل أرض منبتة . ومنها : الحازم من شك فروى ، وأيقن فبادر . ومنها : قول الحق من كرم العنصر كالمرآة كلما كرم حديدها أرت حقائق الصفات . ومنها : رب مسامح بالعطاء على باخل بالقبول . ومنها : ليس المحروم من سئل فلم يعط ، وإنما المحروم من أعطي فلم يقبل . ومنها : يا ابن آدم تذم أهل زمانك وأنت منهم ، كأنك وحدك البريء . كلا بل جنيت وجني عليك ، فذكرت ما لديهم ، ونسيت ما لديك . ومنها : اعلم أن الفاضل الذكي لا يرتفع أمره ، أو يظهر قدره كالسراج لا تظهر أنواره أو يرفع مناره ، والناقص الدنيء لا يبلغ نفعه إلا كهوجل السفينة لا ينتفع بضبطه إلا بعد الغاية في حطه . ومن بديع قوله في قصيدة أولها :

قامت تجرّ ذيول العصب والحبر ضعيفةُ الخطو والميثاق والنظر[1]

تخطو فتولي الحصى من حليها نبذا وتخلط العنبر الوردي بالعفر

غيري الخلي بما تبديه من قلق في الوشح أو غصص تخفيه في الازر

لم أدر هل حنق الخلخال من غضب عليه أم لعب الزنار من أشر

---

(١) القلائد ٢٥٤

تلفتت عن طلى وسنان وابتسمت ... عن واضح مثل نور الروضة العطر

إن نلت رياه لم أطمع بطعمه ... لأن روض الصِّبا نور بلا ثمر

ما لذ للعين نوم بعد ما ذكرت ... ليلًا سمرناه بين الضال والسمر

تساقط الطل من فوق النحور ربه ... تساقط الدر في اللبات والثغر

ومفرق الليل قد شابت ذوائبه ... فبت أدعو له بالطول في العمر

والليل يعجب والظلماء جانحةٌ ... من ساهر يشتكي لليل بالقصر

فبت أجزع من ليل لواضحة ... تبدو وأنجل من روض على سحر

يامن جفا فجفاني الطيف هجرك لي ... بأي عذر فعذر الطيف في السهر

ذكرت بالسفح شملًا غير منصدع ... بالنائبات ونظماً غير منتثر

بكل بيضاء خود خلتُها جمدت ... من السكينة أو ذابت من الخفر

ومنها في وصف السيف

إن قلت ناراً أتندى النار ملهبة ... أو قلت ماءً أيرمي الماء بالشرر

ومنها في وصف الدرع

من كل ماذية أنثى فيا عجباً ... كيف استهانت بوقع الصارم الذكر

وله من قصيدة أخرى أولها

ما الرسم من حاجة المهرية الرسم ... ولا مرام المطايا عند ذي أرم[1]

ردي شبا الخط تهدين الركاب فما ... بالبيد للركب من هادٍ ولا علم

حثي المطي وشدي في دوائرها ... هذا أوان اقتضاء الشد من زيم

---

(١) القلائد : ٢٥٤

ريعت لنبأة سامي السوط فالتفتت — صعر الخدود إلى سواقة حطم

ثبت على صهوات الناجيات وقد — أخفت سروج المطايا صولة اللجم

منوطة بغواشي البيض راحته — كأنما اختلطت بالصارم الخذم

بتنا نكالئ طرف العين عن سنة — والطيف يستأذن الأجفان في الحلم

معرسين بإغفال البطاح لنا — تحت الوشيج مبيت الأسد في الأجم

قامت تغبطني بالحرص سالكة — بين السبيلين لم تقعد ولم تقم

ظنت بي العجز فارتابت فخاصمها — جور الزمان فلم تغدر ولم تلم

إني وان غرني نيل المنى لأرى — حرص الفتى خلة زيدت على العدم

فما عكفت بآمالي على وثن — ولا سجدت بأشعاري إلى صنم

أهل المناظر والألباب خالية — لا يعدمون من الدنيا سوى الفهم

نالوا الحظوظ فما نالوا موافقة — كما تقاسمت الايسار بالزلم

لما رأيت الليالي قد طبعن على — جدب الأسود وخصب الشاء والنعم

رجعت أضحك والإعوال أجدر بي — من ميسر كان فيه الفوز للبرم

تقلدتني الليالي وهي مدبرة — كأنني صارم في كف منهزم

ذهبت بالنفس لا الوي على نشب — وإن دعيت به ابن المجد والكرم

فللمصارع أطراف اليراع يد — بنت لي المجد بين السيف والقلم

ومن مديحها :

وإن أحمد في الدنيا وإن عظمت — لواحد مفرد في عالم الأمم

تهدى الملوك به من بعد ما نكصت — كما تراجع فل الجيش للعلم

رحب الذراع طويل الباع متضح — كأن غرته نار على علم

من الملوك الألى اعتادت أوائلهم　　سحب البرود ومسح المسك باللمم
زادت مرور الليالي بينهم شرفا　　كالسيف يزداد إرهافا على القدم
تسمو انكبات الدهر واختلطوا　　مع الخطوب اختلاط البرء بالسقم
معوق السيل لا تنفك راحته　　من كف معتلق أو ثغر مستلم
مكارمٌ حكمت في ذاته يدها　　فكدت أرحمها من سطوة الكرم
أضنى فؤادي واوهاهُ تحملها　　حتى وضعت يدي منه على ألمي
كأنني إذ أُوالي قبل راحته　　عجزت عن شكره حتى سددت فمي

ومن أخرى أولها :

سروا ما امتطوا إلا الظلام ركائبا　　ولا اتخذوا إلا النجوم صواحبا[1]
وقد وخطت أرماحهم مفرق الدجى　　فبات باطراف الاسنةِ شائبا
وليل كطي المسح جبنا سواده　　كأنا امتطينا من دجاه النوائبا
خطبنا به الظلماء حتى كأنما　　ضربنا بايدي العيس إبلا غرائبا
وركب كأن البيض أمست ضرائبا　　لهم وهم أمسوا لهنَّ ضرائبا
إذا أوبوا صاروا شموسا منيرة　　وإن أدلجوا أمسوا نجوماً ثواقبا
طوال طوال الباع والخيل والقنا　　تخالهم فوق الجياد أهاضبا
فما يحملون السمر إلا عواليا　　ولا يركبون الخيل إلا سلاهبا
اذ اعتقلوا للطعن سمراً عواليا　　أو اتشحوا للضرب بيضاً قواضبا

---

(١) القلائد : ٢٢٥

وطال بليل الدار هم أبت له نجوم الدياجي ان تؤوب غواربا

ومذ وطئت ابناء مروان ذروة من الشرق آلت لاتجب المغاربا

ثوابتُ في جو السماء تخالها بها لبني عبد العزيز مناقبا

وله من قصيدة أولها :

أرح خطاك فحلي النجم قد نهبا

وقد قضى الشرق من وصل الدجى أربا [١]

إنا ركبنا من الظلماء جانحة كأننا من دجاه نمتطي نوبا

سل النجوم هل ارتابت بصحبتنا لما اثرن اليهن القنا السلبا

إذا استمرت بمجرى النجم سالكة خلت المجرة من آثارها ندبا

تهفو الركاب فتهدينا أسنتنا كأنما عارضت أطرافها الشهبا

وباتت الخيل يقدحن الحصى حنقاً حتى تضرم ذيل الليل والتهبا

تلك الفوارس لا تثني أعنتها عن وجهة أوينال السيف ماطلبا

باتوا على نشوة ما هاجها طرب وقد أداروا بكاسات السرى نغبا

إذا اثاروا القنا عن جنح مظلمة شالوا النجوم على أطرافها عذبا

وله يمدح ابا بكر الوزير :

خيال زارني عند الصباح وثغر الشرق يبسم عن أقاح [٢]

وقد حشر الصباح له ونادى فأصغى النجم منه إلى الصباح

وفاض على الكواكب وهو طام فطار النسر مبلولَ الجناح

وزائرة طردت لها منامي وقد عقد الكرى راحاً براحي

---

(١) و (٢) القلائد ٢٥٦

وأدناها الهوى حتى أحلّت وباتت بين ريحان وراح

تهز الغصن في حقف مهيل وتفري الليل عن قمر لياح

وأضناني الهوى فنعت نحولي وهل ينعى النحول على الصفاح

وقد حملت عبء الحب ضعفي كحمل الخصر للكفل الرداح

أحن الى رضاك وفيه برئي كما حن العليل إلى الصباح

وقد احللت حبك من فؤادي محل المال من ايدي الشحاح

سأفزع في هواك لحسن صبري كما فزع الجبان إلى السلاح

واقتدح الرغيبة من ركاب براهنّ السرى بري القداح

تعنف إن رأت شأواً بعيداً ومن يثني الجواد عن الجماح

سرى جبنا به الظلماء حتى سبقنا البائتين إلى الصباح

إذا ونت الكواكب عن مداها حفزناها بأطراف الرماح

ومن كان الوزير له ظهيراً يُسم راعيه في حي لقاح

بحيث الرعيُ في أحوى أحمٍّ وحيث الورد في شبم قراح

من القوم العزيزين أهل العلى والطول والنسب الصراح

أقاموا المجد في سمكٍ علي ومدوا العز في أرض فياح

فآوى كل عاف من ذراهم الى بيض اللُّمى خضر البطاح

وقد قام العُلى عنهم خطيباً وصاح الجودُ حي على الفلاح

بأبنيةٍ وأعمدة طوال وراحاتٍ وساحاتٍ فساح

أبا بكر كتمت علاك حلماً فنم على الرُّبى طيبُ الفواح

فكم تحيي الموالي بامتنانٍ وكم تردي المعادي باجتياح

يمين مُلكت رق المساعي ... وكفٌّ أعذبت ماء السماح

وفضل لاينيب إلى نصيح ... وجود لا يصيخُ لقول لاح

وحلم أوسع الدنيا وقاراً ... وقد خفقت له خفق الجناح

لأعمى الفكر عن عيب الموالي ... أصمِّ الجود عن قول اللواحي

فتى تجدُ الأماني في يديه ... وجود الرّي في الماء القراح

يجلّي حادث الدنيا بوجه ... كأن جبينهُ فلق الصباح

أضاء بوجهه أفق الدياجي ... وقام بكفه علم النجاح

طلعت على العلى من كل باب ... وحزت المجد من كل النواحي

وجاء بك الزمان على اكتهال ... فكنت الروض فاح مع الرواح

فكفٌّ للسيادة ذات بسطٍ ... وطرفٌ للمعالي ذو طماح

غضبت لكل حق مستباح ... ولم تغضب لمال مستباح

فكيف نصرت كل حمىً مذال ... ولم تنصر حمى المال المباح

نوالك من ولاتك ذو تدان ... وقدرك عن عداتك ذو انتزاح

تداركت انصداعاً بانشعاب ... وصيرت الفساد إلى الصلاح

فقد بدلت كرباً بانفراجٍ ... وقد عوضت ضيقاً بانفساح

وداويت الليالي من رداها ... وقد ناديت يا آسي الجراح

فقد أشفيتها من كل داءٍ ... وقد أسقيتها بعد التياح

دعوت المعتفين لغير مأوى ... وأحللت الطريد أعز ساح

فما للفضل فيها من زوالٍ ... وما للمجد عنها من براح

لقد أنسى زمانك كل عيدٍ ... بعزٍ ثابت وأسى مزاح

وذي الأيام اعياد الأيادى　　فكيف تضيفهن إلى الأضاحي

وكتب إليه بعض أصحابه ابن اللبانة هذه الأبيات :

ياروضة أضحى النسيم لسانها　　يصف الذي تُهديه من أرجائها[1]

ومن اغتدى ثم اهتدى لطريقةٍ　　ماضل من يسعى على منهاجها

طافت بكعبتك المعالي إذ رأت　　إن النجوم الزهر من حجاجها

شغلتْ قضيتّك النّفوسُ فأصبحت　　مرضى وفي كفيك سر علاجها

هلا كتبت إلى الوزير برقعةٍ　　تصبو معاطفهُ إلى ديباجها

تجد السبيل لهم ولاتك للمنى　　وينير سعيهم بنور سراجها

انت السماء فما بهالك رقعةٌ　　طلعت عليها الشهب من أبراجها

ضحت مفارق كلِّ فضل عنده　　فاجعل قريضك درة في تاجها

فراجعه أبو الفضل :

يامنجدي والدهر يبعث حربه　　شعثاء قد لبست رداء عجاجها[2]

لله درك اذ بسطت إلى الرضى　　نفساً تمادى الدهر في إخراجها

وارقت ماء الود في نار الأسى　　كالراح يكسر حدها بمزاجها

فيأتني تلك الغمام فبردت　　من غلة كالنار في انضاجها

فأويت تحت ظلالها ووجدت بر　　دنسيمها و كرعت من ثجاجها

حاولت مني أن اطارد حاجة　　مرضت فاعيا الناس باب علاجها

---

(١) القلائد : ٢٥٨

(٢) القلائد : ٢٥٦

قل كيف تنعش بعد طول عثارها ... أم كيف تفتح بعد سد رتاجها

هيهات لاتثنى النفوس لوجهةٍ ... من بعد ما رجعت إلى ادبارها

لأزيد في أمري وضوحاً بعدما ... قامت براهينٌ على منهاجها

فأكونُ إن زدت الصباح أدلةً ... خرقاء تمشي في الضحى بسراجها

دعني ابرد بالقناعة غلة ... يأس النفوس أحقُّ في إثلاجها

بكرٌ بخلت على الأنام بوجهها ... ومنعتها من ليس من أزواجها

وصرفتها محجوبة بصوانها ... مثل السلوك تصان في أدراجها

كالنور في اكمامها والبيض في ... اغمادها والغيد في ادراجها

فالنفس إن ثبتت على أخلاقها ... اعيا على النصاح طول لجاجها

تم الاختيار من شعر ابن شرف ويليه الاختيار من شعر الداني .

شعر

ابو بكر الداني [1]

هو الأديب الشاعر المجيد ذو الباع المديد والانطباع الفريد ابو بكر الداني المعروف بابن اللبانة عفى الله عنه .

فمن شعره قوله يتغزل :

تولى السرب خيفة من يليه ... وأفلت من حبائل قانصيه [2]

---

(١) قوبل شعر ابن اللبانة على قلائد العقيان .

(٢) القلائد : ٢٤٦

على شرف الخميلة كان حتى | توجس نبأةً من خاتليه
فمر على مهب الريح يعدو | بأسرع من مدامع عاشقيه
تعلق آخر البطحاءِ هضبا | تأمل منه خيفة آمليه
وصادف عنده مرعى مريعاً | فاصبح يشرئب ويرتعيه
توجه حيث لم تقفى خطاه | بمنسوب إلى آل الوجيه
بمياع الأديم يكاد يغشي | بنقبته نواظر مبصريه

ودخل ميورقة وتلقاه ملكها ناصر الدولة فأكرمه وزاد في اكرامه فمدحه بقوله:

حنيت جوانحه على جمر الغضى | لما رأى برقاً أضاء بذي الأضا[1]
واشتم في ريح الصبا ارج الصبا | فقضى حقوق الشوق فيه بأن قضى
والتف في حبراته فحسبتها | من فوق عطفيه رداء فضفضا
قالوا الخيال حياته لو زاره | قلت الحقيقة قلتم لو غمضا
يهوى العقيق وساكنيه وان يكن
خبر العقيق وساكنيه قد انقضى
ويود عودته إلى ما اعتاده | واقلما عاد الشباب وقد مضى
ألف السُّرى فكأن نجماً ثاقباً | صدع الدجى منه وبرقاً مومضا
طلب الغنى من ليله ونهاره | فله على القمرين مالٌ يقتضى
مهما بدت شمس يكون مذهبا | وإذا بدى بدرٌ يكون مفضضا
هذا أفاد وفاد غير مقصر | جهد المقل بأن يموت مفوضا

---

(١) القلائد: ٢٤٦

ولرب ربَّة حانـةٍ نبهتُـها   والجو لؤلؤ طله قـد رضرضا
وقد انطفتْ نارُ القرى وبقي على
مسكِ الدُّجى مذرورْ كافور الغَضى
والليل قد سدى والحم ثوبـه   والفجر يرسل فيه خيطاً أبيضا
ومتى ركبت لها أعالي أيكة   نشرت جناحاً للرياض معرضا
والبحر يسكن خيفة من ناصر   أرضى الرياسة بعد فقد المرتضى
ملك سمت علياه حتى دوخت   وزكى ثرى نعـماه حتى روضا
ماءُ الغمائم جرعةٌ ممـا سقى   وسنى الأهلة خِلعة ممـا نضا
حفت عليـه رايةٌ وذؤابـة   فكأن صلاً نحو صلٍ نضنضا

وكان المرتضى رحمه الله تعالى هو الذي أورث ناصر الدولة الملك، فلم يزل يكرم أولياءه، ويبرهم ويتفقدهم بما يسرهم. وقال يمدحه بقصيدة أولها:

هلا ثناك علـيَّ قلبٌ مشفق   فترى فراشاً في فراشٍ يحرق[1]
أتت المنية والمنى فيك استوى   ظـلُّ الغمامـة والهجير المحرق
لك قد ذابلة الوشيج ولونُها   لـكن سنانك أكحل لا ازرق
ويقال إنك ايكة حـتى إذا   غنيـَّت قيل هو الحمام الأورق
يا من رشقت إلى السلو فردني   سبقت جفونك كلّ سهم يرشق
لو في يدي سحر وعندي أخذة   لجعلت قلبك بعد حين يعشق
جسدي من الأعداء فيك لأنه   لا يستبين لطرف طيفٍ يرمق

---

(١) القلائد: ٢٤٧

لم يدر طيفك موضعي من مضجعي … فعذرته في أنه لا يطرق
جفت لديك منابعي ومنابتي … فالدمع ينشع والصبابة تورق
وكأن أعلام الأمير مبشر … نشرت على قلبي فأصبح يخفق
الخيزرانةُ تلتظي في كفه … والتاج فوق جبينه يتألق
وكأن صوب حياً وصعقه بارقٍ … ما ضم منه نديه والمأزق
متباعدُ الطرفين جودٌ غافلٌ … عما يحل به وعزمٌ مطرق
بأسٌ كما جمد الحديد وراءه … كرمٌ يسيل كما يسيل الزئبق
لا تعجب الأملاك كثرة مالهم … النبعُ أصلبُ والأراكة أورق
ضدان فيه لمعتدٍ ولمعتفٍ … السيفُ يجمع والعطاء يفرق

ومنها :

وبنو الحروب على الحرابي التي … تردي كما تردي الجياد السبق
خاضت غدير الماء سابحةٌ به … فكأنما هي في سراب أنيق
ملأ الكماة بطونها وظهورها … فأتت كما يأتي السحاب المغدق

وقال فيه :

رأت بك أوجه العليا مياها … وعاد على لواحظها كراها[1]
وجاءت فيك السنة المعالي … بآيات تشرف من تلاها
سواك يسير في أرضٍ فأما … خُطاك فبالمجرة لا سواها
كأن الشهب إذ تجري لسعد … تخط لك الطريق على ذراها

وله أيضاً :

(١) القلائد : ٢٤٨

بكت عند توديعي فما علم الركب ... أذاك سقيط الدرأم لؤلؤ رطب؟[1]

وتابعها سربٌ وإني لمخطئ ... نجومُ الدياجي لا يقال لها سرب

لئن وقفت شمس النهار ليوشع ... فقد وقفت شمس الهدى لي والشهب

عقيلة بيت المجد لم ترها الدجى ... ولا لمحتها الشمس وهي لها ترب

ظبى الهند مما ذب عنها وإنما ... تلطف لي فيها بخدعته الحب

سرت وبروج النيرات قبابها ... وقدامها من كل خاطفة قبّ

وما دخلت إلا المجرة وادياً ... فليس لها إلا باعطانها شرب

وبحرٌ سوى بحر الهوى قد ركبته ... لأمر كلا البحرين مركبه صعب

غريبٌ على جنبي غراب نهوضه ... بقادمتي ورقاء مطلبها شعب

كأني قذى في مقلة وهو ناظر ... بها والمجاذيف التي حولها هدب

ولما رأت عيني جناب ميورقٍ ... امنت وحسب المرء بغيته حسب

نزلت بكافورٍ وتبرٍ وجوهرٍ ... يقال لها الحصباء والرمل والترب

وقلت المكان الرحب أين فقيل لي ... ذرا ناصر العلياء اجمعه رحب

ثم ان الناصر تغير له وجفاه ولم يراع قديم صحبته واخاه فكتب إليه يستعطفه بقوله :

نسيمك حتام لا ينبري ... وطيفك حتام لا يعتري؟[2]

أتذكر أيامنا بالحمى ... وأيامنا بجوى الأعصر ؟

---

(١) القلائد : ٢٤٨

(٢) القلائد : ٢٥٠

ألا رأفـة من وفيٍّ صفي ... ألا عطفةٌ من سنيٍّ سري

رمى زحـلُ في أظفـاره ... وحلّ يداً عـني المشتري

عطاردُ هل لك من عودةٍ ... فأرجع منك إلى عنصري

سيطلبني الملكُ مهما أراد ... لباس نسيـجٍ من المفخر

ولو أن كل حصـاة تزين ... لما جعل الفضل للجوهر

فلم يجبه .

فكتب إليه أيضاً :

اذكـر من لم ينس عهداً ولا ينسى

وأبسط في أكنـاف ساحتنـا النفسا[1]

وأُنشئها خلقاً جديداً واغتدي ... بظلّ علاه اعتدي معه الأنسا

والبس ريعان الشباب وطـالما ... لبست الخطوب السودماذيةورسا

وإني وإياه لمزنٍ وروضـةٍ ... يباكرني سقيا واز كوله غرسا

صفا بيننا من خالص الود جوهر ... غلبنا به في نور جوهرها الشمسا

وما أنا إلا من عُلاه مكون ... غدوت له نوعاً وأصبح لي جنسا

مكارمهُ مرعى إلى جنب معقلٍ ... أرود إذا أضحى وآوي إذا أمسى

واورد خمساً كل يوم بمائه ... وكم لي دهر قد مضى لم ارد خمسا

أبا القاسم اشرب قهوة العز وانتقل

ثنائي ومن فضل الكؤوس اسقني كأسا

وخذ بيدي من عثرة قصرت يدي ... وكنت أخا بأس فلم تبق لي بأسا

رميت لها فضفاضتي ومهندي ... وخطيتي والنبل والقوس والترسا

(١) القلائد : ٢٥٠

ثغور المعـالي قابلتـك ضواحكا

فصل لثمها وامصص مراشفها اللعسا

وأجيادها مالت عليك نواعمـاً كما مالت الاغصان فانعم بها لمسا

ولا ذكر في الافواه حاشاك إنما صفاتك آيات ولعنا بهـا درسا

اليك بهـا دراً تلقب أحرفـا وقطعة ديباج يسمونهـا طرسا

وفضلك في الاغضاء عما بعثته فليس يجيد الشعر من عدم الحسا

فلما لم يجبه الناصر عزم على الارتحال .

وقال يودع اخوانه :

أقول تحية وهي الوداع خداعاً لي ومـا يغني الخداع[1]

أعلل بالمنى قلبـاً شعاعـاً ولن يتعلل القلب الشعاع

واترك جيرةً جاروا وشدوا اضاعوني واي فتى اضاعوا

إذا لم يرع لي أدب وبأس فلا طال الحسام ولا اليراع

لقد باعتني الايام بخساً وعهدي بالذخائر لا تباع

أجفتني ولم ينبت ربيع وحطتني ولم يثبت يفاع

ومكّنت العدى مني فعاثت باحمي ضعف ما عاث السباع

ثم قال يعاتب ناصر الدولة ويودعه :

سلام على المجد يندى بليلا كنشر الربى بكرة أو أصيلا[2]

سلام و كنت أقول الوداع ولكن أدرج قلبي قليلا

اخاف عليه انصداع الصفاة والا يكون زجاجا عليلا

جرحت لديك و كنت البري كما يجرح اللحظ خداً أسيلا

---

(١) و (٢) القلائد ٢٥١

ولو لم أكن ماضي الشفرتين ... لما فلني الدهر عضبا صقيلا

أتت ذلةٌ منك محبوبة ... فلم أرض بالعز منها بديلا

تلقيت فيها سواد الخطوب ... فاشبه عندي طرفاً كحيلا

تم الاختيـــار من شعر الداني وأخباره ، ويليه الاختيـــار من شعر الاستاذ الاديب ابي محمد بن سارة الشنتريني الاندلسي عفى الله عنه .

شعر

ابن سارة[1]

قال صاحب قلائد العقيان: هو سابق الحلبة ، وعقد تلك اللبة ، لايشق غباره في ميدان النظام ، ولا تنسى أخبـاره في قلة ارتباط وانتظام ، فمن قوله يمدح القاضي أبا امية :

قدمت بين يدي مديحك هذه ... والوبل يبدو أولا برذاذه[2]

والسهم يبدو في ترنم قوسه ... مقدار غلوته وكنه نفاذه

والطرف يعلم عتقه في طرفه ... قبل احتباء الحضر في افخاذه

وكذا المهند يستبان مضاؤه ... في صفحتيه ولم يقع بجذاذه

كم ذا يعذبني الرجاء ولا أرى ... للحظ إقبـالاً على إغذاذه

والذكر منك على لسان مودتي ... احلى من البرني أو آذاذه

---

(١) قوبل شعر ابن سارة على قلائد العقيان .

(٢) القلائد ٢٥١

في قلب ليل قطعته عزائمي فبكت فراقده على افلاذه

أو في رداء ضحى تراه معصفراً عند الأصيل بجمرة من ذاذه

وسراب كل ظهيرة مترقرق يختال عطفي في ملاءة لاذه

والركب من كأس الكرى مترنح كالشرب في المأخوذ من كلواذه

والشمس في كف الهواء سنجنجل يتوقد الهندي من فولاذه

إن قابلت مرآة رأيك أبصرت منها شبيها في يدي انفاذه

لو ان عدلك يجتديه زماننا لم يلقنا بالجور في استحواذه

ولكان بالاسعاف يلقى ناظري فيطوف منه بركنه وملاذه

اصبحت ليثاً في مخالب ثعلب من مطلي في روغه ولواذه

استاذه الزمن الخبيث وللفتى شيم تلوح عليه من أستاذه

للناس عيش درت الدنيا لهم من دوننا بنعيمه ولذاذه

اخذوه موفوراً كما شاؤوا ولم يؤذن لنا فنكون من اخاذه

حضروا وغبنا شذذاً ولربما حرم الغنى من كان من شذاذه

وأراهم هذوا وابطأنا وقد يدنو بعيد الخطو من هذاذه

ليست تؤد أخا اقتضاء غيلةٌ مستظهراً فيها بخفة حاذه

فذاً إذاً زحف الزمان بجمعه رفض الجميع وحل في افذاذه

يصمي الافن من السهام وربما أنمى المريش على وفور قذاذه

والمرء قد يجنى الرضى من سخطه كالليث يفرس وهو في اسفاذه

وقذ الزمان جوانحي ووقذته فانظر إلي موقوذه ووقاذه

إن صد عن رمحي بثغرة نحره فسنان رمحي واقع في كاذه
لما ذكرتك لاذ بين صروفه يبغي النجاة ولات حين لياذه
إني منيت من الزمان بصاحب قاسي الفؤاد خبيثه لوآذه
وافيتُ مرسية فوافى قائلا بتصلّف ما شاء ليست هذه
فمتى اصول عليه يا ابن عصامها سباق ميدان العلى بذاذه
ومتى أرى سعيي بدهري هازلا
وعلاه منه يجد في استنقاذه
يا ويح قلبي كم يضيق وكامه يسع الفجاج الفيح في إنقاذه
زادت عوائق دهره في برحة اذ حان منها عوذه بمعاذه
قاض تقابلنا حبا ابراده بابي هريرة في التقى ومعاذه
ظمئت إلى ماء الفرات جوانحي وانا مقيم في ثرى بغداذه
ناديتُ بدر التم إن شئت السنى من غير نقص فالقه أو حاذه
فلألفين به الزمان وأهله في تيه قيصره وزهو قباذه

وكتب اليه يستنجده :

اشيع أيامي بليتَ وعلما وأشغل او صافي بما وكأنما[1]
وأزمع يأساً ثم اذكر انني بحضرة أزكى الناس فرعاً ومنتمى
فارتقبُ العتبى وأشدو تعللا عسى وطن يدنو بهم ولعلما
أفضه علينا كوثرياً لعله يبرد ناراً في الحشا من جهنما
ورد جوابي وهي تثني صوامتا كفاها لسان الحال أن تتكلما

---

(١) القلائد : ٢٦٣

فما جئتُ جالينوس مستشفعاً بـه

ولا علتي حين المسيـح بن مريـا

وقال يمدح الأمير أبا بكر بن ابراهيم ، وقد قدم غرناطة والياً لأمرها، فدخل في جملة من الشعراء ، وأنشدها بين يديه :

اليوم أخمدت الضلالة نارهـا   واسترجعت دار الهدى عمارها[1]

واستقبلت حدق الورى غرناطة   وهى الحديقة فوفت ازهارها

فكأن تشرينا بهـا نيسان إذ   يكسو رباها وردها وبهارهـا

في غب سارية ترقرق ادمعـا   يحكي الجمان صغارها وكبارها

ما شئت من نهر كصدر عقيلة   شقت أناملهـا عليه صدارها

أو جدول كالنصل في يد ثائر   أمهى صحيفته وهز غرارهـا

مـا بين اشجار تميد كأنها   شراب جريال يدير عقارهـا

مترنحون إذا لحاهـا عاذلٌ   تركت سكون حلومها ووقارها

لله أروع من ذوائب حمير   راع العداة فما تقر قرارهـا

راقت به أرض الجزيرة عزمة   خلعت على حب الجمان عذارها

مـاهاله بيد تعسفهـا ولا   لجج كجنح الليل خاض بحارها

في فتية تسري إلى نصر الهدى   فتظنهم سدف الدجى اقمارها

خضبوا السواعد بالرقـاق تفـاؤلا

أن سوف تخضب بالنجيع شفارهـا

وتلثموا صوناً لرقة أوجه   جعل السماح شعارها ودثارها

---

(١) القلائد : ٢٦٤

المنعمين على العفاة إذا وشوا والناقضين على العدى أوتارها
غرسوا الايادي في ثرى معروفهم فجنوا بألسنة الثناء ثمارها
لم لا تراح شريعة التقوى بهم وجفونها منهم ترى انصارها
ضربوا سرادق بأسهم من دونها وقد اشرأبّ الكفر يهدم دارها
فوقوا بخرصان الرماح جنابها وحموا بقضبان الصفاح ذمارها
ومسومات شزب إن أحفرت نفضت على ثوب السماء غبارها
لبسوا القلوب على الدروع فدوخوا
أرض العدى وأستأصلوا كفارها
شهب إذا أوقت على أفق الوغى جعلت أبا يحيى الامير مدارها
متلثم بالصبح فوق أسرةٍ تهدي إلى شمس الضحى انوارها
أورت زناد المسلمين له يد بالنجح تقدح مرخها وعفارها
حاشا لأزند شرعنا من كبوة ويد ابن ابراهيم توري نارها
أصفى مواردها أزاح سقامها أرخى حرارتها اقال عثارها
أوليّ امة احمد ابهجتها
مذ صرت من جور الحوادث جارها
جلبت لك الأنعام ضرعا حافلا ورنت على افنانها اطيارها
وأرى زناد الرأي منذ قدحتها أوريت في مقل النجوم شرارها
وحُط الرعية في مريع جنابها واراب ثآها واصطنع احرارها
وزد الاكابر من بنيها خطة واردد كباراً بالحباء صغارها
واقذف بحور المشركين بجحفل يمحو معالم أرضها ومنارها
لجب تظن السابغات بموجه زرقا ونقع السابحات بحارها

واحلل عرى تلك الجماجم إنها عقدت على بغض الهدى زنارها

وكأنني بك قد ثللت عروشهم وسلبت بيضة ملكه جبارها

وقتلت من انجادها انجادها وصرعت في اغوارها اغوارها

لاترض منهم بالنفوس تحوزها سمر القنا حتى تحوز ديارها

وترى بها عيناك عين ضلالها ويد الهدى فيها تشق زرارها

صمتت سيوفك في الغمود وجردت يوم النزال فحدثت اخبارها

لما احتست خمر الهياج نصالها أهدت إلي هام الطغاة خمارها

زارتك في قصر الإمارة كاعب زانت محاسن جيدها تقصارها

رضعت من الاداب محض لبانها وتجنبت ممذوقها وسمارها

تثني الليالي هائمات كلما نفثت علي بسحرها اسحارها

فاجعل جفون رضاك في أعطافها كرما وشرف بالقبول مزارها

وله في الزهد :

يامن يصيخ الى داعي السقاةِ وقد نادى به الناعيان الشيب والكبر [1]

إن كنت لاتسمع الذكرى ففيم ثوى في رأسك الواعيان السمع والبصر

ليس الاصم ولا الأعمى سوى رجل لم يهده الهاديان العين والاثر

لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا الفلك الأعلى ولا النيران الشمس والقمر

ليرحلنّ عن الدنيا وإن كرها فراقها الثاويان البدو والحضر

---

(١) القلائد : ٢٦٦

وقال أيضاً من كلمة له :

تنمر الدهر حتى ما فرقت له من قسوري الدجى في فروة النمر[1]

لابد ان يقطع المطلوب في شركي ولو بنى داره في دارة القمر

قاضي الجماعة في دار الامارة لي قاض على الدهر إن لم يقض لي وطري

لولا ضلوع تواري نار فطنته لأحرقت وجنات الشمس بالشرر

وقال يمدح القاضي أبا أمية ابراهيم بن عصام رحمه الله تعالى :

يامن عزائمه أمضى اذا انتضيت من حادث الدهر اذ يسطو بها القدر[2]

ومن إذا بدا في أفق مكرمة جبينهُ المسفر استخذى له القمر

عين الرجاء إلى عُلياك شاخصة في حاجة أنت فيها السمع والبصر

فاجر الصفوف إلى استنزالها قدماً وصاحباك بها التأييدُ والظفر

حتى تلاقي من قاضي القضاة بها شمساً أنارت بها الأحكام والسير

في حبوتيه إذا استقبلته ملكٌ مقدس الروح إلا أنه بشر

أضفى على الدين ابرادالشباب فقل صديقه البر أو فاروقه عمر

من ادعى الشرك في اكرومة معه فاغلظ عليه وقل للعاهر الحجر

وقل له ماترى في روضة أنف وافت ليسقيها من جودك المطر

وقال يمدحه ايضاً :

ها كها كالجنوب ترجي القطارا طافح الورد نفحها والعرارا[3]

في جبين من حالك الحبر تبدي لك ليلاً من طرسه ونهارا

---

(١) القلائد : ٢٦٦

(٢) و (٣) القلائد : ٢٦٨

رقّ ديباجه فراق زلالاً حيث دارت به النواسم دارا

تتلالا من المعاني شموسٌ فوق صفحيه تخطف الأبصارا

خجل الصبح من شكاتي فاهدى سوسن الخد منه والجلنارا

ورآني بلا عقار فكادت صفحةً منه تستهل عقارا

ورآني السحاب أسحب حالا ذات عدم فذاب ماء ونارا

عثر الدهر بي وقد جئت حراً ذاكي الأصل ينعش الأحرارا

ان تكن عصمة فإن عصاما جده لم يزل يقيل العثارا

قاضي الشرق أشرقتني بريقي نائبات يطلبن عندي ثارا

لا لذنب إلا لأني أديب طاب عود منه فكان نضارا

اجلُ دُراً يرق حسناً وإن كانت ضُلوعي تهفو عليه حرارا

حاش لي أن أزفها ثيبات عُنُساً بل كواكباً ابكارا

طلعت في اهلةٍ من ضلوع لي تجلو بناتُها أقمارا

أرضعتها دُرّ البلاغة منها أمهاتٌ لم تحتلب أظآرا

وأرتك الرياض منها كمام جادها النبّل وابلا مدرارا

ما على بابلٍ لو استقبلتها فاجتنت من ثمارها الأسحارا

كل خمرية ولم تسق خمرا تلبس الحسن والدلال خمارا

تذر السامعين يثنون اعطافا سُكارى وما هم بِسكارى

لو تغلغلن في مسامع رضوى لانثنى راقصاً وخلى الوقارا

ليس في فسحة من العذر إلا من صبا خالعاً إليها العذارا

وجهها أجزل المهور فلولا أنت ما أدلجت بهنّ المهارى

أبصرتها النجوم أشرق منها　　فسرت تخبط الظلام حيارى

وقال ايضاً :

للرزق أسبابٌ ومن اسبابهِ　　اعمال ناجية وشد حزام[1]
حرفٌ كأني فوق عوج ضلوعها　　ألفٌ أُقيمت فوق عطفة لام
وكأن زورتها ربابة ياسرٍ　　لزمت باربعةٍ من الأزلام
لم يبق منها نصفُها إلا سفى　　كالريح تمُسكه يدي بزمام
من نام عن حاجاته لم يلقها　　إلا بواسطة من الأحلام
شيئان في الأسفار يكتنفانها　　كسب الخطير وصحّة الأجسام
لا أم لي إن لم أيمِّم مسلكا　　يهدي الحياة إليَّ فيه حمامي
فالعذب يأجن طعمه مالم يكن　　ينساب بين أباطحٍ وأكام
والعضب يدركه الصدى مالم يبل　　في كل معركة بضرب الهام
خيمت من خرق بأرض مضيعةٍ　　والرأي خلفي والهوى قدامي
حتى رأيت العجز أودى بي كما　　أودى الغرام بعروة بن حزام
أكل الخمول بهابنات خواطري　　أكل الوصيِّ ذخائر الأيتام
يادهر دعوة من يؤمل أن يُرى　　بعلاك منتصفا من الأيام
فأثيل مجدك نلته عن آدم　　وسُموُّ قدرك حزته عن سام

تم الاختيار من شعر أبي محمد بن سارة وأخباره ويليه الاختيار من شعر أبي جعفر الأعمى الطليطلي .

(١) القلائد : ٢٧٢

شعر

أبي جعفر الأعمى (١)

قال صاحب قلائد العقيان : له ذهن يكشف الغامض الذي يخفى ، ويعرف رسم المشكل وإن كان قد عفى ، أبصر الخفيات بفهمه ، وقصر فكها على خاطره ووهمه ؛ فجاء بالنادر الذي أعجز ، وعطل التطويل بالمقتضب الموجز ، ونظم أخبار الأمم المتفرقة في لبة القريض ، وأسمعها أطرب من نغم معبد والغريض ، وكان بالأندلس سر الإحسان ، ومزرياً على زياد وحسان ، إلا أنه لم تطل أيامه ، فأصبحت نواظر الأدب بعده رمدة ، ونفوسها كمدة ، وقد أثبت له ما يبهر سامعه ويثني إليه الإحسان مسامعه ، فمن ذلك قوله :

مللت حمص وملتني ولو نطقت ... كما نطقتُ تلاحينا على قدر (٢)
وسولت لي نفسي أن أفارقها ... والماء في المزن أصفى منه في الغدر
أما اشتفت مني الأيام في وطني ... حتى تضايق فيما عز من وطري
ولا قضت من سواد العين حاجتها ... حتى تكر على ما كان في الشعر

وله في الغزل :

هو الهوى وقديماً كنت أحذره ... السقم مورده والموت مصدره (٣)

---

(١) قوبل شعر الطليطلي على قلائد العقيان .

(٢) القلائد : ٢٧٣

(٣) القلائد : ٢٧٤

يا لوعــة وجلا من نظرة أمل الآن أعرف رشداً كنت أنكره
جدٌّ من الشوق كان الهزل أولَّه اقل شيء إذا فكرت أكثره
ولي حبيب دنا لولا تمنُّعــه وقد أقول نأى لولا تذكُّره

وقتل فتى من فتيان اشبيلية غيلة ، ولم يعلم قاتله ، وكان جواداً معروفاً بالكرم ومكارم الأخلاق مع كونه عيناً من أعيــان البلد ، وكان محسناً إلى أبي جعفر المذكور ، جميل الرأي فيه ،كثير التفقد له ، فجزع عليه جزعـاً شديداً ، وقال يرثيه بهــذه القصيـدة ، وهي من مختار المراثي :

خـذا حدثاني عن فلٍ وفلان لعلِّي أرى باقٍ عـلى الحدثان[1]
وعن دولٍ حسن الديار وأهلها فنين وصرف الدهر ليس بفان
وعن هرمي مصر الغداة أمتعا بشرخ شبابٍ أم همُا هرمان
وعن نخلتي حلوان كيف تناءتا ولم تطويا كشحاً على شنـآن
وطال ثواء الفرقدين بغبطـة أما علمـا ان سوف يفـترقان
وزايل بين الشعريين تصرفٌ من الدهر لا وانٍ ولا متوان
فإن تذهب الشعرى العبور لشأنها فـإن الغميصا في بقيـة شان
وجُـنَّ سهيل بالثريا جنونـهُ ولكن سلاه كيف يلتقيان
وهيهات من جور الزمان وعدله شآميـةٌ ألوت بـدين يمـاني
فأجمع منهـا آخر الدهر سلوة عـلى طمع خـلاه للدبران
وأعلن صرف الدهر لابني نويرةٍ بيومِ ثنـاءٍ غـال كلّ تدان
« وكنا كندماني جذيمة حقبةً من الدهر » لو لم تنصرم لأوان
وهان دمٌ بين الدكادك واللوى وما كان في أمثالهـا بهـان

(١) القلائد : ٢٧٤

فضاعت دموع بات يبعثها الاسى | يهيجه قبرٌ بكلّ مكان
ومال على عبس وذبيان ميلةً | فأودى بجني عليه وجان
فعوجا على جفر الهباءة واعجبا | لضيعة اعلاق هناك ثمان
دماءٌ جرت منها التلاع بملئها | ولاذحل الا أن جرى فرسان
وايام حرب لا ينادى وليدها | أهاب بها في الحيّ يوم رهان
فآب ربيعٌ والكلابُ تهرّه | ولا مثل مودٍ من وراء عُمان
وأنحى على ابني وائلٍ فتهاصرا | غصون الردى من كرّة ولدان
تعاطى كليب فاستمر بطعنةٍ | أقامت لها الأبطال سوق طعان
وبات عديٌ بالذنائب يصطلي | بنار وغى ليست بذات دخان
فذلت رقابٌ من رجال أعزةٍ | إليهم تناهى عز كل زمان
وهبوا يلاقون الصوارم والقنا | بكل جبين واضح ولبان
فلا خدّ إلا فيه حدٌّ مهنّدٍ | ولا صدر إلا فيه صدر سنان
وصال على الجونين بالشعب فانثنى | بأسلاب مطلولٍ وربقة عان
وأمضى على أبناء قيلة حكمهُ | على شرس أدلوا به وليان
ولو شاء عدوان الزمان ولم يشأ | لكان عذير الحي من عدوان
وأي قبيل لم يصدع جميعهم | ببكرٍ من الأرزاءِ أو بعوان
خليليّ أبصرت الردى وسمعته | فإن كُنتما في مريةٍ فسلاني
خذا من فمي هلاّ وسوف فإنني | أرى بهما غير الذي تريان
ولا تعداني أن أعيش إلى غدٍ | لعلّ المنايا دون ما تعداني
ونبهني ناع من الصبح كلما | تشاغلت عنه عنّ لي وعناني



أغمض أجفـاني كأني نائم … وقـد لجت الأحشاءُ بالخفقان

أبا حسن أما أخوك فقد مضى … فوا طول لهفي ما التقى أخوان

أبا حسن إحدى يديك رزئتها … فهل لك بالصبر الجميل يدان ؟

أبا حسن غر المـذاكي شرّفا … تجر إلى الهيجاءِ كل عنان

أبا حسنٍ ألق السلاح فإنهـا … منايا وإن قال الجهول أمـاني

أبا حسنٍ هل يدفع المرءُ حينه … بأيد شجاع أو بكيد جبان

أبا حسنٍ إن المنـايا وقيتهـا … إذا أتلفت لم تتبع بضمان

أقول كأني لست أحفل وانبرت … دموعي فأبدت ما يجن جناني

أبا حسن إن كان أودى محمد … وهيهات عدوي فيك من رسفاني

أجدك لم تشهده إذ أحدقوا به … ونادى بأعلى الصوت يال فلان

توقوه شيئاً ثم كرو ا وجعجعوا … بأروع فضفاض الرداءِ هجان

أخي عزمـات لايزال يحثهـا … بحزم مُعينٍ أو بعزم مُعان

رأى كلّما يستعظم الناس دونه … فولى غنياً عنـه أو متغاني

فتىً كان يعروري الفيافي والدجى … ذوات جماح أو ذوات حران

تداعت له ابيات بكر بن وائل … ولم ترجعنه لا ظفرت بشاني

بنفسي وأهلي أيّ بدر دجنة … لست خلت من دهره وثمان

وأيّ أبيٍّ لا تقوم له الربا … ثنى عزمـهُ دون القرارة ثان

وأي فتىً لو جاءكم في سلاحه … متى صلحت كفٌّ بغير بنان

يقولون لا يبعد ولله دره … وقد حيل بين العير والنزوان

ويـأبون إلا ليتـه ولعلّه … ومن أين للمقصوص بالطيران

رويد الأمـاني ان رزء محمـد … عدا الفلك الأعلى عن الدوران

وحسب المنـايا أن تفوز بمثله … كفاكِ ولو أخطأتـه لكفاني

سقاك كدمعي أو كجودك وابل   من المزن بين السحِّ والهملان
شآبيب غيثٍ لا تزال ملثة   بقبرك حتى يلتقي الثريان
أبا حسنٍ وفِ اعتزاءك حقه   فقد كنتما أرضعتما بلبان
تماسك قليلا لست أول مبتلىً   ببين حبيب أو بغدر زمان
أثا كلتيه والثواكل جمة   لو انكما بالناس تأتسيان
أذيلا وصونا واجزعا وتجلَّدا   ولا تأخذا إلا بما تدعان
وعودا على الباقي المخلّف فيكما   بفضل حنوٍ منكما وحنان
خذاه فضماه إلى كنفيكما   فإنهما للمجد مكتنفان
لعلكما ان تستظلا بظلّه   غدا إن هذا الدهر ذو ضربان
لشعرٍ كما السلوان إن محمداً   مجاور حور في الجنان حسان

وقال يمدح القاضي أبا الحسن علي بن القاسم بن عشيرة بقصيدة منها :

كم مقلة ذهبت في الغي مذهبها   بنظرةٍ هي شان أولها شان[1]
رهنٌ بأضغاث أحلام إذا هجعت   وربما حلمت والمرء يقظان
فانظر بعقلك إن العين كاذبة   واسمع بحسِّك إن السمع خوان
ولا تقل كلّ ذي عين له نظرٌ   إن الرعاة ترى مالا ترى الضان
دع الغنى لرجال ينصبون له   إن الغنى لفضول الهم ميدان
واخلع لبوسك من شح ومن أمل   لا يقطع السيفُ إلا وهو عريان
وصاحبٍ لم أزل منه على خطر   كأنني علمُ غيب وهو حسان
أغراه حظ توخاه وأخطأني   أما دري أن بعض الرزق حرمان؟

---

(١) القلائد : ٢٧٩

وغره أن رآه قد تقدمني　　كما تقدم بسم الله عنوان

ومن مديحها :

اني استجرت على ريب الزمان فتى
إن لا يكن ليث غاب فهو إنسان

حسبي بعليا عليّ معقلا أشباً　　زمان سرّى بهفي الامنِ أزمان

صعبُ المراقي ولكن ربما سهلت　　على المنى منه أوطارٌ واوطان

الواهب الخيلَ عقبانا مسومة　　لو سومت قلبها في الجوّ عقبان

من كل ساع أمام الريح يقدمها　　منه مهاة وان شاءت فسرحان

دجنة تصف الانوار غرتها　　ونبعة يدّعي أعطافها البان

عصا جذيمة إلا ما أتيح لها　　من أمر موسي فجاءت وهي ثعبان

ومنها في وصف السيف :

هيم رواء لو أن الماء صافحها　　لزالَ او زلّ عنها وهو ظمآن

يكادُ يحلق مهراقُ الدماء بها　　فلا تقل هي أنصاب وأوثان

موتي فإن خلعت أثوابها علمت　　أن الدروعَ على الابطال أكفان

نفسي فداؤك لا كفءاً ولا ثمناً　　ولو غدا المشتري منها وكيوان

والتبر قد وزنوه بالحديد فما　　ساوى ولكن مقاديرٌ وأوزان

تم الاختيار من شعر أبي جعفر الاعمى وأخباره ، ويليه الاختيار من شعر أبي بكر بن تقي الاندلسي وأخباره .

شعر

يحيى بن تقي الاندلسي[١]

قال صاحب قلائد العقيان :

هو رافع راية القريض ، وصاحب آية التصريح فيه والتعريض أقام شرائعه وأظهر روائعه ، وصار عصيه طائعه ، اذا نظم أزرى بنظم العقود ، وأتى بأحسن من رقم البرود ، ولكنه ضفا عليه حرمانه وما صافاه زمانه ، فصار قعيد صهوات ،وقاطع فلوات ، مع توهم لايظفره بأمان ، وتقلب ذهن كواهي الجمان ،وقد أثبت له من قوله ما يستحلى ويتزين به الزمان ويتحلى .

فمن ذلك قوله :

عندي حشاشةُ نفس في سبيل ردىً
إن سمتها اليوم لم أمطل بها لغدِ[٢]
وكيف أقوى على السلوانِ عنك وقد
ربيت حبّك حتى شاب في خلدي
خذها وهات ولا تمزج فتفسدها
الماءُ في النار أصلٌ غير مطرد

ومن قوله :

وقالوا ألا تبكي وتلك مطيهم
على الشُّهب يحملن الخرائد كالدمى[٣]
لئن بعُدت مني الدموع تغامزوا
وقالوا سلا اولم يكن قبلُ مغرما
فهلا أقاموا كالبكاءِ تنهدي
اذا ما بكا القمري قالوا ترنما

ومن قوله :

---

(١) قوبل شعر ابن تقي على قلائد العقيان .

(٢و٣) القلائد ٢٧٩

إلى الله أشكوها نوى أجنبيةً   لها من أبيها الدهر شيمةُ ظالم[1]

إذا جاش صدرُ الأرض بي كنتُ منجداً   وإن لم يجش بي كنت بينَ التهائم

أكلّ بني الآداب مثلي ضائع   فأجعل ظلمي أسوة في المظالم

ستبكي قوافي الشعر ملءَ جفونها   على عربي ضاع بين الأعاجم

وله من قصيدة :

هو الشعر أجري في ميادين سبقه   وأفرج عن ابوابه كلّ مبهم[2]

وسل أهله عني هل امتزتُ منهم   بطبعي وهل غادرت من متردم

سلكت اساليب البديع فأصبحت   بأقواليَ الركبانُ في البيد ترتمي

وربتما غنى به كل ساجع   يردده في شجوه والترنم

وضيعني قومي لأني لسانهم   إذا أفحم الأقوام عند التكلم

وكالبني دهري لأني زنته   واني فيه غرة فوق أدهم

قال منحيا على أهل المغرب وقد ذم عندهم مثواه وصفرت من نائلهم يداه :

أقمت فيكم على الإقتار والعدم   لو كنت حراً أبي النفس لم أقم[3]

وظلت أبغي لكم عذراً لعلكمُ   تستيقظون وقد نمتم عن الكرم

فلا حديقتكم يجنى بها ثمر   ولا سماؤكمُ تنهلّ بالديم

لا رزق عندكم لكن سأطلبه   في الارض إن كانت الارزاق بالقسم

أنا أمرؤٌ إن نبت بي أرض أندلس   جئتُ العراق فقامت لي على قدم

---

(١) و (٢) القلائد ٢٨٠

(٣) القلائد ٨٢١

أين الرجا والحجى من حازم يقظ ... يغزو أعاديهُ في الأشهر الحرم

ان كان سهما فلا تنمى رميّته ... أو كان سيفاً فمسلول على البهم

ما العيش بالعلم إلا حيلة ضعفت ... وحرفة وكلت بالقعدد البرم

لا يكسر الله متن الرمح إن به ... نيل العلى وأتاح الكسر للقلم

ولا أراق دما من باسل بطل ... ومات كلّ أديب عبطة بدم

أوغلت في المغرب الأقصى وأعجزني ... نيل الرغائب حتى أبتُ بالندم

وساقط نال من عرضي فقلت له ... إليك عني فليس السبّ من شيمي

أعرضت عنه ولو أني عرضت له ... سقيته حمة الأفعى من الكلم

وله من قصيدة:

ولي همم ستقذف بي بلاداً ... نأت إما العراق أو الشآما[1]

وألحق بالأعاريب اعتلاءً ... بهم واجيدُ مدحهم اهتماما

لكيما تحمل الركبان شعري ... بوادي الطلح أو وادي الخزامى

وكيما تعلم الفصحاء أني ... خطيب علّمَ السجع الحماما

وقد أطلعتهنّ بكل أرض ... بدوراً لا يفارقن التماما

فلم أعدم وإياها حسوداً ... كما لاتعدم الحسناءُ ذاما

تم الاختيار من شعر ابن تقي ويليه نبذة من اشعار النساء

---

(١) القلائد ٢٨٠

من اشعار النساء

هند بنت يزيد الانصارية ترثي اخاً لها :

لقد مات بالبيضاء من جانب الحمى ... فتى كان زيناً للكواكب والشهب [1]

يلوذ به الجاني مخافة ما جنى ... كما لاذت العصماء بالشاهق الصعب

تظل بنات العم والخال حوله ... صوادي لا يروون بالبارد العذب

وقالت ام خالد النمرية :

إذا ما أتتنا الريح من نحو ارضه ... أتتنا برياه فطاب هبوبها [2]

أتتنا بمسك خالط المسك عنبر ... وريح خزامى باكرتها جنوبها

أحن لذكراه إذا ما ذكرتهُ ... وتنهل عبرات تفيض غروبها

حنين أسير نازح شد قيده ... واعوال نفس غاب عنها حبيبها

وأنشد ثعلب لام الضحاك المحاربية وكانت تحب رجلاً من الضباب حباً شديداً:

يا أيها الراكب الغادي لطيتهِ ... عرج أبثك عن بعض الذي أجد [3]

ما عالج الناس من وجد تضمنهم ... إلا ووجدي به بعض الذي أجد

حسبي رضاه وأني في مسرته ... ووده آخر الايام اجتهد

وقالت :

هل القلب ان لاقى الضبابي خاليا ... لدى الركنِ أو عند الصفا يتحرج [4]

---

(١) شاعرات العرب لبشير يموت ١٨٨

(٢) شاعرات العرب ١٨٢

(٣و٤) شاعرات العرب ٦٤ و ٦٥

وأعجلنا قرب الفراق وبيننا حديث كتشنيج المريضين مزعج
حديث لو ان اللحم يشوى بحره غريضاً أتى أصحابه وهو منضج

وانشد الزبير بن بكار لحليمة المضرية من بني عبس وقد انشدها المبرد لنبهان العبسي وهو أشبه :

يقر لعيني ان أرى لمكانه ذرى عقدات الأجرع المتفاوِدِ [1]
وأن أرد الماء الذى شربت به سليمى وإن مل السرى كل واحد
وألصق أَحشائي ببرد ترابه وإن كان مخلوطا بسم الاساود

وقالت الفارعة بنت شداد ترثي اخاها مسعود بن شداد :

ياعين بكي لمسعود بن شداد بكاءَ ذي عبرات شجوه بادي [2]
من لايذاب له شحم السديف ولا يجفو العيال إذا ماضن بالزاد
ولا يحل إذا مـا حل منتبذاً يخشى الرزية بين المال والنادي
قوال محكمة نقاض مبرمة فتـاح مبهمة حباس أوراد
قتّال مسغبة وثاب مرقبة مناح مغلبة فكاك أَقياد
خـلال ممرعة فراج مفظعةٍ حمـال مضلعة طلاع إنجاد
حمـال ألوية شهـاد أندية شداد اوهيـة فراج اسداد
جماع كل خصال الخير قد علموا زين القرين نكالُ الظالم العادي
أبا زرارة لاتبعـد فكل فتى يوما رهينُ صفيحات وأعواد
هلا سقيتم بني جرم أسيركم نفسي فداؤك من ذي كربة صادي
نعم الفتى ويمين الله قد علموا يحلو به الحي أو يغدو به الغادي

---

(١) شاعرات العرب ٥٠

(٢) شاعرات العرب ٦٩

هو الفتى يحمد الجيرانُ مشهده … عند الشتاء وقد هموا بإخماد
الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها … مثعنجر بعدما تغلي بأزباد
والسابئ الزق للاضياف إن نزلوا … إلى ذراه وغيث المحوج الغادي

خبر جميل السدوسي

قال أحمد بن أبي دواد كان جميل بن تميم السدوسي بشاطئ الفرات اجتمع عليه كثير من الأعراب ، فعظم أمره ، وبعد ذكره ، فكتب المعتصم إلى مالك بن طوق في النهوض اليه ؛ فبدد جمعه ، وظفر به فحمله موثقاً إلى باب المعتصم . قال أحمد : فما رأيت أحداً عاين الموت فما هاله ، ولا شغله عما كان يجب عليه فعله مثله ، فإنه لما مثل بين يدي المعتصم ، فأحضر السيف والنطع ، وأوقف بينهم ؛ تأمله المعتصم وكان جميلاً وسيماً ، فأحب ان يعلم أين لسانه من منظره ، فقال : تكلم يا تميم . فقال أما إذا أذنت يا أمير المؤمنين ، فأنا أقول : الحمد لله الذي أحسن كلَّ شيء خلقه ، وبدأ خلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، جبر الله بك صدع الدين ، ولم بك شعث المسلمين ، وأوضح بك سبيل الحق ، وأخمد بك الشهاب الباطل . إن الذنوب تخرس الألسن الفصيحة ، وتعيي الأفئدة الصحيحة ، ولقد عظمت الجريرة ، وانقطعت الحجة ؛ وساء الظن ، ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك ، وأرجو أن يكون أقربهما مني وأضرعهما إلى أسبقهما بك ، وأولاهما بكرمك ، ثم أنشد :

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً

يلاحظني من حيث ما أتلفتُ

وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي | وأي امرىءٍ مما قضى الله يفلت
وأيُّ أمرىءٍ يأتي بعذر وحجة | وسيف المنايا بين عينيه مصلت
وما جزعي من أن أموت وإنني | لأعلم أن الموت شيء مؤقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم | وأكبادهم من حسرة تتفتت
فان عشت عاشوا سالمين بغبطة | أذود الردى عنهم وإن مت موتوا
وكم قائل لا يبعد الله داره | وآخرّ جذلان يسر ويشمت
يعز على الاوس ابن تغلب موقف | يسل علي السيف فيه وأسكت

فتبسم المعتصم، وقال: قد وهبتك للصبية، وغفرت لك الصبوة. كاد والله يا جميل أن يسبق السيف العذل، وأمر بفك قيوده، وخلع عليه وعقد له على شاطىء الفرات.

شعر

ابن عبد ربه الأندلسي (١)

لم أظفر من شعره إلا بمقاطيع غزلية فأحببت نقلها هنا لجودتها، فمنها قوله في رقة التشبيب:

صحا القلبُ إلا نظرة تبعث الأسى | لها زفرةٌ موصولةٌ بحنين (٢)

(١) قوبل شعر ابن عبد ربه على « العقد الفريد » « واليتيمة » وابن خلكان

(٢) « اليتيمة » ٨

بلى ربما حلت عرى عزماتـه سوالف آرام وأعـين عـين
لواقط حبات القلوب إذا رنت بسحر عيون وانكسار جفون
وريط من الموشي أينـع تحته ثمـار صدور لا ثمـار غصون
برودٌ كأنوار الربيـع لبسنها ثياب خضاب لا ثياب مجون
فرين أديم الليل عن نور أوجه تجن بهـا الألباب كل جنون
وجوه جرى فيها النعيم فكللت بورد خدود يجتنى بعيون
سألبس للأيام درعاً من الأسى وإن لم يكن عند اللقا بحصين
فكيف ولي قلبٌ إذا هبت الصبّا أهاب بشوق في الضلوع دفين
ويهتاج منه كلما كان ساكناً دعـاء حمام لم يبت بوكون
وإن ارتياحي من بكاءِ حمامة كذي شجن داويتـه بشجون
كأن حمام الأيك حين تجاوبت حزين بكى من رحمـه لحزين

ومما عارض به صريـع الغواني في قوله :

أديرا عليَّ الراح لاتشربا قبلي ولا تطلبا من عند قاتلتي ذحلي[1]
فيـا حزني اني أموت صبابـةً ولكن على من لا يحل له قتلي
فديتُ التي صدت وقالت لتربها دعيه الثريا منه أقرب من وصلي

فقال على رويه :

أتقتلني ظلمـا وتجحدني قتلي وقد قام من عينيك لي شاهد اعدل
أطلاب ذحلي ليس بي غير شادن بعينيه سحر فاطلبوا عنده ذحلي
أغار عـلى قلبى فلمـا أتيته أطالبـه فيـه أغـار على عقلي

---

(١) « اليتيمة » ٨ و « العقد الفريد »

بنفسي التي ضنت برد سلامها ولو سألت قتلي وهبت لها قتلي

إذا جئتها صدت حياءً بوجهها فتهجرني هجراً ألذ من الوصل

وان حكمت جارت علي بحكمها ولكن ذاك الجور أشهى من العدل

كتمت الهوى جهدي فجرره الأسى

بماءِ البكا هذا يخط وذا يملي

واحببت فيها العذل لذكرها فلاشيء أشهى في فؤادي من العذل

أقول لقلبي كلما ضامه الأسى إذا ما أبيت العز فاصبر على الذل

برأيك لا رأيي تعرضت للهوى وأمرك لا أمري وفعلك لا فعلي

وجدت الهوى نصلا من الموت مغمداً

فجردته ثم اتكيت على النصل

فإن تك مقتولاً على غير ريبةٍ فأنت الذي عرضت نفسك للقتل

قال الناظم : فمن رأى سهولة هذا الشعر مع بديع معناه ، ورقة طبعه ، لم يفضل شعر صريع الغواني عليه إلا بفضل التقدم ، ولا سيما إذا قرن قوله في هذا الشعر .

كتمت الذي ألقى من الحب عاذلي فلم يدر ما بي فاسترحت من العذل

بقوله :

وأحببت فيها العذل حباً لذكرها فلاشيء أشهى في فؤادي من العذل

ومن قوله في رقة التشبيب :

أدعو عليك فلا دعائي يسمع يا من يضر مناظريه وينفع

للورد حينٌ ليس يطلع دونه والورد عندك كل يوم يطلع

حـال الزمان فبـدل الآمـالا ... وكسى المشيب مفارقاً وقذالا [1]

غنيت غواني الحي عنك وربما ... طلعت إليك أكلة وحجـالا

أضحى عليك حلالهنَّ محرمـاً ... ولقد يكون حرامهنَ حلالا

إن الكواعب إن رأينك طاويا ... برد الشباب طوين عنك وصالا

« وإذا دعونك عمهن فإنـه ... نسبٌ يزيدك عندهن خبالا »

تم الاختيـار من شعر أحمد بن عبد ربه ويليه الاختيـار من شعر عبد الله بن ايوب التيمي .

شعر

عبد الله التيمي

قال يمدح عمر بن مسعدة :

أعني عـلى بارق ناصب ... خفي كوحيك بالحاجب

كـأن تألقـه في السماء ... يدا كاتب أو يدا حاسب

فروى منـازل تذكارهـا ... يهيج من شوقك الغالب

غريب يحـن لأوطـانـه ... ويبكي على عصره الذاهب

كفاك أبو الفضل عمرو والندى ... مطالعة الأمل الـكاذب

عريض الفناء طويل البناء ... في العز والشرف الثاقب

بنى الملك طود له بيته ... وأهل الخلافة من غالب

---

(١) اليتيمة : ٨٦ وابن خلكان ٤٠

هو المرتجى لصروف الزمان ومعتصم الراغب الراهب
جواد بما ملكلت كفه على الضيف والجار والصاحب
بأدم الركاب ووشي الثياب والطِرف والطفلة الكاعب
نؤمله لجسام الأمور ونرجوه للجلل الكارب
خصيب الجناب مطير السحاب بشيمتِهِ لين الجانب
يروي القنا من نحور العدى ويغرق في الجود كاللاعب
إليك تبدت بأكوارها حراجيج في مهمه لاحب
كأن نعاما تبارى بنا بوابل من برد حاصب
يزرن ندى كفك المرتجى ويقضين من حقك الواجب
والله ما أنت من خابر بسجل لقوم ومن خارب
فتسقى العدى بكؤوس الرّدى وتسبق مسألة الطّالب
وكم راغب نلته بالعطا وكم نلت بالعطف من راهب
وتلك الخلائق أعطيتها بفضل من المانع الواهب
كسبت الثناء وكسب الثناء افضل مكسبةِ الكاسب
يقينك يجلو ستور الدجى وظنك يخبر بالغائب

قال صاحب زهر الاداب لما أورد هذه القصيدة .

هــذا الشعر يتدفق طبعاً وسلاسة والكلام الجيد الطبع مقبول في السمع قريب المثال بعيد المنال انيق الديباجة رقيق الزجاجة يدنو من فهم ســامعه كدنوه من فهم صانعه ، يطرد ماء البديع على وجناته ويجول رونق الحسن في صفحاته كما يجول السحر في الطرف الكحيل والاثر في السيف الصقيل .

وقال جمال الدين ابن نباتة معزيا عن ملك ومهنئاً بملك :

هنـاءٌ محـا ذاك العزاء المقدما فما عبس المحزون حتى تبسما[1]

ثغور ابتسام في ثغور مدامع شبيهان لا يمتازُ ذو السبق منهما

تدر مجـارى الدمع والبشر واضح

كوابل غيث في ضحى الشمس قدهمـا

سقى الغيث عنا تربة الملك الذي عهدنا سجاياه أبر وأكرمـا

ودامت يد النعمى على الملك الذي تدانت به الدنيا وعزبه الحمى

مليكان هذا قد هوى لضريحه برغمي وهذا للاسرة قد سمـا

ودوحة فضل شاذوى تكافأت فغصن ذوى منها وآخر قد نمـا

كأن ديار الملك غاب إذا انقضى به ضيغم أنشاله الدهر ضيغما

فإن تك أوقات المؤيد قد خلت فقد جددت عُلياك وقتاً وموسما

هو الغيث ولّى بالثناءِ مشيعاً وأبقاك بحراً بالمواهب مفعماً

إذا الغيثُ صلى خلف جدواك راكعـاً

ثنت عزمه لـلاعتراف فسلـما

يراعك يوم السلم ينهلّ ديمة وسيفك يوم الحرب ينهل في الدما

فعش للورى واسلم سعيدا مُهنـّأً فحظ الورى في أن تعيش وتسلما

اعدت زمان البشر والجود والثنا إلى أن ملأت العين والكف والفما

ولمحمد بن زريق البغدادي نادماً على الافراط في طاب الدنيا ، وكان قصد الاندلس في طلب الغنى ، فلم يرجع لبغداد ، ووجدت هذه القصيدة تحت وساده وهي قوله رحمه الله تعالى :

---

(١) ديوانه : ٤٢٩

لاتعذليه فإن العذل يولعه　　قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه

جاوزت في لومه حداً أضرّ به　　من حيث قدرت إن اللوم ينفعه

فاستعملى الرفق في تأنيبهِ بدلا　　من عنفه فهو مضنى القلب موجعه

قد كان مضطلعاً بالخطب يحمله　　فضيقت بخطوب البين أضلعهُ

يكفيه من لوعة التفنيد أنّ له　　من النّوى كل يوم مايروعه

ما آب من سفر إلا وأزعجه　　رأي إلى سفر بالعزم يجمعه

كأنما هو في حل ومرتحل　　موكل بفضاء الأرض يذرعه

إذا الزمان أراه في الرحيل غنى　　ولو إلى السند أضحى وهو يزمعه

تأبى المطامع إلى أن تجشمه　　للرزق كداً و كم ممن يودعه

ومـا مجاهدة الإنسان توصله　　رزقـاً ولا دعة الانسان تقطعه

والله قسم بين الخلق رزقهم　　لم يخلق الله من خلق يضيعه

لكنهم ملوؤا حرصا فلست ترى　　مسترزقاً وسوى الغايات يقنعه

والسعي في الرزق والأرزاق قد قسمت

بغي ألا إن بغي المرء يصرعه

والدهر يعطي الفتى ما ليس يطلبه　　يوماً ويمنعه من حيث يطمعه

أستودع الله في بغداد لي قمرا　　بالكرخ من فلك الازرار مطلعه

ودعته وبودى ان يودعني　　طيب الحياة وإني لا أودعه

وكم تشفع بي أن لا أفارقه　　وللضرورة حـال لا تشفعه

وكم تشبث بي يوم الرحيل ضحى　　وأدمعي مستهلات وأدمعه

لا اكذب الله ثوب الصبر منخرق　　عنى بفرقته لكن أرقعه

إني أوسعّ عذري في جنـايته　　بالبين عنه وقلبي لا يوسعه

لم تتصدع كبدي عليك لضعفها　　لكنها ذابت فما تتصدع

من لي بأجرد مايبين لسانه　　خجلا وسيف جفونه ما يقلع

منع الكلام سوى إشارة مقلة　　فيها يكلمني ومنها يسمع

ومن قوله في البين :

هيج البين دواعي سقمي　　وكسى جسمي ثوب الألم

أيها البين أقلني مرة　　فإذا عدت فقد حل دمي

ياخلي الذرع نم في غبطة　　إن من فارقته لم ينم

ولقد هاج لقلبي سقما　　ذكر من لو شاء داوى سقمي

ومن قوله في المعنى :

ودعتني بزفرة واعتناق　　ثم نادت متى يكون التلاقي [١]

وتصدت فأشرق الوجه منها　　بين تلك الجيوب و الأطواق

يا سقيم الجفون من غير سقم　　بين عينيك مصرع العشاق

إن يوم الفراق أفظع يوم　　ليتني مت قبل يوم الفراق

ومنه قوله :

فررت من اللقاء إلى الفراق　　فحسبي ما لقيت وما ألاقي [٢]

سقاني البين كأس الموت صرفاً　　وما ظني أموت بكف ساقي

فيا برد اللقاء على فؤادي　　أجرني اليوم من حر الفراق

ومن قوله في الحمام :

---

(١) ابن خلكان ٤٠

(٢) اليتيمة ٨١

ونائح في غصون الأيك أرقني | وما عنيت بشيء ظل يعنيه
مطوق بخضاب ما يزايله | حتى تراوله إحدى تراقيه
قد بات يشكو بشجوٍ ما دريت به | وبت أشكو بشجوٍ ليس يدريه

ومن قوله :

اناحت حمامات اللوى ام تغنت | فأبدت دواعي قلبه ما اجنّت [1]
فديتُ التي كانت ولاشي غيرها | منى النفس لو يقضى لها ما تمنت

ومن قوله في الرياض :

وروضة عقدت أيدي الربيع بها | نوراً بنور وترويجاً بترويج
بملقح من سواريها وملقحةٍ | وناتج من غواديها ومنتوج
توشحت بملاءٍ غير ملحمةٍ | من نورها ورداء غير منسوج

ومنه قوله :

وموشية يهدي إليك نسيمها | على مفرق الأرواح مسكا وعنبرا
سداوتها من ناصع اللون أبيض | ولحمتها من فاقع اللون أصفرا
يلاحظ لحظاً من عيون كأنها | فصوص من الياقوت كلمن جوهرا

ومنه قوله :

وما روضة بالحزن حاك لها الندى | بروداً من المواشي حمر الشقائق [2]
إذا ضاحكتها الشمس تبكي بأعين | مكللة الأجفان صفر الحمالق
حكت أرضها لون السماء وزانها | نجوم كأمثال النجوم الخوافق

---

(١) اليتيمة ٨١
(٢) اليتيمة ٨٢

بأطيب نشراً من خلائقه التي   لها خضعت في الحسن زهر الخلائق

وله ايضاً :

وروضة ورد حف بالسوسن الغض

تحلت بلون السام والذهب المحض [1]

رأيت بها بدراً على الأرض ماشيا   ولم أر بدراً قط يمشي على الأرض

إلى مثلها فلتصب إن كنت صابيا

ففد كاد منها البعض يصبو إلى البعض

وله ايضاً :

وحاملة راحاً على راحة اليد   موردة تسقى بلون مورد [2]

متى ماترى الإبريق للكأس راكعاً   تصلي له من غير طهر وتسجد

على ياسمين كاللجين ونرجس   كأطراق درٍ في قضيب زبرجد

بتلك وهذي فاله ليلك كله   وعنها فسل لا تسأل الناس عن غد

وله ايضاً :

أيقتلني دائي وأنت طبيبي   قريب وهل من لا يرى بقريب [3]

لئن خنت عهدي إنني غير خائن   وأي محب خان عهد حبيب

وساحبة فضل الذيول كأنها   قضيبٌ من الريحان فوق كثيب

إذا مابدت من خدرها قال صاحبي   أطعني وخذ من وصلها بنصيب

وما كل ذي لب بمؤتيك نصحه   وما كل مؤت نصحه بلبيب

وله ايضاً :

---

(١) و (٢) و (٣) اليتيمة : ٨٢

يا وميض البرق بين الغمام لا عليها بل عليك السلام[1]

إن في الأحداج مقصورة وجهها يهتك ستر الظلام

تحسب الهجر حلالا لها وترى الوصل عليها حرام

ما تأسيك لدار خلت ولشعب شت بعد التآم

وله ايضاً :

تجافى النوم بعدك عن جفوني ولكن ليس تجفوها الدموع[2]

يذكرني تبسمك الأقاحي ويحكي لي توردك الربيع

يطير إليك من شوق فؤادي ولكن ليس تتركه الضلوع

كأن الشمس لما غبت غابت فليس لها على الدنيا طلوع

فما لي من تذكرك امتناع ودون لقائك الحصن المنيع

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

وله ايضاً :

يا وجه معتذر ومقلة ظالم كم من دم ظلماً سفكت بلا دم

أوجدت وصلي في الكتاب محرما ووجدت قتلي فيه غير محرم

كم جنة لك قد سكنت ظلالها متفكها في لذة وتنعم

وشربت من خمر العيون تعللا فإذا انتشيت أجود جود المرزم

«وإذا صحوت فما اقصر عن ندى وكما علمت شمائلي وتكرمي»

وله ايضاً :

---

(١) اليتيمة : ٨٣

(٢) اليتيمة : ٨٦

ومنهـــا :

إني دعوت ندى الكرام فـلم يجب
فلأ شكرنّ ندى أجاب وما دعي [(١)]

ومن العجـائب والعجـائب جمـة
شكر بطيء عن ندى متسرع

ومن شعره ايضاً :

قفوا في الفلا حيث انتهيتم تذمما ولا تقتفوا من جار لمـا تحكما [(٢)]

أرى كل معوج المودة يصطفى لديكم ويلقى حتفه من تقوما

فإن كنتم لم تعدلوا إذ حكمتم فلا تعدلوا عن مذهب قد تقدما

حنى الناس من قبل القسيّ لتقتني
وثقف منـآد القنـا ليقومـا

وما ظلم الشيب الملم بلمتي وإن بزني حظي من الظلم واللمى

ومحبوبـة عزت وعز نظـيرهـا
وإن اشبهت في الحسن والعفة الدمى

أعنف فيها صبوة قط ما ارعوت واسأل عنهـا معلماً مـا تكلما

سلي عنه تخبر عن يقين دموعهُ ولا تسألي عن قلبه أين يمـما

فقد كان لي عونا على الصبر برهة ففـارقـني أيام فارقـتم الحمـى

فراق قضى أن لاتأسي بعد أن مضى منجداً صبري واوغلت متهما

وفجعة بين مثل مصرع مالك ويقبح بي ان لا أكون متمماً

---

(١) م ب ٤٢٥

(٢) م ب ٨٣ ابن خلكان ١٥

خليليّ إن لم تسعداني على الأسى — فما انتما مني ولا أنا منكما
وحسنتما لي سلوة وتناسيا — ولم تذكرا كيف السبيل إليهما
سقى الله أيام الصبا كل هاطل — ملث اذا ما الغيث أنجم أنجما
وعيشاً سرقناه برغم رقيبنا — وقد ملّ من طول السهاد فهوما

وكانت ولادته سنة ٣٩٤ ووفاته سنة ٤٧٣ بحلب رحمه الله تعالى :

تم الاختيار من شعر ابن حيوس وأخباره ، ويليه الاختيار من شعر ابن بختيار وأخباره .

شعر

ابن بختيار

هو أبو عبد الله محمد بن بختيار بن عبد الله البغدادي المشهور ، وهو أحد المتأخرين المجيدين ، جمع في شعره الصناعة والرقة ، وذكره صاحب الذخيرة ، فقال : هو شاب ظريف ، رقيق أسلوب الشعر ، حلو الصناعة ، رائق البراعة ، عذب اللفظ ، أرق من النسيم ، وأحسن من الوشي ، وكلما ينظمه ولو أنه يسيرُ يسيرُ بأفواه الرواة ، وأهل الأدب يتهافتون على نظمه المطرب تهافت الطير الحوم على عذب المشرب فمن قوله :

زار من أحيا بزورته — والدجى في لون طرته
قمر يثني معاطفه — بانة في طي بردته

بتُّ استجلي المدام على غرّة الواشي وغُرّته
يالها من زورة قصرت فاماتت طول جفوته
آه من خصر له وعلى رشفةٍ من برد ريقته

ومن أبياته السائرة قوله من جملة قصيدة :

لايعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

ومن رقيق شعره قوله في الغزل من قصيدة انيقة :

دعني اكابد لوعتي وأعاني أين الطليق من الأسير العاني ؟
آليتُ لا أدعُ الملام يغرني من بعد ما أخذ الغرام عناني
أو لا تروض العاذلات وقد أرى روضات حسن في خدود حسان
والبدر يلتمس السلو ولم أزل حيّ الصبابة ميت السلوان
يا برق إن تجف العقيق فطالما اغنته عنك سحائب الأجفان
هيهات أن أنسى وربّك وقفة فيها اغير بها على الغيران
ومهفهف ساجي اللحاظ حفظته فأضاعني وأطعته فعصاني
يصمي قلوب العاشقين بمقلةٍ طرف السنان وطرفها سيان
حسن الدلال بشعره وبثغره يوم الوداع اضلني وهداني
ما قام معتدل لا يهز قوامه إلا وبانت خجلةٌ في البان
يا أهل النعمان إلي وجناتكم تعزى الشقائق لا إلى النعمان
ما يفعل المران في يد قلب في القلب فعل مرارة الهجران

وهي قصيدة جيدة من فائق الشعر ، ومخالصه من الغزل إلى المديح في نهاية الحسن ، وقل من يلحقه فيها ، فمن ذلك قوله في قصيدة أولها :

جنيت جنيَّ الورد من ذلك الخد   وعانقت غصن البان من ذلك القد

فلما انتهى إلى مخلصها قال :

لئن وقرت يوماً بسمعي ملامة   لهند فلا عفت الملامة في هند

ولا وجدت عيني سبيلا إلى البكا   ولا بت في اسر الصبابة والوجد

وبحتُ بما القى ورُحت مقابلا   سماحة مجد الدين بالكفر والجحد

وقوله من قصيدة اخرى :

فلا وجدٌ سوى وجدي بليلى   ولا مجدٌ كمجد ابن الدوامى

وقوله من قصيدة أخرى ببغداد :

فاقسم إني في الصبابـة واحد   وإن كما الدين في الجود واحد

إلى غير ذلك وكانت وفاته سنة ٥٨٠ رحمه الله ،

تم الاختيار من شعر ابن بختيار ويليه الاختيار من شعر القاضي أبي يعلى .

شعر

ابي يعلى

هو القاضي أبو يعلي حمزة بن عبد الرزاق بن أبي حصين ولم أقف له إلا على مرثيته التي رثي بها مقلد بن نضر بن منقذ الكناني ، وهي من مختار المراثي ، وفائق الشعر ، فأثبتها بطولها وهي :

الا كل حي مقصدات مقاتله   وآجل ما يخسى من الدهر آجله

أعطيت ملكا فلم أحسن سياسته وكل من لا يسوس الملك يخلعه

ومن غدا لابساً ثوب النعيم بلا شكر عليه فعنهُ الله ينزعه

اعتضت من وجه خلي بعد فرقتهِ كأساً اجرعُ منها ما أجرعه

كم قائل لي ذنب البين قلت له الذنب والله ذنبي لست ادفعه

هلا اقمت فكان الرشد أجمعه لو أنني يوم بان الرشد أتبعه

إني لأقطع أيامي وأنفذها بحسرة منه في قلبي تقطعه

بمن إذا هجع النوام بت له بلوعةٍ منه ليلي لستُ أهجعه

لا يطمئن لجنبي مضجع وكذا لا يطمئن له مذ بنت مضجعه

ما كنت احسب أن الدهر يفجعني به ولا أن بي الأيام تفجعه

حتى جرى الدهر فيما بيننا بيدٍ عسراء تمنعني حظي وتمنعه

بالله يامنزل القصف الذي درست آثاره وعفت مذ غبتُ أربعه

هل الزمان معيد فيك لذتنا أم الليالي التي أمضته ترجعه

في ذمة الله من أصبحت منزله وجاد غيث على مغداك يمرعه

من عنده لي عهد لا يضيعه كما له عهد صدق لا أضيعه

ومن يصدع قلبي ذكره وإذا جرى على قلبه ذكرى يصدعه

لأصبرنّ لدهر لا يمتعني به ولا بي في حال يمتعه

علماً بأن اصطباري معقب فرجاً وأضيق الامر إن فكرت أوسعه

علّ الليالي التي أضنت بفرقتنا جسمي ستجمعني يوماً وتجمعه

وإن يدم أبداً هذا الفراق لنا فما الذي بقضاء الله نصنعه

تم الاختيار من شعر ابن زريق البغدادي وأخباره ويليه الاختيار من شعر ابن حيوس وأخباره .

شعر

ابن حيوس [1]

هو أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس الشاعر المشهور ، وأحد الشعراء الشاميين المحسنين ، ومن فحولهم المجيدين ، له ديوان كبير ، وكان منقطعاً إلى بني مرداس أصحاب حلب ، وله فيهم القصائد الأنيقة ، وقصته مشهورة مع الأمير جلال الدولة أبي المظفر نصر بن محمود بن مرداس الكلابي صاحب حلب ؛ فانه كان مدح أباه محمود بن نصر ، فأجازه الف دينار فلما مات وقام ابنه نصر المذكور قصده ابن حيوس المذكور بقصيدته الرائية يمدحه بها ويعزيه عن ابيه وهي :

كفى الدين عزاً ما قضاهُ لك الدهر
فمن كان ذا نذر فقد وجب النذر [2]

ومنها :

ثمانية لم تفترق مذ جمعتها ... فلا افترقت ماذب عن ناظر شفر
يقينك والتقوى وجودك والغنى ... ولفظك والمعنى وعزمك والنصر

وذكر فيه وفاة ابيه وتوليه الامر بعده بقوله :

صبرنا على حكم الزمان الذي سطا ... على أنه لولاك لم يكن الصبر
غزانا ببؤسى لايماثلها الأسى ... تقارن نعمى لايقوم بها الشكر

---

(١) قوبل شعر ابن حيوس على مختارات البارودي وابن خلكان .

(٢) م ب ١٩ ؛ ٤ وابن خلكان ١٢

ومنهـــا :

تباعدت عنكم حرفة لا زهادة ... وسرت اليكم حين مسني الضر

فلاقيت ظل الأمن ما عنه حاجز ... يصد وباب العز مـا دونه ستر

وطال مقامي في اسارِ جميلكم ... فدامت معاليكم ودام لي الأسر

وأنجز لي رب السماوات وعـده ... الكريم بأنّ العسر يتبعه اليسر

فجاد ابن نصر لي بالف تصرمت ... وإني عليم أن سيخلفها نصر

لقد كنت مأمولا ترجى لمثلها ... فكيف وطوعاأمرك النهي والامر

وما بي إلى الإلحاح والحرص حاجـة ... وقد عرف المبتاع وانفصل السعر

وإني بآمـالي لديك مخيم ... وكم في الورى ثاو وآماله سفر

وعندك ما أبغي بقولي تصنعـا ... بأيسر ما توليه يستعبد الحر

فلما فرغ من انشادها ، قال الامير نصر : والله لو قال عوض قوله : سيخلفها سيضعفها نصر لأضعفتها له ، وأعطاه ألف دينار في طبق فضة ، وكان الامير نصر سخياً ، واسع العطاء . ومن محاسن شعر ابن حيوس القصيدة اللامية التي مدح بها أبا الفضائل سابق ابن محمود وهو أخو الامير نصر المذكور فمن مديحها قوله :

طالمـا قلت للمسـائل عنكم ... واعتمادي هداية الضـلال(1)

إن ترد علم حالهم عن يقين ... فالقهم في مكارم أو نزال

تلق بيض الوجوه سود مثار ... النقع خضر الاكف حمر النصال

قال ابن خلـكان :

ما احسن هذا التقسيم الذي اتفق له ، وقد الم فيها بقول أبي سعيد الرستمي من جملة قصيدة يمدح بها الصاحب بن عباد ، وهي من فاخر الشعر وذلك قوله :

---

(1) ابن خلكان ١٤

من النفر العالين في السلم والوغى
وأهل المعالي والعوالي وآلها[١]

إذا نزلوا اخضر الثرى من نزولهم
وإن نازلوا احمرّ القنا من نزالها

ثم قال : هذا والله الشعر الخالص الذي لا يشوبه شيء من الحشو : وكان ابن حيوس المذكور قد أثرى ، وحصلت له نعمة ضخمة من بني مرداس ، فبنى داراً بمدينة حلب ، وكتب على بابها من شعره :

دار بنيناها وعشنا بها ... في نعمة من آل مرداس[٢]
قوم نفوا بؤسي ولم يتركوا ... علي للايام من باس
قل لبني الدنيا ألا هكذا ... فليصنع الناس مع الناس

ومن غرر قصائده السائرة قوله :

هو ذاك ربع المالكية فاربع ... واسأل مصيفاً عافياً عن مربع[٣]
واستسق للدمن الخوالي بالحمى ... غر السحائب واعتذر من أدمعي
فلقد فنين أمام دان هاجر ... في قربه ووراء نأء مزمع
لو يخبر الركبان عني حدثوا ... عن مقلة عبرى وقلب موجع
ردي لنا زمن الكثيب فإنه ... زمن متى يرجع وصالك يرجع
لو كنت عالمة بأدنى لوعتي ... لرددت أقصى نيلك المسترجع
بل لو قنعت من الغرام بمظهر ... عن مضمر بين الحشا والاضلع
اعتبت إثر تعتب ووصلت غب ... تجنب وبذلت بعد تمنع
لو انني أنصفت نفسي صنتها ... عن أن أكون كطالب لم ينجع

---

(١) و (٢) و (٣) ابن خلكان ١٤

وهل يفرح الناجي السليم وهذه ... خيولُ الردى قدامه وحبائله
لعمر الفتى إن السلامة سلمٌ ... إلى الحين والمغرور بالعيش آمله
فيسلب أثواب الحياة معارها ... ويقضي غريم الدين من هو ماطله
مضى قيصرٌ لم تغن عنه قصوره ... وجدل كسرى ماحمته مجادله
وما صد هلكاً عن سليمان ملكه ... ولا منعت منه اباه سرابله
ولم يبق إلا من يروح ويغتدي ... إلى سفر ينأى عن الأهل قافله
وما نفس الانسان إلا خزامة ... بأيدي المنايا والليالي مراحله
فهل غال بدءاً مخلص الدولة الردى ... وهل تنزوي عمن سواه غوائله
ولكنه حوض الحمام ففارط ... إليه وتال مسرعات رواحله
لقد دفن الأقوام أروع لم تكن ... بمدفونة طول الزمان فضائله
سقى جدثاً هالت عليه ترابه ... اكفهم طل الغمام ووابله
ففيه سحاب يرفع المحل هدبه ... وبحر ندىً يستغرق البر ساحله
كأن ابن نصر سائر في سريره ... حياءٌ من الوسمي أقشع هاطله
يمر على الوادي فتثني رماله ... عليه وبالنادي فتبكي أرامله
سرى نعشه فوق الرقاب وطالما ... سرى جوده فوق الركاب ونائله
أناعيه إن النفوس منوطة ... بقولك فانظر ما الذي أنت قائله
بفيك الثرى لم تدر من حل بالثرى ... جهلت وقد يستصغر المرء جاهله
هو السيد المهتز للتم بدره ... وللجود عطفاه وللطعن عامله
أفاض عيون الناس حتى كأنما ... عيونهم سما تفيض انامله
فياعين سحي لا تشحي بوابل ... على ماجد لم يعرف الشح سائله

متى سألوه المال تندى بنانـه   وإن سألوه الضيم تبدو عوامله
وكم عاد عنه بالخسار مقنـع   وكم نال منـه قانع ما يحاوله
له الغلب القاضي على كل باسل   يجـادله أو كل خصم يجـادله
مجالسه في روضة طلها الندى   ولكنه في المجد مات مساجله
فيا عمره أنى قصرت ولم تطل   منازله بل كفـه بل حمـائله
جرت تحته العلياء ملء فروجها   إلى غاية طالت على من يطـاوله
فما مات حتى نال اقصى مراده   كما يستتر البـدر تمت منازله
فتى طالما يعتاده الجيش عافيا   فيـنزله أو عاديـاً فينـازله
صفوح عن الجاني وصفحة سيفه   إذا هي لم تقتله فالصبح قاتله
وأدمى عسيب الطرف بعدك هلبه   وعادته أن يقذف الدم كاهله
فيا طرفه ما كان عجزك حاملاً   أذى صارم لو ان ظهرك حامله
لقد كثر الملبوس بعد مروع   جرت ببيان المشكلات شواكله
اذا ظن لا يخطي كأن ظنونـه   على ما يظن الناس عنه دلائله
فلا رحلت عنه نوازل رحمـة   ضحـاه بهـا موصولة وأصائله
وروى ثراه منهل العفو في غد   فقد روت العافين أمس مناهله
قضى الله ان يردى الأمير وهذه   صوافنـه موقورة ومنـاصله
وكل فتى كالبرق ابريق غمده   اذا شامـه أو كالذبابـة ذابله
فليت ظباه صلت اليوم خلفه   فظلت على غير الصيام صواهله
بني منقذ صبراً فإن مصابكم   يصاب به حافي الأنام وناعله
لقد جل حتى كل واجد لوعـة   إذا لج فيها ليس يوجد عاذله
إذا صوحت أيدي الرجـال فانتم   بني منقذ روض الندى وخمائله

وإن فر من وزر الزمان مفرح ... فإنكم أوزاره ومعاقله

وصاحب عليّ الصبرعنه فما غوى ... مصاحب صبر عن حبيب يزايله

وما نام حتى قام منك وراءه ... أخو يقظات وافر العقل كامله

كأنكما تؤمان في فلك العلى ... فطالعه هذا وذلك آفله

وما كلفوك الأمر إلا لعلمهم ... قيامك بالأمر الذي أنت كافله

سعيت إلى نيل المكارم سعيه ... ولو كنت لاتسعى كفتك فواضله

ولم تر أن ترقى بما كان فاعلاً ... أجل إنما المرفوع بالفعل فاعله

لعمرك إني في الذي عنّ كله ... شريك عنان ناصح الود ناهله

وكيف خلو القلب من ذلك الهوى ... وقد خلدت بين الشغاف دواخله

تمت قصيدة القاضي ابي يعلى رحمه الله تعالى ، ويليه الاختيار من شعر الشريف الرضي .

شعر

الشريف الرضي [1]

هوالشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الطاهر ، ذي المناقب أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن ابراهيم بن موسى الكاظم ، بن جعفر الصادق ، بن محمد الباقر ، بن علي زين العابدين ، بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ، رضي

---

(١) صحح شعر الشريف الرضي على ديوانه المطبوع في بيروت .

الله عنهم ، المعروف بالموسوي ، صاحب ديوان الشعر . ذكره الثعالبي في كتاب « اليتيمة » فقال : في ترجمته ابتدأ : يقول الشعر بعد أن جاوز عشر سنين ، وهو أبدع أبناء الزمان ، وأنجب سادات العراق ، يتحلى مع محتده الشريف ، ومفخره المنيف بأدب ظاهر ، وفضل باهر ، وحظ من جميع المحاسن وافر ، ثم هو أشعر الطالبيين ، من مضى منهم ، ومن غبر على كثرة شعرائهم المفلقين ، ولو قلت : إنه أشعر قريش لم أبعد ، وسيشهد بذلك شاهد عدل من شعره ، العالي القدح ، الممتنع من القدح ، الذي يجمع مع السلاسة متانة ، وإلى السهولة رصانة ، ويشمل على معان يقرب جناها ، ويبعد مداها . ومن غرر شعره ما كتبه إلى الخليفة القادر بالله العباس أحمد بن المقتدر من جملة قصيدة :

عطفاً أمير المؤمنين فإننا في دوحة العلياء لا نتفرق [1]
ما بيننا يوم الفخار تفاوت أبداً كلانا في المعالي معرق
إلا الخلافة ميزتك فإنني أنا عاطلٌ منها وأنت مطوق

ومن جيد شعره قوله ايضاً :

رمت المعالي فامتنعن ولم يزل أبداً يمانع عاشقاً معشوق [2]
فصبرت حتى نلتهنّ ولم أقل ضجراً دواء الفارق التطليق

وله من جملة أبيات :

يا صاحبي قفالي واقضيا وطراً وحدثاني عن نجد بأخبار [3]

---

(١) ديوانه : ٥٤٤

(٢) ديوانه : ٥٥٠

(٣) ديوانه : ٣٩٧

هل روِّضت قاعة الوعساءِ أم مطرت
خميلة الطلح ذات البان والغار

أم هل أبيت ودار دون كاظمة داري وسمار ذاك الحي سماري

تضوع أرواح نجدٍ من ثيابهم عند القدوم لقرب العهد بالدار

ومن قوله في رقة النسيب :

ياليلة السفح هلا عدت ثانية سقى زمانك هطالٌ من الديم[1]

ماض من العيش لو يفدى بذلت بها كرائم المال من خيل ومن نعم

لم أقض منك لبانات ظفرت بها فهل لي اليوم إلا زفرة الندم

فليت عهدك إذ لم يبق لي أبداً لم يبق عندي عقابيلاً من السقم

تعجبوا من تمني القلب مؤلمةً وما دروا انه خلوٌ من الألم

ردوا علي ليالي التي سلفت لم أنسهنّ وما بالعهد من قدم

اقول للائم المهدي ملامته ذق الهوى وإن اسطعت الملام لم

وظبية من ظباءِ الإنس عاطلةٍ
تستوقف العين بين الخمص والهضم

لو أنها بفناء البيت سارحةٌ لصدتها وابتدعت الصيد في الحرم

قدرت منها بلا رقبى ولاحذرٍ على الذي نام عن ليلي ولم أنم

بتنا ضجيعين في ثوبي هوىً وتقىً يلفنا الشوق من فرع إلى قدم

وأمست الريح كالغيرى تجاذبنا
على الكثيب فضول الريط والكمم

---

(١) ديوانه : ٧٢٢

يشي بنا الطيب أحيانا وآونة ... يضيئنا البرق مجتازاً على إضم

وبات بارق ذاك الثغر يوضح لي ... مواقع اللثم في داج من الظلم

وبيننا عفة بايعتها بيدي ... على الوفاء بها والرعي للذمم

يولع الطل بردينا وقد نسمت ... رويحة الفجر بين الضال والسلم

وأكتم الصبح عنها وهي غافلة ... حتى تكلم عصفور على علم

فقمت انفض بردا ما تعلقه ... غير العفاف وراء الغيب والكرم

وألمستني وقد جد الوداع بها ... كفا تشير بقضبان من العنم

وألثمتني ثغرا ما عدلت به ... أرى الجنى ببنات الوابل الرزم

ثم انثنينا وقد رابت ظواهرنا ... وفي بواطننا بعدٌ من التهم

يا حبذا لمة بالرمل ثانية ... ووقفة ببيوت الحيّ من امم

وحبذا نهلة من فيك باردة ... يعدي على حر قلبي بردها بفمي

دينٌ عليك فإن تقضيه أحي به ... وإن أبيت تقاضينا إلى حكم

عجبت من باخل عني بريقته ... وقد بذلت له دون الأنام دمي

ما ساعفتني الليالي بعد بينهم ... ولا بكيت لياليناً ندي سلم

لا أستجد فؤادي في الزمان هوى ... إلا ذكرت هوى أيامنا القدم

لا تطلبن لي الابدال بعدهم ... فإن قلبي لا يرضى بغيرهم

ومن قوله :

ولي كبد من حب ظمياء أصبحت ... كذي الجرح ينكى بعد ما رقي الدم

اصاب الهوى قلباً بعيداً من الهوى ... وما كل من يبغي السلامة يسلم

قال يمدح الخليفة الطائع لله ، ويشكره على تكوم خصه ، وجائزة سنية ، وذلك في سنة ٣٧٦ :

أنا للركائب إن عرضن بمنزل وإذا القنوع أطاعني لم أرحل [1]

لا أطلب المثري البخيل لحاجة أبداً وأقنع بالجواد المرمل

وأرى المعرض باللئيم كأنـه أعشى اللحاظ يحز غير المفصل

ولرب مولى لا يغض جماحه طول العتـاب ولا عناء العذل

يطغى عليك وأنت تلأم شعبه كالسيف يأخذ من بنان الصيقل

أبكي على عمر يجاذبه الردى جذب الرشاء عن القليب الأطول

أخلق بحبل مرسل في غمرة أن سوف ترفعه بنـان المرسل

ما كنت أطرب للقاء ولا أرى قلقـاً لبين الظاعن المتحمل

ألوي عناني عن منازلة الهوى وأصد عن ذكر الغزال المغزل

وأزور أطراف الثغور ودونها طعن يبرح بالوشيج الذبـل

أأنال من عذب الوصال ودونه مر الاباء ونخوة المتـدلل

ما كنت أجرع نطفة معسولة طوع المنى وإناؤها من حنظل

أعقيلة الحيين دونك فارفعي ماشئت من عذب القناع المسبل

هيهات يبلغك اللحاظ وبيننا هضب كخرطوم الغمام المقبل

أوطان غيرك للضيافة طلقـة وسواك في اللأواء رحب المنزل

وإذا أمير المؤمنين أضاف لي املي نزلت على الجواد المفضل

بالطائع الميمون انجح مطلبي وعلوت حتى ما يطاول معقلي

قرم إذا غزت الخطوب مراحه أدمى غواربها بنـاب أعصل

متوغل خلف العدو وعامه أن الجبان إذا سرى لم يوغل

---

(١) ديوانه : ٥٩٨

وإذا تناولت الرجال غنيمة　　قسم التراث لها بحد المنصل

ثبت لجهجهة الخطوب كأنها　　جاءت تقعقع بالشنان ليذبل

رأي الرشيد وهيبة المنصور في　　حسن الأمين ونعمة المتوكل

آباؤك الغر الذين إذا انتموا　　ذهبوا بكل تطاول وتطول

درجوا كما درج القرون وعلمهم　　أن سوف يخبر آخر عن أول

نسب إليك تجاذبت أشياخه　　طولا من العباس غير موصل

هذي الخلافة في يديك زمامها　　وسواك يخبط قعر ليل أليل

أحرزتها دون الأنام وإنما　　خلف العجاجة سائق لم يذهل

بجوادر يعنقن من نحت القنا　　عنقاً يعرّد بالذئاب العسل

غر محجلة إذا احتضر الوغى　　نقبن عن يوم أغر محجل

رفعت فأي الحزم عنها لم يضق　　عرقاً وأي اللجم لم يتصلصل

سلخ الظلام إهابها وتهللت　　جنبات ذاك العارض المتهلل

طلعت بوجهك غرة نبوية　　كالشمس تملأ ناظر المتأمل

وإذا نبت بك في مسالمة العدى　　أرضٌ وهب ترابها للقسطل

وفوارس ما استعصموا بثنية　　إلا طلعت عليهم في جحفل

إلى ان قال :

أرجوك للامر الخطير وإنما　　يرجى المعظم للعظيم المعضل

وأروم من غلواء عزك غاية　　قعساء تستلب النواظر من عل

تدمي قلوب الحاسدين وتنثني　　فترد عادية الخطوب النزل

ضاق الزمان فضاق فيه تقلبي　　كالماء يجمع نفسه في الجدول

فاسمح بفعلك بعد وعدك إنه لايحمد الوسمي إلا بالولي

فلعنا نمتاح إن لم نغترف ماء المنى ونعلُّ إن لم ننهل

إيه وكم من نعمة جللتها تضفو كهداب الرداءِ المخمل

لله أنت لقد أثرت صنيعةً بيـدي معم في الصنائع مخول

شرفتنا دون الأنام وإنما بر القريب عـلاقة المتفضل

وجذبتنا جذب الحرير إلى العلى وعدونا يهوي هويّ الأجـدل

وأحق بالإطراء باعث منة وصلت من الأرحام مالم يوصل

مولاي من لي أن أراك وكيف لي بحضور دارك والعدو بمعزل

انظر الي ببعض طرفك نظرة يسمو لها نظري ويعرب مقولي

فالآن لا أرضى وأنت مؤملي برضى القنوع وعفة المتجمل

نعمى أمير المؤمنين حرية أن لا تنام على الرجاء المهمل

بفم إذا رفع الكلام سجافه أوحى بنائله وإن لم يسأل

ويد إذا استمطرت هامر مزنها دفقت عليك من الزلال السلسل

تمحو أساطير الخطوب كما محا مر الشمال من الغمام المثقل

واليت فيك مدائحي فكأنما أفرغت نبلي كله في مقتل

من كل قافية إذا ما أنشدت عطفت عنان الراكب المستعجل

فظفرت من نفحاته وجواره باجـل نعمـاءٍ وأحرز موئـل

وقال يمدح الطائع ايضاً ويهنئه بصوم شهر رمضان سنة ٣٨٧ :

مسيري في ليل الشاب ضلال وشيبي ضياء في الورى وجمال[1]

---

(٣) ديوانه ٦٠٧

سواد ولكن البياض سيادةٌ وليل ولكن النهار جلال

وما المرء قبل الشيب إلا مهند صدي وشيب العارضين صقال

وليس خضاب الرأس إلا تعلة لمن شاب منه عارض وقذال

وللنفس في عجز الفتى وزماعه زمام إلى ما يشتهي وعقال

بلوت وجربت الأخلاء مدة فأكثر شيء في الصديق ملال

وما راقني ممن أود تملق ولا غرني ممن أحب وصال

وما صحبك الأدنون إلا أباعد إذا قل مال أو نبت بك حال

ومن لي بخل أرتضيه وليت لي يمينا تعاطيها الوفاء شمال

تميل بي الدنيا إلى كل شهوة وأين من النجم البعيد منال

وتسلبني أيدي النوائب ثروتي ولي من عفافي والتقنع مال

إذا عزني ماء وفي القلب غلة ظمئت وكل الآل عندي آل

ومثلي لابأس على ما يفوته إذا كان عقبى ما ينال زوال

لانا خلقنا عرضة لمنية فنحن إلى داعي المنون عجال

تخف على ظهر الثرى وبطونه علينا إذا حل الممات ثقال

وما نوب الأيام إلا أسنة تهاوى إلى أعمارنا ونصال

وأنعم منا في الحياة بهائم وأثبت منا في التراب جبال

أنا المرء لاعرضي قريب من العدى ولا فيّ للباغي عليّ مقال

وما العرض إلا خير عضو من الفتى يصاب وأقوال العداة نبال

وقور فإن لم يرع حقي جاهل سألت عن العوراء كيف تقال

إلى كم أمشي العيس غرثى كليلة وأودع منها ربرب ورئال
أروغ كأني في الصباح طريدة وأسري كأني في الظلام خيال
تمطى بنا أذوادنا كل مهمه خفائف تخفيها ربى ورمال
لطمنا بأيديها الفيافي اليكم وقد دام أغذاذ وطال كلال
خوارج من ليل كأن وراءه يد الفجر في سيف جلاه صقال
تقوم أعناق المطي نجومه فليس لسار فوقهن ضلال
وهوجاء قدام الركاب مغذة لها من جلود الرازحات نعال
رحلنا بها كالبدر حسناً وشارة وملنا إلى البيداء وهي هلال
إليك أمين الله وسمت أرضها بأخفافها يدنو بهن نقال
أيادي أمير المؤمنين كثيرة ومال أمير المؤمنين مذال
وأوقاته اللاتي تسوء قصيرة وايامه اللاتي تسر طوال
من الضاربين الهام والخيل تدعي
وإن غاب أنصار وقل رجال
هم القوم إن هاب المصاليت أقدموا
وإن سئلوا بذل النوال أنالوا
وإن طرق اليوم العبوس تهللوا وإن مالت السمر الذوابل مالوا
أجيل لحاظي لا أرى غير ناقص كأن الورى نقص وأنت كمال
لنا كل يوم في معاليك شعبة وأكرومة ما تنقضي ونوال
وأنت الذي بلغتنا كل غاية لها فوق أعناق النجوم مجال
فما طرد النعماء وعدك ساعة ولا غض من جدوى يديك مطال
إذا قلت كان الفضل ثاني نطقه وخير مقال ما تلاه فعال

أزل طمع الأعداء عني بفتكة ... فلا سلم إلا أن يطول قتال

فإن نفوس الناكثين مباحة ... وإن دماء الغادرين حلال

وشمر فما للسيف غيرك ناصر ... ولا للعوالي إن قعدت مصال

ومن لي بيوم شاحب في عجاجه ... أنال بأطراف القنا وأنال

وكالفرس الشقراء في الجو شمسه ... لها من غيابات الغبار جلال

أردني مراداً يقعد الناس دونه ... ويغبطني عم عليه وخال

ولا تسمعن من حاسد ما يقوله ... فأكثر أقوال العداة محال

هناء لك الصوم الحديد ولا تزل ... عليك من العيش الرقيق ظلال

وجادك منهل الغمام وصافحت ... حماك جنوب غضة وشمال

ولا زال من آمالنا ورجائنا ... عليك وإن ساء العدو عيال

وفي كل يوم عندنا منك عارض ... وعند الأعادي فيلق ونزال

أنا القائل المحسود قولي من الورى ... علوت وما يعلو علي مقال

يقولون حاز الفضل قوم بسبقهم ... وماضرني أني أتيت وزالوا

ولا فرق بيني في الكلام وبينهم ... بشيء سوى أني أقول وقالوا

فلا زال شعري فيك وحدك كله ... ولا اضطرني إلا إليك سؤال

ومن قوله في الفخر :

ألا ليت أذيال الغيوم السواجم ... تجر على تلك الربى والمعالم[1]

ولولاك ما استسقيت مزنا لمنزل ... فأحمل فيه منة للغمائم

---

(١) ديوانه : ٨١٢

ويارب أرض قد قطعت تشق بي ... جيوب الملا أيدي المطي الرواسم

وليل طويل الباع قصرت طوله ... إليك وقد ألقى يداً في المخارم

وعيس خُطت عرض الفلا برحالنا ... ترعزع في الأعناق رقش التمائم

إذا فاح ريعان النسيم رأيتها ... إلى الجانب الغربي عوج الخياشم

يسير بها مستنجد بعصابة ... أناملها ملوية بالقوائم

تباري نجوم الليل بالبيض والقنا ... وضوء بدور هامها في العمائم

حقيق بأن لا يهتك الدهر ثوبه ... على العار كأس من عجاج الملاحم

وأين من الدهر استماع ظلامتي ... إذا نظرت أيامه في المظالم

فهل نافع أن ينصر المجد عزمتي ... على هذه العلياء والمال ظالمي

أنا الأسد الماضي على كلّ فعلة ... تمشي شفار البيض فوق الجماجم

وفي مثلها أرضيت من عزمتي المنى ... وصافحت أطراف القنا والصوارم

ولم أدر أن الدهر يخفض أهله ... إذا سكنت فيهم نفوس الضراغم

وما العيش إلا فرحة إن هجرتها ... سطوت على الدنيا بسطوة حازم

سأصبر حتى يعلم الصبر أنني ... ملكت به دفع الخطوب الهواجم

وآخذ ثاري من زمان تعرضت ... مَغارمه بيني وبين المغانم

وما نام إغضاء عن الدهر صارمي ... ولكنني أبقي على غير راحم

وإن أنا أهلكت الزمان فما الذي ... يصدع عزمي في صدور العظائم

وركب سروا والليل ملق جرانه ... على كل مغبر المطالع قاتم

خذوا عزمات ضاعت الأرض بينها ... فصار سراهم في ظهور العزائم

تريهم نجوم الليل ما يبتغونه　　على عاتق الشعرى وهام النعائم

وغط على الأرض الدجى فكأننا　　نفتش عن أعلامها بالمناسم

وفتية صدق من قريش إذا انتدوا　　أروك عطاء المال ضربة لازم

إذا طردوا في معرك المجد قصّفوا　　رماح العطايا في قلوب المراحم

وإن سحبوا خرصانهم لكريهة　　تصدع قلب الأرض عن صدر واجم

وتثبت في عليا معدٍ غصونهم　　ثبات بنان في قلوب البراجم

أيسمح لي هذا الزمان بصاحبٍ　　طويل نجاد السيف من آل هاشم

إذا أنا شيعت الحسام بكفه　　مضى عزم مشبوح الذراع ضبارم

إذا ضافه الهم النزيع رمى بها　　نزائع لا يعلفن غير الشكائم

ولست بمستصف سوى كل خائض

إلى كل بحر بالقنا متلاطم

أنامله في الحرب عشر أسنةٍ　　ولكنها في الجود عشر غمائم

طموح إذا غض الشجاع لحاظه　　وأطرق عن برق الظبى كل شائم

أعاذل ما سمعي للومك مرتعا　　إذا كان مصروفاً إلى غير لائم

يبثك عن ليل تعسفت متنه　　كأني أمشي في متون الأراقم

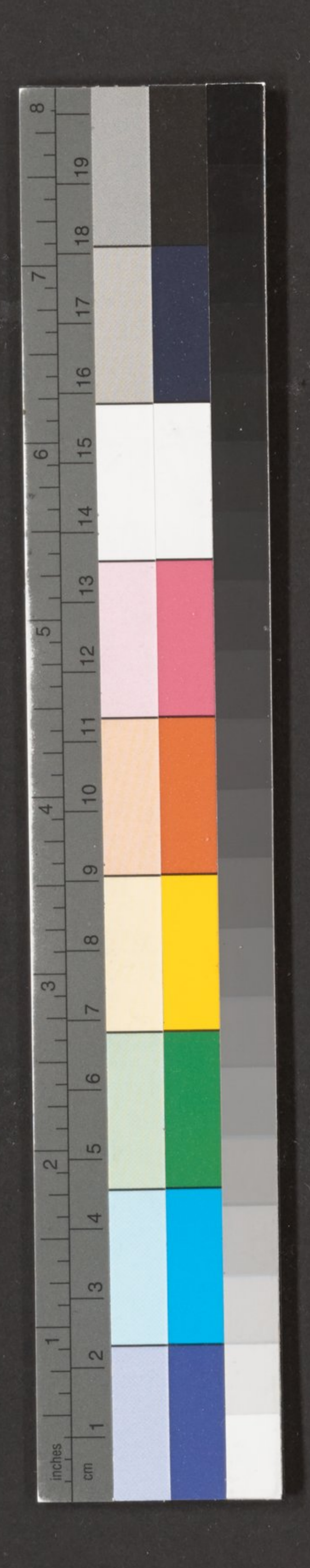
يخيل لي أن النجوم ضمائر　　يقلقل فيها خشية من عزائمي

لقيت ظلام الليل في لون مفرقي　　وفارقته والصبح في لون صارمي

أجوب آجام المنايا وأسدها　　تروعني من بينها بالهماهم

وبيني وبين القوم من آل يعرب　　ضغائن تثنيني زهيد المطاعم

إذا ما جنوا من مالهم ثمر العلى　　جنيت المعالي من غصون اللهاذم



أغرّ بني فهر وعيد مجاشع   وأي وعيد بعد وقع الصوارم؟

أيوعدنا من عطل البيض والقنا   وأقسم لا ينجو بغير الهزائم

عشية خضنا بالضوامر ليلهم   وفي كل جفن منهم طيف حالم

نريهم صدور السمر بين نحورهم   فما استيقظوا إلا بقرع الحلاقم

كأن الكرى يقتص من طول نومهم   فيسهر منهم بالقنا كل نائم

وكم من غلام خالط البأس قلبه   يقطع أقران الأمور الغواشم

ونحن دلفنا للأراقم فتية   يضيفون أطراف القنا في الحيازم

تطلع من خلف الفجاج كأنما   تطالعهم منها عيون القشاعم

إذا اشتجر الضرب الدراك تمطقت   إلى الطعن أفواه النسور الحوائم

وولوا على الخيل العتاق كأنهم   تراحم غيم العارض المتراكم

تفيض عيون الطعن بالدم منهم   ويغسلها فيض العيون السواجم

وله يمدح اباه ويذكر غرضاً له :

شيمي لحاظك عني ظبية الخمر   ليس الصبا اليوم من شأني ولا وطري [1]

مات الغرام فما أصغي إلى طرب   ولا أربي دموع العين للسهر

من يعشق المجد لا يعنو لغانية   في رونق الصفو مايغني عن الكدر

---

(١) ديوانه : ٣٥٣

شغلت بالمجد عما يستلذ به   إذا جذبت به باعا من العمر

لا يبعد الله من غارت ركائبهم   وأنجد الشوق بين القلب والبصر

ياوقفة بوراء الليل أعهدها   كانت نتيجة صدر عاقر الوطر

والوجد يغصبني قلباً أضن به   والدمع يمنع عني لذة النظر

طرقتهم والمطايا يستراب بها   والليل يرمقني بالأنجم الزهر

أصانع الكلب أن يبدي عقيرته   والحي مني إذا أغفوا على غرر

وفي الخباء الذي هام الفؤاد به   نجلاء من أعين الغزلان والبقر

أبرزتها فتحاصرنا مباعدة   من الخيام نعفي الخطو بالأزر

ثم انثنيت ولم ادنس سوى عبق   على جيوبي لريا بردها العطر

لا أغفل المزن أرضاً ينزلون بها   ولا طوى عنهم مستعذب المطر

جر النسيم على أعطاف دارهم   ذيلا وألبسها من رقة السحر

وما بكائي على خل فجعت به   إلا لكل فتى كالصارم الذكر

ما حاربوا الدهر إلا لان جانبه   ان المشيع أولى الناس بالظفر

يا للرجال دعاء لايشار به   إلا إلى غرض بالذل والحذر

ردوا الرحيل فإن القلب مرتحل

وسافروا ان دمع العين في سفر

ويوم ضجت ثنايا بابل ومشت

بالخيل في خلع الاوضاح والغرر

قمنا نخلي وراء اللثم كل فتىً

كأن حليته من صفحة القمر

إني لأمنـح قوماً لا أزورهم مج القنا من دم الأوادج والثغر

طعناً كما صبح الغدران ممتحن رمى فشتت شمل الماء بالحجر

وجاهل نال من عرضي بلا سبب أمسكت عنه بلا عي ولا حصر

حمته مني المخازي أن أعاقبـه كذاك تحمى لحوم الذود بالدبر

ومهمه كشفار البيض مطرد بالآل عارٍ من الأعلام والخمر

إذا تدلت عليه الشمس أوحشها تلمع المور بالأنهار والغدر

غصصت تربته بالعيس مالكة على النجاء رقاب الورد والصدر

أطوي البلاد إلى مالا أذل بـه من البلاد وما أطوي على خطر

مجاهلًا ما أظن الذئب يعرفها ولا مشى قائفٌ فيها على أثر

ينسى بها اليقظ المقدام حاجته ويصبح المرء فيها ميت الخبر

لا تبعدن أماني التي نشزت على الزمان بأيدي الأَنيق الصعر

إليك لولاك مالج البعاد بها ترمي المنازل بالإدلاج والبكر

يا ابن النبي مقالاً لا خفاء بـه وأحسن القول فينا قول مختصر

رأيت كفك مأوى كل مكرمة إذا تواصت أكف القوم بالعسر

لطاب فرعك واهتزت أراكته في المجد إن المعالي أطيب الشجر

ما كل نسل الفتى تركو مغارسه قد يفجع العود بالأوراق والثمر

إن الرماح وإن طالت ذوائبها من العدى تتواصى عنك بالقصر

تسل منـك الليـالي سيف ملحمـة يستنهض الموت بين البيض والسمر

مشيع الرأي ان كرت أسنته جرى القنا بين منآد ومنأطر
فاسلم إذا نكب المركوب راكبه واستأسد الدهر بالأقدار والعبر

تم الاختيـــار من شعر الشريف الرضي وأخباره ، ويليه الاختيار من شعر البهاء زهير .

شعر

البهاء زهير[1]

هو الوزير بهاء الدين أبو الفضل ، زهير بن محمد بن علي بن يحيى ابن الحسين بن جعفر بن منصور المهلبي الصالحي ، الفاتكي ، المصري ، الأزدي ، رحمه الله تعالى آمين فمن قوله : وكتب بها إلى الوزير فخر الدين أبي الفتح عبد الله بن قاضي داريا يشكو إليه سوء أدب غلمانه :

سواك الذي ودي لديه مضيع وغيرك من سعيي إليه مخيب[2]
ووالله ما آتيك إلا محبة وإني في أهل الفضيلة أرغب
أبث لك الشكر الذي طاب نشره وأطري بما أثني عليك وأطرب

---

(١) قوبل شعر البهاء زهير على ديوانه طبع مصر .

(٢) ديوانه : ٨

فمالي ألقى دون بابك جفوة ... لغيرك تعزى لا إليك وتنسب

أرد برد الباب إن جئت زائراً ... فياليت شعري أين أهل ومرحب؟

ولست بأوقات الزيارة جاهلا ... ولا أنا ممن قربه يتجنب

وقد ذكروا في خادم المرء أنه ... بما كان من آدابه يتأدب

فهلا سرت منك اللطافة فيهم ... وأعدتهم آدابها فتأدبوا

ويصعب عندي حالة ما ألفتها ... على أن بعدي عن جنابك أصعب

وأمسك نفسي عن لقائك كارها ... «أغالب فيك الشوق والشوق أغلب»

وأغضب للفضل الذي أنت ربه ... لأجلك لا أني لنفسي أغضب

وآنف إما عزة منك نلتها ... وإما لإدلال به أتعتب

وإن كنت ماأعتدها فيك زلة ... فحسبي بها من خجلة حين أذهب

وقال في جواب كتاب ورد إليه من بعض أحبابه :

رسول الرضى أهلاً وسهلاً ومرحباً ... حديثك ما أحلاه عندي وأطيبا[1]

ويا مهديا ممن أحب سلامه ... عليك سلام الله ماهبت الصبا

ويا محسناً قد جاء من عند محسن ... ويا طيبا أهدى من القول طيبا

لقد سرني ما قد سمعت من الرضى ... وقد هزني ذاك الحديث وأطربا

وبشرت باليوم الذي فيه نلتقي ... ألا إنه يوم يكون له نبا

---

(١) ديوانه : ٩

فعرض إذا حدثت بالبان والحمى ... وإياك أن تنسى فتذكر زينبا

ستكفيك من ذاك المسمى إشارة ... ودعه مصونا بالجمال محجبا

أشر لي بوصف واحد من صفاته ... تكن مثل من سمى وكنى ولقّبا

وزدني من ذاك الحديث لعلني ... أصدق أمراً كنت فيه مكذبا

سأكتب مما قد جرى في عتابنا ... كتاباً بدمع للمحبين مذهبا

عجبت لطيفٍ زار بالليل مضجعي ... وعاد ولم يشف الفؤاد المعذبا

فأوهمني أمراً وقلت لعله ... رأى حالة لم يرضها فتجنبا

وما صدّ عن عن أمرٍ مريب وإنما ... رآني قتيلًا في الدجى فتهيبا

ومن قوله :

كلفتُ بشمس لا ترى الشمس وجهها ... أراقب فيها الف عين وحاجب [١]

ممنعة بالخيل والقول والقنا ... وتضعف كتبي عن زحام الكتائب

ولو حملت عني الرياح تحية ... لما نفذت بين القنا والقواضب

فمالي منها رحمة غير أنني ... أعلل نفسي بالأماني الكواذب

أغار على حرف يكون من اسمها ... إذا ما رأته العين في خط كاتب

ومن قوله :

وغانية لما رأتني أعولت ... وقالت عجيب يازهير عجيب [٢]

رأت شعرات لحن بيضاً بمفرقي ... وغصني من ماء الشباب رطيب

(١ و (٢) ديوانه : ١٠ و ١١ و ١٢

لقد أنكرت مني مشيباً على صبى فقالت مشيب قلت ذاك مشيب
وما شبت إلا من وقائع هجرها على أن عهدي بالصبا لقريب
عرفت الهوى من قبل أن يعرف الهوى
وما زال لي في الغيب منه نصيب
ولم أر قلباً مثل قلبي معذباً له كل يوم لوعة ووجيب
وكنت إذا استهونت في الحب نظرة
وقد صار منها في الفؤاد لهيب
تركت عذولي ما أراد بقوله يُسفِّه يُزري يستخفُّ يعيب
وماذا به إلا دماثة منطقي وإني مزاح اللسان لعوب
أروح ولي في هزة الحب نشوة ولست أبالي أن يقال طروب
محب خليعٌ عاشقٌ متهتك يلذ لقلبي كل ذا ويطيب
خلعت عذاري بل لبست خلاعتي وصرحت حتى لا يقال مريب
وفى لي من أهوى وأنعم بالرضى يموت بغيظ عاذل ورقيب
فلا عيش إلا بالأحبة جامع ولا أنس إلا أن يزور حبيب
وإني ليدعوني الهوى فأجيبه وإني ليثنيني التقى فأنيب
رجوت كريماً قد وثقت بصنعه وما كان من يرجو الكرام يخيب
فيا من يحب العفو إني مذنب ولا عفو إلا أن تكون ذنوب

ومن قوله في الشيب :

سلام على عهد الشبيبة والصبا وأهلاً وسهلاً بالمشيب ومرحبا[2]

---

(١) ديوانه : ١٠ و ١١ و ١٢

ويا راحلا عني رحلت مكرماً ويا نازلاً عندي نزلت مقربا

أأحبابنا إن المشيب لشارع لينسخ أحكام الصبابة والصبا

وفيَّ مع الشنب الملم بقية تجدد عندي هزةً وتطربا

احنّ اليكم كلما لاح بارق واسأل عنكم كلما هبت الصبا

وما زال وجهي أبيضاً في هواكم إلى أن سرى ذاك البياض فشيبا

وليس مشيباً ما ترون بعارضي فلا تمنعوني أن أهيم وأطربا

فما هو إلا نور ثغرٍ لثمتُهُ تعلق في أطراف شعري فألهبا

وأعجبني التجنيس بيني وبينه فلما تبدى أشنباً حلت أشيبا

وهيفاء بيضاء الترائب أبصرت مشيبي فأبدت روعة وتعجبا

جنت لي هذا الشيب ثم تجنبت فواحربا ممن جنى وتجنبا

تناسب خدي في البياض وخدها ولو دام مسوداً لقد كان أنسبا

وإني وإن هز الغرام معاطفي لآبى الدنايا نخوة وتعربا

اتيهُ على كل الأنام نزاهة وأشمخ إلا للصديق تأدبا

وإن قلتم أهوى الرباب وزينبا صدقتم سلو عني الرباب وزينبا

ولكن فتى قد نال فضل بلاغة تلعب فيها بالكلام تلعبا

ومن قوله :

جاءت تودعني والدمع يغلبها

يوم الرحيل وحادي البين منصلت [1]

وأقبلت وهي في خوف وفي دهشٍ مثل الغزال من الأشراك ينفلت

---

(١) ديوانه : ٢٢

فلم تطق خيفة الواشي تودعني ويح الوشاة لقد نالوا وقد شمتوا
وقفت أبكي وراحت وهي باكية تسير عني قليلاً ثم تلتفت
فيا فؤادي كم وجدٌ وكم حرق ويا زماني ذا جور وذا عنت

ومن قوله :

يعاهدني لا خانني ثم ينكث وأحلف لا كلمته ثم أحنث[1]
وذلك دأبي لا يزال ودأبهُ فيا معشر الناس اسمعوا وتحدثوا
أقول له صلني يقول نعم غداً ويكسر جفناً هازئاً بي ويعبث
وما ضر بعض الناس لو كان زارني وكنا خلونا ساعة نتحدث
لك الله اني في هواك معذب وحتام أبقى في العذاب وأمكث ؟
فخذ مرة روحي ترحني ولم أكن أموت مراراً في نهاري وأبعث
وإني لهذا الضيم منك لحامل ومنتظر لطفاً من الله يحدث
أعيذك من هذا الجفاء الذي بدا خلائقك الحسنى أرق وأدمث
تردد ظن الناس فينا وأكثروا أقاويل منها طيب ويخبث
وقد كرمت في الحب منا شمائل ويسأل عنا من اراد ويبحث

ومن مختارات قوله :

ترى هل علمتم مالقيت من البعد لقد جل ما أخفيه منكم وما أبدي[2]
فراق ووجد واشتياق ولوعة تعددت البلوى على واحد فرد

---

(١) ديوانه : ٢٦
(٢) ديوانه : ٣٩

رعى الله أياماً تقضت بقربكم كأني بها قد كنت في جنة الخلد

هبوني امرءاً قد كنت بالبين جاهلاً أما كان فيكم من هداني إلى الرشد

وكنت لكم عبداً وللعبد حرمة فما بالكم ضيعتم حرمة العبد؟

وما بال كتبي لا يرد جوابها فهل أكرمت أن لا تقابل بالرد ؟

فأين حلاوات الرسائل بيننا وأين إمارات المحبة والود ؟

وما لي ذنب يستحق عقوبة ويا ليتها كانت بشيء سوى الصد

ويا ليت عندي كل يوم رسولكم فاسكنه عيني وأفرشه خدي

وإني لأرعاكم على كل حالة وحقكم أنتم أعز الورى عندي

عليكم سلام الله والبعد بيننا وبالرغم مني ان أسلم من بعد

ومن قوله يمدح الأمير النصير اللطمي ، ويهنئه بالقدوم :

صفحا لهذا الدهر عن هفواته إذ كان هذا اليوم من حسناته[1]

يوم يسطر في الكتاب مكانه كمكان بسم الله في ختماته

مطل الزمان به زماناً آنفاً نفسي وعاد بها إلى عاداته

والغيث لا يسم البلاد بنفعه إلا إذا اشتاقت لوسمياته

يا معجز الأيام قرع صفاته ومجمل الدنيا بحسن صفاته

بل احنفاً في حلمه وثباته بل حارث الهيجاء في وثباته

بل كعبة المعروف بل كعب الندى
والماء يقسم شربه بحصاته

إن كنت غبت عن البلاد فلم تغب عن خاطري اذ أنت من خطراته

(١) ديوانه : ٢٠

لو كنت فتشت النسيم وجدته ودعاؤنا يأتيك في طياته

أحبب بسفرتك التي بقدومها جمعت إلينا الجود بعد شتاته

وأفادك الإمكان زائد رفعة كالسيف يصقل بعد حد ظباته

وكفى اهتماما منهما بك أن غدا كل يريدك أن تكون لذاته

والجد إن أمضى عزيمة ماجد راح السكون ينوب عن حركاته

وأتى البشير فلو يسوغ لواحد منا لقاسمه لذيذ حياته

فأربأ بعزك لم تدع من منصب يفضي إلى رتب العلى لم تأته

وتفرعت للمجد منك ثلاثة كثلاثة الجوزاء في جنباته

من كل مهدي غدا في مهده يسمو إلى أسلافه بسماته

أفضى اليه المشتري بسعوده وأعاره بهرام من سطواته

شرفت بنصر في البرية معشرا هو فيهم كالسن فوق لثاته

قوم هم في البيد خير سراتها حسباً وهم في الدهر خير سراته

شرف الزمان بكل ندب منهم متيقظ وهب العلى غفواته

ألف الندى ورأى وجوب صلاته

كرماً ولم يفرض وجوب صلاته

يؤلي المنايا والمنى كالليث في غاباته والغيث في غاياته

ذي عزمة إن راح في سفراته سبكت شبا الهندي من شفراته

يا منسك المعروف أحرم منطقي زمنا وقد لباك من ميقاته

هذا زهيرك لا زهير مزينة وافاك لا هرماً على علاته

دعه وحولياته ثم استمع لزهير عصرك حسن ليلياته

لو أنشدت في آل جفنة أضربوا
عن ذكر حسان وعن جفناته

وقال يمدح الامير المكرم مجد الدين بن اسماعيل اللمطي ويهنئه بشهر الصوم سنة ٦٠٩ :

جعل الرقاد لكي يواصل موعدا من أين لي في حبه أن أرقدا؟[1]
وهو الحبيب فكيف أصبح قاتلي والله لو كان العدو لما عدا
كم راح نحوى لائم وغدا وما راح الملام بمسمعي ولا غدا
في كل معتدل القوام مهفهف حلو التثني والثنايا أغيدا
يحكي الغزالة بهجة وتباعداً ويقول قوم مقلة ومقلدا
وكذاك قالوا الغصن يشبه قده يا قده كل الغصون لك الفدا
يا رامياً قلبي بأسهم لحظه أحسبت قلبي مثل قلبك جامدا؟
تالله لولا جور أحكام الهوى ما بات طرفي في هواك مسهدا
وإليك عاذل عن ملامة مغرم ما أتهم العذال إلا أنجدا
أو ما ترى ثغر الأزاهر باسماً
فرحاً وعريان الغصون قد ارتدى ؟
وقف السحاب على الربى متحيراً
ومشى النسيم على الرياض مقيداً
ويشوقني وجه النهار ملثماً ويروقني الخد الأسيل موردا
وكأن انفاس النسيم إذا سرت شكرت لمجد الدين مولانا يدا

---

(١) ديوانه : ٣٨

مولى له في الناس ذكر مرسل ... قد أوردته السحب عنه مسندا
ألف الندى والسيف راحة كفه ... فيما هنالك معرباً ومهندا
وإذا استقل على الجواد كأنه ... ظام وقد ظن المجرة موردا
جعل العنان له هنالك سبحة ... وغدا له سرج المطهم مسجدا
مولى بدا من غير مسألة بما ... حاز الندى كرماً وعاد كما بدا
وأنال جوداً لا السحاب ينيله ... يوماً وإن كان السحاب الأجودا
يعزى لقوم سادة يمنية ... أعلى الورى قدراً وأزكى محتدا
الحالبين البدن من أوداجها ... والموقدين لها القنا المتقصدا
والغالبين على القلوب مهابة ... والواصلين إلى القلوب توددا
وإذا الصريخ دعاهم لملمة ... جعلوا صليل المرهفات له صدى
يا سيداً للمكرمات مشيداً ... لا فلّ غربك سيداً ومشيدا
لك في المعالي حجة لاتدعى ... لمعاند ومحجة لا تهتدى
وافاك شهر الصوم يا من قدره ... فينا كليلة قدره لن يجحدا
وبقيت حيا ألف عام مثله ... متضاعفاً لك أجره متعددا
والدهر عندك كله رمضان يا ... من ليس يبرح صائماً متهجدا

ومن قوله يصف امرأة طويلة سمراء

وسمراء تحكي الرمح لوناً وقامة ... لها مهجتي مبذولة وقيادي [1]
وقد عابها الواشي فقال طويلة ... مقال حسود مظهر لعناد
فقلت له بشرت بالخير إنها ... حياتي فإن طالت فذاك مرادي

---

(١) ديوانه : ٤٣

نعم أنا أشكو طولها ويحق لي　　لقد طال فيها لوعتي وسهادي

وما عابها القد الطويل وإنه　　لأول حسن المليحة باد

رأيت الحصون الشم تحرس أهلها　　فاعددتها حصناً لحفظ ودادي

ومن قوله يعاتب بعض أحبابه :

إلى كم أدراي الف واش وحاسد
فمن مرشدي من منجدى من مساعدي[1]

ولو كان بعض الناس لي منه جانب
وعيشك لم أحفل بكل معاند

إذا كنت ياروحي بعهدي لاتفي　　فمن ذا الذي يرجو وفاء معاهد؟

أظن فؤادي شوقه غير زائل　　وأحسب جفني نومه غير عائد

أبى الله إلا أن أهيم صبابة　　بحفظ عهود أو بذكر معاهد

وكم مورد لي في الهوى قد وردته
وضيعت عمري في ازدحام الموارد

وما لي من أشتاقه غير واحد　　فلا كانت الدنيا إذا غاب واحدي

أأحبابنا أين الذي كان بيننا　　وأين الذي اسلفتم من مواعد؟

جعلتكم حظي من الناس كلهم　　وأعرضت عن زيد وعمرو وخالد

فلا ترخصوا وداً عليكم عرضته　　فيا رب معروض وليس بكاسد

وحقكم عندي له ألف طالب　　وألف زبون يشتريه بزائد

تقولون لي أنت الذي سار ذكره　　فمن صادر يثني عليه ووارد

---

(١) ديوانه : ٤٧

هبوني كما قد تزعمون أنا الذي فاين صلاتي منكم وعوائدي
وقد كنتم عوني على كل حادث وذخري الذي أعددته للشدائد
رجوتكم ان تنصروا فخذلتم على انكم سيفي وكفي وساعدي
فعلتم وقلتم واستطلتم وجرتم ولست عليكم في الجميع بواجد
فجازيتم تلك المودة بالقلى وذاك التداني منكم بالتباعد
إذا كان هذا في الأقارب فعلكم فماذا الذي أبقيتم للأباعاد ؟

ومن قوله في المعنى :

عفا الله عنكم أين ذاك التودد وأين جميل منكم كنت اعهد؟
ويا أيها الأحباب ماذا أرابكم وإني بحمد الله أهدى وأرشد
تعالوا نخلي العتب عنا ونصطلح وعودوا بنا للوصل والعود أحمد
بما بيننا لا تنقضوا العهد بيننا فيسمع واش أو يقول مفند
ولا تخدشوا بالعتب وجه محبة لها بهجة أنوارها تتوقد
ولا نتحمل منة الرسل بيننا ولا غرر الكتب التي تتردد
إذا ما تعاتبنا وعدنا إلى الرضى فذلك ودٌّ بيننا يتجدد
عتبتم علينا واعتذرنا إليكم وقلتم وقلنا والهوى يتأكد
عتبتم فلم نعلم لطيب حديثكم اذاك عتاب أم رضى وتودد؟
وقد كان ذاك العتب من فرط غيره
ويا طيب عتب بالمودة يشهد
وبتنا كما نهوى حبيبين بيننا عتاب كما انحلَّ الجمان المنضد
وأضحى نسيم الروض يروي حديثنا
فيا رب لا تُسمع وشاة وحسد

ومن قوله :

وعاذلة باتت تلوم على الهوى ... وبالنسك في شرخ الشباب تشير [1]

لقد أنكرت مني مشيباً على صبا ... ورقت لقلبي وهو فيه أسير

أتتني وقالت يا زهير أصبوة ... وأنت حقيق بالعفاف جدير

فقلت دعيني اغتنمها مسرة ... فما كلُّ وقت يستقيم سرور

دعيني واللذات في زمن الصبا ... فإن لامني الأقوام قيل صغير

وعيشك هذا وقت لهوي وصبوتي ... وغصني كما قد تعلمين نضير

يُوله قلبي قامة ورشاقة ... ويخلب قلبي أعين وثغور

فإن متُّ في ذا الحب لست بأول ... فقبلي كان العاشقون كثير

وإني على ما فيَّ من ولع الصبا ... جدير بأسباب التقى وخبير

وإن عرضت لي في المحبة نشوة ... وحقك إني ثابت ووقور

وإن رق مني منطق وشمائل ... فما همّ مني بالقبيح ضمير

وما ضرني أني صغير حداثةً ... إذا كان قدري في الأنام كبير

ومن قوله : يهنىء الأمير نصر الدين أبا الفتح بن اللمطي بقدومه من غزوة غيدان .

لها خفر يوم اللقاءِ خفيرها ... فما بالها ضنت بما لا يضيرها ؟ [2]

أعادتها أن لا يعاد مريضها ... وسيرتها أن لا يفك أسيرها

رعيت نجوم الليل من أجل أنها ... على جيدها منها عقود تديرها

وقد قيل إن الطيف في النوم زائر ... فأين لطرفي نومة يستعيرها ؟

---

(١) و (٢) ديوانه : ٥٢

وها أنا ذا كالطيف فيها صبابة لعلي إذا نامت بليل أزورها

أغار على الغصن الرطيب من الصبا

وذاك لأن الغصن قيل نظيرها

ومن دونها أن لا تلم بخاطر قصور الورى عن وصلها وقصورها

من الغيد لم توقد من الليل نارها ولكنها بين الضلوع تثيرها

ولم تحك من أهل الفلاة شمائلا سوى أنه يحكي الغزال نفورها

أروح فلا تعوي علي كلابها وأغدوا فلا يرغو علي بعيرها

ولو ظفرت ليلى بترب ديارها لأصبح منها درها وعبيرها

تقاضى غريم الشوق مني صبابة مروعة لم يبق إلا يسيرها

وإن الذي أبقته مني يد النوى فداء بشير يوم وافى نصيرها

أمير إذا أبصرت إشراق وجهه فقل لليالي تستسر بدورها

وإن فزت بالتقبيل يوماً لكفه رأيت بحار الجود يجري نهورها

وكم يدعي العلياء قوم وإنه له سرها من دونهم وسريرها

قدمت ووافتك البلاد كأنما يناجيك منها بالسرور ضميرها

ولاقتك لما جئت يسحب روضها مطارفه وافتر عنها غديرها

تبسم منها حين اقبلت نوْرها وأشرق منها يوم وافيت نورها

وحتى مواليك السحائب أقبلت فوافاك منها بالهناء مطيرها

ورب دعاء بات يطوي لك الفلا إذا خالط الظلماء ليلا منيرها

وطئت بلاداً لم يطأها بحافر سواك ولم تسلك بخيل وعورها

يكل عقاب الجو منها عقابها ولا يهتدي فيها القطا لو يسيرها

وزرت بلاد الأعجمين بضمر عراب على العقبان منها صقورها

فصبحت منها سودها بأساود تبيد العدى قبل النفار زفيرها

لقد مات فيها من سطاك أنيسها وقد عاش فيها وحشها ونسورها

غدت وقعة قد سار في الناس ذكرها

بما فعلته بالعدو ذكورها

فأضحى بها من خالف الدين خائفاً وضاق على الكفار منها كفورها

وأعطى قفاء الجدربي مولياً بنفس لما تخشاه منك مصيرها

مضى قاطعاً عرض الفلا متلفتاً تروعه أعلامها وطيورها

وأنت بما تهواه حتى حريمه وتلك التي لا يرتضيها غيورها

فان راح منها ناجياً بحشاشة ستلقاه أخرى يحتويه سعيرها

وليس عدواً كنت تسعى لأجله ولكنها سبل الحجيج تجيرها

ومن خلفه ماضي العزائم ماجد يبيد العدى من سطوة ويبيرها

إذا رام مجد الدين حالا فإنما عسير الذي يرجوه منها يسيرها

أخو يقظات لا يلم بطرفه غرار ولا يوهي قواه غريرها

لقد أمنت بالرعب منه بلاده فصدت أعاديها وسدت ثغورها

وأضحى له يولي الثناءَ غنيُّها وأمسى له يهدي الدعاء فقيرها

بك اهتز لي غصن الأماني مثمراً وراقت لي الدنيا وراق نضيرها

وما نالني من أنعم الله نعمة وإن عظمت إلا وأنت سفيرها

ومن بدأ النعما وجاد تكرماً بأولها يرجى لديه أخيرها

وإني وإن كانت أياديك جمة لدي فإني عبدها وشكورها

أمولاي وافتك القوافي بواسماً وقد طال منها حين غبت بسورها

وكان لنأيي عنك مني تبرقعت «وقد رابني منها الغداة سفورها»

إلى اليوم لم تكشف لغيرك صفحة فهاهي مسدول عليها ستورها

إذا ذكرت في الحي أصبح آيساً فرزدقها من وصلها وجريرها

فخذها كما تهوى المعاني خريدة يرف عليها درها وحريرها

تكاد إذا حبرت منها صحيفة لمدحك أن تبيض منها سطورها

وللناس أشعار تقال كثيرة ولكن شعري في الأمير أميرها

وقال يمدح مجد الدين محمد بن اسماعيل ، وهي من فائق الشعر وغرره :

أعلمتم أن النسيم إذا سرى نقل الحديث إلى الرقيب كما جرى [1]

وأذاع سراً ما برحتُ أصونه وهوى انزهُ قدره أن يذكرا

ظهرت عليه من عتابي نفحة رقت حواشيها به وتعطرا

وأتى العذول وقد سددتُ مسامعي

بهوىً يرد من العواذل عسكرا

جهل العذول بأنني في حبكم سهر الدجى عندي ألذ من الكرى

ويلومني فيكم ولست ألومه هيهات ما ذاق الغرام ولا درى

وبمهجتي وسنانُ لاسنة الكرى أو ما رأيت الظبي أحوى أحورا

بهرت محاسنه العقول فما بدا إلا وسبَّح من رآه وكبرا

عانقت غصن البان منه مثمراً ولثمت بدر التم منه مسفرا

وتملكتني من هواه هزة كادت تذيع من الغرام المضمرا

وكتمت فيه محبتي فأذاعها غزل يفوح المسك منه أذفرا

---

(١) ديوانه : ٥٥

غزل أرق من الصبابة والصبا وجعلت مدحي في الأمير مكفرا

وغفرتُ ذنب الدهر يوم لقائه وشكرته ويحق لي أن أشكرا

مولى ترى بين الأنام وبنيه في القدر ما بين الثريا والثرى

بهر الملائك في السماءِ ديانةً الله أكبر ما أبر وأطهرا

ذو همة كيوان دون مقامها لو رامها النجم المنير تحيرا

وتهز منه الأريحية ماجداً كالرمح لدناً والحسام مجوهرا

فإذا سألت سألت منه حاتماً وإذا لقيت لقيت منه عنترا

يهتز في يده المهند عزةً ويميس فيها السمهري تبخترا

وإذا امرؤٌ نادى نداه فإنما نادى فلباه السحاب الممطرا

بين التكرم والمكارم نسبة فلذاك لاتهوى سواه من الورى

من معشرٍ نزلوا من العلياءِ في مستوطن رحب القرى سامي الذرى

جبلوا على الإسلام إلا أنهم فتنوا بنار الحرب أو نار القرى

ركبوا الجياد إلى الجلاد كأنما يحملن تحت الغاب آساد الشرى

من كل موار العنان مطهم يجلو بغرته الظلام إذا سرى

وسروا إلى نيل العلى بعزائم أين النجوم الزهر من ذاك السرى

فافخر بما أعطاك ربك إنه فخر سيبقى في الزمان مسطرا

لاينكر الإسلام ما أوليته بك لم يزل مستنجداً مستنصرا

وليهن مقدمك الصعيد ومن به ومن البشير لمكة أم القُرى

وإذا رأيت رأيت منه جنة لم ترض إلا جود كفك كوثرا

ولطالما اشتاقت لقربك أنفسٌ كادت من الأشواق أن تتفطرا

ونذرت أني إن لقيتك سالماً   قلدت جيد الدهر هذا الجوهرا
وملأت من طيب الثناء مجامرا   يُذكين بين يديك هذا العنبرا
فقرٌ لكل الناس فقر عندها   أبداً تباع بها العقول وتشترى
تُثنى لراويها الوسائدُ عزةً   ويظل في النادي بها متصدرا
مولاي مجد الدين عطفاً إن لي   لمحبة في مثلها لا يُمترى
يا من عرفت الناس حين عرفته   وجهلتهم لما نبا وتنكرا
خلق كماء المزن منك عهدته   ويعز عندي أن يقال تغيرا
مولاي لم أهجر جنابك عن قلى   حاشاي من هذا الحديث المفترى
وكفرت بالرحمن إن كنت امرءاً   أرضى لما أوليته أن يكفرا

ومن قوله يتنصل من ذنب عاتبه عليه بعض أحبابه :

أأحبابنا بالله كيف تغيرت   خلائق غر فيكمُ وغرائزُ ؟[1]
لقد ساءني العتب الذي جاء منكم   وإني عنه لو علمتم لعاجز
لكم عذر كم أنتم سمعتم وقلتم   ومحُتملٌ ماقد سمعتم وجائز
وإن كان لي ذنب كما قد زعمتم   فما الناس إلا المحسن المتجاوز
نعم لي ذنب جئتكم منه تائبا   كما تاب من فعل الخطيئة ماعز
على أنني لم أرض يوماً خيانة   وهيهات لي والله عن ذاك حاجز
وبين فؤادي والسلو مهالك   وبين جفوني والرقاد مفاوز
وإن قلتُ واشوقاً إلى البان والحمى   فإني عنكم بالإشارة رامز

---

(١) ديوانه : ٨٤

دعوني والواشي فإني حاضر وصوتي مرفوع ووجهي بارز
سيذكرما يجري لنا من وقائع مشايخ تبقى بعدنا وعجائز
بعيشك لا تسمع مقالة حاسدٍ يجاهر فيما بيننا ويبارز
فما شاق قلبي غير وجهك شائق ولا حاز قلبي غير حبك حائز
سأكتم هذا العتب خيفة شامت وأوهم أني بالرضى منك فائز
فلي فيك حساد وبيني وبينهم وقائع ليست تنقضي وهزاهز
وإني لهم في حربهم لمخادع أسالمهم طوراً وطوراً أناجز

ومن قوله يتشوق إلى لقاء بعض أحبابه :

سلوا الركب إن وافى من الغور نحوكم
يخبركم عن لوعتي ورسيسي [1]
حديث به أبقيت في الركب نشوة لقد أسكرتهم خمرتي وكؤوسي
فلا تبعثوا لي في النسيم تحية فيرتاب من طيب النسيم جليسي
ولي عن يمين الغور دار عهدتني أميل لأقمار بها وشموس
على مثلها يبكي المحب صبابة فيا مقلتي لا عطر بعد عروس
وإني ليعروني مع الليل لوعة فؤادي منها في لظى ووطيس
تلوح نجوم لا أراها أحبتي ويطلع بدر لا أراه أنيسي
حلفت لكم يوم النوى وحلفتمُ بكل يمين للمحب غموس
وكنتم وعدتم في الخميس بزورة فكم من خميس قدمضى وخميس
وإني لأرضى كلما ترتضونه فإن يرضكم بؤسي رضيت ببوسي

---

(١) ديوانه : ٨٩

على أن لي نفساً عليَّ عزيزة وفي الناس عشاق بغير نفوس

ومن قوله في هذا المعنى :

أما آن للبدر المنير طلوعُ فتشرق أوطان لنا وربوع[(١)]

فيا غائباً ما غاب إلا بوجهه ولي أبداً شوق له وولوع

أأحبابنا هل ذلك العيش عائد كما كان إذا أنتم ونحن جميع

وقلتم ربيع موعد الوصل بيننا وهذا ربيع قد مضى وربيع

لقد فنيت يا هاجرين رسائلي وملَّ رسولٌ بيننا وشفيع

فلا تقرعوا بالعتب قلبي فإنه وحقكم مثل الزجاج صديع

سأبكي وإن تنزف دموعي عليكم بكيت بشعر رق فهو دموع

وما ضاع شعري فيكم حين قلته بلى وأبيكم ضاع فهو يضوع

وقال يمدح علاء الدين علي بن الأمير شجاع الدين جلدك التقوي :

أغصن النقا لولا القوام المهفهفُ لما كان يهواك المعنى المعنفُ[(٢)]

ويا ظبي لولا أن فيك محاسناً حكين الذي أهوى لما كنت توصف

كلفت بغصن وهو غصن ممنطق وهمت بظبي وهو ظبي مشنف

ومما دهاني أنه من حيائه أقول كليل طرفه وهو مرهف

وذلك أيضاً مثل بستان خده به الورد يُسمى مضعفاً وهو يضعف

فيا ظبي هلا كان فيك التفاتة ويا غصن هلا كان فيك تعطف

---

(١) ديوانه : ٩٨

(٢) ديوانه : ١٠٣

ويا حرم الحسن الذي هو آمن وألبابنا من حوله تُتخطف
عسى عطفة للوصل ياواو صدغه علي فإني أعرف الواو تعطف
أأحبابنا أما غرامي بعدكم فقد زاد عما تعرفون وأعرف
أطلتم عذابي في الهوى فترفقوا فبي كلف في حمله اتكلف
ووالله ما فارقتكم عن ملالة وجهدي لكم أني أقول وأحلف
ولكن دعاني للعلاءِ ابن جلدكٍ تشوقُ قلب قادني وتشوف
إلى سيد أخلاقه وصفاته تؤدب من يثني عليه وتظرف
أرق من الماءِ الزلال شمائلا وأصفى من الخمر السلاف وألطف
مناقب شتى لو تكون لحاجب لما ذكرت يوماً له القوس خندف
غدا من مداها حاتم وهو حاتم وأصبح منها أحنف وهو أحنف
أتتك القوافي وهي تحسب روضة لما ضمنته وهو قول مزخرف
ولو قصدت بالذم شانيك لاغتدى وحاشاك منه قلبه يتنطف
تقلد عاراً وهي در منظم وتلبس حُزنا وهي برد مفوف
وتصلي جحيماً وهي في الحسن جنة وتسقي دهاقاً وهي صهباء قرقف

وقال يصف امرأة قصيرة :

تعشقتها مثل الغزال إذا رنا لها مقلة نجلا وأجفانها وطفُ[1]
إذا حسدوها الحسن قالوا لطيفةٌ لقد صدقوا فيها اللطافة والظرف
ولم يجحدوها مالها من ملاحة لعلمهم ما في ملاحتها خلف
بديعة حسن رق منها شمائل وراقت إلى أن كاد يشربها الطرف

---

(١) ديوانه : ١٠٦

فلا الخلق منها لا ولا الخلق جافياً   وحاشا لهاتيك الشمائل أن تجفو
وما ضرها أن لا تكون طويلة   إذا كان فيها كلّ ما يطلب الإلف
وإني لمشغوف بكل مليحة   ويعجبني الخصر المخصر والردف

وقال يمدح السلطان نجم الدين أيوب :

وعد الزيارة طرفه المتملق   وتلاف قلبي من جفون تنطق[1]
إني لأهوى الحسن حيث وجدته   وأهيم بالقد الرشيق وأعشق
يا عاذلي أنا من سمعت حديثه   فعساك تحنو أو لعلك ترفق
لو كنت مناحيث تسمع أو ترى   لرأيت ثوب الصبر كيف يمزق
ورأيت ألطف عاشقين تشاكيا   وعجبت ممن لا يحب ويعشق
أيسومني العذال عنه تصبراً   وتسليا قلبي أرق واشفق
إن عنفوا إن خوفوا إن سوفوا   لا أنثني لا أنتهي لا أفرق
أبداً أزيد مع الوصال تلهفاً   كالعقد في جيد المليحة يعلق
ويزيدني تلفاً فأشكر فعله   كالمسك تسحقه الأكف فيعبق
يا قاتلي إني عليك لمشفق   يا هاجري إني إليك لشيق
وأذاع أني قد سلوتك معشر   يا رب لا عاشوا لذاك ولا بقوا
ما أطمع العذال إلا أنني   خوفاً عليك إليهم أتملق
وإذا وعدت الطرف فيك بهجعة
فاشهد علي بأنني لا أصدق
فعلام قلبك ليس بالقلب الذي   قد كان لي منه المحب المشفق؟

---

(١) ديوانه : ١١٠

وأظن خدك شامتاً بفراقنا ولقد نظرت إليه وهو مخلق

ولقد سعيت إلى العلاء بهمة تقضي بسعيي أنه لا يخفق

وسريت في ليل كأن نجومه من فرط غيرتها إلي تحدق

حتى وصلت سرادق الملك الذي

تقف الملوك ببابه تسترزق

ووقفت من ملك الزمان بموقف ألفيت قلب الدهر منه يخفق

فإليك يا نجم السماء فإنني قد لاح نجم الدين لي يتألق

الصالح الملك الذي لزمانه حسن يتيه به الزمان ورونق

ملك يحدث عن أبيه وجده سند لعمرك في العلى لا يلحق

سجدت له حتى العيون مهابة أو ما تراها حين يقبل تطرق

رحب الجناب خصيبة أكنافه لكم سدير عندها وخورنق

فالعيش إلا في ذراه منكد والرزق إلا من نداه مضيق

يا عز من أضحى اليه ينتمي وعلو من أمسى به يتعلق

أقسمت ما الصنع الجميل تصنع فيه ولا الخلق الكريم تخلق

يدعو الوفود لماله فكأنما يدعو إليه فشمله يتفرق

ابداً تحن إلى الطراد جياده فلها إليه تشوف وتشوق

يبدي لسطوته الخميس تطرباً فالسمر ترقص والسيوف تصفق

في طي لامتة هزبر باسل تحت العريكة وهو بدر مشرق

يروي القنا بدم الأعادي في الوغى

فلذاك يثمر بالرؤوس ويورق

يمضي فيقدم جيشه من هيبة جيش يغص به الزمان ويشرق

ملأ القلوب مخافة ومحبة فالبأس يرهب والمكارم تعشق

ستجوب آفاق البلاد جياده ويرى له في كل فج فيلق

لبيك يا من لامرد لأمره فإذا دعا العيوق لا يتعوّق

لبيك يا خير الملوك بأسرهم وأعز من تحدى إليه الأَنيق

لبيك الفاً أيها الملك الذي جمع القلوب نواله المتفرق

وعدلت حتى ما بها متظلم وأنلت حتى ما بها مسترزق

أنا من دعوت وقد أجابك مسرعاً هذا الثناء له وهذا المنطق

ألفيت سوقاً للمكارم والعلى فعلمت أن الفضل فيه ينفق

يا من إذا وعد المنى قصاده قالت مواهبه يقول ويصدق

يا من رفضت الناس حين لقيته حتى ظننت بأنهم لم يخلقوا

قيدت في مصر إليك ركائبي غيري يغرب تارة ويشرق

وحللت عندك إذ حللت بمعقل يلفى لديه مارد والأَبلق

وتيقن الأقوام أني بعدها أبداً إلى رتب العلى لا أسبق

فرزقت ما لم يرزقوا ونطقت ما لم ينطقوا ولحقت ما لم يلحقوا

وقال يمدح الصاحب صفي الدين ابا عبد الله بن علي المعروف بابن شكر :

أخذت عليه في المحبة موثقاً وما زال قلبي من تجنيه مشفقا[1]

وقد كنت أرجو طيفه ان يلم بي فأسهرني كي لا يلم ويطرقا

ولي فيه قلب بالغرام مقيد له خبر يرويه دمعي مطلقا

كلفت به احوى الجفون مهفهفاً من الظبي أحلى أو من الغصن أرشقا

---

(١) ديوانه : ١١٣

ومن فرط وجدي في لماه وثغره أعلل قلبي بالعذيب وبالنقا
كذلك لولا بارق من جبينه لما شمتُ برقاً أو تذكرت أبرقا
ولي حاجة من وصله غير أنها مرددة بين الصبابة والتقى
خليلي كفا عن ملامة مغرم تذكر أياماً مضت فتشوقا
ولا تحسبا قلبي كما قلتما سلا ولا تحسبا دمعي كما قلتما رقا
فما ازداد ذاك القلب إلا تماديا وما ازداد ذاك الدمع إلا تدفقا
إلى كم أرجي باخلاً بوصاله وحتى متى أخشى القلى والتفرقا؟
فحسب فؤادي لوعة وصبابة وحسب جفوني عبرة وتأرقا
على أنها الأيام مهما تداولت سرور تقضى أو جديد تمزقا
ولست ترى خلا من الغدر سالماً ولا تنتقي يوما صديقاً فيصدقا
إذا نلت منه الود كان تكلفاً وإن نلت منه البشر كان تملقا
ومما دهاني حرفة أدبية غدت دون إدراك المطالب خندقا
وإن شملتني نظرة صاحبية فلست أرى يوماً من الدهر مملقا
وزير إذا ما شمت غرة وجهه فدع لسواك العارض المتألقا
ذممت السحاب الغر يوم نواله وحقر عندي وبلها المتدفقا
وجدت جناباً فيه للمجد مرتقى وفيه لذي الحاجات والنجح ملتقى
إذا قلت عبد الله ثم عنيته جمعت به كل التعاويذ والرقى
يقيك من الأيام كل ملمة ويكفيك من أحداثها ما تطرقا
وكم لك فينا من كتاب مصنف تركت به وجه الشريعة مشرقا
عكفنا عليه نجتني من فنونه فعلمنا هذا الكلام الموثقا

وكم شاعر وافى إليك بمدحه ... فزخرفها مما أفدت ونمقا
فإن حسنت لفظاً فمن روضك اجتنى ... وإن عذبت شرباً فمن بحرك استقى
فلا زلت ممدوحاً بكل مقالة ... تريك جريراً عبدها والفرزدقا
وما حسنت عندي وحقك إذ غدت ... هي التبر مسبوكاً أو الدر منتقى
ولا إن جرت مجرى النسيم لطافة ... ولا إن حكت زهر الرياض المعبقا
ولكنها حازت من اسمك أحرفاً ... كستها جمالا في النفوس ورونقا

وقال لما رحل من مصر يتشوق إلى جماعة من الأدباء فارقهم بها :

أأرحل من مصر وطيب نعيمها ... وأي مكان بعدها لي شائق؟[1]
وأترك أوطاناً ثراها لناشق ... هو الطيب لا ما ضمنته المفارق
فكيف وقد أضحت من الحسن جنة ... زرابيها مبثوثة والنمارق
وإخوان صدق يجمع الفضل شملهم ... مجالسهم مما حووه حدائق
أسكان مصر إن قضى الله بالنوى ... فثم عهود بيننا ومواثق
فلا تذكروها للنسيم فإنه ... لأمثالها من نفحة الروض سارق
إلى كم جفوني بالدموع قريحة ... وحتام قلبي بالتفرق خافق؟
ففي كل يوم لي حنين مجدد ... وفي كل أرض لي حبيب مفارق
ستأتي مع الأيام أعظم فرصة ... فما لي أسعى نحوها وأسابق

---

(١) ديوانه : ١١٤

ومن خلقي أني ألوف وأنه يطول التفاتي للذين أفارق
يحرك وجدي في الأراكة طائر ويبعث شجوي في الدجنة بارق
وأقسم ما فارقت في الأرض منزلا ويذكر إلا والدموع سوابق
وعندي من الآداب في البعد مؤنس
أفارق أوطاني وليس يفارق
ولي صبوة العشاق في الشعر وحده وأما سواه فهي مني طالق
كلامي الذي يصبو له كل سامع ويهواه حتى في الخدور العواتق
كلامي غني عن لحون تزينه له معبد من نفسه ومخارق
لكل امرىء منه نصيب يخصه يلائم ما في طبعه ويوافق
تغني به الندمان وهو فكاهة ويورده الصوفي وهو رقائق
به يقتضي الحاجات من هو طالب
ويستعطف الأحباب من هو عاشق
واني على ما سار منه لعاتب أليس به للبين تحدى الأيانق
وما قلت أشعاري لأبغي بها الندى
ولكنني في حلية الفضل رائق
أأطلب خير الله من عند غيره واسترزق الأقوام والله رازق

ومن قوله :

لعلك تصغي ساعة وأقول لقد غاب واش بيننا وعذول[1]
وفي النفس حاجات إليك كثيرة أرى الشرح فيها والحديث يطول

---

(١) ديوانه : ١٣٢

تعـال فـما بيني وبينك ثالث فيذكر كل شجوه ويقول

وإياك من نشر الحديث فإنني به عن جميع العالمين بخيل

بعيشك حدثني بمن قتل الهوى فإني إلى ذاك الحديث أميل

وما بلغ العشاق حالا بلغتهـا هنـاك مقام ما إليـه سبيل

وما كل مخضوب البنان بثينة ومـا كل مسلوب الفؤآد جميل

ويا عاذلي قد قلت قولاً سمعته ولكنه قول عليَّ ثقيـل

عذرتك أن الحب فيه حرارة وان عزيز القوم فيه ذليـل

أأحبابنا هـذا الضنى قد ألفته فلو زال لاستوحشت حين يزول؟

وحقكم لم يبق فيه بقيـة فكيف حديثي والغرام طويل

وإني لأرعى سركم وأصونه عن الناس والأفكار في تجول

دعوا ذكر ذاك العتب منا ومنكم إلى كم كتـاب بيننـا ورسول

وردوا نسيماً جاءمنكم يزورني فإني عليل والنسيم عليل

ولي عند كم قلب أضعتم عهوده على أنه جـار لكم ونزيل

ومن قوله :

أعاتبكم يا أهل ودي وإن بدت دلائل صد منكمُ وملالِ[1]

وأعذركم ثقلت حتى مللتم واسرفتم في هجري المتوالي

فهونني من كان عندي مكرماً وأرخصني من كان عندي غالي

سأحمل عنكم كلما فيه كلفة وأقنع منكم في الكرى بخيال

---

(١) ديوانه : ١٣٥

ليسلم ذاك الود بيني وبينكم   فلست على شيء سواه أبالي

ويأتيكم ما عشت يا آل كامل   سلامي عليكم دائماً وسؤالي

ومن عجب عتبي على الحسن الذي

لدي وعندي جوده المتوالي

ولكن بدا منه جفاء فساءني   وذلك شيء لم يمر ببالي

فان ينس عهدي لست أنسى عهوده   وإن يسل عني لست عنه بسال

ومن قوله :

أحن الى عهد المحصب من منى   وعيش به كانت ترف ظلاله[1]

ويا حبذا أمواهه ونسيمه   ويا حبذا حصباؤه ورماله

ويا أسفي إذ شط عني مزاره   ويا حزني إذ غاب عني غزاله

وكم لي بين المروتين لبانة   وبدر تمام قد حوته حجاله

مقيم بقلبي حيث كنت حديثه   وباد لعيني حيث سرت خياله

فيا صاحبي بالخيف كن لي مسعداً   إذا آن من بين الحجيج ارتحاله

وخذ جانب الوادي كذا عن يمينه   بحيث النقا تهتز منه طواله

هناك ترى بيتاً لزينب مشرقاً   إذا جئت لايخفى عليك جلاله

فقل ناشداً بيتاً ومن ذاق مثله   لدى جيرة لم يدر كيف احتياله

وكن هكذا حتى تصادف فرصة   تصيب بها ما رُمته وتناله

فعرض بذكري حيث تسمع زينب   وقل ليس يخلو ساعة منك باله

عساها إذا مامر ذكري بسمعها   تقول فلان عندكم كيف حاله

(١) ديوانه : ١٣٦

ومن قوله وهي من فائق شعره :

دعوا الوشاة وما قالوا وما نقلوا   بيني وبينكم ماليس ينفصل [1]

لكم سرائر في قلبي مخبأة   لا الكتب تنفعني فيها ولا الرسل

رسائل الشوق عندي لو بعثت بها   إليكم لم يسعها الطرق والسبل

أمسي وأصبح والأشواق تلعب بي

كأنما أنا منها شارب ثمل

وأستلذ نسيماً من دياركم   كأن أنفاسه من نشر كم قبل

وكم أحمل قلبي في محبتكم   ماليس يحمله قلبٌ فيحتمل

وكم أصبره عنكم وأعذلهُ   وليس ينفع عند العاشق العذل

وارحمتاهُ لصبٍ قلَّ ناصره   فيكم وضاق عليه السهل والجبل

قضيتي في الهوى والله مشكلة

ما القول ما الرأي ما التدبير ما العمل؟

يزداد شعري حسناً حين أذكركم   إن المليحة فيها يحسن الغزل

يا غائبين وفي قلبي أشاهدهم   وكلما انفصلوا عن ناظري اتصلوا

قد جدد البعد قرباً في الفؤاد لهم   حتى كأنهم يوم النوى وصلوا

أنا الوفي لأحبابي وإن غدروا   أنا المقيم على عهدي وإن رحلوا

أنا المحب الذي ما الغدر من شيمي   هيهات خلقي عنه لست أنتقل

فيا رسولي إلى من لا أبوح به   إن المهمات فيها يعرف الرجل

بلغ سلامي وبالغ في الخطاب له   وقبل الأرض عني عندما تصل

---

(١) ديوانه : ١٤٦

بالله عرفه حالي إن خلوت به ولا تطل فحبيبي عنده ملل

وتلك أعظم حاجاتي إليك فإن

تنجح فما خاب فيك القصد والأمل

ولم أزل في أموري كلما عرضت على اهتمامك بعد الله أتكل

وليس عندك لي أمر تحاوله والحمد لله لا عجز ولا كسل

فالناس بالناس والدنيا مكافأة والخير يذكر والأخبار تنتقل

والمرء يحتال إن عزت مطالبه وربما نفعت أربابها الحيل

يامن كلامي له إن كان يسمعه يجد كلاماً على ما شاء يشتمل

تغزلاً تخلب الألباب رقته مضمونه حكمة غراء أو مثل

إن المليحة تغنيها ملاحتها لا سيما وعليها الحلي والحلل

دع التواني في أمورتهمُّ به فإن صرف الليالي سابق عجل

ضيَّعت عمرك فاحزن إن حزنت له

فالعمر لاعوض عنه ولا بدل

سابق زمانك خوفاً من تقلبه فكم تقلبت الأيام والدول

واعزم متى شئت فالأوقات واحدة

لا الريث يدفع مقدوراً ولا العجل

لا ترقب النجم في أمر تحاوله فالله يفعل لا جدي ولا حمل

مع السعادة ما للنجم من أثرٍ فلا يضرك مريخ ولا زحل

الأمر أعظم والأفكار حائرة والشرع يصدق والإنسان يمتثل

وقال وكتب بها إلى صلاح الدين عمر المعروف بابن العديم الحلبي :

دعوتك لما أن بدت لي حاجة وقلت رئيس مثله من تفضلا[1]

لعلك للفضل الذي أنت ربه تغار فلا ترضى بأن تتبدلا

إذا لم يكن إلا تحمل منة فمنك وأما من سواك فلا ولا

حملت زماناً عنكم كلَّ كلفة وخففت حتى آن لي أن اثقلا

ومن خلقي المشهور مذ كنتُ أنني

لغير حبيب قط لن أتذللا

وقد عشت دهراً ما شكوت بحادث

بلى كنت أشكو الأغيد المتدللا

وما هنت إلا للصبابة والهوى وماخفت إلا سطوة الهجر والقلى

أروح وأخلاقي تذوب صبابة وأغدوا وأعطافي تسيل تغزلا

أحب من الظبي الغرير تلفتا وأهوى من الغصن النضير تنقلا

فما فاتني حظي من اللهو والصبا

ولا فاتني حظي من المجد والعلى

ويا رب داع قد دعاني لحاجة فعلت له فوق الذي كان آملا

سبقت صداه باهتمامي بكل ما أراد ولم أحوجه أن يتمهلا

وأوسعته لما أتاني بشاشة ولطفاً وترحيباً وخلقاً ومنزلا

بسطت له وجهاً حيياً ومنطقاً وفياً ومعروفاً هنياً معجلا

وراح يراني منعماً متفضلا ورحت أراه المنعم المتفضلا

وقال يمدح الملك الناصر صلاح الدين بن يوسف بن محمد الأيوبي سنة ٦٤٦ :

---

(١) ديوانه : ١٤٦

عرف الحبيب مكانه فتدللا — وقنعتُ منه بموعد فتعللا[1]
وأتى الرسول فلم أجد في وجهه — بشراً كما قد كنت أعهد أولا
فقطعت يومي كله متفكراً — وسهرتُ ليلي كله متململا
وأخذت أحسب كل شيء لم يكن — متحركاً في فكرتي متخيلا
فلعل طيفاً زار منه فرده — سهري فعاد بغيظه متقولا
وعسى نسيم بت أكتم سرنا — عنه فراح يقول عني قد سلا
ولقد خشيت بأن يكون أماله — غيري وطبع الغصن أن يتميلا
وأظنه طلب الجديد وطالما — عتق القميص على امرىءٍ فتبدلا
أبداً يرى بعدي وأطلب قربه — ولو انني جارٌ له لتحولا
وعلقته كالغصن أسمر أهيفا — وعشقته كالظبي أحور أكحلا
فضح الغزالة والغزال فتلك في — وسط السماء وذاك في وسط الفلا
عجباً لقلبٍ ما خلا من لوعة — أبداً يحن إلى زمان قد خلا
ورسوم جسمٍ كاد يحرقه الجوى — لو لم تداركه الدموع لأشعلا
وهوى حفظت حديثه وكتمته — فوجدت دمعي قد رواه مسلسلا
أهوى التذلل في الغرام وإنما — يأبى صلاح الدين أن أتذللا
مهدت بالغزل الرقيق لمدحه — وأردت قبل الفرض أن اتنفلا
ملك شمخت على الملوك بقربه — ولبست ثوب العز منه مسربلا
ورفعت صوتي قائلاً يا يوسف — فأجابني ملك أطال وأجزلا
ثم التفتُ وجدت حولي أنعما — ما كان أسرعها إلي وأعجلا

---

(٣) ديوانه : ٤٧

وهصرت أغصان المطالب ميَّسا | ومريت أخلاف المواهب حفَّلا
قهر الزمان وقد عراني صرفه | حتى مشى في خدمتي مترجلا
وإذا نظرت وجدت بعض هباته | فيها المآثر والمفاخر والعلى
يروي حديث الجود عنه مسنداً | فعلام ترويه السحائب مرسلا؟
من معشر فاقوا الملوك سيادة | وسعادة وتطولا وتفضلا
وكأن متن الأرض يوم ركوبهم | يكسونه برداً عليه مهلهلا
من كل أغلب في الهياج كأنما | لبس الغدير وهز منه جدولا
وإذا سألت سألت غيثاً مسبلا | وإذا لقيت لقيت ليثاً مشبلا
مولاي قد أهديتها لك كاعبا | عذراء تبدي عذرة وتنصلا
حملت ثناء كالهضاب فأبطأت | فاعذر بطيئاً قد أتى لك مثقلا
عرفت محبتها لديك وحسنها | فأتت تريك تدللاً وتعللا
بدوية إن شئت أو حضرية | جمع الخزامى نشرها والمندلا
لو أنها ممن تقدم عصره | منعت زياداً أن يقول وجرولا
غزل ومدح بتُ أغرق فيهما | كالخمر ما زجت الزلال السلسلا
فتألقت عقداً يروق نظامه | والعقد أحسن ما يكون مفصلا
يا أيها الملك الذي دانت له | كل الملوك تودداً وتوسلا
فعلاهم متطولا وحباهمُ | مُتَفضِّلاً وأتاهم متمهلا
يامن مديحي فيه صدق كله | فكأنما أتلو كتاباً منزلا
يامن ولائي فيه نص بين | والنص عند القوم لن يُتأولا
ولقد حلا عيشي لديك ولم أرد | عيشاً سواه فإن أردت فلا حلا

وشكرت جودك كل شكر عالماً   أن لا أقوم ببعض ذاك ولا ولا

وقال يمدح الملك العادل سيف الدين أبا بكر بن أيوب ، وأنشدها بقلعة دمشق سنة ٦١٣ :

يطيب لقلبي أن يطول غرامه   وأيسر ما يلقاه منه حمامه[1]

وأعجب منه كيف يقنع بالمنى   ويرضيه من طيف الخيال لمامه

تعشقته حلو الشمائل أهيفا   يحرك شجو العاشقين قوامه

وهمت بطرف فاتن منه فاتر   لبابل منه سحره ومدامه

فما الغصن إلا ما حوته بروده   وما البدر إلا ما حواه لثامه

أغار إذا ما راح ريان عاطرا   أراك الحمى من ريقه وبشامه

وأرتاح للبرق الذي من دياره   ويحسب طرفي أن ذاك ابتسامه

واستنشق الأرواح من كل وجهة   فأعلم في أي الجهات خيامه

خذوا لي من البدر الذمام فإنه   أخوه عسى أن لا يرد ذمامه

إلى العادل المأمول للدهر إن سطا   به يتجلى ظلمه وظلامه

إلى ملك في العين يملأ سرجه   ويملأ آفاق البلاد اهتمامه

أخو يقظات ليس يعرف طرفه   غراراً سوى ما يحتويه حسامه

يقصر عنه المدح من كل مادح   ولو كان من زهر النجوم نظامه

فيا ملك العصر الذي ليس غيره   يرجى ويخشى عفوه وانتقامه

تقدم ذكر الجود قبلك في الورى   وأصبح من ذكراك مسكاً ختامه

أمنت بلقياك الزمان وصرفه   فغيري من يخشى عليه اهتضامه

---

(١) ديوانه : ١٥٤

وأصبحت من كلِّ الخطوب مسلماً
عليك من الله الكريم سلامه

ومن قوله :

لئن صدقتني في الحديث ظنوني لقد نقلت سري وشاةُ جفوني[1]
وبالرغم مني أن سراً أصونه يصير بدمعي وهو غير مصون
وقد رابني يا أهل ودي أنكم مطلتم - وأنتم قادرون - ديوني
بروحي أنتم من رسولي إليكم ومن مسعدي في حبكم ومعيني ؟
سلوا دمع عيني عن أحاديث لوعتي
لتعرب عن تلك الشؤون شؤوني
فللدمع من عيني معينٌ يمُده فإن تسألوه تسألوا ابن معين
على أن دمعي لا يزال يخونني
ومن ذا الذي يرضى حديث خؤون ؟
فلا تقبلوا للدمع عني روايةً فليس على سر الهوى بأمين
حلفت لكم أن لا أخون عهودكم وأعطيتكم عند اليمين يميني
وها أنا كالمجنون فيكم صبابة وحاشاكمُ ترضون لي بجنون
وهبتكم في الحب عقلي راضيا وياليتكم أبقيتم لي ديني
أرى سقم جسمي قد حوته جفونكم
فلا تأخذوا يا ظالمين جفوني
أأحبابنا إني ضنين بودكم وما كنت يوماً قبله بضنين!

---

(١) ديوانه : ١٨٧

فمن ذا الذي أعتاض عنكم من الورى
يكون حبيبي مثلكم وخديني ؟

أحب من الأشياء ما كان فائقاً وما الدون إلا من يميل لدون
وأهجر شرب الماء غير مصفق زلال وأكل اللحم غير سمين
وإن قيل لي هذا رخيص تركته ولا أرتضي إلا بكل ثمين
فإني رأيت الشيء إن يغل قيمة يكن بمكان في القلوب مكين
لك الله زدني من حديث ذكرته
ليسكن هذا القلب بعض سكون
وقل لي ولا تحلف فإنك صادق وقولك عندي مثل ألف يمين
فوالله لا أرتاب فيما ذكرته ولم تختلج بالشك فيك ظنوني
وإن حديثاً أنت راويه إنني على ثقة منه وحسن يقين
كذلك تلقاني إذا ما اختبرتني يسر حفاظي صاحبي وقريني
إذا قلت قولاً كنت للقول فاعلاً
وكان حيائي كافلي وضميني
تبشر عني بالوفاء بشاشتي وينطق نور الصدق فوق جبيني

تم الاختيار من شعر البهاء زهير وأخباره ، ويليه مقاطيع أدبية .

مقاطيع أدبية

أحببت نقل بعض المقاطيع الأدبية في هذا الموضع لجودتها ، فمن ذلك قول أبي الشيص ، واسمه محمد بن عبد الله :

وقائلة وقد بصرت بدمع ... على الخدين منحدر سكوب
أتكذب بالدموع وأنت جلد ... قديماً ما جسرت على الذنوب
قميصك والدموع تجول فيه ... وقلبك ليس بالقلب الكئيب
أما والله لو فتشت قلبي ... لسرك بالعويل وبالنحيب
كمثل قميص يوسف حين جاؤوا ... عليه عشيةً بدم كذوب
دموع العاشقين إذا تلاقوا ... بظهر الغيب ألسنة القلوب

وللعباس بن الأحنف :

نزف البكاء دموع عينك فاستعر ... عينا لغيرك دمعها مدرار
من ذا يعيرك عينه تبكي بها ... أرأيت عيناً للبكاء تُعار ؟

ومن قوله :

وضعت خدي لأدنى من يطيف بكم
حتى احتُقرتُ وما مثلي بمحتقر
إذا أردت سلواً كان ناصركم ... قلبي وما أنا من قلبي بمنتصر
فأكثروا أو أقلوا من ملامكم ... فكل ذلك محمول على القدر

ولأبي أحمد العباس :

حر دعـاه الهوى سراً فلبـاه طوراً فأضحك مولاه وأبكاه

فشُهِّدت بالذي يخفي لواحظه وعدلتها بفيض الدمـع عيناه

حاربتني إذ دعيت الود بعدك أن وكلت طرفي بنجم الليل أرعـاه

الله يشهد أني لم أخنك هوى كـفـاك بينة أن يشهد الله

وقال :

يا من يكاتمني تغير قلبه سأكف نفسي قبل أن يتبرمـا

وأصـد عنك وفي يديّ بقية من حبل ودك قبل أن يتصـرما

يا للرجال لعـاشقين توافقـا فتخاطبا من غير أن يتـكلمـا

حتى إذا خافا العيون وأشفقـا جعلا الإشارة بالأنامل سلمـا

وقال :

الله يعلم مـا أردت بهجركم إلا مسـاترة العدو الكـاشح

وعلمتُ أن تستري وتباعدى أبقى لوصلك من دنو فاضح

وقال :

يهيم بجـيران الجزيرة قلبه وفيها غزال فاتر الطرف ساحره

يؤازره قلبي علي وليس لي يـدان بمن قلبي علي يوازره

وقال سهل بن هارون :

أعان طرفي على قلبي وأعضائي بنظرة وقفت جسمي على دائي

وكنت غراً بما يجني على بدني لاعلم لي أن بعضي بعض اعدائي

ولغيره :

إن العيون على القلوب إذا جنت كانت بليتهـا على الأجساد

ولغيره :

ولست أعجب من عصيان قلبك لي حقاً إذا كان قلبي فيك يعصيني

قال الأصمعي : سمعت الرشيد يقول : قلب العاشق عليه مع معشوقه ، فقلت : هذا والله يا أمير المؤمنين أحسن من قول عروة بن حزام في عفراء في أبيات له ، وأنشدها وهي :

وإني لتعروني لذكراك لوعة لها بين جلدي والعظام دبيب

فما هو إلا أن أراها فجاءة فأبهت حتى ما أكاد أجيب

وأصرف عن دائي الذي كنت أرتجي

ويقرب مني ذكره ويغيب

ويضمر قلبي عذرها ويعينها علي وما لي في الفؤاد نصيب

فقال الرشيد : إن قال ذلك وهماً فإني قلته علماً قال علي بن عبيدة الريحاني :

احم ودك فإنه عرضك ، وصن الانس بك يغزر حظك ، ولا تستكثر من الطمأنينة إلا بعد استحكام الثقة ، فإن الانس سريرة العقل ، والطمأنينة بذلة المتحابين ، وليس لك بعدهما تحفة تمنحها صاحبك ، ولا حباء توجب به الشكر على من اصطفيت . وقال أيضاً : ما أنصف من عاتب أخاه بالإعراض على ذنب كان منه ، أو هجره ، وقال أيضاً : الحياء لباس سابغ ، وحجاب واق ، وستر من المساوىء ، واخو العفاف وحليف الدين ، ورقيب من العصمة ، وعين كالئة تذود عن الفساد ، وتنهى عن الفحشاء والأدناس . وقال أيضاً : لا يخلو أحد من صبوة إلا أن يكون جاسي الخلقة ، منقوص البنية ، أوعلى خلاف تركيب الاعتدال . رأى سعيد بن مسلم ابناً له قد شرع في رقيق الشعر وروايته ، فأنكر

عليه بعض أهله ، فقال سعيد: دعوه فإنه يلطف ويظرف وينظف . ومن قول كثير عزة :

سيهلك في الدنيا شفيق عليكم   إذا غاله من حادث الدهر غائلهُ

ويخفي لكم حباً شديداً ورهبة   وللناس أشغال وحبك شاغله

كريم يميت السر حتى كأنه   إذا استخبروه عن حديثك جاهله

يود لأن يمسي عليلا لعلها   إذا سمعت عنه بشكوى تراسله

ويرتاح للمعروف في طلب العلا   لتحمد يوماً عند ليلى شمائله

ذكر أعرابي الهوى ، فقال : هو أعظم ملكاً في القلب من الروح في الجسم وأملك بالنفس من النفس ، يظهر ويبطن ، ويكشف ويلطف ، فامتنع من وصفه اللسان ، وعي عنه البيان ، فهو بين السحر والجنون ، لطيف المسلك والكمون ، وأنشد :

يقولون لو دبرت بالعقل حبها   ولا خير في حب يدبر بالعقل

قال جحظة البرمكي : قلت لخالد الكاتب : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت أرق الناس شعراً ، فقلت له : أتعرف قول الاعرابية ؟ فقال : وما هو ؟ قلت : كان بعض الخلفاء قد تزوج جارية من بنات العرب ، وأنزلها في قصر ، وأخدمها الجواري ، فدخل عليها ذات يوم ، وإذا هي تنشد :

فما وجد أعرابية قذفت بها   صروف النوى من حيث لم تك ظنت

تمنت أحاليب الرعاء وخيمة   بنجد فلم يقدر لها ما تمنت

إذا ذكرت ماء العضاه وطيبه   وماء الصبا من نحو نجران أنّت

لها أنة عند العشاء وأنة   سحيراً ولولا أنتاها لجنت

فلما سمعها أرحلها إلى أهلها ، فقال خالد : ويلك ياجحظة هذا أرق من شعري .

شعر

ابن منير الطرابلسي(١)

اسمه أحمد، ولم اقف على شيء من شعره سوى رائيته التى كتبها للشريف الموسوي ، وكان من كبار الشيعة ، فلما قدم بغداد هيأ له ابن منير هدية ، وأرسلها مع مملوك يقال له : تتر ، وكان من أعز مماليكه عنده ، فقبل الشريف الهدية ، واستحسن المملوك ، وأدخله في الهدية ، وقصد أن يعوض ابن منير أضعاف قيمته ، فلما شعر ابن منير بذلك حزن على مملوكه المذكور وكتب إلى الشريف على الفور قصيدة اولها :

عذبت قلبي يا تتر وأطرت نومي بالفكر

بالمشعرين وبالصفا والبيت أقسم والحجر

وبمن سعى فيه وطاف به ولبى واعتمر

لئن الشريف الموسوي ابن الشريف ابي مضر

أبدى الجحود ولم يردّ إلي مملوكي تتر

واليت آل امية الطهر الميامين الغرر

وجحدت بيعة حيدر ورجعت عنه إلى عمر

وإذا جرى ذكر الصحابة بين قوم واشتهر

قلت المقدم شيخ تيم ثم صاحبه عمر

---

(١) قوبلت قصيدة ابن منير الطرابلسي على خزانة الادب لابن حجة الحموي ١٨٣ .

مـا سل قط ظبى على　　　آل النبي ولا شهر

كلا ولا صد البتول　　　عن التراث ولا زجر

وأثابهـا الحسنى ومـا　　　شق الكتاب ولا بقر

وبكيت عثمان الشهيد　　　بكاء نسوان الحضر

وشرحت حسن صلاته　　　جنح الظلام المعتكر

وقرأت من أوراق مصـ　　　حفـه براءة والزمر

ورثيت طلحة والزبير　　　بكل شعر مبتكر

وأزور قبرهما وأزجر　　　من نهاني أو زجر

وأقول أم المومنين　　　عقوقها إحدى الكبر

ركبت على جمـل لتصبح من بنيهـا في زمر

وأتت لتصلح بين جيش المسلمين على غرر

فـأتى أبو حسن فسل حسامـه وسطا و كر

وأذاق إخوته الردى　　　وبعـير أمهم عقر

ما ضره لو كان كف　　　وعف عنهم إذ قـدر

وأقول إن إمـامكم　　　ولى بصفين وفر

وأقول إن أخطـا معـاوية فما أخطـا القدر

هـذا ولم يغدر معا　　　وية ولا عمرو مكر

بطل بسوءته يقـا　　　تل لا بصارمه الذكر

وجنيت من ثمر النوا　　　صب ما تثمر واختمر

وأقول ذنب الخارجين　　　على علي مغتفر

لا ثائر لقتالهم في النهر وان ولاأشر
والأشعري بما يؤول إليه أمرهما شعر
قال انصبوا لي منبراً وأنا البريء من الخطر
فعلا وقال خلعت صا حبكم وأوجز واختصر
وأقول : إن يزيد ما شرب الخمور ولا فجر
ولجيشه بالكف عن أبناء فاطمة أمر
وحلقت في عشر المحرم ما استطال من الشعر
ونويت صوم نهاره وصيام أيام أخر
ولبست فيه أجل ثو ب للملابس يدخر
وسهرت في طبخ الحبو ب من العشاء إلى السحر
وغدوت مكتحلاً أصا فح من لقيت من البشر
ووقفت في وسط الطريق أقص شارب من عبر
وغسلت رجلي ضلة ومسحت خفي في السفر
وأمين أجهر في الصلاة كمن بها قبلي جهر
وأسن تسنيم القبور لكل قبر محتفر
وإذا جرى ذكر الغدير أقول ما صح الخبر
ولبست فيه من الملا بس ما اضمحل وما دثر
وسكنت جلق واقتديت بهم وإن كانوا بقر
نفر يرى برئيسهم طيش الظليم إذا نفر
وخفيفهم مستثقل وصواب قولهم هذر
وطباعهم كجبالهم طبعت وقدت من حجر

مـا يدرك التشبيب تغريد البـلابـل في السحر

وأقول في يوم تحار
له البصيرة والبصر

والصحف ينشر طيها
والنـار ترمي بالشرر

هـذا الشريف أضلني
بعـد الهداية والنظر

فيقال خذ بيد الشريف
فمستقر كما سقر

لواحة تسطو فما
تبقي عليه ولا تـذر

والله يغفر للمسيء
اذا تنصل واعتذر

فاخش الإله بسوء فعلك واحتذر كل الحذر

وإليكها بـدوية
رقت لرقتها الحضر

شامية لوشامها
قس الفصاحة لا فتخر

ودرى وأيقن أنني
بحر وألفـاظي درر

وبديعتي كبديعة
عذراء ترفل في الحبر

حبرتها فغدت كزهر الروض باكره المطر

وإلى الشريف بعثتها لما قراها فانبهر

رد الغلام فما استمر
على الجحود ولا أصر

واثابني وجزيته
شكراً وقال لقد صبر

فلما قرأ الشريف هـذه القصيدة أمر برد المملوك عليه حالا ٠

قال ابن حجة الحموي : لما ذكر هذه القصيدة بطولها ؛ أقول : إنـه يغتفر لي التطويل بنقل هذه القصيدة ، لغرابة أسلوبها ، ولأنها مبنية

على الهزل الذي يراد به الجد ، وقد أتى ناظمها بالغاية التي لا تدرك ؛ والطريقة التي ما رأينا لغيره فيها مسلك .

تم الاختيار من شعر ابن منير الطرابلسي وأخباره ، ويليه الاختيار من شعر ابن معتوق وأخباره .

شعر

ابن معتوق الموسوي [1]

هو شاعر العراق في عصره ، وسابق حلبته في رقة شعره ، ولد سنة ١٠٢٥ الف وخمس وعشرين ، ونشأ بالبصرة ، وبها تعلم الأَدب ، وقال الشعر ، وأجاده ، واتصل بالسيد خان أحد امراء البصرة من قبل الدولة الإيرانية ، وكان وقتئذ يملك العراق والبحرين ، ومدحه مدحاً فائقة ، وأكثر شعره مقصور عليه ، وعلى أهل بيته ، فغمره بالإحسان ، وهو من كبار شعراء الشيعة ، فمدح عليا رضي الله عنه ، وأهل البيت بما يخرج عن حد الشرع والعقل ، ويمتاز شعره بالرقة ، وكثرة المجازات حتى تكاد الحقيقة تهمل فيه بالجملة توفي سنة ١١١١ ألف ومئة وإحدى عشرة .

وقال يمدح السيد علي خان :

خفرت بسيف الغنج ذمة مغفري ... وفرت برمح القد درع تصبري [2]

---

(١) جرى تصحيح شعر ابن معتوق على ديوانه طبع مصر .

(٢) ديوانه : ٢١

وجلت لنا من تحت مسكة خالها كافور فجر شق ليل العنبر

وغدت تذب عن الرضاب لحاظها فحمت علينا الحور ورد الكوثر

ودنت إلى فمها أراقم فرعها فتكفلت بحفاظ كنز الجوهر

يا حامل السيف الصحيح إذا رنت

إياك ضربة جفنها المتكسر

وتوق يارب القناة الطعن إن حملت عليك من القوام بأسمر

برزت فشمنا البرق لاح ملثما والبدر بين مقرطق ومخمر

وسعت فمر بنا الغزال مطوقاً والغصن بين موشح ومؤزر

بأبي مراشفها التي قد لثمت فوق الأقاحي بالشقيق الأحمر

وبمهجتي الروض المقيم بمقلة ذهب النعاس بها ذهاب تحيري

تالله ما ذكر العقيق وأهله إلا وأجراه الغرام بمحجري

لولاه ما ذابت فرائد عبرتي بعد الجمود بحر نار تذكري

كم قد صحبت به من ابناء الظبا سرباً ومن أسد الشرى من معشر

وظللت من غسق الشعور بغيهب وهديت من تلك الوجوه بنير

يا للعشيرة من لمهجة ضيغم كمنت منيته بمقلة جؤذر

روحي الفداء لظبية الخدر التي بني الكناس لها بغاب القسور

لم أنس زورتها ووجنات الدجى تنباع زفرتها بمسك أذفر

أمت وقد هز السماك قناته وسطا الضياء على الظلام بخنجر

والقوس معترض أراشت سهمه بقوادم النسرين أيدي المشتري

فغدت تشنف مسمعيّ بلؤلؤ لولاه ناظم عبرتي لم ينثر

وتضم مني في القميص مهنداً وأضم منها بالنصيف السمهري

طوراً أرى طوقي الذراع وتارة　　منها أرى الكف الخضيب مسوري

حتى بدا كسرى الصباح وأدبرت　　قوم النجاشي عن عساكر قيصر

لما رأت روض البنفسج قد ذوى　　من ليلنا وزهت رياض العصفر

والنجم غار على جواد أدهم　　والفجر أقبل فوق صهوة أشقر

نزعت فضرست العقيق بلؤلؤ　　سكنت فرائده غدير السكر

وتنهدت جزعاً فأثر كفها　　في صدرها فنظرت مالم أنظر

أقلام مرجان كتبن بعنبرٍ　　بصحيفة البلورِ خمسة أسطر

ومضت وحمرة خدها من أدمها　　لبست رماد المسك بعد تستر

لله در جمالها من زائرٍ　　رسم الخيال مثاله بتصور

لم ألق أطيب بهجة من نشرها　　إلا البشارة في قدوم الحيدري

ابن الهمام أخو الغمام أبو الندى　　بركات شمس نهارنا المولى السري

الخاطب المعروف قبل فطامه　　والطالب العلياءِ غير مقدر

مصباح أهل الجود والصبح الذي

ما انجاب ليل البخل لو لم يسفر

قرن إذا سل الحسام حسبته　　نهراً جرى من لج سبعة أبحر

قرن البراعة بالشجاعة والندى　　والرأي في عفو وحسن تدبر

إلى ان قال :

ومحا سواد الجور أبيضُ عدلهِ　　حتى تخوف كل طرف أحور

بعد المشقة نال لذات العلى　　لا يستلذ النوم من لم يسهر

قل للذي في الجود يطلب شأوه　　أربيت في الغلواءِ ويحك فاقصر

بُدىء الندى منه فأفعال السخا عن غير مصدر ذاته لم تصدر

فالناس من ماءٍ مهين وهو من ماء معين طاهر ومطهر

يا من بكنيته نزيد تيمناً وبه يزول تشاؤم المتطير

إن عد قبلك في المكارم ماجد قد كان دونك في قديم الأعصر

فكذلك الإبهام وهو مقدم عند الحساب يُعد بعد الخنصر

بالفخر ساد أبوك سادات الورى وأبوك لولاك ابنه لم يفخر

كالعين بالبصر المنير تفضلت والعين لولا نجلها لم تبصر

قسماً ببارق مرهف قلدته وبعارض من مزن جودك ممطر

لولا إيابك للجزيرة ما صفت فيها مشارع أمنها المتكدر

أسكنت أهليها النعيم وطالما شهدوا الجحيم بها وهول المحشر

وكسوتها حلل الأمان وإنها لولاك أضحت عورة لم تستر

بوركت من شهم قدمت مشمراً

نحو العلى إذ يحجم الليث الشري

وقطفت أنوار الفخار بأنمل القنيات من روض الحديد الأَخضر

فليهنك المجد التليد وعادك العيد الجديد بنيل سعد أكبر

والبس قميص الملك يا طالوته

واسحب ذيول الفضل فخراً واجرر

واستجل بكرثناً فصاحة لفظها عبثت بحكمتها بسحر البحتري

أو يشعر الطائي بها لم يشعر لو يعلم الكوفي بها لم يزدر

لا زلت تاج علًا وحلية منصبٍ وطراز مكرمة وحلية منبر

وقال يمدح السيد بركة خان ويهنئه بعيد الأضحى :

رنا فسل على العشاق أحوره سيفاً عليهم ذمام البيض يخفره[1]

وماس تيهاً فثنى في غلالته قداً بحمر المنايا صال أسمره

وافتر عن لؤلؤ ما لاح أبيضه إلا وياقوت دمعي سال أحمره

ياغيرة البان إذ يثني موشحه وخجلة البرق إذ يبدو مؤشره

بمهجتي دعج يجري بمقلته لا أعرف الموت إلا حين أنظره

وبالجفون جمالاً تحت برقعه لا يسفر الفجر إلا حين يسفره

له محياً لحاظي إذ تعندمُهُ ثوب الدجنة من لوني يعصفره

قاسمته الورد لونيه فأحمره في وجنتيه وفي خدي أصفره

مهفهف القد لغوي النطاق حوى معنى كمحذوف نحوي يقدره

إلى أن قال :

إلام يا قلب تصفي الود ذا ملل لا يستقر ولا يصفو مكدره

إن الملول وإن صافاك ذو عجب إن حال مكسره أو مج سكره

واخيبة السعي قد ولى الشباب ولا

أدركت سؤلي وعمري فات أكثره

فما وفى لي حبيب كنت أعشقه ولا صفا لي خليل كنت أوثره

ولا اختبرت صديقاً كنت أمنحه صفو السريرة إلا صرت أحذره

يا دهر ويحك إن الموت أهون من

مذمم بك يؤذيني وأشكره

مالي ومالك ما تنفك تقعدني إن قمت للمجد أو حظي تعثره

---

(١) ديوانه : ٣٠

لقد غدا البخل شخصاً نصب أعيننا   فأصبح الجود عهداً ليس نذكره

وعاد يطوي لواء الحمد رافِعُهُ   لولا يداً بركات المجد تنشره

رب النوال الذي لولا مواهبه   سمط القوافي لدينا بار جوهره

المتبع الهبة الأولى بثانيةٍ   وأكرم المزن ما يوليك ممطره

يضم منه غدير الدرع بحر ندى   ويحتوي منه بدر التم مغفره

سمح تحوج نهر السائلين ولا   الدر اليتيم عن الراجي يقهقره

يعطي الجزيل فلا عذر يقدمه   للطالبين ولا وعد يؤخره

تملك الحوز فلتهرب ثعالبهُ   فقد تكفل جيش الملك قسوره

مهذب فطن كادت فراسته   عما بقلبك قبل القول تخبره

لا يلحق الذل جاراً يستعز به   ولا يرى الأمن مرعوب يذعّره

بعدله الظالم المرهوب يخذله   وجانب البائس المخذول ينصره

إن زاره سائل عاف يعظمه   وإن تأتاه جبار يحقره

لفت على الهامة العليا عمامته   وشُدَّ فوق عفاف الفرج مئزره

لا نعرف الجدب إلا عند غيبته   ولا نرى الغيث إلا حين نبصره

قد حالف السيف منه أيَّ داهية

كبرى وصافح يمنى الموت خنجره

كم قد أغار وشهب الليل عاثرة   والفجر ينبت بالكافور عنبره

فآب والأُسد في الغلال خاضعة   وعاد بالنجح والأنفال عسكره

والدهم كمت وسمر الخط تحمده   والبيض صفر مصونات تكبره

والجو كالغسق المسودّ أبيضه   والسيف كالشفق المحمر أخضره

هو الهمام الذي صحت سيادته   واشتق من أنبياء الله عنصره

همُّ العدى بذهاب النور منه وما   يطفون نوراً يريـد الله يظهره

يبغون محو اسمه من صحف منصبه   والله في لوحـه المحفوظ يزبره

بغوا عليه ومن يجعل تجارتـه   بضاعة البغي يوماً خاب متجره

وحاولوا الغدر فيه وهو أمنهم   وصاحب الغدر يكفي فيه منكره

ودبروا الأمر سراً وهو متكل   وربـه فوق أيديهـم يدبره

فـأدركوا الويل والحزن الطويل ومـا   رأوا من الأمر شيئـاً سر منظره

فكم عزيز لهم ولت ضراغمه   وكم كناس خبا قد فر جؤذره

مولاي فلتهنك الدنيا وعودتها   إليك والعيد قد وافى مبشره

وليهننا حج بيت منك دار على   شعائر الـبر والمعروف مشعره

وارم العـدى بجمـار الذل واسع إلى   منى وغىً يرهف الضرغـام منحره

وبشر الخصم أن البغي يصرعـهُ   ومارد الجور أن الظلم يدحره

واستجل در قريض كاد في حكم   نظم البديع بيان المرء يسحره

ودم مدى الدهر في عز وفي شرف   يسمو على كل من ناداك مفخره

وقال يمدح السيد منصور خان ويهنئه بختان ولده :

تلـثم بالعقيق عـلى اللآلي   فغشى الفجر من شفق الجمـال[1]

وهز قوامه فثـنى قضيبـا   إليـه تنقلت دول العوالي

---

(١) ديوانه : ٣٣

وقنع بالدجى شمس المحيا فبرقع بالضحى ليل القذال

تزاور عن خباه فثم شمس تبلج حولها فجر النصال

فحد عن وجنتيه فثم ورد حماه الهدب في شوك النبال

إلام ألام فيه ولا أحاشي ويرقبني الحمام ولا أبالي؟

أوري عن هواه بحب ليلى وفيه تغزلي وبه اشتغالي

وليل كالبنفسج بات فيه يشنفني رياحين الوصال

وقام إليه من ورعي وعيظ يعرفني الحرام من الحلال

إذا امتدت إليه يمين نفسي ثنيت عنانها بيد الشمال

وإني قد أميل بلحظ طرفي لمن أهوى ويغضي عنه بالي

وإن قامت إلى الفحشاء يوماً بي الشهوات تقعدني خصالي

أحب الكذب في التشبيه هزلاً وأهوى الصدق في جد المقال

فلي وعظ أشد من الرواسي ولي غزل أرق من الشمال

أنا الهادي إذا الشعراء هاموا بوادي الشعر في ليل الضلال

مجلي السابقين إلى المعاني وفارس بحثها يوم الجدال

تدل لدى النشيد بنات فكري على أدبي وتنسبني فعالي

ويشهد لي بدعوى الفضل قربي لدى بركات نقاد المعالي

تملكني هواه فزدت فضلاً وفضل العبد من شرف الموالي

جمال الفضل مركز نيريه كمال بدور أبناء الكمال

رفيع علا إلى هام الثريا رقى بسلالم الهمم العوالي

موفى العرض في سنن السجايا مبيد المال في طلب المعالي

شجاع فيه تتسع المنايا إذا ما كرَّ في ضيق المجال

إذا يدجى القتام بدا بدرع أرانا الشمس في ثوب الهلال

هو العدل الذي بالوصف يعنو له العلم المعرف بالجلال

غوامض فكره تحكي الدراري

وطيب نشاه يرخص بالغوالي

يرى الدنيا وإن عظمت وجلت لديه أقل من شسع النعال

به انطلق السماح وكان رهناً وأضحى البخل مشدود العقال

تزين به عواطلها القوافي كما تتزين البيض الحوالي

فلو مسَّ الصخور الصمَّ يوماً لفجرهنَّ بالعذب الزلال

إلى أن قال :

من القوم الذين سموا وسادوا على العرب الأواخر والأوالي

أثيل المجد مقصور عليهم وضال العز ممدود الظلال

تبين لي الحجا والجود فيه ونور المجد من قبل الفصال

غنيت عن الكرام به جميعاً وصنت الجود عن ذل السؤال

أأستسقي السحائب نازحات وهذا البحر معترضاً حيالي

وألقيت السلاح وما احتياجي وفيه تدرعي وبه اعتقالي

ألا يا أيها البطل المرجى لدفع كتائب النوب العضال

ويا سيف المنون وساعديها وباري قوسها يوم النضال

ويا قمر الزمان ولا أكني وشمس ضحى الملوك ولا أغالي

لقد غبط العلى بختان شبل ... أبوه أنت ياليث النزال

شقيق الرشد تسمية وفألاً ... سليل المجد خير أب وخال

نشا فنشا لنا منه سرور ... يكاد يهز أعطاف الجبال

وحمحمت الجياد مهللات ... وصال مكبراً يوم القتال

وقرت أعين البيض المواضي ... ومسنَ معاطف السمر الطوال

هو الابن الذي بأبيه نالت ... خلود الأمن أفئدة الرجال

فدام ودمت ما اكتسبت ضياء ... نجوم الليل من شمس النوال

ولا زالت لك الأيام تدعو ... ولا برحت تهنيك الليالي

وقال أيضاً يمدحه بهذه القصيدة ، ولم يذكر جامع ديوانه مطلعها ، واعتذر أنه لم يجد منها إلا هذا القدر :

ويا وميض بروق المزن إن سفرت

عن الثنايا فغض الطرف واستتر [1]

ويا وجيز عبارات البيان لقد

أطنبت في وصف ذاك الخصر فاختصر

هذا الأبيرق في فيها فواظمأي ... إلى عذيب عقيق المبسم العطر

وذا الغوير توارى في الوشاح فوا ... شوقي إليه وهذا الجزع في الأزر

بمهجتي نار حسن فوق مرشفها ... تشب من حول ذاك المورد الخصر

مرت بنا وهي تبدي نون حاجبها ... والصدغ يالثم منها وردة الخفر

ففوق القوس نبل العين واحزني ... وقارن العقرب المريخ واحذري

---

(١) ديوانه : ٣٨

وحدثتنا فخلنا أنها ابتسمت زهر النجوم حديثاً في فم القمر

أما وبلورتي فجر تلثم في ياقوتتي شفق يفتر عن درر

ما خلت قبلك أن الحتف يبرز في زي العيون من الآرام والعفر

لولا ابتسامك لم تجر العيون دماً والمزن لم تبك لولا البرق بالمطر

لو بيع وصلك للعاني بمهجته هانت عليه ومن للعمي بالصبر

أفنيت ماء عيوني بالصدود بكاً وجذوة الصيف تفني لجة الغدر

خلو قلبك من نار الهوى عجب ومكمن النار لا ينفك في الحجر

لا تمقتي أثراً بي في الخطوب بدا فزينة الصارم الهندي بالأثر

ولا تذمي بياض الشيب إن شعلت شموعه في سواد الليل من شعري

فالمرء كالجمر في حال الخمود يرى فيه السواد ويبدو النور في السعر

لله در ليال بالحمى سلفت بيض ترى في جباه الدهر كالغرر

فكم عشونا بجنات النعيم إلى سناء نارين من جمر ومن قطر

وبدر خدر بشهب الليل منتطق مبرقع بسناء الفجر معتجر

لو أصبح الليل من فوديه ما بزغت شمس المدامة بالآصال والبكر

ولو عدا اللثم ذاك البدر ما قذفت أيدي ابن منصور للعافين بالبدر

سواد عين المعالي نقش معصمها بياض صلت العطايا مبسم الستر

سهم المنية درع الملك جنته سنان رمح الليالي صارم القدر

مملك ساس أحوال الرعية في عدل يؤلف بين الأسد والبقر

إلى أن قال :

وتر البرية شفع الدهر جملتـه ... جمع الفخار مثنى النفع والضرر

دع الروايات في الماضي فرؤيتهُ ... أقوى وليس عيان الأمر كالخبر

وقد تركت منها أبياتاً خوف الإطالة :

وقال يمدح السيد علي خان :

روت عن تراقيها العقود عن النحر ... محاسن ترويها النجوم عن الفجر [(١)]

وحدثنا عن خالها مسك صدغها ... حديثاً رواه الليل عن كلفة البدر

وركب منهـا الثغر أفراد جملة ... حكاها فم الابريق عن حبب الخمر

بصحة جسمي سقم أجفانها التي ... على صحوها لا تستفيق من السكر

وبالعنبر الوردي نكهتها التي ... روى المسك عن اسنادها خبر النشر

عذيري من عذراء قبل تمـائمي ... خلعت على العذال في حبها عذري

ولي مدمع في حبها لو بكى الحيا ... به نبت الياقوت في صدف الدر

بروحي منهـا جؤذراً في غلائل ... وجيد مهـاة قد تلفع بالخُـمُر

لقد غصبت منها القرون لياليـاً ... من الدهر لولا طولها قلت من عمري

أما وسيوف للحتوف بجفنهـا ... تجرد عن عين وتغمد في سحري

وهدب يسقى نبله سم كحلهـا ... فذب بشوك النحل عن شهده الثغر

وصمتة قُلب غص منهـا بمعصم ... ووسواسه الخنـاس ينفث في صدري

وطوق نضـار يستسر هـلاله ... مع الفجر تحت الشمس في غسق الشعر

(١) ديوانه : ٤٠

لفي القلب مني لوعة لو تجنها حشى المزن أمسى قطرها شرر الجمر

منعمة غير الكرى لا يزورها وتحجب عن طيف المحب إذا يسري

إذا مر في الأوهام معنى وصالها رأيت جياد الموت تعثر بالفكر

رفيعة بيت هالة البدر نوره وقوس محيط الشمس دائرة الستر

يرى في الدجى نهر المجرة تحته على در حصباء النجوم به تجري

فأطنابه للفرقدين حمائل وأستاره بالجنح أجنحة النسر

وليل نجوم القذف فيه كأنها تصول علينا بالمهندة البتر

ركبت به هوج المطايا وخضت في بحار المنايا طالباً درة الخدر

فعانقت منها جؤذر القفر آنسا وصافحت منها بالخبادمية القصر

فلما دنا منها الوداع وضمنا قميص عناق بزنا ملبس الصبر

بكت فضة من نرجس متناعس وأجريت تبرا من شقيق أخي سفر

فأمست عيون البدر في شفق الدجى تسيل وعين الشمس بالأنجم الزهر

وبتنا وزند الليث مني مطوق لها ويمين الظبي قد وشحت خصري

فكادت لما بي أن تذيب سوارها ضلوعي وإن كانت حشاي من الصخر

وكاد فريد العقد منها لما بها يذوب فيجري كالدموع ولا يدري

سقى الله أكناف العقيق بوارقاً تقطع زنج الليل في قضب التبر

ولا زال مجمر الشقائق موقداً بها شعل الياقوت في قضب الشذر

حمى تتحامى الأسد آرام سربه وتصرعهم من عينه أعين العفر

تحوط الظبا أقماره في أهلة وتحمى شموس البيض في أنجم السمر

ألا حبذا عصر مضى ولياليا عرائس أنس يبتسمن عن البشر

وأيامنا غر كأن حجولها أيادي علي في رقاب بني الدهر

أياد عن التشبيه جلت وإنما عبثن بقلبي ساحرات رقى السحر

بواد يُزان المجد منها بأنجم هواد لمن يسري إلى مشرق اليسر

مواض لمران المعالي أسنة وقضب بها العافون تسطو على الفقر

نبتن بكفيهِ نبات بنانه فدلت قطوف الجود في ثمر الشكر

هو العدد الفرد الذي يجمع الثنا وتصدر عنه قسمة الكسر والجبر

صنائعهُ عقد على عاتق العلى ومعروفه تاج على هامة الفخر

ربيع إذا ما زرته زرت روضة يفتح فيها نشره حدق الزهر

نهيم به عشقاً لخلق كأنه يهب علينا فى نسيم الهوى العذري

أيا واردي لج البحار اكتفوا به فسبعتها في طي أنمله العشر

إذا يده البيضاء أخرجها الندى فياويل أم البيض والورق الصفر

وهي طويلة أحببت الاقتصار منها على هذا القدر .

وقال أيضاً يمدحه :

أما ومواضي مقلتيها الفواصل لتشبيهُها بالبدر تحصيل حاصل [(١)]

وياقوت فيها ان جوهر جسمها لكالماء إلا أنه غير سائل

وورد محياها النضير لقدها هو الرمح إلا أنه غير ذابل

---

(١) ديوانه ٤٤

من العين إلا أنها في كناسها تظللها أسد الشرى بالمناصل
كعاب تمد الحتف في أي ناظر من الغنج إذ تدنو بمقلة خاذل
ذكاء حمتها الشهب وهي أسنة وقامت لديها نيرات المشاعل
تظن رغاء الرعد زفرة مدنف فترشقه حراسها بالمعابل
وتحرس عن مر النسيم توهماً بأن الصبا تهدي إليها رسائلي
بروحي منها حاجباً غنج قوسه تسلمه من طرفها أي نابل
وقضبان بلور بدت في خواتم وأعمدة من فضة في خلاخل
وزندين لو لم يمسكا في دمالج لسالا من الأكمام سيل الجداول
فما اختال ظبي قبلها في مدارع ولا مال غصن يانع في غلائل
أحن لمرأى خدها وهو مصرعي وأعشق منها الطرف والطرف قاتلي
فواعجباً أشقى بها وهي جنتي ولم أقتنصها والظبا من حبائلي
وليل غرابي الخضاب كفرعها طويل كحظي لونه غير ناصل
كأن الدياجي منه سود عوابس وأنجمه بيض الحسان الثواكل
قضى فجره نحباً فأحيته فكرتي وقدحي الحصى باليعملات الزوامل
وبت وصحبي كالقسي من السرى
نجافي الكرى ميل الطلا بالكواهل
فظلنا نساقي في زجاجات ذكرها حميا هواها في ندي الرواحل
فمن مدنف صاح بنا مثل شارب ومن معشر منا له زي ذاهل
فلولا هواها ما صبوت إلى الصبا ولا رحمت دمعي دعاة المنازل
ولا اقتنصت أخت الغزال جوارحي
ولا هيجت ورق الحمام بلابلي

ولو لا رقى السحر المبين بلفظها   لما التذ سمعي في أحاديث بابل
أيلحقني في حبها نقص سلوة   إذا فارقتني نسبتي للفضائل
ولا صافح الخطي مني يد الندى   ولا عانقت جيد المعالي حمائلي
ولانصب البيض الجوازم رتبتي   ولا رفعتها همتي بالعوامل
وإني لظمآن إلى عذب منهل   حمت شهده نحل الرماح النواهل
بحيث تحوط الأسد مرقد باغم   وتوقظ طرف الموت دعوة صاهل
وما موردي عذب إذا لم أر الظبا   تشوب نضاراً في لجين المناهل
سقى الله قوماً خيموا أيمن الحمى   وحيا بشرقي الغضا كل وابل
ولله أيام السرور وحبذا   مواسم لذات الليالي الأوائل
أما آن أن تدنو الديار وينجلي   ظلام التنائي في صباح التواصل
فحتام تستجدي النوى يم مقلتي   فيرفدها در الدموع الهوامل
أكانت جفوني كلما اعترض النوى
بنان علي والنوى كف سائل
جواد إذا ضن الغمام على الورى   توالت يداه بالغيوث الهوامل
شريف محل التاج في حلي فضله   تزان صدور المكرمات العواطل
له راحة لو ترضع المزن درها   همت باللآلي معصرات الحوامل
أحاطت بأوساط الدهور ووشحت
حظوظ الورى منها خطوط الأنامل
تلذذه بالبأس والعفو والتقى   وبذل العطايا لا بطيب المآكل
يهز افعوان الرمح في كف ضيغم   ويمسك نهر السيف في بحر نائل
يقلب فيه الدهر أجفان حائر   ويرنو إليه الغيث في طرف آمل

همام يصيد الأسد ثعلب رمحه إذا الربد رفت في بزاة الجحافل

فما سار شيء من عداه بأرضه سوى ماسرى من لحمها في الحواصل

لطاعته قامت على ساقها الوغى ونكس ذلاً رأسهُ كل باسل

وشدت على الأوساط من حزم القنا

لديه زنانير الكعوب العوامل

وليس اضطراب الرمح خلقاً وإنما رمتها دواعي ذعره بالأفاكل

يرى زورة العافي ألذ من الصبا وأحسن من وصل الحبيب المماطل

هو المصقع اللسن الذي لبيانه بنظم القوافي معجزات الفواصل

وموضع علم الفضل والعلم الذي عليه وجوباً صح حمل الفواضل

يعدي فعال المكرمات بنفسها إلى آمليهِ لا بجر الوسائل

مضى فعله المشتق من مصدر العلى فصح له منه اشتقاق اسم فاعل

تكاد القنا قسراً بغير تثقف يقوّم منها عد له كل مائل

وإن تنحني حني الأساور قضبهُ لما أثقلتها من ذحول القبائل

فلا تطلبوا يا حاسديه اغتياله فتخطفكم غول الخطوب الغوائل

ولا تنزلوا أرضاً بها حل شخصه فتنزل فيكم صاعقات النوازل

تولى بلاد الحوز فليخل بالها وتفرغ من بعد الهموم الشواغل

لقد قر طور المجد فيها مكانهُ وقد كان دكاً قبله بالمنازل

وفك عن الملك الوثاق فأصبحت شياطينه من قهره في سلاسل

وزال ظلام البغي عن نير الهدى

وحكم سيف الحق في كل باطل

فحسبك يا بكر العلى مفخراً فقد　　تزوجت منه بالكريم الحلاحل
فيا ابن حسام المجد والعامل الذي　　به انصرفت قسراً جميع القبائل
لقد فقت آباء الكرام بوالدٍ　　به ختمت غر الكرام الأفاضل
محل سماك الفضل مركز شمسه　　مقر دراري غامضات المسائل
صفوح صدوق حاكم متشرع　　عفيف شريف ماله من مماثل
ففيه حكيم عالم متكلم　　ينص على أحكامه بالدلائل
مناقب فخر حزتها منه يا ابنه　　وحسبك فخراً ما به من شمائل
فلا زلت قطباً ثابتاً في العلى ولا
برحت هلالاً كاملاً غير آفل

وقال يمدحه ويستأذنه للحج الشريف ويهنئه بعيد الفطر :

تلوح وتستدعي الفراش وتبسم　　فيفتر ثغر الصبح والليل مظلم[1]
وتبدي ثناياها لنا كنز جوهر　　فترصدها في فرعها وهو أرقم
وتغضي فيمشي السحر في غمد فتنةٍ
وترنو فيضحي مصلتاً وهو مخذمُ
وتسعى فتخشى الطعن من عطف قدها
ورب قوام وهو رمح مقوم
أما وحباب وهو ثغر مفلج　　وجامد خمر وهو خد معندم
ومرآة بلورٍ صفت وهي غرة　　وأنبوب درٍ وهو ساقٌ مخدم
لصنوان مسموم السهام ولحظها　　ومبسمها والجوهر الفرد توأم

---

(١) ديوانه : ٨٤

وقامتها والسمهري وإنها لأعدل منه وهو في الفتك أظلم

هي البدر في الإشراق لولا حجابها

وشمس الضحى لولا السجاف المخيم

وبيض الدمى لولا البراقع والحيا وظبي الحمى لولا الثوى والتكلم

مهاة لديها السمر في حرم الهوى تحل دماء الصيد والبيض تحرم

تخف الظباء العين فيها إذا شدت وتزأر آساد الشرى حين تبغم

فكم حولها ليث بحلة أرقم يطوف وكم خشف بعينيه ضيغم

تحام حماها واحذر الموت دونها فليس الحمى إلا الحمام المرخم

وما الحب إلا أن يكون مزاره عزيزاً إليه لا يجوز التوهم

بحيث الدم المحظور فيه محلل على السيف والماء المباح محرم

وإنا لقوم قد نشا في قلوبنا بحب الدمى والمكرمات التسنم

ففي الدر رخص عندنا وهو جوهر

ويغلو لدينا قيمةً وهو مبسم

نفر إذا يرنو غزال مقنع ونسطو إذا يبدو هزبر معمم

نضاحك ضوء البرق وهو مهند ونبكي نجيعاً وهو ثغر ملثم

ونحذر من نبل الردى وهو أعين ونلقاه في لباتنا وهو أسهم

ومحجوبة لو ينظر البدر وجهها لخر صريعاً وانثنى وهو مغرم

إذا حدثت في بقعة أو تنفست ففي بابل أو بسم دارين توسم

سقى دارها ماء الطلا بارق الظبا

ففي الترب منها لا يسوغ التيمم

(نزهة الابصار ج٢ م ٣١)

ممنعة لا يمكن الطيف نحوها صعوداً ولو أن المجرة سلم

تأتيتها والنسر في الأفق واقع وبيض حمام الأنجم الزهر حوم

فوافيت منها الشمس في الليل ماردا

ومن دونها شهب من النبل ترجم

وبتنا كلانا في العفافة والتقى أنا يوسف وهي الكريمة مريم

وما أنا ممن يتقي الحتف إن بغى مراماً ولا يثنيه في الحب لوم

وركب تعاطوا في الدجى دلج السرى

يميلون من سكر الكرى لم يهوموا

سهام على مثل القسي ارتمت بهم

يؤمون نجداً والهوى حيث يمموا

تراءى لهم قلبي اماماً فغرهم وأوهمهم نار الغضى فتوهموا

أروح ولي روح إلى أرض رامة وآرامها شوقاً تحن وترزم

وقلب إلى نحو الحجاز وأهله يغور به الود الصحيح ويتهم

إذا مر ذكر الحيف لو لم يكن به ولاء عليٍّ كاد بالنار يضرم

جوادهوى المعروف قبل فطامه ومال إلى حب العلى قبل يُفطم

همام إذا قامت وغى فهو ساقها وإن شمرت عن زندها فهو معصم

فتى حبه للمجد أفقده الغنى كما فقد السلوان صب متيم

يلذُّ دعاءُ السائلين بسمعه كما لذَّ في سمع الطروب الترنم

كسى العرض من حسن الثنا خير حلة

لها الفخر يُسدى والمكارم تلحم

له الطعنات النجل تبكي كأنها   عيون رأت يوم النوى فهي تسجم

فواعجباً يجري حياً وهو شعلة   ويضرم ناراً في الوغى وهو خضرم

يصول بفجر كاذب وهو صارم   ويسطو بنجم ثاقب وهو لهذم

دنانيره صفر الوجوه لعلمها   بأن النوى في شملهن محكم

إذا زاره العافون يوماً تشتت   كأدمع صب قد دعتهن أرسم

فلو جالس الأقار من حوله دجى .   دروا أنه المولى وإن كان منهم

ولو أنفقتها في الهبات يمينه   لقل لديها بدرها وهو درهم

ولو كلفت أهل الهوى درع أمنه   لردت سهام الأعين النجل عنهم

حطمن عواليه قنا كل فتنة   فكدن لقامات الدمى البيض تحطم

وردت سيوف الجور وهي كليلة   فأوشكن حتى أنصل الغنج تكهم

له بيت مجد شامخ في صعيده   تعفر آناف الملوك وترغم

تطنبه شمس الضحى في حبالها   وتسمكه أيدي السماك وتدعم

يود حصاه الدهر لو أنه غدا   على جيده عقد يناط وينظم

وحسب الدجى فخراً بحصباء أرضه   لو انتثرت من فوقه وهي أنجم

تقبلها الأفواه حتى كأنها   ثغور الغواني فهي تهوى وتلثم

نجيب نمته الغر من آل حيدر   ملوك على كل الملوك تقدموا

جنان نعيم غير أن سيوفهم   لتعذيب أرواح الطغاة جهنم

مزانون في حلي العلى منذ خلقهم   تمائهم بالمكرمات تختم

مصاليت يوم الكر من شئت منهم   يصد به الجيش اللهام ويهزم

مضوا فأتى من بعدهم فأعادهم ... إلى أن رأى كل الورى أنه هم !

تحدر في الأصلاب حتى أتت به ... فكان هو السر الخفي المكتم

أبوه ذُكاء أعقبت خير أنجم ... ولكنه نجم هو البدر فيهم

كريم لديه زدت قدراً ورفعة ... وتكرمةً والحر للحر يكرم

فلي كل حين منه لطف مجدد ... ولي كل يوم من أياديه أنعم

أمولاي يا مولاي دعوة مخلص ... حليف ولاً في ودهِ ليس يجمجم

لقد أوجبت نعماك حجاً وعمرةً ... على ذمتي والحج فرض محتم

فهل تأذنوا أقضي حقوق مناسك ... تشاركني فيها الشواب وتغنم

ليهنك صوم الشهر وفيت أجره ... وبالعفو عقباه لك الله يختم

وعودة عيد قد تزين جيده ... بطوق هلالٍ نونه ليس تعجم

هلال إذا قابلته زال نقصه ... فيشرق ليلاً وهو بدر متمم

يصوغ لورد الليل مخلب فضةٍ ... ولولاك أمسى وهو ظفر مقلم

فلا زلت تكسو وجهه من سنا العلى ... ولا زال بالإقبال نحوك يقدم

لعينيك يبدو وهو قلب حبيبة ... ويلقى الأعادي وهو سيف مصمم

وقال يمدحه ويهنئه بعيد الفطر :

هذا الحمى فانزل على جرعائه ... واحذر ظبى لفتات عين ظبائه[1]

وانشد به قلباً أضاعته النوى ... من أضلعي فعساه في وعسائه

---

(١) ديوانه : ٥٥

وسل الأراك الغض عن روح شكت
حر الجـوى فلجت إلى أفيـائه

واقصد لبانات الـلوى فلعلنـا نقضي لُبانات الفؤاد التائـه
واضمم إليك قدود أغصان النقا والثم ثغور الدر من حصبائه
واسفح بذاك السفح حول غديره دمعاً يعسجِـدُ ذوب فضة مائه
سقيا له من ملعب بعقولنـا وقلوبنا لعبت يـدا أهوائـه
مغنى به تهوى القلوب كأنمـا بالطبـع يجـذبها حصا مغنائـه
أرجٌ حكى نفس الحبيب نسيمه يذكي الهوى في الصب برد هوائه
نفحاتـه تـبري الضرير كأنمـا ريح القميص تهـبُ من تلقائه
فلتحذر الجرحى به أن يسلكوا يومـاً فيشتاقوا ثرى أرجائـه
عهدي به ونجوم أطراف القنا والبيض مشرفة عـلى أحيائـه
والأسد تزأر في سروج جياده والعين تبغم في حجـال نسائه
والطيف يطرقه فيعثر بالردى تحت الدجى فيصد عن إسرائه
والظل تقصرهُ الصبـا وتمـده والطير يعرب فيه لحن غنائـه
لازال يسقي الغيث غر معاشر تسقي صوارمهم ثرى بطحائـه
لاتنكرن يا قلب أجرك فيهـم هم أهل بدر أنت من شهدائـه
لولا جمود الدر بـين شفاههم ما ذاب في طرفي عقيق بكائه
لله نفسُ أسٍ يصعِّـدُها الأسى ويردها في العـين كف عزائه
حبست بمقلتـهِ فلا من عينـهِ تجـر ولم ترجع إلى أحشائـه
من لي بخشف كناسٍ خدرٍ دونه ما يحجم الضرغام دون لقائـه

أحوى هوى أَلِفَ الجآذر في الفلا
والشيء منجذب إلى نظرائه

حسن إذا في ظلمة الليل انجلى
تعشو الفراش إلى ضياءِ بهائه

يلقي شعاع الخد منه على الدجى
شفقاً بعصفرِ طيلسان سمائه

فالبرق منه يلوح تحت لثامه
والغصن منه يميل تحت ردائه

لا غرو أن زار الهلال محله
فشقيقه الأسنى برحب فنائه

أو نحوه نسرُ النجوم هوى فلا
عجباً فبيضته بخدر خبائه

أنياب ليث الغاب من حجابه
ولواحظ الحرباءِ من رقبائه

كم قد خلوت به وصدق عفافنا
يجلو دجى الفحشاءِ فجر ضيائه

ما لي وما للدهر ليس ذنوبه
تفنى ولا عتبى على أبنائه

يجني على فضلي الجسيم بفضله
وكذا المجهول العلمُ من أعدائه

فكأنما هو طالبي بقصاص ما
صنعته آبائي إلى أرزائه

شيم الزمان الغدر وهو أبو الورى
فمتى الوفاء يرام من أبنائه

لحقوه في كل الصفات لأنهم
ظرفوا به والماء لون إنائه

فعلام قلبي اليوم يجزعه النوى
ولقد عهدتُ الصبر من حلفائه

وإلام نندبي للديار كأنه
فرض علي أخاف فوت أدائه

يا حبذا عيش على السفح انقضى
والدهر يلحظنا بعينِ وفائه

والشمل منتظم كما انتظم العلى
بندى عليٍّ أو عقود ثنائه

ولياليًا بيضاً كأن وجوهها
من فوقها مسحت أكف عطائه

بحر إذا ما مدَّ فابن سحابنا
يدري بأن أباه لج سخائه

فطن تكاد العمي تبصر في الدجى
لو أنها اكتحلت بنور ذكائه

ملك يعوذ الدين فيه من العدى فيصون بيضته جناح لوائه

إلى أن قال :

إن كنت تجهل بالسؤال صفاته
فعليك نحن نقص من أنبائه

العدل والرأي المسدد والتقى والبأس والمعروف من قرنائه

فهو ابن من ساد الأنام بفضله خلف الكرام الغر من آبائه

صلى ووالده المجلي قبلهُ فأتى المدى فخراً على أكفائه

سيان في الشرف الرفيع فنفسه من نفسه وعلاه من عليائه

من آل حيدرة الألى ورثوا العلى من هاشم والضرب في هيجائه

آل الرسول ورهطه أسباطه أرحامه الأدنون أهل عبائه

نسب إذا ما خط خلت مداده ماء الحياة يفيض في ظلمائه

نسب يضوع إذا فضضت ختامه
فيعطر الأكوان نشر كبائه

أين الكرام الطالبون لحاقه منه وأين ثناي من نعمائه ؟

يا أيها المولى الذى بيمينه في المال قد فتكت ظبى آلائه

سمعاً فديتك من حليف مودة مدحاً يلوح عليه صدق ولائه

مدحاً تميل له الطباع كأنني أتلو عليه السحر في إنشائه

بصفاتك اللاتي بهن مزجته فعبقن كالأفواه في صهبائه

فاستجله نظماً كأن عروضه زهر الربى ورويه كروائه
واسرر هلال العيد منك بنظرة تكفيه نقص التم من لألائه
فجبينك الميمون يمنحه السنا وعلاك يرفعه لأوج سنائه
طلب الكمال وليس أول طالب
وأتى إلى جدواك باستجدائه
فاظهر له حتى يراك فإنه صب كساه الشوق ثوب خفائه
وليهنك الصوم المبارك فطره والله يختمه بحسن جزائه

وقال يمدحه ويهنئه بعيد الفطر أيضاً :

لله قوم بأكناف الحمى نزلوا هم الأحبة إن صدوا وإن وصلوا[1]
ودر درّهم من جيرة معهم لم يبرح القلب إن ساروا وإن نزلوا
جعلتهم لي ولاة وارتضيت بما
يقضون في الحب إن جاروا وإن عدلوا
هم هم سادتي رقوا قسوا عطفوا جفوا وفوا أخلفوني أنجزوا مطلوا
ودوا قلوا هجروا زاروا صفوا كدروا
قد حسن الحب عندي كل ما فعلوا
رعيا لماضي زمان فزتُ فيه بهم وحبذا بالحمى أيامنا الأُول
عصر كأن الليالي فيه بيض دمى لعس الشفاه وأوقات اللقا قبل
إذا الرواة رووا عنه لنا خبراً كأنهم نقلونا بالذي نقلوا
كم في القباب لديهم من محجبة بالحسن والعز منها يضرب المثل

---

(١) ديوانه : ١١٢

بكر هي الشمس في إشراق بهجتها لو لم يجن سناها فرعها الجثل
ودمية القصر لولا سمط منطقها وظبية القفر لولا الحلي والعطل
سيان بيض ثناياها إذا ضحكت ومبسم البرق لولا النظم والرتل
يبدو الصباح فيستحيي إذا سفرت عن المحيا فيعلو وجهها الخجل
تختال في السعي سكرى وهي صاحية فينقضي الصبر عنها وهي تنتقل
تغري القلوب بلحظيها ومقلتها لولا النعاس لقلنا جفنها خلل
أفديهم من سراة في جواشنهم وفي البراقع منهم تلتظي شعل
فرسان طعن وضرب غير أنهم أمضى سلاحهم القامات والمقل
شوس على الشوس بالبيض الرقاق سطوا وبالجفون على أهل الهوى حملوا
في غمد كل هزبر من ضراغمهم وعين كل مهاة كامن أجل
لم أدر من قبل ألقى سود أعينهم أن المنية من أسمائها الكحل
كلا ولا خلت لولا حلي خردهم أن الدنانير مما يثمر الأسل
بالبيض قد كللوا أقمارهم وعلى شموسهم بالدياجي تضرب الكلل
صباحهم من وجوه البيض منفلق وليلهم من قرون العين منسدل
صانوا من الدر ما حازت مباسمهم وما حووا منه في راحاتهم بذلوا
سود الذوائب والأحداق تحسبهم تعمموا بسواد الليل واكتحلوا
يروق في أسدهم نظم القريض وفي غزلانهم يحسن التشبيب والغزل
تمسي القلوب ضيوفاً في منازلهم ولا لهن سوى نيرانهم نزل

هم الأكارم إلا أنهم عرب | عند الكرائم منهم يحسن البخل
أما ولدن تثنت في مناطقهم | تحت الحديد وقضب فوقها حلل
وبيض حبات در بعضها لفظوا | وبعضهن لأعناق الدمى جعلوا
لولا عيون وقامات بنا فتكت | لم نخش من وقع ما سلوا وما اعتقلوا
لا أطلع الله فجراً في مفارقهم | ولا انجلى ليلها عنهم ولا أفلوا
ولاصحت من سلاف الدل أعينهم | ولا سرى في سواها منهم الكسل
لولا هواهم لما أبلى الضنى جسدي | ولا شجتني رسوم الدار والطلل
ولا تفرق قلبي في الرسوم كما | تفرقت من عليّ في الورى الخول
الموسوي الذي مشكاة نسبته | أرحامها بشهاب الطور تتصل
كريم نفس تزان المكرمات به | ومنه تنشأ بالدنيا وتنتقل
طود لو ان سر نديباً تبدلهُ | لساكني الحوز بالراهون ماقبلوا
ولو إلى رجله يهوي الهلال دجى | لم ترضه أنه من نعلها بدل
قرن يميل إلى نحو الظبا شغفاً | كأنهن لديه أعين نجل
يغشى العدى مثل ماضيه وعاملهُ | يهتز بشراً ويثني عطفه الجذل
في طرف هندية من ضربه رمد | وفي عواليه من جرح الكلى ثمل
له سيوف إذا ما النصر أضحكها | تبكي الرقاب وتنعي نفسها القلل
جراحها وعيون الصب واحدة | لا تلك ترقى ولا هاتيك تندمل
بيض الجوانب كالأنهار من لبن | تظنها بالوفى يجري بها العسل
حليف بأس إذا اشتدت حميته | لو لا ندى راحتيه كاد يشتعل
يغزو العدو على بعد فيدركه | كالنجم يسري إليه والدجى جمل
يكاد كل مكان حل ساحته | يقفوه شوقاً إليه حين يرتحل

تلقى مواقد نور في مواطئه كأنه بأديم الشمس منتعل
لا يطمع الخصم فيه لين جانبه فقد تلين الأفاعي والقنا الذبل
ولا يغر العدى ما فيه من كرم فمحدث الصاعقات العارض الهطل
يمد نحو العلى والمكرمات يداً خطوطها للمنايا والمنى سبل
يد إلى مصر كل من أناملها تسري الأيادي وفيها ينزل الأمل
كأن خاتمه يوم النوال بها قوس السحاب الغوادي حين ينهمل
حاز الكمال صبياً منذ مولده وقال بالفصل طفلاً قبل ينفصل
نفس من القدس في ذات مجردة بالعرف جاز عليها يصدق الرجل
مالاح فوق سرير مثله قمر ولا تمطى جواداً قبله جبل
ولا تنسك زاهداً غيره أسد ولا تدين في دين الظبا بطل
هل عانق الشمس إلا سيفه فلق واستغرق البحر إلا درعه وشل
باهت مناقبه الدنيا به فعلا قدراً على سائر الأملاك واستفلوا
حكوه خلقاً وما حازوا خلائقه
والناس كالوحش منها الليث والوعل
أنى يحاول فيه مدع صفة وهل يحصل طيب النرجس البصل
ما كل ذي كرم تحوى مكارمه والدر في كل بحر ليس يحتمل
لديه أغلى لباس المرء أخشنه وأحسن الخز والديباج مبتذل
لو باللباس بدون البأس مفتخر فاق البزاة بحسن الملبس الحجل
يا ابن الأسود الألى يوماً إذا حملت
بالأفق يشفق منها الثور والحمل
زانت بأبنائك الدنيا وفيك ولو لم يولدوا لم تجد كفواً لها الدول

أنتم شموس ضحاها بل وأنجمها ليلًا وأوقاتها الأسحار والأصل

عنكم ومنكم رواة المجد قد أخذوا علم المعالي ولولا كم به جهلوا

يدرون أنكم حقاً أئمتهم ويعلمون يقيناً أنكم قبل

إذا العباء كساكم فضل مابسه فأي فخر عليكم ليس يشتمل

آراؤكم لسقيم المجد عافية لكنهن لإيجاد الثنا علل

كأنما خلطت بالطيب طينتكم فنبتها ليس إلا الورد والنفل

مولاي ذا الصوم أبقى أجره ومضى

لديك والفطر والإقبال مقتبل

واسعد بعودة عيد عاد فيه لنا منك السرور وزال الهم والوجل

عيد تشرف يا ابن الطاهرين بكم لذا به ملة الإسلام تحتفل

فاق الزمان كما فقت الملوك كما كلاكما سيد في قومه جلل

واستجل طلعة فطر فوق غرته هلال سعد سناه منك منتحل

شيخا تأتاك كالعرجون منحنياً وأنت كالرمح رطب العود معتدل

رآك بعد النوى ليلًا فعاد له عمر الشبيبة غضاً وهو مكتهل

لا زلت بدر سعود لا أفول له يبدو نهاراً وليلًا وهو مكتمل

ولا برحت مطاع الأمر مقتدراً يجري الزمان بما تقضي ويمتثل

تم الاختيار من شعر ابن معتوق وأخباره ، ويليه الاختيار من شعر ابن الرومي .

شعر

ابن الرومي [1]

ليس هذا موضع الاختيار من شعره ، وينبغي أن يكون مع أهل زمانه ، كأبي تمام والبحتري ، ولكن لم أظفر بديوانه حينئذ ، فأحببت ذكره هنا لئلا يخلو المجموع من شعره ، لأنه في غاية الجودة ، والله الموفق للصواب ، لا إله غيره ، ولا رب سواه .

هو علي بن عباس بن جريج أو جورجيس ، مولى عبدالله بن عيسى بن جعفر ، وكنيته ابو الحسن ، ويعرف بابن الرومي نسبة إلى أصله ، كانت ولادته ببغداد سنة ٢٢١ ، ومات بها سنة ٢٨٣ . قال ناقل ترجمته : وقد أظلته ثمان خلافات ، وهي خلافة المعتصم ، والواثق ، والمتوكل ، والمستعين والمعتز ، والمهتدي ، والمعتمد ، والمعتضد ، وكان شعره غير مرتب ، رواه المتنبي عنه ، ثم جمعه أبو بكر الصولي ، ورتبه على الحروف ، وله في شعره دقة واسترسال ، يغوص على المعاني النادرة ، فيستخرجها من مكامنها ، ويبرزها في أحسن صورة ، ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره ، ولا يبقي فيه بقية ، وكان شبيها بقول الشاعر :

وفضلني في القول والشعر أنني ... أقول على علم وأعلم ما أعني

---

(١) صحح شعر ابن الرومي على ديوانه المطبوع في مصر وعلى مختارات البارودي والأمالي (وعلى ديوانه بعناية الكيلاني) والاشارة على القصائد هي لديوانه بعناية الكيلاني .

ونثره يشبه شعره في المعاني والجودة، فمن ذلك قوله يتنصل إلى بعض من يعز عليه . ترفع عن ظلمي إن كنت بريئاً ؛ وتفضل بالعفو إن كنت مسيئاً ، والله إني لأطلب العفو من ذنب لم أجنه ، وألتمس الإقالة مما لا لا أعرفه ، لتزداد تطولا ، وأزداد تذللا ، وأنا أعيذ حالي عندك بكرمك من واش يكيدها ، وأحرسها بوفائك من باغ يحاول إفسادها ، وأسأل الله تعالى أن يجعل حظي منك بقدر ودي لك ، ومحلي من رجائك بحيث استحق والسلام .

ومن قوله في العفو . كتبها إلى بعض من يعز عليه ، وقد بلغه أنه نال من عرضه ثم إنه ندم ، و كتب إليه يعتذر من ذلك فأجابه بقوله :

أتاني مقال من أخ فاغتفرته ... وإن كان فيما دونه وجه معتب[1]

وذكرت نفسي منه عند امتعاضها ... محاسن تعفو الذنب عن كل مذنب

ومثلي رأى الحسنى بعين جلية ... وأغضى عن العوراء غير مؤنب

فيا هارباً من سخطنا متنصلاً ... هربت إلى أنجى مفر ومهرب

فعذرك مبسوط لدينا مقدم ... وودك مقبول بأهل ومرحب

ولو بلغتني عنك أذني أقمتها ... لدي مقام الكاشح المتكذب

ولست بتقليب اللسان مصارماً ... خليلي إذا ما القلب لم يتقلب

ومن قوله وهي من غرر قصائده :

أجنت لك الوجد أغصان و كثبان ... فيهن نوعان تفاح ورمان[2]

---

(١) ديوانه : ٢٨

(٢) ديوانه : ٢٠

وفوق ذينك أعناب مهدلة سود لهن من الظلماء ألوان

وتحت هاتيك عناب تلوح به أطرافهن قلوب القوم قنوان

غصون بان عليها الدهر فاكهة وما الفواكه مما يحمل البان

ونرجس بات ساري الطل يضربه

وأقحوان منير النور ريان

ألفن من كل شيء طيبٍ حسنٍ فهنّ فاكهة شتى وريحان

ثمار صدق إذا عاينت ظاهرها لكنها حين تبلو الطعم خطبان

بل مرة حلوة طوراً يقال لها شهد وطوراً يقول الناس ذيفان

ياليت شعري وليت غير مجدية إلا استراحة قلب وهو اسوان

لأيّ أمرٍ مراد بالفتى جُمعت تلك الفنون فضمتهنّ أفنان

تجاورت في غصون لسن من شجر

لكن غصون لها وصل وهجران

تلك الغصون اللواتي في أكمتها نعمى وبؤسى وأفراح وأحزان

يبلو بها الله قوماً كي يبين له ذو الطاعة البر ممن فيه عصيان

وما ابتلاهم لإعنات ولا عبث ولا لجهل بما يطويه إبطان

لكن ليثبت في الأعناق حجته ويحسن العفو والرحمن رحمان

ومن عجائب مايمنى الرجال به مستضعفات له منهن أقران

مناضلات بنبل لاقوام له كتائب الترك يزجيهنّ خاقان

مستظهرات برأي لا يقوم له قصير عمرو ولا عمرو ووردان

من كل قاتلة قتلى وآسرة أسرى وليس لها في الأرض إثخان

يولين ما فيـه إغرام وآونـةً   يولين مافيـه للمشغوف سلوان
ولا يد من علي عهد لمعتقد   أنى وهن كما شبهن بستان
يميـل طوراً بحمل ثم يعدمـه   ويكتسي ثم يلفي وهو عريان
حالاً فحالاً كذا النسوان قاطبة   نواكث دينهـنَّ الدهر أديان
يغدرن والغدر مقبوح يزينـهُ   للغاويات وللغـاوين شيطـان
تغدو الفتاة لها خل وإن غدرت   راحت ينافس فيها الخل خلان
ما للحسان مسيئـآت بنا ولنا   إلى المسيئـآت طول الدهر تحنان
يصبحن والغـدر بالخلصـان في قرن
حتى كأن ليس غـير الغـدر خلصان
فإن تُـبعن بعهدٍ قلن معـذرةً   إنا نسينا وفي النسوان نسيان
يكفي مطالبنا بالذكر ناهيـة   أن اسمنا الغالب المشهور نسوان
لا نلزم الذكر إنا لم نسم بـه   ولا منحناه بل للذكر ذكران
فضل الرجال علينا أن شيمتهم   جود وبأس وأحلام وأذهـان
وإن فيهم وفاءً لا نقوم بـه   ولن يكون مع النقصان رجحان
صدقن ما شئن لكنا تقنصنا   منهن عـين تلاقينـا وادمان
أنكى وأزكى حريقاً في جوانحنا   خلق من الماء والألوان نيران
إذا ترقرقن والإشراق مضطرم   فيهنَّ لم يملك الإسرار كـتمان
ماء ونار فقـد غادرن كل فتى   لابسن وهو غزير الدمع حرَّان
تخضل منهنَّ عين فهي باكيـة   ويستحرُّ فؤاد وهو هـيمان
يارب حسانة منهن قد فعلت   سوءاً وقد تفعل الأسواءَ حُسَّان

تصمي المحب وتلفي الدهر شاكية
كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان

واصلت منها فتاة في خلائقها غدر وفي خلقها روض وغدران

هيفاء تكسي فتبدو وهي مرهفة خود تعرى فتبدو وهي ميدان؟

ترتج أردافها والمتن مندمج والكشح مضطمر والبطن طيان

ألوف عطر تذكى وهي ذاكية إذا أساءت جوار العطر أبدان

نمامة المسك تلقى وهي نائية فنأيها بنميم المسك لقيان

يغيم كل نهار من مجامرها ويشمس الليل منها فهو ضحيان

كأنها وعثان الند يشملها شمس عليها ضبابات وأدجان

شمس أظلت بليل لا نجوم به إلا نجوم لها في البحر أثمان

وتلبس الحلي مجعولا لها عُوذاً لا زينة بل بها عن ذاك غُنيان

لله يوم أرانيها وقد لبست فيها شباباً عليها منه ريعان

وقد تردت على سربال بهجتها فرعاً غزته الغوادي فهو فينان

جاءت تثنى وقد راح المراح بها سكرى تغنى لها حسن وإحسان

كأنها غصنٌ لدن بمروحة فيه حمائم هاجتهن أشجان

إذا تمايل في ريح تلاعبه ظلت طراباً لها سجع وإرنان

يا عاذليَّ أفيقا إنها أبداً عندي جديد وإن الخلق خلقان

لا تلحياني وإياها على ضرعي
وزهوها فكلا الأمرين ديدان

إني ملكت فلي بالرق مسكنة ومُلكت فلها بالملك طغيان

ما كان أصفى نعيم العيش إذ غنيت
نعمٌ تجاورنا والدار نعمان

إذ لا المنازل أطلال نسائلها ... ولا القواطن آجال وصيران

ظلنا نقول وأشباه الحسان بها ... سقياً لعهدك والأشباه أعيان

بانوا فبان جميل الصبر بعدهم ... فللدموع من العينين غنيان

لهم على العيش إمعان يشط بهم ... وللدموع على خديَّ إمعانُ

لي مذ نأوا وجنة ريا بمشربها ... من عبرتي وفمٌ ماعشت ظمآن

كأنما كل شيء بعد ظعنهم ... فيما يرى قلبي المتبول أظعان

أصبحت مالك من أوطانه ملل
وخانك الود من مغناه ودان

فاجمع همومك في هم تؤيده ... بالعزم إن هموم الغل شذان

واقصد بودك خلاً ليس من ضلع ... عوجاء فيها بوشك الزيغ إيذان

ومن قوله :

لاتكثرنَّ ملامة العشاق ... فكفاهمُ بالوجد والأشواق[1]

إن البلاء يطاق غير مضاعف ... فإذا تضاعف كان غير مطاق

أتلومهم للنفع أم لتزيدهم ... باللوم إقلاقا على إقلاق

ما للذي أضحى يلوم أخا هوى ... أمسى صريع مواقع الأحداق

أنىَّ يعنف كل معنوف به ... يثني يديه على حشا خفاق

---

(١) ديوانه للكيلاني : ٢٥٢

تهدي الحمامة والغراب لقلبه ... شجواً بساق تارة وبغاق

ويشوقه برق السحاب وإنما ... يعني ببرق المبسم البراق

متصعداً زفراته متحدراً ... عبراته أبداً قريح مآقي

لم يسق فوهُ من الثغور شفاهُ ... فلوجنتيه من المدامع ساق

يبكي الشجيّ بدمعة مهراقة ... بل بالدماءِ على دم مهراق

تضحي أحبته تولى سفحه ... عند الفراق وعند كل تلاق

يجزونه طول الجفاء بأنه ... لم يخلُ من شغف مُدِرٍّ فراق

شهد الوفاء وكل شيء صادق ... ان الجزاء هناك غير وفاق

أصغت إلى العشاق اذني مرة ... ومن الجميل تعاطف العشاق

فشكى الشجي من الخلي ملامة ... وشكى الوفي تلون الذواق

فدع المحب من الملامة إنها ... بئس الدواء لموجع مقلاق

لا تطفئنّ جوى بلوم إنهُ ... كالريح تغري النار بالإحراق

وأرى رُقى العذال غير نوافع ... لا سيما لمتيم مشتاق

ما للمحب إذا تفاقم داؤهُ ... غير الحبيب يزوره من راق

أخذ الإله لنا بثأر قلوبنا ... من مفعمات للبريز رشاق

رقت مياه وجوههن لناظر ... وقلوبهنّ عليه غير رقاق

يهززن أغصان تباعد بالجنى ... وتروق بالأثمارِ والإيراق

ومن البلية منظر ذو فتنةٍ ... نائي المنافع شاغف الأنياق

ومن العجائب إن سمحنا للهوى ... بدمائنا ويخلن بالأرياق

مُزنٌ يمطن الري عن أفواهنا ... ويجدن للأبصار بالإبراق

صيد حرمناه على إغراقنا في النزع والحرمان في الإغراق

ومن قوله في شكوى الحال والزمان ، واستعطاف بعض الإخوان :

دع اللوم ان اللوم عون النوائب ولا تتجاوز فيه حد المعاتب[1]

فما كلُّ من حط الرحال بمخفق ولا كلُّ من شدَّ الرحال بكاسب

وفي الشعر كيسٌ والنفوس نفائس

وليس بكيس بيعها بالرغائب

وما زال مأمول البقاء مفضلاً على الملك والأرباح دون الحرائب

حضضت على حطبي لناري فلا تدع

لك الخير تحذيري شرور المحاطب

وأنكرت إشفاقي وليس بمانعي طلابي أن أبقى طلاب المكاسب

ومن يلق ما لاقيت في كل مجتنى

من الشوك يزهد في الثمار الأطايب

أذاقتني الأسفار ما كرَّه الغنى إليَّ وأغراني برفض المطالب

فأصبحت في الإثراء أزهد زاهد

وإن كنت في الإثراء أرغب راغب

حريصاً جباناً أشتهي ثم أنتهي بلحظي جناب الرزق لحظ المراقب

ومن راح ذا حرص وجبن فإنه فقير أتاه الفقر من كل جانب

ولما دعاني للمثوبة سيد يرى المدح عاراً قبل بذل المثاوب

---

(١) ديوانه للكيلاني : ٢

تنازعني رغب ورهب كلاهما قوي وأعياني اطلاع المغايب

فقدمت رجلًا رغبة في رغيبـة وأخرت رجلًا رهبة للمعاطب

أخاف على نفسي وأرجو مفازها وأستار غيب الله دون العواقب

ألا من يريني غايتي قبل مذهبي ومن أين والغايات بعد المذاهب

ومن نكبة لاقيتها بعد نكبة

رهبت اعتساف الأرض ذات المناكب

وصبري على الإقتار أيسر محملًا عليّ من التغرير بعد التجارب

لقيت من البر التباريح بعدما لقيت من البحر ابيضاض الذوائب

سُقيت على ري به ألف مطرة شغفت لبغضيها بحب المجادب

ولم أسقها بل ساقها لمكيدتي تحامق دهر جد بي كالملاعب

إلى الله أشكو سخف دهري فإنه يعابثني مذ كنت غير مطايبي

أبى أن يغيث الأرض حتى إذا ارتمت

برحلي أتاها بالغيوث السواكب

سقى الأرض من أجلي فأضحت مزلة

تمايل صاحيها تمايل شارب

لتعويق سيري أو دحوض مطيتي وإخصاب مزورٍ عن المجد ناكب

فملت إلى خان مرث بناؤه مميل غريق الثوب لهفان لاغب

فلم ألق فيـه مستراحاً لمتعب ولا نزلاً إبان ذاك لساغب

فما زلت في خوف وجوع ووحشة

وفي سهر يستغرق الليـل واصب

يؤرقني سقف كأني تحتـه
من الوكف تحت المدجنات الهواضب

تراه إذا ما الطين أثقل متنـه تصر نواحيـه صرير الجنادب

وكم خـانُ سفر خـان فانقض فوقهـم
كما انقض صقر الدجن فوق الأرانب

ولم أنس ما لاقيت أيام صحوه من الصِرّ فيه والثلوج الأشاهب

وما زال ضاحي البر يضرب أهله بسوطيْ عذاب جامد بعد ذائب

فإن فاته قطر وثلـج فـإنه رهين بساف ٍ تارة أو بحاصب

فذاك بلاء البرِّ عندي شاتيا وكم لي من صيف به ذي مثالب

ألا رب نار بالفضاءِ اصطليتها من الضحِّ يودي لفحها بالحواجب

إذا ظلت البيداء تطفو اكامها وترسب في غمر من الآل ناضب

فدع عنك ذكر البر إني رأيتـه لمن خاف هول البحر شر المهاوب

كلا نزليه صيفـه وشتاؤه خلاف لما أهواه غير مصاقب

لهُـاث مميتُ تحت بيضاء سُخنة وري مفيتُ تحت أسحم صائب

يجف إذا ما أصبح الريق عاصباً ويغدق لي والريق ليس بعاصب

فينبع مني الماء واللوح جاهـد ويغرقني والري رطب المحالب

وما زال يبغيني الحتوف موارباً يحوم على قتلي وغير موارب

فطوراً يغاديني بلص مصلّتِ وطوراً يمسيني بورد الشوارب

إلى أن وقاني الله محذور شره بعزتـه والله أغلب غالب

فافلت من ذؤبانـه وأسوده وحرابـه افلات أتوب تائب

وأما بلاء البحر عندي فإنه طواني على روع مع الروح واقب

ولو ثاب عقلي لم أدع ذكر بعضه ولكنه من هوله غير ثائب

ولم لا ولو ألقيت فيه وصخرةً لوافيت منه القعر أول راسب

ولم أتعلم قط من ذي سباحة

سوى الغوص والمضعوف غير مغالب

فأيسر إشفاقي من الماءِ أنني أمر به في الكوز مرَّ المجانب

وأخشى الردى منه على كل شارت

فكيف بأمنيهِ على كل راكب

أظل إذا هزته ريح ولألأت له الشمس أمواجاً طوال الغوارب

كأني أرى فيهن فرسان بُهمةٍ يليحون نحوي بالسيوف القواضب

فإن قلت لي قد يُركب اليم طامياً ودجلةُ عند اليم بعض المذانب

فلا عذر فيها لامرىءٍ هاب مثلها وفي اللجة الخضراء عذر لهائب

فإن احتجاجي عنك ليس بنائم وإن بياني ليس عني بعازب

لدجلة خب ليس لليم إنها ترائي بحلم تحته جهل واثب

تطامن حتى تطمئن قلوبنا وتغضب من مزح الرياح اللواعب

وأجرافها رهن بكل خيانة وغدر ففيها كل عيب لعائب

ترانا إذا هاجت بها الريح هيجة نزلزل في حوماتها بالقوارب

نوائل من زلزالها نحو خسفها فلا خير في أوساطها والجوانب

زلازل موج في غمار زواخر

وهدات خسف في شطوط خوارب

وليم أعذار بعرض متونه   ومـا فيه من آذيه المتراكب

ولست تراه في الرياح مزلزلا   بما فيه إلا في الشداد الغوالب

وإن خيف موج عيذ منه بساحل

خلي من الأجراف ذات الكباكب

ويلفظ مـا فيه فليس معاجلاً   غريقاً بغت يزهق النفس كارب

يعلل غرقـاه إلى أن يغيثهم   بصنع لطيف منه غير مصاحب

فتلفى الدلافين[1] الكريم طباعهـا

هنـاك رعالا عند نكب النواكب

مراكب للقوم الذين كبابهم   فهم وسطه غرقى وهم في مراكب

وينقض ألواح السفين فكلها   منج لدى نوب من الكسر نائب

وما أنا بالراضي عن البحر مركباً   ولكنني عارضت شغب المشاغب

صدقتك عن نفسي وأنت مراغمي   وموضع سري دون أدنى الأقارب

وجربت حتى ما أرى الدهر مغرباً   علي بشيء لم يقع في تجاربي

أرى المرء مذ يلقى التراب بوجهه   إلى أن يوارى فيه رهن النوائب

ولو لم يصب إلا بشرخ شبابه   لكان قد استوفى جميع المصائب

ومن صدق الأخيار داووا سقامه   بصحه آراء وين نقائب

وما زال صدق المستشير معاوناً   على الرأي لب المستشار المحازب

وأبعد أدواء الرجال ذوي الضنى   من البرء داء المستطب المكاذب

فلا تنصبن الحرب لي بملامة   وأنت سلاحي في حروب النوائب

---

(١) هي دواب بحرية معروفه بانقاذ الغرقى (جامع الكتاب)

وأجدى من التعنيف حسن معونة
برأي ولين من خطاب المخاطب

وفي النصح خير من نصيح موادع ولا خير فيه من نصيح مواثب

ومثلي محتاج إلى ذي سماحة كريم السجايا أريحي الضرائب

يلين على أهل التسحب مسه ويقضي لهم عند اقتراح الغرائب

وإن قعودي عنه خيفة نكبة للؤم مهز وانثناء مضارب

أقر على نفسي يعيبي لأنني أري الصدق يمحو بينات المعائب

لؤمت لعمر الله فيما أتيته وإن كنت من قوم كرام المناصب

لهم حلم أنس في عرامة جنة وبأس أسود في دهاء ثعالب

يصولون بالأيدي إذا الحرب أعلمت
سيوف سريج بعد أرماح راعب

ولابد من أن يلؤم المرء نازعاً إلى الحمأ المسنون ضربة لازب

فقل لأبي العباس لقيت وجهه وحسبك مني تلك دعوة صاحب

أما حق حامي عرض مثلك أن يرى
له الرفد والترفيه أوجب واجب

تكلفني هول السفار وغوله رفيق شتاء مقفعل الرواجب

كأن تمام الود والمدح كله
هوي الفتى في البحر أو في السباسب

لعمري لئن حاسبتني في مشوبتي بخفضي لقد أجريت عادة حاسب

أيعز عنك الرأي في أن تثيبني مقيماً مصوناً عن عناء المطالب

فتلفى وألفى بين صافي صنيعة   وصافي ثناء لم يشب بالمعاتب
وتخرج من أحكام قوم تشددوا   فقد جعلوا آلاءهم كالمصائب
أيذهب هـذا عنك يا ابن محمد   وأنت معاذي في الأمور الحوازب
وأحسن عرف موقعاً ما تناله   يدى وغرابي بالنوى غير ناعب
أراك متى ثوبتني في رفاهة   زففت إليّ الملك بين الكتائب
وأنت متى ثوبتني في مشقة   رأيتك في شخص المثيب المعاقب
ولو لم يكن في العرف صاف مهنأ   وذو كدر والعرف شتى المشارب
إذا لم يقل أعلى النوابغ رتبة   لمقول غسان الملوك الأشائب
« علي لعمرو نعمة بعد نعمة   لوالـده ليست بذات عقارب »
وما عقرب أدهى من البين انه   له لسعة بين الحشا والترائب
ومن أجل ما راعى من البين قوله   (كليني لهم يا أميمة ناصب)
أبيت سرى تكليفك العرف معفياً
به صافياً من مؤذيات الشوائب
ألم ترني أتعبت فكري محبكاً   لك الشعر كي لا أبتلي بالمتاعب
وأنت له أهل فإن تجزني بـه   أزدك وإن تمسك أقف غير عاتب
فإن سألتني عنك يوماً عصابة   شهدت على نفسي بسوء المناقب
وقلت دعاني للندى فأتيته   فأمسكه بل بثه في المناهب
وما احتجزت عني لهاه بحاجز   ولا احتجبت عني هناك بحاجب
ولكن تصدق فانحرفت لحرفتي   ففاءت ولم تظلم إلى خير واهب
وما قلت إلا الحق فيك ولم تزل   علي منهج من سنة المجد لاحب

وإني لأشقى الناس إن زر ملبسي
على إثم أفاك وحسرة خائب

وكنت الفتى الحر الذي فيه شيمة تشيم عن الأحرار حد المخالب

ولست كمن يغدو وفي كلماته تظلم مغصوب وعدوان غاصب

يحاول معروف الرجال فإن أبوا تعدى على أعراضهم كالمكالب

وأصبح يشكو الناس في الشعر جامعاً
شكاية مسلوب وتسليط سالب

فلا تحرمني كي تجد عجيبة لقوم فحسب الناس ماضي العجائب

ولا تنتقص من قدر حظي إقامتي سألتك بالداعين بين الأخاشب

وما اعتقلتني رغبة عنك يممت سواك ولكن أي رهبة راهب

وليس جزائي أن أخيب لأنني جبنت ولم أخلق عتاد محارب

يطالب بالاقدام من عد محرباً وسميٌّ مذ ناغى بقود المقانب

ولم يمش قيد الشبر إلا وفوقه (عصائب طير تهتدي بعصائب)

فأما فتى ذو حكمة وبلاغة فطالبه بالتسديد وسط المخاطب

أثبني ورفهني وأجزل مثوبتي وثابر على إدرار بري وواظب

لتأتيني جدواك وهي سليمة من العيب ما فيها اعتلال لعائب

وما طلب الرفد الهني ببدعة ولا عجب المسترفديه بعاجب

بوجهك أضحى كل شيء منورا وأبرز وجهاً ضاحكا غير قاطب

فلا تبتذله في المغاضب ظالماً فلم تؤت وجهاً مثله للمغاضب

وفي الناس أيقاظ لكل كريمة كأنهم العقبان فوق المراقب

يراعون أمثالي فيستنقذونهم وهم في كروب جمة وذباذب
إلى الله أشكو غمة لاصباحها ينير ولا تنجاب عني لَجائب
نشوب الشبا في الحلق لاهو سائغ ولا هو ملفوظ كذا كل ناشب

وقال في وصف خليل له :

خليل أظل إذا زارني كأني أنشأ خلقاً جديدا[1]
أراني وإن كثر المؤنسو ن ماغاب عني فريداً وحيدا
بلوت سجاياه في النائبات فلم أبل منهن الا حميدا

وقال يخاطب بعض ممدوحيه وقد أخر صلته :

للناس فيما يكلفون مغارم عند الكرام لها قضاء ذمام[2]
ومغارم الشعراء في أشعارهم انفاق أعمار وهجر منام
وفوات أوقات وهجر مكاسب لو قوبلت خرجت من الاعدام
وتشاغل عن ذكر رب لم يزل حسن الصنيعة سابغ الانعام
أفما لذلك حرمة مرعية إن الكرام إذاً لغير كرام
لم أحتسب فيك الثواب لمدحتي إياك يا ابن أكارم الأقوام
لو كان مدحي حسبة لم أكسه أحداً أحق به من الأيتام
لا تقبلن المدح ثم تعقه وتنام والشعراء غير نيام
واعلم بأنهم إذا لم ينصفوا حكموا لأنفسهم على الحكام
وجناية الجاني عليهم تنقضي وعقابهم يبقى على الأيام

---

(١) ديوانه للكيلاني : ١٢
(٢) ديوانه للكيلاني : ١٧

ومن رقيق شعره قوله :

أعانقها والنفس بعد مشوقة إليها وهل بعد العناق تدان؟[1]

وألثم فاها كي تزول حرارتي فيشتد ما ألقى من الهيمان

وما كان مقدار الذي بي من الجوى

ليشفيهُ ما ترشف الشفتان

كأن فؤادي ليس يشفي غليله سوى أن يرى الروحان ممتزجان

ومن قوله نكد الزمان :

إذا نلت مأمولا على رأس برهة حسبتك قد أحرزت غنماً من الغنم[2]

ولم تذكر الغرم الذي قد غرمته من العمر الماضي ويالك من غرم

رأيت حياة المرء رهناً بموتهِ وصحته رهناً كذلك بالسقم

إذا طاب لي عيشي تنغصت طيبه بصدق يقيني أن سيذهب كالحلم

ومن كان في عيب يراعي زواله فذلك في بؤس وإن كان في نعم

وقال في وصف الأسد :

ليأمن سقاطي في الخطوب ونبوتي

جنان الذي يخشى علي ويحذر[3]

فما أسد جهم المحيا شتيمه خبعثنة ورد السبال غضنفر

مسمى بأسماءٍ فمنهن ضيغمٌ ومنهن ضرغام ومنهن قسور

---

(١) ديوانه للكيلاني : ٢٧

(٢) ديوانه للكيلاني : ٢٦

(٣) ديوانه للكيلاني : ٧٠

له جُنة لا تستعار وشكةٌ هو الدهر في هذي وهذي مكفَّر

إهابٌ كتجفاف الكمي حصانة وعوج كأطراف الشباحين يغفر

وحجنٌ كأنصاف الأهلة لايني بهن خضاب من دم الجوف أحمر

تظل له غلب الأسود خواضعاً ضوارب بالأذقان حين يزمجر

له ذمرات حين يوعد قرنه تكاد لها صم السلام تفطر

يراه سراة الليل والدوُّ دونه قريباً بأدنى مسمع حين يزأر

يدير إذا جن الظلام حجاجه شهاب لظى يعشى له المتنور

خبعثةٌ جاب البضيع كأنه مكسر أجواز العظام مجبر

له كلكل رحب اللبان وكاهل مظاهر ألباد الرحالة أوبر

شديد القوى عبل الشوى موجد القرى

مُلاحك أطباق القفار مضبر

إذا ماعلا متن الطريق ببركه حمى ظهره الركبان والسفر أزور

أخو وحدةٍ تغنيه عن كل منجد له نجدة منها ونصر مؤزر

مخوف الشذا يمشي الضراءِ لصيده

ويبرز للقرن المناوي فيصحر

بأربى على الأقران مني صولة وقد أنذر التجريب من كان ينذر

وقال يستعطف بعض أصحابه ويعاتبه :

لعمري لقد غاب الرضى فتطاولت

لغيبته البلوى فهل هو قادم ؟ [1]

(١) ديوانه للكيلاني : ٥٩

تعرفت في أهلي وصحبي وخادمي هواني عليهم مذ جفاني قاسم

ولو أبصرتني بينهم عين حاسدٍ لأضحى وأمسى حاسدي وهو راحم

أقاسم قد جاوزت بي كل غاية وليس وراء الحيف إلا المآثم

كأنك قد أنسيت أنك سيد له الفضل أو أنسيت أني خادم

أقصرت في فرض فمثلي قصرت به حاله عن كل ما هو لازم

هل العسر كل العسر مبق عزيمة ألا إنما حيث اليسار العزائم

تناومت عني بعد طول عناية

وقد نهست مني الخطوب الأوازم

متى تنظر الدنيا إليّ بنظرةٍ بعينك نحوي أيها المتناوم

هنالك أغدو والسرور محالف بنيَّات قلبي والزمان مسالم

ألا إن ثلماً في السماح عقوبتي كأني نظيرٌ أو كفيٌّ مقاوم

أقلني عثار الظن فيك فلم تزل تقيل التي فيها تحز الحلاقم

وأنت الفتى كل الفتى في فعاله إذا ما وهبت الحق والحق قائم

وأكرم بخصم باع بالطَّول حقه وآثر حق المجد وهو مخاصم

بحق الوزير ابن الوزير وعيشهِ تأمل ملياً هل العفو نادم ؟

وإني لأعفو عن رجال وأتقي رجالاً وأدري أي قرن أصادم

فإن سد باب العذر فيما نقمته هواك فلي بالرأي فيه مخارم

ستعلم ماقدري إذا رقد الهوى فإن الهوى يقظان والرأي نائم

ومازالت الأشباه وهي كثيرة مجاهل فيها للبصير معالم

وإني شكور للأيادي التي غدت لها في رقاب العالمين خواتم

ومن قوله في ترك اتكال المرء على نسبه :

وما الحسب الموروث لادرَّ درهُ بمحتسب إلا بآخر مكتسب[(١)]

إذا العود لم يثمر وإن كان شعبة

من المثمرات اعتده الناس في الحطب

وانت لعمري شعبه من ذوي العلى

فلا ترض أن تعتد من أوضع الشُّعب

وللمجد قوم ساوروه بأنفسٍ كرام ولم يرضوا بأُم ولا أَب

فلا تتكل إلا على مافعلته ولا تحسبن المجد يورث بالنسب

فليس يسود المرء إلا بنفسه وإن عد آباءً كراماً ذوي حسب

ومن قوله في الشيب وفقد الشباب :

كفى بالشيب من ناه مطاع على كره ومن داع مجاب[(٢)]

حططت إلى النهى رحلي وكلت مطية باطلي بعد الهباب

وقلت مسلماً للشيب أهلاً بهادي المخطئين إلى الصواب

إلى أن قال :

سقى عهد الشبيبة كلُ غيثٍ أغرَّ مجلجل داني الرباب

ليالي لم أقل سقياً لعهد ولم أرغب إلى سُقيا سحاب

يذكرني الشباب هوان عتبي وصد الغانيات لدى عتابي

يذكرني الشباب سهام حتفٍ يصبن مقاتلي دون الإهاب

---

(١) ديوانه للكيلاني : ١١٥

(٢) ديوانه للكيلاني : ١٣٢

رمت قلبي بهن فأقصدته
طلوع النبل من خلل النقاب

فراحت وهي في بال رخي ورحت بلوعة مثل الشهاب
وكل مبارز بالشيب قرناً فسبي لعمرك غير ساب
ولو شهد الشباب إذاً لراحت وإن بها وعيشك ضعف مابي
فيا غوثاً هناك بقيد ثاري إذا ما الثأر فات يد الطلاب
فكم ثأر تلاقت لي يداه ولو من بين أطراف الحراب
يذكرني الشباب جنان عدن على جنبات أنهار عذاب
تفيء ظلها نفحات ريح تهز متون أغصان رطاب
إذا ماست ذوائبها تداعت بواكي الطير فيها بانتحاب
يذكرني الشباب وميض برق وسجع حمامة وحنين ناب
فيا أسفاً ويا جزعاً عليه ويا حزناً إلى يوم الحساب
أأفجع بالشباب ولا أعزّى لقد غفل المعزي عن مصابي
تفرقنا على كره جميعاً ولم يك عن قلى طول اصطحاب
وكانت أيكتي ليد اجتناء فعادت بعده ليد احتطاب
أيا برد الشباب لكنت عندي من الحسنات والقسم الرغاب
بليت على الزمان وكل برد فبين بلى وبين يد استلاب
وعز عليَّ أن تبلى وأبقى ولكن الحوادث لا تحابي
لبستك برهة لبس ابتذال على علمي بفضلك في الثياب
ولو مُلِّكت صونك فاعلمنه لصنتك في الحريز من العياب

ومن قوله في الاستقلال من صحبة الناس :

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرنَّ من الصحاب[1]

فإن الداء أكثر ما تراهُ يحول من الطعام أو الشراب

إذا انقلب الصديق غدا عدواً مبيناً والأمور إلى انقلاب

ولو كان الكثير يطيب كانت مصاحبة الكثير من الصواب

ولكن قلَّ ما استكثرت إلا سقطت على ذئاب في ثياب

فدع عنك الكثير فكم كثير يُعاف وكم قليل مستطاب

وما اللجج الملاح بمرويات وتلقى الري في النطف العذاب

وقال يخاطب بعض ممدوحيه وقد أخر صلته ، وقدم عليه قوماً من الشعراء في الفضيلة دونه :

أبا حسن طال المطال ولم يكن غريمك ممطولاً وإني لصابرُ[2]

وقفت عليك النفس لا أنا واردٌ على طول أيامي ولا أنا صادر

إذا كنت تنسى والمذكر غائبٌ وتدفع أمري والمذكر حاضر

فياليت شعري والحوادث جمة متى تنجز الوعد الذي أنا ناظر

متى استبطأ العافون رفدك أم متى

تقاضاك أثمان المحامد شاعر ؟

لتهنىء رجالاً لا تزال تجودهم سحائب من كلتا يديك مواطر

عنيت بهم حتى كأنك والدٌ لهم وهم دوني بنوك الأصاغر

وغادرتني خلف العناية ضائعاً فلله ماذا يا ابن يحيى تغادرُ

---

(١) ديوانه للكيلاني : ١٢٩

(٢) ديوانه للكيلاني : ٣٤٢

أراني دهى شعري لديك اقتصاره

عليك وإن لم تبتذله المعاشر

ولو شئت لم تذهب على حُوَّليتي هنات لأسماء الرجال شواهر

ولكنني أعطي الصيانة حقها فهل ذاك للأحرار عندك ضائر

وإنك للمرء الجلي بصيرة ولكن مع الأهواء تعشى البصائر

وكم أمة ورهاء قد فاز قدحها بما حُرمته السيدات الحرائر

سيسألني الأقوام عما أثبتني به فبماذا أنت أنت إياي آمر

أأخبرهم بالحق وهي شكية أم الإفك والإسلام عن ذاك زاجر

وإن امرءاً باع الثناء من امرىء فباء بحرمان واثم لخاسر

أتحرمني الجدوى وأطريك كاذباً فتحظى وأشقى بالذي أنا وازر

شهدت إذا أني لنفسي ظالم وإنك إن كلفتني ذاك جائر

وهبني كتمتُ الحق أو قلت غيره

أتخفي على أهل العقول السرائر

ومدح إنساناً ، فلم يثبه ، ورد عليه مدحه ، وقال امدح به غيري . فقال :

رددت عليَّ مدحي بعد مطل وقد دنست ملبسه الجديدا[1]

وقلت امدح به من شئت غيري ومن ذا يقبل المدح الرديدا ؟

ولا سيما وقد أعقبت فيه مخازيك اللواتي لن تبيدا

وما للحي في أكفان ميت لبوسٌ بعدما امتلأت صديدا

---

(١) ديوانه للكيلاني : ٣٧٠

ومن فائق شعره قوله :

لعمري لقد أنكرت غير نكير   عبوس الغواني لابتسام قتير(٢)

كذا هنَّ لا يوقعن وداً على امرىء   أطارت غراباً عنه كف مطير

وللشيب جهر والشبيبة طرة   وليس جهير في الصبا كطرير

عزاءك عن ظبي طرير فإنه   يعنيك إذ شيَّبت غير غرير

رأيت حياة المرء بعد مشيبه   إذا زاول الدنيا حياة أسير

خليلي هل في نهية الشيب عائض   لمعتاضها من خبرة وخبير

وبنت نعيم في ضبابة عنبر   تغور وطوراً في عجاج عبير

برهرهة لم تغذ إلا بناعم   ولم تسق من ماء بغير نمير

مضمخة اللَّبات تحسب نحرها   من المسك والجادي نحر نحير

محجبة تحتل عليا خورنق   تشارف أنهاراً خلال سدير

سقتني بعينيها وفيها ودلها   خموراً لها ليست خمور عصير

من الظبيات العاطيات لمجتنى   ثمار قلوب لا لحَبِّ بذير

تغير على الجلد اللبيب فتستبي   حجاه ولم تحمل سلاح مغير

ببدر نثير من حديث تحفه   بآخر في سمطين غير نثير

تبسم عنه في الدجى فكأنما   يضيء الدجى منه بروق صبير

تم الاختيـار من شعر ابن الرومي وأخباره ، ويليه الاختيار من شعر ابن المعصوم وأخباره .

---

(١) ديوانه للكيلاني : ٣٨٨

شعر

ابن معصوم[1]

هو مؤلف سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر .

يقول جامع هذا المجموع : وفي هذه الأيام أتاح الله لي كتاب « سلافة العصر » تأليف العلامة السيد علي صدر الدين المدني بن أحمد نظام الدين الحسني أحد أعلام الأدب في القرن الحادي عشر ، المعروف بابن معصوم رحمه الله . قال مؤلف « نفحة الريحان » : القول فيه أنه أبرع من أظلته الخضراء ، وأقلته الغبراء ، وإذا أردت علاوة في الوصف قلت هو الغاية القصوى ، والآية الكبرى ، طلع بدر سعده فنسخ الأهلة ، وانهل سحاب فضله ، فأخجل السحب المنهلة ، فوجدت في هذا الكتاب من التراجم الفائقة ، والأشعار الرائقة ما تقر به أعين أهل الفضل والأدب ، ومايشتاق إلى سماعه ذوو الحسب مما يصبو إليه القلب والطرف ، ويقطر منه ماء الملاحة والظرف ، فنقلت من فرائده ما يزري بعقود الجمان في أجياد الحسان . واما شعرصاحب الترجمة فهو في غاية الرقة والانسجام هو السحر الحلال والعذب البارد الزلال :

فمن ذلك قوله من نونية نبوية نظمها وهو بحيدر آباد :

---

(١) قوبل شعر ابن معصوم على كتابه « سلافة العصر في محاسن الشعراء من كل مصر » (طبع مصر) وشعره متفرق موزع بين مايرويه من شعر الشعراء ومراجعاتهم التي بلغ عددها أربعين شاعراً وقد أشرنا إلى ذلك في مكانه .

تذكر بالحمى رشأ أغنا ... وهاج له الهوى طربا فغنى[1]

وحن فؤاده شوقاً لنجد ... وأين الهند من نجد وأنّى ؟

وغنت في فروع الأيك ورق ... فجاوبها بزفرته وأنّ

وأودى لاعج الأشواق منه ... بويرق بالأبيرق لاح وهنا

معنّى كلما هبت شمال ... تذكر ذلك العيش المهنا

إذا جن الظلام عليه أبدى ... من الوجد المبرح ما أجنا

سقى وادي الغضى دمعي إذا ما ... تهلل لا السحاب إذا ارجحنّا

فكم لي في رباه قضيب حسن ... تفرد بالملاحة إذ تثنى

كلفت به وما كلفت فرضاً ... فاوجب طرفه قتلي وسنا

وأبدى حبه قلبي وأخفى ... فصرح بالهوى شوقاً و كنى

تفنن حسنه في كل معنى ... فصار العشق لي بهواه معنى

بدا بدراً ولاح لنا هلالا ... وأشرق كوكباً واهتز غصنا

وثنى قده الحسن ارتياحاً ... فهام القلب بالحسن المثنّى

ولو أن الفؤاد على هواه ... تمنى كان غاية ما تمنى

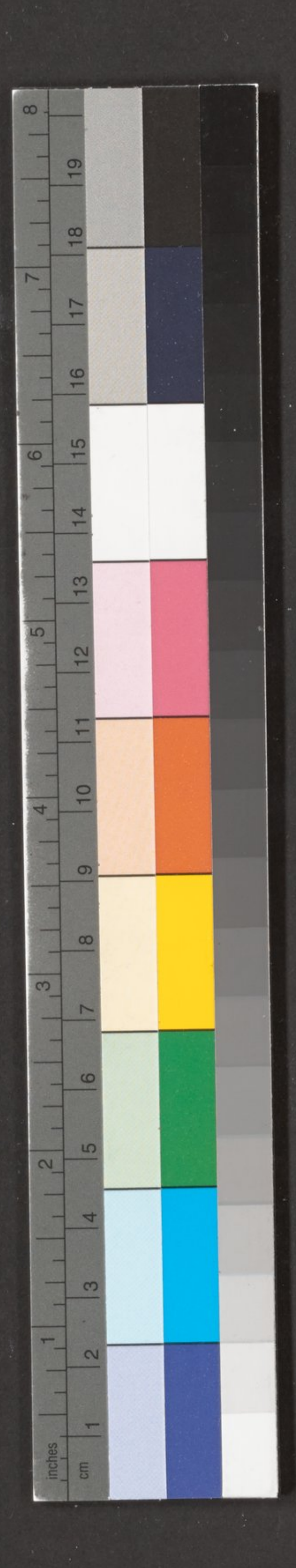
بكيت دماً وحن اليه قلبي ... فخضب من دمي كفاً وحنى

قال ناقل الترجمة : ولم اظفر بتاريخ وفاته غير أني اظن أن وفاته بعد الالف والمائة رحمه الله .

ومن قوله ما دحا أباه ، وهي من غرر القصائد ، وقد عارض بها قصيدة ابن هانىء الاندلسي التي مدح بها ابن غلبون التي مطلعها « فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر » .

---

(١) السلافة : ٣



لمن الكتائب في العجاج الأكدر   يخطون في زرد الحديد الأخضر (١)

ضربت عليهن الرماح سرادقاً   دعمت بساعد كل شهم أصعر

والبيض تلمع في القتام كأنها   لمع البوارق في ركام كنهور

وصليل وقع المرهفات كأنه   رعد يجلجل في أجش مزمجر

والراية الحمراء يخفق ظلها   يهفو إليها كل ليث مزئر

والخيل قد حملت على صهواتها   من كل أصيد باسل ذي مغفر

متسربل بالقلب فوق دلاصه   متلثم بالنقع لما يسفر

في موقف كسف الظهيرة نقعه   فأضاءها بشروق وجه مقمر

يختال في حلق الدلاص كأنه   يختال منه في مفوف عبقر

في فتية ألفوا السنور والقنا   فقبابهم قصب الوشيج الأسمر

يغرون بيضهم الرقاب وينهلوا   زرق الأسنة من نجيع أحمر

شادوا عمادهم بكل مثقف   لدن ومجدهم بكل مشهر

حلوا من العلياء قمة رأسها   وحووا بسالة أكبر عن أكبر

من منهم الملك المهيب إذا بدا   خضعت له ذلاً رقاب الأعصر

فخر المفاخر والمآثر والحجا   فل والفضائل والعلى والمنبر

القائد الجيش العرمرم معلما   من كل ليث ذي براثن قسور

السائق الجرد المذاكي شزباً   تخطو وتخطر بالرماح الخطر

الفالق الهامات في يوم الوغى   والسمر بين محطم ومكسر

الشامخ النسبين بين ذوي العلى   الباذخ الحسبين يوم المفخر

---

(١) السلافة : ٨٤

الواهب البدرات يتبعها الندى   من جوده بسحاب تبر ممطر

يجلو دجى الآمال منه بنائل   متلألىءٍ وبوجه جود مسفر

ولكم جلا رهج القتام بباتر   متألق وسنان أسمر سمهري

ملك إذا ما جاد يوماً أوسطا   فالخلق بين مملك ومعفر

من دوحة المجد الرفيع عماده   والفرع يعرب عن زكي العنصر

ما ينقضي يوماً شهير نواله   إلا وأتبعه بآخر أشهر

هـذا الذي صدع القلوب مهابة   وأذل كل عملس وغضنفر

هـذا الذي غمر الأنام سماحة   من جوده الطائي الجليل الابهر

هـذا الذي حاز المكارم قعساً   وسواه يلطم خد حزن أقفر

هـذا نظام الدين وابن نظامه   نسب يؤول إلى النبي الأطهر

لمعت أسره نوره في وجهه   فازور عنها كل لحظ أخزر

يجلو لنا من حلمه في حزمه   أخلاق أحمد في بسالة حيدر

بينا تراه مصدراً في دسته   ملكاً تراه فوق صهوة أشقر

أربيب حجر المكرمات وربها   ورضيع ثدي العارض المثعنجر ؟

لله جدك أي مجد حزته   فشأوت كل مقدم ومؤخر

أنت الذي أحرزت كل فضيلة   ووردت بحر الفضل غير مكدر

ظمئت أماني الرجال إلى العلى   فوردت منهلها ولما تصدر

وإليكها غراء قد أبرزتها   تجلى بشكرك في ندي المحضر

أحكمت نظم قريضها فتناسقت   كالعقد يزهى في مقلد جؤذر

يزهو بمدحك نشرها فكأنني   أذكيتها منه بمسك أذفر

ما ضاع نشر ثنائها في مجلس　　إلا تفتق عن زكي العنبر
واسلم علي درج المعالي راقياً　　بأجل اخبار وأصدق مخبر

واثبت لابيه عدة أشعار رائقة فمنهـا في الغزل قوله :

مثير غرام المستهام ووجده　　وميض سرى من غور سلع ونجده [1]
وبات بأعلى الرقمتين التهابه　　فظل كئيباً من تذكر عهده
يحن إلى نحو اللوى وطويلع　　وبانات نجـد والحجاز ورنده
وضال بذات الضال مرخ غصونه
تفيأه　　ظبي يميس ببرده
كثير التجني ذو قوام مهفهف　　صبيح المحيا لا وفاء لوعده
يغار إذا ما قست بالبدر وجهه　　ويغضب إن شبهت ورداً بخده
مليح تسامى بالملاحة مفرداً
كشمس الضحى كالبدر في برج سعده
ثناياه برق والصباح جبينه　　وأما الثريا قد أنيطت بعقده
فمن وصله سكنى الجنان وطيبها　　ولكن لظى النيران من نار صده
تراءى لنا بالجيد كالظبي تالعاً
أسارى الهوى في حكمه بعض جنده
روى حسنه أهل الغرام وكلهم　　يتيه إذا ما شاهدوا ليل جعده
يعلم علم السحر هاروت لحظه　　ويروي عن الرمان كاعب نهده
مضاء اليمانيات دون لحاظه　　وفعل الردينيات من دون قده

---

(١) السلافة : ١٩

إذا ما نضاعن وجهه البدر حجبه　　　صبا كل ذي نسك ملازم زهده

بروحي محيا قاصر عنه كل من　　　أراد له نعتاً بتوصيف حده

هو الحسن بل حسن الورى منه مجتدى　　　وكلهم يعزى لجوهر فرده

وما تفعل الراح العتيقة بعض ما　　　بمبسمه بالمحتسي صفو ورده

وأورد له أيضاً في النسيب قوله :

سلا بطن مرو والغميم وموزعاً　　　متى اصطافها ظبي النقا وتربعا؟[1]

وهل حل من شرقيها أرض هجلة　　　وهل جادها مزن فسال وأمرعا؟

سقى تلك من نوء السماكين بكرة　　　سحائب غيث مربعاً ثم مربعا

تظل الصبا تحدو بها وهي سجم　　　وتنزلها سهلاً وحزناً وأجزعا

فتلك مغان لا تزال تحلها　　　خدلجة الساقين مهضومة المعا

ربيبة خدر الصون والترف الذي　　　يزيد على بذل الليالي تمنعا

تروت من الحسن البهي خدودها　　　وقامتها كالغصن حين ترعرعا

قطوف الخطا مثل القطا حينما مشت　　　تقوم بأرداف يحاذين لعلعا

وأورد لابن عمه السيد أحمد بن مسعود بن شريف مكة المشرفة الشريف حسن بن الحسني ، فقال في حقه : هو نابغة بني حسن ، وباقعة الفصاحة ، واللسن الساحب ذيل البلاغة على سحبان ، والسائر بأفعاله وأقواله الركبان ، ومن جيد شعره قوله :

---

(١) السلافة : ٢٠

حنت فأبكت ذات شكل حنون ... وغنت الورق بأعلى الغصون [1]

وهينمت مسكية ذيلها ... عطره نشر طوى والحجون

وشق برد الليل برق فما ... ظننته إلا حسام الجفون

كأنه مذ شق قلب الدجى ... جبين ليلى في دياجي القرون

فقمت كالهادر في شوقه ... لم أدر ما بي فرح أم جنون

وأرسل الدمع نجيعاً على ... خدي فيجري أعيناً من عيون

فلم أخل نوماً ولا مجثماً ... وموقداً أو علماً في دمون

إلا وبات الناعم الفرش لي ... شو كاً ومبسوط الروابي حزون

فالبرق نوحي في الربى رعده ... والورق من شعري تجيد اللحون

عهدي بها كانت كناس الظبا ... وغاية الأسد حماة الظعون

حتى غدا من بعدهم ربعها ... مستقفراً جارت عليه السنون

كأنه جسمي وإن لم يكن ... جسمي فوهماً أو خيالا تكون

الله لي من مهجة مزقت ... ومقلة عبرى ونفس رنون

تحن للشعب وأوطانه ... مهما سرى برق بليل دجون

وفتية من آل طه لهم ... في الحرب أبكار مزايا وعون

من كل طلق لا يرى كالسها ... لضيفه ثلة ذات القرون

مبتذل الساحات في قطرهم ... للخائف الجاني أعز الحصون

كل طويل الباع رحب الفنا ... تصدق للوفاد فيه الظنون

يحمده السارون إن أدلجوا ... ويعمر النادي به السامرون

---

(١) السلافة : ٢٨

لايتنهي الجارون منه إلى　　شأو ولا يعسفه الجائرون
فيا نسيمات الصبا عرجي　　بهم وبثي غامضات الشجون
وحاذري أن تصحي لوعتي　　واستصحبي بثي عسى يفهمون
وبلغيهم حال من لم يزل　　حليف اشجان كثير الشؤون
ناء عن الأهلين صعب الأسى　　من بعد ما فارق قلباً شطون
يحفظ للرمل عهود الوفا　　وإن طلبت القرب منه يخون
قولي لهم ياعرب وادي النقا　　وجيرة الجرعا وذات الحزون
نسيتم صباً غدا دمعه　　من بعدكم صباً قريح الشؤون
وهو وماضي العيش ما ساعة　　فيها تناسى جدكم والمجون
فشأنها يخبر عن شأنه　　وحاله أن يسأل السائلون
وأنت يا شادي بشام اللوى　　ويا حويدي الظعن بين الرعون
عرض بذكري لاشجتك النوى　　لعلهم لي بعد ذا يذكرون
وهات لي عن رامة والنقا　　هل طاب للساكن فيها السكون
وهل اثيلات النقا فرعها　　يهصره من لينه الهاصرون
وصادح تلحينه صادع　　على فنون باعثات الفنون
منازل كنا عهدنا بها　　ثقال أرداف خماص البطون

وكان ابن عمه الشريف محسن بن حسين بن حسن يطرب لابيات الحسين بن مطير ، ويعجب بها كثيراً وهي :

ولي كبد مقروحة من يبيعني　　بها كبداً ليست بذات قروح[1]

---

(١) السلافة : ٣٠

أباها علي الناس لا يشترونها ... ومن يشتري ذاعلة بصحيح

أحن من الشوق الذي في جوانحي ... حنين غصيص بالشراب قريح

فسأل السيد احمد المذكور تذييلها ، فقال مذيلاً واجاد ما شاء :

على سلف لوكان يشري زمانه ... شريت ولكن لا يباع بروحي

تقضى وأبقى لاعجاً يستفزه ... تألق برق أو تنسم ريح

وقلباً إلى الأطلال والضال لم يزل ... نزوعاً وعن أفياء غير نزوح

فليت بذات الضال نجب أحبتي ... طلاحاً فنضو الشوق غير طليح

يجشمه بالأبرقين منيزل ... وبرق سرى وهناً وصوت صدوح

وموقف بين لو أرى عنه ملحداً ... ولجت بنفسي فيه غير شحيح

صرمت به ربعي وواصلت أربعي ... وأرضيت تبريحي وعفت نصيحي

وباينت سلواني وكل ملوح ... ولاءمت أشجاني وكل مليح

وكلفت نفسي فوق طوقي فلم أطق ... لعد سجايا محسن بمديح

وقال مخاطباً ابن عمه شريف مكة المشرفة ادريس بن حسن ، وقد رأى منه تقصيراً في حقه :

رأيتك لا توفي الرجال حقوقهم ... توهم كبراً ساء ما تتوهم (١)

وتزعم أني بالمطامع أرتضي ... هواناً ونفسي فوق ما أنت تزعم

---

(١) السلافة : ٣١

وما مغنم يدني لذل رأيته فيقبل إلا وهو عندي مغرم
واختار بالاعزاز عنه منية لاني من القوم الذين هم هم

وكان بينه وبين ابن عمه السيد احمد بن عبد المطلب شريف مكة المشرفة مشاقة أدت إلى سفره إلى اليمن ، ومدح إمامها محمد بن القاسم بقصيدة مطلعها :

سلا عن دمي ذات الخلاخل والعقد
بماذا استحلت أخذ روحي على عمد[1]
فإن أمنت أن لاتقاد بما جنت فقد قيل ان لا يقتل الحر بالعبد

ومنها يخاطب الامام المذكور :

أغث مكة وانهض فأنت مؤيد من الله بالفتح المفوض والجد
وقدم أخاود وآخر مبغضاً يساور طعناً في المؤيد والمهدي
ويطعن في كل الأئمة معلناً
ويرضى عن ابن العاص والنجل من هند

فلم يحصل منه على ما أراد إلا ما أجازه به من المال ، ورجع إلى مكة المشرفة ، وأقام بها سنتين ، ثم توجه إلى الديار الرومية قاصداً السلطان مراد خان وذلك سنة ١٠٤١ ، فوفد إليه بالقسطنطينة ، ومدحه بقصيدة فريدة سأله فيها توليته مكة المشرفة ، ومطلع القصيدة قوله :

ألا هي فقد بكر الندامى ومج المرج من ظلم الندى ما[2]

---

(١) السلافة : ٢٢

(٢) السلافة : ٢٣

وهينمت القبول فضاع نشر ... روى من شيح نجد والخزامى

وقدوضعت عذارى المزن طفلاً ... بمهد الروض تغذوه النعامى

فكم خفر الفوارس في وطيس ... فتى منا وما خفر الذماما

وكم جدنا على قل بوفر ... وأعطينا على جدب هجاما

وكم يوم ضربنا الخيل فيه ... على أعقابها خلفاً أماما

فنحن بنو الفواطم من قريش ... وقادات الهواشم لا هشاما

برانا الله للدنيا سناءً ... وللأخرى إذا قامت سناما

وخص بفضله من أم منا ... مليكاً كان سابوراً هماما

فتى الهيجا مراد الحق من لم ... يخف من فضل خالقه ملاما

محش الحرب إن طاوت شعاعاً ... نفوس عندها قل المحامى

وغيث قطره ورق وتبر ... يجود إذا شكى المحل الركاما

فيثني سيبه جدباً وشيكاً ... ويثني سيفه موتاً زؤاما

وفي شفتيه آجال ورزق ... بها أمر الصواعق والسجاما

يقود له الملوك الصيد جيشاً ... فيمنحه الخوامع والرجاما

وإن وفدوه أغناهم وأقنى ... وأجلسهم على العليا مقاما

مليك الأرض والأملاك طراً ... وحاوي ملكها يمناً وشاما

ومجرٍ من دم الأعداء بحراً ... ولا قوداً يخاف ولا أثاما

يبيت مراعياً أمر الرعايا ... إذا باتت ملوكهم نياما

تسنم غارب الدنيا فألقى ... إليه جموحها طوعاً زماما

إذا شملت عنايته لئيماً ... فقد شملت مكارمه الكراما

تعاظم قدره عن وصف شعر ... كذا مرماه يسمو أن يراما

ويكبر أن يدانيه عنيد ... فيرميه ويعظم أن يراما

ترفع كمه عن لثم ملكٍ ... وتلثمه الضعائف واليتامى

وينطق عنده شاك ضعيف ... ولا يستطيع جبار سلاما

له يد ماجد لم تله يوماً ... بغانية ولا ضمت مداما

أغر سميدع ضخم المساعي ... له رأي يرد به السهاما

ويخدم قبرطه بالمواضي ... ودينَ الله والبيت الحراما

فيا ملك الملوك ولا أبالي ... ولا غدراً أسوق ولا احتشاما

إذا ما قست لم أنزلك فيهم ... بمنزلة الرجال من الأيامي

إلى جدواك كلفنا المطايا ... دواماً لا نفارقها دواما

وجبنا يا ابن عثمان الموامي ... إلى أن صرن من هزل هيامى

وذقنا الشهد في معنى الترجي ... وقلنا الصبر من جوع طعاما

صلينا من شموس القيظ ناراً ... تكون بنورك العالي سلاما

وخضنا البحر من ثلج إلى أن ... حسبناه على البيدا أكاما

نؤم رحابك الفيح اشتياقاً ... ونأمل منك آمالا جساما

ومن قصد الأمير غدا أميراً ... على مافي يديه ولن يضاما

وحاشا بحرك الفياض أنا ... نردُّ بغلة عنه حياما

وقد وافاك عبد مستميح ... ندى كفيك والشيم الكراما

وقد نزل ابن ذي يزن طريداً ... إلى كسرى فأنزله شماما

أتى فرداً فعاد يجر جيشاً ... كسا الآكام خليلًا والرغاما

به استبقى جميل الذكر دهراً وأنت أجل من كسرى مقاما
وسيف في العلى دوني وإني عصاميٌ وأسموه عظاما
بفاطمةٍ ونجليها وطه وحيدرة الذي فاق الأناما
عليهم رحمة تهدي سلاماً يكون لنشرها مسكاً ختاما
ولا بدع إذا وافاك عافٍ فعاد يقود ذا لجب لهاما
فخذ بيدي وسنّمني محلاً بقربي منك فيه لن أسامى
وهب لي منصبي لتنال أجري وشكري ما بقيت له لزاما

فيقال : إنه أجابه السلطان المذكور ، ووعده بذلك ، ولكن اخترمته المنية قبل نيل الأُمنيه ؛ فلم يعد إلى مكة المشرفة ، وتوفي في تلك السنة ، أو التي تليها رحمه الله .

تم الاختيار من شعر أحمد بن مسعود الشريف ، وأخباره ، ويليه الاختيار من شعر السيد عماد الدين بن بركات بن أبي نمى الحسيني .

شعر

ابن بركات الشريف[1]

قال فيه صاحب كتاب « السلافة » : له شعر يفعل بالألباب فعل السحر ،

---

(١) قوبل شعر ابن بركات الشريف على ما ورد في السلافة .

(نزهة الابصار ج٢ م ٣٤)

أثبت منه ما هو أحلى من جنى النحل ، وأجدى من القطر في البلد المحل ، وكتبت إليه قصيدة ضمنتها التبرم من الاغتراب والبعاد أقول فيها :

« ابن معصوم »

هل يعلم الصحب أني بعد فرقتهم ... أبيت أرعى نجوم الليل سهرانا[1]

أقضي الزمان ولا أقضي به وطرا ... وأقطع الدهر أشواقاً وأشجانا

ولا قريب إذا أصبحت ذا حزن ... إن الغريب حزين حيثما كانا

أرى فؤادي وإن ضاقت مسالكه ... بمدح نجل رسول الله جزلانا

عماد أبنية المجد الذي رفعت ... آباؤه الغر من ناديه أركانا

السيد الماجد الندب الشريف ومن ... قد بذ بالفضل أكفاء وأقرانا

سما به النسب الوضاح فاجتمعت ... فيه المحامد أشكالا وألوانا

يا واسع الخلق إفضالا ومكرمة ... وموسع الخلق إنعاما وإحسانا

فقت الكرام بما أوليت من كرم ... لله درك مفضالاً ومعوانا

ماقلت في المجد قولاً يوم مفتخر ... إلا أقمت عليه منك برهانا

لازلت في الدهر مرضي العلى أبداً ... ونائلا من إلاه الحق رضوانا

عليك مني سلام الله ما صدحت ... ورق الحمام وهز الريح أغصانا

فأجابني بقوله :

يا من تذكر خلاناً وجيرانا ... وصار يمسي سمير النجم سهرانا[2]

صاد إلى مورد قد كان يألفه ... عذب به يشتفي من كان ولهانا

---

(١) و (٢) السلافة : ٣٢

له بـه مرتـع طابت موارده والـيوم بالهـنـد ياالله ما حـانا

ياماجداً حاز سبقاً في القريض وفي نهج البلاغـة حتى فاق أقرانا

أحسنت لازلت في أمن وفي دعة جزاك ربك بالإحسان إحسانا

وحق جدك إن العين في غرق والقلب في حرق وجداً لما آنا

عليك بالصبر يامولاي معتصماً إن النفيس غريب حيثما كانا

كـذا الليـالي عهدناها مبدلة بالقرب بعداً وبعد الوصل هجرانا

فلا رأيت مدى الأيام حادثـة من الزمان ولا همّا وأحزانا

قد ضاق صدري لما أبديت من كمد من لاعج البين ليت البين لا كانا

لكن لي أملاً في الله خالقنـا وحسن ظني متى ندعوه أولانا

ان يجمـع الشمل في تلك البقـاع وأن

يروي غليل صـدٍ مـا زال حرانـا

بفضل من عمت الأكوان قدرته رب البرية ذي الإحسان مولانا

ما حركت نسمات الريح مورقة من النبات وهزت منه أفنانا

ومن شعره مخاطباً لوالد المصنف أحمد الحسني :

زرت خلاً صبيحـةً فحبـاني بسؤال أشفى وأرغـم شاني[1]

قال لمـا نظرت نور محيـاه ونلت المنى وكل الأماني

كيف أصبحت كيف أمسيت مما

يذبت الحب في قلوب الغـواني ؟

---

(١) السلافة : ٣٢

فتحرجت أن أفوه بما قد … كان مني طبعاً مدى الأزمان

يا أخا المجد والمكارم والفضل … ومن لا أرى له اليوم ثاني

أدرك ادرك متيماً في هواكم … واكففن عنه صولة الحدثان

وابق واسلم منعماً في سرورٍ … ما تغنت ورق على غصن بان

فراجعه الوالد بقصيدة أولها :

ليت شعري متى يكون التداني … لبلاد بها الحسان الغواني[1]

وبها الكرم مثمراً والأقاحي … ضحكت من ثغور زهر لجان

والبساتين فائحات بعطر … يخجل العنبر الزكي اليماني

وطيور بها تجاوبن صبحاً … وعشياً كنغمة العيدان

وبألحانها تذيب ذوي اللب … وتحيي ميتاً من الهجران

وتمشي بها الظباء الحوالي … مائسات كناعم الأغصان

كل خود تسطو بلحظ حسام … وتثنى كما قنا المران

وجهها الصبح إنما الفرع منها … ليل صب من لوعة الحب فان

غادة كالنجوم عقد طلاها … ما اللآلي وما حلى العقيان

إن ياقوت خدها أرخص الياقوت … سعراً وعائب المرجان

كل يوم يقضى بقرب لديها … فهو يوم النيروز والمهرجان

تلك من فاتت الظباء افتنانا … فلذا وصفها أتى بافتنان

---

(١) السلافة : ٣٣

مالصب أصيب من أسهم اللحظ   نجـاة من طـارق الحدثان
أذكرتني أيام تلك وأغرت   أعيني بالبكاء والهملان

ومنها قوله :

نفثات كالسحر يصدعن في قلب   معنى من الملامـة عاني
كلمات لكنهـا كالدراري   وسطور خصت بديع المعاني
إذ أتت من أخ شقيق المعالي   فائق الأصل غرة في الزمان
صافي الود صافي القلب قرم   كعبة المجد في ذرى كيوان
ذاكراً لي بها تزايد شوق   وولوعاً به مدى الأزمان
ففهمت الذي نحاه ولكن   ليت شعري يدري بما قد دهاني
أنا قيس في الحب بل هو دوني   لا جميل حالي ولا كابن هاني
ياأخا العزم قد سلمت ووجدي   طافح زائـد بغير توان
فلتحفي أبصرتُ من قدرماني   وعناءٌ تصيـد الغزلان
إن تشأ شرح حال صب كئيب   فلقـد قاله بديـع المعـاني
« مرضي من مريضة الأجفان   عللاني بذكرهـا عللاني »

هذا البيت مطلع قصيدة لابن العربي وبعده :

غنت الورق في الرياض وناحت   شجو هذا الحمام مما شجاني [1]
بأبي طفـلة لعوب تهادى   من بنات الخدور بين الغواني
طلعت في العيـان شمساً فلمـا   أفلت أشرقت بـأفق جنـاني

---

(١) السلافة : ٣٤

ومن شعر السيد المذكور قوله مذيلاً لبيت أبي زمعة جد أمية بن أبي الصلت ، ومادحاً السيد أحمد بن معصوم والد مؤلف السلافة :

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً ... برأس غمدان داراً منك محلالا[1]

تسعى إليك بها هيفاء غانية ... مياسة القد كحلا الطرف مكسالا

إذا تثنت كغصن البان من ترف ... وإن تجلت كبدر زان تمثالا

كأنها وأدام الله بهجتها ... تكونت من محيا دهرنا حالا

وكيف لا وهي أمست فيه ساحبة ... بخدمة السيد المفضال أذيالا

ذاك الذي جل عن تنويه تسمية ... شمس علت هل ترى للشمس أمثالا

الباسم الثغر والأبطال عابسة ... والباذل المال لم يتبعه أنكالا

عار من العار كاس من محامده ... لا يعرف الخلف في الأقوال إن قالا

إن قال أفحم ندب القوم مقوله ... أو صال أخجل ليث الغاب إن صالا

علا به النسب الوضاح منزلة ... عن أن يماثل إعظاما وإجلالا

خذها ربيبة خدر طالما حجبت ... لولا علاك وودٌ قط ما حالا

واصفح بفضلك عن تقصير منشئها ... وحسن بشرك لم يبرح لها فالا

ثم الصلاة على أزكى الورى نسباً ... وآله الغر تفصيلا وإجمالا

تم الاختيار من شعر ابن بركات الشريف ، ويليه الاختيار من شعر السيد محمد بن الأمير أحمد الحسيني .

---

(١) السلافة : ٣٤

شعر

محمد يحيى الحسيني [١]

قال مؤلف « السلافة » : هو ماجد ثبتت في المجد وثائقه ، وفاضل نشبت بالفضل علائقه ، أحرز من الأدب النصيب الأوفر ، وتمسك منه بما أخجل طيب نشره المسك الأذفر إلى دماثة شيم وأخلاق ؛ وما شان قشيب ابرادها اخلاق ، وله شعر تأخذ بمجامع القلوب طرائفه ، ويملك مسامع أولي الأشواق شائقه ورائقه فمن قوله :

تذكرت أيام الحجيج فأسبلت ... جفوني دماء واستجد بي الوجد [٢]

وأيامنا بالمشعرين التي مضت ... وبالخيف إذ حادي الركاب بنا يحدو

وقوله مخاطباً لي :

وما شوق مقصوص الجناحين مقعد ... على الضيم لم يقدر على الطيران [٣]

بأكثر من شوقي إليك وإنما ... رماني بهذا البعد منك زماني

وقوله مخاطباً لي أيضاً :

ألا لا سقى الله البعاد وجوره ... فإن قليلاً منه عنك خطير [٤]

ووالله لو كان التباعد ساعة ... وأنت بعيد إنه لكثير

وقوله :

ألا يا زماناً طال فيه تباعدي ... أما رحمة تدنو بها وتجود [٥]

---

(١) قوبل شعر محمد يحيى الحسيني على ما ورد في السلافة .

(٢) و (٣) و (٤) و (٥) السلافة : ٢٦

لألقى الذي فارقت نفسي مذنأى   منها أنا مسلوب الفؤاد فريد

وكتب إلي مادحاً ، وعلى فنن البلاغة صادحاً :

أقل أيهذا القلب عما تحاوله   فإنك مهما زدت زاد تشاغله[1]

دع الدهر يفعل كيف شاء فقلما   يروم امرؤ شيئاً وليس يواصله

وما الدهر إلا قلب في أموره   فلا يغترر في الحالتين معامله

ويا طالما طاب الزمان لماجد   فسر وقد ساءت لديه اوائله

رعى وسقى الله الحجاز وأهله   ملث تعم الأرض سقياً هواطله

فإن به داري ودار عزيزة   علي ومهما أشغل القلب شاغله

ولكن بي شوقاً إلى خلتي التي   متى ذكرت للقلب هاجت بلابله

أبيت ولي منها حنين كأنني   طريح طعان قد أصيبت مقاتله

هوى لك ما ألقاه يا عذبة اللمى   وإلا فصعب ما أنا اليوم حامله

أكابد فيك الشوق والشوق قاتلي   وأسأل ممن لم يجب من يسائله

تقي الله في قتل امرىء طال سقمه   وإلا فإن الهجر لاشك قاتله

صليه فقد طال الصدود وقلما   يعيش امرؤ والصد ممن يقاتله

حزين لما يلقاه فيك من الجوى   فهاهو مضنى مدنف الجسم ناحله

بلى إن يكن لي من علي وعزمه   معين فإني كلما شئت نائله

فذاك أخي حامي الذمار وسيدي   وذخري الذي ألقى به ما أحاوله

---

(١) السلافة : ٣٦

وذاك الذي لولاه ما عرف الندى ولا عرف التفضيل لولا فضائله
أغر همام يمتطي صهوة العلى فتعلو به بين الأنام منازله
فلا فخر إلا فخره وعلاؤه ولا جود إلا ما هو اليوم باذله
يعز إذا ذلت أسود لدى الوغى وتسعد منه في الحروب قبائله
له بين أبناء الملوك مخائل فيا حبذا ذاك الفتى ومخائله
إذا ما أتاه سائل نال سؤله ونال جزيلا فوق ما هو آمله
ويأتي إليه طالب الجود راغباً فيرجع مسروراً بما نال سائله
فيا ملجأي في النائبات ومن به إذا رمت أمراً في الزمان أواصله
إليك فقد جاءتك مني قصيدة أتت تشتكي دهراً تعدى تطاوله
ودم ذا علاء في البرايا وسؤدد رفيع مكان لا علاء يطاوله

فراجعته بقولي :

إليك فقلبي لا تقر بلابله إذا ما شدت فوق الغصون بلابله [1]
تهيج له ذكرى حبيب مفارق زرود وحزوى والعقيق منازله
سقاهن صوب الدمع مني ووبله منازل لا صوب الغمام ووابله
يحل بها من لا أصرح باسمه غزال على بعد المزار أغازله
تقسمه للحسن عبل ودقة فرن وشاحاه وصمت خلاخله
وما أنا بالناسي ليالي بالحمى تقضت وورد العيش صفو مناهله

---

(١) السلافة : ٣٧

ليالي لا ظبي الصريم مصارم ولا ضاق صدراً بالصدود مواصله

وكم عاذل قلبي وقد لج في الهوى وما عادل في شرعة الحب عاذله

يلومون جهلاً بالغرام وإنما له وعليه بره وغوائله

فلله قلب قد تمادى صبابة على اللوم لا تنفك تغلي مراجله

وبالحلة الفيحاء من أبرق الحمى رداح حماها من قنا الخط ذابله

تميس كماماس الرديني مائداً وتهتز عجباً مثل ما اهتز عامله

مهفهفة الكشحين طاوية الحشى

فما مائد الغصن الرطيب ومائله

تعلقها عصر الشبيبة والصبا وما علقت بي من زماني حبائله

حذرت عليها آجل البعد والنوى فعاجلني من فادح البين عاجله

إلى الله يا أسماء نفساً تقطعت عليك غراماً ما أزال أزاوله

وخطب بعاد كلما قلت هذه أواخره كرت عليّ أوائله

لئن جار دهر بالتفرق واعتدى وغال التداني من دها البين غائله

فإني لأرجو نيل ما قد أملته كما نال من يحيي الرغائب آمله

كريم وفى إحسانهُ ونواله بما ضمنت للسائلين مخائله

من النفر الغر الذين بجدهم

تأطد ركن المجد واشتد كاهله

جواد يرى بذل النوال فريضة عليه فما زالت تعم نوافله

لقد ألبست نفس المعالي بروده وزرت على شخص الكمال غلائله

أجل همام أدرك المجد نيله وأدرك مولى سح بالفضل نائله

وقد أيقنت المكارم أنها لتحيا بيحيى حين عمت فواضله

أخ لي ما زالت أواخي إخائه موطدة منها ببر يواصله

له همة نافت على الأوج رفعة تقاصر عنها حين همت تطاوله

ليهنك مجد يا ابن أحمد لم تزل فواضله مشهورة وفضائله

أبى الله إلا أن ينيف بك العلى ويعلي بها الفضل الذي أنت كافله

وما زلت تسعى في المكارم طالباً مقاماً تناهى دونه من يحاوِلُهُ

رويدك قد جزت الأنام بوثبة يشير لها من كل كف أنامله

سأشكر ما أهديت لي من أزاهر يجول عليها من ندى الحسن جائله

ودم سالماً من كل سوء مهناً بما نلته دهراً وما أنت نائله

وأثني على ما صغته من قلائد تحلى بها من جيد مدحي عاطله

ودونكها من بعض شكري وما عسى يفي بالذي أوليت ما أنا قائله

وكتب إلي أيضاً :

وزائرة والبدر يتبعها وهنا ونور سناها من سنى نوره أسنى [1]

رداح لها في الحسن أعظم آية تراها إذا ما أقبلت تخجل الغصنا

لها في صميم القلب خافي مودة وسر وداد أظهر الاسم أو كنى

حليف غرام في هواها مولع بها دائم الأسقام من هجرها مضنى

يذكرها عهد المحبة والهوى فتعرض عما قال مصغية ظنا

وإن لاح برق من نواحي ديارها أحل بقلب المستهام بها حزنا

---

(١) السلافة : ٤٠

فياليت شعري كم يقاسي صدودها
فتى لم يجد صبراً ويوشك أن يفنى

فوالله رب العرش حلفة صادق
لقد ضقت ذرعاً من زماني وماسنا

زمان إذا ما رحت فيه مطالبا
لنيل سرور زادني وهنه وهنا

أسائله تجديد عهد بقربها
وهيهات منه أين ومامنا

وما كل من يعطى النوال ينيله
ولا كل من أغناه خالقه أغنى

نعم في بلاد الله طراً ممجد
إذا قال قولا صدق الخبر المعنى

علي أخي البر الذي ما قصدته
لدى شدة إلا وصادفته ركنا

فتى قط مالاقيت منه حزونة
على أنني صاحبته السهل والحزنا

فلا زال محروس الجناب مؤيداً
برب الورى طراً وأسماءه الحسنى

فكتبت اليه بهذين البيتين :

أياما جداً قد أحكم اللفظ والمعنى
ومعهُ من الابداع ما لم يكن معنا

إليك فقد صيرت سحبان مفحماً
وأخجلت بالإفضال يا سيدي معنا

وممن نقل عنه صاحب « السلافة » محمد بن عبد الطبري من أهل القرن الحادي عشر ، قال في حقه : هو احد اولئك الجلة ، وواحد تلك البدور والأهلة ، الضارب في كل فن بسهم ، والفارع صفاة كل قريحة وفهم ، ضاع نشر أدبه وما ضاع ، ورضع ثدي الفضل فشب على حب ذلك الرضاع ، وله قريض يزري بقراضة الذهب ، ثبت في صفحات الصحائف حسنه وما ذهب ، وقفت على كافية هي في الشهادة بفضله كافية ، وقافية راحت الباب أولي الادب لاثرها قافية وهي :

أسير العيون الدعج ليس له فك
لأن سيوف اللحظ من شأنها الفتك (١)

حذار خلي القلب من علق الهوى فـأوله سقم وآخره سفك
ورح سالماً قبل الغرام ولا تقس علي فإني هالك فيه لا شك
ألم ترني ودعت يوم فراقهم حشاي لعلمي أن ما دونه الهلك
وكيف خلاصي من يدي شادن إذا
بدا ابيضٌ في الديجور من نوره الحلك
وهيهات أن ترجى لمثلي سلامة وقد سل بيض الهند ألحاظه الترك
يقولون ترك الحب أسلم للفتى نعم صدقوا لو كان يمكنه الترك
دعوني وذكرى بين بانات لعلع غريباً فهم عند المواقف لي نسك
وإن رمتم إرشاد قلبي فكرروا
أحاديث عشق طاب في نظمها السبك
أما والخدود العندميات لم أخل وكل الذي عني روى عاذلي إفك
وما بمصون الثغر من ماء كوثر وكأس عقيق ختمه حاله المسك
لقد لذ لي خلع العذار وطاب في
هوى الخرد البيض الدمى عندي الهتك

شعر العمري

وممن نقل عنه صاحب « السلافة » الشيخ عبد الرحمن العمري

(١) السلافة : ٦٣

من أهل القرن الحادى عشر ، قال في حقه : هو علامة القطر الحجازي ومفتيه ، ومولي معروف المعارف ومواتيه ، وبحر العلم الذي لا يدرك ساحله وبره ، الذي لا تطوى مراحله ؛ أشرقت في سماء الفضائل ذكاء ذكائه ، وأخرس به ناطق الجهل بعد تصديته ومكائه حتى طار صيته في الآفاق وانعقد على فضله الوفاق ، وانتهت إليه رياسة العلم في البلد الأمين ، فتصدر وهو منتجع الوافدين والآمين منه تقتبس أنواع الفنون ، وعنه تؤخذ أحكام المفروض والمسنون ، وتشد الرحال إلى لقائه ، ويستنشق أرج الفضل من تلقائه ، وتصانيفه في أقسام العلم صنوف ، وتآليفه في مسامع الدهر أقراط وشنوف ، إن نثر فما أزهار الرياض غب المزن الهاطل ، وإن نظم فما جواهر العقود تحلت به الغيد العواطل .

وأطال في ترجمته ، واستقصى سيرته ، واثبت شيئاً من نثره ونظمه ، وأطال في ذلك ، فأحببت الاختصار ، لأن كتاب السلافة كثير الوجود ، فمن أراد الوقوف على ذلك فليراجعه ، فمن شعره ما مدح به السيد ثقبة مهنئاً له بعافية ابنه قتاده ، ومتشكراً من انعام أنعمه عليه :

أقبل أرضاً حفها الله بالسعد ... وألثم ترباً عرفها فائق الند[1]

وأهدي سلاماً عبّق الكون نشره ... وفاق شذا النسرين والآس والورد

صحيبُ ثناءٍ فصلت در عقده ... وفضّله الرائي على الجوهر الفرد

---

(١) السلافة : ٨٦

وحاكته أيدي غانيات فضائلاً تحجّبن إلا عن لقاء ذوي المجد
ووشته حتى خيل برداً منمنماً على منكب العلياء طرز بالحمد
ومذ نشرته فاح في الكون عرفه وأهدى إلى الأرواح رائحة الند
وأنشد من أضحى لرياه ناشقاً «الا ياصبا نجد متى هجت من نجد»
رديف دعا هزت معاطف غصنه قبول قبول فهي مائسة القد
تبختر في روض الإنابة ساحباً مطارف أذيال الإجابة بالقصد
إلى حضرة عليا مقدسة سمت وجلت عن التعريف بالرسم والحد
وقصر عنها الواصفون وإن يكن خطيب عكاظ وامرأ القيس والجعدي
وإني وإن كنت المقصر عنهمُ سأبذل في مدحي وتقريظه جهدي
وهيهات أن أحصي ثناء لقائل تشرف جبريل بخدمته جدي
مليك له هام الفراقد منزلٌ تبوأه إرثاً عن الأب والجد
مليك سنا الإجلال لاح بوجهه مخائله مذ كان في حوزة المهد
مليك إذا ماجال في حومة الوغى ترى الهام تهوي في الرغام على الخد
تخيلها خرت لتقبيل حافر الصوافن كيما تستجير من الجد
فإن شمت برقاً لاح في أفق غيهب من النقع قل ذا سيفه سل من غمد
وإن سمعت أذناك صوت تقعقع من الرعد قل ذا صوت أفراسه الجرد
وإن أبصرت عيناك سيلاً عرمرماً يسيل فقل هذا نداه لمستجد
وإن عبق الأكوان نشر معنبر فقل ذا شذا أوصافه الفائق الند
وإن تر شمس الأفق قد أشرقت فقل سنا وجهه الوضاح لاح لمستهد

وإن تر بدر الجو بين كواكب فقل هو في أبنائه الغر إذ يبدي

وإن تر نوراً في المجرة لاح قل محجته البيضاء تهدي إلى الرشد

فمن كأبي عجلان في الحلم والحجى

وفي الفضل والتقوى وفي العلم والزهد ؟

ومن كأبي عجلان للسيف والقنا

وللحرب إذ قال العدى أزمةُ اشتدي ؟

ومن كأبي عجلان في البأس والندى

وفي الشرف البذاخ والعز والمجد ؟

فيا سيد السادات دونك مدحة

تفاخر در السمط بل جوهر العقد

قريض محب لم يزل متمسكاً بعروتك الوثقى المنوطة بالعهد

شكور لنعماك التي ألبسته من نسيج يد الإفضال من أفخر البرد

وهيهات لا أسطيع شكر صنيعها ولكن على مقدار ما يقتضي جهدي

ولا سيما إن ذكرته مدائحي

بسابق وعد كان من صادق الوعد

فلا زال محروس الجناب ممتعاً بأبنائه الصيد الغطارفة الأسد

ولا سيما السامي لأفخر رتبة تسنمها بالحزم والعزم والجد

بهي الصفات الغر والمجد والسنا سمي السمات الساميات من العد

قتادة حاوي المكرمات ومن علا على هامة الجوزاء من فلك السعد

ومن في سماء المجد أشرق نجمه وأضحت به الأكوان وردية الخد

وهزت له العليا معاطف نشرها وغنت حمام الأيك في عذب الرند
تهنيه إذ حاكت له بيد الشفا معاطف تغنيه عن السابغ السرد
لعمري لقد عم الهنا كل مهجة لما ضمنته في مخبأة الود
فلا زال في ثوب المسرة رافلاً يجرر أردان السعادة والمجد
بسوح أبيه السيد الملك الذي تقلد من حلي السيادة بالعقد
وتوجه نور النبوة مغفراً يطوز بالإقبال والعز والسعد
وألبسه جاش الخلافة سابغاً تدرعه من سطوة الدهر إذ يعدي
فلا زال في عز السعادة مالكاً زمام العلى والدهر من جملة الجند
وأزكى صلاة الله ثم سلامه
على المصطفى الهادي إلى منهج الرشد
وآل له والصحب ماذر شارق وما غرد القمري على فنن الرند
وما حكت في مدح المليك قصائدا
وطرزتها بالشكر والمدح والحمد

ولم يؤرخ ناقل الترجمة سنة وفاته ، ونقل أيضاً صاحب « السلافة » لأخيه القاضي شهاب الدين أحمد بن عيسى المرشدي ، فقال في حقه : شهاب الفضل الثاقب ، الشهير المآثر والمناقب ، سطع في سماء الأدب نوره ، وامتد في البلاغة باعه فشق من رام ان يشق غباره اتباعه ، لا تلين قناة فضله لغامز ، ولا يلمز أدبه المبرأ من العيب لامز ، وله نظم بديع الأسلوب يملك برقته المسامع والقلوب ، فمنه يمدح الشريف مسعود بن الشريف إدريس شريف مكة المشرفة عام تسع وثلاثين وألف بهذه القصيدة :

عوجا قليلاً كذا عن أيمن الوادي
واستوقفا العيس لا يحدو بها الحادي [١]

وعرجا بي على ربع صحبت به — شرخ الشبيبة في أكناف أجياد
واستعطفا جيرة بالشعب قد نزلوا — على الكثيب فهم غيي وارشادي
وسائلا عن فؤادي تبلغا أملي — إن التعلل يشفي غلة الصادي
واستشفعا تشفعا تسآلكم فعسى — يقدر الله إسعافي وإسعادي

وأجملا لي وحطا عن قلوصكما
في سوح مردي الأعادي الضيغم العادي

مسعود عين العلى المسعود طالعه — قلب الكتيبة صدر الحفل والنادي
رأس الملوك يمين الملك ساعده — زند المعالي جبين الجحفل البادي

شهم السراة الألى سارت عوارفهم
شرقاً وغرباً بإغوار وإنجاد

نرد غمار العلى في سوحه ونرح — أيدي الركائب من وخد وإسآد
فلا مناخ لنا في غير ساحته — وجود كفيه فيها رائح غادي
يعشوشب العز في أكناف عقوته — ياحبذا الشعب في الدنيا لمرتاد
ونجتني ثمر الآمال يانعةً — من روض معروفه من قبل ميعاد
فأي سوح يرجى بعد ساحته — وأي قصد لمقصود وقصاد؟
ليهن ذا الملك ان ألبست حلته — محيي مآثر آباء وأجداد
لبستها فكسوت الفخر سلها — مشهراً يبهر المصبوغ بالجادي

---

(١) السلافة : ٩٣

علوت بيتاً ففاخرت النجوم علا والشهب فخراً بأسباب وأوتاد

ولحت بدراً بأفق الدست تحسده

شمس النهار وهذا حرها بادي

وصنت مكة إذ طهرت حوزتها من ثلة أهل تثليث وإلحاد

قد غر بعضهم الإهمال يحسبه عفواً فعاد لإتلاف وإفساد

وذدتهم عن حمى البيت الحرام وهم من السلاسل في أطواق أجياد

كأنهم عند رفع الزند أيديهم يدعون حباً لمولانا بإمداد

وما ارعووا فشهرت السيف محتسباً

يا برد حرهم في حر أكباد

غادرتهم جزراً في كل منجدل كأن أثوابهم مُجَّت بفرصاد

وأثمر السدر من أجسادهم ثمراً حلواً بأفواه أجداث وألحاد

سعيت سعياً حثيثاً من خمائله نور الأمان لأرواح بأجساد

فكم بمكة من داع ومبتهل ومن محب ومن مثن ومن فاد

وعاد كل عصي مصلحاً وغدت أيامنا بالهنا أيام أعياد

إلى أن قال :

فهاك يا ابن رسول الله مدحة من أورت قريحته من بعد إخماد

فأحكمت فيك نظماً كله غرر ما أحرزت مثله أقيال بغداد

أضحت قوافيه والإحسان يشرحها

روض البديع لإرصاد بمرصاد

ترويه عني الثريا وهي هازئة بالأصمعي وما يروي وحماد

وتستحث مطايا الزهر إن ركدت كأنها إبل يحدو بها الحادي
وتوقظ الركب ميلاً من خمار كرى والليل من طول تدآب السرى هادي
أمتك تشفع إذلالاً لمنشئها فاقبل تذللها يا نسل أمجاد
وأسبل الستر صفحاً إن بدا خلل نهتك به ستر أعداء وحساد
وقل تقرب إلينا تستعز بنا ما حق مثلك أن يقصى بإبعاد
لازلت يا عز آل البيت في دعة تحف منهم بأنصار وإنجاد
ثم الصلاة على الهادي وعترته وصحبه ما شدا في أيكة شاد

وقال يستدعي جماعة من الفضلاء ، وهم بجبل النور الكائن بالمعلاة وهو بمنى :

عليكم من محب حشو أضلعه ودٌ أرقّ إلى الظامي من النطف[1]
تحية يرتضيها الفضل إن نفحت أربت على نفحات الروضة الأنف
حواكم الجبل العالي بكم شرفاً على المعالي التي تعلو على الشرف
نظمتم فيه نظم العقد متسقاً على تليل كعاب ظاهر الترف
وغادرت عبدكم أيدي مؤلفه مكبلاً وحده في ربقة الصدف
منى هي الصدف المومى إليه منىً للنفس فيها وفي أفنائها الورف
ولا أنيس لكم إلا مماثلكم على بثين جميل السفح والسعف
يجيبني بصدى صوتي فأرفعه من قلة الإلف أو من كثرة الشغف
فهل وفيٌّ من الخلان يسعدني في الفجر أو بعد ما صلى مع الحنفي
يجيبني أو يجيب الضير عنه وما يجيبني غير محيي الدين أو شرف

---

(١) السلافة : ٩٥

كفـآن يرضاهـا الإحسان إن نطقـا

أو أرعفـا لدن الأقـلام في الصحف

ونقل في « السلافة » أيضاً ترجمة أبي بكر الخاتوني ، فقـال في حقـه : هو الشيـخ فخر الدين الخـاتوني ، كاتب ماهر ، وشاعر قلد الطروس من نظمه عقود الجواهر ، وأديب سهم أدبه لشواكل الأغراض مصيب ، وأديب أحرز من الفضل أو فرسهـم ونصيب ، جرى في مضمار القريض ملء عنانه ، واجتنى زهر رياضه واقتطف ورد جنانـه ، وهو ممن حلب الدهر أشطره ، وفرى من أديم الزمان أسطره ، وشعره بحر لا يلفى لمـده جزر ، رقيق الحواشي لا هراء ولا نزر ، فمن بدائعه الـتي هي من بديع الحسن مصورة قوله مخاطباً أهل المدينة المنورة على ساكنها وآله وأصحابه الكرام أفضل الصلاة وأزكى السلام :

يا أهل طيبة لا زالت شمائلكم ... كالروض باكره سار من الديم[1]

أنفاسكم والنفوس الغر لا برحت ... كالزهر والزهر في لطف وفي كرم

ما أمـّكم زائر إلا وآب بمـا ... يربو على فكره من كل مغتنم

فأنتم الطاهرون الطيبون ومن ... لا ريب في مجدهم من سالف القدم

لا عيب فيهـم سوى أن النزيل بهـم

يسلو عن الأهل والأوطـان والحشم

جميلكم جل أن يحصى وفضلكم ... في الناس أشهر من نار على علم

كفاكم بجوار المصطفى شرفاً ... وجار ذي الجاه أنـّى كان لم يضم

(١) السلافة : ١٩٠

لولاكمُ خيرة الله الكريم لما ... كنتم له جيرة من سائر الأُمم

والله جل اسمه بالقرب خولكم ... وزادكم بسطةً في العلم والهمم

لا زلتم وأمان الله يكلؤكم ... مما يُحاذر في حرزٍ من اللمم

وكيف يخشى الرزايا أن تلم بكم ... وأنتم من حمى المختار في حرم

عليه صلى إله العرش ما سجعت ... ورق الحمائم بين الضال والسلم

وآله الطهر والصحب الكرام ومن ... والاهمُ من جميع العرب والعجم

وممن نقل له صاحب « السلافة » أيضاً الشيخ أحمد بن محمد الجوهري قال في حقه : هو جوهري النثر والنظام ، زهري السجايا العظام ، حلى بعقود نظمه عواطل الأجياد ، وسبق بجواد فهمه الصافنات الجياد مع اضطلاع بفنون العلوم ، واطلاع على خفايا المنطوق والمفهوم ، وديانة وورع ، وصيانة فاق فيها وبرع ، وأخلاق وشيم ، كأنفاس الرياض غب الديم ، وها أنا أثبت من بهي كلامه وسني نظامه ما تنشق منه نشر العبهري ، وتقتني منه « صحاح الجوهري » كان أول وفوده علينا بالديار الهندية أهدى إلي كراسة من نثره ونظمه ، فكتب إليه ما صورته :

زهر الدراري أم نظام الجوهري ... وشذا السلافة أم شميم العبهر ؟ (١)

أم زهر روض قد تبسم ضاحكاً ... إذ جاده صوب الغمام الممطر

وشذور تبر أم جمان قلائد ... تزهو وتزهر في مقلد جؤذر ؟

أم هذه ألفاظ مولى ماجدٍ ... ورث البلاغة أكبراً عن أكبر ؟

يزري بنظم الدر باهر نظمه ... ويفوق مسكره مذاب السكر

---

(١) السلافة : ١٩٣

فلشعره الشعرى العبور تضاءلت كرهاً وودت أنها لم تظهر

والنثرة العليا هوت من نثره خجلاً وقالت ليته لم ينثر

قد أعجز البلغاء معجز أحمدٍ فأقر أكثرهم بعجز مقصر

يا مهدياً لي من سني نظامه ونثاره دراً بهي المنظر

شكراً لفضلك شكر ممنون فقد

حليت جيدي من نظام الجوهري

فراجعني بقوله :

يا مهدياً وشي الربيع المزهر بل روضة تزهو بحسن المنظر[1]

غناء باكرها الحيا وتفتحت أزهارها غب السحاب الممطر

ردت لنا من بشرها زمن الصبا وشممت منها طيب تلك الأعصر

ارتاح سكراً من سلافة لفظها وهي المصونة عن خمار المسكر

لله درك من همام بارع في كل فن غنية المستخبر

ما هذه الدرر التي أبرزتها شبه المجرة في خلال الأسطر

لا غرو أن ساد الأنام بفضله من كان ندباً من سلالة حيدر

من معشر شم الأنوف وليدهم أدني محل خطاه فوق المشتري

حاز المروءة والفتوة والسخا والعلم والتقوى وطيب العنصر

فليهنك الشرف الرفيع ومجدك العالي المنيع وحسن قول المخبر

واسلم ودم في عزة وخلالة باد علاك على ممر الأدهر

---

(١) السلافة : ١٩٤

قال مؤلف « السلافة » :

ومن شعره مادحاً والدي رحمه الله بقوله :

كلما غنت على الدوح الحمام   هيجت أشواق قلبي المستهام[1]

ذكرته ساجعات المنحنى   وربى نجد وهاتيك الخيام

وليال ما صفا لي بعدها   طيب العيش ولا صافي المدام

حيث لا أصغي لعذل راتعاً   في ميادين التصابي والغرام

حيث لي شغل بربات الخبا   عن شراب وطعام ومنام

حيث مالي شافع إلا الصبا   في الهوى إن عز من هند المرام

لست أنسى ليلة إذ أقبلت   وتلقتني ببشر وابتسام

قلت يا هند إلى من أشتكي   نقض عهد من حبيب لا يرام؟

فاستشاطت ثم قالت جذلاً   هل وفت حسناء قبلي بالذمام؟

ثم أبدت عتباً يا ليته   طال لما طاب في ذاك المقام

فاعتنقنا واشتكينا ما بنا   ولدمع العين في الخد انسجام

هل ترى من بعدهم لي عوضاً   غير حزن وبكاء وسقام

إلى أن قال في المديح :

أحمد ابن السيد المعصوم من   عن مداه قصرت كل الكرام

مذ نشا قرت به عين العلى   وارتضته بعلها قبل الفطام

حاز علماً في صباه وافرا   لم يحزه عالم في الف عام

خلق كالروض وافاه الصبا   غب ما باكره صوب الغمام

---

(١) السلافة : ١٩٧

هاشمي نسل طه أحمد ليس فخر فوق هذا للأنام
زرع الفضل له في مهجتي روض ود مثمر زهر الكلام
التفات منه أقصى مطلبي إنما الدينار مطلوب الطعام
فله لا زال مدحي دائماً طرباً ينشده خاص وعام
فكرتي قاصرة عن مدحه فلهذا عجلت بالاختتام

ومن رقيق شعره :

ما شمت برقاً سرى في جنح معتكر
إلا تذكرت برق المبسم العطر [1]
ولا صبوت إلى خل أسامره إلا بكيت زمان اللهو والسمر
شلت يد للنوى ما كان ضائرها لو غادرتنا نقضي العيش بالوطر
في خلسة من ليالي الوصل مسرعة كأنما هي بين الوهن والسحر
لا نرقب النجم من فقد النديم ولا
«نستعجل الخطو من خوف ومن حذر»
وأهيف القد ساقينا براحته كأنه صنم في هيكل البشر
منعمين وشمل الأنس منتظم يربو على نظم عقد فاخر الدرر
فما انتهينا لأمر قد ألم بنا إلا وبدل ذاك الصفو بالكدر
لادر در زمان راح مختلساً من بيننا قمراً ناهيك من قمر
غزال أنس تجلى في حلى بشر وبدر حسن تجلى في دجى الشعر
وغصن بان تثنى في نقا كفل لا غصن بان تثنى في نقا المدر

(١) السلافة : ٢٠٠

كأن ليلي نهاري بعد فرقته مما اقاسي به من شدة السهر

ياليت شعري هل حالت محاسنه وهل تغير ما باللحظ من حور

فإن تكن بجنان الخلد مبتهجا فاذكر معنى الأماني ضائع الخبار

وإن تأنست بالحور الحسان فلا تنس الليالي التي سرت مع القصر

ومن قوله :

إذا مضت الأوقات من غير طاعة ولم تك محزونا فذا أعظم الخطب[١]

علامة موت القلب ان لا ترى به حراكا إلى التقوى وميلاً عن الذنب

ومن قوله :

في المنع والإعطاء كن شاكراً واستقبل الكل بوجه الرضا[٢]

فالخير للعارف فيما جرى ورب منع كان عين العطا

وقوله :

إن حزت علماً فاتخذ حرفة تصون ماء الوجه لا يبذل[٣]

ولا تهنه ان ترى سائلا فشأن أهل العلم أن يسألوا

وقوله :

جانب اللهو والبطالة واحذر من هوى النفس إن اردت السعادة[٤]

واعبد الله مااستطعت بصدق مطلب العارفين صدق العبادة

وقوله :

---

(١) و (٢) و (٣) و (٤) السلافة : ٢٠١

إذا التبس الأمران فالخير في الذي تراه اذا كلفته النفس يثقل[1]
فجانب هواها واطرح ما تريده من اللهو واللذات إن كنت تعقل

وممن نقل عنه صاحب السلافة ايضاً شهاب الدين بن الفضل بن محمد باكثير المكي قال في حقه.

هو ابن الفضل وأبوه والمذعن لفضله أعداؤه ومحبوه مقداره في الأدب جليل ومثل باكثير في الانام قليل إن عدت فرسان البراعة فهو ملاعب أسنة الاقلام أو ذكرت فرسان البراعة فهو ثاني أعنة الكلام ملك زمام القريض فاقتاده حيث شاء ؛ وكان له في التصدير والتعجيز إعجاز أفحم مصاقع البلغاء بالتعجيز فمن ذلك قوله مصدراً ومعجزاً عينية المتنبي ومادحا بها علي بن بركات وهي :

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا وقلب لأظعان الاحبة يتبع[2]
وصبري نوى الترحال يوم رحيلهم فلم أدرأي الظاعنين أشيع
أشاروا بتسليم فجدنا بأنفس تسيل مع الأنفاس لما ترفعوا
وساروا فظلت في الخدود عيوننا تسيل من الآماق والاسم أدمع
حشاي على جمر ذكي من الهوى
وصدري مذ بانوا من الصبر بلقع
وقلبي لدى التوديع في حزن حزنه وعيناي في روض من الحسن ترتع
ولو حملت صم الجبال الذي بنا من الوجد والتبريح كادت تضعضع
وأكبادنا من لوعة البين والنوى غداة افترقنا أوشكت تتصدع

---

(١) السلافة : ٢٠١

(٢) السلافة : ٢١٠

بما بين جنبي الذي خاض طيفها دموعي فوافى بالتواصل يطمع

تخيل لي في غفوة وجهت بها إلي الدياجي والخليون هجع

أتت زائراً ما خامر الطيب ثوبها وخمرتها من مسك دارين أضوع

فقبلت إعظاما لها فضل ذيلها وكالمسك من أردانها يتضوع

فشرد أعظامي لها ما أتى بها وفارقت نومي والحشا يتقطع

وبت على جمر الغضى لفراقها من النوم والتاع الفؤآد المفجع

فيا ليلة ما كان أطول بتها سمير السها حلف الجوى أتضرع

يجرعني كأس الأسى فقد طيفها وسم الأفاعي عذب ما أتجرع

تذلل لها واخضع على القرب والنوى
لعلك تحظى بالذي فيه تطمع

ولا تأنفن من هضم نفسك في الهوى
فما عاشق من لا يذل ويخضع،

ولا ثوب مجد غير ثوب ابن أحمد علي ابن بركات به الفخر أجمع

عليه ضفا بالمكرمات ولم يكن على أحد إلا بلؤم مرقع

وإن الذي حابى جديلة طيهم بحاتمهم وهو الجواد الممنع

حبا بعلي آل طه فإنه به الله يعطي من يشاء ويمنع

بذي كرم ما مر يوم وشمسه بغير سنى منه تضيء وتسطع

ولا ليلة تزهو به ونجومها على رأس أوفى ذمة منه تطلع

فأرحام شعر يتصلن لدنه فلم سعر شعر في معاليه يرفع؟

وكم عصبات جمعت في صلاته وأرحام مال ماتني تتقطع

فتى ألف جزء رأيه في زمانه إذا حسبت آراؤه حين تجمع

يرى عشر عشر العشر منها وإنه أقل جزاء بعضه الرأي أجمع

غمام علينا ممطر ليس يقشع وصيبه تبر وفي الحال ينفع

وليس كسحب الأفق يخطي ويقلع

ولا البرق فيه خلب حين يلمع

إذا عرضت حاج إليه فنفسه تطاوعه في بذل ما يتوقع

يمن ابتداء بالأيادي ولم يكن إلى نفسه فيها شفيع مشفع

خبت نار حرب لم تهجها بنانه ولم تتقد ان يطفها لو تجمعوا

ولا قول إلا ما رواه لسانه وأسمر عريان من القشر أصلع

نحيف الشوى يعدو على أم رأسه مطيع لباريه يصلي ويركع

وبالخمس يسعى ساجداً وهو قائم ويجني فيقوى عدوه حين يقطع

يمج ظلاماً في نهار لسانه وينطق وهو الأخرس المتصنع

يعبر عما في الضمير ولم يفه ويفهم عما قال ما ليس يسمع

ذباب حسام منه إنجاز ضربه وكم قطع الأعدا وذا منه أقطع

وعود القنا أوهى شبا منه في العدى

وأعصي لمولاه وذا منه أطوع

بكف جواد لو حكته سحابة لسحت لنا تبراً يصاغ ويطبع

ولو حملت من بعض جدواه مزنة لما فاتها في الشرق والغرب موضع

فصيح متى ينطق تجد كل لفظة له تحتها معنى البلاغة أجمع

وإن خط لفظاً باليراع رأيته أصول البراعات التي تتفرع

يتيه دقيق الفكر في بعد غوره ... وعن نجد فحواه المفوه يقطع
وبحر معانيه البليغ يغوصه ... ويغرق في تياره وهو مصقع
وليس لماءِ البحر ينشف قعره ... لنيل الدراري من بها يتطمع
ولا بحر جدواه كبحر يخوضه ... إلى حيث يغني الماءحوت وضفدع
أبحر يضر المعتفين وطعمه ... يصدعن الورد الشهي ويمنع
يموت به الصادي أواماً لأنه ... زعاف كبحر لا يضر وينفع
ألا أيها القيل المقيم بمكة ... ومسك ثناه في العوالم يسطع
حللت بها اسمي على كل حال مطنبٍ ... وهمته فوق السماكين موضع
أليس عجيباً أن وصفك معجز ... له المتنبي ناظم ومرصع
وان طويل المدح فيك مقصر ... وان ظنوني في معاليك تطلع
وإنك في ثوب وصدرك فيكما ... يحيط به من نسج داود أدرع
فياليت شعري كيف ضمته لامة ... على أنه من ساحة البحر أوسع
وقلبك في الدنيا ولو دخلت بنا ... وبالفلك الأعلى وما منه يطلع
وبالعالم العلوي والأنس جملة ... وبالجن فيه مادرت كيف ترجع
ألا كل سمح غيرك اليوم باطل ... لأنك فرد للكمالات تجمع
وكل ثناء فيك حق وإن علا ... وكل مديح في سواك مضيع

وقوله مصدراً ومعجزاً أبيات أبي حاتم اللغوي :

إذا اشتملت على اليأس القلوبُ ... وكادت من تلهبها تذوب [1]

---

(١) السلافة : ٢١٣

وعم الغم واتسع التجري وضاق بمابه الصدر الرحيب

وأوطنت المكاره واطمأنت وفي الأحشاء طنبت الكروب

وأقلعت المسرة عن ذويها وأرست في مكانتها الخطوب

ولم تر لانكشاف الضر وجهاً يلوح ومنك قد يئس الحبيب

وأعيا داء فادحة الرزايا ولا أغنى بحيلته الطبيب

أتاك على قنوط منك غوث يفرج كل فادحة تذيب

فكم وافاك بعد العسر يسر يمن به اللطيف المستجيب

وكل الحادثات إذا تناهت وفي تصريفها حار اللبيب

وزاد الكرب فيها واستطالت فمقرون بها الفرج القريب

وممن نقل عنه صاحب «السلافة» الشيخ محمد بن سعيد باقشير، قال في حقه: أديب بارع، وشاعر له في مناهل الأدب مشارع نظم فأجاد، وأرزم سحاب نظمه فجاد، فعلت رتبته في القريض وسمت، وافترت ثغور محاسنه وابتسمت، كل ذلك من غير تكلف نحو وعروض، بل من قريحة تذلل له جوامع الكلام، وتروض، فجاء نظمه السهل الممتنع، ونزهة الناظر والمستمع، وهاأنا أثبت منه ما تصطحبه مداماً وتديره كؤوساً بين الندامى فمنه قوله يمدح السيد أحمد بن مسعود.

علقاً أظنك بالظباء الرود أم والهاً بهوى الظباء الغيد؟[1]

أسبلن أمثلة الغداف غدائراً سوداً تطول على الليالي السود

(١) السلافة : ٢٠٨

وسفرن عما لو لطمن بمثله خد الظلام لما بدا بالبيد

بيض يرنحهن ريحان الصبا تيهاً كخوط البانة الأملود

عذر العذول على الهوى فيها وقد

« عنت لنا بين اللوى وزرود »

فطفقت أنشده على تأنيبه «أرأيت أي سالف وخدود»

تربت يد اللوام كم ألظت حشا دنفاً بألهوب من التفنيد

أو مادروا أن الجمال حبائل ما إن يصادبهن غير الصيد

ولرب مخطفة الحشا بهنانة المتنين مفعمة الإزار خرود

ترنو فتحسب أم خشف ثارها القناص عن خضل الكلا مخضود

لله أحداق الحسان وفعلها في قلب متيم معمود؟

الحقنني البرحاء لكني امرؤٌ وزري بر كن في الملوك شديد

بسميدع من آل أحمد ماجدٍ لا بالكهام بدا ولا العربيد

وجواد مصعبة إذا سل الندى أولي وجاد بطارف وتليد

طابت أرومته بأصلٍ ثابت عرقاً وفرع مثمر بالجواد

متسنم العلياء لا بالنكس عن تحصيل غايتها ولا الرعديد

لو حاول العيوق نيلاً لم يعق عنهُ ولم يك نيله ببعيد

أو لو يحاول ألف عنقا مغرب صيدت بجد مؤيد صنديد

وإن اقشعر العام غيث مسبل وإن اكفهر السام ليث مودي

خلق أرق من السلاف ومهجة أقسى على الحدثان من جلمود

بلغت بنو الحسنين شأواً لم يزل من قبلهم لمسودٍ ومسود

حلماء إن غضبوا كأن نفوسهم بشرور بين تحفّ أو بالجودي

ومواهب تترى وسيب لم يزل ينساب بين جحافل وجنود

من كل طلق الوجه يسطع نوره بسنا النبوة عن أب وجدود

ومن شعره وهو من مختار قصيدة له

أتعذر في لمياء والعذر أليقُ وتعشقها جهلاً وذو اللب يعشق (١)

ولا عيش إلا ما الصبابة شطره وصوت المثاني والسلاف المعتق

وجوبك أجواز الموامي مشمراً إلى المجد يطويها عذافر معنق

وأن تتهاداك التنائف معلماً تضلك أو تهديك بيداء سملق

وأن ترد الماءَ الذي شطره دم

فتسقي برأي ابن الحسين (٢) وترزق

فأسوغ ما بل اللهى بعد غلة وأروى من الماء الشراب المروق

فدع لجج التعنيف وابك بذي اللوى

دياراً كأنها للتقادم مهرق

أحالت مغانيها السنون فأصبحت قوى لهريق الودق والريح مخرق

وقفت بها والقلب بالوجد موثق

كفيت الردى والجفن بالدمع مطلق

أناشدها بينونة الحي من جوى بقلب إذا هب النسائم يخفق

شج تتصاباه الصبا وتلوعه الجنوب ويشجوه الحمام المطوق

---

(١) السلافة : ٢٢٣

(٢) يعني المتنبي (جامع المجموعة)

إلى الله أفعال الليالي بها وبي　　لقد كنت منها دائم الدهر أفرق

فسم سمة الصبر الجميل لعلها　　تذيل فإن لم تغن فالصبر أخلق

فلو سلمت من حادث الدهر دمنة　　تمطى على هام الدهور الخورنق

وممن نقل عنه في « السلافة » عفيف الدين عبد الله بن الحسين بن جاشل الثقفي ، قال في حقه : ثقفي النسب ، مثقف قناة الحسب ، برى نبعة طبعه بالمروءة وثقف ، وجرى إلى آماد الفتوة وما توقف ، وخطب عرائس الكرم والوفا ، فبنى عليه بالبنين والرفا إلى أخلاق أقطعها الروض أنفاسه ، وشيم يتنافس فيها رغبة ونفاسة ، وله شعر تأخذ محاسنه السالمة من التصنع بمجامع القلوب وفق ما قيل :

حسن الحضارة مجلوب بتطرية　　وفي البداوة حسن غير مجلوب

وكم أنشد الأسماع حاله المطرب :

ولست بنحوي يلوك لسانه　　ولكن سليقي أقول فأعرب

وقد اثبت له ما نغتبقه راحاً ، ونملأ بلطافته ومحاسنه راحا

فمن ذلك قوله مراجعاً للأخ الأعز السيد محمد يحيى عن قصيدة كتبها إليه :

سقى طللاً بين الأجارع واللوى　　وحيا زماناً لم نُرع فيه بالنوى [1]

ورعياً لأيام هناك سوالفٍ　　قضينا بها عصر الشبيبة والهوى

بظل جناب والندامى عصابة　　كرام المساعي ترغم الخصم إن غوى

---

(١) السلافة : ٢٣٨

على السفح مابين القصير إلى الحمى
إلى الحصن نطوي الود عنا وما انطوى

ليالي لا تخطي سهام رميتي ولا عاقني الوالي الغيور وإن زوى
وأصبحت يثنيني الحجى عن هويتي ويمنعني دهر تمادى وما ارعوى
ولله كم من يوم دجن وصلته بليل على الربع الجنوبي وما حوى
وساعات أنس كلما عنّ ذكرها يهيجني فرط الصبابة والجوى
لكل غضيض الطرف أحوى إذا رنا
سباك النهى والصبر واستأثر القوى
إذا افتر عن ثغر حكى الدر نظمه
وإن لاح قلت الشمس في خط الاستوا
يشير فأدري ما يقول برمزه فأقضي على ما في هواه بما نوى
عليم بعلات الغواني وطبها ومفتي الندامى في محاورة الهوى
جريت على طرق الغرام كما جرت مواهب يحيى في النوال بما احتوى
فتى فيه للراجي مخائل تقتفى على أنه حامي الكتيبة واللوا
نماه إلى العليا أكارم سادة مآثره مشهورة لمن ارتوى
أيا ابن الذي أحيا الندى بعد موته وشيد ربع المجد من بعد ما هوى
وصنو الذي يبدو لذي الحدس أنه امام هدى عن ذروة العز ما لوى
اتاني من نادي علاك جريدة تضمن معناها الحريري بما روى
تخبر عن صب ضنين بظبية محجبة تحكي غزالا بذي طوى
فحسبك دين الحب ديناً فإنه ترقي بأرباب القلوب عن السوى

ولا تبتئس من قول لاحٍ ولائم لعمرك ماضلَّ المحب وما غوى

إليك عماد الدين عقداً يصوغه هوى لكمُ بين الجوانح قد ثوى

ودم وابق واسلم ما ترنم طائر وما زمزم الحادي بمنعرج اللوى

وله أيضاً مراجعاً له عن أبيات كتبها إليه :

خليلي هل رند الحجاز على علمي وهل ربرب الوادي مقيم على السلم (١)

وهل أثلات الواديين أنيقة تعهدها الغزلان غب الحيا الوسمي

وهل ربرب الربع الجنوبي ثابت

على ما مضى أم قد تمادى على صرمي

رعى الله هاتيك المنازل إنها

وإن بعدت شوقي إليها انتضى عزمي

معاهد أنس كلما عنَّ ذكرها لقلبي ترى عيني مدامعها تهمي

فما ساعدت ورق الحمام أخا أسى ولا روحت ريح الصبا عن أخي همّ

فيا مربع الترحال قل لابن أحمد

ربيب العلى يحيى وترب الندى المسمي

أتاني من نادي علاك رسالة نفثت بها كلمي وزدت بها سقمي

تضمن من خمسين يوم شكاية فما الحب إلا ما يمضُّ وما يصمي

فكيف بمن قاسى سنين من النوى وراح من الهجران جلداً على عظم

فأحلى الهوى ما عز منه وعذبهُ منادمة الأحباب من بارد الظلم

---

(١) السلافة : ٢٣٩

ودم وابق يا نجل الملوك معظماً ولا زلت كنزاً للمكارم والحزم

قال ابن معصوم وكتبت إليه معاتباً :

أناس عفيف الدين أم أنت ذاكر عهوداً سقتهن العهاد البواكر (١)
ومثلك من لم ينس عهداً وإنما هو الدهر لا يلفى على الدهر ناصر
وما أنت ممن يبخس الود عنده ولكن قضاء أوجبته المقادر
أروم لك العذر الجميل مصححاً وفاك وقد كادت تضيق المعاذر
أعيذك أن أمسي لودك عامراً ويصبح ودي وهو عندك داثر
أنا لك أصل في المروءة طاهر وفصل بأنواع الفتوّة ظاهر
وإن تنسك الأيام عهدي فانني وحقك للعهد القديم لذاكر
إليك أخا الهيجاء نفثة موجع رآك لها أهلاً فهل أنت شاكر ؟
ودم وابق واسلم ما تألق بارق وهب نسيم واستهلت مواطر

فراجعني بقوله :

أبا حسن قلبي بودك عامر ولم يخل من ذكراكم منه خاطر (٢)
ولولا مراعاة الزمان وأهله لما عاقني بعدٌ ولا صدّ زاجر
ولكن لأحوال الزمان معاذر إذا كان هذا الدهر ممن نحاذر
اعيذك لا يخطر ببالك أنني سلوت وان الود عندي داثر
أبى الله لي والمجد من قول قائل فلان لميثاق الأحبة غادر

---

(١) السلافة : ٢٣٩
(٢) السلافة : ٢٤٠

وقد تقبل العذر الخفي تكرماً فمابال عذري واقف وهو سافر ؟

إليك أبا منصور عذراً تجمجمت به نفثات الود وهي حواسر

تجشمها طود العتاب ودونه تجشم سمر الخط وهي شواهر

بقيت فإني عن جوابك محجم ومعتذر عنه فقل أنا عاذر

وممن نقل عنه صاحب « السلافة » ابراهيم بن يوسف المهتار المكي ، قال في حقه : شاعر بذيء اللسان ، كثير الإساءة قليل الإحسان ، وقد نقل من محاسن شعره مقاطيع جيدة تدل على جودة شعرة ، وانه ليس بدون من نقل عنه ، ولكن للناس فيما يعشقون مذاهب ، وقد ذكر له قصيدة قالها لما وقع البيت المعظم وهي :

ماجت قواعد بيت الله واضطربت

واهتزت الأرض من أقطارها وربت (١)

وأمست الكعبة الغراء واقعة فما أشك بأن الساعة اقتربت

فأي خطب به أحشاؤنا انصدعت وأي هول به ألبابنا سلبت

وأي دهر لقينا من نوائبه مالو على الشامخات الشم لانسربت

إنا الى الله من دنيا منغصة أيامها مستردات لما وهبت

أبدت عجائب لاتقوى العقول لها وأي نفس من الايام ما عجبت

هي التي لعبت جدت وفت غدرت

قست ألانت أبت دانت نأت قربت

كم رام أهل النهى من قبل أعصرنا صفواً لعيشهم من شوبها فأبت

---

(١) السلافة : ٢٤٤

وكم أرادوا بإدراك ومعرفة تقويم منآدها بالرأي فاضطربت

فما نرجي وقد ولت بشاشتها وأوجه الأنس من لذاتها شحبت

ما بعد منظر بيت الله منهدماً تلقى حشاشة حر في البقا رغبت

فأي عين على ما كان ما انسكبت

وأي روح على ما صار ما وصبت ؟

لهفي على كعبة الله التي افترقت أحجارها بعدما في حبها اصطحبت

لهفي على تلكم الأحجار كيف هوت

وكيف أهوت حصاة القلب إذ قُلبت؟!

لهفي على تلكم الأستار كيف غدت

أيدي سبا وبوحل السحب قد سحبت

لهفي على تلكم الآثار كيف عفت

وكيف شادت ربوع الحزن إذ خرجت

لهفي على تلكم الأطفال كيف قضت

وكيف جذت حبال الوصل واقتضبت

لهفي على تلكم الأقار ما شرقت بالماء إلا بآفاق الثرى غربت

لهفي ولست لعمري منشداً أبدا سقى منى وليالي الخيف ما شربت

فكم بأكنافها من مهجة ذهبت وكم جنوب على ساحتها وجبت

وكم بذلك من ذكرى ومعتبرٍ لمن تذكر لكن النهى عزبت

يا خالق الخلق عفواً عن جرائمنا فخوف أنفسنا مما قد ارتكبت

وقوله من صدر قصيدة :

قف بالمعاهد من ميثاء ملحوب   شرقي كاظمة فالجزع فاللوب[١]

واستلمح البرق إذ تهفو لوامعه   على النقاهل سقى حي الأعاريب

يا حبذا إذ بدا يفتر مبتسماً   أعلى الثنية من شم الشناخيب

والجو مضطرم الأحشاء يحسبه   برداً أصيب حواشيه بالهوب

يا بارقاً لاح وهناً من ديارهمُ   كأنه حين يهفو قلب مرعوب

أذكرتني معهداً كنا بجيرته   نستقصر الدهر من حسن ومن طيب

لم أنس بالتلعات الجون موقفنا   والحي ما بين تقويض وتطنيب

وقد بدا لعيون الصب سرب ظباً   حفت بظبي ببيض الهند محجوب

لم تبد تلك الدمى إلا لسفك دمي   ولا العذاب اللمى إلا لتعذيبي

ومن قوله :

أذكى بقلبي لاعج الأشجان   برق أضاء على ربى نعمان[٢]

أجرى مدامع مقلتي أورى زنا   د صبابتي أشجى فؤادي العاني

ما شاقني إلا لكون وميضه   بربى الهوى ومعاهد الخلان

يا برق جد بالدمع في أطلالهم   عني فسح الدمع قد أعياني

لم أسأل الأجفان سقي عهودهم   إلا وجادت لي بأحمر قان

واهاً لأيام العذيب إذ اللوى   وطني وسكان الحمى جيراني

إذ كنت طوعاً للهوى واللهو في   ظل الشبيبة ساحب الأردان

---

(١) السلافة : ٢٤٥

(٢) السلافة : ٢٤٦

تشجيني الورقاء إن صدحت على تلك الغصون بنغمة الألحان
ويشوقني بان النقا وحلول وا ديه وحسن الدار بالسكان

ومن قوله :

الا لا تغضبن لمن تعالي ولا تبد الوداد لمن جفاكا[1]
ولا تر للرجال عليك حقاً إذا هم لم يروا لك مثل ذاكا

وممن ذكر صاحب « السلافة » السيد حسن بن شدقم الحسيني المدني ، قال في حقه : واحد السادة ، وأحد الساسة في دست الرياسة ، جمع إلى شرف العلم عز الجاه ، ونال من خيري الدنيا والآخرة مرتجاه ، وله شعر بديع فائق ، كأنه اقتطفه من أزهار تلك الحدائق ، فمنه قوله حين أنف من مقامه في وطنه بين أقوامه وعطنه :

وليس غريباً من نأى عن دياره إذا كان ذا مال وينسب للفضل[2]
وإني غريب بين سكان طيبة وإن كنت ذا علم ومال وفي أهلي
وليس ذهاب الروح يوماً منية ولكن ذهاب الروح في عدم الشكل

وهو من قول البستي :

وإني غريب بين بست وأهلها وان كان فيها جيرتي وبها أهلي
وما غربة الإنسان في شقة النوى ولكنها والله في عدم الشكل

ولمؤلف « السلافة » من أبيات في هذا المعنى :

وإني غريب بين قومي وجيرتي وأهلي حتى ما كأنهم أهلي[3]

---

(١) السلافة : ٢٤٧

(٢) و(٣) السلافة : ٢٥٠

وليس غريب الدار من راح نائياً عن الأهل لكن من غدا نائي الشكل

فمن لي بخل في الزمان مشاكل ألف به من بعد طول النوى شملي

ومن شعر السيد المذكور :

لا بد للانسان من صاحب يبدي له المكنون من سره

فاصحب كريم الأصل ذا عفة تأمن إن عاداك من شره

ونقل أيضاً عن ابنه السيد محمد بن حسن بن شدقم الحسيني ، قال في حقه : فرع ثبت أصله فنما ، وزكا جداً وأبا وابنما ، طابت بطيبة مغارس جدوده وآبائه ، وتفرعت بها مفارع مجده وآبائه ، فانفسحت خطاه في الفضائل والمآثر ، واذعن لأدبه كل ناظم وناثر ، له شعر غرد به ساجع براعته وصدح ، وأورى زناد البيان بحسن بلاغته وقدح ، فمنه قوله مذيلاً بيت أبي دهبل وهو قوله :

وأبرزتها بطحاء مكة بعد ما أصات المنادي بالصلاة فاعتما[1]

فأرج أرجاء المعرف عرفها وأضوى ضياها الزبرقان المعظما

وحيا محياها الملبون وانتشى بنشر محياها الممنع واللمى

وروض منها كل أرض مشت بها تجر التصابي بين أترابها الدمى

هي الشمس إلا أن فاحمها الدجى هي البدر لكن لا يزال متمما

تجول مياه الحسن في وجناتها وتمنع سلسال الرضاب أخا الظما

---

(١) السلافة : ٢٥٠

وتسلب يقظان الفؤاد رشاده وتكسو رداء الحسن جسماً منعما
مهاة تصيد الأسد سهم لحاظها ومن عجب صيد الغزاله ضيغما
يعللني ذكر الحمى مترنم وما شغفي لولا الغزالة بالحمى
وأصبوا لنجدي الرياح تعللا ومن فقد الماء الطهور تيمما

وقد اقتفى السيد المذكور في هذه الأبيات أثر الشريف الرضي قال رحمه الله في كتابه « الدرر والغرر » : ذاكرني بعض الاصدقاء يقول أبي دهبل :

وأبرزتها بطحاء مكة بعدما أصات المنادي بالصلاة فاعتما

وسألني إجازة هذا البيت بابيات تنضم إليه وأن أجعل الكناية عن امرأة لا عن ناقة فقلت في الحال :

فطيب رياها المقام وضوأت باشراقها بين الحطيم وزمزما[1]
فيا رب إن لقيت وجها تحية فحي وجوهاً بالمدينة سهما
تجافين عن مس الدهان وطالما عصمن عن الحناء كفاً ومعصما
وكم من جليد لا يخامره الهوى فشن عليه الوجد حتى تتيما
أهان لهن النفس وهي كريمة وألقى اليهن الحديث المكتما
تسفهت لما أن مررت بدارها وعوجلت دون الحلم أن أتحلما
ويوم وقفنا للوداع وكلنا يعد مطيع الشوق من كان أحزما
نظرت بقلب لا يعنف في الهوى
وعين متى استمطرتها قطرت دما

---

(١) السلافة : ٢٥١

قال مؤلف « السلافة » : وقلت أنا ناسجا على هذا المنوال :

وابرزتها بطحاء مكة بعدما اصات المنادي بالصلاة فاعتما[١]

فضوأ أكناف الحجون ضياؤها وأشرق بين المأزمين وزمزما

ولما سرت الركب نفحة طيبها تغنى بها حاديهم وترنما

وشام محياها الحجيج على السرى فيمم مغناها ولبى وأحرما

أناة هي الشمس المنيرة في الضحى ولكنها تبدو إذا الليل أظلما

تعلم منها الغصن عطفة قدها وما كان أحرى الغصن أن يتعلما

وأسفر عنها الصبح لما تلثمت ولو أسفرت للصبح يوماً تلثما

إذا مارنت لحظاً وماست تأوداً فما ظبية الجرعا وما بانة الحمى

تراءت على بعد فكبر ذو التقى ولاحت على قرب فصلى وسلما

وكم حللت بالصد قتل أخي هوى وكان يرى قبل الصدود محرما

وظنت فؤادي خاليا فرمت به هوى عاد دائي منه أدهى وأعظما

ولو أنها أبقت علي أطقته ولكنها لم تبق لحما ولا دما

قال وأنشدني الشيخ أحمد الجوهري لنفسه :

وأبرزتها بطحاء مكة بعدما أصات المنادي بالصلاة فاعتما[٢]

فشاهدت من لو أبصر البدر وجهها لكان به مضنى ولوعاً ومغرما

ولو عرضت ركب الحجيج تعده للبى لما يدعو هواها وأحرما

---

(١) السلافة : ٢٥١

(٢) السلافة : ٢٥٢

وعرف بالكثبان من عرصاتها وقال منى من دارها حين خيما

فلا تعذلوا في حب ظمياء إنها لها مبسم يشفي الفؤآد من الظما

وأعذب من صوب الغمامة مرشفاً
وأضوأ من لمع البروق تبسما

وأجمل من ليلى وسلمى وعزة وسعدى ولبنى والرباب وكلثما

وكم ملك في قومه كان قاهراً فأضحى ذليلاً في هواها متيما

يدين لما تهوى مطيعاً لأمرها وإن ظلمته لم يكن متظلما

فظل الملوك الصيد تعثر بالثرى إذا قاربوا أو شاهدوا ذلك الحمى

قال : وأما بيت أبي دهبل المذيل عليه فهو ،من قصيدة له يصف فيها ناقته وهي قوله :

الا علق القلب المتيم كلثما لجاجا فلم يلزم من الحب ملزما[1]

خرجت بها من بطن مكة بعدما أصات المنادي بالصلاة فاعتما

فما نام من داع ولا ارتد سامر من الحي حتى جاوزت بي يلملما

ومرت ببطن البث تهوي كأنما تبادر بالإدلاج نهباً مقسما

وجازت على البزواء والليل كاسر
جناحين بالبزواء ورداً وأدهما

فماذر قرن الشمس حتى تبينت بعليب نخلاً مشرفاً ومخيما

ومرت على أشطان دوقة بالضحى فما حدرت للماء عيناً ولا فما

وما شربت حتى ثنيت زمامها وخفت عليها أن تخر وتكلما

---

(١) السلافة : ٢٥٢

فقلت لها قد نلت غير ذميمة　　وأصبح وادي البرك غيثاً مديما

شعر

ابن النحاس

وممن نقل عنه صاحب « السلافة » الشيخ فتح الله ابن النحاس المدني قال في حقه : هو ناظم قلائد العقيان ، وفاضح نغمات القيان ، الشاعر الساحر والباهر بما هو ألذ من الغمض في مقلة الساهر ، فهو صانع إبريز القريض ، وإن عرف بابن النحاس ، ومسترق حر الكلام فما أشعار عبد بني الحسحاس ، والمبرز في الأدب على من درج ودب ، وحسبك من لقبه الأدباء بمحك الأدب ،ولو لم تكن له إلا حائيته التي سارت بها الركبان ، وطارت شهرتها بخوافي النسور ، وقوادم العقبان لكفته دلالة على أناقة قدره ، وإشراق شمسه في سماء البلاغة وبدره ، وله ديوان شعر لم أره ، ولكني سمعت خبره وقصيدته المشار اليها هي قوله في الأمير محمد بن فروخ أمير حاج الشام :

بات ساجي الطرف والشوق يلمح
والدجى إن يمض جنح جاء جنح[1]
فكأن الشرق باب للدجى　　ماله خوف هجوم الصبح فتح
يقدح النجم لعيني شرراً　　ولزند الشوق في الاحشاء قدح

---

(١) السلافة: ٢٧٧

لاتسل عن حال أرباب الهوى يا ابن ودي ما لهذا الحال شرح

لستُ أشكو حال جفني والكرى

إن يكن بيني وبين النوم صلح

إنما حلي المحبين البكا أي فضل لسحاب لا يسح

يا ندماي وأيام الصبا هل لنا رجع وهل للعمر فسحُ

صبحتك المزن يا دار اللوى كان لي فيها خلاعات وشطح

حيث لي شغل بأجفان الظبا ولقلبي مرهم منها وجرح

كل عيش ينقضي مالم يكن مع مليح ما لذاك العيش ملح

وبذات الطلح لي من عالج وقفة أذكرها ما اخضل طلح

حيث منا الركب بالركب التقى

وقضى حاجاته الشوقُ الملح

لا أذم العيس للعيس يد في تلاقينا وللأسفار نجح

قربت منا فماً نحو فمٍ واعتنقنا فالتقى كشح وكشح

وتزودت شذاً من مرشفٍ بفمي منه إلى ذا اليوم نفح

وتعاهدنا على كأس اللمى انني ما دمت حياً لست أصحو

يا ترى هل عند من قد رحلوا

أن عيشي بعدهم كد وكدح

كم أداوي القلب قلّت حيلتي كلما داويت جرحاً سال جرح

ولكم أدعو ومالي سامع فكأني كلما أدعو أبحّ

حسنوا القول وقالوا غربة إنما الغربة للأحرار ذبح

أشتكي برح الجوى إن لم يرى كابن فروخ فتى لم يشك برح
أين من كان لعاب سيفه ماله إلا بأعلى القرن مسح
فإذا قيل ابن فروخ أتى سقطوا لو أن ذاك القول مزح
كل من أسهره من رعيه نومه اليوم بظل السيف سدح
بأبي أفدي أميري إنه صادق القول نقي العرض سمح
كل ما قد قيل من ترجيحه في الندى أو في الوغى فهو الأصح
كم طروس بالقنا يكتبها وسطور بلسان السيف يمحو
يا عروس الخيل والسيف له من قراع الخيل والأبطال صدح
يا رجال الخيل والحرب لها في حياض الموت بالأبطال سبح
خط سيف الجود في حظي الذي هو كالدهر يمني ويشح
وانتقذني واتخذني بلبلاً صدحه بين يدي علياك مدح
طالع الأدبار مالي وله إن يكن من كوكب الإقبال لمح
كل بيت في العلى أنحته من نضيد الدر والياقوت صرح
ناطق عني بالفضل الذي إن يبارى فله في الفوز قدح
بقواف كسقيط الطل أو إنها من وجنات الغيد رشح
خلقت طوع يدي كيما ترى لا كمن يتبعها وهي تشح

وله أيضاً :

رأى اللوم من كل الجهات فراعهُ
فلا تنكروا إعراضه وامتناعهُ[1]

---

(١) السلافة : ٢٧٨

ولا تسألوه عن فؤادي فإنني علمت يقيناً أنـه قد أضاعـه

له الله ظبياً كلّ شيء يروعـه فياليت لي شيئاً يزيل ارتياعه

وياليته لو كان من أول الهوى أطاع عذولي واكتفينا نزاعـه

فما راشنـا بالسوء إلا لسانـه وما خرب الدنيا سوى ما أشاعه

أشـاع الذي أغرى بنـا ألسن العدى

وطـير عـن وجـه التغالي قنـاعـه

وأصبح من أهوى على فيه قفلة يكتم خوف الشامتين انفجاعه

وآلى على أن لا أقـيم بأرضـه وأحرمني يوم الفراق وداعـه

فرحت وسيري خطوة والتفاتة إلى فائت منه أرجي ارتجاعـه

ذرعت الفلا شرقاً وغرباً لأجله وصيرت أخفاف المطي ذراعـه

فلم يبق أرض ما وطئت بساطها ولم يبق بحر ما رفعت شراعـه

كأني ضمير كنت في خاطر النوي أحاط به واشي السرى فأذاعـه

أخلاي من دار الهوى زارها الحيا ومدّ إليهـا صالح الغيث باعـه

بعيشكم عوجوا على من أضاعني وحيوه عني ثم حيوا رباعـه

وقولوا فلان أوحشتنا نكاته وما كان أحلى شعره وابتداعه

فتى كان كالبنيان حولك واقفاً فليتك بالحسنى طلبت اندفاعـه

أبحت العدى سمعاً فلا كانت العدى متى وجدوا خرقاً أحبوا اتساعه

فكنت كذي عبد هو الرجل والعصى

تجـنى بـلا ذنب عليـه فباعـه

لكل هوى واش وإن ضعضع الهوى
فلا تلم الواشي ولُم من أطاعه

إذا كنت تسقى الشهد ممن تحبه
فدع كل ذي عذل يبيع فقاعه

وقولوا رأينا من حمدت افتراقه
ولم ترنا من لم تذم اجتماعه

وإني الذي كالسيف حداً وجوهراً
لمن رام يبلو ضره وانتفاعه

وما كنتما إلا يراعا وكاتباً
فملَّ وألقى في التراب يراعه

فإن أطرق الغضبان أو خط في الثرى
فقولوا فقد ألقى إليكم سماعه

وقال مضمناً :

لايدعي بدر لوجهك نسبةً
فأخاف أن يسودَّ وجه المدعي [1]

والشمس لو علمت بأنك دونها
هبطت إليك من المحل الأرفع

وله يمدح بعض أكارم عصره :

إلام انتظاري للوصال ولا وصل
وحتام لا تدنو إلي ولا أسلو ؟ [2]

وبين ضلوعي زفرة لو تبوأت
فؤادك ما أيقنت أن الهوى سهل

جميلاً بصب زاده النأيُ صبوة
ورفقاً بقلب مسه بعدك الخبل

إذا طرفت منك العيون بنظرة
فأيسر شيءٍ عند عاشقك القتل

أمنعمة بالزورة الطيبة التي
بخلخالها حلم وفي قُرطها جهل

ومن كلما جردتها من ثيابها
كساها ثياباً غيرها الفاحم الجثل

---

(١) السلافة : ٢٧٩

(٢) السلافة : ٢٨٢

سقى المزن أقواماً بوعساء رامةٍ لقد عطلت بيني وبينهم السبل

وحيّا زماناً كلما جئت طارقا سليمى أجابتني إلى وصلها جمل

تود ولا أصبو وتوفي ولا أفي وأنأى ولا تنأى وأسلو ولا تسلو

إذ الغصن غضُّ والشباب بمائه وجيد الرضى من كل ناتئةٍ عطل

ومن خشية النار التي فوق وجنتي تقاصر أن يدنو بعارضي النمل

بروحي من ودعتها ومدامعي

كسمط جمان جن من سمطه الحبل

كأنَّ قلاص المالكية نوخت على مدمعي فارفض من مدره الإبل

وما ضربت تلك الخيام بعالج لقصد سوى أن لا يصاحبني العقل

وجدب كأن العيس فيه إذا خطت تسابق ظلاً أو يسابقها الظل

يسمن بنا الانضاء حتى كأننا جياد رحى أو أرضنا معنا قفل

إذا عرضت لي من بلادٍ مذلة فأيسر شيء عندي الوخد والرحل

وليس اعتساف البيد عن مربع الأذى

بذل ولكن المقام هو الذل

وما أنا ممن إن جهلن خلاله أقامت به القامات والأعين النجل

وكل رياض جئتها لي مرتع وكل أناس أكرموني هم الأصل

ولي باعتمادي أبلج الوجه راشد عن الشغل في آثار هذا الورى شغل

همام رست للمجد في جنب عزمه جبال جبال المجد في جنبها سهل

وليث هياج ما عيين جفونه من الكحل إلا والعجاج لها كحل

يقوم مقام الجيش إن غاب جيشه ... ويغمد حد النصل إن غمد النصل

زكت شرفاً أعراقه وفروعه ... وطابت لنا منه الفضائل والفعل

إذا لم يكن فعل الأمير كأصله ... كريماً فما تغني المناسب والأصل

من النفر الغر الذين تأنفوا ... مدى الدهر أن يأتي ديارهم البخل

كرام إذا راموا فطام وليدهم ... من الثدي خطوا البخل فانفطم الطفل

ليوث إذا صالوا غيوث إذا همَوا ... بحور إذا جادوا سيوف إذا سلوا

وإن خطبوا مجداً فإن سيوفهم ... مهور وأطوار القنا لهم رسل

إذا قفلوا تنأى العلى حيث ما نأوا ... وإن نزلوا حل الندى حيثما حلّوا

توالت على كسب الثناءِ طباعهم ... وأعراضهم حرم وأموالهم حل

أمولاي إن تمضي فغيض سما العدى ... وقامت قناة الدين وانتشر الفضل

وإن يك قد أفضى الزمان بسالم ... فإنك روض الوبل إن ذهب الوبل

إليك ارتمت فينا قلاص كأنها ... قسي بأسفار كأنهم نبل

وما زجر الأنضاء سوطي وإنما ... إليك بلا سوق تساوقت الإبل

وكل لحاظ لست إنسانها قذى ... وكل بلاد لست صيبها محل

قال صاحب « السلافة » وقد لمحت في أول الترجمة بقولي فما أشعار عبد بني الحسحاس لقوله :

أشعار عبد بني الحسحاس قمن له ... يوم الفخار مقام الأصل والورق[1]

---

(١) السلافة : ٢٨٥

إن كنت عبداً فنفسي حرة كرماً   أو أسود الخلق اني أبيض الخلق

وعبد بني الحسحاس هذا : هو سحيم ، وكان عبداً أسود نوبيا ، مطبوعاً في الشعر ، اشتراه بنو الحسحاس ، فنسب إليهم ، وهم بطن من بني أسد ، وقد أدرك النبي ﷺ ، ويقال : إنه تمثل من شعره بكلمة غير موزونة ، وهي : كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهياً . فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : يا رسول الله إنما قال الشاعر : كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً ، فجعل لا يطيق ، فقال أبو بكر : أشهد أنك رسول الله ، وما علمناه الشعر وما ينبغي له .

ويقال : إنه أنشد عمر رضي الله عنه قوله :

عميرة ودع إن تجهزت غادياً   كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

فقال له عمر رضي الله عنه : لو قلت شعرك كله مثل هذا لأعطيتك عليه .

وعن محمد بن سلام قال : كان عبد بني الحسحاس حلو الشعر رقيق الحواشي وفي سواده يقول :

وما ضر أثوابي سوادي وإنني   لكالمسك لا يسلو عن المسك ذائقهُ

كسيت قميصاً ذا سواد وتحته   قميص من الإحسان بيضٌ بنائقه

وعن أبي مسهر ، قال : أخبرني بعض الأعراب أن أول ما تكلم به عبد بني الحسحاس من الشعر أنه أرسلوه رائداً فجاء وهو يقول :

أنعتُ غيثاً حسناً نباته   كالحبشي حوله بناته

فقالوا : شاعر والله ، ثم نطق بالشعر بعد ذلك .

قال محمد بن سلام : أتي عثمان رضي الله عنه بعبد بني الحسحاس

ليشتريه ، فأعجب به ، فقيل له : إنه شاعر . وأرادوا أن يرغبوه فيه ، فقال : لا حاجة لي فيه إذ الشاعر لا حريم له إن شبع شبب بنساء أهله ، وإن جاع هجاهم ، فاشتراه غيره ، فلما رحل به قال في طريقه :

أشوقاً ولما تمض لي غير ليلة فكيف إذا سار المطي بنا شهراً[1]

وما كنت أخشى مالكاً أن يبيعني بشيء ولو أضحت أنامله صفرا

أخوكم ومولاكم وصاحب سركم ومن قد ثوى فيكم وعاشركم دهرا

فلما بلغهم شعره ، رثوا له ، واستردوه ، وكان يشبب بنسائهم حتى قال :

ولقد تحدر من جبين فتاتكم عرق على متن الفراش وطيب

فقتلوه والله اعلم .

ومن ترجم له صاحب « السلافة » الشيخ حسن بن الشهيد الشامي العاملي ، قال في حقه : هو شيخ المشايخ الجلة ، ورئيس المذهب والملة ، الواضح الطريق والسنن المحقق ، لا يراع له يراع ، والمدقق الذي راق فضله وراع المتفنن في جميع الفنون ، والمفتخر به الآباء والبنون ، وأما الأدب فهو روضه الأريض ، ومالك ذمام السجع منه والقريض ، والناظم قلائده وعقوده ، والمميز عروضه من نقوده وسأثبت منه ما يزدهيك إحسانه وتعطيك خرائده وحسانه .

---

(١) السلافة : ٢٨٦

فمن ذلك قوله :

طول اغترابي بفرط الشوق أضناني ... والبين في غمرات الوجد ألقاني[1]

فما رأيتك بالآفاق معترضاً ... إلا وذكرتني أهلي وأوطاني

ولا سمعت شجا الورقاء نائحة ... في الأيك إلا وشبت منه نيراني

كم ليلة من ليالي البين بت بها ... أرعى النجوم بطرفي وهي ترعاني

كأن ايدي خطوب الدهر منذ نأوا ... عن ناظري كحلت بالسهد أجفاني

ويا نسيماً سرى من حيهم سحراً ... في طيه نشر ذاك الرند والبان

أحييت ميتاً بأرض الشام مهجته ... وفي العراق لـه تخييل جثمان

وكم حييت وكم قد مت من شجن ... ما ذاك أول إحيائي ولا الثاني

شابت نواصي من وجدي فوا أسفي ... على الشباب فشيبي قبل إباني

يا لائمي وبهذا اللوم تزعجني ... دعني فلومك قد والله أغراني

لا يسكن الوجد ما دام الشتات ولا ... تصفو المشارب لي إلا بلبنان

في ربع أنسي الذي حل الشباب به ... تمائمي وبـه صحبي وخلاني

كم قد عهدت بهاتيك المعاهد من ... إخوان صدق لعمري أي إخوان

وكم تقضت لنا بالحي آونة ... على المسرة في كرم وبستان

---

(١) السلافة : ٣٠٥

لم أدر حال النوى حتى علقت به فغمرتني من وقوعي قبل عرفاني

حتام دهري على ذا الهون تمسكني

هلا جنحت لتسريحي بإحسان

أقسمت لولا رجاء القرب يسعفني

فكلما مت بالأشواق أحياني

لكدت أقضي بها نحبي ولا عجب

كم أهلك الوجد من شيب وشبان

يا جيرة الحي قلبي بعد بعدكم في حيرة بين أوصاب وأحزان

يمضي الزمان عليه وهو ملتزم بحبكم لم يدنسه بسلوان

باق على العهد راع للزمام فما يسوم عهدكم يوماً بنسيان

فإن براني سقامي أو نأى رشدي فلا عج الشوق أوهاني وألهاني

وإن بكت مقلتي يوم الفراق دماً فمن تذكركم ياخير جيران

وقوله وهو من محاسن شعره :

فؤادي ظاعن إثر النياق وجسمي قاطن أرض العراق[1]

ومن عجب الزمان حياة شخص ترحل بعضه والبعض باق

وحل السقم في بدني فأمسى له ليل النوى ليل المحاق

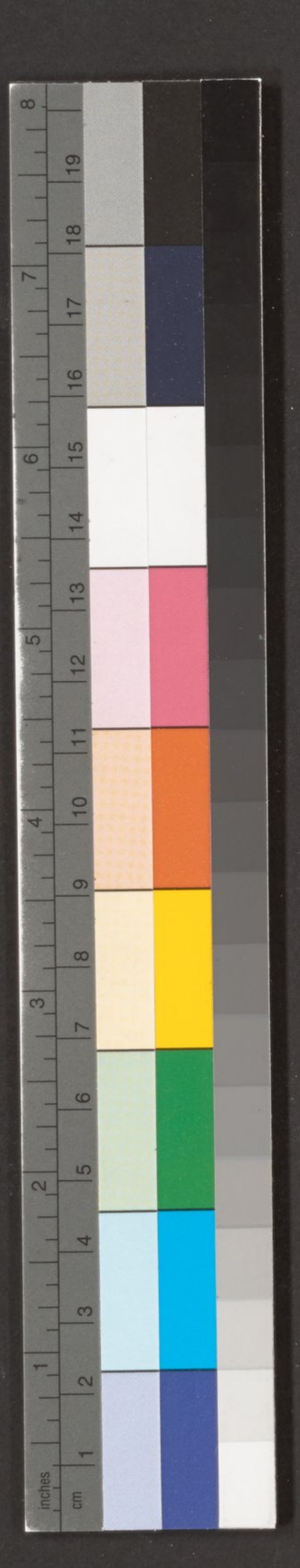
وصبري راحل عما قليل لشدة لوعتي ولظى اشتياقي

وفرط الوجد أصبح بي خليعاً ولما ينو في الدنيا فراقي

وتبعث ناره في الروح حيناً فيوشك أن تبلغها التراقي

واظمأني النوى وأراق دمعي فلا أروى ولا دمعي براق

(١) السلافة : ٣٠٦



وقيدني على حـال شديد ... فمـا حرز الرقى منـه بواق

أبى الله المهيمن أن تراني ... عيون الخلق محلول الوثاق

أبيت مدى الزمان لنار وجدي ... على جمر يزيد بـه احتراقي

وما عيش امرىءٍ في بحرغم ... يضاهي كربه كرب السياق

يود من الزمان صفـاء يوم ... يلوذ بظله ممـا يلاقي

سقتني نائبات الدهر كأساً ... مريراً من أباريق الفراق

ولم يخطر ببالي قبل هـذا ... لفوط الجهل أن الدهر ساقي

وفاض الكأس بعد البين حتى ... لعمري قد جرت منه السواقي

فليس لداء ما ألقى دواء ... يؤمك نفعـه إلا التلاقي

وممن نقل عنه صاحب « السلافة » الشيخ زين الدين بن الشيخ محمد حسن الشامي العاملي قال في حقه : زين الأئمة ، وكاشف الغمة ، شرح الله صدره للعلوم ، وبنى له من رفيع الذكر صرحـاً مع زهد أسس بنيانه على التقوى ، وصلاح أهل به ربعه فما اقوى ، وآداب تحمرخدود الورد من أنفاسها خجلاً ، وشيم أوضح بها غوامض مكارم الأخلاق وجلا ، رأيته بمكة المشرفة شرفهـا الله تعالى ، والفلاح يشرق من محيـاه ، وطيب الأعراق يفوح من نشر رياه ، ومـا طالت مجـاورته بهـا حتى وافاه ، وانتقل من جوار حرم الله إلى جوار الله عز وجـل توفي سنة ١٠٦٢ اثنتين وستين وألف رحمه الله تعـالى ؛ وله شعر خلب به العقول وسحر ، وحدث رقته أنفاس نسيم السحر ، فمن ذلك ما كتبه إلى الوالد من مكة المشرفة مادحاً له وذلك سنة ١٠٦١ :

شام برقاً لاح بالأبرق وهنـا ... فصبا شوقاً إلى الجزع وحنا[1]

وجرى ذكر أثيلات النقـا ... فشكى من لاعج الوجد وأنّ

دنف قد عاقه صرف النوى ... وخطوب الدهر عمـا يتمنى

شفه الشوق إلى بان اللوى ... فغدا منهمل الدمع معنى

أسلمته الردى أيدي الأسى ... عندمـا أحسن بالايام ظنـا

طالمـا أمل المنام الكرى ... طمعاً في زورة الطيف وأنى

كلما جن الدجى حن إلى ... زمن الوصل فأبدى ما أجنا

وإذا هب نسيم من ربا ... حاجر أهدى له سقماً وحزنا

يا عريبـاً بالحمى لولاكم ... ما صبا قلبي إلى ربع ومغنى

كان لي صبر فأوهاه النوى ... بعدكم يا جيرة الحي وأفنى

قاتل الله النوى كم قرحت ... كبداً من ألم الشوق وجفنـا

كدرت مورد لذاتي ومـا ... تركت لي من جميل الصبر ركنا

قطعت أفـلاذ قلبي والحشـا ... وكستني من جليل السقم وهنا

فإلى كم أشتكي جور النوى ... وأقاسي من هوى ليلى ولبنى

قد صحا قلبي من سكر الهوى ... بعدما أزعجه السكر وعنى

ونهاني عن هوى الغيد النهى ... وحباني الشيب إحساناً وحسنا

وتفرغت إلى مدح فتى ... سنة المعروف والإفضال سنا

يجد الربح سوى نيل العلى ... في طلاب المجد خسراناً وغبنا

---

(١) السلافة : ٣٠٨

لم يزل في كل حين بابـه مأمناً من نوب الدهر وحصنا

غمرت سحب أياديـه الورى نعمـاً فهو للفظ الجود معنى

ورث السؤدد عن آبائـه مثل ما قد ورثوا بطناً فبطنا

حل من أوج العلى مرتبة صار منهـا النسر والعيوق أدنى

تهزأ الأقـلام في راحته برمـاح الخط لما تتثنى

جـادنا من راحتيه سحب تمطر العسجد لا مـاء ومزنا

يا عمـاد المجد يا من لم تزل من معاليه ثمـار الفضل تجنى

عضني الدهر بأنياب الأسى تركتني في يد الأسواء رهنا

هائماً في لجة الفكر ولي جسد أنحله الشوق وأضنى

كلـما لاح لعيني بارق من نواحي الشام أضناني وعنى

ركبت آمالنـا شوقاً إلى ورد إنعامك والانضاء سفنـا

بعـدمـا أنحلت العيس السرى وأبادت في فيـافي البيد بـدنا

وبأكنافـك يا كهف الورى من تصـاريف صروف الدهر لذنا

ونهني مجدك العـالي بمـا حـازه بل كلما حاز تهنى

وابق يامولى الموالي بالغـاً من مقامات العلى ماتتمنى

ومن قوله أيضاً :

سئمت لفرط تنقلي البيداء وشكت لعظم ترحلي الانضاء[1]

---

(١) السلافة : ٣٠٩

ما إن أرى في الدهر غير مودع　　خلاً وتوديع الخليل عناء

أبلى النوى جلدي وأوقد في الحشا　　نيران وجد ما لها إطفاء

فقدت لطول البين عيني ماءها　　فبكاؤها بدل الدموع دماء

فارقت أوطاني وأهل مودتي　　وخرائداً غيداً لهن وفاء

من كل مائسة القوام إذا بدت　　لجمال بهجتها تغار ذكاء [1]

ما أسفرت والليل مرخ ستره　　إلا تهتك دونها الظلماء

ترمي القلوب بأسهم تصمي وما　　لجراحهن سوى الوصال دواء

شمس تغار لها الشموس مضيئة　　ولها قلوب العاشقين سماء

هيفاء تختلس القلوب إذا رنت　　فكأنما لحظاتها الصهباء

ومعاشر ما شأن صدق ولائهم　　نقض العهود ولا الوداد مراء

ما كنت أحسب قبل يوم فراقهم　　أن سوف يقضى بعد ذاك بقاء

فسقى ثرى وادي دمشق وجادها　　من هاطل المزن الملث حياء

فيها أهيل مودتي وبتربها　　لجليل وجدي والسقام شفاء

ورعى لياليها التي في ظلها　　سلفت ومقلة دهرنا عمياء

أترى الزمان يجود لي بإيابها　　ويتاح لي بعد البعاد لقاء

فإلى متى يا دهر تصدع بالنوى　　أعشار قلب ما لهن قواء؟

---

(١) ذكاء اي الشمس (جامع الكتاب)

وتسومني منك المقام بذلة ولهمتي عما تسوم إباء
فأجابني لولا التغرب ما ارتقى رتب المكارم قبلك الآباء
فاصبر على مر الخطوب فإنما من دون كل مسرة ضراء
واترك تذكرك الشآم فإنما دون الشآم وأهلها بيداء

شعر

الحرفوشي

وممن نقل عنه صاحب « السلافة » الشيخ محمد بن علي ابن الحرفوشي الحويزي العاملي الشامي ، قال في حقه : منار العلم السامي وملتزم كعبة الفضل وركنها الشامي ، مشكاة الفضائل ، ومصباحها المنير به مساؤها وصباحها ، خاتمة أئمة العربية شرقاً وغرباً ، والمرهف من كهام الكلام شبأ وغربا ، أماط عن المشكلات ثيابها ، وذلل صعبها ، وملك رقابها ألف بتآليفه شتات الفنون ، وصنف بتصانيفه الدر المكنون إلى زهد فاق به خشوعاً وإخباتا ، ووقار لا توازيه الرواسي ثباتا ، وتأله ليس لابن أدهم غرره وأوضاحه ، وتقدس ليس للسري سره وإيضاحه ، وهو شيخ شيوخنا الذي عادت علينا بركات أنفاسه ، واستضأنا بواسطة من ضيا نبراسه ، وله الأدب الذي اينعت ثمار رياضه ، وتبسمت أزهار حدائقه وغياضه ، فمن مطرب كلامه الذي سجعت به على الأغصان أنامله على أقلامه ، قوله مادحاً شيخه شرف الدين الدمشقي سنة ١٠٢٦ ست وعشرين وألف :

إذا ما منحت جفوني القرار فمر طارق الطيف يدني المزارا[1]
فعلك تثلج قلباً به تأجج وجداً وزاد استعارا
وانى يزور فتى قد براه سقام يمضُ ولو زار حارا
خليلي عوجا على رامة لأنظر سلعاً وتلك الديارا
وعج بي على ربع من قدنأى لأسكب فيه الدموع الغزارا
فقلبي من يوم زم المطي ترحل عني إلى حيث سارا
فهل ناشد لي وادي العقيق عنه فإني عدمت القرارا
بنفسي رشاً فاتك فاتن إذا ما تثنى يفوق العذارى
وإمَّا رنا باللحاظ انبرت قلوب الأنام لديه حيارى
ومن عجب أنها لم تزل تعاقب بالحد وهي السكارى
وأعجب من ذا رأينا بها انكساراً يقود إليها انتصارا
ولم أر من قبلها سافكاً دماءً ولم يخش في القتل ثارا
تعير الغزالة من وجهها ضياءً وتسلبُ منها النفارا
وتحمي بمرهف أجفانها جنياً من الورد والجلنارا
تملكتني عنوة والهوى إذا ما أغار الحذار الحذار
يرق العذول إذا ما رأى غرامي ويمنحني الاعتذارا
ومن رشقته سهام اللحاظ فقد عز برءاً وناء اصطبارا
حنانيك لست بأول من دعاه الغرام فلبى جهارا
ولا أنت أول صب جنى على نفسه حين أضحى جبارا
فرفقاً بقلبك واستبقه فقد حكم الوجد فيه وجارا

---

(١) السلافة : ٣١٦

وعـج من حديث الهوى واقرعن
إلى مدح من في العلى لا يجارى

إمـام توحد في المكرمات   ونال المعـالي والافتخارا
وأدرك شأو العـلى يافعـاً   والبس شانيه منه الصغارا
سمـا في الكلام إلى غايـة   وناهيك من غاية لا تبارى
مناقبه لا يطيق الذكـي   بياناً لمعشارها وانحصـارا
غدا كعبة لاقتداءِ الورى   وأضحى لباغي الكمال المنارا
إليـه المفـاخر منقـادة   أبت غيره أن يكون الوجارا
هو البحر لاينقضي وصفـه   فحدث عن البحر تلق اليسارا
إذا أظلم البحر من فكرة   توقد عـاد لديـه نهارا
يفيد لراجي المعـالي على   ويمنح عـافي نداه النضارا
وبكـر تجرر أذيالهـا   إليك دلالا وتسعى بدارا
أتتك من الحسن في مطرف   تثني قوامـاً أبى الاهتصارا
تضوع عبيراً وتختـال في   ملابس وشي أبت أن تعارا
تشكى إليك زمانـاً جـنى   عليها بنوه وخانوا الذمارا
وهموا بإطفـاءِ مقباسها   فلم يجدوا حين راموا اقتدار
فباؤوا بخفي حنين وقـد   علاهم خسار ونالوا بوارا

فكيف وانت الذي قـد قدحت
زناد ذكاها وأوقـدت نـارا

فهـاك عروسـاً ترجي بأن   يكون القبول لديها نثارا

ومنك إليك أتت إذ غدوت لهـا منشأً واضحاً والنجارا

ودم واحد الدهر فرد الورى تنال سمواً وتحوي وقـارا

مدى الدهر ما لاح شمس الضحى

وناوح بلبل روض هـزارا

وواصل صبـاً حبيب ومـا تذكر نجـداً فحن ادكارا

ومن قوله ما مدح به الفاضل الأديب عبد اللطيف المنقاري حيث يقول :

يا ليتهـا إن لم تجـد بوصال سمحت بوعد أو بطيف خيال [1]

جنحت لمارشق الوشاة ونمقوا من أنني سال ولست بسال

كيف السلو ولي فؤاد لم يزل لجحيم نـيران الصبابة صالي

ومدامع لولا زفيري لم يكن ينجو الورى من سحها المتوالي

ونحول جسم واحتمال مكاره وسهاد جفن وادكار ليـالي

فإلام أظمـأ في الهوى وموارد

فيـه سراب أو لموع الآل

ولم اختباري عن فؤادي كل من ألقى وقلبي عند ذات الخال

هيفاء رنحها الدلال فأخجلت هيف الغصون بقدها الميال

في خدها الورد الجني وثغرها يحوي لذيذ الشهد والجريال

حجبت محياها الجميل ببرقع كرقيق غيم فوق بدر كمال

ونضت من الأجفان بيض صوارم

ففرت بهن ولم تنـاد نزال

---

(١) السلافة : ٣٨١

فلكم عزيز يختشي من بأسهِ ‏ أضحى لديها في أشد وبال
وأخو الهوى يلفي المذلة عزة ‏ ومذال أهل الحب غير مذال
لله ليلة اقبلت بدجنةٍ ‏ فرقاً من الواشين والعذال
ووفت كاشاء الغرام وأنعمت ‏ بالقرب بعد تبرم ودلال
وحبت فؤادي بعدنار صدودها ‏ برد الوصال ومنتهى الآمال
فجنيت أوراد الخدود وطالما ‏ امتنعت علي وهيجت بلبالي
وبلغت منها ما يؤمل وامق ‏ ورهبت منها الوصل خوف زوال
حتى بدا الصبح المنير كأنه ‏ وجه الوحيد الماجد المفضال
عبد اللطيف الأريحي أخي الندى
بدر الدجى ذي النائل الهطّال
الألمعي اللوذعي الهبرزي ‏ الأوحدي محل كل كمال
الفاضل الحبر الهمام ومحرز ‏ قصبات سبق أواخر وأوالي
الكامل الندب المبين بفكره ‏ مالم يلح من غامض الإشكال
الواهب النعم الجسام ومانح العافي لجدواه جزيل نوال
الناظم الشعر الذي لو حلت الشعرى له وفته بعض معال
والغيد لو شاهدنه لبغينه ‏ عقداً يمسن به على الأمثال
أدب يروقك بهجة وشمائل ‏ فاقت نسيم صبا ولطف شمال
ومآثر مروية ومفاخر ‏ محوية بعزيمة ومقال
مهلا أمير الفضل ماذا تبتغي ‏ فقت الورى إذ كنت في الأطفال
أصبحت كعبة قاصد وملاذ من ‏ وافى علاك لحادث مغتال

أممت سدتك التي قد أصبحت مأوى الكمال ومعدن الإفضال

فانقادت الآمال نحوي وانبرت نحوي المطالب دون سبق سؤال

والدهر جاءك تائباً من حشده نحوي رعال الخطب إثر رعال

ودرى بأني قد لجأت لماجدٍ رحب الفناء مؤمل الإقبال

فإليك من درر النظام قصيدة جاءتك ترفل في رداء جمال

تمشي على مهل وتشكرك الذي أوليته من فضلك المنهال

ومتى يوفي بعض وصفك ناظم وإلى علاك مآل كل كمال

واسلم على مر الزمان مؤيداً جذلان ذا نعم موفر بال

ما أخلصت وداً صحيفة كاتب وتلا مديحاً في النوال التالي

شعر

ابن يوسف الشامي

وممن ترجم له صاحب « السلافة » الشيخ العلامة محمد بن علي بن محمود بن يوسف الشامي قال في حقه : هو الهمام البعيد الهمة ، المجلوة بأنواع علومه ظلم الجهل المدلهمة ، اللابس في مطارف الكمال أظرف حلة ، والحال من منازل الجلال في أشرف حلة ، وأطال الثناء عليه بما ليس فوقه مزيد ، إلى أن قال : وأما الأدب فعليه مداره ، وإليه مراده وإصداره ، ينشر منه ماهو أزكى من النشر في خلال النواسم بل أحلى من الظلم يترقرق في ثنايا المباسم ، وما الدر إلا ما انتظم من جواهر كلامه ، ولا السحر الحلال إلا ما نفثت به سواحر أقلامه ، وأقسم إني لم أسمع بعد شعر

مهيار والرضي ، أحسن من شعره المشرق المضي إن ذكرت الرقة فهو سوق رقيقها ، أو الجزالة ، فهو سفح عقيقها أو الانسجام فهو غيثه الصيب ، أو السهولة فهو نهجها الذي تنكبه أبو الطيب ، وسأثبت منه مايقوم بينه هـذه الدعوى ، وتهوي إليه أفئدة أولي الألباب وتهوى ، وإن صدف عن هـذا المذهب ذاهب فللناس فيما يعشقون مذاهب ،وها أنا أعتذر إليه من الايجاز في الثناء عليه فما سطرته لمحة مما أقفو :

ويا عجبا مني أحاول وصفه
وقد فنيت فيه القراطيس والصحف

وله علي من الحقوق الواجب شكرها ما يكل شبا يراعي عن ذكرها ، وهو شيخي الذي أخذت عنه في بدء حالي ، وأنضيت إلى موائد فوائده يعملات رحالي اشتغلت عليه فاشتغل بي ، وكان دأبه تهذيب أدبي ، ووهبني من فضله ما لا يضيع ، وحنا علي حنو الظئر على الرضيع ، ففرش لي حجر علومه ، وألقمني ثدي معلومه حتى شحذ من طبعي مرهفاً ، وبرى من نبعي مثقفاً ، فما يسفح به قلمي إنما هو من فيض بحاره ، وما ينفح به كلمي إنما هو من نسيم أسحار شعره :

ومن منائح مولانا مدائحه
لأن من زنده قدحي وإيرائي

ثم ذكر خبر ظهوره من الشام ، وأنه هاجر إلى الديار الأعجمية ، فأقام بها برهة محمود السيرة ، عاكفاً على بث العلم ونشره ، وأطال ، ثم قال : وهو اليوم يتحلى بفضل تشد إليه الرحال ، ويتحلى بأدب يروي الإمحال ، وينيف برتبة يقصر عنها كل متطاول :

وترجع أيدي الناس دون منالها
وأين الثريا من يد المتناول

وسأثبت من نظمه ما تتعلق به البلاغة وتتمسك ، ويتضوع به كافور الطروس ويتمسك ، وتحسد حسن اتساقه الثغور ، وتغار له نجوم السماء فتغور، فمن ذلك قوله في الغزل :

أنت ياشغل المحب الواجـد قبلة الداعي ووجـه القاصد[١]

فت" آرام الفلا حسناً فمـا قابلت إلا بطرف جامـد

شأن قلبينا إذا صح الهوى يا حيـاتي شأن' قلب واحد

أكثر الواشون فينـا قولهم ماعلينا من مقال الحـاسد

لست أصغي لأراجيف العدى من يغالي في المتاع الكاسد

وذكر له أشعاراً ضربت عن ذكرها لأجل الاختصار ، ونقلت منها قوله وهو في غاية الرقة :

أجدك شايعت الحنين المرجعا وغازلت غزلاناً على الخيف رتعا[٢]

وطالعت أقماراً على وجرة النقا وقد كنت أنهى العين أن تتطلعا

ولم أر مثل الغيد أعصى على الهوى ولا مثل قلبي للصبابة أطوعا

ومن شيمتي والصبر عندي شيمة مـتى أرم أطلالا بعيني تدمعا

وقور على يأس الهوى ورجائه فـما أتحسى الهم إلا تجرعـا

خليلي مـالي كلما لاح بارق تكاد حصاة القلب أن تتصدعا

طوى الهجر أسباب المودة بيننا فلم يبق في قوس التصبر منزعا

إلى الله كم أغضي الجفون على القذى

وأطوي على القلب الضلوع توجعـا

ألا حبـذا الطيف الذي قصر الدجى

وإن كان لا يلقـاك إلا مودعـا

---

(١) السلافة : ٣٢٥

(٢) السلافة : ٣٣١

ألم كحسوا الطير صادف منهلاً   فأزعجه داعي الصباح فأسرعا
وناضلته باللحظ حتى إذا رمى   بسطت له حبل الهوى فتورعا
قسمت صفايا الود بيني وبينهُ   سواء ولكني حفظت وضيعا
وحزّت نياط القلب أسباب نيةٍ   فلله قلبي ما أرق وأجزعا

ومن قوله :

راضتك أصعب ما تكون قيادا   وسلتك أهلع ما تكون فؤآدا[1]
لانت حصاتك في يدي متغطرس   أحنى عليك مع الهوى أو كادا
آلت عليك وفي أليتها الهوى   أن لا تمازح طيفها إن عادا
مرت تلاعب ظلها وتكاد من   فرط النشاة تلاعبُ الآرادا
طارت بلبك حيث طار بها الهوى   ورقاءُ قطَّع نوحها الأكبادا
غنتك أحوج ماتكون إلى البكا   « هل تحسنين لواجد إسعادا »
ما أنصف الطيف الذي جلب الهوى   أعزاكَ عزاً بالغرام فزادا
إن الذي روى الجفون من الكرى   أهدى إليك مع الخيال سهادا
ما راب عينك من تلون لمةٍ   لبست على فقد الشباب حدادا
كذب العذول العذر أصعب مركباً   لا تأس إن نقص العذول وزادا
ومُهوِّن للوجد عندي قال لي   والعيس تقدح للفراق زنادا

---

(١) السلافة : ٢٣٣

أفنيت دمعك في البكاء وما حدوا عيساً وما شدوا لهم أقتادا
لا يكذبنّ لقد رأيت مطيهم بالأمس تنقض في الفلا أجسادا
خفض عليك من الملام فإنني عودت قلبي حبهم فاعتادا

ومن قوله أيضاً :

شرق على حكم النوى أو غرب ما أنت أول ناشب في مخلب [1]
في كل يوم أنت نهب محاسن أو ذاهب في إثر برق خُلَّب
متألق في الجو بين مشرق غص الفضاء به وبين مغرب
يبكي ويضحك والرياض بواسم ضحك المشيب على عذار الأشيب
أزعمت أن الذل ضربة لازب فنشبت في مخلاب باز أشهب
لعبت بلبك كيف شاء لها الهوى مقلٌ متى جد النواظر تلعب
زعمت عشيمة أن قلبك قد صبا من لي بقلب مثل قلبك قلّب ؟
قد كنت آمل أن تموت صبابتي حتى نظرت إليك يا ابنة يعرب
فطربت مالم تطربي ورغبت ما لم ترغبي وذهبت مالم تذهبي
ولقد دلفت إليهم في فتية ركبوا من الأخطار أصعب مركب
جعلوا العيون على القلوب طليعة ورموا القفار بكل حرف ذعلب
ترمي الفجاج وقلبها متصوب في البيد إثر البارق المتصوب
هوجاء ما نفضت يداً من سبسب إلا وقد غمست يداً في سبسب
تسري وقلب البرق يخفق غيرة منها وعين الشمس لم تتنقب

---

(١) السلافة : ٣٤٢

تطفو وترسب في السراب كأنها ... فلك يشق عباب بحر زعرب

تفلي بنا في البيض ناصية الفلا ... حتى دفعت إلى عقيلة ربرب

وأتتك تخلط نفسها بلداتها ... والحسن يظهرها ظهور الكوكب

كفريدة في غبغب أو شادنٍ ... في ربرب أو فارس في موكب

تمشي فتعثر في فضول ردائها ... بحياء بكر لا بنشطة ثيب

ومن قوله :

أرقت وصحبي بالفلاة هجود ... وقد مد فرع للظلام وجيد[1]

وأبعدت في المرمى فقال لي الهوى ... رويدك يا شاميُّ أين تريد

أهذا ولما يبعد العهد بيننا ... بلى كل شيءٍ لا ينال بعيد

أراقوا دمي وما دمي بمحلل ... إذا لم ترقه أعين وخدود

أأصبر عن ليلى وليلى بذي الغضا ... وصحبي بحزوى إنني لجليد ؟

هي الظبية الأدماء والبانة التي ... تميد مع الأغصان كيف تميد

أناة كقرن الشمس أما ضياؤها ... فدان وأما نيلها فبعيد

وقفنا فمنا ممسك بفؤاده ... وآخر محلول العزاء عميد

أليفان قد طارت بشمليهما النوى ... شريد وثاو بالعراق وحيد

أما تتقين الله في متهالك ... على الحب حتى ما يقال وعيد

طوى كشحه طي السجل على الجوى ... وبات وشيطان الهموم مريد

السلافة : ٣٤٦

إلى كم يدور الدهر بيني وبينكم   وتبدي الليالي كيدها وتعيد؟
فقد جعل الواشي وانت اتبعته   من اليوم يسعى بيننا ويرود؟

تم الاختيار من شعر ابن يوسف الشامي وأخباره ، ويليه الاختيار من شعر ابن خان دار الشامي وأخباره .

شعر

ابن خان دار الشامي

قال صاحب « السلافة » :

الشيخ حسين بن شهاب الدين بن حسين بن خاندار الشامي الكركي العاملي ، طود رسا في مقر العلم ورسخ ، وخطة الجهل بها خط نسخ ، رأيته فرأيت منه فرداً في الفضائل وحيدا ، وكمالا لا يجد الكمال عنه محيداً ، تحل له الحبا وتعقد عليه الخناصر ، أوفى على من قبله ، وبفضله اعترف المعاصر ، يستوعب قماطر العلم حفظاً بين مقروء ومسموع ، ويجمع شوارد الفضل جمعاً ، هو في الحقيقة منتهى الجموع حتى لم ير مثله في الجد على نشر العلم ، وإحياء مواته ، وحرصه على جمع أسبابه وتحصيل أدواته ، ثم ذكر أنه في آخر عمره تعاطى علم الطب ، ولم ينجح فيه ، ثم قال ومع ذلك فقد طوى أديمه ، من الأدب على أغزر ديمة ، ومتى تقهقهت لهاته بالشعر ، أرخص من عقود اللآلي كل غالي السعر ، إلى ظرف شيم وشمائل ، تطيب بأنفاسها الصبا والشمائل ، وإلمام بنوادر يحلي بها حديثه والحديث شجون ، ولم يزل ينتقل في البلاد ويتقلب ، حتى قدم على الوالد قدوم اخي العرب على آل المهلب ، وذلك في سنة ١٠٧٦ سبع وسبعين وألف ، فأحله الوالد لديه ، محلا عقد فيه نواصي الآمال بين يديه ، وأمطره سحائب جوده وكرمه ، ورد شباب أمله بعد هرمه ، فأقام بحضرته بين خير وخير فقد ما

شأن من شأنه تأخير حتى خوى من أفق الحياة طالعه ، وأدجت بأفول عمره مطالعه ، توفي رحمه الله يوم الاثنين لأحد عشرة بقيت صفر سنة ١٠٧٦ ست وسبعين وألف عن أربع وستين سنة ٦٤ تقريباً ، وله من المصنفات شرح « نهج البلاغة » ، و «عقود الدرر في حل أبيات المطول والمختصر » و « الاغاني » و « الاسعاف » وغير ذلك ومن شعره مامدح به ، وهي من غرر القصائد :

بدت لنا وظلام الليل معتكر

فقلت شمس الضحى لاحت أم القمر؟[1]

جاء البشير وقال الشمس قد بزغت ليلاً فصار عياناً ذلك الخبر

فقل لمن لامني في حبها سفهاً إليك عني فإني لست أعتذر

هي الحبيبة إن جادت وإن بخلت وكل ذنب جناه الحب مغتفر

سيان عندي إذ صح الوداد لها أقل في حبها اللاحون أم كثروا

لها المودة مني ما بقيت ولي حظ المحب وحظ العاذل الحجر

يا منية النفس إن دام الوصال لنا فلا أبالي أغاب الناس أم حضروا

ما لذة العيش إلا ما سمحت به أنت الحياة وأنت السمع والبصر

لم يلهني عنك مطلوب ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا وتر

فقت الحسان وفقت العاشقين معاً

فلو أرادوا لحاقاً بي لما قدروا

لاغرو ان أنكروا حالي فما سمعوا بمثلها في الهوى يوماً وما نظروا

مالي وما لفتاة الحي قد صرمت حبلي وأنكرني أترابها الأُخر

هيفاء وافرة الارداف مائلة الاعطاف ما شانها طول ولا قصر

---

(١) السلافة : ٣٥٦

بيضاء وردية الخدين وجنتها ... يكاد منها سلاف الراح يعتصر

لم يبق لي بعدها صبر ولا جلد ... ولا فؤاد ولا عين ولا أثر

إن كان قدراعها فودي فلا عجب ... أن شاب رأسي ففي الأيام معتبر

يا منيتي لاتراعي من ضنى جسدي ... فنار حبك لا تبقي ولا تذر

لا تجزعي من نحولي وانظري هممي

قد يعجز السيف عما تفعل الإبر

ولا تكوني على قرب المزار لنا ... كبقلة الرمل لا ظل ولا ثمر

ما الشيب عار ولا شيء أعاب به ... فلا تظنيه ذنباً ليس يغتفر

أن تهجريني فإني عنك في شغل ... من لذة العيش حيث الماء والشجر

في ظل أروع ما زالت أوامره ... تجري على وفق ما يجري به القدر

ماضي العزيمة لاضعف ينهنهه ... عما يروم ولا في عوده خور

بحر من الجود لم تكذب خمائله ... يوماً ولا أخلفت إذ يخلف المطر

وليث غاب يهاب الليث سطوته ... في مأزق يحتويه البدو والحضر

إذا استدارت رحى الحرب العوان غدا

يمشي العرضنة لا وانٍ ولا ضجر

كأنما في مثاني درعه أسد ... شثن البراثن مرهوب الشبا زئر

ما جردت في لظى حرب صوارمه ... إلا وكادت قلوب الشوس تنفطر

يرون منها نجوم الليل ساطعة ... عند الضحى والقنا كالغاب مشتجر

فقل لمن لامني في مدحه سفهاً ... هل لابن معصوم مثل حين يفتخر ؟

من أسرة شهدت غلب الرجال لهم ... بالغلب حيث يبين النبع والعشر

لايقبضون عن الحسنى أناملهم ... ولا يجازون بالأسوا إذا قدروا

يبيت في الامن مولاهم وحاسدهم بالويل حشو حشاه الخوف والحذر

لا تنكر الناس ما عاشوا سوابقهم ولا يساجلهم قوم وإن فخروا

يا ماجداً يهب الدنيا بأجمعها عفواً ويعطي الضنايا وهو يعتذر

تهن بالعيد والعام الجديد معاً فالعيش مقتبل والدهر مؤتمر

ودم كرضوى دواماً لا زوال له تنهى وتأمر لا عي ولا حصر

وقال يمدحه :

إلى كم وقوف العيس في دارس الرسم
وحتام أستسقي من الدمع ما يظمي؟[1]

لقد كان لي عما تجشمته غنى ولكنها الأقدار تجري على حتم

طحا بفؤادي حب نعم وهجرها فياويح قلبي ما يقاسيه من نعم

من البيض لم تظعن بعيراً ولم ترع بسبي ولم تلق الرباق على البهم

كأن على أنيابها ذوب سكر وماء غمام مـا زجته ابنة الكرم

أحن لسقمي إذ بها كان أصله
وحسبك من صب يحن إلى السقم

يحاولني قومي على ترك حبها
ولي في الهوى شغل عن الترك والعزم

أأسلو وروحي قد تملكها الهوى فجردها عن عالم الروح والجسم؟

يعز على الرائين تمثيل صورتي ولكنما المرئي نوع من الوهم

وإن قال قوم غير ذاك وأرجفوا فقد تجنح الحرب العوان إلى السلم

---

(١) السلافة : ٣٥٧

وربَّ فتاة يغسل الكحل دمعها على ما رأت بي للنوائب من وسم

فديتك لا تستكثري ما رأيته فرب نحيف الجسم ذو شرف ضخم

وما النار إن فكرت إلا شرارة فما هو إلا أن تشب وأن تنمي

وخير الظبى ما أرهف القين حده ونيل العلى من ذابلات القنا الصم

حنانيك إني ما تقحمت مورداً فأعذبته حتى أمر له طعمي

خبير بما يرضي الخليط مجرب فأصمت عن حلم وأنطق عن علم

وأضرب وجه الأرض شرقاً ومغرباً

وبراً وبحراً لا أقيم على رسم

أزاحم آساد الشرى في مقيلها نهاراً وأنضي العيس في حالك الدهم

فإن ظفرت عيني برؤية أحمد فقد نلت من أعلى العلى وافر القسم

وحلت ركابي في رحال ابن حرة له راحة تستهلك البحر إذ تهمي

وليس يبالي من أقام بظله جناية جان أو ظلامة ذي ظلم

حمى لم ترعه الحادثات كأنه رياض منى والخيف باكرها الوسمي

يضيء دياجي الخطب نور جبينه

وتشرق منه غرة الزمن الجهم

إذا ناضل الأعداء عاد بفضله ظهيراً ولوا بالمذلة والرغم

أشد من الليث الهصور شكيمة وأمضى من السيف اليماني والسهم

كلا راحتيه معدن البأس والندى فجود إلى جود وعزم إلى عزم

بواعثه مقصورة عن سوى العلى فيسعى لما يرضي ويسمو لما يسمي

وما أعجزته همة عن مرامه ولو كان ما يبغيه في هامة النجم

إذا ما مضى في عصبة هاشمية ... كأسد الشرى قد سربلت حلل الرقم

تذل له غلب الرجال مهـابة ... ويرجف منه قلب ذي المارق الدهم

وإن رمق الحصن المنيع بطرفه ... تداعى بلا هدم وخر بلا رجم

إليك نظام الدين مني مدائحاً ... تفوق عقود الدر في الحسن والنظم

لها نسب في الآخرين وإنها ... وحقك يامولاي فاقت على القدم

تهنيك بالنيروز لازلت باقيـاً ... لأمثاله تسمو على العرب والعجم

وقال يمدحه :

لك الخير لازيد يدوم ولا عمرو ... ولا ماء يبقى في الدنان ولاخمر [1]

فبادر إلى اللذات غير مراقب ... فمالك إن قصرت في نيلها عذر

فإن قيل في الشيب الوقار لأهله ... فذاك كلام فيه عن مسمعي وقر

وقالوا نذير الشيب جاء كما ترى ... فقلت لهم هيهات ان تغني النذر

لئن كان رأسي غير الشيب لونه ... فرقة طبعي لايغيرهـا الدهر

يقولون دع عنك الغواني وإنمـا ... قصاراك لحظ العين والنظر الشزر

وهل فيك للغيد الحسان بقية ... وقد ظهر المكنون وارتفع الستر

فما للغواني وابن سبعين حجة ... وحكم الهوى جهل ومعروفه نكر ؟

فقلت دعوني فالهوى ذلك الهوى ... وما العمر إلا العام واليوم والشهر

نشأت أحب الغيد طفـلا ويافعـاً ... وكهلا ولو أوفى على المئة العمر

وهن وإن أعرضن عني حبائب ... لهن علي الحكم والنهي والأمر

---

(١) السلافة : ٣٥٩

أحاشيك بي منهن من تعرضت لنوء الثريا لا استهل لها القطر

ترقرق ماء الحسن في نار خدها فماء ولا ماء وجمر ولا جمر

فيا بعد ما بين الحسان وبينها لهن جميعاً شطره ولها الشطر

براهرهة صفر الوشاح إذا مشت

تجاذب منها الردف و العطف والخصر

من البيض لم تغمس يداً في لطيمة وقد ملأ الآفاق من طيبها نشر

تخر لها زهر الكواكب سجداً وتعنو لها الشمس المنيرة والبدر

تخال بخديها من النوم لوثة وتحسبها سكرى وليس بها سكر

وقالوا إلى هاروت ينسب سحرها أبى الله بل من لحظها يؤخذ السحر

تخالف حالي في الغرام وحالها لها محض ودي في الهوى ولي الهجر

فيا ويح قلبي كم يقاسي من الهوى ويا ويله كم لا ينهنهُ الزجر

على أنني لا جازع إن تباعدت بها الدار أو عز التجلد والصبر

فمدح عماد الدين دامت سعوده

هو القصد لا بيض الكواعب والسمر

شريف له في كل قلب مدينة عزيز له في كل جارحة مصر

من النفر البيض الألى شيدت لهم صدور العوالي والمهندة البتر

إذا عُدّ أهل الفضل كان إمامهم

وإن عدّ أهل البذل كان له الفخر

نهوض بأعباءِ المكارم كلها وإن ضاق عنها ماله رحب الصدر

له تسعة الأعشار من رتب العلى

وسهم بقايا الناس منها هو العُشر

تجلّ عن الدنيا وإن جل قدرها ... يمين ابن معصوم ونائله الغمر

وما بي إلى نوء السماكين حاجة ... وقد لامست كفي أنامله العشر

فلا وعده خلف ولا البرق خلّبٌ ... ولا جوده مطل ولا سيبه نزر

علقتُ بحبل منه لا عن جهالة ... فلم تلهني عنه العراق ولا مصر

وخضت إليه البحر لا أرهب الردى

فصادفت بحراً لا يقاس به بحر

وأدركت من نعماه ما دونه الغنى

فدامت لي النعمى ودام له الشكر

لئن ملتُ يوماً عن هواه لغيره ... فلا كانت الدنيا ولا وفر الوفر

فكفران ما أسدي إلي من الندى

هو الكفر لا بل دونه عندي الكفر

وإن أنكر الحساد سابق فضله ... أقر له الركن اليماني والحجر

وما قلتُ ما قد قلت إلا تعللاً ... وإلا فماذا يبلغ النظم والنثر

فلا زال محروس الجناب مؤيداً ... من الله ما دام السماكان والنسر

وقال أيضاً يمدحه وزعم أنه عارض بها معلقة امرىء القيس :

لمن طللٌ أقوى بدارة جلجل ... ذكرت به مامر عن عيشي الجلي [1]

وقفتُ به والعين عبرى كأنما ... يذر بجفنيها سحيق القرنفل

فلم ير طرفي غير أطلال دمنة ... خلت وخوت واختل معهدها الخلي

---

(١) السلافة : ٣٦٠

برغمي إرغام المطي على السرى وإنزال ضيف الدمع في كل منزل

إلى كم هيامي لا يزول على المدى وحتام قلبي في اسار التعلل ؟

إذا ما مضى يوم من الدهر مدبر فجعت بفينان من العيش مقبل

يعنفني في الحب قومي سفاهة وهيهات كم خالفت في الحب عذلي

يقولون بعت الحلم بالجهل عامداً فقلت لهم من يعشق الغيد يجهل

دعوني ومن قد هام قلبي بحبها وقلبي لديها كالأسير المسلسل

فما قربها إلا الحياة وطيبها وما بعدها غير الحمام المعجل

بعيدة مهوى القرط خمصانة الحشا

أسيلة مجرى الدمع ريا المخاخل

صقيلة ما بين الترائب والطلى كحيلة طرف العين لا عن تكحل

أشارت لعقلي حين جد بي الهوى وقالت له ما تصنع الآن فارحل

فيا قلب كن عوني على ما ينوبني ويا كبدي ذوبي ويا عيني اهملي

أساحرة العينين معسولة اللمى ملكت فؤادي فاجملي أو تجملي

أطعت الهوى والشوق فيك صبابة وأصبحت عن قلبي وصبري بمعزل

صلي واقطعي وارضي إذا شئت واغضبي

على وجوري ما بدا لك واعدلي

فلا يطمع الواشون مني بسلوة

ولا الحبل متبول ولا الحب منسلي

ولست بميال إلى كل صارخ ولا طالب للورد من كل منهل

وإن جهلت قدري بلاد هجرتها مشيحاً كصوب العارض المتهلل

جزى الله موج البحر عني وفلكه جزاء كريم واسع الجود مفضل

همـا أنزلاني والحوادث جمة بروض أريض وافر الظل مخضل

له معهد حلّ السماح نطاقه بـه عن قـديم ثم لم يتحول

حمى معـدن العليـا وغيث أولي الظما

وعون ذوي البلوى وغيث المؤمل

جناب نظام الدين أحمد من سما على الناس في مجد أخيرٍ وأول

حوى ماحواه الأكرمون وفاقهم بسعي معم في المكارم مخول

فصاحة قسٍ في سماحة حـاتم وإقدام عمرو في وفاءِ السموأل

حليف الندى إن حل في صـدر محفل

وحتف العدى إن سار في صدر جحفل

كأن له في كل منبت شعرةٍ يداً في لظى الهيجاءِ تسطو بمنصل

جواد إذا ضن الجواد بمـاله وقور إذا خفت قواعد يذبل

غيور إذا خلي الغيور حريمـه حمول إذا اجتثت أصول التحمل

فما روضة بالحزن باكرها الحيا بأرعن رجاسٍ من المزن مسبل

إذا خطرت فيها الصبا عبقت بها عوابق من ريا عبيرٍ ومندل

بأطيب نشراً من خلائق أحمد ومن شك أو لم يدر ماقلت يسأل

وهيهات أن أحصي علاه وجوده دليل على إمكان كون التسلسل

نديمي أدر كأس راح حديثه ودعني من ذكرى حبيب ومنزل

ففيه وإلا فالحديثُ مضيـعٌ وعنـه وإلا فهو عـين التقول

إليك نظام الدين مني مدائحاً تفوق على نظم الجمان المفضل

وما أنا ممن يجعل الشعر همه　　وإن كان شعري نزهة المتأمل

ولكن دعاني ما رأيتُ وشاقني　　علاك فطاب المدح فيك ولذّ لي

تهنّ بعيد أنت في الناس مثله　　تفوق عليهم بالمعالي وتعتلي

شعر

منجك الشامي

قال صاحب « السلافة » :

أمير مورده في الفضل نمير ، ومحله لأعلى الكواكب سمير ، تأصلت دوحة فضله بالشام وتفرعت ، واقتدت مكارمه بأسلافه في الكرم وتبرعت ، إلى نخوة ، وهمة تستنير بها الليالي المدلهمة ، وشرف ومجد أشرق بهما كل غور ونجد ، وحميد أخلاق سلمت من مساوىء الزهو والكبر ، وآداب تكاد بيوته إذا ذكرت يبيض من نورها الحبر ، وقد وقفت له على قطعة عليها أمارة الإمارة ، وجزالة البدو ، ورقة الحضارة ، هي عنوان ملكته في الأدب واقتداره ، وعلو مقامه وسمو مقداره وهي :

دنواً فقد أوهى تجلدي البعد　　ووصلاً فقد أدمى جوانحي الصد[1]

أحن غراماً فيك خيفة كاشح

ومن مدمعي ودق ومن كبدي وقد

(١) السلافة : ٣٦٩

وبي فوق ما بالناس من لاعج الهوى
ولكن أبى أن يجزع الأسد الورد

فيا من يبيد الرشد فيمن أحبه
متى يلتقي الحب المبرح والرشد؟

تلاعبت بالأشواق حتى لعبن بي
وما كنت أدري أن هزل الهوى جد

بليت بقاس لا يرق فؤاده
علي وهاقد رقّ لي الحجر الصلد

أعاني به ما يعجز الدهر بعضه
وأحمل ماقد كلّ عن حمله الجهد

وأدفع عنه النفس وهي عصيّة
وهل يمكن الظمآن عن مورد ردّ

إذا جئتها يوماً لبث شكية
أروح بأشجان على مثلها أغدو

تهددني من مقلتيها إذا رنت
قواضب مما يطبع الله لا الهند

حداد يلوح الموت في صفحاتها
مواض لها في كل جارحة غمد

وأشتاق إماعنّ في القلب ذكرها
وأطرب ما بات اللسان بها يشدو

شعر العادي

وممن ترجم له صاحب « السلافة » الشيخ عبد الرحمن العادي مفتي الحنفية بدمشق المحمية ، قال في حقه : هو علامة الزمان ، وشقيق النعمان ، الناشر العلم والعمل ، والمحرز أدوات الكمال عن كمل العمدة ، الرفيع العماد ، المتميز على أقرانه تميز الروي على الثماد ، فاضل له في الفضل والفواضل أياد ، وفقيه أفكاره شدت للنعمان ما يشده شعر زياد إلى أدب ظهرت آياته وبهرت ، ونشرت راياته بالمحاسن

واشتهرت ، فأذعن له كل ناظم وناثر ، وعظم قدرة الأعاظم والأكابر ، إن قال فالبلاغة منوطة بمقاله ، أو كتب فالبراعة موثقة بعقاله مع كرم هو ضرة الغمام ، وأياد هي الأطواق والناس الحمام ، وخلق من لباب المكارم مخلوق ، وشيم يستغني بطيبها عن كل طيب وخلوق ، وأشعاره درر لم يحتو على مثلها صدف ، وغرر لم ينحل بمثلها سدف ، ثم ذكر له رسالة كتبها إلى الشيخ المقري وهو بمصر ، أبدع فيها كل الإبداع ، تركت نقلها طلباً للاختصار ، ثم قال ومن نظمه ما كتبه إلى الشيخ المذكور :

شمس العلى أطلعها المغربُ	وطار عنقاء بها مُغرب[(١)]
فأشرقت في الشام أنوارها	وليتها في الدهر لا تغرب
شهاب علم ثاقب فضله	ينظم عقداً منه لا يثقب
فرع علوم بالهدى مثمر	وروض فضل في الندى معشب
قد ارتدى ثوب العلى وامتطى	غارب مجد قرها المركب
درسٌ غريب كل يوم له	يملي ولكن حفظه أغرب
محاضرات مسكر لفظها	بكأس سمع راحها تشرب
رياض آداب سقاها الحيا	ففاح مسكاً نشرها الأطيب
فضائل عمت وطمت فقد	قصر فيها كل من يطنب
قلوبنا قد جذبت نحوه	والحب من عادته يجذب

(١) السلافة : ٢٧٤

إن بعدت عن غربه شرقنا — فالفضل فينا نسب أقرب
كم طلبت تشريفه شامنا — بشرى لها فليهنها المطلب
قد سبقت لي معه صحبة — في حرم يؤمن من يرهب
أخوة في الله من زمزم — وضاعها طاب به المغرب
أنهلني ثم ودادا فلي — بالشام منه علل أعذب
ضاء دجى العلم به للورى — ماضاء في جنح الدجى كوكب

فراجعه الشيخ بقوله :

ما تبر راح كأسها مذهب — ما للنهى من حسنها مذهب [١]
تستدفع الأكدار من صفوها — وتنهب الأفراح إذ تنهب
تسعى بها هيفاء من ثغرها — وفرعها الأنوار والغيهب
فتانة الأعطاف نفاثة — سحراً بألباب الورى يلعب
في روضة قد كللت بالندى — والزهر رأس الغصن إذ يغصب
برودها بالنور قد نمنمت — كالوشي من صنعاء بل أعجب
والماء يجري تحت جناتها — والنار من نارنجها تلهب
والظل ضاف والنسيم انبرى — والزهر زاكي النشر مستعذب
والطير للعشاق بالعود قد — غنت فهاجت شوق من يطرب
أبهى ولا أبهج من منظر — من نظم من تقديه الأصوب
فتى دمشق الشام صدر الورى — من في العلى تم به المطلب

---

(٢) السلافة : ٣٤٦

علامــة الدهر ولا مريــة | وملجــأ الفضل ولا مهرب
لله ما امتاز بــه من علىً | بغير منّ الله لا تكسب
أبدى به الرحمن في عبــده | مظاهر الفضل الـتي تحسب
جود بـلا منٍ وعلم بـلا | دعوى به التحقيق يستجلب
وبيت مجدٍ مسند ركنه | إلى عماد الدين إذ ينسب
فبرقه الشامي من شامــهُ | نال مراماً والسوى خلب
وما عسى أبديه من مدحه | ومدح أبنــاء له أنجبوا
تسابقوا للمجد حتى حووا | سبقاً لمـا في مثله يرغب
أعيذهم بالله من شرّ ما | يخشى من الأغيار أو يرهب
وأســأل الله لهـم عزةً | بادية الأضواء لا تحجب

شعر

أحمد بن شاهين[1]

ومن ترجم له صاحب « السلافة » أحمد بن شاهين الشامي .

قال في حقه : شامة وجنات الشام ، المشرق نثره ونظمه إشراق البدر ليلة التمام ، أديب ضربت البلاغة رواقها بحماه ، وأريب انتمت البراعة إلى منتماه ، حاز قصب السبق في ميدان الإحسان والإجادة ،

---

(١) صححت اشعار ابن شاهين على (سلافة العصر) .

ورواية حديث الفضل المسلسل شفاها لا وجادة ، فأصبحت دعوى أدبه واضحة الحجج والبراهين ، وراحت جوارح أفكاره صائدة لقنص الفصاحة ، ولا غرو فهو ابن شاهين ، ونثره وشعره في غاية الرقة والانسجام ، وها أنا أثبت ما يدار به عليك من الانسجام ، وذكر له من النثر رسالة وردت عليه من نحوه ، وأجاد في نثرها إلى الغايه تركت نقلها طلباً للاختصار ، وأما شعره فقد نقلت منه قصيدة واحدة وهي هذه ذكر انه مدح بها بعض أكابر عصره :

ما همت بعدك أشفي العين بالأثر ... إلا عثرت بقلب ضل بالأثر [1]

ولا ذكرتك مشتاقاً على وله ... إلا وأشفقت من دمعي على بصري

لم أكتحل بالكرى شوقاً إليك ولا ... خاط الجفون سوى ميل من السهر

يا حبذا عهدنا في جو كاظمة ... صافي المشارب ضافي الظل والسمر

نشارف اللهو فيه خوف مرتقب ... إن ازديار الغواني صيبة الخطر

خدين عشرين إذ عهد الصبا كثب ... وللشبيبة غصن جد مهتصر

جذلان رنح عطفيه الصبا فغدا ... شروى الغصون وقد مالت مع السحر

يميل تحسبه الواشون منتشياً ... وقد تمكن منه نشوة الخفر

يؤم لثم يد غراء ما لثمت ... إلا وأسفر منها غرة الوطر

---

(١) السلافة : ٣٨٢

بيضاء لولا نداها مع ترافتها شبهتها لازدحام اللثم بالحجر

يا ابن الذين تردوا بالفخار ومن قد أحرزوا قصبات السبق والظفر

من مثل قومك إجلالاً وأنت بهم مثل اليتيمة في عقد من الدرر

عرفتهم بك والمعروف أنبأني كما استدل على التأثير بالأثر

أعيا مدى السمع منّاذكر جودهم وأنت أعييت إجلالا مدى النظر

زان الحياة نداهم ثم مذ رحلوا آثارهم زينة الأخبار والسير

ذكراهم ومعاليك التي تليت في صفحة الدهر كالأحجال والغرر

لو كان للعز إمكان بناطقه لراح يخطب في علياك والخطر

أو كان للمجد إحساس بما انعقدت ذؤابتاه لأضحى جد مفتخر

أو كان للبدر نور من طلاقته لم يبق للشمس تمييز على القمر

حَلَّيْتَ جيد زمان قد مضى عطلاً ورُحت ترفل مختالاً على الدهر

لبست ثوب فخار لا يجاذبه فضل الرداء شريك في مدى العصر

بكرت في طلب العلياء وادّلجوا وليس مدلج قوم مثل مبتكر

لو رمت منهل ماء ما رضيت سوى نهر المجرة من وردٍ ومن نهر

أو رمت عقد نظام كي تقلده جيد الصحائف لم تختر سوى الزهر

وود حين يفر النفس من يده أن يستمد سواد القلب والبصر

فطرسه وقطار الحبر يطرحها ترى النواظر حسن العين بالحور

لله ما فقر كالزهر تحسبها مطوية وهي عند النشر كالزهر

كأنها وهي في الأسطار محدقة نظم الجمان على اللبات والنحر

مذ ناظرتها النجوم الغر وابتدرت تحكي سناها فلم تهدأ ولم تقر
لك البلاغة لا تثنى أعنتها فاركب لها واضح الأحجال والغرر
أكني عن العزم يا ابن العزم قاطبة كناية عن وحيد البدو والحضر
المصطفى الندب من فاضت فواضله
والمورد العذب صفواً جلّ عن كدر
من لو نهضت إلى الأفلاك مرتقباً لشمت ثمة فضلًا منه منتظري
فزنت نعماه بالزهر التي زهرت فاستصغرتها عيوني غاية الصغر
وسمتها بالمنى والوسع يسعفها فاستكبرتها الأماني غاية الكبر
تلك المكارم عين الله تحرسها تفنى الأماني فلم تبق ولم تذر
مولاي دعوة مملوك به ظمأ برح لعذب نداك السلسل الخصر
إن الحياة حياة في ذراك ومن يعدوك فهو كما الأشباح والصور
وماؤها كمياه البشر دافقة
بوجهك الطلق ليست مقبة الحضر
قد رق منها على الدنيا وساكنها عرس لنا من جناه يانع الثمر
لو رمت غيرك أبغي منه عارفة غدا إذاً ذاك ذنباً غير مغتفر
أراش لحظك مني حص أجنحتي فبالحرى ولشوقي فيك أن أطر
قد قصر الدهر في إشكاي من حسد
من قبل والآن لا يقوى على عذر
وكنت أشكو الليالي سوء محنتها والآن أوسع شكراً محنة القدر

وهاكها من بنات الزنج ألفها نجل لشاهين لا يأوي إلى وكر

تدعى بأنثى ولكن في النظام لها صرامة لم تكن في الصارم الذكر

تطوى الصحاف لها صوناً وإن نثرت

تفوح سوم أريج المسك في الصور

تروق كالروضة الغناء ترفل في ريط الثناء كزهو الخود في الحبر

تلفعت ببرود الحمد تحسبها بكراً توشح موشياً من الأزر

ساقت إليك جيوشاً من بلاغتها لوا المحامد فيها معلم الطرر

أوشكت أقنص نسر الأفق مرتقياً

لما خيالك أغراني على الفكر

إن رمت مدحك حسناً يا ابن بجدتها

ورونقاً بفحول العرب من مضر

لي في قبولك تأميل يبشرني أني سأظفر بالمقبول من عذر

وإنني لأرى نفسي تحرضني أني سأشفعها من قصدي الأخر

وأسلم ببرج جمال أنت رونقه ترضي المعالي في الآصال والبكر

ممتعاً بلذيذ العيش تمنحه وظافراً بهني المال والعمر

شعر الغري [1]

وممن ترجم له صاحب «السلافة» أيضاً أبو الطيب بدر الدين بن رضي

---

(١) قوبلت اشعار بدر الدين الغري على (سلافة العصر)

الدين الغزي العامري الشامي قال في حقه : شاعر فصيح مجاله في الأدب فسيح يسحر ببيانه العقول ، ويبهر الألباب بما يقول، إن نظم فالدر الثمين كاسد ، وزهر النجوم حواسد ، سار شعره مسير الشعربين ، وجلى عن قلوب ذوي الألباب كل رين ، ولم يزل معدوداً من أرباب الصدور ، مسفرة محاسن فضله إسفار البدور حتى أفسدت السوداء عقله ، ووجبت من مناصب العقلاء عزله ، فأصبح في عقال الجنون إلى أن فاجأه رائد المنون عفا الله عنه ، وهذا حين أثبت من شعره ما تستحليه وتقلد به جيد الدهر وتحكيه ، فمن ذلك قوله مادحاً أبا السرور البكري :

ألا طرقتنا قبل منبلج الفجر ... معطرة الأردان طيبة النشر [1]

وحيت فأحيت من حشاشة مدنف ... وما خلتها تقضي على الموت والنشر

وجادت بما ضن الزمان بمثله ... وفاء بلا مطل ووصلاً بلا هجر

وجاءت كما شاء المنى في مطارف ... من الحسن أدناها أرق من السحر

ولاحت من العذر العلى في دياجر ... فأشرق بدر التم في غسق الفجر

وماست قضيباً فوق دعص فأتلعت ... من الغيد ريماً لا من الشدن العفر

فبادرتها والقلب جم سروره ... وقل أن يوفي حين وافته بالنذر

وجاذبتها أطراف عتب كأنه ... نسيم الصبا غب الملث من القطر

ومازجتها ضماً فرحنا كأننا ... «خليطان من ماء الغمامة والخمر»

---

(١) السلافة : ٣٨٨

ونازعتها ذيل العفاف ولم أخل خليطين مثلينا استقالا من الوزر
إلى أن نضاكف الصباح حسامه
وأسفر داجي الأفق عن فلق الفجر
فقامت تهادى تنفض البرد تنثني مرنحة الأعطاف ناحلة الخصر
وهمت بتوديعي فسالت مدامعي وسار فؤادي خلفها حيث لا تدري
فيا ليلة ما كان أزهر متنها لقد أذكرتني موهناً ليلة القدر
ويا زورة ما أنس لا أنس أنسها عدى عودة أم أنت لي بيضة العقر
ووالله ما شببت إلا علالة وفي غمرة من غير بحر الهوى فكري
وفي همتي والله يعلم شاغل عن الغادة العذراء ترفل في الحبر
أأرتع في روض الحسان وأنثني عن الذروة الشماء يعلو بها قدري
أحدث نفسي بالمعالي وأبتغي رفيقاً رفيقا بي معيناً على امري
وما الناس إلا الشوك عند اختبارهم
على أنهم في منظر العين كالزهر
سأضرب وجه الأرض أبغي مطالبي فريداً ولا أعبا بزيد ولا عمر
أبى الله لي إلا سيادة أصيد مجد إلى قنص العلى بالقنا السمر
ولا مجد عن إرث وإن طبت محتداً فأنمى إلى حبر يلقب بالبدر
وما الفخر إلا في مقارعة العدى وما المجد إلا بالسباء وبالأسر
فإن أنت صافقت الأسود وخضتها بطعن فقل ما شئت في عالم البدر
ولم تغتمض عيناي ليلة لم أبت أقلب في قلب الهزبر على جمر
وكم لي من صيدات عز وسؤدد ومن دونها وقع المهندة البتر

ولما رأيت الذل في جانب الغنى تنكبت أبغي العز في جانب الفقر

مناقب هماتي حكين مقانباً نظمن قلادات من الأنجم الزهر

يسارين أحداث الزمان فتنبري

كما ارتعد العصفور من صولة الصقر

وما هي من همات قطب العلى أبي

السرور ولا دعوى سوى عثير العسر

هو الأسد الضرغام إن عن حادث ملم شديد البأس حتى على الدهر

هو الشمس في أفق السماء وضوؤها على الخلق من بيض وسمر ومن حمر

هو العالم الشهم المبرز في النهى أخو النسب الوضاح والشيم الغر

هو البحر أمّا ريم إدراك شأوه فأين الثماد الجفر من زاخر البحر؟

ولا عيب فيه غير أن يمينه تنوف على ما في الكنهور باليسر

وكم من صفات راح يحوي زمامها عديمة أمثال تجل عن الحصر

فصاحة قس في سماحة حاتم وإغضاء قيس في اقتدار يدي عمرو

وفقه ابن ادريس وزهد ابن أدهم وحلم أبي بحر وصدق أبي ذر

خليلي عوجا بارك الله فيكما

على ساكني الفسطاط من قاطني مصر

وهبا إلى كنز المآثر واقرآ عليه سلاما كاللطائم في القطر

وبثا إليه فرط شوقي ولوعتي على ما هما فالصدق أجدر بالحر

أصدر الموالي المحرزي قصب العلى فداء محب مخلص السر والجهر

لعلك لا تنسى المسيء من الرضى وعلك لا تنسى الكسير من الجبر

وإني لأستعفيك مما وجدتني　　سريعاً إلى النعمابطيئاً عن الشكر

وما أنا نظام لشعر وإنما　　مديحك ألوى بي على صنعة الشعر

وما الشعر ياذا الفضل إلا تجارة　　فطوراً إلى ربح وطوراً إلى خسر

فدونك ياركن المعالي حوائلًا　　تؤمك بالتسليم قطراً على قطر

قواف إذا أنشدوها تخالها　　عقود الدراري لاعقوداً من الدر

ترق بماء الطبع حتى كأنما　　ترقرق في أرجائها ذائب التبر

لها رونق الدر المصون ملاحة　　ومنها استعير الظلم في شنب الثغر

ودونكها بكراً إليك زففتها

ولا غرو فهي البكر زفت إلى البكري

تروم قبولا مهرها وجديرة　　مجانبة إلا جنابك بالمهر

ودم سالماً ما جاد روضاً ربابه　　وماناح شحرور وما غرد القمري

شعر

حسين جلبي (١)

وممن نقل له صاحب « السلافة » حسين جلبي بن الجوزي الشامي قال في حقه: أحد صاغة القريض البديع التصريح فيه والتعريض ؛ العالم بشعار الأشعار ، والمقتنص لأبكار الأفكار ، فتح بقرائحه باب البيان المقفل ، ووسم من غفلة ما سها عنه غيره وأغفل ، راقت بدائع آدابه ورقت ،

---

(١) صحح شعر حسين جلبي بن الجوزي على «سلافة العصر» .

وملكت روائعه حر الكلام واسترقت ، فهو إذا نظم أهدى السحر للأحداق ، والرقة للخصور ، وشاد من أبيات أدبه ما تعنو له مشيدات القصور ؛ فتملك المسامع إبداعاً وإعجاباً ، وكشف عن وجوه المحاسن نقاباً وحجاباً ، فمن بديعه المستجاد ومطبوعه الذي أبدع فيه وأجاد قوله في صدر قصيدة مدح بها ابن سيفا :

ألما نحييها ربىً وربوعا ... ووحشاً نسقيها دماً ودموعا[1]

وعوجا على عافي الطلول وعرجا ... معي واندباني والطلول جميعا

ولا تزجيا القود الرواسم واعقلا ... على الرسم منها ضالعاً وضليعا

خليلي خلي من أصاخ بسمعه ... وبعداً لخل لا يكون سميعا

فلا تعصياني في التصابي على الصبا ... وأرفق ما كان الرفيق مطيعا

قفا نوضح الأشجان منا بتوضح ... وننتجع الدمع الملث نجيعا

ونبكي الليالي الغابرات نعيدها ... لو ان الليالي تستطيع رجوعا

معاهد أنس بان عهد أنيسها ... بعيشي ريعان الشباب وريعا

وجنة مأوى غاض ماء نعيمها ... وجرعت غسلينا بها وضريعا

لقد غال ما بيني وبين ظبائها ... على الجزع بين ظلت منه جزوعا

وغيب عن عيني أوجه عينها ... وكن شموساً لا تغبن طلوعا

عقائل يعقلن الفؤاد عن السرى ... ويصرعن ذا العقل الصحيح سريعاً

تقد القنا منهن والصبح والدجى ... قدود أقلت أوجهاً وفروعا

---

(١) السلافة : ٣٩٣

أُحاشيك بي منهن ذات تمنع وأقتل مـا كان المحب منوعا
لهـا لحظات ما أسنة قومها بأسرع منها في الكمي وقوعا
تمنى يزور الطيف طرفي وإنه لزور وإن كان المحب قنوعـا
وأبخل خلق الله من كان باعثـاً خيالاً لعين لا تذوق هجوعـا
يكلفني فيهـا الهوى مـا يكلف اللها لابن سيفا منذ كان رضيعا

شعر

عبد اللطيف المنقاري[1]

وممن نقل له صاحب « السلافة » أيضاً الأديب عبد اللطيف بن شمس الدين محمد المنقاري قـال في حقه : أديب ربع أدبه آهل ، نهض بأثقال المقال فما أودت له كاهل ، علت شيمة بيانه وغلت ، وسارت أغراض إحسانه في البلاد وأوغلت ، وفاق وشي كلامـه موشي الـبرود وأخجل العقود في تليل الكعاب الروض ، فشعره أرق من عليل النسيم ، إذا هب وأجدى من نوال الكريم إذا وهب ، فمن رقيق كلامه ، وأنيق أزهار نظامه قوله في صدر قصيدة مـدح بها بعض أعيان عصره :

هاج نار الوجد في قلب الكئيب بارق لاح سناه من قريب[2]

---

(١) صححت أشعار عبد اللطيف المنقاري على « سلافة العصر » .

(٢) السلافة : ٣٩٤

أضرم النـار وكانت خمـدت　　وأثار الشوق من بعد المغيب

نبّـه اللوعـة من هجعتهـا　　وسرى كالريح في فرط الهبوب

عـاود الداء له من بعد مـا　　صح منه القلب من حر اللهيب

ذكر الصب زمـانا بالحمى　　مرَّ كالنجم هوى بين الشعوب

ليت شعري هل لماضي عصرنا　　من رجوع أم لدائي من طبيب

أتمنى أوبـةً هيهـات لا　　يرجع الماضي من العيش الخصيب

ومحـال رجـعُ عصر قد مضى　　والصبا لا يرتجى بعد المشيب

لست أنسى يوم سعدي مقبل　　بدنو الحب مـع بعد الرقيب

وتعاطينـا كؤوس الريق من　　ثغره المعسول خرجا بالضريب

آه لو عادت ليـالي وصلنـا　　ورجعنا لمنجـاة الحبيب

كنت أعطي لبشيري حبـة الـ　　ـناظر الغض وحبات القلوب

لم يخلف في فـؤادي لمعـة　　غـير وجـد وزفـير ونحيب

وضلوع حشوهـا جمر الغضـا　　ودموع العين كالغيث السكوب

كدت لولا زفرتي أغرق في　　يم أجفاني من الدمـع الصبيب

كلـما أخفيتُ مكنون الهوى　　ذاعت الأدمع بالوجد المذيب

بارق لاح فلمـا شمتـه　　حن قلبي للقـا أهل الكثيب

يا رعى الله غزالاً منهـمُ　　طاب لي فيه انتسابي ونسيبي

ثغره يطفيء من برد اللمى　　غلة الصدر ونيران الكروب

إن بـدا فالشمس تخفي خجلة　　وهلال الأفق يحنو للغروب

أو تثنى هز من قامتـهِ ذابـلاً يهزأ بالغصن الرطيب
وإذا مـا مر في حلتـه لم ير الغصن سوى شق الجيوب
مفرد في الحسن والحسنى كما أن مولى الوقت معدوم الضريب

شعر

محمد الجوهري [1]

وممن نقل له صاحب « السلافة » الأديب محمد الجوهري الشامي قال في حقه : ناظم جواهر الكلام ، وقاطف أزهار البيـان بأنامل الأقلام أخير ناف على الأوائل وسحب ذيل الفخر على سحبان وائل ، وتقدم في مضمار البلاغة ومـا تأخر ، وذلل صعاب البراعـة بأدبـه وسحر ، لا يكل ليراعته لسان ، ولا ينكر لبراعته احسان ، فمن محاسن قوافيه ، وكامل قريضه ووافيه قوله وأجاد ما أراد :

باكر رياض النيربين وماسهـا وانظر إلى الأزهار في أجناسها [2]
ما بين زنبقها الأنيق وودها وبديع نرجسها الغضيض وآسها
وترنم الأطيار فوق غصونهـا تروي لطيف الوصف عن مياسها
جمعت معاني اللطف في ألحانهـا وبيان منطقها وحسن جناسها

---

(١) قوبل شعر محمد الجوهري الشامي على « سلافة العصر » .

(٢) السلافة : ٣٩٥

تغنيك عن صوت المثاني عندما　　تشدو بزهرها على جلاسها

فترى الغصون لما بها من نشوة　　تهوي إليك من السرور براسها

طاف الغدير بها فأثمر فرعها　　وغدا يخبرنا بأصل غراسها

وسرت بها ريح الصبا فتأرجت　　جلساؤها بالطيب من أنفاسها

فانهض نديمي نصطبح في ظلها　　واترك تباريح الهموم لناسها

وأجل لحاظ العين في أرجائها

واجل الهموم هناك من وسواسها

واستحل باللذات بين رياضها　　واستجل بكراً أفرغت في كأسها

عذراء واقعها المزاج فأنتجت　　أطفال در لم ترع بنفاسها

شمس تريد سناً إذا ما غربت　　في فيك أولتك القوى بشماسها

من كف مياس القوام إذامشى　　بين الغصون قضى على مياسها

أو ماس في أهل الهوى ضربت له　　أخماسها بالقهر في أسداسها

ما جيد غزلان الصريم إذا انثنى　　وإذا رنا ما لحظ ريم كناسها

ذو مقلة نعسا إذا شاهدتها　　أهدتك سهداً من فتور نعاسها

قم يا حبيبي لا برحت ممتعا

داو القلوب من الكروب وآسها

واسمح وآنس باللقا يا مُنيتي　　ما دامت الأيام في إيناسها

شعر

تاج العارفين المصري [١]

وممن ذكره صاحب « السلافة » الشيخ تاج العارفين بن محمد بن أمين الدين المصري قال في حقه : لجة علم لاتدر كها الدلاء ، ومحجة فضل لا يفتقر سالكها إلى الادلاء ، حل من رتب المعارف المحل الأسمى ، ودل عرفانه على أن الاسم عين المسمى ، وكان والده مفتي الحنفية بتلك الديار ، وقطب الشريعة الذي عليه المدار ، فنشأ ولده هذا في حجر العلم والعلى ، وتحلى من الكمال بأشرف الحلى ، وله أدب شاد من أبياته قصوراً ، لاترى الأسماع في إطالة إحسانها قصوراً ، فمن رقيق نظمه الرائق قوله :

أذكرت ربعاً من أميمة أقفرا ... فأسلت دمعاً ذا شعاع أحمرا ؟ [٢]

أم شاقك الغادون عنك بسحرة ... لما سروا وتيمموا أم القرى

زموا المطي وأعنقوا في سيرهم ... لله دمعي خلفهم لما جرى

ما قطرت للسير أجمال لهم ... إلا ودمعي في الخدود تقطرا

فكأن ظهر البيد بطن صحيفة ... وقطارهم فيها يحاكي الأسطرا

وكأنها بهوادج قد رفعت ... سفن ودمع العين يحكي الأبحرا

---

(١) صحح شعر تاج العارفين المصري على « سلافة العصر » .

(٢) السلافة : ٤١٢

رحلوا وما عاجوا على مضناهم واهاً لحظي كيف كنت مؤخرا
إن كان جسمي في الديار مخلفاً فالقلب معهم حيث قالوا هجرا
أظهرت صبري بعدهم وتجلدي وكتمت وجدي فيهم مستبشرا
وغدا العذول يقول لي من بعدهم «بادٍ هواك صبرت أم لم تصبرا»

وقوله :

وحق من كون الأشياء تكوينا نار المحبة بالأشواق تكوينا[1]
وكلما هب من نجد نسيم صبا أزمةُ الشوق للأحباب تلوينا
وكلما سار ركب لم نسر معه أجرى الدموع دماءً من أماقينا
هيهات نسلو وما نسلو محبتهم ولو أرونا من الهجران تلوينا
ساروا فراح فؤادي سائراً معهم يقفو الركائب في إثر المحبينا
جسمي بمصر وقلبي بالحجاز يرى من صدق حب وود حكما فينا
سقياً لأيامنا ما كان أطيبها بالرقتين وما أحلى ليالينا

شعر

شهاب الدين الخفاجي[2]

وممن ترجم له صاحب « السلافة » شهاب الدين أحمد الخفاجي صاحب الريحانة قال في حقه : أحد الشهب السيارة ، المقتحم من بحر

---

(١) السلافة : ٤١٣

(٢) صحح شعر شهاب الدين احمد الخفاجي على « سلافة العصر » .

الفضل لجة ، وتياره فرع تهدل من ذؤابة خفاجه ، وفرد سلك سبيل البيان ومهد فجاجه ، أجرى من ينبوع الفضل ما أخجل بمصر نيلها وبالشام سيحانه ، وأهـدى لمشام أرباب الأدب من رياض الأدب أطيب ريحانه ، فمن شعره ما كتبه في صدر قصيدة كتبها إلى أبي المعالي الطالوي :

قبلت مصطبحاً شفاه الأكؤس ... والصبح يبسم لي بثغرٍ ألعس[1]

حتى بدت منه الغزالة واختفى ... مسك الدجى عند الجواري الكنس

والنهر سيف بالنسيم فرنده ... وله حمائل من خمائل سندس

أو صدر خود فتحت أطواقها ... أو شققت للوصل حلة أطلس

والطير تشدو والغصون رواقص ... في وشي ديباج الربيع السندسي

وعلى الخلاعة ليس جيدي عاطلاً ... من حلية المجد العزيز الأنفس

ولواحظ مرضى بها اعتل الصبا ... والصب بالسقم المبرح مكتسي

فتنت بأنفسها ففيها علة ... من وجدها وفتور مهجور نسي

فلكم قطفت ثمار لهو أينعت ... وغفلت عما قد جنى الزمن المسي

وطردت آمالي براحة عفتي ... إن التمني رأس مال المفلس

رام التلمس نزر شعري برهة ... فطرحته كصحيفة المتلمس

وكحلت طرفي بالسهاد صبابة ... ووهبت نومي للعيون النعس

ونظرت خد الورد لما احمر من ... خجلٍ وقد بهتت عيون النرجس

---

(١) السلافة : ٤٢٤

قال صاحب « السلاقة » ذكرت بهذه الأبيات قصيدة لي على هـذا الوزن والروي راجعت بها السيد حسين بن علي بن شدقم الحسيني عن قصيدة مدح بها الوالد فأمرني بإجابته عنها فقلت وهو صدرها :

ماست فأزرت بالخصوم الميَّسِ ... وأتتك تخطو في غلائل سندسِ [1]

وتبرجت جنح الظلام كأنها ... شمس تجلت في دياجي الحندس

تختال بين لداتها فتخالها ... بدراً بدا بين الجواري الكنس

أرجت برياها الصبا وتضوعت ... أنفاسها والصبح لم يتنفس

ووفت بما وعدت وبات وشاتها ... للوجد بين عم وآخر أخرس

والليل يخفق قلبه من غـيرة ... والنجم يرمقنـا بمقلة أشوس

يا طيب ليلتنـا بشرقي الحمى ... ومبيتنا فوق الكثيب الأوعس

إذ بات شملي في ضمان وصالها ... والقرب يبدل وحشتي بتأنسي

والليل يكتم سرنا ونجومـه ... ترنو إلينـا عن لحاظٍ نعَّس

وسنا المجرة في السماء كأنـه ... نهر تدفق في حديقة نرجس

باتت تدير علي من الحاظها ... كأساً وأخرى من لماها الألعس

حتى إذا رق النسيم وأخفقت ... من أُفق مجلسنا نجوم الأكؤس

قالت وقد واليت هصر قوامها ... ضاق الخناق عن العناق فنفِّس

ثم انثنت حذر الفراق مروعةً ... في هيئة المستوحش المستأنس

تتنفس الصعداء من وجد وقد ... غصَّ الظلام بصبحه المتنفس

واستعجلت شد النطـاق وودعت ... توديـع مختلس بحـيرة مبلس

---

(١) السلافة : ٤٢٤ (لابن معصوم)

لله غانيـة عنت لضيائها
شمس الضحى إذ أشرقت في الأطلس

سلبت عقول أولي الغرام صبابةً بجمالها الباهي السني الأنفس
وسألتها نفسي فقالت حيرة أي النفوس فقلت أعلى الأنفس
لم أنسها يومـاً فـأذكر أنسها
لا كان من ينسي الأحبـة أو نسـي

ومن قول الخفاجي المذكور .

قل للأحبـة أنتم مذ غبـتمُ لم ألق وجهـاً للسلو جميلاً[1]
فجعلت أيام الوصال قصـيرة وابست ليـلاً للهموم طويلا

شعر

الشيخ داود الأنطاكي[2]

وممن ترجم له صاحب « السلافة » الشيخ داود الأنطاكي المشهور بالبصير ، قال في حقه : أعمى قائده التوفيق والتسديد ، ومحجوب كشف عنه غطاؤه فبصر ذكائه حديد ، أدرك ببصيرته مالم تدركه ألو الأبصار ، وقطن بمصر فسار صيته في الأمصار ، جمع فنون العلم جمعاً أصبح به علماً فرداً ، وسرد شروحه ومتونه عن ظهر قلب سرداً ، إلى أدب بهر بتبيانه ،

---

(١) السلافة : ٤٢٥

(٢) صحح شعر داود الانطاكي على « سلافة العصر » .

وأظهر حكمة شعره وحسن بيانه ، فهو عالم في شخص عالم ، وعلم شيدت به دوارس المعالم ، اعتنى بالطب فصار فيه طَبًّا عليماً ، وفاق أربابه حديثاً وقديماً ، ثم ذكر مصنفاته ، وذكر أنه استوطن مصر ، وحصل له قبول من أهلها ، ثم إنهم رموه بأنه ملحد ، وزعموا أنه يرى رأي القدماء من الفلاسفة والحكماء إلى غير ذلك من مقالاتهم فلما كثر منهم فيه اللغط ركب متن عزمه على الفرار ، وتوجه إلى البيت الذي من دخله كان آمنا ، فاستوطن البيت الحرام ، وحصل له من شريف الحرمين الحسن بن أبي نمي قبول واحترام ، ومكث بمكة شرفها الله في أرغد عيش ، وأتم نعمه حتى تصرمت لياليه وأيامه ، واخترمته المنية حمامه وذلك سنة ١٠٠٩ تسع وألف عفا الله عنه ، وأما شعرة فهو في غاية الرقة والانسجام والرصانة والإحكام فمن ذلك قوله :

بروحي أقي من خلتها حين أقبلت ... على إثر حزن تنثر الدمع في الخد[1]
قضيباً من الكافور يمطر لؤلؤاً ... من النرجس الوضاح في فرش الورد

وقوله :

نظرت إليها والسواك قد ارتوى ... بريق عليه الطرف مني باك
تردده من فوق درٍ منظم ... سناه لأنوار البروق يحاكي
فقلت وقلبي قد تفطر غيرةً ... أيا ليتني قد كنت عود أراك
فقالت أما ترضى السواك أجبتها ... وحقك مالي حاجة بسواك

---

(١) السلافة : ٤٢٩

وقوله :

لقد فقت أرباب المحاسن كلهم   وزدت عليهم بالرشاقة والعقل
فما أعجز المغتاب شيء يقوله   رماك بأوصاف القطيعة والبخل
فلا تثبتي بالهجر زور مقاله   ولكن صليني أو عديني بالوصل
ولا تمطلي بالوعد صباً معذباً   وإن قيل إن الشيء يعذب بالمطل

وقوله :

أقول لها هل تسعفين بزورة   مريضاً كواه البين بالهجر والسقم
فقالت إذا ما فارق الروح زرته   لأن محالاً جمع روحين في جسم

وقوله في الجناس :

هواك مازج روحي قبل تكويني   وأنت ظلماً بنار الهجر تكويني [1]
صبرت فيك على أشياء أيسرها   ذهاب نفسي وقوم عنك تلويني
قد حل عقد اصطباري طول هجرك لي
وليس غير وصال منك يبريني
إذا شممت شذا رياك منتشقاً   فما نسيم أتى من نحو يبرين

وقوله :

أفدي فتاة فتنت مهجتي   وقد أذيب القلب من صدها [2]
مالي وللدنيا إذا لم تزر   وليس يحلو العيش من بعدها
يقول لي الآسي وقد راعه   ما بفؤادي من جوى بعدها
خذ ماء ورد ولسان معاً   واشربه بالماذي من شهدها

(١) و(٢) السلافة : ٤٢٩

قد صدق الآسي فهذا الدوا　　هو الشفا لو كان من عندها
بأن يكون الشهد من ثغرها　　يجنى وماء الورد من خدها

شعر

حسين بن المطهر [١]

وممن نقل له صاحب « السلافة » أيضاً السيد حسين بن المطهر اليمني ، قال في حقه : سطع نور فضله وأشرق ، وأغص الحساد بزلاله وأشرق ، فقامت به سوق الأدب على ساق ، واقتاد حقائب البلاغة والبراعة وساق ، بنثر يهزأ بالدر النثير ، ونظم تحسده دراري الأثير ، ثم ذكر من نثره رسالة حافلة كتبها إلى القاضي محمد دراز مراجعاً له ؛ تركت نقلها للاختصار ، وأثبت له من نظمه قوله :

عج بالمطي وحي الأثل والبانا　　واستنجد الصبر إن الحي قد بانا [٢]
واسفح دموعك في ربع رعيت به　　غيد الظباء زرافات ووحدانا
وانشد فؤادك إذ زمت مطيهم　　هل سار في إثرهم أم ظل حيرانا
من أين للصب صبر بعد بعدهم　　إذا تذكر أوطاراً وأوطانا
والشوق يرسل سحب الدمع ماطره　　والوجد يقدح في الأحشاء نيرانا

---

(١) صحح شعر حسين بن المطهر اليمني على « سلافة العصر » .

(٢) السلافة : ٤٥١

ياحادي العيس مرخاة أزمتهـا بلغت خيراً إذا ما جزت نجرانا

فقف على أربع أقوت معالمهـا وقل لأمثالهـا أسـاً وبنيانـاً

والله ما استبدل المشتاق منذ نأى بالأهل أهلا ولا الجيران جيرانا

وقوله من أخرى :

هذا العذيب وتلك برقة ثهمد مغنى الغواني والظباء الخرد[1]

لاغرو أن لعب الغرام بمهجتي وقضى علي هوى الغزال الأغيد

وأطعت من أغرى فؤادي بالهوى وعصيت كل مؤنب ومفنـد

ريان من ماء النعيم يميس في أبراده كالغصن في الورد الندي

لعب الصّبا بقوامه لعب الصّبا غب الهواطل بالغصون الميد

مـا لاح يثني عطفه إلا أرى قمراً تجلى فوق رمـح أملد

وقوله :

لله ما صنع الفراق بمهجتي وأحبتي ما للفراق ومـالي[2]

ما كنت أقنع بالتلاقي منهم واليوم أقنع منهم بخيـال

وهو من قول الشهرزوري :

وقد كنت لا أرضى من الوصل بالرضى وآخذ مـا فوق الرضى متبرمـا[3]

فلمـا تفرقنـا وشط مزارنا قنعت بطيف منك يأتي مسلما

---

(١) السلافة : ٤٥١

(٢) و (٣) السلافة : ٤٢٩

شعر الاهدل[١]

وممن ذكره من رجال « السلافة » السيد حاتم بن أحمد الأهدل الحسيني ، قال في حقه : قطب الشرف ، وعماد بيت المجد العالي ، وبحر العرفان الخضم ، وصدر المكارم الذى جمع شملها ، وضم المتحلي من الأدب بما أبان تفضيله ، والحائز من محاسنه ما تحكم له شواهده بالسبق وتقضي له ، فمن شعره مذيلاً بيت أبي دهبل :

(وأبرزتها بطحاء مكة بعدما　　أصات المنادي بالصلاة فأعتما)[٢]

وسرحت عيني في رياض خدودها　　فشاهدت روضاً كالربيع منمنما

سقته مياه الحسن فازداد بهجة　　وغادر قلبي بالحطيم محطما

حسينية حسناء لمياء نحوها　　توجه قلبي بالغرام وأحرما

سعيت إليها بالصفاء مسلماً　　لروحي وقلبي طاف سبعاً وزمزما

غزال تعير الظبي لفتة جيدها　　وعن قدها المياس سل بانة الحمى

فتاة تعير الشمس بهجة وجهها　　سناها بغير الحسن لن يتلثما

عدى خصرها جسمي سقاماً وجفنها　　تعدى على جفني وللنوم حرما

---

(١) صحح شعر حاتم الاهدل على « سلافة العصر »

(٢) السلافة : ٤٥٢

إليها ثنت قلبي الثنايا صبابة ... فياما أحيلى ذلك الثغر واللما
إذا حدثت فاح الندى وأظهرت ... برمزتها مني الحديث المكتما

وذكر له تصدير وتعجيز على فائية ابن الفارض أوله :

« قلبي يحدثني بأنك متلفي » ... عجل به ولك البقا وتصرف[1]
قد خلت حين عرفته وعرفتني ... « روحي فداك عرفت أم لم تعرف »

ومنه :

« أنت القتيل بكل من أحببته » ... فلك السعادة بالشهادة يا وفي[2]
ولقد وصفت لك الغرام وأهله
« فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي »

ومن قوله في الجناس :

لآلي ثغور أم بدور تشف عن ... لآلي بحور أو بروق نحور ؟[3]
سما لثمها عني فيا لهفي على ... فوات نحور من فواتن حرر

شعر

زيد الحجاف اليمني (٤)

وممن نقل له في « السلافة » زيد بن علي بن إبراهيم الحجاف اليمني ، أطنب الثناء عليه بما ليس فوقه مزيد ، ثم قال : هذا وإني معترف بالتقصير

---

(١) و (٢) و (٣) السلافة : ٤٥٣

(٤) قوبل شعر زيد الحجاف على « سلافة العصر »

في وصف فضله ، ثم قال : وسأثبت من غور شعره التي تجنح إليها البلاغة جنوح الفرخ إلى وكره ، فمنها ما أنشدني شيخنا العلامة جعفر بن كمال الدين ، قال : أنشدني السيد المذكور لنفسه بالمخا سنة ١٠٦٨ ثمان وستين وألف .

ولي عتب على قوم أساؤوا ... معاملتي وساموني اغترارا [١]
جنوا عمداً وما راعو حقوقاً ... وما اعتذروا وساموني صغارا
سأضرب عنهم صفحاً وأغضي ... مخافة أن أقلدهم شنارا
ولو أني ركبت متون عزمي ... إذاً لسقيتهم مراً مرارا
ولو أني هممت بأخذ حقي ... لولوني ظهورهم فرارا

قال وسألني القول على ذلك فقلت :

لك العتبى ومنك الصفح يرجى ... إذا لم تستبن منهم وقارا [٢]
وإن هم جنوا عمداً وجهلا ... وما راعوا وما طلبوا اعتذارا
فإن البدر لا يثنيه شيء ... من العجما صياحا أو جؤارا
وأنت على أذاهم ذو اقتدار ... على أن لا تسامى أو تبارى
فطب نفساً فكلهم ذليل ... لعزتك اختياراً واضطرارا

وللسيد المذكور :

ومالي والهم الذي أنا حامل ... ولي صلة من فضل ربي وعائد [٣]

---

(١) السلافة : ٤٥٥

(٢) السلافة : ٤٥٥ (لابن معصوم)

(٣) السلافة : ٤٥٦

إذا عادة الله التي أنا آلف تذكرتها هانت علي الشدائد

فلا أتقي هولاً وأرهب طارقاً ولي ثقة بالله ما قام عابد

قال : وأنشدني صاحبنا الشيخ أحمد الجوهري له قال: كتب إلي وقد طلبت منه شرح النهج لابن أبي الحديد في بيتين من الشعر .

أتاني نظمك المنضود يمشي من الإحسان في ثوب جديد [1]

ووافى جوهري للفظ لطفاً ومعنى صيغ من در نضيد

سمحت بذاك وهو أجل قدراً لأن يأتيك بابن أبي الحديد

ربحنا بالتجارة وارتضينا لطيف الدر عن ثقل الحديد

فراجعته بقولي :

أخا الهيجاء ذا الرأي السديد غياث الملتجي مأوى الطريد [2]

طويل الباع في كسب المعالي بسيط الفضل كالبحر المديد

أتاني منك نظم فوق طرس كدر زان في نحر وجيد

فما أبصرت بيتاً منه إلا وقلت بأنه بيت القصيد

فشعرك يعجز الشعراء عنه ونثرك مخجل لابن العميد

وقد حزت المعاني والمعالي وفقت بها على جمع عديد

فلا زالت بك الأيام تزهو وجاهك كل يوم في مزيد

قال : وكتب إلي أيضاً :

صوغ القريض على اختلاف رجاله ما بين حصبا لاتعد وجوهر [3]

وإذا أردت بأن تفوز بدرة نظماً فخذه من صحاح الجوهري

---

(١) و(٢) و(٣) السلافة : ٤٥٦

شعر

محمد المخاوي [1]

ومن رجال « السلافه » السيد محمد بن أحمد حاكم المخا ذكر أنه رأى في بعض الدفاتر له بيتين دلا على أن حسام أدبه مرهف باتر وهما قوله :

شبهت نرجسة وافى إلي بها   خلي وقد جئت في التشبيه بالعجب
كفاً من الفضة البيضاء ساعدها   زمرد حملت كأساً من الذهب
قلت حق له التصديق ، ووجب ، فقد جاء من التشبيه بالعجب

شعر

محمد بن عبد القادر اليمني [2]

ومن رجال « السلافة » أيضاً السيد محمد بن عبد القادر اليمني قال في حقه : أحد سحرة القريض ، ومقتطفي نور روضه الأريض ، نطق عن لسان الإحسان ، ونثر من البلاغة رفرفها الخضر ، وعبقريها الحسان إلى مجد ونسب ، ومنطق يملك الأسماع إذا مدح أو نسب ، وله ديوان يشتمل

---

(١) قوبل شعر محمد المخاوي على « سلافة العصر » .

(٢) صححت أشعار محمد بن عبد القادر اليمني على « سلافة العصر » .

على غُرر وقلائد، تحسدها عقود الولائد وقفت عليه، فاخترت منه قوله من قصيدة مدح بها السيد الحسن بن القاسم أخا الإمام محمد المؤيد ملك اليمن ويهنئه بعيد الفطر أولها :

ألام هلال لاح أم نون حاجب بدا بجبين الأفق في ليلة الفطر؟[1]

أم العيد من صافي اللجين بخنجر تمنطق أم سيفٌ تقلد من تبر

أقوس لملك الغرب صيغ بعسجد وعلق موتوراً على قصره الدري

أم الكأس ساقي القوم ليلاً أدارها ليسقي الندامى قهوة العيد كالخمر

أشكل سوار ذاك أم شق دملج بساعد ليلى بان في غرة الشهر

أم الغادة الحسناء خلخال ساقها أبانته للعشاق من كوة القصر

توهمت ليس الأمر ما قد ذكرته وشبهت والتشبيه يحسن في الشعر

وما هو إلا هيكل في قلادةٍ على طوق ملك قلد الملك بالفخر

هو السيد المعروف معروف جوده ومن كفه بالغيث تزري وبالبحر

هو الحسن الأخلاق و الاسم من سما بهمته قسراً على فلك النسر

هزبر الوغى ليث الشرى ضيغم العدى مؤيد أعلام المؤيد بالنصر

خضم الندى من في أكف عطائه زمام الغنى المغني لراجيه باليسر

أتحسب أن السحب تمطر صيباً وأن بطون البحر تقذف بالدر

وما ذاك إلا أن نائل جوده أنال السحاب الغيث فانهل بالقطر

وما الدر إلا أن نيسان كفه حشا البحر حتى عاد فيضاً إلى البر

---

(١) السلافة : ٤٥٧

وما احمر شفاف اليواقيت مشرقاً   فأصبح منظوم العقود على النحر

ولكنه من نار غيظ حيائه   توقد حتى صار في شعلة الجمر

وما انفتحت أكمام روض وعطرت

بنفحتها الآفاق بالنور والزهر

ولكنه أخلاقه الغر أثرت   ففيها سرت طيباً ففاح شذى النشر

وما غردت في الأيك يوما حمامة   ولا ناح من شوق به صادح القمري

ولكنها تدعو الإله تضرعاً   ليبقى له ملك الولاية في القطر

وما اكتسب البدر المنير ضياءه   من الشمس لما لاح في ليلة البدر

ولكنّ لاحت من محياه لمعة   فعمته بالأنوار في عالم الأمر

وما البرق إلا لمحة من حسامه   إذا شمته في الجو يلمع أو يسري

ولا صاعقات الجو إلا قواطع   بأحكامه ان نقدتها يد القهر

وقائعه تنبي اللبيب بشأنه   وأخباره تهدي التحير للفكر

قال صاحب « السلافة » : هذا ما وقع عليه الاختيار منها ، وقد شبه الهلال في اولها بعشرة أشياء ، وجمع الشيخ جمال الدين ابن نباتة جملة منها في قصيدته الرائية التي مدح بها الملك المؤيد صاحب حماه التي أولها :

يا شاهر الطرف حي فيك مشهور   وكاسر الجفن قلبي منك مكسور [1]

فإنه هنأه فيها بعيد النطر واستطرد في تشبيه الهلال فقال :

كأن شكل هلال العيد في يده   قوس على مهج الأعداء موتور

---

(١) السلافة : ٤٥٨

أو مخلب مده نسر السماء لهم فكل طائر قلب منه مذعور

أو منجل لحصاد الصوم منعطف أو خنجر مرهف الحدين مطرور

أو نعل تبر أجادت في هديته إلى جواد ابن ايوب المقادير

أو راكع الظهر شكراً في الظلام على

من فضله في السما والأرض مشكور

أو زورق جاء فيه العيد منحدراً

حيث الدجى كعباب البحر مسجور

أو لا فقل شفةٌ للكأس مائلة تذكر العيش إن العيش مذكور

أو لا فنصف سوار قام يطرحه كف الدجى حين عمته التباشير

أو لا فقطعة قيد فك عن بشر أخنى الصيام عليه فهو مأسور

أو لا فمن رمضان النون قد سقطت

لما مضى وهو من شوال محصور

ومن شعر ابن عبد القادر المذكور :

أحوى حوى الرق مني ثغره الشنبُ

ومبسم لاح في جريااله الحبب[1]

حلو التثني إذا ريح الصبا عطفت معاطف القد منه تخجل القضب

مهفهف العطف مياس القوام إذا ما اهتز كالغصن ليناً هزه الطرب

دمي مباح لسيف من لواحظه إن كان غير هواه للحشا أرب

---

(١) السلافة : ٤٦٠

ومنهـا :

لا تعذلوني إذا ماهمت من شغف ... بمن سباني منكم أيها العرب

قد بان عذر غرامي في محبته ... عند العذول وشأني في الهوى عجب

وصدر وعجز ابياتا من أول البردة فقال وأجاد :

« أمن تذكر جيران بذي سلم » ... كسيت برداً من الأحزان والسقم ؟[1]

أم من فراق ربوع كنت تعهدها ... « مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم ؟

« أم هبت الريح من تلقاء كاظمة » ... فأظهرت كامن الأشجان والألم ؟

أم لاح بارق ليلى عندما ابتسمت ... « وأومض البرق في الظلماء من إضم » ؟

« فما لعينيك إن قلت اكففا همتا » ... بصوب دمع كغيث المزن منسجم ؟

وما لنفسك إن قلت اسكني اضطربت ... « ومـا لقلبك إن قلت استفق يهم » ؟

« أيحسب الصب أن الحب منكتم » ... وشاهد الحال يفشيه بكل فم ؟

وكيف يخفى وأحشاه ُ ومقلتهُ ... « ما بين مضطرم منه ومنسجم » ؟

« لولا الهوى لم ترق دمعاً على طللٍ » ... به اكتفى روضه عن وابل الديم

ولا قلقت لريح الشيح من شغف ... « ولا أرقت لذكر البان والعلم »

---

(١) السلافة : ٤٦٠

وقال في صدر قصيدة :

إن كان ذنب صبابتي لا يغفر ... فبأي نعت في المحامد أشهر ؟[١]

أو كان تهيام الغرام مذمة ... فلأي معنى قيس ليلى يذكر ؟

وعلام تضرب في الملا أمثاله ... وحديثه فوق الطروس يسطر ؟

ومنها :

كم ذا أكتم في هواه صبابتي ... طوراً أقرّ بها وطوراً أنكر

أعليَّ لوم في معذب مهجتي ... إن قلت إن هواه لي مستأسر

شعر

عبد الصمد باكثير[٢]

ومن رجال « السلافة » الشيخ عبد الصمد بن عبد الله باكثير ، قال في حقه : خاتمة شعراء اليمن ، ونابغة العصر وباقعة الزمن ، ينتهي نسبه إلى كندة ، وكان كاتب الإنشاء لعمر بن بدر ملك الشحر وشاعره ، وديوان شعره مشهور تتلو محاسنه ألسن الأيام والشهور ، وقد وقفت عليه ، وصرفت عنان النظر إليه فاصطفيت منه ما استحسنت ، وأوردت منه ما أردت ، ولم يزل كاتباً للأمير المذكور ثم لولده عبد الله بن عمر إلى أن

---

(١) السلافة : ٤٦١

(٢) صحح شعر عبد الصمد باكثير على « سلافة العصر » .

توفي بالشحر عام خمس وعشرين وألف عفا الله عنه وهذا حين أثبت ما اخترته من ديوانه والتقطته من فرائده وعقيانه فمنه قوله من قصيدة أولها :

رعياً لأيام تقضت بالحمى ... فزنا بها ووشاتنا غفلاء [1]

جاد الزمان بها وأسعفنا بمن ... نهوى ولم تشعر بنا الرقباء

ومنادمي بدر على غصن على ... حقف له قلبي العميد خباء

عذب المقبل عاطر الأنفاس درياق النفوس شفاهه اللعساء

متبسم عن أشنبٍ شبم له ... مهما تبسم في الدجى لألاء

ما مسك دارين بأطيب نكهةً ... منه وقد ضاعت له ريّاء

عبر النسيم بجر فضل بروده ... فحبته من كافورها الأنداء

فتعطرت من طيب فائح نشره ... أرواحنا وسرت لنا السراء

فسقى الإله مراتع الغزلان من ... وادي النقا وهمت به الأنواء

وتهللت برياضها سحب الحيا ... وسرت عليها ديمةٌ وطفاء

حتى يراها الطرف أبهج روضة ... فبروقه الإصباح والإمساء

والطير عاكفة بكل حديقة ... فكأنها بلحونها إقراء

والروض مبتهج الحيا فكأنه ... وافاه من عمر الندى إيماء

ثم خرج إلى المديح ، وقوله في صدر أخرى :

هذي المرابع والكثيب الأوعس ... وظبا الخيام الآنسات الكنّس [2]

---

(١) السلافة : ٤٦١

(٢) السلافة : ٤٦٢

قف بي عليها ساعة فلعل أن ... يبدو لي الخشف الأغن الألعس
فلطالما عفت الكرى عن ناظري ... شوقاً إليـه ومدمعي يتبجس
ينهل سحاً مثل منهمر الحيا ... فوق المحاجر مطلقاً لا يحبس
وأغن ناعس طرفه سلب الكرى ... عـني فطرفي ساهر لا ينعس
أشتاقـه ما لاح صبح مسفر ... في أفقه أو جن ليل حندس

ومنها :

يا عاذلي دعني وشأني إن لي ... قلباً بغير الحب لا يستأنس
لك قدرة أن لا تلوم وليس لي ... صبر بـه دون الهوى أتلبس
كيف السلو عن الأحبة بعد ما ... دارت علي من الصبابة أكؤس
نقل الصبا نشر الحبيب وحبذا ... نشر به ريح الصبا تتنفس
آهاً ولا يجدي التأوه والأسى ... فالصبر أجمل والتجمل أكيس

وقال أيضاً :

جاد الغمام مراتع الغزلان ... ومرابع الرشأ الأغن الغاني[1]
وسرى عليها كل أسحم هاطل ... غـدق يسح بوابل هتـان
يحيي ربوعـاً طالمـا لعبت بها الـ ... ـغيد الحسان نواعس الأجفان
من كل فاترة اللحاظ إذا رنت ... سلبت بسحر اللحظ كل جنان
فكأنما الأقمار تطلع في دجى ... ليل من المسترسل الفينـان
وكأنما تلك القدود إذا انثنت ... قضب تمايل في ربى الكثبان
وبمهجتي خشف أغن مهفهف ... أصمى فؤادي إذ رنا فرمـاني

---

(١) السلافة : ٤٠٦٢ .

ظبي من الأعراب في وجناتـه قوت القلوب وسلوة الأحزان
بالله ما طالعت طلعـة وجهه إلا ورحت براحـة النشوان
ماء الشبيبة فوق ورد خدوده يجري على متلهب النـيران
ذابت عليه حشاشتي وجداً به وصبابة وجفا الكرى أجفاني
لم أنس أيام التواصل واللقا والشمل مجتمع بوادي البـان

وقال في صدر أخرى :

أشتاق من ساكني ذاك الحمى خيمـاً
لأجلهـا زاد شوقي في الحشا ونمـا [1]
ولاعج البين والتبريح من كمد أجرى من العين دمعاً يخجل الديما
لولا هوى شادن في القلب مرتعه مااشتقت وادي النقا والبان والعلما
ولا طربت إلى نظم القريض ولا علي بالوجد سلطان الهوى حكما
نفسي الفداء لظبي وجهه قمر وبرجه في سما قلبي العميد سمـا
يصمي فؤادي بنبل من لواحظه عن قوس حاجبه مهما رنا ورمى
في ثغره الدر منظوماً فيالك من ثغر شنيب يريك الدر منتظما
جل الذي صاغه بدراً على غصن على كثيب وأبداه لنا صنما
لم يكسه الحسن ثوباً من مطارفه إلا كسا جسدي من عشقه سقما

وقال أيضاً :

بنشر وادي الغضا نشر النسيم سرى فأفهم الصب عن أهل الحمى خبرا [2]

---

(١) و (٢) السلافة : ٤٦٣

أهدى التحية من أهل الخيام إلى حليف وجد يقاسي الوجد والسهرا

لكنه جد في وجدي وأذكرني تلك الربوع وبان الحي والسمرا

ومنها :

ولي من العرب ظبي ما رأى بصري شبهاً له في الورى بدواً ولا حضرا

كالشمس وجهاً وبدر التم مبتسماً والظبي جيداً وغصن البان إن خطرا

يمشي الهوينا حذار الكاشحين وقد أرخى الستور ظلام الليل واعتكرا

قبلت مبسمه عشراً على عجل فقام عني إلى التوديع مبتدرا

فكدت أشربه لثماً وأهصره ضماً وأثني عناقاً قده النضرا

شعر

المرهبي اليمني (١)

ومن رجال « السلافة » بدر الدين محمد بن سليمان أبو فاضل المرهبي اليمني ، قال في حقه : أحد فضلاء اليمن ، وواحد أدباء الزمن ، إن نثر أزرى بزهر المروج ، وأوفى على زهر البروج ، وإن نظم أخجل جواهر

(١) صحح شعر محمد بن سليمان المرهبي اليمني على « سلافة العصر » .

العقود، وفعل بالألباب فعل ابنة العنقود، وكلامه يطرب بالأسماع، ويأخذ بمجامع القلوب والأسماع، وقفت له على نثر أتبعه بنظم في رسالة كتبها إلى جمال الإسلام والمسلمين علي بن المتوكل على الله أمير المؤمنين، وقد ذكر المصنف الرسالة بطولها، فأضربت عن نقلها مراعاة للاختصار وأما النظم الذي اتبع به النثر فهو قوله وهي من غرر القصائد وفائق الشعر:

أما آن أن ترقى الجفون السواجم ... وتقصر هاتيك القلوب الهوائم[1]

إلى الله حتى البرق أعداه رقة ... نحولي واعتلت لجسمي النسائم

وقد سئمت زهر النجوم دعايتي ... وملت مناجاتي لهن الحمائم

ومن حر ما ألقاه من مهيع الصبا ... غدت نسمات الحي وهي سمائم

وقد أذهبت لوني يد الشوق واكتسى ... أصيل الحمى من صفرتي وهو نائم

فلولا بكائي في المعاهد سحرة ... لما سمعت للطير فيها مآتم

وكم يستمد القيظ من حر زفرتي ... وتمتار من أجفان عيني الغمائم

وما الرعد إلا أنه من جوانحي ... تنم بما وارته مني الحيازم

فحتام قلبي في الصبابة هائم ... وانسان عيني في المدامع عائم؟

خليلي كم أخفي الهوى وتذيعه ... جفون مساعي الدمع فيها النمائم

ولم أر مثل القلب عوناً على الهوى ... تشب به نار الجوى وهو كاتم

---

(٢) السلافة : ٤٧٥

وفي كبدي من حب أسما جراحة تعز على الآسيّ فيها المراهم
وإن شفائي ما استدار نطاقها عليه وما ضمته منه المباسم
ودون لقا أسماء من بأس قومها
سباسب ما سارت عليها المناسم
ومن ذا على خوض المهالك مسعدي وقد قل في هذا الزمان المسالم؟
أخلاي اطراً حاسد ومفند وقال ومغتاب وواشٍ ولائم
سقى تلعات الجزع فالشط فاللوى فسفح النقا سار من المزن ساجم
مغان قضت فيها الشبيبة حقها سروراً وغصن اللهو ريان ناعم
ولي بين هاتيك المعاهد ظبية تبات حواليها الليوث الضراغم
من الهيف نعساء النواظر طفلة لها السمر والبيض الرقاق تمائم
تنام فلم يلمم بها الطيف غرة بفحش ولم يحلم بها قط حالم
ترى علمت أني بها الدهر مغرم وأن فؤادي في الصبابة هائم
وإن لقلبي لوعة يستثيرها إذا هدأت جنح الظلام الهمائم
لئن درست تلك المعاهد أو عفت
فلم تعف من شوقي إليها معالم
وإن زماناً قد قضت لي صروفه بفرقة هاتيك الديار لظالم
وهل جاز أن أرضى على الدهر أو أرى
به ضاحكاً والفضل غضبان واجم
ومالي لا أشكوا الزمان وقد هوت
بأهل النهى أحقاده والسخائم

يحار إذا ما سيل لم أخصب الفتى ... جهولا ولم أكدى بها وهو عالم؟

وما هي إلا حكمة دون فهمها ... فلاة مطي العقل فيها روازم

تقاصرت الأوهام عنها كأنما ... عليها لتضليل العقول طلاسم

وأسلم شيء أن يقال بأنها ... حظوظ قضى الباري بها ومقاسم

ألم ترني أستنهض الجد عاثراً ... وأستنطق الأقدار وهي أعاجم

وأستنتج الأيام وهي حوائل ... وأستمطر الأنواء وهي حوائم

وذنبي أني في البلاغة صادح ... وغيري في أسر الفهاهة باغم

وفي الناس من يستصغر الشعر رتبة ... وما الناس لولا الشعر إلا بهائم

فبي ختمت رسل الفصاحة وانتهت ... إلى ابن أمير المؤمنين المكارم

فتى تسعد الآمال والفضل عنده ... وتشقى القنا في كفه والدراهم

بمن ذا من الأجواد يوماً أقيسه ... وقد جاز في مسعاه كعب وحاتم

أنال الخراد البيض وهي كواعب ... وأعطى عراب الخيل وهي كرائم

غدا حاكماً شرق البلاد وغربها ... وآمالنا فيما حواه حواكم

يجل صغير الأمر في عين غيره ... وتصغر في عينيه منه العظائم

أنيطت به الأحكام طفلاً وإنها ... تمائم مخصوص بهن الأكارم

نديماه يوم السلم شعر وعالم ... وخدناه يوم الروع رمح وصارم

ترج نداه للغنى وهو نافع ... ولذ بحماه آمناً وهو عاصم

تخيلته في الدست بدراً متوجاً ... ولكنه في السرج ليث ضبارم

وسائله السمر العوالي إذا عدا ... وكم حمدت سمر العوالي العوالم

إذا سار أقذى مقلة الشمس عثيراً
وروعت الجوزا بـه والنعـائم
وسد الفضاء الرحب بالخيل والقنـا
وضـاقت بـه أنجـاده والتهـائم
وأدلج في ليل من النقع مظلم كواكبه فيه الظبى واللهاذم
له كل يوم غارة ينتحي بها أساطين من بأس العدى ودعائم
فتنفعل الأشيا له قبل كونها ويهزم من بعـد إذا قيل قادم
فآراؤه تردي أعـاديه لاالقنـا وصولته تغتالهم لا الصوارم
وذا حال من يعنى الإله بشأنه يعاد القضا في أمره وهو نائم
ويسعده برجيس فيما يرومهُ ويعيي وبهرام عليه يصـادم
أبو الحسن الراقي من المجد منصبـاً
نسيف الخوافي دونـه والقوادم
وأكرم من تزجى المطـايا لبابه وترسم في البيدا ثناه الرواسم
ترحل شهر الصوم عنا فأعلنت عليك المبادي بالثنا والخواتم
ولو كان معنى الصوم شرعاً موافقاً
لـه لغة مـا قيل إنـك صـائم
لأنك لا تنفك بالخير آمراً وكفك فيهـا للنوال مزاحم
لقد جردت منك السماحة مرهفـاً
تجـذ بـه للعسر عنـا غـلاصم
وبحر نوال كلما عب زاخراً رأيت بحار الأرض وهي كظائم
إذا لم يشم في المحل برق غمـامة فإني لبرق العرف منك لشائم

وإن لاح وجه الأرض في الجدب عابساً فإن ثغور الجود منك بواسم

وهاك ثناء أبرزته قريحتي كما أبرزت زهر الرياض الكمائم

وما كل شعر يشبه الدر نظمه فما الدر إلا ما أنا فيك ناظم

ولا زال مخدوماً لك الفلك الذي عليه مدار الأمر والسعد خادم

شعر

الشوشتري [1]

وممن نقل له صاحب «السلافة» الملا فرج الله الشوشتري قال في حقه: أحد مفلقي شعراء العجم الذي طلع نبت مقاله في روض البلاغة، ونجم علا في البلاغة شعره، فغلا في سوق الادب سعره، ونظمه بالعربية محرز خصل الإجادة، وسأثبت مما سقاه غيث إحسانه وجاده، فمنه قوله من قصيدة مدح بها الوالد عددها مائة وثمانية وخمسون بيتاً:

ما بين دجلة والفرات مراتع هي للنفوس معارج وسماء [2]

ومنازل هي للقلوب منازل لا جاوزتها ديمة هطلاء

لا الجزع يسليني ولا وادي الغضا عنها ولا النجا ولا الدهناء

لا رامة رومي ولا حزوى ولا وادي النقا والخيف والخلصاء

---

(١) قوبل شعر الملا فرج الله الشوشتري على « سلافة العصر » .

(٢) السلافة : ٤٩٢

سقت الغوادي روضها وفلاتها ورعت بمرعاها مهاً وظباء
أصبو إلى سكانها طول المدى لم تلهني خود ولا هيفاء
إن الاماكن تستحب لاهلها أنا عروة وجميعهم عفراء
بهم أشبب لا بعاتكة وكم في مهجتي من بينهم برحاء
أسماؤهم ملأت خروق مسامعي
لا ميّ تسكنها ولا أسماء
للناظرين على الفراق مواطن لهم بهن عن الجنان غناء
وبسوحهن مراتع وملاعب الليل فيها والنهار سواء
مستوطن الآمال غايات المنى للغانيات بها الغداة ثواء
يرتعن بين ضلوعنا فكأنما أرباعها الألباب والأحشاء
آرام أنسي للنفوس أوانس داء ولكن للعيون دواء
يصغي إليهن الجليس فينتشي وهناك لا خمر ولا صهباء
حل الربيع متى حللن بمنزل فكأنهن عوارض وحياء
وإذا ارتحلن ترى الديار كأنها من فقدهن سباسب قفراء
كم من مناهل للفرات وردنها وصدرن وهي لعودهن ظماء
لا تعجبن إن لم يفين بموعد إن الغواني ما لهن وفاء
سكان تلك الأرض كلهم لهم عندي هوى وصداقة وإخاء
إن يسلبوا عني السرور ببينهم فلمهجتي بحديثهم سراء
فهم مناط مساءتي ومسرتي وهم لقلبي شدة ورخاء
أكبادنا نار الغضا من بعدهم تذكي الأسى وجفوننا أنواء
الظاعنون القاطنون قلوبنا هم واصلين وقاطعين سواء

وإذا المحبة في الصدور تمكنت   فقد استوى الإبعاد والادناء

ألقتني الأيام من أرض إلى   أرض لها أرض العراق سماء

شتان ما بيني وبين مزارهم   هيهات أين الهند والزوراء

كيف احتيالي في الوصول إليهم   إن الوصول إليهم لرجاء

لا تركبن ظهر الرجاءِ مطية   إن الرجاء مطيـة عرجاء

وكواذب الآمال لا تهدي بها   دعهـا فتاك هدية عميـاء

ياساكني دار السلام عليكمُ   مني السلام ورحمـة ودعاء

أين العزاء وأهله وضجيعهُ   روحي له ولما حواه فداء

ومن مديحها :

الأحمد المحمود كل فعـاله   ما شاءه وقضى به فقضاء

ما للعقول وفوق ساحة فضله   قد ضلّت الأفهام والآراء

فله يـدٌ وله أناملُ فعاهـا   الإنعام والإحسان والإعطاء

لا كالبحار تظل تجمع ماءها   بل كالجبال يسيل عنها الماء

دار المعاني والبحار كليهما   يوم العطـاء لدى يديـه هباء

فلسيبه وعطـائه بسؤاله   واسبيه ولسيفه الأعداء

شرك الأفـاضل في خصـائص فضلهم

وله خصـائص دونهـا الإحصاء

وهي طويلة اكتفيت من نقلها بهذا المقدار طلباً للاختصار .

وذكر له أيضاً قصيدة ذكر أنه مدح بها والده أيضاً وهي :

أليلة القدر أم ليالي الرغائب ليـال قطعناها بوصل الحبائب[1]

ليـال تجلت بالوجوه وزينت بها لا بأقمار ولا بكواكب

وما أسمن الأنظار والقلب وامق إذا كان مرعاها خدود الكواعب

رأيت وما آنست نوراً كوجهها وطفت بقاع الأرض من كل جانب

إذا خفيت لاحت وأخفت إذا بدا سنا وجهها مثل النجوم الثواقب

تعرضتها شاكي السلاح أخاف من

صوارم لحـظ أو سهام صوائب

لئن أخطـأت بعض القلوب سهامهـا

فـما كل ما يرمي السقيم بصائب

لرؤيتها كلي عيونٌ وكلهـا بهاءٌ وحسنٌ لم يزين بجـالب

وما جشأت نفسي لدى الصد والنوى

ويعرف قـدر المرء عنـد النوائب

ولا أتحاشى الموت إن كان مقتلي بسهم لحاظ من قسي الحواجب

وكيف يخاف الموت من كان هلكه

بأشبـاه أطراف القنـا والقواضب

مسافة بين الخـافقين بذكرها لأقرب مما بين عين وحاجب

فلم أدر إذ طال السرى بحديثها مشيت برجلي أم مشت بركائبي

---

(١) السلافة : ٤٩٥

أراقت دمي أم لم ترقه فـإنني وإن أتلفتني لست عنها براغب

لكثرة ضربي باليدين قد انمحت لهـا أسفاً يوم الوداع رواجبي

رجعنا ومـا أبصارنا برواجع وأبنـا ومـا ألبـابنا بأوائب

تراني يا سلم ابن ود لصاحب وصاحبـة يستعذبان مشاربي

فلا أستقي إلا بحبل مساجلي ولا أرتوي إلا بكأس مصاحبي

وما خفت شخصاً إتقاءً لشره ولكن لأن يلقاه شر بجانبي

ومـا بخلت نفسي ولا ضقت ساعة بلـين لسلم أو بحزن لحارب

أجيب المنادي سائلا أو مسائلاً وأعرض عمن لا أراه مجـاوبي

فمن يرتضي قربي قليلاً وصلته ولست لمن لم يهوه بمقـارب

وتلك سجايا ليس يعرفها الورى سوى سيد السادات من آل غالب

نظام الورى ديناً ودنيا وحشمةً وعلماً ورأيا وابتذال الرغائب

مناقبه بين المنـاقب مثلة ومثل اسمه فخر الكنى والمناقب

تزاحمت الآمـال طراً ببابـه فما الناس إلا بين جاءٍ وذاهب

لديه تمـني كل بادٍ وحـاضر إليه قصارى كل سار وسارب

مصائبنا من قربه في مصيبـة فنحن بلقياه مصاب المصائب

مواهب رب العـالمين كثيرة وأنت لنا منها أجل المواهب

بك اعتلت العلياء لا أنت بالعلى وما أنت إلا رافـع للمناصب

فأنت الذي تكسي وتكسب منحـة وما الخلق إلا بين كاسٍ وكاسب

بغير حساب ما تنيل ومنة   فلست بمنان ولا بمحاسب

وأنت الذي عمت فواضله الورى   فمالك للأخاذه لا لغاصب

وأنت الذي حاز المحاسن كلها   وجمع وجوه الحسن ليس بواجب

أيا دهر أعط القوس باريها إذن   وراع على هذا صلاح العواقب

إمام لدى الهيجا إمام لدى الحجى   مشير مجير هازم للكتائب

مصيب بضرب السيف والطعن بالقنا

قوي قدير عارف بالمضارب

شجاع كمي لوذعي غشمشم

يد السيف ظهر الرمح قلب المواكب

بد لو رآها البحر أصبح ناضباً   ظلمت متى شبهتها بالهواضب

بصير بأعقاب الأمور مجرب   كأن جرب الدنيا بكل التجارب

أتيتك مولاي بما ملكت يدي   وحصله فكري وخول واهبي

أتيتك مهتوفاً بروعي كما أتى   نبي الهدى سلماً سواد بن قارب

وفقري إليك الدهر أغنى من الغنى   وذلك فقر لست عنه بهارب

فلا أشتفي إلا بمدحك إن أفز   بلفظ غريب أو بمعنى مناسب

ولم أشتغل إلا بذكرك إن أجد   لساناً فصيحاً ناطقاً بالمطالب

فهذا مديح من خلوص عقيدة   وإخلاص ودٍ لم يشب بشوائب

لزمت ذمامي إن قبلت وذمتي   وإلا فقد ألقيت حبلي بغاربي

فلا زلت في الدنيا أماناً لخائف   وغوثاً لملهوف وكهفاً لهارب

وبابك للاجين مأوى وموئل   وجودك مبذول لعاف وطالب

يشير بقوله :

أتيتك مهتوفاً بروعي كما أتى نبي الهدى سلماً سواد بن قارب

إلى إتيان سواد بن قارب الى النبي ﷺ مسلما أتاه ريبه بظهوره عليه افضل الصلاة والسلام ، والخبر ما رواه اصحاب السير من حديث محمد بن كعب القرظي قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالس ، اذ مر به رجل فقيل له يا أمير المؤمنين هذا سواد بن قارب الذي اتاه ريبه بظهوره ﷺ فقال له عمر رضي الله عنه انت سواد بن قارب قال : نعم. قال : انت على ما انت عليه من الكهانة ؟ فغضب. فقال : عمر رضي الله عنه سبحان الله ! ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه ، فأخبرني بإتيانك ريبك بظهور النبي ﷺ ، فقال : بينما أنا ليلة بين النائم واليقظان ، إذ أتاني فضربني برجله ، وقال : قم ياسواد بن قارب ، فاسمع مقالتي ، واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول :

عجبت للجنّ وتطلابها وشدها العيس بأقتابها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما مؤمن الجن ككذابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ليس قداماها كأذنابها

فقلت : دعني أنام لست واعياً ، ولما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله ، وقال قم يا سواد بن قارب ، فاسمع مقالتي ، واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتخبارها وشدها العيس بأكوارها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما مؤمن الجن ككفارها
فارحل إلى الصفوة من هاشم بين روابيها وأحجارها

فقلت : دعني أنام فإني أمسيت ناعساً ، فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله ، وقال : قم ياسواد بن قارب فاسمع مقالتي ؛ واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب ، يدعو إلى الله وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتحساسها وشدها العيس بأحلاسها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما خير الجن كأنجاسها
فارحل إلي الصفوة من هاشم وانظر بعينيك إلى رأسها

قال : فرحلت ناقتي ، وأتيت المدينة فإذا رسول الله ﷺ وأصحابه حوله فانشات اقول :

أتاني نجي بين هدو ورقدت ولم أك فيما قد بلوت بكاذب [1]
ثلاث ليال قوله كل ليلة أتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمرت عن ذيلي الإزار ووسطت
بي الذعلب الوجناء بين السباسب
فأشهد أن الله لا رب غيره وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة من الله يابن الآمنين الأطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى وإن كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة بمغن فتيلاً عن سواد بن قارب

قال ففرح رسول الله ﷺ وأصحابه فرحاً شديداً ، فقام إليه عمر رضي الله عنه ، فالتزمه ، وقبل بين عينيه ، وقال : كنت أشتهي أن أسمع

---

(١) السلافة : ٤٩٨

هـذا الحديث منك ، فهل يأتيك ريبك اليوم ؟ قال : أمـا منذ قرأت القرآن فلا ، انتهى .

شعر

علوي بن اسماعيل البحراني [1]

وممن ذكر صاحب « السلافة » السيد علوي بن اسماعيل البحراني قال في حقه : فاضل النسب والأدب معرق ، وكامل تهدل في فروع مجـده وأعرق ، وهو اليوم شاعر هجر ، ومنطيقهـا الذي واصله المنطق الفصل وما هجر ، يفسح للبيان مجالا ، ويوضح منه غرراً وأحجالا ، ويشتار من جنـاه عسلا ويهز من قناه أسلا ، ومعظم شعره فائق مستجاد ، فمنه قوله في الغزل وقد أجاد :

بنفسي أفدي وقل الفـدا ... غزالا بوادي النقـا أغيدا [2]

مليحا إذا نض عن وجهـه ... نقاب الحيـا خلت بدراً بدا

غزالا ولكن إذا ما نصبت ... شراكا لأصطاده استأسدا

سقيم اللواحظ مكحولهـا ... ولم يعرف الميل والأثمدا

رشيق القـوام إذا هزه ... رأيت الغصون له سجـدا

له ريقة طعمـها السكري ... يجلي الصداء ويروي الصدى

---

(١) صحح شعر علوي بن اسماعيل البحراني على «سلافة العصر» .

(٢) السلافة :٥٢٧

ولحظ كعضب ولكنه يشق القلوب وما جردا
نأى بعد فهو لغيري ولي قريب المزار بعيد المدى
تفرد بالحسن دون الملا فسبحان مولى له أفردا
رعى الله أيامنا الماضيات وعيشاً ألفنا بها أرغدا
وصب على ترب تلك الربوع مثعنجراً مبرقاً مرعدا
فكم قد أقمنا بها لم نخف عدوا ولم نرتقب حسدا
إلى حيث أخنت صروف الزمان وشمل الوصال بها بددا
وأضحت قفارا وليس بهن مقيم من الجمع إلا الصدى
إذا قلت أين حبيبي غدا يجيب بأين حبيبي غدا

وقوله أيضاً :

أشيم البرق وهو علي شوم ويثنيني له الشغف القديم (١)
وأصبر للهوى العذري ما إن شدا القمري أوهب النسيم
رعاك الله يا قمري نجد تنوح فلا تنام ولا تنيم
أرقت ولا كما أرق النسيم قلقت ولا كما قلق السقيم
وكابدت الأسى والحزن إذلا أخ يدري بذاك ولا حميم
زعمت بأن وجدك فوق وجدي وذاك لأنني صب كتوم
أعرض إن بكيت بذكر حزوى
ولا حزوى عنيت ولا الغميم
ولولا المنجدون لما شجتني طلول بالغوير ولا رسوم
ألا يا منجدون ولم تعودوا لقد أبطأتم فمتى القدوم

---

(١) السلافة : ٥٢٨

ومن رقيق قوله في النسيب :

أتت تحمل الابريق شمس الضحى وهناً
ولو سمحت بالريق كان لها أهنى[1]

حكاها قضيب الخيزران لأنه
يشاركها في الاسم والوصف والمعنى

ترينا الضحى والليل ساج وما الضحى
وتلعتها من نور طلعته أسنى

مهفهفة الأعطاف خود وخلتها   من الحور إلا أن مقلتها وسنى

لها كفل كالدعص ملء إزارها   وقد إذا ما ست به تخجل الغصنا

عليها برود الأرجوان كأنها
شقائق أو من وجنتيها غدت تجنى

ولا عيب فيها غير أن مليكها   براها بخلق يعقب الحسن بالحسنى

تقوم تعاطينا سلافة ثغرها   على عجل نلنا به المن والأمنا

هي الروح والريحان والراح والمنى
علي بها معطي المواهب قد منا

قصرت عليها محض ودي فلم يكن
سواها له في القلب ربع ولا مغنى

---

(١) السلافة : ٥٢٩

شعر

جعفر الخطي [1]

وممن ترجم له صاحب « السلافة » جعفر بن محمد حسن الشهير بالخطي البحراني العبيدي أحد بني عبد القيس ، قال في حقه : ناهج طرق البلاغة والفصاحة ، الزاخر الباحث الرحيب الباحة ، ثقف بالبراعة قداحه ، وأدار على السامع كؤوسه وأقداحه ، فأتى بكل مبتدع مطرب ، ومخترع في في حسنه مغرب ، وله ديوان شعر وقفت على فرائده التي لمعت ، فرأيت ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت . وقد استوطن الديار الأعجمية حتى اختطفته أيدي المنون ، وخلد بها عرائس الفنون ، وكانت وفاته سنة ١٠٢٨ ثمان وعشرين وألف ، ولما دخل أصبهان اجتمع بالشيخ بهاء الدين محمد العاملي ، وعرض عليه أدبه فاقترح عليه معارضة قصيدته الرائية المشهورة التي مطلعها :

سرى البرق من نجد فجدد تذكاري عهوداً بحزوى والعذيب وذي قار

فعارضها بقصيدة طنانة أولها :

هي الدار تستسقيك مدمعك الجاري

فسقياً فخير الدمع ما كان للدار [2]

ولا تستطع دمعاً تريق عيونه لعزتهِ ما بين نؤي وأحجار

---

(١) صحح شعر جعفر الخطي البحراني على (سلافة العصر) .

(٢) السلافة : ٥٣٢

فأنت امرؤٌ قد كنت بالأمس جارها
وللجار حق قد علمت على الجار

عشوت إلى اللذات فيها على سنى سناء شموس ما يغبن وأقمار

فأصبحت قد أنفقت أطيب ما مضى
من العمر فيما بين عون وأبكار

نواصع بيض لو أفضن على الدجى سناهن لاستغنى عن الأنجم الساري

حرائر ينصرن الأصول بأوجه تغص بأمواه النضارة أحرار

معاطير لم تغمر يداً في لطيمة لهن ولا استعبقن جونة عطار

أبحنك ممنوع الوصال نوازلا على حكم ناه كيف شاء وأمار

إذابت تستسقي الثغور مدامة أتتك فحيتك الخدود بأزهار

أموسم لذاتي وسوق مآربي ومجنى لباناتي ومهبط أو طاري

سقتك برغم المحل أخلاف مزنة تلف إذا جاشت سهولا بأوعار

وفج كما شاء المجال حشوته بعزمة عواد على الهول كرار

تمرس بالأسفار حتى تركنهُ بدقته كالقدح أرهفهُ الباري

إلى ماجد يعزى إذا انتسب الورى
إلى معشر بيض أماجد أخيار

ومضطلع بالفضل زر قميصه على كنز آثار وعيبة أسرار

سمي النبي المصطفى وأمينه على الدين في إيرادحكم وإصدار

به قام بعد الميل وانتصبت به دعائم قد كانت على جرف هار

فلما أناخت بي على باب داره مطاياي لم تذمم مغبة أسفاري

فكان نزولي إذ نزلت بمغدق على المجد فضل البرد عار من العار
أساغ على رغم الحوادث مشربي
وأعذب ورد العيش لي بعد إمرار
وأنقذني من قبضة الدهر بعد ما ألح بأنيـاب علي وأظفار
جهلت علي معروف فضلي فلم يكن
سواه من الأقوام يعرف مقداري
على أنه لم يبق فيما أظنه على الارض شبر لم تطبقه اخباري
فلا غرو فالإكسير أكبر شهرة وما زال من جهل به تحت أستار
متى بل لي كفاً فلست بآسف على درهم إن لم ينله ودينار

ثم قال : وتمام القصيدة يؤخذ من ديوان الشاعر المذكور . ومن بديع قصائده أيضاً قوله في صباه يمدح وزير البحرين محمد بن نور الدين أنشدها يوم عيد الفطر للسنة الحادية عشر بعد الالف .

ماذا يفيدك من سؤال الأربع وهي التي إن خوطبت لم تسمع [1]
سفهٌ وقوفك في رسوم رثة عجماء لاتدري الكلام ولاتعي
فذر الوقوف على محاني منزل عاف لمختلف الرياح الاربع
وامسك عنان الدمع عن جريانه في دمنة لا تحمدنك ومربع
الله جارك هل رأيت منازلا عطلت فحلتها عقود الادمع
واستبق قلبـاً لا تعيش بغيره وشعاع نفس إن يغب لم يطلع
واصرف بصرف الراح همك انها
مهـما تفرق من سرورك تجمع

---

(١) السلافة : ٥٣٥

كرمية تذر البخيل كأنما نزل ابن مامة من يديه بأصبع

فهي التي آلت ألية صادق أن لا تجاورها الهموم بموضع

من كف ساحرة اللحاظ كأنما ترنو بناظرتي مهاة مرضع

وكأنما تمشي على شمس الضحى إما هي انتقبت حواشي البرقع

وكأنما وضع البرى منها على عشر تعاوره الحيا أو خروع

يا من يفر من الخطوب وصرفها أنى أراه يفر عنها تتبع

لذ بالوزير فانما تأوي إلى الـ ـكنف الأعز الأمنع ابن الأمنع

ملك رقى درج الفخار فلم يدع فيها لراق بعده من مطمع

وتناولت كفاه أشرف رتبة لو قام يلمسها السها لم يسطع

أندى من الغيث الملث إذا اجتدى

أحمى من الليث الهزبر إذا دعي

التارك الأبطال صرعى في الوغى فكأنهم أعجاز نخل منقع

يذر الجماجم في المكر سواقطاً سقط الثمار من المهب الزعزع

الى أن قال :

يا ابن الألى جعلوا مراكز سمرهم

حب القلوب بكل يوم مفظع

واستبدلوا للبيض من أغمادها في الحرب هامة كل ليث أروع

النازلين من العلى في رتبة هام السهى منها بأدنى الموضع

ماحدثت نفس امرىء ببلوغها إلا ومات بغلة لم تنقع

وإليك من عرب الكلام خريدة جاءتك مسفرة ولم تتبرقع

عذراء أول مـا جلاه لناظر　　نظمي وأول ماتلاة لمسمع

من شاعر ذرب اللسان مفوهٍ　　طب بتركيب القوافي مصقع

فاضمم عليـه يديك تحظ بمفلق　　أذكى من المتقدمـين وأبرع

فليُسمعنَّك إن بقي لك بعدها　　ماتستبين لديه ذل الأشجـع

قال مؤلف «السلافة» : لما وقفت على هذه القصيدة راق لي هذا الوزن والروي فاحببت أن أنظم عليها وبالله التوفيق :

يادار ميـة باللوى فالأجرع　　حياكِ منهل الحيا من أدمعي [١]

وسرى نسـيم الروض يسحب ذيله　　بمصيف أنس في حمـاك ومربـع

لو لم تبيتي من أنيسك بلقعاً　　ما بت أندب كل دار بلقـع

لم أنس عهدك والأحبة جيرة　　والعيش صفو في ثراك الممرع

أيام لا أصغي للومـة لائم　　سمعاً وإن تقر الصبابة أسمع

حيث الربى تسري برياهـا الصبـا　　والروض زاهي النور عـذب المشرع

تحنو علي عواطفـاً أفنـانهُ　　عند المبيت به حنو المرضع

كم بت فيه صريع كأس مدامة　　حلف البطالة لا أفيق ولاأعي

يعتادني زهو الشباب وعفتي　　فيه عفاف النـاسك المتورع

لله أيـامي بمنعرج الـلوى　　حيث الهوى طوعي ومن أهوى معي

---

(١) السلافة : ٥٣٦

لم أنسه والبين ينعق بيننا متصاعد الزفرات وهي مودعي
إن شب في قلبي الغضا لفراقه فلقد ثوى بالمنحنى من أضلعي
أتجشم السلوان عنه تكلفاً والطبع يغلب شيمة المتطبّع

ومن غرر قصائده قوله يصف حاله ، وقد ضربته في وجهه سمكة تعرف بالسبيطية ، فشجته ومعه ابنه حسان ، ومن تأمل هذه القصيدة عرف سمو قدره في البلاغة ، وأخذه برقاب الكلام ، وتلاعبه بمحاسن المعاني وهي قوله :

برغم العوالي والمهندة البتر دماء أراقتها سبيطية البحر [١]
ألا قد جنى بحر البلاد ونوبلي [٢] علي بما ضاقت به ساحة البر
فويل بني شن ابن اقصى وما الذي رمتهم به أيدي الحوادث من وتر
دم لم يرق من عهد نوح ولا جرى على حد ناب للعدو ولا ظفر
تحامته أطراف القنا وتعرضت له الحوت يابؤس الحوادث والدهر
لعمر أبي الأيام إن باء صرفها بثار امرىء من كل صالحة مثر
فلا غرو فالأيام بين صروفها وبين ذوي الأخطار حرب إلى الحشر
ألا فابلغ الحيين بكراً وتغلباً فما الغوث إلا عند تغلب أو بكر

---

(١) السلافة : ٣٧٥

(٢) نويلي اسم بلاد البحرين (جامع الكتاب)

أيرضيكما أن امرءاً من بنيكما وأي امرىء للخير يدعى وللشر

يراق على غير الظبى دم وجهه ويجري على غير المثقفة السمر

وتنبو نيوب عنه أيضاً وينثني

أخو الحوت عنه دامي الفم والثغر

ليقضي امرؤ من قصتي عجباً ومن

يرد شرح هذا الحال ينظر الى شعري

أنا الرجل المشهور ما من محلة من الأرض إلا قد تخللهاذ كري

فإن أمس في قطر من الأرض إن لي بريد اشتهار في منا كبها يسري

طوالع بي صرف القضاء ولم يكن

لتجري صروف الدهر إلا على الحر

توجهت من مري(١) ضحى فكأنما

توجهت من مري إلى العلقم المر

تلججت خور القريتين مشمراً وشبلي معي والماء في أول الجزر

فما هو إلا أن فجئت بظافر

من الحوت في وجهي ولا ضربة الفهر

لقد شق يمنى وجنتي بنطحة وقعت لها دامي المحيا على قطر

فخيل لي أن السماوات أطبقت

علي وأبصرت الكواكب في الظهر

---

(١) مري اسم قرية بالبحرين (جامع الكتاب)

وقمت كجدي ند من يد ذابح وقد بلغت سكينه ثغرة النحر

يطوحني نزف الدماء كأنني نزيف طلامالت به نشوة الخمر

فمن لامرىء لا يلبس الوشي قد غدا
وراح موشى الجيب بالنقط الحمر

ووافيت بيتي ما رآني امرؤ ولم يقل أو هذا جاء من ملتقى الكر؟

فها هو قد أبقى بوجهي علامة
كما اعترضت في الطرس إعرابة الكسر

فإن يمح شيئاً من محياي اثرها بمقدار أخذ المحو من صفحة البدر

فلا غرو بالبيض الرقاق إذا لها على العنق مالاحت به سمة الأثر

وقل بعد هذا للسبيطية افخري على سائر الشجعان بالفتكة البكر

وقل للظبا مهلاً إليك عن الطلى وللسمر لاتهززن يوماً إلى صدر

فلو هم غير الحوت بي لتواثبت رجال يخوضون الحمام إلى نصري

فاما إذا ما عز ذاك ولم يكن لإدراك ثاري منه مامد في عمري

فلست بمولى الشعر إن لم أزجه
بكل شرود الذكر أعدى من العر

أمر على الأجفان من حادث العمى
وأبلى على الآذان من عارض الوقر

يخاف على من يركب البحر شرها وليس بمأمون على سالك البر

تجوس خلال البحر تطفح تارة وترسو رسو الغيض في طلب الدر
تناول منه ما تغالى بسبحةٍ وتدرك دون القعر مبتدر القعر
لعمر أبي الخطي إن بات ثأره لدى غير كفءٍ وهو نادرة العصر
فثأر عليٍ بات عند ابن ملجم وأعقبه ثأر الحسين لدى شمر

شعر

ماجد بن هاشم [1]

قال مؤلف « السلافة » :

لما عرضت القصيدة السابقة على الشريف ماجد بن هاشم البحراني ، كتب عليها مقرظاً بقوله : أجلت رائد النظر في ألفاظها ومعانيها ، وأحللت صاعد الفكر في أركانها ومبانيها ، فوجدتها قرة في عين الإبداع ، ومسرة في قلب الاختراع ، والحق أحق بالاتباع ، فالحمد لله على تجديد معالم الأدب بعد اندراسها ، وإزالة وحشتها بإيناسها .

كتب إلى أهله يتشوق إليهم ، وهو محبوس بشيراز قوله :

سلام يغادي جوكم ويراوحه ونشر ثناء تنتحيكم روائحه [2]
ولا زال مرفوع الثناء يؤمكم على كاهل البرق الشمالي صالحه

---

(١) صححت أشعار الشريف ماجد بن هاشم على « سلافة العصر » .

(٢) السلافة : ٥٣٩

أأحبابنا والمرء يا ربما دعا

أخا النأي إن ضاقت عليه منادحه

هل الدهر مدنيني إليكم فمبرد

لهيب اشتياق يرمض القلب لافحه ؟

ومجمع دمع كلما هتفت به دواعي هوا كم قرح الجفن سافحه

كفى حزناً أني بشيراز مفرد أباكر ما يضني الحشا وأراوحه

وفرط هموم لو تضيفن يذبلاً تضاءل واستعلت عليه أباطحه

وشوقاً لو استجلى سناه أخو الدجى

لأغناه عن ضوء المصابيح قادحه

غدا وهو عنوان الحوادث فاستوى لديه به خافي البداد وواضحه

وأشياء ضاق النظم عنها وبعضها يلوذ بظل الاستقالة جارحه

أحن فلا ألقى سوى هاتف الضحى

يطارحني شكوى النوى وأطارحه

يقطع آناء النهار بنوحه إلى أن يرى وجه الظلام يصافحه

وإن له بعد الهدو لعولةً وأجزى وأشجى النوح مالح نائحه

شكى وحشتي سجن ونأي فأجرشت

له رقة — مما يجن — جوارحه

يكاد إذا هز الجناح فخانه تغص بترجيع الحنين جوانحه

خلا أنه ذو رفقة فتى دعا تجبه على قرب المكان صوادحه

وإني إذا ما اشتقتكم حال دونكم ودوني غيلان الفلا وصحاصحه

وملتطم الأمواج ماعبثت به يد الريح إلا وامتطى النجم طافحه

على أنه في السجن أرغد عيشة ولا يستوي داني القرين ونازحه

يشنُّ علي البعد غارات جوره وتهتف بي من كل فج صوائحه

له الغلب فليشن الأعنة مبقياً عليَّ فما عندي جنود تكافحه

ولا المفرد العاني يهز رماحه لطعنٍ ولا تنضى لضرب صفائحه

سُقى جد حفص البيض سحاً ولو سما

لها الدمع أغناها عن الغيث راشحه

ولا زال خفاق النسيم إذا سرى عليلاً يماسي جوها ويصابحه

بلاد أقام القلب فيها ولم يزل وإن طمحت بالجسم عنها طوامحه

هل الله مستبق ذمامي بعودة إليها تريني الدمع قدهش كالحه ؟

ويصبح هذا البعد قدريض صعبه وأمكن من فضل المقادة جامحه

وقال في صدر قصيدة أخرى :

لعبت بعطفيه الشمول فمادا كالغصن حركه الهوى فانآدا[1]

ريم أعارَ مها الصريم لواحظاً نجلاً وآرام الحمى أجيادا

ساجي اللحاظ وإنها لأشد من بيض الظبي يوم القراع جلادا

هاتيك جاورت الجفون وهذه أبت الجفون وحلت الأكبادا

نازعته راحاً كبرد رضابه طعماً وجمرة خده إيقادا

---

(١) السلافة : ٥٤٠

فانقاد كالمهر الجموح جذبته رفقاً ثنى لعنانه فانقادا

والليل زنجي الملاة لناشر لمماً كأحداق الحسان جعادا

فنضا دجاه بغرة أوفى بها حسناً على البدر المنير وزادا

قسماً بخوص كالحني ضوامرٍ وصلت بتدآب السرى الآسادا

يحملن شعثاً من ذؤابة وائلٍ شم المعاطس سادة أمجادا!

لأفارقن الخط غير معول فيها على من ضن أو من جادا

بلد تهين الأكرمين بلؤمها تضع الفحول وتكرم الأوغادا

وله أيضاً وهي من فائق الشعر :

خذ في البكا إن الخليط مقوض فمصرح بفراقهم ومعرض[1]

وأذب فؤادك فالنصير على النوى عين تفيض ومهجة تتفيض

هاتيك أحداج تشد وهذه أطناب أخبيه تحل وتنقض

ووراء عيسهم المناخة عصبة أكبادهم وهم وقوف تركض

وقفوا وأحشاء الضمائر بالأسى تحشى وأوعية المدامع تنفض

يتخافتون ضناً فمطلق أنةٍ ومطامن من زفرة ومخفض

قبضوا بأيديهم على أكبادهم والشوق ينزع من يدما تقبض

فإذا هم أمنوا المراقب عرضوا بشكاتهم وإذا استرابوا أعرضوا

رحلوا وآراءُ البكاة وراءهم شتى فسافح عبرة ومغيض

---

(١) السلافة : ٥٤١

أتبعتهم نفساً ودمعاً نادراً　　تشوى الرياض وماء ذلك يروض

من ناشد لي بالعقيق حشاشة
طاحت وراء الركب ساعة قوضوا ؟

لم تلو راجعة ولم تلحق بهم　　حتى وهت مما تطيح وتنهض

أترى رماتهم دروا من أوغلوا　　في قلبه تلك السهام وخضخضوا

أنا قد رضيت بما أراقوا من دمي
عمداً على سخط القتيل فهل رضوا ؟

فهناهم صفو الزمان وإن هم　　بالريق يوم وداعهم لي أجرضوا

باتوا أصحاء القلوب وعندنا　　منهم على النأي المعل الممرض

يا صاح أنت المستشار لمن عدا　　من حادث الأيام والمستنهض

أشكو إليك صباً تعين على دمي　　برق تألق بعد وهن يومض

فمن المذم على المحاجر من سنا　　برق كصل الرمل حين ينضنض

فلق الوميض فليس يغمض طرفه
ليلاً ولا يدع المحاجر تغمض

نشرت له ليلاً على كثب الحمى　　حلل تذهب تارة وتفضض

وبمنحنى الجرعاء حي ثوروا　　بالقلب ثائرة الظنون وأبضوا

ولقد دعوت ووجه شوقي مقبل　　بهم ووجه الصبر عني معرض

ردوه أحي برده أو ألحقوا　　كلي به فالحي لا يتبعض

نفسوا ابردهم النفيس وعوضوا　　عنه الأسى بعداً لما قد عوضوا

ياصاح هل يهب التجلد واهب　　أو يقرض السلوان عنه مقرض؟

وأبي لقد عز العزاء وما بقي   بيدي من سيف التجلد مقبض
انفضت من زاد السلو وما عسى   يبقى عقيب نفاذ زاد منفض ؟

ومن محاسن مراثيه المرثيه التي رثى بها الشيخ أبا علي عبد الله بن ناصر ابن حسن بن المقلد من بني وائل ، وكانت وفاته في السنة ١٠١١ الحادية عشرة بعد الألف ، وهي من غرر المراثي ، ولولا جودتها لم أنقلها وهي :

أكف البرايا من تراثهم صفر   وبيض المنايا من دمائهم حمر[1]
وخيل الرزايا ما تزال معدة   تقاتلنا فرسانها ولها النصر
تكر علينا البيض والسمر بالردى   فتبلغ ما لا تبلغ البيض والسمر
ومورد هذا الأمر مرٌّ وإنه   لأعذب شيء عندنا ذلك المر
خليلي من أبناء بكر بن وائل   قفا واندبا شيخاً به فجعت بكر
وبدراً تراءى للنواظر فاهتدت   به برهة ثم اختفى ذلك البدر
وعضباً ثنت أيدي النوائب حده   وكان اعتراها من مضاربه عقر
أرامي الورى أخطأتنا وأصبتهُ   أسأت بنا شلت أناملك العشر
فيا أيها الثاوي الذي اتخذ الثرى   مقاماً فهلا كان في صدري القبرُ
فإن جعل الماء القراح بزعم من   رآه لكم طهراً فأنتم له طهر

---

(١) السلافة : ٥٤٢

وإن بليت أكفـانك البيض في الـثرى
فـما بـلي المعروف منك ولا الذكر

كأنك مغناطيس كل مهذب فما كامل إلا وفيك له قـبر
ليهنك فخراً ان ظفرت بتربة يعفر خداً دون إدراكها العفر

ثوى بك من آل المقـلد سيـد
هو الذهب الإبريز والعـالم الصفر

فـتى كرمت آباؤه وجدوده وطابت مساعيه فتم له الفخر
عفيف ملاث البرد عن كل زلة وفي أذنه عن كل فاحشة وقر
جواد له في كل أنملة مجـد بصير له في كل جارحة فكر
ويا بلد الخط اعتراك لفقـده مدى الدهر كسر لا يرام له جبر
من الآن بدء الشر فيك وإنـه لمتصل باق وآخره الحشر

فـأي فـتى لا يرهب الضيم جـاره
فقـدت ويسر لا يمـازجه عسر

وليث وغى لو قابل الليث أعزلا وحاربه لم يغنه الناب والظفر
فأقسم لولا موتـه في فراشه لجردت البيض المهندة البـتر
وأرعشت الملد المثقفة السمر وأقبلت الخيل المسومة الشقر
عليهن من آل المقلد غلمـة مساعير حرب لا يضيع لهم وتر
تثقف ملاد الرمـاح أكفهم وتمنحهـا طولاً إذا شانها قصر
كأنهم والسابغـات عليهم ُ إذا ما دجـا ليل الوغى أنجم زهر

ولو خلد المعروف في الناس واحداً
لخـلد عبد الله نائله الغمر

ولكنها الأيام جاءته تبتغي ... نوالاً فأولاها نوالاً هو العمر

فيا قبره حياك منبعق الكلا ... ونشر من أبراده حولك الزهر

بنيه اصبروا فالصبر أجمل حلة ... تردى بها من مس جانبه الضر

فلولا انقضا الأعوام ما فني الدهر ... ولولا فنا الأيام ما نفذ الشهر

ودونكم من لجة الفكر درة ... منظمة يعنو لها النظم والنثر

وعذراء من حر الكلام خريدة ... بأمثالها في الشعر يفتخر الشعر

وما مهرها إلا قبولكم لها ... لقد كرمت ممهورة وغلا المهر

شعر

عبد العلي الحويزي [1]

ومن رجال « السلافة » عبد العلي بن ناصر بن رحمة الحويزي ، قال في حقه : فاضل قال من الفضل بظل وريف ، وكامل حل من الكمال بين خصب وريف ؛ فالأسماع من زهرات أدبه في ربيع ، ومن ثمرات فضله في آخر خريف ، إن شاء أبدى من فنون السجع ضرائب ، أو طفق ينظم أهدى الشنوف للأسماع والعقود للترائب ، وذكر له نثراً فائقاً ، أضربت عن نقله طلباً للاختصار ، ثم قال : من بديع شعره قوله يمدح علي باشا حاكم البصرة ويهنئه بعيد الفطر :

---

(١) قوبل شعر عبد العلي الحويزي على « سلافة العصر »

لمن العيس عشياً تترامى ... تركتها شقق البين سهاما[1]

كلما برقعها ريح الصبا ... لبست من أحمر الدمع لثاما

وترامت خضعاً أعناقها ... كلما هز له البرق حساما

شفها جذب براها للحمى ... وهي تثني لربى نجد زماما

وتلقيها نسيماً حاملاً ... عن ثرى وجرة أنفاس الخزامى

ما على من حملت لووقفوا ... ساعة نشرح وجداً وغراما

ومن الجهل ارتجائي يقظة ... أرباً لا أترجاه مناما

يا بني عذرة هل من آخذ ... بدمي المسفوك من حل الخياما

قمر لو لم ير البدر دجى ... ما حوي البدر كمالا وتماما

غادر لم يرع مني نسباً ... دون أن يحفظ عهداً وذماما

نسباً أيسره أن الحشا ... مثل خديه لهيباً واضطراما

ولجسمي من بقايا حبهِ ... شبه الطرف فتوراً وسقاما

يا نديمي دعا خمريكما ... إن أراق الحب من فيه مداما

وتثن يا قضيب البان إن ... رنحت سكر اللمى ذاك القواما

واصغ يا روض أناجيك إذاً ... فلقد لاح لنا الثغر ابتساما

أيها الظاعن عن عيني وفي ... مهجتي قد شاد ربعاً ومقاما

عاقب الله بأدهى صمم ... أذني إن سمعت فيك ملاما

وعشت يوم ترى ذاك البها ... مقلتي إن زارها النوم لماما

---

(١) السلافة : ٥٤٨

أنا من ينظر في شرع الهوى كل شي، ما سوى الموت حراما
فقت أهل العشق طراً مثل ما فاق في المجد علي وتسامى
ملك راحته غيث ندى رشحها يخجل بالسح الغماما
وهزبر يصدم الموت إذا ما تنادت أسد الحرب الصداما
رب سيب فاض من أنمله فكفى رزق أيامى ويتامى
وعنيد كسرت صولته وحمام قد أذاقته حماما
ومكر كسفت شمس الضحى فيه وانصاع سنا الأفق ظلاما
طلعت فيه نجوم من ظبا وتردت عوض الليل قتاما
موقف لا يبصر الطرف به إن رنا إلا حساماً أو هماما
انعل الخيل بأجساد العدى بعد ما قد توج السمر اللهاما
وثنى عنه الظبا مخمورة والكؤوس الروس والدم المداما
قلب الطرف به فكراً تجد ديمة تجري وضرغاما شهاما
وأخا الفضل إذا ما انسجمت سحبه أخجل سحبان نظاما
أبحر الدنيا إذا ما سجلت جوده أقعدها الفخر وقاما
لو أتاه يوم حشر سائل وهو لايملك إذ ذاك حطاما
لتلقاه بأعلى همة وحباه بالذي صلى وصاما
أيها المولى الذي من ربه سمي المولى وسميت الغلاما
لاتضعني وأجد تربيتي تلفني إذ صدق الجد تماما
واهن بالعيد الذي أنت بنا مثله في الدهر فضلًا واحتراما
والقه شكراً ببشر إذ أتى بعد أن صمت فوفيت الصياما

واسم واسلم بالمعالي مقصداً نحوك الخلق رجاء تترامى

وقال أيضاً وهي قصيدة تشتمل على أنواع من البديع :

قلبي وطرفك منصوب ومكسور
كلاهما مطلق منا ومأسور [1]

ناديت دمع جفوني كي ترحمه يا مستغاثي مللي عنك تحذير
حاكى فؤادي منك الوجه وافترقا فذاك نار لتعذيبي وذا نور
قدري وقدرك مخفوض ومنتصب والثغر والدمع منظوم ومنثور
بخفض قدري فيك الناس تعرفني وهكذا الحب تعريف وتنكير
قد أعرب الحب نحواً بيننا حسناً فالشعر والشعر مرفوع ومجرور
يا طرف من نبهت قلبي محاسنه ذكري كسيفك في الآفاق مشهور
ينجاب ذو الجهل عني حين يبصرني كأنما أنا صبح وهو ديجور
لو رمت فخراً على المحبوب قلت له دمعي وثغرك يا قوت وبلور
أصناف جونة عطار بطلعته خاله عنبر والخد كافور
أقام سوق الهوى خد له أبداً لحبة القلب فيه اليوم تسعير
لا ترج مني امتناعاً عن محبته وطرفه قادر والقلب مقدور
لنا بمقلته النجلاء ذو شطب له على فلك المريخ تدوير
أبدى ضروب بديع طرفه فله في فتية العشق تصريع وتشطير
حمت لواحظه معسول ريقته يا كوثراً منعتنا ورده الحور

---

(١) السلافة : ٥٥٢

تقول إن صدقتنا القول مقلته   يا محرمي العشق إني كعبة زوروا

قدأخلصت كيمياء الحب وجنته   كأنها للهوى العذري إكسير

لو لم يكن كيمياء ما تسير الأنفاس   والدمع تصعيد وتقطير

يحيا بجعفر دمع فيه فضل وفي   أنا الرشيد به والقلب مسرور

يا دمع مقلتي الكشاف أنت لفي   تقدير للحب تأويل وتفسير

وسعت للدمع أشكالا خلفت بها   اقليدساً ولها في الخد تحرير

لله مجلسنا الغصن يعطفه   من نسمة الصبح تقديم وتأخير

والنهر جسم بثوب الزهر ملتحف

والزهر برد من الريحان مزرور

فصل الربيع إذا ما العشق وافقه   للقلب فيه وللأشجار تقطير

وللسماء التباس بالرياض لما   حكت كواكبها منها التصاوير

والزهرة الورد والسعد الشقائق وال   مجرة النهر والجوزاء منثور

تصرفت بي أيامي لتنقصني   فما تغيرت والتصريف تغيير

لا ينفع المرء تدبير يهذبهُ   إلا إذا عضد التدبير تقدير

شعر

محمد عبد الله النجفي [1]

ومن رجال « السلافة » أيضاً الشيخ محمد بن عبد الله النجفي المالكي

---

(١) صحح شعر محمد النجفي المالكي الاشتري على « سلافة العصر »

من ذرية مالك بن الأشتر ، قال في حقه : ذو النسب الأشتري ، والأدب البحتري ، سماء فضل مشرقة البروج ، وحديقة أدب مزهرة المروج ، وطود حلم لا تزعزعه الرياح ، وبحر علم لا يغيض لممتاح ، طلع في سماء البيان سراجا ، وعلا في السبع الطباق منها معراجا ، ونهد إلى معاقل المعاني ببلاغته ففتحها ، وشرع أرشية أقلامه إلى قلب البديع فمتحها ، ونظم في أسلاك القريض دره المنتقى ، وأجرى سلسال ترسله بين العذيب والنقى إلى أخلاق وشمائل ، قال منها في رياض وخمائل ، وصفاء سريرة وضمير ، كرع منه في عذب نمير ، إن ذكرت الفتوة فهو شيخها وفتاها ، أو المروءة فهو مصيفها ومشتاها ، ولقد عاشرته سفراً وحضراً ، فألفيته على العسر كما قال الشنفرى :

فلا جزع من خلة متكشف ولا مرح تحت الغنى متخيل

ثم ذكر من نثره ما تهتز له الأعطاف طربا ، وترشفه الأذواق ضربا ، وأثبت من شعره ما كتبه من أصبهان إلى أصحابه بالعزي :

أياريح هل باكرت حي بني بكر
فقد هاج شوقي ما بطيك من نشر [٢]
هززت قدوداً ثم رنحها الصبا
خلال الرماح السمر والأغصن الخضر
وجزت رياضاً خلتهن لياليا تفتح فيها النور كالأنجم الزهر
خليلي قد عاثت بصبري يد الهوى وأحلى الهوى ما مر يلعب بالصبر

---

(١) السلافة : ٥٥٨

لقد راعني فعل السحاب بدارها ورب مريب فعله وهو لا يدري

أسائلكم عن بارق تأنسونهُ أمتقد الأحشاء أم باسم الثغر؟

سقى العهد من أرض العزي معاهداً

بها يتقي ليث الوغى ظبية الخدر

فيالك من أرض تتيه حصاتها

على الدرة الزهراء والكوكب الدري

بها قاتل القرنين عمرو ومرحب مروي المواضي في حنين وفي بدر

علي ولي الله صنو محمد أبو ولديه زوجُ فاطمة الطهر

مراكز سمر تخطر السمر بينها كما ها جلاد البيض عن بيضها الغر

تذكرني هذي الكواكب معشراً

أنار واضراب السمر في العثير الكدر

أنادم فيها كل أروع باسل شهاب يعب الشمس من راحة البدر

هزبر إذا ضاق المكر به سطا

من اللدن والصمصام بالناب والظفر

إذا ما ثغور البيض يوماً تبسمت يكلم من يرضى بألسنة السمر

إذا ما انتضى الصمصام هزته نشوة

فتحسبه غصناً تلوى على نهر

ستثني على تلك البحار قصائدي ثناء أزاهير الرياض على القطر

إذا ما نجوم الشعر باتت لوامعاً طلعن على افرادها طلعة الفجر

وما كان لفظي في القوافي نفاسة أخا الدر حتى كان قلبي أخا البحر

ثم قال صاحب السلافة : ومن شعره ما كتبه الي مادحاً ، ولزند البلاغة قادحـــاً :

أتاك بها الهوى تختـال كبراً ... فتاة من سلاف الدل سكرى [1]

تكلف جفنها المخمور نهضاً ... فيطفح كأسهُ غنجاً وسحرا

فمن نظم النجوم الزهر عقداً ... وقـد لهـا أديم البحر نحرا

ومن جعل السحاب لها جفوناً ... وصاغ لها وميض البرق ثغرا

إذا خطرت سقـاك الدل كأساً ... وإن نظرت سقاك الغنج أخرى

تخيل ثغرهـا حبباً إذا ما ... رشفت من الرضاب العذب خمرا

رأتني فاعتراهـا الروع جهراً ... ومـا علمي بمـا تخفيـه سرا

أرتـني الدر من ثغر وطرف ... غـداة وداعنا نظماً ونـثرا

كشفت لهـا إذاً عن صبر حر ... تظل النائبـات لديه أسرى

وهزتـه النوى فرأتـه طوداً ... وزاحمه الهوى فرآه صخرا

سلي غيـداً لهوت بهن دهراً ... وخضت الحب ضحضاحاً وغمرا

عدلن فهل شكوت لهن وصلاً ... وجرن فهل شكوت لهن هجرا ؟

شربت الصبر شهداً في مساغ ... يرى فيها الوقور الشهد صبرا

أعد فتوتي في المجد فرعـاً ... وأذكر مالكاً في الفخر بحرا

نجيب لم يلد إلا نجيباً ... أغر لم يـلد إلا أغرا

أب در له أبنـاء حرب ... غدوا لوطيسها شرراً وسعرا

هو اكتسب السجايا الغر تبراً ... وأبقاهن للأبناء ذخرا

---

(١) السلافة : ٥٥٨

يموت بكفه الخطي رعباً فيودعه فؤاد الشهم قبرا

ويغشى عثير الهيجاء ليلاً فيفلق فيه للصمصام فجرا

سرى في نحو روض العزم عزم يريني الشهب بين يدي زهرا

فأقحمني حباب البحر شهباً وأوطأني حصا المزاء جمرا

إذا ما لحت في أفق هلالاً فسر عنه عساك تصير بدرا

وجز كالسيل ساحة كل واد عساك تموج حيث أقمت بحرا

نعم لولا اجتناب الفلك سيرا لما أمسى لجين الشمس تبرا

فمن ذم النوى فلها برحلي أياد لا أقوم بهن شكرا

أرتني يا ابن أحمد خلق حر رأينا كل خلق فيه حرا

رأيت عليّ أهل الفضل طراً يداً واسماً ومرتبة وقدرا

فقل صافحت بعد البحر بحراً بناديه وبعد البر برا

فتى أروى من الذماء قلباً وأوسع من فضاء البيد صدرا

وأبرد من فؤاد الثلج عيشاً وألهب من شواظ النار فكرا

وأمضى من ذباب السيف عزماً وأسرى من خيال الطيف مجرى

عزائم سلهن فكن بيضاً وهزّ متونهن فكن سمرا

ترى غيث المكارم مستهلاً بساحته وروض المجد نضرا

يزدن قرونهُ منه ذكاءً ويلقى قرنه منه هزبرا

فتى يقضي على الأيام حتى تكاد تخاله للدهر دهرا

أعد الأسمر الخطي نابـاً ‏ ‏ ‏ له والأبيض الهندي ظفرا

ويورد طامسات السمر صفراً ‏ ‏ ‏ فيصدرهن بعد الري حمرا

تشاهد حربه الأولى عواناً ‏ ‏ ‏ وتلقى جوده المأثور بكرا

بحزم أفعم الغبراء فخراً ‏ ‏ ‏ وعدل أثقل الخضراء خضرا

تركت بحبك الأحشاء بحراً ‏ ‏ ‏ وقلت بمدحك الألفاظ درا

أطعت الحب فيك وكنت مرءاً ‏ ‏ ‏ أبيـاً لم يطـع للحب أمرا

فدم واقصر هواك على المعالي ‏ ‏ ‏ وطل بدوامها باعـاً وعمرا

شعر

أحمد الحسني المغربي[1]

ومن رجال « السلافة » السيد أحمد الحسني المغربي ، قال في حقه : هذا السيد ورد إلى مكة المعظمة ، متحلياً بعقود الأدب المنظمة ، فمدح السيد زهير بن علي أحد شرفائها بقصيدة طائية ، غبرت في وجوه القصائد البحترية الطائية وذكر فيها أنه من سلالة الحسن السبط ، وأنه فاطمي ما شان نسبه روم ولا قبط ، وأن جده سلطان المغرب في عصره ، وخليفة رب العالمين بأرضه ومصره ، كما ستقف عليه فيها ، وتراه في أثناء قوافيها ، فاشتهرت هذه القصيدة كل الاشتهار .

وظهرت ظهور الشمس في رائعة النهار وهي هذه :

---

(١) صحح شعر احمد الحسني المغربي على « سلافة العصر » .

سقى طللاً حيث الأجارع والسقط
وحيث الظباء العفر من بينها تعطو [1]

هزيم همول الودق منبجس له	بأفنائها في كل ناحية سقط
ولو أن لي دمعاً يروي رحابه	لما كنت أرضى عارضاً جوده نقط
ولكن دمعي صار اكثره دماً	فأنى يرجى أن يروي به قحط
ولما رماني البين سهماً مسدداً	فأقصدني والحي ألوى به شحط
نحوت بأصحابي وركبي أجارعا	فلا نفل ينفي لديها ولا خمط
وجبت قفارا لو تصدت لقطعها	رواسم أرباء لأعيت فلم تخط
مفاوز لا يجتاب شخص فجاجها	ولو أنه المطرود أو حارب ملط
يسوف بها الهادي التراب ضلالة	ويغدو كعشواءٍ لها في السرى خبط

سريت وصحبي قد أديرت عليهم
سلاف كرىً والعيس في سيرها تنطو
وقد مالت الأكوار وانتحل العرى
لطول السرى حتى ذوى الأنسع المنط

كأنا ببحر الآل والركب منجدٌ	ونحن ببحر الغور نعلو وننحط
كمثل غريق ليس يدري سباحة	وقد طار وسط الماء يطفو وينغط
وقفنا برسم الربع والدمع خاشع	نسائله عن ساكنيه متى شطوا

فلو أن رسما قبله كان مخبراً
لقال لنا ساروا وفي القلب قد حطوا

---

(١) السلافة : ٥٧٤

كأن فناء الدار طرس وركبنا صفوف به سطر ورسم به كشط

رعى الله طيفاً زار من نحو غادة وحيا وفود الليل ماشابه وخط

فحييت طيفاً زار من نحو ارضها ومن دوننا والدار شاسعة سقط

فيـا طيف هل ذات الوشاحـين واللمـا

على العهد أم ألوى بهـا بعدنا الشحط ؟

وهل غصن ذاك القـد يحكي قوامـه

إذا خطرت في الروض ما ينبت الخط ؟

وهل ذلك الشعر المرجل لم يزل يمج فتيت المسك من بينه المشط ؟

وهل عقرب الصدغين في روض خدها

بشوكتها تحمي وروداً بـه تغطو ؟

وهل خصرهـا باق على جور ردفهـا

فعهدي بذاك الردف في الجور يشتط ؟

وهل حجلها غصان من ماء ساقها وهل جيدها باق به العقد والقرط ؟

وهل ريقها ياصاح كالخمر مسكر فعهدي به قدماً وما ذقته اسفنط ؟

وهل ردنهـا والذيل مهما تفاوضـا

يضوعـان عطراً دونه المسك والقسط ؟

وهل سرها ما ساء عشاق مثلها وقد نزفوا للبين دمعاً وما أطوا ؟

وهل نسيت علوى وقد دار بيننا حديث كمثل الدر سمعي له سفط ؟

وهل علمت أني نظمت قلائداً فدر المعاني في المباني هو السمط ؟

مديح زهير الفضل من قلد الورى عوارف مثل البحر ليس لها شط

أبو زاهر أزكى الأنام أرومة وأكرم من ضمته في مهده القمط
ومن لم يزل يقظان في المجد والعلى وقد نعس الأقوام في المجد أو غطوا
همام لدى الهيجاء تعنو لبأسه أسود الشرى يوم الهياج إذا يسطو
خبير بكر الخيل في حومة الوغى إذا راع نكس القوم من صوتها عط
إذا طال قرن أو تعرض مارق فهذا له قدٌّ وهذا له قط
إذا ما نحى الدرع الدلاص برمحه فما هي إلا أن تشك فتنعط
كأن انسياب الرمح في الدرع سابح
من الرقش في وسط الغدير له غط
يجازي على المعروف عبداً وسيداً وليس عليه يوم يعطي الندى شرط
وما شاب ما يوليه منٌّ ولا أذى ولا شان ما يولاه كفر ولا غمط
إليه الندى ألقى مقاليد أمره وقال إليك القبض والبذل والبسط
فما قال لا يوماً لراجي نواله ولا قصر الجدوى بنان له بسط
ولا عيب فيه ما عدا أنه الذي له خلق كالروض ما شانه سخط
يجود وما سام العفاة نواله
وكم شان ذا جدوى وقد أخلط اللط
ينادي منادي الجود من شط أو دنا
إلى بذله سيروا سراعاً ولا تبطوا
إذا ما بدا وهط الحجاز وحبذا منازل من يعلو بساكنه الوهط
بلاد زهير إن حللتم بداره وشاهدتم النادي ففي سوحه حطوا
إليك أثيل المجد وجهت مطلبي وما خاب من رجى غياث الورى قط

عسى نظرة من عين رحماك سيدي | يكون لمثلي من مكارمها قسط
وإني غريب الدار أحمد من له | غرائب لا تحصى ولا يمكن الضبط
وما أنا إلا البحر والدر معدن | وكل بصير باللآلي له لقط
وحسبي فخراً أن جدي حيدر | وأن أبي خير الورى الحسن السبط
وجدي إمام الغرب سلطان عصره | بطاعته قد طاعت الجند والرهط
خليفة رب العالمين بأرضه | إلى علمه في حكمه الحل والربط
وما أنا إلا فاطمي مهذب | وما شان أصلي قط روم ولا قبط
وما ذمني إلا غبي وحاسد | وما كان مثلي جاءه الذم والغبط
وشعري كما زهر الربيع محاسناً | وغيري له شعر ولكنه خمط
لعمري هي الأقدار والحظ سائر | وكم من له حظ وليس له خط
ودم في أمان الله ما قال شاعر | عليّ يمينٌ عن ديارك لا أخطو

قال مؤلف « السلافة » عفى الله عنه : لما وقفت على هذه القصيدة أحببت أن انظم عليها فقلت متغزلا :

سرت موهناً والنجم في أذنها قرط | وعقد الثريا في مقلدها سمط[1]
ألمت بنا والليل مرخ سدوله | فضاء بصبح ميط عن نوره المرط
وأرج أرجاء الحمى بشر طيبها | فلم يدر مسك ما تضوع أم قسط
وقد أقبلت ترنو بمقلة مغزل | أظلت بجرعاء الحمى شادناً يعطو
تميل كما مال النزيف كأنما | يرنحها من راح صرخد اسفنط
وتخطر تيهاً حين تخطو تأوداً | بأسمر مما أنبت الله لا الخط

---

(١) السلافة : ٥٧٧ (لابن معصوم)

تجل عن التشبيه في الحسن غادة　　إذا قيس في أوج بها البدر ينحط

وإن قيل إن الريم يحكي لحاظها　　فأين القوام اللدن والشعر السبط

على أن مرعاها وماصوح الكلى　　حشاشة نفسي لا الأراك ولا الخمط

وتسطو أسود الغاب بالريم جهرة　　وهذي بآساد الشرى أبداً تسطو

بنفسي فتاة تغبط الشمس حسنها

وفي مثل هذا الحسن يستحسن الغبط

لها طرة تصفو على صبح غرة　　يساقط مسكاً من غدائرها المشط

شفعت بها ليلاً تقاصر وهنهُ　　فطال ولا آمال في طوله بسط

وبتنا على رغم الحسود وبيننا

حديث رضى بالوصل ماشابه سخط

تعللني من دلها ورضابها　　بخمرين لم أسكر بمثلهما قط

وعاطيتها صرفاً حكت دم عاشق　　مراقاً عليه من مدامعه نقط

فمالت ولم تسطع حراكاً كأنما　　أتيح لها من عقد أحبولة نشط

فلم تصح إلا والنجوم خوافق　　وفرع الدجى جعد ذوائبه شمط

وقد ضاء مسود الظلام بشمعة　　من الصبح لم يفرز ذبالتها قط

فقامت لتوديعي بوجد ولوعة　　وللوجد في جنبي من لوعة فرط

وأذرت دموعاً من لحاظ سقيمة　　هي الدر لكن ما لمنثوره لقط

وسارت على اسم الله تنقل اخمصاً

إذا ما استقلت لا تكاد بها تخطو

وشطت بقلبي في هواها ولم يزل　　ببحر غرام لا يرام له شط

وقد قدح التفريق بين جوانحي زناد هموم لا يبوح لها سقط

نعم قد حلت تلك الليالي وقد خلت

وأي دنو لا يقارنه شحط ؟

لعمري لقد ألوت بأيام وصلنا حوادث أيام أساودها رقط

وبدلت من قرب الوصال بخطة من الهجر لا يمحى بدمعي لها خط

تؤرقني الذكرى إذا عنّ بارق يلوح بفود الليل من لمعه وخط

ويوقظ مني الوجد ورق حمائم إذا هدأ السمار بات لها لغط

أبيت على مثل القتاد مسهداً

ودون الذي أرجو القتادة والخرط

لئن جار دهري بالتنائي ولم يزل يجور علينا كل آن ويشتط

فإني لها باق على العهد والوفا

ولي من هيامي في الهوى شاهد قسط

وأصبو إلى دار بها حط أهلها على أنهم من أجلها في الحشا حطوا

ولو لم يكن سقط العقيق محلها لما شاقني وادي العقيق ولا السقط

فيا ليت شعري هل رباها مريعة

كما هي عهدي أم لوى خصبها قحط

وهل سربها يرعى بأكناف حاجر

مروجاً عليها من نسيج الحيا بسط

وهل رتعت أترابها ولداتها بمرتعها حيث المسرة والغبط

فعهدي بهاتيك المعاهد لم تزل شوادنها تعطو وأغصانها تغطو

فلاغبها غاد من المزن رائح له كل يوم في أجارعها سقط

ثم قال : وإني ليملكني الإعجاب بقصيدة أبي الوليد أحمد بن عبد الله ابن زيدون المغربي التي هي على هذا الوزن ، وأنا قد نقلتها بطولها في ترجمة ابن زيدون من هذا المجموع .

هذا آخر ما نقلته من كتاب « سلافة العصر في محاسن الشعراء من كل مصر » وسانقل إن شاء الله ما أمكنني من الآداب الرائقة ، والأشعار الفائقه ما يستحسنه ذوو النهى والألباب ، ويصبو اليه ذوو الفضل والآداب ، والله الموفق للصواب .

اشعار واداب متفرقة

قال محمد بن عبد الله بن الامام شرف الصنعاني :

داء الصبابة ماله من راق والموت دون لواعج الأشواق

وألذ حالات الغرام لمغرم شكوى الهوى بالمدمع المهراق

وبمهجتي والروح أفدي شادناً لم ترق مذ فارقته آماقي

ناديته لما بدا وجماله يثني إليه أعنة الأحداق

يا أيها القمر الذي قمر النهى لما تخلى من سماء الطاق

رفقاً بقلب بين أسرى طرفك الفتاك أضحى في أشد وثاق

فخذ الفدا مني جعلت لك الفدا أو لا فمن علي بالاعتاق

وإذا بخلت بذا وذاك ولم يكن لك مأرب أفديك في استرقاق
فاقتل وحاذر أن تكون منيتي يا منيتي القصوى بسيف فراق

وما أحسن قوله منها .

يا صاحبي هديتما إن كنتما ممن يروم على الغرام وفاقي
فتجسسا بربوع مكة لي عن الـ قلب العميد الهائم المشتاق
قلب تقيد بالغرام فما له أبداً على الاطلاق من إطلاق
عاهدته أن لا يجيب إلى الهوى داعي الجمال فمال عن ميثاقي
وسباه في درب السويقة شادن يسطو بمقلته على العشاق
كالبدر في الديجور رنح قده كقضيب بان عاطل الأوراق
أفديه من قمر بدا لي كاملاً حسناً فكان من الكمال محاقي
سكران من خمر الشبيبة والصبا
صعب اللقا متلون الأخلاق
شفقي خد لم أزل في حبه حيران بين الأمن والإشفاق

وللسيد جمال الاسلام ابن المتوكل الصنعاني :

صب يكاد يذوب من حر الجوى لولا انهمال جفونه بالأدمع
وإذا تنفست الصبا ذكر الصبا ولياليا مرت بوادي الأجرع
آه على ذاك الزمان وطيبه حيث الغضا وطني ومن أهوى معي
ما زال ومض البرق يذكي لوعتي
ويهيج تذكاري لذاك المربع
وإذا تغنت في الغصون حمامة هاجت بلابل قلب صب موجع

سجعت على غصن ولم تدر الهوى ... مثلي ولم تدر الغرام ولم تعي
أحمامة الوادي بشرقي الغضا ... إن كنت مسعدة الكئيب فرجعي
إنا تقاسمنا الغضا فغصونهُ ... في راحتيك وجمره في أضلعي

ولعبد الرحيم البرعي اليمني :

رفاقي الظاعنين متى الورود ... وذياك العذيب وذازرود؟
فعوجوا بي على آثار ليلى ... فما يدري الغريب متى يعود؟
وزوروا شعبها فعلى فؤادي ... وقلبي من نسيميهِ برود
رفاقي الظاعنين ترفقوا بي ... فقلبي في هوى ليلى عميد
أعيدوا لي الحديث بذكر ليلى ... أعيدوا لي فديتكم اعيدوا
رعى الله الزمان زمان ليلى ... ولا رعي التفرق والصدود
فما أحلى هواها في فؤادي ... وإن بخلت علي بما أريد
جرى قلم السعادة باسم ليلى ... وطاب بذكرها العيش الرغيد
فكيف يلومني في حب ليلى ... خلي القلب أدمعه جمود
وإن فتى رمته عيون ليلى ... فمات على الفراش هو الشهيد

ولعبد الهادي السويدي اليمني :

أهلًا وسهلًا بكم يا جيرة الحلل ... ومرحباً بحداة العيس والابل
كنا نؤمل أن نحظى بقربكم ... فالآن والله هذا منتهى الامل
لو أن روحي في كفي فجدت بها ... على البشير بكم يامرهم العلل
ما إن وفيت ببعض من حقوقكم ... وكنت من عدم الإنصاف في خجل

ولبعضهم :

كتم الحب زمـانا ثم باحا | وغدا في طاعة الشوق وراحا
عاشق إن ضحك الواشي بكى | وإذا ما غنت الورقاء ناحا
في سبيل الله منه كبد | أثخنتها الأعين النجل جراحا
وبكاه عائدوه رحمةً | خشية الموت ولو مات استرحا
يا جفوني أسعدوني بالبكا | أنا لا أصحب أجفاناً شحاحا
لو تكلفت سلواً لم أطق | أو يخفى قط سكران تصاحى؟

ولابن الزيات :

سمـاعـاً يا عبـاد الله مني | وكفوا عن ملاحظة الملاح
فإن الحب آخره المنـايا | وأوله شبيـه بالمزاح
وقـالوا دع مراقبة الثريا | ونم بالليل مسود الجنـاح
فقلت وهل أفاق القلب حتى | أفرق بين ليلي والصبـاح

ولابن لؤلؤ الذهبي :

وتنبهت ذات الجناح بسحرة | بالواديين فنبهت أشواقي
ورقاء قد أخذت فنون الحزن عن
يعقوب والألحان عن إسحاق
قامت تطارحني الغرام جهالة | من دون صحبي بالحمى ورفاقي
أنى تبـاريني جوى وصبابة | وكـآبة وأسى وفيض اماقي
وأنا الذي أملي الهوى من خاطري
وهي التي تمـلي من الأوراق

ولهارون بن المعتصم العباسي :

ما كنت أعرف ما في البين من حرق
حتى تنادوا بأن قد جيئ بالسفن

قامت تودعني والدمع يغلبها فجمجمت بعض ما قالت ولم تبن
مالت علي تفديني وترشفني كما يميل نسيم الريح بالغصن
وأعرضت ثم قالت وهي باكية ياليت معرفتي إياك لم تكن

وللحاجري :

سلوا ظبية الوادي التي فقدت خشفا
ألاهل لها وجد من الشوق لا يطفى ؟

وقولوا لورقاء الأراك أعندها من الشوق ما عندي إذا ذكرت الفا ؟
وهيهات مثلي في الغرام متيم يرى كل يوم في صبابته الحتفا
خليلي عوجا نسأل الريح حاجة بنجد فإني قد عرفت بها عرفا
ولا تعذلاني إن لثمت أراكة تميل فمن سلمى تعلمت العطفا

وله :

أنت الحياة وأنت السمع والبصر كيف احتيالي ومالي عنك مصطبر
فارقتني فنهاري كله حرق وغبت عني فليلي كله سهر
لو فارق الحجر القاسي أحبته لذاب من حر نار الفرقة الحجر

ابعث خيالك في جنح الظلام ترى
ما بي من الوجد والبلوى فتعتبر

إذا تذكرت أياماً بقربكم ولت تطاير عن أنفاسي الشرر

جهد المتيم أشواق فيظهرها   دمع على صفحات الخد ينحدر
لا كان في الدهر يوم لا أراك به   ولا بدت فيه لا شمس ولا قمر

وللارجاني :

نفسي فداؤك أيهذا الصاحب   يا من رضاه علي فرض واجب[1]
كم طال تقصيري وما عاتبتني   فأنا الغداة مقصر ومعاتب
ومن الدليل على ملالك أنني   قد غبت أياماً ومالي طالب
وإذا رأيت العبد يهرب ثم لم   يطلب فمولى العبد منه هارب

ولأحمد بن الانصاري المعروف بالشرواني :

جفا من لست أذكره براني   وهيج لي غراماً في جناني
وحال عن الوداد ولم أحل عن   مودته وظلماً قد جفاني
أيحسن منك يا مولاي هجري   بلا ذنب وتعلم ما أعاني ؟
دع الإعراض وارحم حال صب   لبانته الزيارة والتداني
ورشف رضاب ثغرك واعتناق   أنال به المسرة والأماني
وحسبك ما بليت به وفائي   وعزك ذا المحاسن في هواني
أراك نسيتني وسلوت ودي   وأوجبت التجافي من مكاني
فأين العهد والود المصفى   وذاك الوصل في ذاك الزمان
أعد نظراً إليّ فإن قلبي   لعمرك إن أطلت الهجر فان
سألتك بالهوى العذري أن لا   تضن بما يسر به جناني

---

(١) م ب : ٩٧

فها وجدي تضاعف منه كربي ... وصيرني حديثاً في المغاني

جعلت فداك فاسمح بالتلاقي ... ولا تجعل جوابي لن تراني

قال الشرواني : كتب الي الشيخ الفقيه الفاضل اللوذعي عبد الله بن عثمان بن جامع الحنبلي وانا ببلدة كلكتة وهي هذه :

أإنسان الوجود بلا نزاع ... ويا بحر العلوم بلا دفاع

وكهف الملتجين إذا أضيموا ... وغيثاً للعفاة بلا انقطاع

شكوت إليك ما ألقى وإني ... أرى الهم المبرح في اتساع

جوى يزداد في قلبي وينمو ... نمو النار بالجزل اليراع

أبعداً واغتراباً واشتياقاً ... وفقدان الأنيس بذي البقاع

فلا وأبيك ما هذا بعيش ... لنفس حرة ذات امتناع

عسى المولى المهيمن ذو العطايا ... يلم الشعب بعد الانصداع

ويجمعنا بمن نهوى قريباً ... وتسكن غلة القلب المراع

فقلت مجيباً له :

أيا من قد حوى كرم الطباع ... ومن هو للطائف خير واع

وكنز جواهر الآداب حقاً ... وجامعها المفيد بلا نزاع

أتاني منك مرقوم عزيز ... بديع النظم يقصر عنه باعي

تذكرني به ما منه أضحى ... فؤادي في اشتعال والتياع

أتحسب يا ابن ذي النورين اني ... هممت بفرقة بعد اجتماع

ولا والله ربي لم يكن لي مرام في نوى أو في انقطاع

ولكني ابتليت بمعضلات غدا في حلها يجري يراعي

ومنها كنت مضطرباً لأني رأيت بها الفؤاد على ارتياع

فذلل لي المهيمن كل صعب بها والله راحم كل داع

ولولاها أجل بني المعالي وأحمدهم لما كان اندفاعي

ومثلك لا يمل وأنت مغني الحبيب ومؤنسي في ذي البقاع

فظن بذي الوداد المحض خيراً ودم واسلم بعز وارتفاع

وقلت مكاتباً له أيضاً :

أعندك ماعندي من الشوق والوجد

وهل أنت باق في المحبة والعهد ؟

أكابد أشجانا توقد نارها بقلبي المعنى من بعادك والصد

وبعدك عن مضناك داء دواؤه تدانيك من بعد القطيعة والبعد

فحتام تجفو من اليك اشتياقه تضاعف يانجم المحاسن والسعد ؟

فوالله لولا أن مأواك في الحشا لأحرقه الشوق المبرح بالوقد

وإني وإن أخفيت ما بي من الأسى

عن الناس لا يخفاك يامنتهى قصدي

أيخفى غرامي وارتماضي بذا الهوى

عليك وأشعاري تبين ما عندي

فعطفاً لمن لا يستلذ بعيشه لبعدك وارحم من تضعضع للود

وها أنا ذاك اللوذعي ومن له مكارم أخلاق تفوق عن العد

وعمدة أرباب البلاغة والحجى وواحد هذا العصر أكرم بذا الفرد

دع الصد واسلك في المودة والوفا
سلوك ابن ذي النورين ذي الفضل والرشد

هو الشهم عبد الله نخبة قادة بهم عرف المعروف حجتنا المهدي
خلاصة أهل الجود لله دره فمن مثله في العلم والحلم والرفد؟
كريم إذا استمطرت يوماً أكفه همت باللهى من دون برق ولا رعد

عليه رضى الرحمن ما قال شيق
أعندك ما عندي من الشوق والوجد

فاجاب لافض فوه :

نعم إن نيران الصبابة والوجد لها في الحشا وقدٌ يزيد مع الصد
ألا قاتل الله الهوى ما أمره وأسرعه في هتك كل فتى جلد
إذا رام ستراً للذي في فؤاده عصته أماقيه فسالت على الخدّ
خليلي مالي والهوى يستفزني وما أنا بالخالي وما أنا بالوغد ؟
ولي همة تسمو إلى كل غاية من المجد لا للخال والأسود الجعد

ولا لغزال ناعس الطرف أكحل
له وجنة حسناء تهزأ بالورد

ولا لقوام يشبه الغصن ناعم إذا ما انثنى يثني إليه أخو الزهد
ولا لرحيق من لمى الثغر بارد إذا امتصه ذو لوعة راح بالرشد

ولكن نفسي قد تضاعف شوقها
إلى صاحب صاف سجاياه كالشهد

حليف تقى لا ينقض الدهر عزمه　　أخو ثقة ما زاغ يوماً عن القصد
كريم حليم عالم متورع　　عفيف صبور كامل الوصف ذوود
أعاطية من كأس المحبة شربـة　　يزيد ظماها كلما زيـد في الورد
له خلق زاك أمـد بنظرة　　من الملك الديان سامي السما الفرد
كأخلاق زاكي الأصل والفرع أحمد
له محتـد يسمو إلي قنـة المجـد
هو البحر إلا أنه غير جازر　　هو البدر إلا أنه كامل القد
تراه إذا أم العفـاة فنـاءه　　يحكمهم فيما لديه من النقد
ومن طـارف ثم التليد جميعه　　فيوسعهم سيباً وحسبك من رفد
فلا زال طول الدهر يسمو ويرتقي　　إلى رتبة من دونها أنجم السعد
وختم كلامي بالصلاة على الذي　　هو السبب الداعي الى مهيع الرشد

قال الشرواني أيضاً : قلت مكاتباً السيد الفاضل الرباني يوسف ابراهيم الأمير الكوكباني بجدة المحمية :

تذكرت من حالت عن الود والعهد
ففاضت دموع العين شوقـاً على خدي
خليلي مرا بالتي من بعـادها　　أقضي الليالي بالتفكر والسهد
وقولا لها طال اجتنابك عن فتى　　غدا بك صباً لا يعيد ولا يبدي
فجودي بمـا يشفيه من ألم الهوى　　وينجو به من قادح الشوق والوجد
عسى ترحم الصب المعنى بزورة　　يفوز بها بعد القطيعة والبعد
رعى الله أياماً تقضت بقربهـا　　وليلات أفراح خلت في ربى نجد

بها كنت في روض الرفاهة مارحاً فولت وآلت لا تعود إلى عهد

نعم هكذا الأيام تمضي وعودها محال فمالي لا أميل إلى الزهد

وحسبك يا قلبي حبيب موافق أمين وفي لا يخونك في الود

كمثل أخي المجد المؤثل يوسف أمين المعالي كوكب الفضل والرشد

شريف عفيف أريحي مهذب مناقبه جلت عن الحصر والحد

به أشرقت شمس المعارف والهدى

على فلك العلياء مذ كان في المهد

جدير بأن يسمو على كل فاضل حري بذا المدح المنظم كالعقد

فلا زلت بالعلم المكرم هادياً لأهل التقى والفضل ياخير من يهدي

وأزكى صلاة الله ماذر شارق وما حن مشتاق وما أن ذو وجد

يخص بها الهادي الشفيع محمد

وآل له والصحب ذو الفضل والمجد

فأجابه (يوسف الكوكباني) لافض فوه :

تهادت إلى سوحي وزارت بلا وعد

ومنت لتطفي من فؤادي لظى الوجد

وجادت على رغم الرقيب بوصلها فداوت عليل الشوق من ألم الصد

رشيقة قد تخجل الغصن والنقا فواخجلة الأغصان من مائس القد

منعمة من لحظها السحر والظبا

فما سحر هاروت وما الصارم الهندي

حمت روض خديهـا صوارم لحظهـا
فـما حـامت الآمـال حول حمى الخد

يقولون إن الخمر بين شفاههـا وأين وذا في الذوق أحلى من الشهد

وقد حـال دون الرشف عقرب صدغها
وقـام بلال الخـال يحمي جنى الورد

هم زعموا أن الثنـايا لآلىء وشتان مابين المقاصد والعقد

وكم مغرم من شـدة الوجـد والهوى
تشاوره الأحزان في القرب والبعـد

يعانق قامات الغصون تسليا ويستحسن الرمان شوقاً إلى الهند

ولكنني في شرعة الحب واحد سأبعث في أهل الهوى أمة وحدي

تحير فكري بـين صبـح جبينهـا
وإشراق شمس الفرق في الفـاحم الجعد

ومها دجا ليل الذوائب لاح من سنا ثغرها برق إلى حسنها يهدي

فلم أرض تشبيه الحبيب بغيره ولا نظم خدن الفضل بالجوهر الفرد

بليـغ أتاني منـه معجز أحمـد
ومن يبتدي بالفضل مستوجب الحمد

خدين المعالي واحد العصر من له محـامد أدناها يجل عن العـد

لك الله قد حيرتني في مهامه البلاغة فاعذرني إذا حرت عن قصدي

وإني قد أصبحت في دار غربـة وفارقت أوطاني وأهلي وذا ودي

وألهى عن الشعر الشعير ولم أكن لأحسن ما يحلو من النظم في النقد

فافقت لا أني أجاريك ناظماً ... كلامي على أن اتكالي على الود

فعذراً وستراً للقصور ودمت في ... نعيم بلا حصر ونعمى بلا حد

ولبعضهم :

يستوجب الصفع في الدنيا ثمانية ... لا لوم في واحد منهم إذا صفعا

المستخف بسلطان له خطر ... وداخل الدار تطفيلا بغير دعا

ومنفذ أمره في غير منزله ... وجالس مجلساً عن قدره ارتفعا

ومتحف بحديث غير سامعه ... وداخل في حديث اثنين مندفعا

وطالب الفضل ممن لا خلاق له ... ومبتغي الود من أعدائه طمعا

وللحريري صاحب المقامات :

جزيت من اعلق بي وده ... جزاء من يبني على اسه

وكلت للخل كما كال لي ... على وفاء الكيل أو بخسه

ولم اخسره وشر الورى ... من يومهُ أخسر من أمسه

وكل من يطلب عندي جنى ... فما له إلا جنى غرسه

لا ابتغي الغبن ولا انثني ... بصفقة المغبون في حسه

ولست بالموجب حقاً لمن ... لا يوجب الحق على نفسه

ورب مذاق الهوى خالني ... أصدقه الود على لبسه

وما درى من جهله أنني ... أقضي غريم الدين من جنسه

فاهجر من استغباك هجر القلى ... وهبه كالملحود في رمسه

والبس لمن في وصله لبسة ... ملبس من يرغب عن انسه

ولا ترج الود ممن يرى ... أنك محتاج إلى فلسه

وللأمير قابوس :

قل للذي بصروف الدهر عيرنا   هل حارب الدهر إلا من له خطر
أما ترى البحر تعلو فوقه جيف   وتستقر بأقصى قعره الدرر
فإن تكن عبثت أيدي الزمان بنا   ونالنا من تمادي بؤسه ضرر
ففي السماء نجوم لا عداد لها   وليس يكشف إلا الشمس والقمر
وكم على الأرض من خضراء مورقة   وليس يرجم إلا ما له ثمر

مرثية

عبد الله باشا فكري

ولحفني بك ناصف يرثي المرحوم عبد الله باشا فكري وهي من غرر المراثي :

ليدع المدعون العلم والأدبا   فقد تغيب عبد الله واحتجبا[1]
ولينتسب أدعياء الفضل كيف قضت   آراؤهم إذ قضى من يحفظ النسبا
وليفخر اليوم قوم باليراع ولا   خوف عليهم فمن يخشونه ذهبا
وليرق من شاء أعواد المنابر إذ   مات الذي يتقيه كل من خطبا
لو عاش لم يطرق الأسماع ذكرهم   في طلعة الشمس من ذا يبصر الشهبا

---

(١) ديوان فكري : ٤٠٨

فليسم من شاء بالإنشاء لا عجب مضى الذي كان من آياته عجبا
طود من الفضل من بعد الرسوخ هوى
وكوكب بعد أن أبدى الهدى غربا
وخضرم غاض لما فاض زاخره وضامر أدرك الغايات ثم كبا
وشامخ من مباني العلم قوضهُ صرف الزمان فامسى بالهواء هبا
وجنة عصفت ريح المنون بها وظافر ظفر البلوى به نشبا
ما للعلى انشق في آفاقها قمر وهول ساعتها ما باله اقتربا
فهل عرا الكون خطب غير منتظر يستغرب الأمر من لا يعرف السببا
أجل لقد مات عبد الله وا أسفا
وأوحشت مصر من فكري فواحربا
فكل نفس لمنعاه شكت وبكت
وكل فكر بفكرى ماج واضطربا
قضى الحياة ونصر الحق ديدنهُ لا ينثني رغباً عنه ولا رهبا
لا كان عيد رأينا صفوه كدرا بفقده وانثنت راحاته تعبا
سارت جنازته والعلم في جزع والفضل يندبه في ضمن من ندبا

ولعبد الله فكري المذكور يخاطب ابنه :

إذا نام غرٌّ في دجى الخطب فاسهر وقم للعوالي والمعالي وشمر [1]
وخل أحاديث الأماني فإنها علالة نفس العاجز المتحير

---

(١) ديوانه : ١٧

وسارع إلى مارمت مادمت قادراً عليه فإن لم تبصر النجح فاصبر
ولا تأت أمراً لا ترجي تمامه ولا مورداً مالم تجد حسن مصدر
وأكثر من الشورى فإنك إن تصب
تجد مادحاً أو تخطئ الرأي تعذر
ولا تستشر في الأمر غير مجرب لأمثاله أو حازم متبصر
ولا تبغ رأياً من خؤون مخادع ولا جاهل غر قليل التدبر
فمن يتبع في الخطب خدعة خائن يعض بنان النادم المتحسر
ومن يتبع في أمره رأي جاهل يقده إلى أمر من الغي منكر
كمن يهتدي في جوف ظلماء داجر
باكمه في نور الضحى غير مبصر
وكم من نصوح أبصر الخلف فانثنى
يبيع الهدى بالغي غير منكر
ولا تصغ في ود الصديق لكاذب نموم فإن يعرض لك الشك فاخبر
ولا تغترر تندم ولا تك طامعاً تذل ولا تحقر سواك فتحقر
وعود مقال الصدق نفسك وارضه
تصدق ولا تركن إلى قول مفتر
ودع عنك إسراف العطاء ولا يكن لكفيك في الانفاق إمساك مقتر
ألا إن أوساط الأمور خيارها مقال نبي عن هدى الله مخبر
والأم هذا المال مال تصيبه بظلم وتعطيه عطاء المبذر
وأكرمه مال أصيب بحقه وأنفق في نهج من الحق نير
وأشقى الورى من باع أخراه ضلة بدنيا سواه فهو للغبن مشتر

وخير عباد الله أنفعهم لهم كما جاء في قول النذير المبشر

فكن راغباً في الخير ما عشت وانتصب

لنفع الورى ما اسطعت والشر فاحذر

ولا تقف زلات الرجال تعدها فلست على هذا الورى بمسيطر

ولا تتعرض لاعتراض عليهم دع الخلق للخلاق تسلم وتؤجر

شعر

أحمد الهاشمي المصري

وهو مؤلف كتاب « جواهر الادب » معارضاً لامية الطغرائي ، وقال :

عليك بالصبر والإخلاص في العمل ولازم الخير في حل ومرتحل

وجانب الشر واعلم أن صاحبه لا بد يجزاه في سهل وفي جبل

واثبت ثبات الرواسي الشامخات ولا

تركن إلى فشل في ساعة الوهل

وكن كرضوى لما يعروك من نوب ولا تكن جازعاً في الحادث الجلل

واصبر على مضض الأيام محتملاً ففيه قرع لباب النجح والأمل

تأن متئداً فيما تروم ولا تعجل وان خلق الانسان من عجل

لا تطلب العز في دار ولدت بها « فالعز عند رسيم الأنيق الذلل »

شمر وجد لأمر أنت طالبه اذ لا تنال المعالي قط بالكسل

وأحذر مساوي اخلاق تشان بها واسوأ السوء سوء الخلق والبخل

واخفض جناحك للمولى وجدً ونل
ما اسمج الكبر والامساك بالرجل
لاتسأل النذل واقصد ماجداً حدباً
« في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل »

نور بلقياك من تلقى نواظره ولاتكن كالقذى في الأعين النجل
ولا تجادل جهولا ليس يفهم ما تقول فالشر كل الشر في الجدل
ولا تكن لنزول الخطب مضطرباً «في حادث الدهر مايغني عن الحيل»
الجود أحسن ما أوليت من خلق والعفو أنفى لداء الضغن والدخل
والحلم ملح فساد الأمر يصلحه والبذل خير فعال الماجد البطل
لاتقتحم غمرات البحر مرتكباً «وانت يكفيك منها مصة الوشل»
ولا تعاشر سوى حر أخا ثقة «واربأ بنفسك ان ترعى مع الهمل»
لاتنخدع لصديق يدعي ملقاً فحاذر الناس واصحبهم على دخل
لا تأمنن أحداً واحذر مكائدهم وظن شراً و كن منهم على وجل
ولا تغرنك الدنيا بزهرتها « فهل سمعت بظل غير منتقل »
إن الغني غني النفس في كرم بالطبع لا باقتناء الشاء والابل
إن الصنيعة للانذال تفسدهم « كما تضر رياح الورد بالجعل »

مرارة النصح تحلو لي مضاضتها
« وربما صحت الاجسام بالعلل »
دع التكلف لا يجديك منفعة
« ليس التكحل في العينين كالكحل »

أرى الرعاء رعاء الشاء في ترف   في أخفض العيش بين الخيل والخول

وسادة العصر قد ألقوا مقالدهم   إلى الطغاة شرار الناس والسفل

تحكموا في قضايا الناس واحتكموا

وحكموا كل ذي جهل أخي خبل

من كل غر جهول لا يرى رشداً   كباقل مثلا في الغي والخطل

تعساً لشر زمان ظل طوع يد اللئام يسقيهم علاً على نهل

تسطو الكلاب على أسد الشرى سفهاً

والباز الاشهب يخشى صولة الحجل

والقرد يضحك من غر علي هزوء   والكلب يوعد ليث الغيل بالغيل

نال المرام علوج لاخلاق لهم   فوق المؤمل من شب ومكتهل

أملى لهم دهرهم فاستهملوا أبداً   مرخى لهم في مروج العيش والطول

شر العصور زمان يستمد به   خب لئيم غدا في الشر كالشمل

لا يعلم الرشد من غي وليس له   سوى الشرارة في قول وفي عمل

يشكو الطوى كل ذي فضل وذي أدب

وسوقة الناس في خفض وفي جذل

ناهيك من غمة غماء ما سمعت   بمثلها أذن في الأعصر الأول

أشدد بها أزمة الله يفرجها

« ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل »

مالي وللبلدة الحمقاء أسكنها   مساكناً لذوي خرق أولي حيل

وليس لي ناقة فيها ولا جمل   وليس لي ثم من ثور ولا حمل

لايستقيم وفـاق لي بمثلهم «وهل يطابق معوج بمعتدل»

قد ذقتهم وبلوت الحال عندهم فما حصلت على صاب ولا عسل

ليسوا كراماً ولكن من مكارمهم

« ما بالكرائم من جبن ومن بخل »

إني ابتليت باخلاق فوصلهم وعد ومطل وإرجاء على مذل

لا يفعلون إذا قالوا فقد بعدت «مسافة الخلف بين القول والعمل»

« أضحت مواعيد عرقوب لهم مثلا »

ومـا مواعيـدهم إلا على دخل

أخلاقهم صاح إنجاز لموعدهم إذ كان موعدهم كذب من الخجل

أشكوا الزمان وأهليه وأمقتهم إذ سوء أفعالهم أوفى على القلل

علم بـلا عمل حكم بـلا حكم ظلم على عجل وعد على مهل

الافك والزور والبهتان عندهم والسعي في الأرض بالإفساد والخلل

الكذب مستحسن والصدق عندهم

مستهجن من صفات العـاجز الوكل

أهنى الطعام لحوم الناس عندهم والنم فيما لديهم شربة العسل

نكث العهود سجاياهم ودأبهم خلف الوعود وذا من أسوأ العمل

يا دهر مالك والأحرار تقهرهم تذل كل كريم الأصل مقتبل

حتى متى يا زمان السوء تفعل ما تشيب فيه النواصي غير محتفل

تؤخر الفاعل المرفوع تخفضه مقدما لمفاعيل على بدل

وساقة الجيش قد أضحت مقدمة مثل التليل غدا في آخر الكفل

فلست أحفظ في ذا الدهر من أسف
أطال أيام عمري أم دنا أجلي

واهاً لقلبي يوم البين إذ ظعنوا فالعين في لجج والقلب في شغل
كيف التصبر في ناري هوى وجوى وفي الحشا منك جرح غير مندمل
فقد فقدت الألى كانت ببهجتهم نور النواظر في الأحداق والمقل
لم أكتحل بقرار بعد ما ارتحلوا ولا ابتغيت لهم في الناس من بدل
لم يبق لي الدهر بعد البين من جلد ما أستطيع به توديع مرتحل
ولا من الغمض ما اقري الخيال به ولا من الدمع ما أبكي على طلل
قلبي على لهب والجسم في نصب والروح في وصب واللب في ذهل
حسبي الغرام حليفاً والجوى أبداً منادماً وسميراً غير منفصل
خذها محبرة غيداء غانية أتت على عجل كالقابس العجل
جاءت من الهاشمي لاتبتغي مهرا
من خاطب لبنات النظم في عطل

وله أيضاً عفا الله عنه :

المرء يعرف في الأنام بفعله وفعائل الحر الكريم كأصله
لاتستغيب فتستغاب فربما من قال شيئاً قيل فيه بمثله
وتجنب الفحشاء لا تنطق بها ما دمت في جد الكلام وهزله
واحذر مناوأة الحكيم وسبه حبل المهيمن آخذ في حبله
يرميك عن قوس القلى سهم الدها
هيهات تسلم من إصابه نبله

كم سيد متفضل قد سبه … من لايساوي طعنة في نعله
وإذا استغاب أخو الجهالة عالماً … كان الدليل على غزارة جهله
فالبحر تعلو فوقه جيف الفلا … والدر منحط بأسفل رمله
أهل المظالم لا تعن تبلى بهم … فالمرء يحصد زرعه من حقله
أرأيت عصفوراً يحارب باشقاً … إلا لخفته وقلة وعقله
واحرص على التقوى وكن متأدباً
وارغب عن القول القبيح وبطله
واستصحب العلم الشريف تجارة … واعمل بفروض الكتاب ونفله
إياك زور القول تلقى إثمهُ … والزور شاهده يبوء بذله
وإذا شهدت الشهر صمه واعتصم … بالصبر من هجر الطعام وفضله
لا تقطع الصلوات في أوقاتها … يسود قلبك كالظلام وسدله
وإذا خدمت لحاكم فاصبر على … أخلاقه واشكر سياسة عدله
لا تعصهِ وتخنه واحفظ سره … وعليك في صدق الكلام ونقله
واعلم بأن الموت تحت لسانه … لا تأمن الثعبان لدغة صله
وتجنب الرجل الغوي فإنه … لا يتقي رب السماء بفعله
يغوي بطيب سلامه وكلامه … وإذا سطا فهو الحسام بصقله
واجف الدني وإن تقرب إنه … يؤذيك كالكلب العقور لأهله
واحذر معاشرة السفيه فإنه … يؤذي العشير بحمقه وبشكله
وإذا حوتك مجالس فاصمت بها … وإذا نطقت فلا تكن بمله
واسمح بمالك لا تكن متباخلاً … فالعيب بالإنسان شدة بخله

لا تكثرن الحرص في طلب الغنى　　فالمرء يكتب رزقه من قبله

لا تجزعن من الأمور وخطبها　　لا خير في الرجل الجبان ووكله

ما كان مقدوراً فأيقن انه　　يجري على قدر قضى من أجله

وإذا ابتليت ببذل وجهك سائلا　　فاقصد كريما ما جداً في بذله

واستغن عن قصد اللئيم ووعده　　ما كل برق يستمد بوبله

واخدم رفاقك لا تكن متكبراً　　يعلى مكانك عند من لم يعله

وإذا خطبت قرينة من أهلها　　فاسأل عن الفرع الزكي وأهله

وبحسنها لا تغترر وجمالها　　فالسم يمزج في حلاوة عله

ومن النساء توق كل بذيئة　　ترميك من سهم الهلاك بنصله

وإذا ابتليت بخطب دهر ماحل

فاصبر على جور الزمان ومحله

لا تقرب المحظور واجتنب الربا　　واحجر على مال اليتيم وكفله

واهجر طريق العيب لا تمرر به

وتمش في طرق الرشاد وسبله

واعمل بفروض الأمانة والتقى　　وانه عن النكر الفظيع وفعله

وإذا أصبت بمحنة فاصبر لها　　لليسر بعد العسر نوبة مثله

واحبس لسانك عن ردي مقالة　　وتوق من عثر اللسان وزله

كم كلمة جرت لرأس نقمة　　كالدهر يتبع نبله في نبله

والطرف فاغضض عن محارمه تفز

والعرض فاحفظ إن يذال ببذله

لاتبغ في الأرض الفساد فإنه يلقى الفتى من عزه في ذله

واحرص على المال الحلال وجمعه وابعد عن المال الحرام وأكله

إن الحرام شبيه نار أضرمت والرزق يذهب من مذاهب أهله

ومن الصديق إذا رأيت تملقـا فهو العدو احكم عليه بعزله

واحذر عدوك لست تأمن غدره

لوكان يحلف بالكتاب وفضله

وإذا حكمت اعدل ولاتك ظالما واحذر دعا المظلوم شاكي خذله

والعقل رأس للامور جميعها ومزية الإنسان صحة عقله

وعليك بر الوالدين فضيلة وارعى بذي الأرحام نعمة فضله

فاشكر محاسن والديك وعزهم واخفض لهم عز الجناح بدله

وتجنب الأيمان لاتحاف بها واحذر من الحنث العظيم ودخله

أبيات في مدح العلم وطلبه :

العـلم زين وتشريف لصاحبه

فـاطلب هديت فنون العلم والأدبا

كم سيـد بطـل آبـاؤه نجب

كانوا الرؤوس فأمسى بعدهم ذنبا

ومقرف خامل الآباء ذي أدب نال المعالي بالآداب والرتبـا

العلم كنز وذخر لافنـاء له نعم القرين إذا ماصاحب صحبا

قـد يجمع المـال شخص ثم يحرمه

عمـا قليل فيلقى الذل والحربا

وجامع العلم مغبوط به أبداً ولا يحاذر منه الفوت والسلبا
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه لا تعدلن به دراً ولا ذهبا

غيره :

بالعلم والعقل لا بالمال والذهب يزداد قدر الفتى رفعا بلا طلب
فالعلم طوق النهى يعلو به شرفا والجهل قيد له يبليه باللغب
كم يرفع العلم أشخاصاً إلى رتب
ويخفض الجهل أشرافاً بلا أدب
العلم كنز فلا تفنى ذخائره
كالروح للجسم لاتطلب غنى الذهب

غيره :

العلم زين فكن للعلم مكتسباً وكن له طالباً ماعشت مقتبسا
اركن إليه وثق بالله واغن به وكن حليماً رزين العقل محترسا
وكن فتى ماسكا حفظ التقى ورعاً للدين مغتنماً في العلم منغمسا
فمن تخلق بالآداب ظل بها رئيس قوم إذا ما فارق الرؤسا

غيره :

الناس من جهة التمثيل أكفاء أبوهم آدم والأم حواء
فإن يكن لهم في أصلهم شرف يفاخرون به فالطين والماء
ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرىء ماكان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء

وإن أتيت بجود من ذوي حسب فإن نسبتنا جود وعلياء

ففز بعلم تعش حيا به أبدا الناس موتى وأهل العلم أحياء

وصية

أبي سعيد المغربي

وقد عن لي أن أذكر من بعض الوصايا النافعة فى هذا الفصل من هذا المجموع فمن ذلك ما أوصى به ابو سعيد المغربي سنة ٦٩٧ ﻫ ابنه وقد أراد سفراً .

أودعك الرحمن في غربتك مرتقباً رحماه في أوبتك

فلا تطل حبل النوى إنني والله أشتاق إلى طلعتك

واختصر التوديع أخذاً فما لي ناظر يقوى على فرقتك

واجعل وصاتي نصب عين ولا تبرح مدى الأيام من فكرتك

خلاصة العمر التي حنكت في ساعة زفت إلى فطنتك

فللتجاريب أمور إذا طالعتها تشحذ من غفلتك

فلا تنم عن وعيها ساعة فإنها عون إلى يقظتك

وكل ما كابدته في النوى إياك أن يكسر من همتك

فليس يدري أصل ذي غربة وإنما تعرف من شيمتك

وامش الهوينا مظهراً عفة وابغ رضى الأعين عن هيئتك

وانطق بحيث العي مستقبح واصمت بحيث الخير في سكتتك

ولج على رزقك من بابه واقصد له ما عشت في بكرتك

ووف كلا حقه ولتكن تكسر عنه الفخر من حدتك

وحيثما خيمت فاقصد إلى صحبة من ترجوه في نصرتك

وللرزايا وثبة مالها إلا الذي تذخر من عدتك

ولا تقل اسلم لي وحدتي فقد تقاسي الذل في وحدتك

ولتجعل العقل محكا وخذ كلا بما يظهر في نقدتك

واعتبر الناس بألفاظهم واصحب أخاً يرغب في صحبتك

وكم صديق مظهر نصحهُ وفكره وقف على عثرتك

إياك أن تقربه إنه عون مع الدهر على كربتك

وانم نمو النبت قد زاره غب الندى واسم إلى قدرتك

ولا تضيع زمناً ممكناً تذكاره يذكي لظى حسرتك

والشر مهما اسطعت لا تأته فإنه جور على مهجتك

ثم قال : يابني ، الذي لا ناصح له مثلي ، ولا منصوح لي مثله ، قد قدمت لك في هذا النظم ما إِن أخطرك في كل أوان رجوت لك حسن العاقبة إِن شاء الله تعالى. وإن أخف منه للحفظ ، وأعلق بالفكر . وأحق بالتقدم قول الأول :

يزين الغريب إذا ما اغترب ثلاث فمنهن حسن الأدب

وثانية حسن أخلاقهِ وثالثة اجتناب الريب

واصغ يا بني إِلى البيت الذي هو يتيمة الدهر وسلم الكرم والصبر:

ولو أن أوطان الديار نبت بكم لسكنتم الأخلاق والآدابا

إذ حسن الخلق أكرم نزيل ، والأدب أرحب منزل ، ولتكن كما قال بعضهم في أديب متغرب : وكان كلما طرأ على ملك فكأنه معد له وإليه قصد غير مستريب بدهره ، ولا منكر شيئاً من أمره ، وإذا دعاك

قلبك إلى صحبة من أخذ بمجامع هواه ، فاجعل التكاف له سلما وهب في روض أخلاقه هبوب النسيم ، وحل بطرفه حلول الوسن ، وانزل بقلبه نزول المسرة حتى يتمكن لك ويخلص فيك اعتقاده ، وطهر من الوقوع فيه لسانك ، واغلق سمعك ولا ترخص في جانبه لحسود لك منه يريد إبعادك عنه لمنفعته ، أو حسود له يغار لتجمله بصحبتك ، ومع هذا فلا تغتر بطول صحبته ، ولا تتمهد بدوام رقدته فقد ينبهه الزمان ، ويتغير منه القلب واللسان ، وإنما العاقل من جعل عقله معياراً ، وكان كالمرآة يلقى كل وجه بمثاله . وفي أمثال العامة من سبقك بيوم فقد سبقك بعقل . فاحتذ بأمثلة من جرب ، واسمع إلى ما خلد الماضون بعد جهدهم وتعبهم من الأقوال ، فإنها خلاصة عمرهم ، وزبدة تجاربهم ، ولا تتكل على عقلك ، فإن النظر فيما تعب فيه الناس طول أعمارهم وابتاعوه غالياً بتجاربهم ، يريحك ويقع عليك رخيصاً ، وإن رأيت من له عقل ومروءة وتجربة فاستفد منه ، ولا تضيع قوله ، ولا فعله فإنما تلقاه تلقيحاً لعقلك ، وحثاًلك واهتداء ، وليس كل ما تسمع من أقوال الشعراء يحسن بك أن تتبعه حتى تتدبره ، فإن كان موافقاً لعقلك مصلحاً لحالك ، فراع ذلك عندك ، وإلا فانبذه نبذ النواة ، فليس لكل أحد يتبسم ، ولا كل شخص يكلم ، ولا الجود مما يعم به ، ولا حسن الظن وطيب النفس مما يعامل به كل أحد ، ولله در القائل :

وما لي لا أوفي البرية قسطها ‏ على قدر ما تعطي وعقلي ميزان

وإياك أن تعطي من نفسك الا بقدر ؛ فلا تعامل الدون بمعاملة الكفء ، ولا

الكفء بمعاملة الأعلى ، وتضيع عمرك فيمن يعاملك بالمطـامع ، ويثيبك على حاضرة عاجلة بغائبة آجلة ، ولا تجف الناس بالجملة ، ولكن يكون ذلك بحيث لا يلحق منهم ملل ولا ضجر ولا جفـاء ، فما فارقت أحدا فعلى حسن في القول والفعل ، فإنك لا تدري هل أنت راجع اليه أم لا فلذلك قال الاول :

(ولما مضى سلم بكيت على سلم)

وإياك والبيت السائر

وكنت إذا حللت بدار قوم رحلت بخزية وتركت عارا

واحرص على مـا جمع قول القائل : ثلاث تبقي لـك الود في صدر أخيك : أن تبدأه بالسلام ، وتوسع له في المجلس ، وتدعوه بأحب الاسماء اليه ، واحذر كل ما بينه لك القائل ، كل ما تغرسه تجنيه ، إلا ابن آدم إذا غرسته قلعـك ، وقول الآخر : ابن آدم ذئب مع الضعف ، أسد مع القوة ، وإياك أن تثبت على صحبة أحد قبل أن تطيل اختباره .

يحكى أن ابن المقفع خطب من الخليل صحبته ، فجاوبه أن الصحبة رق ، ولا أضع رقي في يديك حتى أعرف كيف ملكتك ، واستمل من عين من تعاشره ، وتفقد فلتات لسانه ، وصفحات وجهه ، ولا يحملك الحياء على السكوت على مـا يضرك أن لا تبينه ، واجعل لكل أمر أخذت فيه غاية تجعلها نهاية لك :

وخذ من الدهر ما أتاك به من قر عيناً بعيشه نفعه

إذ الافكار تجلب الهموم ، وتضاعف الغموم ، وملازمة القطوب عنوان المصائب والخطوب ، يستريب به الصاحب ويشمت العدو والمجانب ، ولا تضر بالوساوس إلا نفسك ، لأنك تنصر بها الدهر عليك ولله در القائل :

إذا ما كنت للأحزان عونا   عليك مع الزمان فمن تلوم؟

مع أنه لا يرد عليك الغائب الحزن ، ولا يرعوي بطول عتبك الزمن ، ولقد شهدت بغرناطة شخصاً ، قد ألفته الهموم ، وعشقته الغموم ، ومن صغره إلى كبره لا تراه أبدا خالياً من فكرة (حتى لقب بصدر الهم) ومن أعجب ما رأيته منه أنه يتنكد في الشدة ،ولا يتعلل بأن يكون بعدها فرج ، ويتنكد في الرخاء خوفاً من أن لا يدوم وينشد (توقع زوالاً إذا قيل تم) وينشد (وعند التناهي يقصر المتطاول) وله من الحكايات في هذا الشأن عجائب ، ومثل هذا عمره محسور يمر ضياعاً ، ومتى رفعك الزمان إلى قوم يذمون من العلم ما تحسنه حسداً لك ، وقصدا لتصغير قدرك عندك ، وتزهيداً لك فيه ، فلا يحملك ذلك على أن تزهد في علمك ، وتركن إلى العلم الذي مدحوه ، فتكون مثل الغراب الذي أعجبه مشي الحمامة فرام أن يتعلمه فصعب عليه ، ثم أراد أن يرجع إلى مشيته فنسيها ، فبقي مخبل المشي كما قيل :

إن الغراب وكان يمشي مشية   فيما مضى من سالف الأجيال

حسد الحمام أراد يمشي مشيها   فاصابه ضرب من العقال

فأضل مشيتهُ واخطأ مشيها   فلذاك كنوه أبا مرقال

ولا يفسد خاطرك من جعل يذم الزمان وأهله ، ويقول: ما بقي في الدنيا كريم ولا فاضل ، ولا مكان يرتاح فيه . فان الذين تراهم على هذه الصفة أكثر ما يكونون ممن صحبه الحرمان ، واستحقت طلعته للهوان ، وأبرموا على الناس بالسؤال فمقتوهم ، وعجزوا عن طلب الأمور من وجوهها فاستراحوا إلى الوقوع في الناس ،وأقاموا الأعذار لأنفسهم بقطع أسبابهم . ولاتزل هذين البيتين من فكرك :

لِن إذا ما نلت عزاً   فأخو العز يلين
فإذا ما نابك الدهر   فكما كنت تكون

والامثال تضوب لذي اللب الحكيم ، وذو البصر يمشي على الصراط المستقيم ، والفطن يقنع بالقليل ، ويستدل باليسير . والله سبحانه خليفتي عليك ، لا إله غيره ولا رب سواه . وأوصى هارون الرشيد معلم ولده المأمون فقال : ان أمير المؤمنين دفع اليك مهجة نفسه ،وثمرة قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطه ، وطاعته لك واجبة فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار ، وروه الاشعار ، وعلمه السنن ، وبصره بجوامع الكلام ، وبدئه وامنعه من الضحك الا في أوقاته ، وخذه بتعظيم بني هاشم اذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس القواد اذا حضروا بمجلسه ، ولا تمر عليك ساعة الا وانت مغتنم فائدة تفيده اياها من غير ان تحزنه ، فتميت ذهنه ولا تمعن في مسامحته ، فيستحلي الفراغ ويألفه ،وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فان اباهما فعليك بالشدة والغلظة .

وصية

ابن شداد

ومن وصية ابن شداد لابنه : عليك بتقوى الله العظيم ، وليكن أولي الأمور شكر الله ، وحسن النية في السر والعلانية ، فإن الشكور يزداد ،والتقوى خير زاد و كن كما قال الحطيئة :

ولست أرى السعادة جمع مال   ولكن التقي هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخراً   وعند الله للاتقى مزيد

ثم قال : أي بني ، لاتزهدن في معروف ، فإن الدهر ذو صروف ، والأيام ذات نوائب على الشاهد والغائب ، فكم من راغب كان مرغوبا

إليه ، وطالب أصبح مطلوباً مـا لديه ، وأعلم أن الزمان ذو ألوان ، ومن يصحب الزمان ير الهوان . ثم قال : أي بني ، كن جواداً بالمال في موضع الحق ، بخيلا بالأسرار عن الخلق ، فان أحمـد جود المرء الانفاق في وجه البر ، وان أحمد بخل المرء الضن بمكتوم السر . وكن كما قال قيس بن الخطيم

أجود بمكنون التلاد وإنني   بسرك عمن سالني لضنين

إذا جاوز الاثنين سر فإنـه   ينث وتكثير الحديث قمين

وعندي له يوماً إذا مـا أئتمنتني   مكان بسوداء الفؤاد مكين

أي بني : إن سمعت كلمة من حـاسد فكن كأنك لست بالشاهد ، فإنك إن أمضيتهـا حيالها رجع العيب على من قالهـا . وكان يقـال : العاقل هو الفطن المتغافل .

ترجمة

الحسن البصري

كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله ورضي عنه ، لما ولي الخلافـة إلى الحسن بن أبي الحسن البصري رحمـه الله : أن اكتب لي بوصف الإمام العادل فكتب إليه الحسن :

إعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل ، وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصفة كل مظلوم ، ومفزع كل ملهوف ، والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله ، الرفيق الذي يرتاد لها أطيب المرعى ، ويذودها عن مراتع الهلكة ،

ويحميها من السباع ، ويكنفها من أذى الحر والقر ، والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده يسعى لهم صغارا ، ويعلمهم كبارا ، يكسب لهم في حياته ، ويدخر لهم بعد وفاته ، والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة ، الرفيقة بولدها ، حملته كرها ووضعته كرها ، وربتة طفلا ، تسهر بسهره ، وتسكن بسكونه ، ترضعه تارة وتفطمه أخرى ، وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته . والإمام العادل يا أمير المؤمنين وصي اليتامى . وخازن المساكين ، يربي صغيرهم ، ويمون كبيرهم . والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح ، تصلح الجوارح بصلاحه ، وتفسد بفساده . والإمام العادل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده ، يسمع كلام الله ويسمعهم ، وينظر إلى الله ويريهم ، وينقاد إلى الله ويقودهم . فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده ، واستحفظه ماله وعياله ، فبدد المال وشرد العيال ، فأفقر أهله وفرق ماله . واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش ، فكيف إذا أتاها من يليها ؟ وإن الله أنزل القصاص حياة لعباده ، فكيف إذا قتلهم من يقتص منهم . واذكر يا أمير المؤمنين . الموت وما بعده ، وقلة أشياعك عنده وأنصارك عليه ، فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر ، واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلاً غير منزلك الذي أنت فيه يطول فيه ثوابك ، ويفارقك أحباؤك ، يسلمونك في قعره وحيدا فريدا ، فتزود له ما يصلحك (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) ؛ واذكر يا أمير المؤمنين (إذا بعثر ما في القبور ، وحصل ما في الصدور) ، فالأسرار ظاهرة ، والكتاب (لا يغادر صغيرة ولا كبيرة

إلا أحصاها) . فالآن يا أمير المؤمنين وأنت في مهل قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل ، لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين ، ولا تسلك سبيل الظالمين ، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين فإنهم (لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة) فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك ، وتحمل أثقالك وأثقالاً فوق أثقالك ، ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك ، ويأكلون الطيبات في دنياهم بذهاب طيباتك في آخرتك ، ولا تنظر إلى قدرتك اليوم ، ولكن انظر إلى قدرتك غداً وأنت مأسور في حبائل الموت ، وموقوف بين يدي الله ، في مجمع الملائكة والنبيين والمرسلين ، وقد عنت الوجوه للحي القيوم . إني يا أمير المؤمنين إن لم أبلغ بعظتي ما بلغ أولو النهى من قبلي فلم آلك شفقة ونصحاً فأنزل كتابي إليك كمداوي حبيبه يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجوه من ذلك من العافية والصحة.

والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

ولما ذكرت هذه النصيحة للحسن رحمه الله أحببت أن أذكر ترجمته ونموذجاً من كلامه .

هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري من التابعين ، ولد بالمدينة ، لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأمه اسمها خيرة ، وكانت مولاة لأم سلمة زوج النبي ﷺ ، فكانت تعطيه ثديها إذا اشتغلت أمه عنه ، فدر ثديها له باللبن ، فأظهر الله تعالى بركة ذلك اللبن عليه ، وأبوه مولى لامرأة من الأنصار . وكان أحسن الناس لفظاً ، وأبلغهم وعظاً ، وكان زاهداً عالماً مقدماً في العلم والدين على نظرائه من التابعين ، وكان

الحجاج له معظماً ومتعجباً من فصاحته ، ولم ينفك عن مجلس وعظ ، وتدريس علم إلى أن مات رحمه الله تعالى .

قال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت قط أوعظ ولا أفصح من الحسن البصري . قال أبو أيوب السختياني : ما سمع أحد كلام الحسن إلا ثقل عليه كلام الرجال . وقال الشعبي : ما رأيت مثل الحسن بين العلماء إلا مثل الفرس العربي بين المقارف ، وما شهدنا مشهدا إلا برز علينا بعلمه وفضله . وقال لله ، وقلنا موافقة للولاة .

وكان يقول : جددوا هذه النفوس ، فإنها سريعة الدثور ، واقرعوها فإنها طامحة ، وإنكم إن لم تقرعوها تنزع بكم إلى شر غاية .

قال الشعبي : قدمنا على الحجاج في البصرة في جماعة من قراء الشام والعراق ، في يوم صائف شديد الحر ، وهو في آخر ثلاث أبيات ، وقد أرسل فيها الثلج ، والحجاج قاعد على سريره ، وعنبسه بن سعيد إلى جنبه ، ودخل الحسن آخر من دخل فقال الحجاج : مرحباً بأبي سعيد ، وطأطأ له رأسه إعظاماً وتلطفاً به . حتى جلس وجاءت جارية بدهن ما شممت مثل رائحته ، فوضعته على رأس الحسن وحده فقال له الحجاج : يا أبا سعيد ، مالي أراك منهوك الجسم ؟ لعل ذلك من قل نفقة أو سوء ولاية ، ألا نأمر لك بنفقة توسع بها على نفسك ، وخادم لطيف يخدمك فقال الحسن : إني من الله لفي سعة ونعمة وعافية ، ولكن الكبر والحر ، فاقبل الحجاج على عنبسة فقال : لا والله بل العلم بالله والزهد فيما نحن فيه . فلم

يسمعها الحسن وسمعتهـا أنا لقربي من عنبسة ، وجعل الحجـاج يسأله حتى ذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طـالب رضي الله عنه ، فنال منه الحجاج ، ونالنا منه مرضاة له وفرقـاً من شره ، والحسن عاض على إبهـامه فقـال الحجاج : مالي أراك ساكتاً يا أبا سعيد فقال : وما عسى أن أقول. قـال : أخبرنا برأيك في أبي تراب قال : إني سمعت الله عز وجل يقول :

(وما جعلنا القبلة التي أنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم .)

فعلي ممن هدى الله ، ومن أهل الإيمان ، وابن عم النبي ﷺ وختنه على ابنته ،أحب الناس إليه ، وصاحب سوابق مباركات ، لا تستطيـع أنت ولا من حضر أن يحظرها عليه ، ولا يحول بينه وبينها . فتغير وجه الحجاج وقام مغضباً عن سريره ودخل بيتاً خلفه ،وخرجنا فأخذت بيد الحسن فقلت : يا أبا سعيد ، أغضبت الأمير وأوغرت صدره فقـال : إليك عني يا عامر ، ألست شيطاناً من الشياطين إذ توافقه على رأيه ؟ ألا صدقت إذ سئلت ، أو سكت فسلمت . فقلت : قلتها والله وأنا أعلم بما فيها . قـال الحسن : ذلك أشد في الحجة عليك ، وأعظم للتبعة . فلم نمكث إلا قليلا حتى خرجت التحف والطرف من الحجاج للحسن ، واستخف بنا الحجاج، فكان أهلاً لما أتى إليه ، وكنا أهلاً لما أتى إلينا .

توفي رحمه الله سنة عشر ومائة ، وله تسعون سنـة مات في رجب ليلة الجمعة قال عبد الواحد بن زيد : رأيت ليلة مات الحسن رحمه الله في المنام ،

كأن أبواب السماء مفتحة ، وكأن الملائكة صفوف ، فقلت : إن هذا لأمر عظيم فقال لي قائل : إن الحسن البصري قد قدم على الله وهو عنه راض ، وسمع بعض أصحابه في منامه ليلة مات كأن منادياً ينادي في السماء يقول (إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين) واصطفى الحسن على أهل زمانه رحمه الله ورضي عنه وأرضاه .

ترجمة الشعبي

وحيث ذكرت ترجمة الحسن رحمه الله بدا لي أن أذكر ترجمة الشعبي رحمه الله تعالى . هو عامر بن عبد الله بن شراحيل بن عبيد من شعب همدان من حمير . فمن كان منهم باليمن فهو حميري ، ويقال : شعباني ، ومن كان في العراق فهو همداني ويقال له : شعبي . ولد رحمه الله لست سنين من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . سمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن والحسين وجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين . وهو كوفي وبه يضرب المثل في الحفظ ، فيقال : أحفظ من الشعبي ، قال الزهري رحمه الله : العلماء أربعة : سعيد بن المسيب بالمدينة ، وعامر الشعبي بالكوفة ، والحسن البصري بالبصرة ، ومكحول بالشام .

قال ابن شبرمة : سمعت الشعبي يقول: ما كتبت سوداء في بيضاء

إلى يومي هذا ، ولا حدثني رجل قط حديثاً إلا حفظته ، ولا أحببت أن يعيده علي . قال الشعبي لأصحابه : ما أروي شيئاً أقل من الشعر ، ولو شئت لأنشدتكم شهراً لا أعيد .

وكان رحمه الله فقيهاً عالماً أديباً ، وكتب عبد الملك إلى الحجاج : أن بعث إلي رجلاً يصلح للدين والدنيا أتخذه سميراً وجليساً فبعث إليه بالشعبي ، فلما دخل عليه وجده مغتماً فقال له : مابالأمير المؤمنين قال : ذكرت قول زهير :

كأني وقد جاوزت تسعين حجة خلعت بها عني عذار لجامي

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى

فكيف بمن يرمي وليس برامي

فلو أنني أرمي بنبل رميتها ولكنني أرمي بغير سهام

على الراحتين تارة وعلى العصا أنوء ثلاثاً بعدهن قيامي

قال الشعبي ليس كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن كما قال لبيد بن ربيعة رضي الله عنه :

كأني وقدجاوزت سبعين حجة خلعت بها عن منكبي ردائيا

فلما بلغ سبعاً وسبعين قال :

باتت تبكي إلى الموت مجهشة وقد حملتك سبعا بعد سبعينا

فإن تراخت ثلاثاً تبلغي أملا وفي الثلاث وفاء للثمانينا

فلما بلغ التسعين قال ..

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد

وعنيت ستاً قبل مجرى داحس لو كان للنفس اللجوج جلود

فلما بلغ عشرين ومئة قال :

أليس ورائي إن تراخت منيتي لزوم العصا تحنى عليها الأصابع

أخبر أخبار القرون التي مضت أقوم كأني كلما قمت راكع

فلما بلغ ثلاثين ومئة حضرته الوفاة فقال :

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر

فقوما وقولا بالذي أنا أهله ولا تخمشا خدا ولا تحلقا شعر

وقولا هو المرء الذي لاصديقه أضاع ولا خان الخليل ولا غدر

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما

ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

قال الشعبي : فلقد رأيت السرور في وجه عبد الملك طمعاً أن يعيشها ، ووجهه عبد الملك إلى ملك الروم في بعض الأمور ، فلما قدم عليه ورأى ذكاءه وجودة ذهنه استكبره وجل في عينه فقال له : من بيت أهل الملك أنت ، قال : لا فلما أراد الرجوع إلى عبد الملك أعطاه رقعة لطيفة وقال له : إذا بلغت صاحبك جميع ما يحتاج إلى معرفته من ناحيتنا فادفع إليه هذه الرقعة ، فلما رجع إلى عبد الملك ذكر له ما احتاج إلى ذكره ونهض ، فلما خرج ذكر الرقعة فرجع فقال : يا أمير المؤمنين إنه حملني إليك رقعة أنسيتها ، ثم دفعها إليه ، فلما قرأها أمر برده فقال : أعلمت ما في الرقعة ؟ قال : لا . قال : إن فيها : عجبت من العرب كيف ملكوا غير هذا.

أفتدري لم كتب إلي بهذا قال : حسدني إياك فأراد أن يغريني بقتلك . قال الشعبي : لو رآك يا أمير المؤمنين ما استكبرني ، فبلغ ذلك ملك الروم فقال : لله أبوه والله ما أردت إلا ذلك .

وكان الشعبي قد خرج مع عبد الرحمن بن الأشعث ، فلما قتل ابن الأشعث أتي به الحجاج أسيراً فقال له : وأنت يا شعبي ممن خرج علينا ، فقال : أصلح الله الأمير ، أحزن بنا المنزل ، وأجدب بنا الجناب ، واستحلسنا الخوف ، وضاق المسلك ، وخبطتنا فتنة لم نكن فيها بررة أولياء ، ولا فجرة أقوياء ، فقال الحجاج لله أبوك صدقت ، والله ما بررتم بخروجكم علينا ولا قويتم ، خلوا سبيله .

ودخل الشعبي الحمام فرأى داود الأودي بلا إزار فغمض عينيه فقال له داود : متى ذهب بصرك يا أبا عمرو ؟ فقال مذ هتك الله سترك . ومات رحمه سنة ١٠٤ أربع ومئة وهو ابن اثنتين وثمانين سنه رحمه الله تعالى .

وقد وقفت على أبيات رائقة في مدح المطالعة في كتب العلم والأدب ، فأحببت إثباتها هنا . فمنها قول بعضهم : وهي من أملح ما أنشد في هذا المعنى .

إذا ما خلوت من المؤنسين ... جعلت المؤانس لي دفتري

فلم أخل من شاعر محسن ... ومن عالم صالح منذر

ومن حكم بين أثنائها ... فوائد للناظر المفكر

وإن ضاق صدري بأسراره ... وأودعته السر لم يظهر

وإن صرح الشعر باسم الحبيب لم أحتشمهُ ولم أحصر
وإن عدت من ضجرة بالهجا وسب الخليفة لم أحذر
ونادمت فيه كريم المغيب لندمانه طيب المحضر
فلست أرى مؤنساً ما حييت عليه نديماً إلى المحشر

أبيات رائقة

ولبعضهم في المعنى :

إذا ماخلا الناس في دورهم بخمر سلاف وخود كعاب
وآنسهم في ظلام الليالي لغير الندامى ورهو السحاب
خلوت وصحبي كتب العلوم وبيت العروس ببيت الكتاب
ودرس العلوم شراب العقول فدوروا علي بذاك الشراب
وما يجمع المرء في دهره سوى العلم يجمعه للتراب

ولعلي بن الجهم في المعنى :

سمير إذا جالسته كان مسلياً فؤادك مما فيه من ألم الوجد
يفيدك علماً أو يزيدك حكمة وغير حسود أو مصر على حقد
ويحفظ ما استودعته غير غافل ولا خائن عهداً على قدم العهد
زمان ربيع في الزمان بأسره يبيحك روضاً غير ذاو ولا جعد
ينور أحياناً بورد بدائع أخص وأولى بالنفوس من الورد

ولبعضهم أيضاً في المعنى ذكرها ياقوت الحموي في رسالته :

إذا ما الليل بيتني بجيش ... طليعته اغتنام واغتراب

شننت عليه من جهتي كميناً ... أميراه الذبالة والكتاب

وبت أنص من شيم الليالي ... عجائب من حقائقها ارتياب

بها أجلو همومي مستريحاً ... إذا جلى همومهم الشراب

ولبعضهم في المعنى وأحسن :

لنا جلساء لا نمل حديثهم ... ألباءُ محمودون غيباً ومشهداً

يفيدوننا من علمهم علم مامضى ... ورأياً وآدباً وعقلا مسددا

فلا فتنة نخشى ولاسوء عشرة ... ولا نتقي منهم لساناً ولا يدا

فإن قلت : أموات فما أنت كاذب ... وإن قلت : أحياء فلست مفندا

ولقد أحسن شاعر نجد وأديبها في هذا العصر ، وهو محمد بن عبد الله ابن عثيمين حفظه الله بقوله في المعنى : وهي من جملة قصيدة أذكرها إن شاء الله في هذا الجلد في الاختيار من شعره :

جعلت سميري حين عز مسامري ... دفاتر أملتها القرون السوالف

فطوراً أناجي كل حبر موفق ... إذا ما دعا لبت نداه المعارف

وطوراً كأني مع زهير وجرول ... وطوراً تناجيني ملوك غطارف

قال الطرطوشي في «سراج الملوك» : وإن كان الناطقون قد وصفوا فجودوا وقالوا فأبلغوا ، فلقد قصروا . كيف لا والكتاب نعم الجليس في ساعة الوحدة ، ونعم المعرفة ببلاد الغربة ، ونعم القرين والدخيل ، ونعم الوزير والنزيل ، وعاء ملىء علما ، وظرف حشي ظرفا ، وحبذا بستان

يحمل في ردن وروضــة تتقلب في حجر ، هل سمعت بشجرة تؤتي أ كلها كل ساعة بألوان مختلفة وطعوم متباينــة ؟ هل سمعت بشجرة لا تذوى ، وزهر لا يتوى ، وثمر لا يفنى ؟ ومن جليس يفيدك الشيء وخلافه والجنس وضده ، ينطق عن الموتى ، ويترجم عن الأحياء أكتم من الأرض ، وأنم من الريح وألهى من الهوى ، وأخدع من المنى ، وأمتع من الضحى ، وأنطق من سحبان وائل ، وأعيا من باقل ، يزيدك ولا يستزيدك ، إن جد فيسر ، وإن مزح فنزهة ، قيد العلوم ، وينبوع الحكم ، وسلوة الكرام ومؤنس لا ينام ، يفيدك علم الأولين ، ويخبرك عن كثير من أنباء الآخرين ، لا يرزأك شيئاً من دنياك ، نعم العون والعدة ، جليس لا يضرك ، ورفيق لا يملك ، يطيعك بالليل طاعته بالنهار ، ويطيعك في السفر طاعته في الحضر ، إن أدمت النظر إليـه أطال إمتاعك ، وشحذ طبـاعك ، وبسط لسانك وفخم ألفاظك ، إن ألفته خلد على الأيام ذكرك ، وإن درستـه رفـع في الخلق قدرك ، وإن حملته نوه عندهم باسمك ، يقعد العبيد مقاعد السادة ، ويجلس السوقة مجالس الملوك ، فأكرم به من صاحب وأعزز به من مرافق .

وانشد ابن حزم لبعض الأدباء :

إن صحبنا الملوك تاهوا علينا ... واستبدوا بالرأي دون الجليس

أو صحبنا التجار عدنا إلى الفقر ... وصرنا إلى حساب الفلوس

فلزمنـا البيوت نتخذ الحبر ونملأ بـه وجوه الطروس

لو تركنا وذاك كنا ظفرنا ... من أمـانينـا بعلق نفيس

غير أن الزمان أعني بنيه ... حسدونا على حياة النفوس

وانشد غيره :

أنست إلى التفرد طول عمري ... فمالي في البريـة من أنيس

جعلت محـادثي ونديم نفسي ... وأنسي دفتري بدل العروس

قد استغنيت عن فرسي برجلي ... إذا سافرت أو نعل كبوس

ولي عرس جديد كل يوم ... بطرح الهم في أمر العروس

فبطني سفرتي والخرج جسمي ... وهميـاني فمي أبداً و كيسي

وبيتي حيث يدركني مسائي ... وأهـلي كل ذي عقل نفيس

وأذكر إن شاء الله في هذا الفصل نبذا مستطرفة ، تشتمل على آداب ومكارم أخلاق ، فمن ذلك : ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنـه قـال : ثلاثـة لا يعرفون إلا في ثلاث ، لا يعرف الشجاع إلا في الحرب ، ولا الحليم إلا عنـد الغضب ، ولا الصديق إلا عند الحاجة .

قال عبد الله بن معاوية :

أني يكون أخـا أو ذا محافظـة ... من كنت في غيبه مستشعراً وجلا

إذا تغيب لم تبرح تظن بـه ... سوءاً وتسأل عما قال أو فعلا

لغـيره :

سأشكر عمرواً ما تراخت منيتي ... أيادي لم تمنن وإن هي جلت

فتى غـير محجوب الغنى عن صديقـه ... ولا مظهر شكوى إذا النعل زلت

رأى خلتي من حيث يخفى مكانها ... فكانت قذى عينيه حتى تجلت

ولِلأبيرد الرياحي :

فتى لا يعد المال ربا ولا ترى   به جفوة إن نال مالا ولا كبر

فتى كان يعطي السيف في الحرب حقه

إذا ثوب الداعي وتشقى به الجزر

وهون وجدي أنني سوف أغتدي   على إثره يوماً وإن نفس العمر

فلا يبعدنك الله إما تركتنا   حميداً وأودى بعدك المجد والفخر

وقال رجل من بني أسد بن خزيمة يمدح يحيى بن حيان :

ألا جعل الله اليمانين كلهم   فدى لفتى الفتيان يحيى بن حيان

ولولا عريق في من عصبية   لقلت وألفاً من معد بن عدنان

ولكن نفسي لم تطب بعشيرتي   وطابت له نفسي بأبناء قحطان

ولابن أبي عيينة المهلبي :

لما رأيتك قاعداً مستثقلا   أيقنت أنك للهموم قرين

فارفض لها وتعر من أثوابها   إن كان عندك للقضاء يقين

مالا يكون فلا يكون بحيلة   أبداً وما هو كائن سيكون

سيكون ما هو كائن في وقته   وأخو الجهالة متعب محزون

ولمحمود الوراق :

يا ناظراً يرنو بعيني راقد   ومشاهداً للأمر غير مشاهد

منتك نفسك ضلة وأبحتها   طرق الرجاء وهن غير قواصد

تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي   درك الجنان بها وفوز العابد

ونسيت أن الله اخرج آدما   منها إلى الدنيا بذنب واحد

قال أبو العباس المبرد رحمه الله : حدثني العباس بن الفرج قال : كان عمرو بن العاص رضي الله عنه يركب بغلة قد شمط وجهها من الهرم ، فقيل له : أتركب هذه وأنت على أكرم ناخرة بمصر. فقال : لا ملل عندي لدابتي ، ما حملت رحلي ولا لامرأتي ما أحسنت عشرتي ، ولا لصديقي ما حفظ سري ، إن الملل من كواذب الأخلاق (قوله : أكرم ناخرة يعني أكرم فرس) .

كتاب

من عبد الملك لابن الأشعث

قال أبو العباس :

كتب صاحب اليمن إلى عبد الملك بن مروان في وقت محاربته لابن الأشعث : إني قد وجهت إلى أمير المؤمنين بجارية اشتريتها بمال عظيم ، ولم ير مثلها ، فلما وصلت إليه وأدخلت عليه ، رأى وجهاً جميلاً ، وخلقاً نبيلاً ، فألقى إليها قضيباً كان في يده ، فنكست لتأخذه ، ورأى منها جسماً بهره ، فلما هم بها أعلمه الآذن أن رسول الحجاج بالباب . فأذن له ونحى الجارية ، فأعطاه كتاباً من عبد الرحمن بن الأشعث فيه سطور أربعة :

سائل مجاور جرم هل جنيت لها　　حرباً تزيل بين الجيرة الخلط

وهل سموت بجوّاد له لجب　　جم الصواهل بين الجم والفرط

وهل تركت نساء الحي ضاحية　　في ساحة الدار يستوقدن بالغبط

قتل الملوك وسار تحت لوائه   شجر العرى وعراعر الأقوام

قال : وكتب عبد الملك كتاباً ، وجعل في طيه جوابا لابن الأشعث يقول فيه :

فما بال من أسعى لأجبر عظمه   حفاظاً وينوي من سفاهته كسري

أظن خطوب الدهر بيني وبينهم   ستحملهم مني على مركب وعر

وإني وإياهم كمن نبه القطا   ولو لم تنبه باتت الطير لا تسري

أناة وحلماً وانتظاراً بهم غداً   فما أنا بالواني ولا الضرع الغمر

ثم بات يقلب كف الجارية ويقول : ما أفدت فائدة أحب إلي منك قالت : فما بالك يا أمير المؤمنين ، وما يمنعك؟قال : ما قاله عدو الله الأخطل . لأني إن جزت منه كنت ألأم العرب :

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم   عن النساء ولو باتت بأطهار

فما إليك سبيل . أو يحكم الله بيني وبين ابن الاشعث . فلم يقربها حتى قتل ابن الأشعث .

قال أبو العباس :

لما قتل عبد الرحمن بن الاشعث ، وجه الحجاج برأسه إلى عبد الملك بن مروان مع عرار بن شاس الأسدي ، وكان أسود دميا ، فلما ورد به عليه جعل عبد الملك لا يسأله عن شيء إلا أنبأه به عرار بأفصح لفظ وأشبع قول وأجزل اختصار فشفاه من الخبر ، وملأ أذنه صوابا . وعبد الملك لا يعرفه ، وقد اقتحمته عينه حين رآه .

فقال عبد الملك متمثلا :

أرادت عراراً بالهوان ومن يرد   عراراً لعمري بالهوان فقد ظلم

وإن عراراً إن يكن غير واضح فإني أحب الجون ذا المنكب العمم

فقال عرار: أتعرفني يا أمير قال: لا. قال: أنا والله عرار. فسر بذلك عبد الملك وأجزل جائزته.

فصل في العفو عن الاخون، والاغضاء عن هفواتهم.

قال الحسن بن وهب: من حقوق المودة أخذ عفو الاخوان، والاغضاء عن تقصير إن كان، وقيل: خير الاخوان من إذا نسيت ذنبك لم يقرعك به، ومن معروفه عندك لم يمن به عليك.

وأنشد الربيع للشافعي رحمه الله:

أحب من الاخوان كل مواتي وكل غضيض الطرف عن هفواتي

يوافقني في كل أمر أريده ويحفظني حياً وبعد مماتي

فمن لي بهذا ليت أني وجدته فقاسمتهُ مالي من الحسنات

تصفحت إخواني فكان أقلهم على كثرة الاخوان أهل ثقاتي

وحكى الاصمعي عن بعض الاعراب أنه قال: تناس مساوىء الاخوان يدم لك ودهم. واوصى بعض الادباء أخا له، فقال: كن للود حافظا، وإن لم تجد محافظا، وللخل واصلا وإن لم تجد مواصلا.

وقال رجل من اياد يخاطب يزيد بن المهلب:

إذا لم تجاوز عن أخ عند زلة فلست غداً عن زلتي متجاوزا

وكيف يرجيك البعيد لنفعه إذا كان عن مولاك خيرك عاجزا

ظلمت أخاً كلفته فوق وسعه وهل كانت الأخلاق إلا غرائزا

وحكي أن ابنة عبد الله بن مطيع كانت عند طلحة بن عبد الرحمن

الزهري وكان أجودقريش في زمانه فقالت له ذات يوم : مارأيت ألأم من أصحابك ، قـال : ولمه ؟ قلت : أراهم إذا أيسرت لزموك ، وإذا أعسرت تركوك ، قال : هـذا والله من كرمهم ، يأتوننا في حال القوة بنا عليهم ، ويتركوننا في حال الضعف بنا عنهم . فانظر كيف تأول بكرمه حتى جعل قبيح فعلهم حسنـا ، وظاهر غدرهم وفاء ، وهذا محض الكرم ، ولباب الفضل ، وبمثل هـذا يلزم أهل الفضل أن يتأولوا الهفوات من إخوانهم وأنشد ثعلب :

إذا أنت لم تستقبل الامر لم تجد ... بكفيك من إدباره متعلقا
وإن أنت لم تترك أخاك وزلة ... إذا زلها أوشكتما أن تفرقـا

وقال الاخر :

إذا مـا بدا من صاحب لك زلة ... فكن أنت محتالا لزلته عذرا
أحب الفتى ينفي الفواحش سمعه ... كأن به عن كل فاحشة وقرا
سليم دواعي الصدر لاباسطاً أذى ... ولا مانعاً خيراً ولا قائـلا هجرا

ولابن الرومي :

فأكثر من الاخوان ما استطعت إنهم
بطون إذا استنجـدتهم وظهور
وليس كثيراً ألف خل وصاحب ... وإن عدواً واحداً لكثير

وللشافعي :

لمـا عفوت ولم أحقد على أحد ... أرحت نفسي من هم العداوات
إني أحيي عدوي عند رؤيتـه ... لاقطع الشر عني بالتحيـات

وأظهر البشر للانسان أبغضهُ　　كأنه قد حشى قلبي مسرات

وللتنوخي :

ألقى العدو بوجه لا قطوب به　　يكاد يقطر من ماء البشاشات

فأحزم الناس من يلقى أعاديه　　في جسم حقد وثوب من مودات

الرفق يمن وخير القول أصدقه　　وكثرة المزاح مفتاح العداوات

قال شبيب بن شبة الاديب : العاقل هو الفطن المتغافل.

قال أبو مسعود : كنا في مجلس الرضي شكا رجل من أخ له فانشد الرضي :

اعذر أخاك على ذنوبه　　واستر وغط على عيوبه

واصبر على بهت السفيه　　وللزمان على خطوبه

ودع الجواب تفضلا　　وكل الظلوم إلى حسيبه

واعلم بأن الحلم عند　　الغيظ أحسن من ركوبه

ومن قول الخليل بن أحمد رحمه الله :

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب　　وإن كثرت منه إلي الجرائم

فما الناس إلا واحد من ثلاثة　　شريف ومشروف ومثل مقاوم

فأما الذي فوقي فأعرف قدره　　وأتبع فيه الحق والحق لازم

وأما الذي دوني فأحلم دائباً　　أصون به عرضي وإن لام لائم

وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا　　تفضلت إن الفضل بالفخر حاكم

فصل في الصبر والتأني

قال بعضهم :

تصبر ففي اللأواء قد يحمد الصبر ولولا صروف الدهر لم يعرف الحر

وإن الذي أبلى هو العون فانتدب

جميل الرضى يبقى لك الذكر والأجر

وثق بالذي أعطى ولا تك جازعاً فليس بحزم أن يروعك الضر

فلا نعم تبقى ولا نقم ولا يدوم كلا الحالين عسر ولا يسر

تقلب هـذا الأمر ليس بدائم لديه مع الأيام حـلو ولا مر

غـيره :

إصبر على مضض الادلاج في السحر

وفي الرواح إلى الطاعـات والبكر

إني رايت وفي الأيام تجربة للصبر عـاقبة محمودة الأثر

وقل من جد في أمر يحـاوله واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

غـيره :

إن الامور إذا اشتدت مسالكها فالصبر يفتح كل باب مرتجـا

لا تيأسن وإن طالت مطالبة إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

غـيره :

عليك بإظهار التجلد للعدى ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا

ألم تنظر الريحان يشمم ناضرا ويطرح في البيدا إذا ما تغيرا

غـــيره :

صبراً على نوب الزمـان وإن أبى القلب الجريح
فلكل شيء آخر إما جميل أو قبيح

غـــيره :

الدهر أدبني والصبر رباني والقوت أقنعني واليأس أغناني
وحنكتني من الأيام تجربـة حتى نهيت الذي قد كان ينهاني

غـــيره :

إذا مـا أتاك الدهر يومـاً بنكبـة
فـأفرغ لهـا صبراً وأوسع لها صدرا
فإن تصاريف الزمـان عجيبة فيوما ترى يسراً ويوماً ترى عسرا

غـــيره :

ما أحسن الصبر في الدنيا وأجمله عند الاله وأنجاه من الجزع
من شد بالصبر كفاً عند مؤلمة ألوت يداه بحبل غير منقطع

غـــيره :

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه ويحمد منه الصبر ممـا يصيبه
فمـن قل فيما يتقيه اصطباره فقـد قل فـيما يرتجيه نصيبه

غـــيره :

ترد رداء الصبر عند النوائب تنل من جميل الصبر حسن العواقب
وكـن حـافظـاً للوالدين وناصراً
لجـارك ذي التقوى وأهل الأقارب

اصبر قليلاً فبعد العسر تيسير
وكل وقت له أمر وتدبير

وللمهيمن في أحوالنا نظر وفوق تدبيرنا لله تدبير

غيره :

اصبر ففي الصبر خير لو علمت به
لكنت باركت شكراً صاحب النعم

واعلم بأنك إن لم تصطبر كرماً صبرت قهراً على ما خط بالقلم

غيره :

كن حليماً إذا بليت بغيظ وصبوراً إذا أتتك مصيبه

فالليالي من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيبه

غيره :

تصبر أيها العبد اللبيب لعلك بعد صبرك ما تخيب

وكل الحادثات إذا تناهت يكون وراءها فرج قريب

غيره :

أيا صاحبي إن رمت أن تكسب العلى
وترقى إلى العلياء غير مزاحم

عليك بحسن الصبر في كل حالة فما صابر فيما يروم بنادم

غيره :

بنى الله للاخيار بيتاً سماؤه هموم وأحزان وحيطانه الضر

وأدخلهم فيه وأغلق بابه وقال لهم مفتاح بابكم الصبر

غُـيره :

اصبر قليلاً وكن بالله معتصماً لا تعجلن فإن العجز بالعجل

الصبر مثل اسمه في كل نائبة لكن عواقبه أحلى من العسل

غـيره :

شكى ألم الفراق الناس قبلي وروع بالنوى حي وميت

فأما مثل ما ضمت ضلوعي فإني ما سمعت ولا رأيت

وما أشكو تلون أهل ودي ولو أجدت شكيتهم شكوت

مللت عتابهم ويئست منهم فما أرجوهم فيمن رجوت

إذا أدمت قوارضهم فؤادي صبرت على أذاهم وانطويت

ورحت إليهم طلق المحيا كأني ما سمعت ولا رأيت

ولا والله ما أضمرت غدراً كما قد أظهروه ولا نويت

ويوم الحشر موعدنا وتبدو صحيفة ما جنوه وما جنيت

ويروى أن أبا عمرو بن العلاء، كان يقرأ قوله تعالى : (إلا من اغترف غرفة بيده) بالفتح فأحضره الحجاج ؛ وقال : ما حجتك في قراءتها بالفتح ؟ قال : أمهلني أيها الأمير . قال : أمهلتك شهراً ؛ فإن لم تأتني بحجة ضربت عنقك، فوكل به من يسير معه في أحياء العرب ؛ فلم يجد حجة إلى أن كمل الشهر، فرده الموكلون به إلى الحجاج ؛ فلما كان في أثناء الطريق إذ أعرابي يسوق إبلاً له وينشد :

صبر النفس عند كل ملم إن في الصبر حيلة المحتال

لا تضيقن بالأمور فقد تكشف غماؤها بغير احتيال

ربما تجزع النفوس من الأمر   له فرجة كحل العقال

فقال له أبو عمرو : ما وجه الفتح في فرجة ؟ فقال : كلما أتى على وزن فعلة فلنا فيه ثلاث لغات ، ففرح أبو عمرو بوجود الحجة لقراءته ثم قال للأعرابي : ما سبب إنشادك هذه الأبيات ؟ قال : إنه قد بلغنا نعي الحجاج ، وكنا متخوفين منه ؛ فقال أبو عمرو : والله ما أدري بأيتهما أفرح ، بموت الحجاج ، أم بوجود الحجة على قراءتي ومذهبي ؟ !

فصل في فضل العلم

قال بعضهم :

العلم أشرف شيء ناله رجل   من لم يكن فيه علم لم يكن رجلا

تعلم العلم واعمل يا أخي به   فالعلم زين لمن بالعلم قد عملا

غيره :

العلم مبلغ قوم ذروة الشرف   وصاحب العلم محفوظ من التلف

يا صاحب العلم مهلاً لا تدنسه   بالموبقات فما للعلم من خلف

العلم يرفع بيتاً لا عماد له   والجهل يهدم بيت العز والشرف

غيره :

لو كان نور العلم يدرك بالمنى   ما كان يبقى في البرية جاهل

اجهد ولا تكسل ولا تك غافلاً   فندامة العقبى لمن يتكاسل

غـــيره :

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله ... وأجسادهم قبل القبور قبور

وإن امرءاً لم يحي بالعلم قلبه ... فليس له حتى النشور نشور

غــيره :

يا ساعياً وطلاب المال همته ... إني أراك ضعيف العقل والدين

عليك بالعلم لا تطلب له بدلا ... واعلم بـأنك فيه غير مغبون

العلم يجدي ويبقى للفتى أبداً ... والمال يفنى وإن أجدى إلى حين

هـذاك ذل وذا عز لصاحبه ... ما زال بالبعد بين العز والهون

الحض على العلم

غــيره :

العـلم يغرس كل فضل فاجتهد ... أن لا يفوتك فضل ذلك المغرس

واعلم بأن العلم ليس ينـاله ... من همـه في مطعم أو ملبس

إلا أخو العلم الذي يزهو بـه ... في حالتيه عارياً أو مكتسي

فاجعل لنفسك منه حظاً وافراً ... واهجر له طيب الرقاد وعبس

فلعل يوماً إن حضرت بمجلس ... كنت الرئيس وفخر ذاك المجلس

فصل في الادب والعلم والحض على الاتصاف به

كن ابن من شئت واكتسب ادبـاً ... يغنيك محموده عن النسب

إن الفتى من يقول ها أنا ذا ... ليس الفتى من يقول كان أبي

غـيره :

لكل شيء زينة في الورى وزينـة المرء تمام الأدب

قد يشرف المرء بآدابه فينا وإن كان وضيع النسب

غـيره :

عود بنيك على الأدب في الصغر كيما تقر بهم عيناك في الكبر

فإنما مثل الآداب تجمعها

في عنفوان الصبا كالنقش في الحجر

هي الكنوز التي تنمو ذخائرها ولا يخاف عليها حادث الغير

إن الأديب إذا زلت به قدم يهوي على فرش الديباج والسرر

ولبعضهم :

لا يعجبنك أثواب على رجل دع عنك أثوابه وانظر إلى الأدب

فالعود لو لم تفح منه روائحه لم يفرق الناس بين العود والحطب

غـيره :

قد ينفـع الأدب الأحداث من صغر

وليس ينفـع بعـد الشيبة الأدب

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولن يلين إذا قومته الخشب

ذم الكذب وقبحه :

عليك بالصدق ولو أنـه أحرقك الصدق بنار الوعيد

غـيره :

عليك بالصـدق في كل الأمور ولا

تكذب فأقبح مـا يزري بك الكذب

غـــيره :

ما أحسن الصدق في الدنيا لقائله　　وأقبح الكذب عند الله والناس

غـــيره :

لي حيلة فيمن ينـ　　ـم وليس في الكذاب حيلة

من كان يخلق ما يقو　　ل فحيلتي فيه قليلة

غـــيره :

نعم نعم إنما النمام ذو ضرر　　لكنما الكاذب الجاني اشد ضرر

أخو النميمة إن يسمع ينم ومن

يكذب يقل ما يشاء قولاً بغير أثر

لذاك لي حيلة فيمن ينم وما　　لى حيلة في كذوب ملء فيه شرر

غـــيره :

لي حيلة فيمن ينم لأنني　　أطوي حديثي دونه وخطابي

لكنما الكذاب يخلق قوله　　ما حيلتي في المفتري الكذاب

غـــيره :

لا يكذب المرء إلا من مهانته　　أو فعله السوء أو من قلة الأدب

لبعض جيفة كلب خير رائحه　　من كذبة المرء في جد وفي لعب

غـــيره :

إذا عرف الإنسان بالكذب لم يزل

لدى الناس كذاباً وإن كان صادقا

فإن قال لم تصغ له جلساؤه　　ولم يسمعوا منه وإن كان ناطقا

مدح التواضع في قول بعضهم :

تواضع لرب العرش علك ترفع فما خاب عبد للمهيمن يخضع

وداو بذكر الله قلبك إنه لأشفى إلى داء القلوب وأنفع

غـيره :

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر

على صفحات الماء وهو رفيع

ولا تك كالدخان يرفع نفسه إلى طبقات الجو وهو وضيع

غيره :

إذا شئت أن ترداد قدراً ورفعة

فلن وتواضع واترك الكبر والعجبا

غيره :

تواضع إذا ما نلت في الناس رفعة

فإن رفيع القوم من يتواضع

غـيره :

تواضع إذا ما كان قدرك عالياً فإن اتضاع المرء من شيم العقل

الحض على حفظ السر في قول بعضهم :

ولست بمبد للرجال سريرتي وما أنا عن أسرارهم بسؤول

ولا أنا يوماً للحديث سمعته إلى ههنا من ههنا بنقول

لبعضهم :

لا يكتم السر إلا كل ذي ثقة والسر عند خيار الناس مكتوم

فالسر عندي في بيت له غلق ضاعت مفاتيحه والباب مختوم

غـــيره :

صن السر عن كل مستخبر وحاذر فـما الحزم إلا الحـذر

أسيرك سـرك إن صنتـه وأنت أسـير له إن ظهر

غيره :

كل علم ليس في القرطاس ضاع كل سر جاوز الاثنين شاع

غـــيره :

إذا لم يكن في الورى صاحب وفيه ثلاث خصال حميدة

وفـاء وسر وحفظ الولي فصحبته قط ليست مفيدة

غيره :

عليك بكتم السر في كل حالة فقدجاءفي الأخبار من ألف حجة

إذا دخل اثنان الحديث فسره يشيع وصمت المرء أعظم حكمة

ومن قول بعضهم في حفظ اللسان والتزام الصمت .

لايعجبنك من خطيب خطبـة حتى يكون مع الكلام أصيلا

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

غيره :

يصاب الفتى من عثرة في لسانه وليس يصاب المرء من عثرة الرجل

فعثرته في القول تذهب برأسـه وعثرته بالرجل تبرى على مهل

غيره :

إحفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغنك انه ثعبان

في كم المقابر من قتيل لسانه   كانت تهاب لقاءه الشجعان

غيره :

الصمت زين والسكوت سلامة   فإذا نطقت فلا تكن مكثارا
فإذا ندمت على سكوتك مرة   فلتندمن على الكلام مرارا

غيره :

إن القليل من الكلام بأهله   حسن وإن كثيره ممقوت
مازل ذو صمت وما من مكثر   إلا يزل وما يعاب صموت
إن كان ينطق ناطق من فضة   فالصمت در زانه الياقوت

غيره :

احفظ لسانك واستعذ من شره   إن اللسان هو العدو الكاشح
وزن الكلام إذا نطقت بمجاس   فإذا استوى فهناك حلمك راجح
فالصمت من سعد السعود بمطلع   تحيا به والنطق سعد ذابح

غيره :

عود لسانك قول الخير تنج به   من زلة اللفظ لا من زلة القدم
واحفظ لسانك من خل تنادمه   إن النديم لمشتق من الندم

غيره :

سجن اللسان هو السلامة للفتى   من كل نازلة لها استئصال
إن اللسان إذا حللت عقاله   ألقاك في شنعاء ليس تقال

ومن قول بعضهم في المعاشرة واختيار الصاحب :

قال الشافعي محمد بن ادريس الإمام المولود سنة ١٥٠ المتوفى سنة ٢٠٤ رحمه الله تعالى :

إذا الخل لم يرعاك إلا تكلفا فدعه ولا تكثر عليه التأسفا

ففي الناس أبدال وفي الترك راحة وفي القلب صبر للحبيب إذا جفا

فما كل من تهواه يهواك قلبه ولا كل من صافيته لك قد صفا

إذا لم يكن صفو الوداد طبيعة فلا خير في ود يجي متكافا

ولا خير في خل يخون خليله ويلقاه من بعد المودة بالجفا

وينكر عيشاً قد تقدم عيشه ويظهر سراً كان بالأمس قدخفى

سلام على الدنيا إذا لم يكن بها صديق صدوق صادق الوعد منصفا

غيره :

صاف الكرام فخير من صافيته من كان ذا أدب وكان ظريفا

واحذر مؤاخاة اللئيم فإنه يبدي القبيح وينكر المعروفا

إن الكريم وإن تضعضع حاله فالخلق منه لا يزال شريفاً

والناس مثل دارهم قلبتها فأصبت منها فضة وزيوفا

غيره :

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه فابصر بعين منك أمراً فيعتمد

ولن يصحب الإنسان إلا نظيره وإن لم يكونا من قبيل ولا بلد

وما الغي إلا أن تصاحب غاوياً وما الرشد إلا أن تصاحب مرتشد

غيره :

أخو الفسق لا يغررك منهُ تودد فكل حبال الفاسقين مهين

وصاحب إذا ما كنت يوماً مصاحبا   أخا ثقة بالغيب منك أمين

غيره :

اجعل قرينك من رضيت فعاله   واحذر مقارنة اللئيم الشائن

كم من قرين شائن لقرينه   ومهجن منه لكل محاسن

غيره :

وعينك إن أبدت إليك مساوياً   من الناس قل يا عين للناس أعين

وعاشر بمعروف وكن متودداً   ولا تلق إلا بالتي هي أحسن

مدح القناعة والاستغناء عن الناس

لبعضهم :

وأكل كسيرة في كسر بيتي   أحب إلي من أكل الرغيف

ولبس عباء وتقر عيني   أحب إلي من لبس الشفوف

غيره :

هي القناعة فالزمها تعش ملكا   لو لم يكن منك إلا راحة البدن

وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها   هل راح منها بغير القطن والكفن ؟

غيره :

قنعت بالقوت من زماني   وصنت نفسي عن الهوان

خوفاً من الناس أن يقولوا   فضل فلان على فلان

من كنت عن ماله غنيا   فلا أبالي اذا جفاني

ومن رآني بعين نقص رأيته بالذي يراني
ومن رآني بعين تم رأيته كامل المعاني

غيره :

اذا المرء عوفي في جسمه وملكهُ اللهُ قلباً قنوعا
وألقى المطامع عن نفسه فذاك الغني ولو مات جوعا

أبيات في مدح القناعة

النفس تجزع أن تكون فقيرة والفقر خير من غنىً يطغيها
وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت فجميع ما في الأرض لا يكفيها

وذو القناعة راض من معيشته
وصاحب الحرص ان أثرى فغضبان

كفى من العيش ما قد سد من رمق ففيه للحر ان حققت غنيان

ان القنوع نفيس النفس راشدها وهو الغني الذى يحيى بلا نصب
وذو المطامع مغموم ومفتقر ولو حوى الملك سلطان وعلم نبي

أفادتني القناعة كل عز وهل عز أعز من القناعة

ولقد طلبت رضى البرية جاهداً فإذا رضاهم غاية لا تدرك
وأرى القناعة للفتى كنزاً له والبر أفضل ما به يتمسك

ذم الحسد

قال بعضهم :

تخلق الناس بالأدناس واعتمدوا من الصفات الدهاو المكر والحسدا
كرهت منظرهم من سوء مخبرهم فقد تعاميت حتى لا أرى أحدا

وللمتنبي:

وأظلم أهل الظلم من بات حاسداً لمن بات في نعمائه يتقلب

وغيره :

اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله
كالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله

وغيره :

دع الحسود وما يلقاه من كمد يكفيك منه لهيب النار في كبده
إن لمت ذا حسد نفست كربته وإن سكت فقد عذبته بيده

وغيره :

أيا حاسداً لي على نعمة أتدري على من أسأت الأدب
نقمت على الله في حكمه لأنك لم ترض لي ما وهب

وغيره :

يا طالب العيش في أمن وفي دعة رغداً بلا قتر صفواً بلا رنق
خلص فؤادك من غل ومن حسد فالغل في القلب مثل الغل في العنق

وغيره :

إن شئت قتل الحاسدين تعمداً　　من غير مـادية عليك ولا قود
وبغير سم قـاتل وصوارم　　وعقاب رب ليس يغفل عن أحد
عظم تجاه عيونهم محسودهم　　فتراهم موتى النفوس مع الجسد
ذوب المعـادن باللظى لكنما　　ذوب الحسود بحر نيران الحسد
لم يبلغ الحساد آجالا لهم　　إذ أنهم سيماهم موت الكمد
حد الزناة من الشريعة مدة　　وترى الحسود بدائه أبدا يحد

وغيره :

كفى الحسود عقابـاً عن جريمته　　ما في جوارحه من جذوة الحسد
لاغرو إن ذاب منه جسمه حسداً　　فإن ذا الداء يوهي صحة الجسد

مدح الحلم والتأني

قال بعضهم :

ألا إن حلم المرء أكرم نسبة　　تسامى بهـا عند الفخار حليم
فيارب هب لي منك حلماً فإنني　　أرى الحلم لم يندم عليه كريم

وغيره :

أحب مكارم الأخلاق جهدي　　وأكره أن أعيب وأن أعـابا
وأصفح عن سباب الناس حلماً　　وشر الناس من يهوى السبابا
ومن هـاب الرجال تهيبوه　　ومن حقر الرجـال فلن يهـابا

وغيره :

ولا خير في حلم إذا لم يكن له   بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولا خير في الجهل إذا لم يكن له   حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

وغيره :

إذا كنت محتاجاً إلى الحلم إنني   إلى الجهل في بعض الاحايين أحوج

ولي فرس للحلم بالحلم ملجم   ولي فرس للجهل بالجهل مسرج

فمن شاء تقويمي فإني مقوم   ومن شاء تعويجي فإني معوج

وما كنت أرضى الجهل خدناً وصاحباً

ولكنني أرضى بـه حين أحرج

وغيره :

إذا كنت بين الحلم والجهل ناشئاً   وخيرت أنى شئت فالحلم أفضل

ولكن إذا أنصف من ليس منصفاً

ولم يرض منك النصف فالجهل أمثل

إذا جاءني من يطلب الجهل عامداً   فإني سأعطيه الذي جاء يسأل

ولم أعطـه إياه إلا لأنه   وإن كان مكروهاً من الذل أجمل

مدح التغرب وذم القيام في الوطن على الذل

وإذا البلاد تغيرت عن حالها   فـدع المقام وبادر التحويلا

ليس المقام عليك فرضاً واجباً   في بلدة تدع العزيز ذليلا

وغيره :

تنقل فلذات الهوى في التنقل   وِرد كل صاف لاتقف عند منهل

ولا تستمع قول امرىء القيس انه مضل ومن ذا يهتدي بمضلل
ففي الأرض أحباب وفيها مناهل فلا تبك ذكرى حبيب ومنزل

وغيره :

تغرب عن الاوطان في طلب العلى وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبة ماجد
وإن قيل في الأسفار ذل ومحنة وقطع الفيافي وارتكاب الشدائد
فموت الفتى خير له من حياته بدار هوان بين واش وحاسد

ولبعضهم :

ارحل بنفسك عن أرض تضام بها ولا تكن لفراق الأهل في حرق
من ذل بين أهاليه ببلدته فالاغتراب له من أحسن الخلق
الكحل نوع من الأحجار منطرحاً في أرضه كالثرى يرمى على الطرق
لما تغرب نال العز أجمعه وصار يحمل بين الجفن والحدق

وللامام الشافعي رحمه الله :

ما في المقام لذي عقل وذي أدب من راحة فدع الاوطان واغترب
سافر تجد عوضاً مما تصاحبه وانصب فإن لذيذ العيش في النصب
إني رأيت وقوف الماء يفسده فإن جرى طاب أو لم يجر لم يطب
والأسد لولا فراق الغاب ما قنصت والسهم لولا فراق القوس لم يصب
والبدر لولا أفول منه ما نظرت إليه في كل حين عين مرتقب
والتبر كالترب ملقى في أماكنه والعود في أرضه نوع من الحطب

فإن تغرب هذا عز مطلبه   وإن أقام فـلا يعلو على رتب

وللحريري صاحب المقامات المولود سنة ٤٤١ المتوفي سنة ٥١٦ :

اسمع أخي وصية من ناصح   ماشاب محض النصح منه بغشه

لاتعجلن بقضية مبتوتة   في مـدح من لم تبله أو خدشه

وقف القضية فيه حتى تجتلي   وصفيه في حالي رضاه بطشه

فهناك ان تر ما يشين فواره   كرماً وان تر ما يزين فأفشه

واعلم بأن التبر في عرق الثرى   خاف الى أن يستثار بنبشه

وفضيلة الدينار يظهر سرهـا   من حكه لامن ملاحة نقشه

ومن الغباوة أن تعظم جاهـلاً   لصقال ملبسه ورونق رقشه

أو أن تهين مهذبـاً في نفسه   لدروس بزته ورثة فرشه

وله أيضاً من مقامة له :

لاتقعدن على ضر ومسغبة   لكي يقال عزيز النفس مصطبر

وانظر بعينيـك هـل أرض معطلة   من النبات كأرض حفها الشجر

فعد عمـا تقول الأغبيـاء به   فأي فضل لعود مـاله ثمر؟

وارحل ركابك عن ربع ظمئت به   الى الجناب الذي يهمي به المطر

واستنزل الري من در السحاب فـإن   بلت يداك به فليهنك الظفر

وغيره :

ومـا طلب المعيشة بالتمني   ولـكن ألق دلوك في الدلاء

تجيء بملئهـا طوراً وطوراً   تجيىء بحمأة وقليل مـاء

ولا تقعد على كسل التمني تحيل على المقدر والقضاء

فإن مقادر الرحمان تجري بأرزاق العباد من السماء

مقدرة بقبض أو ببسط وعجز المرء أسباب البلاء

مدح الوفاء

قال بعضهم :

أجل للمرء من مجد الغنى شرفاً مجد الوفاء وتقوى الله والكرم

وأرفع الناس عند الله منزلة من لم يكن لحقوق الناس يهتضم

غيره :

إذا قلت في شيء نعم فأتمه فإن نعم دين على الحر واجب

وإلا فقل لا واسترح وأرح بها لئلا يقول الناس إنك كاذب

غيره :

لئن جمع الافات فالبخل شرها

وشر من البخل المواعيد والمطل

ولا خير في وعد إذا كان كاذباً ولا خير في قول إذا لم يكن فعل

غيره :

تعجيل وعد المرء أكرومة تنشر عنه أطيب الذكر

والحر لا يمطل معروفه ولا يليق المطل بالحر

غيره :

ولقد وعدت وأنت أكرم واعد لا خير في وعد بغير تمام

أنعم علي بما وعدت تكرماً فالمطل يذهب بهجة الانعام

غيره :

إن الصديق هو المقيم على الوفا

في وقت ضنك العيش لا في رغده

أهل الصداقة في النحوس قلائل والكل أصحاب الفتى في سعده

ذم الغدر

قال بعضهم :

لا اشتكي زمني هذا فأظلمه وإنما أشتكي من أهل ذا الزمن

هم الذئاب التي تحت الثياب فلا تكن إلى أحد منهم بمؤتمن

قد كان لي كنز صبر فافتقرت إلى

إنفاقه في مداراتي لهم ففني

غيره :

وإني بلوت الناس أطلب منهم أخا ثقة عند اعتراض الشدائد

فلم أر فيما ساءني غير شامت ولم أر فيما سرني غير حاسد

غيره :

ألا إن إخواني الذي عهدتهم أفاعي رمال لا تقصر في اللسع

ظننت بهم خيراً فلما بلوتهم نزلت بواد منهم غير ذي زرع

ذم الغيبة

قال بعضهم :

من نم في الناس لم تؤمن عقاربهُ	على الصديق ولم تؤمن أفاعيهِ

كالسيل بالليل لا يدري به أحد	من أين جاء ولا من أين يأتيه

الويل للعهد منه كيف ينقضه	والويل للود منه كيف يفنيه

غيره :

يسعى إليك كما يسعى عليك فلا	تأمن غوائل ذي وجهين كياد

غيره :

من يخبرك بشتم عن أخ	فهو الشاتم لا من شتمك

ذاك شيء لم يواجهك به	إنما اللوم على من أعلمك

غيره :

إن يعلموا الخير يخفوه وإن علموا

شراً أذاعوا وإن لم يعلموا كذبوا

غيره :

قل للذي لست أدري من تلونه	أناصح أم على غش يناجيني ؟

إني لأكثر مما سمتني عجباً	يد تسح وأخرى منك تأسيني

تغتابني عند أقوام وتمدحني	في آخرين وكل عنك يأتيني

هذان شيئان قد نافيت بينهما	فاكفف لسانك عن شتمي وتزييني

غيره :

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحاً ... مني وما سمعوا من صالح دفنوا
صم إذا سمعوا خيراً ذكرت بـه ... وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

غيره :

وذو الوجهين يلقاني طليقاً ... وليس إذا تولى يأتليني
بصرت بعيبه فصفحت عنه ... محافظة على عرضي وديني

غيره :

أنست بوحدتي ولزمت داري ... فطاب الأنس لي وصفا السرور
وأدبني الزمان فلا أبالي ... هجرت فلا أزار ولا أزور
ولست بسائل ما دمت حياً ... أسار الجيش أم ركب الأمير ؟

غيره :

نعيب زماننا والعيب فينا ... وما لزماننا عيب سوانا
ونهجو ذا الزمان بغير ذنب ... ولو نطق الزمان بنا هجانا
وليس الذئب يأكل لحم ذئب ... ويأكل بعضنا بعضاً عيانا

غيره :

سلامة الإنسان في وحدة ... وأنسه فيها وفي حرفته

غيره :

لقاء الناس ليس يفيد شيئاً ... سوى الهذيان من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس إلا ... لأخذ العلم أو لصلاح حال

غــيره :

عاشر من الناس من تبقى مودته فأكثر الناس جمع غير مؤتلف

منهم صديق بلا قاف ومعرفة بغير فاء واخوان بلا ألف

لبعضهم :

أرحت روحي من الإيناس بالناس لما غنيت عن الأكياس بالياس

وصرت في البيت وحدي لا أرى أحداً

بنات فكري وكتبي هن جلاسي

مدح المداراة

قال بعضهم :

ودارهم ما دمت في دارهم وأرضهم ما دمت في أرضهم

غــيره :

لا تعاد النـاس في أوطانهم قلما يرعى غريب الوطن

وإذا ما شئت عيشاً بينهم خالق النـاس بخلق حسن

غيره :

سليم العرض من حضر الجوابا ومن دارى الرجال فقد أصابا

ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا

غيره :

قلما تنفع المداراة إلا عند أهل الحفاظ والأحساب

من يـدار اللئيم فهو كمن يستعمل الدر في نحور الكلاب

غيره :

تجنب عشير السوء واصرم حباله   فإن لم تجد منه محيصاً فداره
فلله في عرض السماوات جنة   ولكنهـا محفوفـةٌ بالمكاره

مدح المشاورة

شـاور سواك إذا نابتـك نائبـة
يوماً وإن كنت من أهل المشورات
فالعين تنظر منها مادنا ونأى   ولا ترى نفسهـا إلا بمرآة

غيره :

خصـائص من تشاوره ثلاث   فخذ منهـا جميعـاً بالوثيقـة
وداد خـالص ووفور عقل   ومعرفـة بحـالك والحقيقة
فمن حصلت له هذي المعـاني   فتابـع رأيـه والزم طريقـه

غيره :

لا تستشر غير ندب حازم فطن   قد استوى منه إسرار وإعلان
فللتدابير فرسان إذا ركضوا   فيهـا يرون كما للحرب فرسان

غيره :

تأن وشاور فـإن الأمور   منهـا جـلي ومستغمض
فرأيان أفضل من واحـد   ورأي الثلاثـة لا ينقض

ذم السؤال

قال بعضهم :

ذل السؤال وذل الفقر ما اجتمعا　　إلا أضرا بماءِ الوجه والبدن

غيره :

بخلت وليس البخل مني سجية　　ولكن رأيت الفقر شر سبيل
لموت الفتى خير من الفقر للفتى　　وللموت خير من سؤال بخيل
فلا تسألن من كان يسأل مرة　　فللموت خير من سؤال سؤول

غيره :

لنقل الصخر من قلل الجبال　　أحب إلي من منن الرجال
بلوت الناس قرناً بعد قرن　　فلم أر غير مختال بمال
وذقت مرارة الأشياءِ طراً　　فما طعم أمر من السؤال
ولم أر في الخطوب أشد هولاً　　وأصعب من معاداة الرجال

غيره :

لا تحسبن الموت موت البلى　　لكنما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا　　أشر من ذاك لذل السؤال

غـيره :

النار أهون من ركوب العار　　والعار يدخل أهله في النار
والعار في رجل يبيت وجاره　　طاوي الحشا متمزق الأطمار
والعار في هضم الضعيف وظلمه　　وأمارة الأشرار في الأخيار

جاهد على طلب الحلال ولا تكن تفنيه بالإسراف والتبذار

إلا لأهلك أو لضيفك أو لمن يشكو إليك مضاضة الإعسار

غـيره :

إذا أعوزتك أكف اللئام كفتك القناعة شبعاً وريا

فكن رجلا رجله في الثرى وهامة همته في الثريا

فإن إراقة ماء الحياة دون إراقة ماء المحيا

الفخر بالانساب والاحساب

قال ابو تمام :

نسبٌ كأن عليه من شمس الضحى

نوراً ومن فلق الصباح عمودا

البحتري :

نسبٌ كما اطردت كعوب مثقف

لدن يزيدك بسطة في الطول

الرضي :

لهم نسبٌ كاشتباك النجوم ترى للمناقب فيه ازدحاما

مهيار :

أعجبت بي بين نادي قومها أم سعد فمضت تسأل بي[1]

(١) ديوان مهيار الديلمي طبع في مصر ٦٤

سرها ما علمت من خلقي　　فأرادت علمها ما حسبي

لا تخالي نسباً يخفضني　　أنا من يرضيك عند النسب

قومي استولوا على الدهر فتىً　　ومضوا فوق رؤوس الحقب

عمموا بالشمس هاماتهم　　وبنوا أبياتهم في الشهب

وأبي كسرى على إيوانه　　أين في الناس أب مثل أبي ؟

سودة الملك القدامى وعلى　　شرف الإسلام لي والأدب

قد قبست المجد من خير أب　　وقبست الدين من خير نبي

وضممت الفخر من أطرافه　　سؤدد الفرس ودين العرب

وللسلامي في الشريف الرضي :

متناسبين وأنت كنت مرادهم　　مترددين إليك في الأصلاب

حتى ولدت فأغفلوا أنسابهم　　وغدا وجودك أشرف الأنساب

غيره :

حسب لو لبست شمس الضحى　　نوره ما لبست ثوب الغروب

برد فخر وعلى خير الورى　　بيد السؤدد مزرور الجيوب

والحسب : هو ما يعد من مفاخر الآباء والمال والدين والكرم أو الشرف في الفعل ، والشرف الثابت في الآباء ، وقد يكون الحسب والكرم لمن لا آباء له شرفاً بخلاف المجد ، والذي أراه أنه لا يكمل للمرء فخره بحسبه إلا إذا كان له من المآثر ما كان لآبائه .

والى ذلك يشير قول الشاعر :

إنا وإن أحسابنا كرمت　　لسنا على الأحساب نتكل

نبني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

أخذ قول الشاعر (أضاءت لهم أحسابهم إلى آخره) أبو اسحاق ابراهيم بن علي بن تميم المعروف بالحصري القيرواني ، فنقله من الافتخار إلى الغزل فقال :

حتى إذا طاح منها المرط من دهش

وانحل بالضم نظم العقد في الظلم

تبسمت فأضاء الليل فالتقطت حبات منتثر في ضوء منتظم

قال أفلاطون الحكيم : من جمع إلى شرف أصله شرف نفسه ؛ فقد قضى الحق الذي عليه ، واستدعى التفضيل بالحجة ، ومن أغفل نفسه واعتمد على شرف آبائه ؛ فقد عقهم ، واستحق بان لا يقدم بهم على غيره ، كما أن من كان له سلف في الشجاعة والسخاء لا يستحق أن يكرم لسلفه إذا كان جباناً بخيلاً ، وكذلك أنواع الشرف لا يستحق من انتسب إليها التقديم إلا إذا حوى ما يذكر به أسلافه . وقال أيضاً : السعيد من تمت به رياسة آبائه ، والشقي منهم من انقطعت عنده . قال بعض الحكماء : المرء بحسبه أكمل في الفخر إذا زاد بشرف نفسه ذكر آبائه نباهة ، وقد أحسن مهيار في زيادة الابن على آبائه شرفاً ، فقال :

وجئت بمعنى زائد فكأنهم وما قصروا عن غاية المجد قصروا

وقوله :

زيدتهم شرفا وبعضهم لأبيه مثل الواو في عمرو

وقوله ايضاً وهو من بدائعه ونوادره ، وهو بالسحر أشبه بالشعر وذلك حيث يقول :

أن كنت ممن طواه الدهر ممتريا   منهم فعندك من منشورهم خبر

هذا الحسين حياة خلدت لهم   ما هم بأول موتى بابنهم نشروا

صلى فزادت على السباق حلبته   محلق العرف جار خطوه حضر[1]

كالسهم أحرز ذكراً يوم ترسله   لم يعطه أبواه القوس والوتر

عصارة فضلت في الطيب طينتها   والخمر أطيب شيء منه يعتصر

ولما وفد أبو نواس على الخصيب بمصر سأله عن نسبه ، فقال له: أغناني أدبي عن نسبي . وللمتنبي :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي   وبجدي فخرت لا بجدودي

وبهم فخر كل من نطق الضاد   وعوذ الجاني وغوث الطريد

ولبعضهم :

وإني وإن كنت ابن سيد عامر   وفارسها المشهور في كل موكب

فما سودتني عامر عن وراثة   أبى الله أن أسموا بأم ولا أب

ولكنني أحمي حماها وأتقي   أذاها وأرمي من رماها بمنكبي

ويقال لمن يفخر بنفسه : هو عصامي ، إشارة إلى قول النابغة في عصام حاجب النعمان :

نفس عصام سودت عصاما   وعلمته الكر والإحجاما

وصيرته ملكاً هماما

---

(١) اي واسع (جامع الكتاب)

ويقال لمن يفخر بآبائه عظامي ، إشارة إلى فخره بالأموات من آبائه ورهطه قال الشاعر :

إذا ما الحي عاش لعظم ميت فذاك العظم حي وهو ميت

ودخل عبد الله بن زياد التيمي على أبيه ، وهو يجود بنفسه ، فقال : ألا أوصي بك الأمير ، فقال : يا أبتي إذا لم يكن للحي إلا وصية الميت ، فالميت هو الحي . ويقال : إن عطاء بن سفيان قال ليزيد بن معاوية : اغنني عن غيرك ، قال حسبك ما أغناك به معاوية ، قال : فهو إذاً الحي ، وأنت الميت . ومن قول علي رضي الله عنه : من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه ، وقال علي رضي الله عنه أيضاً : من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب آبائه . قال الشاعر :

لئن فخرت بآباء ذوي حسب قلنا صدقت ولكن بئس ما ولدوا

وكان يقال : أجهل الناس من افتخر بالعظام الباليه ، وتبجح بالقرون الماضية ، واتكل على الأمم الخالية . وكان جعفر بن يحيى يقول : ليس من الكرام من افتخر بالعظام . وقال الفضل بن الربيع : كفى بالمرء عاراً أن يفتخر بغيره ، وقال : من افتخر بآبائه فقد نادى على نفسه بالعجز ، وأقر على نفسه بالدناءة .

وقيل لشريف ناقص الأدب : إن شرفك بأبيك لغيرك ، وشرفك لك فافرق بين مالك وما لغيرك ، ولا تفرح بشرف النسب ، فإنه دون شرف الأدب . قال بعضهم :

وما فخري بمجد قام غيري إليه وقد رقدت الليل عنه

إلى حسب الفتى في نفسه انظر ولا ينظر ـ هديت ـ إلى ابن من هو

غيره :

إذا افتخرت بآبائي وأجدادي فقد حكمت على نفسي لأضدادي

هل نافعي إن سعى جدي لمكرمة ونمت عن اختها في جانب الوادي

وقد أجاد الافتخار الفرزدق حيث يقول :

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول

بيتاً زرارة محتب بفنائه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

حدث سلمة بن عياض مولى بني عامر بن لؤي قال : دخلت على الفرزدق في السجن ، وهو محبوس ، وقد قال قصيدته التي منها :

إن الذي رفع السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز واطول

بيتاً بناه لنا المليك وما بنى ملك السماء فإنه لا ينقل

وقد أفحم ، فقلت : ألا أرفدك فقال : وهل عندك ذاك ؟ فقلت : نعم ، ثم قلت :

بيتاً زرارة محتب بفنائه ومجاشع وابو الفوارس نهشل

فاستجاد البيت ، وغاظه قولي فقال لي : ممن أنت ؟ فقلت : من قريش ، قال : من أيها ؟ قلت : من بني عامر بن لؤي ، فقال : لئام والله وضيعة جاورتهم بالمدينة ، فما حمدتهم ، فقلت : الأم والله منهم وأوضع قومك جاءك رسول مالك بن المنذر ، وأنت سيدهم وشاعرهم فأخذ بأذنك يقودك حتى حبسك ، فما اعترضه أحد ولا نصرك ، فقال : قاتلك الله ما أكرمك . واخذ البيت وأدخله في القصيدة .

وحدث أبو مالك الراوية ، فقال : قال : سمعت الفرزدق يقول: أبق غلامان لرجل منـا يقال له النضر ، فحدثني قال : خرجت في طلبهما وأنا على ناقة عيساء كوماء أريد اليمامة ، فلماصرت إلى ماء لبني حنيفة ، يقـال له الصرصران ارتفعت سحابة ، فأرعدت ، وأبرقت وأرخت عزاليها ، فعدلت إلى بعض ديارهم ، وسألت القرى فأجابوا ، فأدخلت داراً لهم ، وأنخت راحلتي ، وجلست تحت ظـلة لهم من جريد النخل ، وفي الدار لهم جويرية سوداء ، إذ دخلت علي جارية كأنها سبيكة فضة ، و كأن عينيها كوكبان دريان ، فسألت الجارية لمن هـذه العيساء ؟ تعني : ناقتي ، فقيل لضيفكم هـذا ، فعدلت إلي وسلمت علي ، فرددت عليها السلام ، فقالت : ممن الرجل ؟ فقلت : من بني حنظلة ، فقـالت من أيهم ؟ فقلت : من بني نهشـل ، فتبسمت وقالت : أنت إذن ممن عناه الفرزدق بقوله وذكرت الابيات السابقة . قال : فقلت : نعم جعلت فداك ، وأعجبني ما سمعت منها ؛ فضحكت وقالت : إن ابن : الخطفى قد هدم عليكم بيتكم تعني جريرا وذلك حيث يقول

أخزى الذي رفع السماء مجاشعاً وبنى بناء بالحضيض الأسفل

بيتـاً يحمحم قينـكم بفنائه دنساً مقـاعده خبيث المدخل

قال : فوجمت ، فلما رأت ذلك في وجهي قالت : لابأس عليك إن الناس يقال فيهم ويقولون ، ثم ساقت معه حديث اليمامة ، وقصة ابن عمها كعب بن عمرو بن محرق بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء .

مدح الكرم وذم البخل

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الكريم لا يلين على قسر ، ولا يقسو على يسر . وقال رضي الله عنه : من قبل عطاءك فقد أعانك على الكرم . وقال: من لايقبل الجود لم يكن بمن يجود . وقال : من انتجعك مؤملاً فقد أسلفك حسن الظن ، ومن قوله : أحب الناس إليك من كثرت عندك أياديه ، وإن لم يكن ، فمن كثرت عنده أياديك . ومن قوله . الرغبة الى الكريم تحركه على البذل ، وإلى الخسيس تغريه بالمنع . وقال جعفر بن محمد : إن الحاجة لتعرض للرجل عندي فأبادر بها خوفاً أن يستغني عنها أو تأتيه ، وقد استبطأها فلا يكون لها عنده موقع . وكانت أم البنين تقول : أف للبخل والله لو كان ثوباً ما لبسته ، ولو كان طريقاً ما سلكته . وقال المأمون : لأن أخطىء باذلا أحب الي من أن أصيب مانعاً . وقال محمد بن السماك : أهنأ المعروف مالامطل في أوله ولامن في آخره . ومدح نصيب الشاعر عبد الله بن جعفر ، فأجزل عطيته فقيل له : أتصنع هذا بهذا العبد الأسود؟ فقال : إن كان اسود ، فإن ثناه أبيض يقق ، وشكره عربي ذو رونق ، ولقد استحق بما قال اكثر مما نال ، وهل هي الارواحل تنضى ، وثياب تبلى ، ومال يفنى ، واستعضنا عنه مديحاً يروى ، وثناء يبقى .

كتب رجل من البخلاء إلى رجل من الأسخياء يأمره بالإبقاء على نفسه ، ويخوفه الفقر ، فرد عليه (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم) وإني أكره أمراً قد وقع لأمر لعله لم يقع ، وقيل لابن عباس رضي الله عنهما : من أكرم الناس فقال : أما في الدنيا فالأسخياء وأما في الآخرة فالأتقياء . وسئل شعيب ما الجود ؟ فقال : أن لا تضن بمالك على من هو للعطية أهل .

ومن أمثالهم « البخل يهدم مباني الكرم » وذم رجل رجلاً ، فقال : ما تبل إحدى يديه الأخرى . وقال آخر في بخيل : يملأ بطنه وجاره جائع ، ويحفظ ماله وعرضه ضائع .

وقال معاوية رضي الله عنه لعمرو بن العاص رضي الله عنه : ما السخاء يا أبا عبد الله عند العرب ؟ قال : جهد المقل . ينظر فيه إلى قول رسول الله ﷺ « جهد المقل اكثر من عفو المكثر » وكان يقال : ما عزة أثبتت أركانا ، ولا ألزم بنيانا من بث المكارم واكتساب المحامد.

ومن مختار قول الحكماء في الكرماء واللؤماء قولهم : الكرام في اللئام كالغرة في وجه الفرس . ومن مختار القول الثعالبي في ذلك : الكريم إذا سئل ارتاح ، واللئيم إذا سئل ارتاع .

ومما يباهى بحسنه قول ابي الحسن مهيار :

تعطي حياء مطرقاً ملثما | وقد وهبت مسنياً ومجزلا

ويسفر الناس على بخلهم | لأنهم لايعرفون الخجلا

وقول أبي عبادة البحتري :

يعطي عطاء المحسن الخضل الندى | عفواً ويعتذر اعتذار المذنب

وله أيضاً :

دع المطي مناخات بأرحاها | لم ينض عنهن تصدير ولا حقب

فما تريد على إلمامة خلس | بأحمد بن علي ثم تنقلب

وقال ابو نصر عبد العزيز :

قد جدت لي باللهى حتى ضجرت بها

وكدت من ضجري أثني على البخل

لم يبق جودك لي شيئاً أؤمله   تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

وقال البحتري :

إني هجرتك إذ هجرتك وحشة   لا العود يذهبها ولا الابداء

أحشمتني بندى يديك فسودت   ما بيننا تلك اليد البيضاء

وقطعتني بالجود حتى إنني   متخوف أن لا يكون لقاء

صلة غدت بالناس وهي قطيعة   عجباً وبر راح وهو جفاء

وقد أطنب الشعراء ، وملأوا الدفاتر بمدح الكرم ، وذم البخل ، فلا حاجة الى الاطالة لاشتهار ذلك في أشعارهم ، ولكن يعجبني قول البحتوي في المعنى :

له ضحكة عند النوال كأنها   تباشير برق بعد بعدٍ من العهد

كأن نعم في فيهِ حين يقولها   مجاجة مسك خيض في ذائب الشهد

وقول الشاشي :

ما قال لا قط مذ حلت تمائمهُ   بخلاً بها فوجدنا الجود في البخل

وقول ابي محمد الخازن في مدح الصاحب بن عباد :

نعم تجنب لا يوم العطاء كما   تجنب ابن عطاء لثغة الراء

وهو من قول الفرزدق في علي بن الحسين رضي الله عنهما :

ما قال لا قط إلا في تشهده   لولا التشهد كانت لاءه نعم

ومثله ما قيل في قثم بن العباس :

أعفيت من حل ومن رحلة   يا ناق إن أدنيتني من قثم

إنك إن أدنيتنيهِ غداً   حالفني اليسر ومات العدم

في وجهه نور وفي باعه   طول وفي العرنين منه شمم

اصم عن قيل الخنا سمعه — وما عن الخير به من صمم
لم يدر ما (لا) (وبلى) قد درى — فعافها واعتاض عنها (نعم)

ومنه قول الآخر :

أبى جوده (لا) البخل واستعجلت به
(نعم) من فتى لا يمنع الجود قائله

وقال الآخر :

بدأت بمعروف وثنيت بالرضى — وثلثت بالحسنى وربعت بالكرم
وباشرت أمري واعتنيت بحاجتي — واخرت (لا) عني وقدمت لي (نعم)
وصدقت لي ظني وأنجزت موعدي — وطبت به نفساً ولم تتبع الندم
فإن نحن وافينا بشكر فواجب — وإن نحن قصرنا فما الود متهم

حسن البشر وكرم الاخلاق

قال النبي ﷺ : « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجوه، وحسن الأخلاق » وحسبك مدحاً لحسن الخلق قوله تعالى لنبيه (وإنك لعلى خلق عظيم) قالت عائشة رضي الله عنها : كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ، ويرضى لرضاه ، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : رب عزيز أذله خرقه ، وذليل أعزه خلقه . وقال : من لم تصلح أخلاقه لم ينفع الناس تأديبه ، وكان يقال : الق صاحب الحاجة بالبشر فإن عدمت شكره لم تعدم عذره ، ووصف

أعرابي رجلًا بحسن الشرف ، فقال : لا تراه الدهر إلا كأنه لا غناء به عنك ، وإذا أذنبت غفر ، و كأنه المذنب ، وإن أحسن اعتذر ، و كأنه المسيئ ، وروي عن النبي ﷺ ، « مكارم الأخلاق عشرة ، تكون في الرجل ، ولا تكون في ابنه ، وتكون في الابن ، ولا تكون في أبيه ، وتكون في العبد ، ولا تكون في سيده قيل يا رسول الله ماهن ؟ قال : صدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصدق البأس ، وإعطاء السائل ، والمكافأة بالصنائع ، وصلة الرحم ، والتذمم للجار والصاحب ، والحلم في القدرة ، والمواساة في الشدة ، وقرى الضيف ، ورأسهن الحياء » قال عصام بن المصطلق : دخلت المدينة فرأيت الحسن بن علي رضي الله عنهما ، فأعجبني سمته ورواؤه ، فأثار مني الحسد ما أجنه صدري من البغض لأبيه ، فقلت له : أنت ابن علي بن أبي طالب ؟ قال : نعم فبالغت في شتمه وشتم أبيه ، فنظر إلي نظرة عاطف رؤوف ، ثم قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (خذ العفو وأمر بالمعروف واعرض عن الجاهلين) (واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم) (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) .

ثم قال لي : خفض عليك استغفر الله لي ولك لو استعنتنا أعناك ، ولو استرفدتنا رفدناك ، ولو استرشدتنا أرشدناك . قال عصام : فتوسم في الندم على ما فرط مني فقال : (لا تثريب عليكم اليوم

يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) أمن أهل الشام أنت ؟ فقلت: نعم ، فقال : شنشنة أعرفها من أخزم ، حياك الله وبياك ، انبسط إلينا في حوائجك ، وما يعرض لك تجدنا عند أفضل ظنك إن شاء الله ، قال عصام : فضاقت علي الأرض بما رحبت ،وددت لو ساخت بي ، ثم تسللت منه لواذاً وما على وجه الأرض أحب إلي منه ومن أبيه .

ما جاء في الاستعطاف والتنقل فيه بالمعاني اللطيفة والمقاصد الظريفة ، فمن ذلك ، وهو من أبلغ تلطفات الشعراء في التوصل إلى استعطاف الملوك والأمراء قول أبي سعيد الرستمي يخاطب زوجته في أول قصيدة مدح بها الصاحب بن عباد وهي من غرر القصائد وهي:

امنجزتي وعدي فقد رحل الركب
ولم تتأن العيس أم تقف الصحب

خليلي لا تستنكرا طول عتبها
علي فإن الحب أكثره عتب

بنفسي بيضاء العوارض أعرضت
بوجه كأن الشرق من حسنه غرب

وبين الإزار المرتوي حقف رملة
وبين الوشاح الملتوي غصن رطب

وتحت لثام الخز أنفاسها الضنى
وفوق رداء الكبر أدمعها سكب

تبدت مع الأتراب تدعو على النوى
وإن لم يكن في الغانيات لها ترب

تسيل على الخد الأسيل دموعها
وصب دموع العين يروى به الصب

وقد وكلت إحدى يديها بقلبها مخافة أن يرفض من صدرها القلب

فلما أجزنا الجسر قمن وراءه كسرب من الغزلان ليس لها سرب

وعضت بدر الثغر فضة معصم يكاد يثنيه من الذهب القلب

فكادت تحط الرحل لولا عزيمتي وجيهية قبٌ ومهرية نجب

وقائلة أذرت مع الكحل دمعها ففاض فلم يملك لسانه غرب

إلى أي أرض ترحل العيس ظاعناً

وخلفك أفراخ بها ظمأ زغب ؟

تق الله فينا لا تردنا صبابة ببعد فما نلقاه من كثب حسب

فقلت ثقي بالله يا أم معمر

فبعض الصدى ري وبعض النوى قرب

إذا ما أنخت العيس بالري سالماً فمشرعنا عذب ومرتقنا خصب

دعيني وطيي نحوها البيد بالسرى يقع طائرانا حيث يلتقط الحب

ألم تعلمي أن السما من جنابها تصوب عزاليه علينا فينصب

فقالت وجالت في نواحي ردائها دموع لها في كل ناحية غرب

فتى رستم لا تذكر البين باسمه فديناك إن البين أيسره صعب

الى أن قال يعرض بذكر أولاده وأمه ويخاطب ممدوحه :

إذا سار مشتاق إليك فإنني برأسي أخطو بل على هامتي أحبو

وما عاقني إلا بنون كأنهم فروخ الدبا في الجو حدثان مادبوا

وقائلة من بعد سبعين حجة

شفيعي إليك الضعف والسن والرب

أتترك أماً هامة اليوم أو غداً ... يضيق بها من بعدك البلد الرحب

ومنهـا :

سأثني بما أوليتني من صنيعة ... عليك كما يثني على المطر الشعب

وأدررت لي أضعاف ما قد مريته ... بشعري من نعماك فامتلأ القعب

وعاد إنائي من نوالك فيهقاً ... يبل الثرى رشحاً وما انقطع الشخب

وأسكر أشعاري نداك فرنحت ... بشكرك في الدنيا كما رنح الشرب

ومنهـا :

وعم جهات الأرض فيض نواله ... فلم يخل واد من نداه ولا شعب

جواد له في كل أفق غمامة ... وفي كل أرض للندى مشرب عذب

إذا عد كعب في السماح أبت له ... يمين لها في كل أنملة كعب

وهي طويلة وكل أبياتها فرائد غرر رائقة ، ومما يشبهها من القصائد قصيدة أبي محمد الخازن التي أولها :

بين المجرة والثريا موقفي ... فتأملي ثم اعذري أو عنفي

هو موقف حفرته أطراف القنا ... وحمته أشفار الحسام المرهف

واصطفت الأمراء حول سريره ... مثل الأهلة والنجوم الوقف

وتلألأت شرفاته عن طلعة ... يرتد عنها الطرف إن لم يخطف

ما قيل إجلالاً وتعظيماً له ... كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفي

نظمت ملوك بني بويه لتاجه ... خرزات ملكهم الأغر الأشرف

وبنوا له صعداء مجد طنبت ... بشبا المهند والسنان المرهف

رمقت جبـابرة الملوك يفاعها بنواظر من خوفه لم تطرف

من كل وضاح الجبين متوج علق بلثم بساطـه متشرف

غصت بهـم عرصاته فكأنمـا غصت بهم عرصات يوم الموقف

ومنها في خطاب محبوبته وهو المعنى الذي أوردنا هذا الشعر من أجله وهو قوله :

يا هذه لو شمت برقك لم يكن هـذا المقـام محصبي ومعرفي

ولقد سبقت الدهر فيه منشداً وكذا الجواد يبذ شأو المقرف

لم تثن عبرتك الـتي غيضتها عزمي ولا نغمات قولك لي قف

هيهات لم ينقض زماعي لؤلؤ أذراه نرجس طرفك المستعطف

من مبلغ سكني بنجد أنـني قد ضقت ذرعاً بالخليل المنصف

وبلوت أطواد الزمان فلم أجد إلا الحسام المنتضى خلاً يفي

عرضت لألثمها بخد ورده يصفر أحمره إذا لم يقطف

فنبا مناط وشاحها عن مخطف طاو ومهوى قرطهـا عن نفنف

واستحجبت أترابها ثم انثنت ترنو بطرف كالغزال الأهيف

ففرشن عرض طريقها بغدائر تنجاب بـين مخلق ومصفف

ورمقن من حمر القباب بأعين رقعن خرق خصاصها المتكشف

ونفرن من شيبي ولولا نوره لضللت في ظلم الشباب المسدف

شيب يناسبه الربيـع منوراً بنهـاره وبهـاره المستطرف

لولا بياض النور لم تكن الربى وتلاعها إلا كقـاع صفصف

كم منـة مشكورة ومبرة عند الحدائق للغمام الأوطف

لو لم يحلّ بصوبه عطل الربى ما اهتز بين مدبج ومفوف
كم دوحة لفاء بين حديقة غناء في ظل الغمام المغدف

حتى انتهى الى قوله :

وتلثمت شمس النهار ببرقع من طرتيه والسماء بمطرف
والأقحوان الغض يجلو مبسماً لولا مغازلة الحيا لم يرشف

الى ان قال :

في سدة للملك مد رواقها علياء فخر الدولة العدل الوفي
ملك حوى الدنيا ببأس عابس وتبسم باد وتدبير خفي
فحمى قواصيها بعزم ثاقب ولوى نواصيها برأي محصف

ومن أحسن الاستعطاف مارواه الرياشي عن الأصمعي قال : تصدى رجل من بني أمية للرشيد فأنشده :

يا أمين الله إني قائل قول ذي علم وفهم وأدب
عبد شمس كان يتلو هاشماً وهما بعد لأم ولأب
فاحفظ الأرحام فينا إنما عبد شمس عم عبد المطلب
لكم الفضل علينا ولنا بكم الفضل على كل العرب

فأحسن جائزته ووصله .

نادرة عن الاصمعي

ذكر السيد المرتضى في الدرر قال : إن الأصمعي قال : نزلت

ذات ليلة في واد لبني العنبر ، وإذا فتية يريدون البصرة ، فأحببت صحبتهم ، فأقمت ليلتي تلك فيهم . وإني لوصب محموم أخاف أن لا أستمسك على راحلتي ، فلما قاموا ليرحلوا أيقظوني فلما رأوا حالتي رحلوا لي ، وحملوني وركب أحدهم ورائي يمسكني ، فلما أمعن السير تنادوا ألا فتى يحدو بنا وينشدنا ، فإذا منشد في سواد الليل بصوت ند يتغنى بهذه الأبيات

لعمرك إني يوم بانوا فلم أمت ... خفاتاً على آثارهم لصبور

غداة المنقا إذا رميت بنظرة ... ونحن على متن الطريق نسير

فقلت لقلبي حين خف به الهوى ... وكاد من الوجد المبر يطير

فهذا ولم تمض للبين ليلة ... فكيف إذا مرت عليه شهور

وأصبح أعلام الأحبة دونها ... من الأرض غول نازح ومسير

وأصبحت نجدي الهوى متهم النوى

أزيد اشتياقاً أن يحن بعير

عسى الله بعد النأي أن يسعف النوى

ويجمع شمل بعدها وسرور

قال : فسكنت والله الحمى عني حتى ما أحس بها ، فقلت لرديفي : إنزل رحمك الله إلى راحلتك ، فإني متماسك وجزاك الله عن الصحبة خيراً :

وما الطف قول البحتري وأرشقه :

ولم أنس إذ راحوا مطيعين للنوى

وقد وقفت ذات الوشاحين والوقف

ثنت طرفها دون المشيب ومن يشب

فكل الغواني عنه مثنية الطرف

وجن الهوى فيها عشية أعرضت بناظرتي ريم وسالفتي خشف

وأفلج براق يلوح رضا به حراماً على التقبيل بسلاً على الرشف

(ماقيل في وصف العشق في قول بعضهم ، وذكر بعض من عشق فمات) قال بعضهم : هو طمع يتولد في قلب العاشق ، و كلما قوي زاد صاحبه في الاهتياج ، وشغل فكره في الآمال في محبوبه ، والحرص على طلبه ، واللجاج في محبته حتى يؤديه ذلك إلى الغم المغلق ، وينشأ من ذلك فساد الفكر ، ومعه يكون زوال العقل ، ورجاء ما لا يكون ، وتمني ما لا يتم حتى يؤديه إلى الجنون ، فربما قتل نفسه ، وربما مات غماً ، وربما رأى محبوبه فمات من الفرح . واعلم أن الهوى والعشق والحب ، وإن كان موردها واحداً ، فقد فرق بينهما عمرو بن بحر الجاحظ ، فقال : كل عشق يسمى حباً ، وليس كل حب يسمى عشقاً ، لأن العشق اسم لما فضل من الاقتصاد في الحب ، كما أن السرف اسم لما جاوز الجود ، والبخل اسم لما قصر عن الاقتصاد ، والهوى يتفرع عن الحب ، والحب هو المتولد من أول نظرة ، قال بعضهم في ذلك :

الحب أوله حب تهيم به نفس المحب فيلقى الموت كاللعب

يكون مبدؤه من نظرة عرضت وخطرة قدحت في القلب كاللهب

كالنار مبدؤها من قدحة فإذا تأججت أحرقت مستجمع الحطب

وقال الآخر :

الحب من سمع ومن لحظةٍ وفيـه إحـلاء وإمرار
رأيت نار الحب بين الحشـا تفعل مالا تفعل النـار
إن لم تكلم في الهوى ألسن تكلمت باللحظ أبصـار
والحب داء مـاله حيـلة وليس فيه للفتى عـار

وقيل : إن الحب هو الميل الدائم بالقلب للحبيب ، ومصـاحبته على الدوام كما قيـل :

ومن عجب أني أحن إليهم وأسأل شوقاً عنهم وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

وقول الآخر :

خيالك في عيني وذكرك في فمي ومثواك في قلبي فأين تغيب

والحب : هو المحبة ، وأحسن الاقوال فيه أنه مشتق من القلب وهي سويداه ، كما قيل مثل ذلك في الشغف ، والحب يسمى شغفاً إذا بلغ شغاف القلب ، وهو غشاء على القلب رقيق ، وكل هذه الأوصاف بحسب مراتب الحب ، فأما كون الحب هو المتولد من أول نظرة ، فلم يبعد من قال ذلك كما قيل :

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة بلغت في قلب صاحبها كمبلغ السهم بين القوس والوتر
والمرء ما دام ذا طرف يقلبـه في أعين العين موقوف على الخطر
يسر مقلته مـا ضر مهجتـه لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

وقد أجمعوا على أن العشق هو الداء العياء ، وماله إلا وصل الحبيب دواء كما قال مهيار :

أشتكيكم وإلى من أشتكي　　أنتم الداء فمن يشفي السقام

ومما ورد في العشق ، ما رواه الهيثم بن عدي قال : أصبت صخرة مكتوب عليها العشق ملك غشوم ، مسلط ظلوم دانت له القلوب ، وانقادت له الألباب وخضعت له النفوس ، فالعقل أسيره ، والنظر رسوله ، واللحظ لفظه ، مستوره غامض ؛ وهو دقيق المسالك ، عسر الخروج ، وقوله : واللحظ لفظه يشهد بذلك ماقاله البحتري وذلك أن السيد المرتضي روى في الدرر عن يحيى عن البحتري فقال : اني انصرفت يوماً من مجلس أبي العباس محمد بن يزيد المبرد ؛ فقال لي البحتري : ما الذي افدت يومك هذا من أبي العباس؟ قلت : أملى علي أخباراً وأنشدني أبياتاً للحسين بن الضحاك ، قال : أنشدني الأبيات فأنشدته :

كأني إذا فارقت شخصك ساعة　　لفقدك بين العالمين غريب

أغرك صفحي عن ذنوب كثيرة　　وغضي على أشياء منك تريب

وقد رمت أسباب السلو فخانني　　ضمير عليه من هواك رقيب

كأن لم يكن في الناس قبلي متيم　　ولم يك في الدنيا سواك حبيب

إلى الله أشكوا إن شكوت فلم يكن　　لشكواي من عطف الحبيب نصيب

فقال : هذا من أحسن الكلام يابني ، ثم انشدني البحتري لنفسه :

حبيبي حبيب يكتم الناس انهُ　　لنا حين تلقاه العيون حبيب

يباعدني في الملتقى وفؤاده　　وإن هو أبدى في البعاد قريب

ويعرض عني والهوى منه مقبل　　إذا خاف عيناً أو أشار رقيب

فتنطق منـا أعين حين نلتقي ... وتخرس منـا ألسن وقلوب

ثم قال : ارو يا بني هذا ، فإنه من احسن الشعر وظريفه . وقال بعضهم وقد جعل الدمع كتابة تخاطبه :

ومراعة للبين تحسب أنها ... قمر على غصن تغيب وتطلع

كتبت إليك على شقائق خدها ... سطراً من العبرات ماذا اصنع

فأجبتها بلسان حال معرب ... ما في الحياة مع التفرق مطمع

وما احسن قول بعضهم في إخفاء المحبة واظهار الصد :

وخبرك الواشون أن لاأحبكم ... بلى وستور الله ذات المحارم

أصد ومـا الصد الذي تعلمينهُ ... عزاء بنـا إلا اجتراع العلاقم

حياء وتقيـاً أن تشيع نميمة ... بنـاوبكم أف لأهل النمائم

وإن دمـاً لو تعلمين جنيته ... على الحي جـاني مثله غير سالم

أمـا إنه لوكان غيرك أرقلت ... صعاد القنا بالراعفات اللهاذم

ولكنه والله مـا طل مسلماً ... كبيض الثنايا واضحات الملاغم

رمين فاقصدن القلوب فلا ترى ... دماً مائراً إلا جوى في الحيازم

إذا هن ساقطن الحـديث حسبتـه ... سقوط حصى المرجان من كف ناظم

قـال الطغرائي : وقـد ابدع غاية الابداع بنظم يستوقف حسنه العيون والأسماع :

خبروها أني مرضت فقالت ... مرضاً طارفاً شكى أم تليدا؟

وأشاروا بأن تعود وسادي ... فأبت وهي تشتهي أن تعودا

وأتتني في خفية تتشكي   ألم الوجد والمزار البعيدا
ورأتني كذا فلم تتمالك   فأمالت علي عطفاً وجيدا

روي أن المأمون قال للقاضي يحيى بن أكثم ما العشق ؟ فقال يحيى : سوانح تسنح للمرء ، فيهيم بها قلبه ، وتتواتر بها نفسه ، فقال له ثمامة : أمسك أيها القاضي رحمك الله إنما عليك أن تجيب في مسألة طلاق ، أو محرم صاد صيدا ، وأما هـذا فمن مسائلنا نحن فقال المأمون : قل يا ثمامة ، فقال : العشق جليس ممتع ، وأليف مؤنس ، وصاحب مالك ، ومالك قاهر ، مسالكه لطيفة ، ومذاهبه متضادة ، وأحكامه جائرة ، ملك الأبدان وأرواحها ، والقلوب وخواطرها ، والعيون ونواظرها ، والنفوس وآراءها وأعطي زمام طاعتها وقياد مملكتها توارى عن الأبصار مدخله ، وغمض عن القلوب مسلكه . قال المأمون : أحسنت ياثمامة . وأمر له بألف دينار .
قال الأصمعي : سئلت أعرابية عن العشق ، فقالت : جل والله أن يرى ، وخفي عن عيون الورى ؛ فهو في الصدور كامن كمون النار في الحجر ؛ إن قدحته أورى ، أو تركته توارى .

وقيل لابي زهير المدني : ما العشق ؟ فقال : الجنون داء أهل الذل ، وهو داء أهل الظرف . وقال بعض الاطباء في صفة الحب : امتزاج الروح بالروح ، ولو امتزج الماء بالماء لامتنع تخليص بعضه من بعض فكيف والروح ألطف امتزاجاً ، وأرق مسلكا . وسئل أعرابي عن الهوى ، فقال : هو أغمض مسلكا في القلب من الروح في الجسد ،

وأملك من النفس بالنفس ، بطن وظهر ، لطف و كثف ، فامتنع عن وصفه اللسان ، وعمي عنه البيان ، فهو بين السحر والجنون ، ولطف المسلك والكمون . وروى أهل السير أن الذين علق الحب قلوبهم فماتوا ، أو جنوا هم الذين عشقوا بنات العم والجيران في الحداثة ، وذلك هو العشق الذي لا يزيل صاحبه أبداً حتى يموت ، أو يهيم على وجهه ، ويشهد بذلك قول المجنون :

وعلقت ليلى وهي ذات موصد ولم يبد للاتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم ياليت أننا صغيران لم نكبر ولم يكبر البهم

ومنه قول جميل :

علقت الهوى منها وليداً ولم يزل إلى الآن ينمو حبها ويزيد
وأفنيت عمري في انتظار نواله وأفنيت بذاك العمر وهو جديد

وروى سهل بن سعد ، قال : كنت بمصر ، وخرجت لحاجة ، فلقيني صديق لي في بعض الطرق ، فقال لي : هل لك أن تعدل إلى عيادة جميل ، فقد ثقل مرضه ؟ قلت : نعم ، فدخلنا عليه وهو يجود بنفسه ، فنظر إلي ، فقال : يا ابن سعد ما تقول في رجل لم يزن قط ، ولم يشرب مداماً ، ولم يسفك دماً حراماً ، قد أتت عليه خمسون سنة يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً الله رسول ؟ فقلت : من هذا ؟ فإني اظنه ناجيا من عذاب النار إن شاء الله قال : أنا ذلك . قلت سبحان الله ! ما رأيت كاليوم أعجب من هذا ، وما أحسبك تسلم ، وأنت تشبب ببثينة من عشرين سنة ، فقال : إني في آخر يوم من الدنيا ،

وأول يوم من الآخرة ، فلا نالتني شفاعة رسول ﷺ إن وضعت يدي عليها لريبة ، وإنما اكثر ما يكون مني إليها اني آخذ يدها فأضعها على قلبي ، فأستريح إليها ، ثم أغمي عليه فأفاق وأنشد :

صرخ النعي وما كنى بجميل ... وثوى بمصر ثواء غير قفول
ولقد أجر الذيل في وادي القرى ... نشوان بين مزارع ونخيل
قومي بثينة فاندبي بعويل ... وابكي خليلك دون كل خليل

ثم غمي عليه فمات رحمه الله .

وروي عن الأصمعي أنه قال لأعرابية : ماتعدون العشق فيكم ؟ قالت : العناق والضمة والمحادثة والغمزة ، ثم قالت : يا حضري كيف هو عندكم ؟ فقلت : يقعد الرجل بين رجليها ، ثم يجهدها ، فقالت : يا ابن اخي ما هذا عشقاً ، هذا طاب الولد . وسئل أعرابي عن العشق ، فقال هو اللحظة والنظرة ، والأخذ من لطائف الحديث بنصيب ، فكيف هو عندكم يا حضري ؟ فقال : العض الشديد والجمع بين الركبة والوريد ، فقال : والله ما يفعل هذا العدو بعدوه ، فكيف الحبيب بحبيبه . وقيل لآخر : ماكنت صانعاً بمن احببت لو ظفوت به ؟ فقال احل الخمار ، واحرم ماوراء الازرار ، واطهو الحب ما يرضي الوب . وقيل لآخر : ما كنت صانعاً لو ظفوت بمحبوبك ، فقال : اضمها والثمها ، واعصي الشيطان في اثمها ، ولا افسد عشق عشرين سنة بلذة ساعة ، تفنى لذتها ، ويبقى عقابها ، إني إن فعلت ذلك للئيم ، ولم يلدني كريم . وكان العشق ، اكثر وقوعاً في بني عذرة ، ولقد اشتهروا فيه بين العرب ، وصاروا يضرب بهم المثل في العشق بكثرة من قتل منهم . قال محمد بن جعفر : سمعت رجلاً من عذرة يتحدث عند عروة ، فقال له عروة : يزعم الناس انكم ارق الناس قلوباً . قال : نعم ، والله لقد تركت في الحي ثلاثين شاباً خامرهم الموت ليس لهم داء إلا الحب . وعن سعد بن عتبه انه حضر في مجلسه رجل ، فاستغربه ، فقال من انت ؟ قال :

من قوم اذا عشقوا ماتوا ، فقال : عذري ورب الكعبة ، ثم قال : لم كان بكم هذا الداء الذي اهلككم ؟ فقال : لأن في رجالنا صباحة ، وفي نسائنا عنة . وقيل لوجل منهم : انكم لتعدون موتكم في الحب فضيلة ومزية ، وانما ذلك من ضعف البنية ، ووهن العقيدة، وسوء الروية ، فقال العذري : اما انكم لو رأيتم المحاجر البلج ، ترشق بالاعين الدعج ، من فوقها الحواجب الزج ، من تحتها المباسم الفلج ، تفتر عن الثنايا الغر ، كأنها البرد والدر ، لجعلتموها اللات والعزى .

نبذة مما وقع للشعراء في الشيب والشباب . قال بعض شعراء اهل العراق ، وهو السيد حيدر الحلي المتوفي سنة ١٣٠٤ :

رأت المشيب بعارضيك فغاظها　　وثنت بذات البان عنك لحاظها [١]

ريم لآلي نحرها يحكي لآلي　　ثغرها اللائي حكت ألفاظها

هيفاء لو برزت لنساك الورى　　يوماً لأصبى دلها وعاظها

قد كان شملك بالكواعب جامعاً　　أيام سوق صباك كان عكاظها

فتنبهت عين الزمان ففرقت　　بالشيب شملك لا رأت ايقاظها

رقت إليك قلوبهن مع الصبا　　وأعادهن لك المشيب غلاظها

فدع الغواني القاتلات بقدها　　كم فتنة غنج الحسان أفاظها

ولمهيار :

ما أنكرت إلا البياض فصدت　　وهي التي جنت المشيب هي التي [٢]

غراء يشعف قلبها في نحرها　　وجبينها ما ساءها في لمتي

أأنست إذ ليل الشباب مصاحبي　　ونفرت إن طلعت عليك أهلتي

---

(١) ديوانه : ٢٤٤

(٢) ديوانه : ١٥٢

وقول البحتري:

ولم أنس إذ راحوا مطيعين للهوى وقد وقفت ذات الوشاحين والوقف

ثنت طرفها دون المشيب ومن يشب

فكل الغواني عنه مثنية الطرف

ومن ظريف ما قيل في الشيب قول بعضهم وهو من الهزل المراد به الجد :

تبسم الشيب بذقن الفتى يوجب سفح الدمع من جفنه

حسب الفتى بعد الصبا ذلة أن يضحك الشيب على ذقنه

وذم الشباب بعضهم بقوله :

لم أقل للشباب في دعة الله ولا حفظه غداة استقلا

زائر زارنا أقام قليلاً سود الصحف بالذنوب وولى

نبذة غزلية مما تمناه الشعراء في عذب من شعرهم فمن ذلك قول بعضهم :

لقد كنت جلداً قبل أن توقد النوى على كبدي ناراً بطيء خمودها

ولو تركت نار الهوى لتصرمت ولكن شوقاً كل يوم يزيدها

وقد كنت أرجو أن تذوب صبابتي

إذا قدمت أيامها وعهودها

فقد جعلت في حبة القلب والحشا عهاد الهوى تولى بشوق يعيدها

بمرتجة الأرداف هيف خصورها عذاب ثناياها عجاف قيودها

مخصرة الاوساط زانت عقودها بأحسن مما زينته عقودها

وصفر تراقيها وحمر أكفها وسود نواصيها وبيض خدودها

يمنيننا حتى ترف قلوبنا رفيف الخزامى بات طل يجودها

ويروى منها :

و كنت أذود العين أن ترد البكا فقد وردت ما كنت عنه أذودها

أخلي ما بالعيش عيب لو أننا وجدنا لأيام الصبا من يعيدها

ويروى منهـــا :

ولي نظرة بعد الصدود من الجوى كنظرة ثكلى قد أصيب وليدها

هل الله عاف عن ذنوب تسلفت أم الله إن لم يعف عنها معيدها ؟

لبعضهم :

ومستخفيات ليس يخفين زرننا يسحبن أذيال الصبابة والشكل

جمعن الهوى حتى إذا ما ملكنه نزعن وقد أكثرن فينا من القتل

موارق من ختل المحب عوارف بختل أولي الألباب بالجد والهزل

مريضات رجع القول خرس عن الخنـا

تـألفن أهواء القلوب بـلا بـذل

ولآخر :

بيض حرائر مـا هممن بريبة كظباء مكـة صيدهن حرام

يحسبن من لين الكلام زوانيـاً ويصدهن عن الخنا الإسلام

ومن قول حيدر الحلي :

ذكرت بذات الأثل حيث مضى لنـا

زمن بـه ظـل الشبيبة سابـغ [1]

كواعب ترمي عن قسي حواجب بأسهم لحظ لا تقيهـا السوابـغ

---

(١) ديوانه : ٧٢١ طبع بومباي .

تدب على الورد الندي بخدها عقارب من أصداغهن لوادغ
لوادغ أحشاء يبيت سليمها ودرياقه عذب من الريق سائغ
لهوت بها حيناً أطيع بها الهوى غراماً وشيطان الصبابة نازغ
إلى أن رأت عيني يد الشيب ناصلاً بها من كلا فودي ما الله صابغ
فأصبحت لا قلبي من الغيد فارغ بلى قلبها مني غدا وهو فارغ
وأمسيت في ليل من الغم تحته فؤاد له ضرس من الهم ماضغ
إلى أن جلا عني الهموم بأسرها هلال علا في مطلع السعد بازغ
هلال علا تجلوه طوقاً لنحرها لهُ ربةٌ من جوهر المجد صائغ
فتىً لم تكن أهل المساعي جميعها لتبلغ من علياه ما هو بالغ
يقصر كعب عن نداه وحاتم ويقصر حتى جرول والنوابغ

وله من صدر أخرى :

ألفتك نافرة الظباء الهيف واستوطنت في ربعك المألوف[١]
فانعم بناعمة الشبيبة غضة بيضاء ضامية الوشاح رشوف
أبداً يروق العين في وجناتها ورد ولكن ليس بالمقطوف
هي قبلة صلى لها غزلي كما صلى ثناي لقبلة المعروف

واجاد في مديحها ومن قوله ايضاً في صدر قصيدة :

حيتك من وجناتها بشقيقها وجلت عليك مدامة من ريقها[٢]
وتبسمت لك عن ثنايا لم تشم عين كبارقها ولا كعقيقها

---

(١) ديوانه : ٢٧١
(٢) ديوانه : ٢٩٢

وحبتك من رشفاتها بسلافة ... مافض مرتشف ختام رحيقها

وتعطفت لك بانة غير الصبا ... لم يحظ قلبك بانعطاف رشيقها

ورنت بأجفان إليك فواتر ... بأخي الهوى الدنيا تضيق لضيقها

يا أهل رامة ما الجمال وما الهوى ... إلا لشائق ريكم ومشوقها

نفحتكم بعبيرها ريح الصبا ... ونحتكم ديم الحيا ببروقها

فسقت ملاعبكم بأوطف ترهي ... منه بزهر رياضها وأنيقها

ومن قوله في صدر أخرى مدح بها محمداً الصالح :

وصلت وريعان الشبيبة مونق ... وجفت وقد لبس المشيب المفرق [(١)]

والغيد طوع نسيم ريعان الصبا ... يهتز غصن شبابهن المورق

والشيب إن حطت عقاب نهاره ... فغراب ليلة وصلهن محلق

أدرت فتاة الحي أني مذ نأت ... قلبي أسير هوى ودمعي مطلق

أنا والجوى والدمع وهي ومهجتي ... طوع البعاد مغرب ومشرق

عافت أخا دمعي العقيق وثغرها ... أمسى يضيء به أخوه الأبرق

لله موقفنا صبيحة أجمعت ... بيناً له جزعاً بريقي أشرق

ومسكت قلبي كي يقر وإنه ... ليكاد يلفظه الزفير فيخفق

وكظمت أنفاسي الغداة وفوقها ... كادت مجامع أضلعي تتفرق

جاذبتها فضل الرداء فأقبلت ... بالعنف تجمع ما جذبت وأرفق

---

(١) ديوانه : ٢٩٤

ومذ استقل بها الفراق دعوتها بالدمع إذ هو من لساني أطلق

الله يا ذات النطـاق بواجم لسن المدامع عن جواه تنطق

وتذكري عهد المودة بيننـا أيام أوقـاتي بلهوك تنفق

متآلفـين بحيث لا ظل الهوى ضاح ولا صفو الوداد مرنق

في روضة غنـاء لم يبرح بهـا يمري مذانبه الغمام المغدق

يسري النسيم عليلةٌ انفـاسهُ فيهـا بنشر من عبيرك يعبق

وعيون نرجسهـا المندى غـازلت

منك المحيـا وهو شمس تشرق

فكأن في اجفـانهن الطل من أنوار وجهك ادمـع تترقرق

ولهوت منك بذات خدر زانهـا

ثوب الشبـاب الغض لا الاستـبرق

طوراً تعـاطيني الحديث وتارة راحاً بهـا شمل الهموم يفرق

قالت وقد عاقرتها من كفهـا صرفاً لهـا نور يروق ورونق

ألها نظير ؟ قلت : خلق محمـد في لطفه منهـا أرق وأروق

خلق لأبلج غير معقود الندى ديم الغمام بـه غدت تتخلق

ويود أن بكل منبت شعرة منـه بقول نعم لسان ينطق

واجاد في مديحها ولولا مراعاة الاختصار لذكرتها وفـيا ذكرت منها كفاية .

ولغيره :

حي عني بالحمى عهداً قديمـاً وتعهـد لي به الظبي الرخيما

رشأٌ بالنبل من ألحاظـه غادر القلب على عمد كليما

إن أقل ريم صريم نافر ... فلكم أخجل بالعينين ريما

لا ومن أرشق قلبي لحظه ... أنا لا أعرف لولاه الصريما

أبلج الخدين ما ألطفه ... قامة هيفاء أو كشحاً هضيما

راع بالرقة من وجنته ... رائق الورد وبالطبع النسيما

خاته لما بدت غرته ... شمس أفق زاحمت ليلاً بهيما

ولغيره :

ما لقلبي تهزه الأشواق ... خبرينا أهكذا العشاق ؟

كل يوم لنا فؤاد مذاب ... ودموع على الطول تراق

عجباً كيف تدعي الورق وجدي ... ولدمعي بجيدها أطواق

كم لنا بالحمى معاهد أنس ... والصبا يانع الجنى رقراق

عهدُ لهو به الليالي ترامت ... ماله عرست به الأحداق

يالظمن به النياق تهادى ... نهنهي السير ساعة يا نياق

فبأحداجك استقلت ظباء ... آنسات بيض الخدود رقاق

وارحمي يا أميم لوعة صب ... شفهُ يوم ذي الأثيل الفراق

كاد يقضي من الصبابة لولا ... أن تحاماه في الوداع العناق

شعر

ابن نباتة المصري [1]

وقد يسر الله لي في هذه الأيام ديوان العلامة جمال الدين محمد بن نباتة المصري ، فراقني شعره ، فأحببت أن أنقل ما أستجيده من القصائد ، وليس هذا موضع ذكره ، لكن عدم الظفر بديوانه قبلُ أوجب ذلك .

هو الإمام العلامة جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن حسن بن أبي الحسن ، صالح بن يحيى بن طاهر بن محمد الخطيب بن نباتة المصري ولد بمصر سنة ٦٨٦ وتوفي سنة ٧٦٨ رحمه الله تعالى قال يمدح المؤيد :

أودت فعالك يا أسما بأحشائي — واحيرتي بين أفعال وأسماء [2]

إن كان قلبك صخراً من قساوته — فإن طرفي المعنى طرف خنساء

ويح المعنى الذي أضرمت باطنه — ماذا يكابد من أهوال أهواء

قامت قيامة قلبي في هواكِ فإن — أسكت فقد شهدت بالسقم أعضائي

وقد بكى لي حتى الروض فاعتبروا — كم مقلة لشقيق الغصن رمداء

وأمرضتني جفون منك قد مرضت — فكان أطيب من نجح الدوا دائي

---

(١) صححت أشعار ابن نباتة على ديوانه المطبوع في مصر بعناية القلقيلي .

(٢) ديوانه رقم (٥)

يا صاحبي أقلا من ملامكما ولا تزيدا بهذا اللوم إغرائي

هذي الرياض عن الأزهار باسمة كما تبسم عجباً ثغر لمياء

والأرض ناطقة عن صنع بارئها إلى الورى وعجيب نطق خرساء

فما يصدكما والحال داعية عن شرب فاقعة للهم صفراء

راحاً غريت برياها ومشربها حتى انتصبت إليها نصب إغراء

من الكميت التي تجري بصاحبها

جري الرهان إلي غايات سراء

سكراً أحيطت أباريق المدام به فرجعت صوت تمتام وفأفاء

من كف أغيد يحسوها مقهقهة كما تأود غصن تحت ورقاء

حسبي من الله غفر للذنوب ومن جدوى المؤيد تجديد لنعمائي

ملك تطوق بالإحسان وفد رجا وبالظبى والعوالي وفد هيجاء

ذا بالنضار وهذا بالحديد فما ينفك آسر أحباب وأعداء

داع لجود يد بيضاء ما برحت تقضي على كل صفراء وبيضاء

يدافع النكبات الموعدات لنا حتى الرياح فما تسري بنكباء

ويوقد الله نوراً من سعادته فكيف يطمع حساد بإطفاء

لو جاورت آل ذبيان حماه لما ذموا العواقب من حالات غبراء

إلى أن قال :

مازال يرفع إسماعيل بيت على حتى استوت غايتا نسل وآباء

مصرف الفكر في حب العلوم فما

يشفى بسعدى ولا يروى بظمياء

له بدائع لفظ صاحبت كرماً   كأنهن نجوم ذات أنواء
وأنمل في الوغى والسلم كاتبة   إمـا بأسمر نضو أو بسمراء
تكفلت كل عام سحب راحتـه   عن البريـة إشباعي وإروائي
فما أبالي إذا استكثرت عائلة   فقد كفى هم وإصباحي وإمسائي
نظمت ديوان شعر فيه واتخذت   عـلي كتابـةُ ديوان إعطاء
وعاد قول البرايا عبد دولتـه   أشهى وأشهر ألقابي وأسمـائي
محرر اللفظ لكن غر أنعمه   قد صيرتني من بعض الأرقـاء
أعطي الزكاة وقدماً كنت آخذها   ياقرب ما بين إقتاري وإثرائي
شكراً لوجناء سارت بي إلى ملك   لولاه لم يطو نظمي سمعة الطائي
عال عن الوصف إلا أن أنعمه   لجـبر قلـبي تلقاني بإصغاء
يا جابر القلب خذها مدحة سلمت   فبيت حاسدهـا أولى بإقواء
مشت على مستحب الهمز مصمية   نبـالها كل همـاز ومشاء
بيوت نظم لهم هي الجنات معجبة   كأن في كل بيت وجه حوراء

وقال يمدح جمال الدين شهاب محمود :

وعدت بطيف خيالها هيفـاء   إن كان يمكن مقلتي إغفاء[1]
يا من يوفر طيفها سهري لقد   (أمن ازديادك في الدجى الرقباء)
يا من يطيل أخو الهوى لقوامها   شكواه وهي الصعدة السمراء
أفديك شمس ضحى دموعي نثرة   لما تغيب وعـاذلي عواء
وعزيزة هي للنواظر جنـة   تجلى ولكن للقلوب شقـاء

---

(١) ديوانه : ١١

خضبت بأحمر كالنضار معاصماً ... كالماء فيها رونق وصفاء
واهاً لهن معاصماً مخضوبة ... سال النضار بها وقام الماء
أصبو إلى البرحاء أعلم أنه ... يرضيك أن تعتادني البرحاء
ويبث ما يلقاه من ألم الجوى ... قلبي وأنت الصخرة الصماء
كم من جمال عنده ضر الفتى ... ولكم جمال عنده السراء
كجمال دين الله وابن شهابه ... لا الظلم حيث يرى ولا الظلماء
الماجد الراقي مراتب سؤدد ... قد رصعت بجواره الجوزاء
ذاك الذي أمسى السها جاراً له ... لكن حاسد مجده العواء
عمت مكارمه وسار حديثه ... فبكل أرض نعمة وثناء
وحمى العواصم رأيه ولطالما ... قعد الحسام وقامت الآراء
عجباً لنار ذكائه مشبوبة ... وبظله تتفيأ الأفياء
وللفظه يزداد رأي مريده ... وحجاه وهو القهوة الصهباء
غنى اليراع به وأظهر طرسه ... وكذا تكون الروضة الغناء
يا راكب العزمات غايات المنى ... مغنى شهاب الدين والشهباء
ذي المجد لا في ساعديه عن العلى ... قصر ولا في عزمه إعياء
والعدل يردع قادراً عن عاجز ... فالذئب هاجعة لديه الشاء
والحلم يروي جابر عن فضله ... والفضل يروي عن يديه عطاء
يا أكمل الرؤساء لا مستثنياً ... أحداً إذا ما عدت الرؤساء
يامن مللت من المعاد له وما ... ملت لدي معادها النعماء
إن لم تقم بحقوق ما أوليتني ... مدحي فأرجو أن يقوم دعاء
شهدت معاليك الرفيعة والندى ... إن الورى أرض وأنت سماء

وقال يمدح مؤيد الدين بن ايوب :

بالغت في شجني وفي تعذيبي ... ومع الأذى أفديك من محبوب[1]

يا قاسياً هلا تعلم قلبهُ ... لين الصبا من جسمه المشروب

آهاً لورد فوق خدك أحمر ... لو أن ذاك الورد كان نصيبي

ولواحظ ترث الملاحة في الظبا ... إرث السماحة في بني أيوب

فتحت بنو أيوب أبواب الرجا ... وأتت بحارهم بكل عجيب

وبملكهم رفع الهدى أعلامه ... وحمى سرادق بيته المنصوب

وإلى عمادهم انتهت علياهم ... وإلى العلاء قد انتهت لنجيب

ملك بأدنى سطوه ونواله ... أنسى ندى (هرم) وبأس شبيب

الجود ملء مطامع والعلم مل ... ء مسامع والعز ملء قلوب

ألفت بأنبوب اليراعة والقنا ... يمناه يوم ندى ويوم حروب

فإذا نظرت وجدت أرزاق الورى

ودم العداة يفيض من انبوب

كم مدحة لي صغتها وأثابها ... فزهت على التفضيض والتذهيب

وتعودت في كل مصر عنده ... مرعى يقابل جدبها بخصيب

يا رب بشر منه طائي الندى ... يلقى مدائحنا لقاء حبيب

وقال يمدحه :

ماضر من لم يجد في الحب تعذيبي

لو كان يحمل عني بعض تأنيبي[2]

---

(١) و (٢) ديوانه : ٢٠

أشكو إلى الله عذالاً أكابدهم ... وما يزيدون قلبي غير تشبيب

وخاطر خنث الأشواق تعجبه ... سوالف الترك في عطف الأعاريب

كأنني لوجوه الغيد معتكف ... ما بين أصداغ شعر كالمحاريب

كأنني الشمع لما بات مشتعل الفؤاد قال لأحشائي ألا ذوبي

لا يقرب الصبر قلبي أو يفارقه ... كأنه المال في كف ابن أيوب

لولا ابن أيوب ماسرنا لمغترب ... في المكرمات ولا فزنا بمرغوب

دعا المؤيد بالترغيب قاصده ... فلو تأخر لاستدعي بترهيب

ملك إذا مر يوم لا عفاة بهِ ... فليس ذلك من عمر بمحسوب

للجود والعلم أقلام براحته ... تجري المقاصد منها تحت مكتوب

مجموعة فيه أوصاف الألى سلفوا ... كما تترجم أخبار بتبويب

إذا تسابق للعلياء ذو خطر ... سعى فأدرك تبعيداً بتقريب

وإن أمال إلى الهيجاء سمر قنا ... أجرى دماء الأعادي بالأنابيب

قد أقسم الجود لا ينفك عن يده ... إلا لعافيه أو للنسر والذيب

أما حماه فقد أضحى بدولته ... ملاذ كل قصي الدار محروب

غريبة الباب تقري من ألم بها ... فخل بغداد واترك بابها النوبي

وانعم بوعد الأماني عند رؤيته ... فإن ذلك وعد غير مكذوب

واعجب لأيدي جواد قط ما سئمت

إن البحار لآباءُ الأعاجيب

كل العفاة عبيد في صنائعه ... ودار كل عدو دار ملحوب

يامانحي منناً من بعدها منن ... كالماء يتبع مسكوباً بمسكوب

من كان يلزم ممدوحاً على غرر ... فما لزمتك إلا بعد تجريب
أنت الذي نبهت فكري مدائحه ... ودربتني والأشيا بتدريب
حتى أقمت قرير العين في دعة ... وذكر مدحك في الآفاق يسري بي
مدح يغار لمسود المداد به ... (حمر الحلى والمطايا والجلابيب)

وقال يمدحه :

عوض بكأسك ما أتلفت من نشب
فالكأس من فضة والراح من ذهب [(1)]
واخطب إلى الشرب أم الدهر إن نسبت
أخت المسرة واللهو ابنة العنب

غراء حالية الأعطاف تخطر في ... ثوب من النور أو عقد من الحبب
عذراء تنجز ميعاد السرور فما ... تومي اليك بكف غير مختضب
مصونة تجعل الأستار ظاهرة ... وجنة تتلقى العين باللهب
لو لم يكن من لقاها غير راحتنا ... من حرفة المتعبين العقل والادب
فهات واشرب إلى أن لا يبين لنا ... أنحن في صعد نستن أم صبب
خفت فلو لم تدرها كف حاملها ... دارت بلا حامل في مجلس الطرب
يا حبذا الراح للارواح سارية ... تقضي بسعد سراها أنجم الحبب
من كف أغيد تروي عن شمائله ... عن خده المشتهى عن ثغره الشنب
حمالة الحلي والديباج قامته ... تبت غصون الربى حمالة الحطب
يا تالي العذل كتباً في لواحظه ... (السيف أصدق انباء من الكتب)

---

(1) ديوانه : ٢١

كم رمت كتم الهوى فيه فنمّ به　　إلى الوشاة لسان المدمع السرب

جادت جفوني بمحمر الدموع له　　جود المؤيد للعافين بالذهب

شادت عزائم اسماعيل فاتصلت　　قواعد البيت ذي العلياء و الرتب

ملك تدلك في الجدوى شمائله　　على شمائل آباء له نجب

محجب العز عن خلق تحاوله　　وجود كفيه باد غير محتجب

قد أتعب السيف من طول القراع به
فالسيف في راحة منه وفي تعب

تلقاه للحلم معنى في خلائقه　　لا تستطيل إليه سورة الغضب

يغضي عن السبب المردي بصاحبه
عفواً ويعطي العطا جماً بلا سبب

ويحفظ الدين بالعلم الذي اتضحت
ألفاظه فيه حفظ الأفق بالشهب

يمم حماه تجد عفواً لمقترف　　مالا لمفتقر ، جاها لمقترب

ولا تطع في السرى والسير ذا عذل
واعكف بذاك الثرى الملثوم واقترب

وعذ من الخوف والبؤسى بذي همم
مدائح فيه عند الله كالقرب

نوع من الصدق مرفوع المنار غدا　　في الصالحات من الأعمال في الكتب

وواهب لو غفلنا عن تطلبه　　لجاءنا جوده الفياض في الطلب

أسدى الرغائب حتى ما يشاركه　　في لفظها غير هذا العشر من رجب

واعتاد أن يهب الآلاف عاجلة   وإن سرى لألوف الجيش لم يهب

كم غارة عن حمى الإسلام كفكفها   بالضرب والطعن أو بالرعب والرهب

وغاية جاز في آفاقها صعداً   كأنما هو والإصراع في صبب

ومرمل ينظر الدنيا على ظمأ   منها ويطوي الحشا ليلاً على سغب

نادته أوصافه اللاتي قد اشتهرت   لم القعود على غير الغنى فثب

فقام يعمل بين الكثب ناجية   كأنما احتملت شيئاً من الكتب

حتى أناخت بمغناه فقال لها   يا وصلة الرزق هذي فرقة التعب

لا عيب في ذلك المغنى سوى كرم   يسلو عن الأهل فيه كل مغترب

كم ليلة قال لي فيها ندى يده   يا أشعر العرب امدح أكرم العرب

فصحبته قوافي التي بهرت   بخرد مثل أسراب المها عرب

ألبسته وشيها الحالي وألبسني   نواله وشي أثواب الغنى القشب

فرحت أفخر في أهل القريض به   وراح يفخر في أهل السيادة بي

يا ابن الملوك الألى لولا مهابتهم   وجودهم لم يطع دهر ولم يطب

الجائدين بما نالت عزائمهم   والطاعنين الاعادي بالقنا السلب

والشائدين على كيوان بيت على   تغيب زهر الدراري وهو لم يغب

بيت من الفخر شادوه على عمد   وبالمجرة مدوه على طنب

لله أنت فما تصغي إلى عذل بها   يوم النوال ولا تلوي على نشب

انشأت للشعر أسباباً يقال   وهل تنظم أشعار بلا سبب

أنت الذي أنقذتني من يدي زمني   يداه من بعد إشرافي على العطب

أجابني قبل أن ناديت جودك إذ ناديت جود بني الدنيا فلم يجب
فإن يكن بعض أمداح الورى كذباً
فإن مدحك تكفير من الكذب

وقال يمدح العلاء بن الفضل :

عطفت كأمثال القسي حواجبا فرمت غداة البين قلبـاً واجبا[1]
بلواحظ يرفعن جفنـاً كاسراً فتثير في الأحشاء همـاً ناصبا
ومعاطف كالماء تحت ذوائب فاعجب لهن جوامداً وذوائبا
سود الغدائر قد تعقرب بعضهـا ومن الأقارب ما يكون عقاربا
من كل ماردة الهوى مصرية لم تخش من شهب الدموع ثواقبا
لم يكف أن شرعت رماح قدودها حتى عقدن على الرماح عصائبا
أفدي قضيب معاطف ميادة تجلو علي من اللواحظ قاضبا
كانت تساعدني عليه شبيبتي حتى نأت فنأى وأعرض جانبا
وإذا الفتى قطع السنين عديدة شاب الحياة فظل يدعى شائبا
يا أخت أقمار السماء محاسناً والشمس نوراً والنجوم مناسبا
إن كابدت كبدي عليك مهالكا فلقد فتحت من الدموع مطالبا
كالتبر سيـالا فلا أدري به جفني المسهد سابكاً أم ساكبا
كاتمت أشجاني وحسبي بالبكا في صفح خدي للعواذل كاتبا
دمعي مجيب حالتي مستخبراً لله دمعـاً سائلا ومجاوبا

---

(١) ديوانه : ٢٦

وعواذلي عابوا عليك صبابتي ... وكفاهم جهل الصبابة عائبا

ما حسن يوسف عنك بالنائي ولا ... دم مهجتي بقميص خدك كاذبا

بأبي الخدود العاريات من البكا ... اللابسات من الحرير جلاببا

النابتات بأرض مصر زواهراً ... والزاهرات بأرض مصر كواكبا

آها لمصر وأين مصر وكيف لي ... بديار مصر مراتعاً وملاعبا

حيث الشبيبة والحبيبة والوفا ... في الأعربين مشارباً وأصاحبا

والطرف يركع في مشاهد أوجه ... عقدت بها طرر الشعور محاربا

والدهر سلم كيف ما حاولته ... لا مثل دهري في دمشق محاربا

هيهات يقربني الزمان أذى وقد ... بلغت شكايتي العلاء الصاحبا

أعلى الورى همماً واعدل سيرة ... وأعز منتصراً وأمنع جانبا

مرآة فضل الله والقوم الألى ... ملؤوا الزمان محامداً ومناقبا

الحافظين ممالكاً وشرائعا ... والشارعين مهابة ومواهباً

لا يأتلي منهم إمام سيادة ... من أن يبذ النيرات مراتبا

إما بخطي اليراع إذ الفتى ... في السلم أو في الحرب يغدو كاتبا

فإذا سخا ملأ الديار عوارفاً ... وإذا غزا ملأ القفار كتائبا

فإذا استهل بنفسه وبقومه ... عد المفاخر وارثاً أو كاسبا

ابقوا علي وقوضوا فحسبتهم ... وحسبته سيلًا طما وسحائبا

ذو الفخر قد دعيت رواة فخاره ... في الخافقين دعاءها المتناسبا

والبيت يدعى عامراً والمجد يدعى ... ثابتاً والمال يدعى السائبا

ما رحبته القائلون مدائحاً ... إلا وقد شمل الأكف رغائبا

نعم المجدد في الهدى أقلامـه   أيام ذو الأقلام يدعى حاطبا

تخذ المكارم مذهباً لما رأى   للناس فيما يعشقون مذاهبا

وحياطة الملك العقيم وظيفة   ومطالع الشرف المؤيد راتبا

والعدل حكماً كاد أن لا يغتدي   زيد النحاة بـه لعمرو ضاربا

والفضل لو سكت الورى لاستنطقت

غرر الثنا حقباً بـه وحقائبا

واللفظ بين اناءة وإفادة   قسم الزمان فليس يعدم طالبا

وعرائس الأقلام واطربي بهـا   سود المحابر للقلوب سوالبا

(والمنهبات عيوننا وعقولنا   وجناتهن الناهبات الناهبا)

سحارة تحكي كعوب الرمح في

روع وتحكي في السرور كواعبا

لا تسألن عن طبها متأملا   وأسأل به دون الملوك تجاربا

يا حافظاً ملك الهدى كتابه   سرت صحائفها المليك الكاتبا

يا سابقاً لمدى العلى بعزائم   تسري الصبا من خلفهن جنائبا

يا فاتحاً لي في الورى من عطفه   باباً فما آسى على إغلاق با

يا من تملكني الخمول فرده   بسلاح أحرفهِ فولى هاربا

يامعتقا رقي وباعث كتبه   لله درك معتقاً ومكاتبا

يا غارساً مني نبات مدائح   من مثله يجني الثمار غرائبا

ان ناسبت مدحي معاليك التي   شرفت فإن لكل سوق جالبا

أهدي المديح على الحقيقة كاملاً ... لكم وأهدي للورى متقاربا

وله من صدر قصيدة :

أذكى سنا البرق في أحشائه لهبا ... وجاذبته يد الأشواق فانجذبا[1]

واستخرج الحب كنزاً من محاجره ... فقام يبكي على أحبابه ذهبا

صب يرى شرعة في الحب واضحة ... فما يبالي إذا قال الوشاة صبا

نحا الهوى فكره العالي فصيره ... بعامل القد لا ينفك منتصبا

مقسم الدمع والأهواء تحسبه ... بين الصدود وبين النأي منتهبا

ذو وجنة بمجاري الدمع قد قرحت ... وخاطر بجناح الشوق قد وجبا

كأن مهجته ملته فاتخذت ... سبيلها عنهُ في بحر البكا سربا

يا ساري البرق في آفاق مصر لقد ... أذكرتني من زمان النيل ما عذبا

حدث عن البحر أو دمعي ولا حرج ... وانقل عن النار أو قلبي ولا كذبا

واندب على الهرم الغربي لي عمراً ... فحبذا هرم فارقته وصبا

وقبل الأرض في باب العلاء فقد ... حكيت من أجل هذا الثغر والشنبا

واهتف بشكواي في ناديه إن به ... في المكرمات غريباً يرحم الغربا

---

(١) ديوانه : ٣١

إلى آخرها وله من أبيات :

سلام على عهد الصبابة والصبا   سلام بعيد الدار لا غرو أن صبا[١]

مفارق أوطان له وشبيبة   إذا شرقت أهل التواصل غربا

يعاود أحشاه من الشوق فاطر   ويتلو عليه آخر الآي من سبا

وما زال صبا بالأحبة والهاً   إلى أن حكاه دمعه متصببا

وقال يمدح المؤيد :

لولا معاني السحر في لحظاتها   ما طال ترداديى على أبياتها[٢]

ولما وقفت على الديار مناديا   قلبي المتيم من ورا حجراتها

دار عرفت الوجد منذ أتيتها   زمن الوصال فليتني لم آتها

حيث الظبا و كواعب وحدائق   أنى التفت رتعت في وجناتها

والراح هادية السرور إلى الحشا   مثل الكواكب في أكف سقاتها

لا أنظم الاحزان في أيامها   أو ما ترى كسرى على كاساتها

كم ليلة عاطيت صورته طلاً   كادت تحرك معطفيه بذاتها

فلئن بكيت فإن هذا الدمع من   ذاك الحباب يفيض من جنباتها

مالي وما للهو بعد مفارق   قد نفرت غربانها ببزاتها

والشيب في فودي يخط أهلة   معنى المنون يلوح من نوناتها

سقياً لروضات الشباب وإن جنت

هذي الشجون على قلوب جناتها

---

(١) ديوانه : ٤٩

(٢) ديوانه : ٦٦

ولدولة الملك المؤيد إنها جمعت فنون المدح بعد شتاتها

ملك لنعماه عوائد أنعم ألفت نحاة الجود فيض صلاتها

شدت لساحته الرحال فقعها يقضي بنصر الحرف نحو جهاتها

أكرم بساحته التي لا اصدح من ورق الثنا إلا على روضاتها

غذى الرجاء نباتها فانظر لما وشاه من مدح فم ابن نباتها

واهرع إلى الشخص الذي قد ألفت

كل القلوب له على رغباتها

وإذا الفتى اجتذب القلوب سعت إلى

دينار راحته خطا حبّاتها

وإذا حلى الملك المؤيد أشرقت فاخشع لما تمليه من آياتها

شرف مثال النجم دون مثاله ولهاً يضيع الغيث في قطراتها

لم يكف أن جلى الخطوب عن الورى

حتى جلا بعلومه ظلماتها

لله فيه سريرة مكنونة فصفاتها الإعياء دون صفاتها

لا تطلبن من القرائح حصرما أفضى إليه وعد عن أعناتها

ركعت لذكراه الحروف فلم تكد تتبين الألفات من دالاتها

وتقشعت أنواء كل غمامة وهباته تجري على عاداتها

يا ابن الملوك الناشرين لبيتهم سيراً تبيض من وجوه رواتها

متّ الفقير إلى يديك بمنة إذ كان صنع الجود من لذاتها

وصبت إلى لقياك غير ملولة نفس رأت جدواك أصل حياتها

لا نعتب الأيام كيف تقلبت بالقاطنين وأنت من حسناتها

وله في مدح كمال الدين الزملكاني :

وهي قصيدة طويلة أجاد فيها كل الإجادة فاختصرت منها أكثرها لشهرة ديوانه ، فمن أراد الوقوف عليها فليراجعها في الديوان وأولها قوله :

قضى وما قضيت منكم لبانات متيم عبثت فيه الصبابات[1]

مافاض من جفنه يوم الرحيل دم إلا وفي قلبه منكم جراحات

غبتم فغاضت مسرات القلوب فلا أنتم بزعمي ولا تلك المسرات

أحبابنا كل عضو في محبتكم كليم وجد فهل للوصل ميقات

ياحبذا في الصبا عن حيكم خبر وفي بروق الغضا منكم إشارات

وحبذا زمن اللهو الذي انقرضت أوقاته الغر والأعمال نيات

حيث المنازل روضات مدبجة وحيث جاراتها غيث سحابات

أيام ما شعر البين المشت بنا ولا خلت من مغاني الأنس أبيات

حيث الشباب قضاياه منفذة وحيث لي في الذي أهوى ولايات

وحيث أسعى لأوطان الصبا مرحاً ولي على حكم أيامي ولايات

إلى أن قال في مديحها :

حبر رأينا يقين الجود من يده وأكثر الجود في الدنيا حكايات

---

(١) ديوانه : ٦٧

محجب العز في أيام سؤدده   للعز محو وللأمداح اثبات

سما على الخلق فاستسقوا مواهبهُ

لا غرو أن تسقي الأرض السموات

واستشرف العلم مصقولا سوالفه   بدهره وزهت لليمن جنات

واستأنف الناس للأيام طيب ثنا   من بعد ما كثرت فيها الشكايات

لا يختشي موت نعمى كفه بشر   كأن أنعمه للخلق أقوات

ولا ترحزح عن فضل شمائله   كأنها لبدور الفضل هالات

يا شاكي الدهر يممه وقد غفرت   من حول أبوابه للدهر زلات

ويا أخا الذنب قابل عفوه أمماً   أيام لا ملجأ أو لا مغارات

ولا يغرنك غفران فتغمره   فللعقار على لين شرارات

ويا فتى العلم إن أعيتك مشكلة   هذا حماه المرجى والهدايات

ويا أخا السعي في علم وفي كرم

هذي الهدايا وهاتيك الهدايات

لا تطلبن من الأيام مشبهه   ففي طلابك للأيام إعنات

ولا تصخ لأحاديث الذين مضوا   ألوى العنان بما تملي الروايات

طالع فتاويه واستنزل فتوته   تلق الإفادات تتلوها الإفادات

وحبر الوصف في فضل بأيسره   تكاد تنطق بالوصف الجمادات

فتى تناول صحف المجد أجمعها   من قبل مارقت في الخد خطات

حامي الديار بأقلام مسددة   تأخر الشك عنها والغوايات

حامي الذمار بأقلام لها مدد   من الهدى واسمه في الطرس مدات

قويمة تمنع الإسلام من خطر　　فاعجب لها ألفات وهي لامات

تعلمت بأس آساد وصوب حياً　　منذ اغتدت وهي للآساد غابات

وعودت قتل ذي زيغ وذي خطل　　كأنها من كسير الخط فضلات

وجاورت يدذاك البحر فابتسمت　　هنالك الكلمات الجوهريات

لفظ تشف عن المعنى لطافته　　كما تشف عن الراح الزجاجات

عوذ بياسين أطراساً براحته　　فيها من الزخرف المشهود آيات

إلى آخرها ، وقال يمدح تاج الدين ابن الزين خضر :

نجوم تراعيها جفون سوافح　　ولا طيفكم دان ولا الليل نازح [1]

أباخلة عني بطيف خيالها　　عسى ولعل الدهر فيك يسامح

وتاركة قلبي كليماً وناظري　　ذبيحاً ولا في العيش بعدك صالح

لحتك للبين المصادف لمحة　　فطاحت بأحشائي إليك الطوائح

جوارح ينمو شجوها وسقامها　　(علي ودوني جندل وصفائح)

وقلب عصى نصحي عليك وسلوتي　　فأبعد شيء صبره والنصائح

وقلت جبين المالكية عذره　　فقال الورى عذر لعمرك واضح

ولم أنس يوم البين ايماء طرفها　　وعيس المطايا للفلاة جوانح

فليت الردى اجرى دم العيس ناحراً
(فسالت بأعناق المطي الأباطح)

ومما شجاني في الضحى صوت ساجع
كأني له بعد الحبيب أطارح

---

(١) ديوانه : ١١٠

يساعدني نوحاً يكاد يجيبنا ... بأمثاله بان الحمى المتناوح

فليت حمام الأيك يوماً أعارني ... جناحاً إلى الركب الذي هو نازح

وليت النجوم الزهر تدنو قوافيا ... لنا فتنتقى في ابن خضر المدائح

رئيس تجلى بشره ونواله ... فلا الأفق مغبر ولا العام كالح

على المزن من تلك البنان تشابه ... وفي البدر من ذاك الجبين ملامح

وفي الروض من أخلاقه وثنائه ... سمات فنعم المزهرات الفواتح

ولله أقلام الحماسة والندى ... على يده حيث السطا والمنائح

حمين الحمى لما فتحن بلاده ... وقد أقصرت عنها القنا والصفائح

فهن على اللائي فتحن مغالق ... وهن على اللائي غلقن مفاتح

وطوقنا أطواق جود فكلنا ... على شبه الأغصان بالحمد صادح

وروض أقطار الشآم بأحرف ... سقى أصلها طام من النيل طافح

وصدر لما يلقى من السر لائق ... وكوكب فضل في سما الملك لائح

علي المدى لا بالملمة جازع ... ولا بالتي يثني لها العطف فارح

وزاكي النهى إما لمعنى سيادة ... وإما لأكباد المعادين شارح

بليغ إذا نص المقال وبالغ ... مدى الرأي حيث النيرات الطوامح

وأبيض وجه العرض والوجه والتقى ... إذا لفحت سفع الوجوه اللوافح

على دولة الأملاك كل فصوله ... ربيع وفي الأعدا سعود ذوابح

وللطالبي النعمى غمام كأنه ... لماجد في جود وحاشاه مازح

إلى عدله يشكو الزمان وإنه ... لـيم يغادي أمره ويراوح

تعودت أن تسري إليه ركائبي فترجع وهي المثقلات الروازح
وآخذ من قبل المديح جوائزا تقصر عن أدنى مداها المدائح
فلا غرو أن آتي بهن مضيئة كأن المعاني في البيوت مصابح
أمولاي إن يسكت لساني صابراً فإن لسان الحال مني صادح

وقال يمدح الملك المنصور :

أهواه فتان اللواحظ أغيدا ترك الغزال من الحياء مشردا[1]
ولأجله الأغصان مالت من صبا والبدر طول الليل بات مسهدا
وأغن أقسم لاعصيت عصابة تدعو إليه ولا أطعت مفندا
نشوان من خمر الصبا ودلاله فإذا تثنى أو تجنى عربدا
أنا من رأى ناراً على وجناته تذكو فآنس من جوانبها هدى
أبداً أميل إلى لقاه وإن جفا وتحن أحشائي له وإن اعتدى
واطول أشجاني بطرف فاتر ترك الفؤاد بناره متوقدا
ومورد الوجنات لولا حسنه لم يجر دمعي في هواه موردا
وبليت منه بدور عشق دائم مثل الهلال إذا استسر تجددا
قد أقسمت أحشاي لا تدع الأسى كأنامل المنصور لاتدع الندى
أبهى الورى خلقاً وأبهر منظراً وأجل آلاء وأكرم مولدا
ملك يغار البدر لما يجتلى ويذوب قلب الغيث لما يجتدى
في وجهه للملك نور سعادة تعشو له الآمال واجدة هدى

---

(١) ديوانه : ١٣٤

قرع يخبر عن مبادي أصله   يا حبذا خبر لديه ومبتدا
طالت يداه إلى مآثر بيته   فحبت مكارمه بكل يد يدا
ذو همة في الفضل يحكم يومها   ويريك أحكم من فواضلها غدا
وشجاعة تنضي السيوف صقيلة   وإلى المعامع ربها يشكوا الصدا
يزداد معنى بيته حسناً به   فكأنه بيت القريض مولدا
ويشيم ما سن أبوه من العلى   لا قاصراً عنه ولا متبلدا
ما شاد اسماعيل بيت فخاره   إلا ليستدعي إليه محمدا
سار على منهاجه فإذا رأت   عيناك منصوراً رأيت مؤيدا
يا ابن الذي ملأ الوجود مواهبا
والأفق ذكراً والصحائف سؤددا
شرفت شعري ذا كراً وأنزته   حتى كأن بكل حرف فرقدا
فلأهدين فريدة لممدح   أضحى بنيل نداه شعري مفردا
حسب ابن شاد أن يراني للثنا   عبداً وحسبي أن أراه سيدا

وقال يمدح الافضل :

صدودك باللمياء عني ولا البعد   إذا لم يكن من واحد منها بد[1]
بروحي من لمياء عطف إذا زها   على الغصن قال الغصن ما أنا والقد
وعنق قد استحسنت دمعي لأجلها
وفي عنق الحسناء يستحسن العقد
من العرب إلا أن بين جفونها   أحد شباً مما يجرده الهند

---

(١) ديوانه : ١٣٥

على مثلها يعصى العذول وإنما ... يطاع على أمثالها الشوق والوجد

عزيز على العذال مني صرفها ... وللقلب في دينار وجنتها نقد

أعذالنا مهلاً فقد بان حمقكم ... وقد زاد حتى ما لحمقكم حد

وقلتم قبيح عندنا العشق بالفتى ... ومن أنتم حتى يكون لكم عند؟

سمحت بروحي للحسان فمالكم ... ومالي وما هذا التعسف والجهد

وثغر يتيم الدر سلم مهجتي ... فأتلفها من قبل ماثبت الرشد

هو البرد الأشهى لغلة هائم ... أو الطلع أو نور الاقاحي أو الشهد

ومرشفه المن الذي لايشوبه ... سلوي أو الراح الشمول أو النهد

عهدت الليالي حلوة بارتشافه ... وهن الليالي لا يدوم لها عهد

فلا ابتسم البرق الذي كان بالحمى ... غداة تفرقنا ولا قهقه الرعد

تولت شموس الحي عنه ففي العلى ... سناها وفي أكباد عشاقها الوقد

وكم ذابح للصب يوم تحملوا ... بأخبية غنى بها للسرى سعد

فيا قلب جهداً في التحرق بعدهم ... وهذا لعمري جهد من لاله جهد

ويا دمع فض وجداً بذكر خدودهم ... فإنك ماء الورد إن ذهب الورد

رعى الله دهراً كنت فارس لهوه ... أروح إلى وصل الأحبة أو أغدو

جوادي من الكاسات في حلبة الهنا ... كميت وإلا من صدور المها نهد

وفي عضدي بدر الجمال موسد ... وقد قدحت للراح في خده زند

وعيشي مأمون الطباق الذي أرى ... فلا الشعر مبيض ولا الحال مسود

زمان تولى بالشبيبة وانقضى — وفي فيَّ طعم من مجاجته بعد

يزول وما زالت مذاقته الصبا — ويبلى وما تبلى روائحه البرد

له أبداً مني التذكر والأسى — وللأفضل الملك القصائد والقصد

بكم آل ايوب غنينا عن الورى — فلم نجد الأمداح فيهم ولم يجدوا

أتينا لمغناكم تجاراً وإنما — بضائعنا الآمال تعرض والحمد

فنفقتم سوق الثنا بصنائع — معجلة للوفد من سبقها وفد

ورشتم جناح الآملين وطوقت — رقاب بنعماكم فلاغرو أن تشدو

سقى تربة الملك المؤيد وابل — وفي على عهد المعالي له عهد

لقد صدقتنا في الزمان وعوده — وشيمة اسماعيل أن يصدق الوعد

وولى وقد أوصى بنا الملك الذي — أبر على جمع العلى شخصه الفرد

فما لبني أيوب ند من الورى — وما في بني أيوب عندي له ند

مليك له في الملك أصل ومكسب — وحظ فنعم الجد والجد والجد

حوته العلى قبل الحجور وهزه — حديث الثنا من قبل ما هزه المهد

وغذته للعلياء قبل لبانه — لباناً لها من مثله مخض الزبد

فجاء كما ترضى السيادة والعلى — وحيداً على أبوابه للورى حشد

رعى خلقه رب العباد وخلقه — فحسن ما يخفى لديه وما يبدو

ألم ترني يممت كعبة بيته — لحج ولائي لاسواع ولاود

علقت بحبل من حبال محمد — أمنت به من طارق الدهر أن يعدو

ويممت مغناه بركب مدائح — يسيل بها غور ويطفو بها نجد

من اللاء أجدى كثرها فتكاثرت — لدي بها الأتباع والأصل والولد

وأعجبني المرعى الخصيب ببابه فحالي به الأهنى وعيشي به الرغد
أيا ملكا لولا حماه وجوده لما ملح المرعى ولا عذب الورد
تجمع في علياك كل مفرق من الوصف حتى الضد يظهره الضد
فقربك والعليا وحلمك والسطا
وحزمك والجدوى وملكك والزهد
وعنك استفاد الناس مدحاً بمثله
على الشب يشدو أو على الركب إذ يحدو
فدونكها مني على البعد غادة يظل عبيداً وهو من خلفها عبد
على أيها تحتك منك بناقد يرجى له نقد ويخشى له نقد
عريق العلى ألفاظه كدروعه غدا والوغى والسلم يحكمه سرد
حمى الله من ريب الحوادث ملكه ولا زال للأقدار من حوله جند
هو الكافل الدنيا بأنعمه فما يحس لمفقود بأيامه فقد
وإني وإن أخرت سعياً لأرتجي عوائد من نعماه تسعى بها البرد
إذا المرء لم يشدد إلى الغيث رحله أتى نحو مغناه حيا الغيث يشتد
وما أنا إلا العبد ما في رجائه ولا ظنه عيب ولا يمكن الرد

وقال يرثي شهاب الدين محمود :

واوحشتي لمقام منك محمود واحسرتي لوداد فيك معهود[1]
لو شام طرفك ما ألقاه من حرب لم تدر من هو منا الهالك المودي
إنا إلى الله من رزء دنا فرمى دمعي وشجوي بإطلاق وتقييد

---

(١) ديوانه : ١٥٥

يا معرضاً عن لقاء الصحب منقطعاً
وكان أكرم مصحوب ومودود

بالرغم أن أنشد الألفاظ عاطلة   من حلي مدحك أثناء الاناشيد

أو أن أعوض منثور المدامع عن
سماع در من الأقوال منضود

لم يبق بعدك ذو سجع أعارضه   إلا الحمائم في نوح وتعديد

من للدواوين يقضي بالتأمل في   مخرج من معانيها ومردود ؟

كنا نعدك فرداً في موازنها   لقد رزئنا بموزون ومعدود

من للرسائل في لامات أحرفها   تغزو العداة بألفاظ صناديد ؟

سقياً لعهدك من سحّاب ذيل تقى   مضى وليس الأذى منه بمعهود

عضب إذا رمت زهداً أو حذرت وغى
أرضاك في ذا وفي هـذا بتجريد

هي المنية لا تنفك صائدة   نفوسنا بين مسموع ومشهود

أين الملوك الألى كانت منازلهم   تزاحم البحر في عز وتسييد

لم يحمهم سرد داود الذي ملكوا   من المنون ولا جند ابن داود

إيهاً سقاك شهاب الدين صوب حياً
يكاد يعشب أطراف الجلاميد

لو لم تكن بوفاء القصد تسعفنا   كانت بنوك وفاً عن كل مقصود

في كل معنى أرى حسناك واضحة   فحسرتي كل وقت ذات تجديد

وقال يمدح مؤيد الدين ويهنئه بعيد الفطر وقد أجاد في وصف الهلال :

يا شاهر الطرف حي فيك مشهور
وكاسر الطرف قلبي منك مكسور [1]

امرت لحظك ان يسطو على كبدي
يا صدق من قال إن السيف مأمور

وجاوب الدمع ثغراً منك متسقاً فبيننا الدر منظوم ومنثور

لا تجعل اسمي للعذال منتصباً فما لتعريف وجدي فيك تنكير

ولا توال أذى قلبي لتهدمهُ فإنه منزل بالود معمور

هل عندمنظرك الشفاف جوهره إني اليه فقير اللحظ مضرور

أو عند مبسمك الغرار بارقه اني بموعد صبري فيه مغرور

لقد ثنى من يدي صبري عزائمه قلب بطرفك أمسى وهو مسحور

وقد تغير عهد الحال من جسدي وما لحال عهودي فيك تغيير

حبي ومدح ابن شاه شاه من قدم كلاهما في حديث الدهر مأثور

أنشا المؤيد ألفاظي وأنشرها فحبذا منشأ منها ومنشور

ملك إذاشمت برقاً من أسرته علمت أن مراد القصد ممطور

مكمل الذات زاكي الأَصل طاهره
فعنده الفضل مسموع ومنظور

أقام للملك آراء معظمة لشهبها في بروج اليمن تسيير

وقام عنه لسان الجود ينشدنا زوروا فما الظن فيه كالورى زور

---

(١) ديوانه : ١٨٤

هذا الذي للثنا من نحو دولته وللجوائز مرفوع ومجرور
وللعلوم تصانيف بدت فغدت نعم السوار على الإسلام والسور
في كفه حمر أقلام وبيض ظبى كأنها لبرود المدح تشهير
قد أثرت ما يسر الدين أحرفها وللحروف كما قد قيل تأثير
لله من قلم صان الحمى وله مال على صفحات الحمد منثور
وصارم في ظلام النقع تحسبه برقاً يشق به في الأفق ديجور
تفدي البرية إن قلوا وإن كثروا أبا الوفاء فثم الفضل والخير
مدت إلى مجده الامداح واقتصرت
فاعجب لممدود شيء وهو مقصور
وسرها من أب وابن قد اجتمعا مؤيد يتلقاها ومنصور
يا مالكاً أشرقت أيامهُ وزهت رياضها فتجلى النور والنور
هنئت عيداً له منك اعتياد هنا فالصبح مبتهج والليل مسرور
فطرت فيه الورى واللفظ متفق للوفد فطر وللحساد تفطير
كأن شكل هلال العيد في يده قوس على مهج الاضداد موتور
أو مخلب مده نسر السماء لهم فكل طائر قلب منه مذعور
أو منجل بحصاد القوم منعطف
أو خنجر مرهف النصلين مطرور
أو نعل تبر أجادت في هديته إلى جواد ابن أيوب المقادير
أو راكع الظهر شكراً في الظلام على
من فضله في السما والأرض مشكور

أو حاجب أشمط ينبي بأن له عمراً له في ظلال الملك تعمير

أو زورق جاء فيه العيد منحدراً

حيث الدجى كعباب البحر مسجور

أو لا فقل شفة للكأس مائلة تذكر العيش إن العيش مذكور

أولا فنصف سوار قام يطرحه كف الدجى حين عمته التباشير

أو لا فقطعة قيد فك عن بشر أخنى الصيام عليه وهو مأسور

أولا فمن رمضان النون قد سقطت

لما مضى وهو من شوال محصور

فانعم به وبامداح مشعشعة مديرها في صباح الفطر مبرور

نفاحة المسك من مسود أحرفها ما كان يبلغها في مصر كافور

قالت وما كذبت رؤيا محاسنها قبول غيري على الأملاك محظور

بعض الورى شاعر فاسمع مدائحه

وبعضهم مثل ما قد قيل شعرور

وقال يمدح الناصر بن محمد :

بدت في رداء الشعر باسمة الثغر فعوذتها بالشمس والليل والفجر

ولو شئت قاسمت الذوائب مقسماً

بطيب ليال من ذوائبها عشر

وقبلتها مصرية حلوة اللمى أكرر في تقبيلها السكر المصري

ويعذلني من ليس يدري صبابتي فأصرفه من حيث يدري ولا يدري

ومن أعجب الأشياء حلو ممنع أصبر عنه وهو حلو مع الصبر

وكم لائم في حب خنساء أعرضت
وعنف حتى جانس الهجر بالهجر

وشيب رأسي خدها ومعنفي — وهذا رماد الشيب من ذلك الجمر

فيا قلب خنساء القوي وأدمعي — على مثلك العينان تجري على صخر

ويا قلب صبراً في عطاها ومنعها — فلا بد من يسر ولا بد من عسر

أرى الشمس منها في العشاء منيرة — ومن صدها عني أرى النجم في الظهر

يذكرني عهد الهوى ما نسيته — ولكنه تجديد ذكر على ذكر

زمان الصبا والقرب لا نحذر النوى
ولكن نقضي الحال أحلى من التمر

وأما وقد ضاء المشيب بمفرقي — فبالشيب لا بالطوع صرنا إلى الهجر

وفارقت خد الغانيات وجفنها — فجرحاً على جرح وكسراً على كسر

وإني لمشتاق إلى ظل روضة
على النيل أروي العيش منها عن النضر

لئن حثني باب البريد إلى مصر — لقد حثني باب الزيادة في النزر

إلى مصر يحلو نيلها مخصب الثرى — فيغني الورى في الحالتين عن القطر

وتقبيل حلو الغزو للمحل قاتل — حلاوته سكب وجنديه يجري

ويجري بإسعاد العباد فحبذا — بسعدك يا سلطانها ساعياً يجري

لسلطان مصر الناصر بن محمد — على كل مصر طاعة البحر والبر

تجمعت الأمصار في مصر طاعة — وهل تجمع الأمصار إلا على مصر

---

(١) ديوانه : ٢٤٤

سلام على اسكندر الوقت إن يفح
شذى الذكر عنه فالسلام على الخضر

سلام ثغور الأرض تنقش في الثرى
بأفواهها حتماً على أنفس الذخر

على باب سلطان العباد كأنها
لنظم ثناياها عقود من الدر

مليك روت أعماله سير التقى
عن الملك المصري عن الحسن البصري

له منزلا جيش وتحت مقامه
بهذا وذا في القلب حب وفي الصدر

ايالة ملك لا فلان ولا فل
ونحو على لا نحو زيد ولا عمرو

فملك بلا جور وحكم بلا هوى
وأزر بلا وزر وعز بلا كبر

قضا عمر في حكم عثمان جامعاً
لبأس علي في سماح أبي بكر

مضى الشفع من مرأى أبيه وجده
وجاء فلا زالت له دولة الوتر

إلى ناصر من ناصر وكذا على
مدى جده المنصور مسترسل النصر

أجل بيوت الملك بيت قلاون
وأنت أجل البيت يا وارث الدهر

فملكك حق واضح الصبح أشرقت
سعادته كالظهر يا واحد العصر

بصوتك أركان الشريعة شيدت
وصينت ثغور كلها باسم الثغر

وخاض بها قوم تعدوا فقوبلوا
بما كل إنسان لديه من الخسر

وليس الذي خاض الشريعة سالماً
من الأسد الحامي حماها من الكر

لك الله إما كسب حظ من الثنا
يحوز وإما كسب حظ من الأجر

ليهنك ما تجنيه من جنة غداً
بإبطال ما تجني الجنايات من وزر

ليهنك ما عمرته من معالم　　سيثني على عمارهن أبو ذر

ويمدحكم حسانها اليوم أو غداً　　بدار البقا بعد الطويل من العمر

وأيامك الأعياد عائدة لمن　　رجاك ومن عاداك بالفطر والنحر

وكفاك للمداح أيام عشرها　　وليلة من تسعى لها ليلة القدر

ودولتك الزهراء للجود والسطا　　فبالفلك السعدي والفلك البشري

ونصر على الأعدا يبادر رعبهُ

فيسبق مجرى الخيل بالعسكر المجر

ويعرض عن كيد العدى لاحتقارهم　　بلا قاصد ماش ولا حائم صقر

فأعداك هذا مس في النوم رأسه　　وآخر قبل السيف مات من الذعر

وكم لك في داني الديار ونازح　　غيوث عطايا تخلط السهل بالوعر

يضن بأحمال من التبن معشر　　إذا اتصلت أحمال جودك من تبر

مليك التقى والبأس والعلم والندى

فمدح على مدح وشكر على شكر

تهن فكل الناس عافية روت　　حديث التهاني عن بشير وعن بشر

بها حملت عنك السقام بمصرها　　عيون المهابين الجزيرة والنصر

فأحسن بها للملك في كل حالة　　بشائر عند السيف والعز والجسر

وأحسن بها حيث الثناء مسطر　　صحائفها من كاتب السر والجهر

عوافي إلا أنها قاهرية　　حكت حالتاها في المسرة والقهر

فعافية الأجساد عند ذوي الهدى

وعافية الأطلال عند ذوي الكفر

هنيئاً لسلطان البرية سيرة مزهرة الأوراق بالأنجم الزهر
هنيئاً لجلاب المدائح والرجا لقد أصبحت تجري إلى ملك تجري
يبيع ولكن بالكلام نفائساً من المال تلقاها غداً جمة الوفر
ويبتاع لكن بالنفيس غوالياً من الحمد إلا أنه عاطر النشر
غنياً عن السبع التجار بأنمل
أفيضت كما يغني عن السبع بالعشر
فأحييت للآداب علماً ومعلماً بنعماء تقرى بالفوائد أو تقري
وجوه دنانير سبقن بمعجز ترينا وجوه التم في أول الشهر
سبقن إلى من يشتكي الفقر بالغنى
وقابلن من لم يشتك الكسر بالجبر
كذلك أذهان الملوك نقية ترى في مراة العقل أيان تستقري
تأملت ما تعطى الملوك من النهى فعوذت فرداً بالثلاث من الحجر
أحقا أراني في ثرى عتباته نباتاً يحيي واكف المزن بالزهر
وأنشدت أمداحاً تقول لمن أتت
مدحتك بالشعرى وغيرك بالشعر

وقال في قاضي القضاة جلال الدين :

سقى حماك من الوسمي باكره حتى تبسم من عجب أزاهره[1]
يا دار لهوي لا واش أكاتمه ولا رقيب بمغناه أحاذره
حيث الشبيبة تصبي كل ذي حور سيان أسود مرآها وناظره

---

(١) ديوانه : ١٩٨

من كل محتكم الأجفان يخرجنا
من أرض سلوتنا في الحب ساحره

ظبي إذا شمت خديه ومقلته أذاب لاهبه قلبي وفاتره

يأوي إلى بيت قلب فيه مختزب فاعجب لمخرب بيت وهو عامره

كأنه بيت شعر في عروض جوى دارت عليه بلا ذنب دوائره

ليهن من بات مسروراً بهجعته إني عليه قريح الطرف ساهره

مجري الدموع على طرف تألفها فاستسهلت لمجاريها محاجره

كم ليلة بت أشكو من تطاولها علي والافق داجي القلب كافره

وأرقب الشهب فيه وهي ثابتة كأنما سمرت منها مسامره

حتى بدا الصبح يحكي وجه سيدنا
قاضي القضاة إذا استجداه زائره

لله صبح تجلى للشريعة عن ذاك الجلال وقد جلت مآثره

أفدي البريد وللتقليد في يده (مخلق تملأ الدنيا بشائره)

يكاد يلمع مطوي السطور به حتى ينم على فحواي ظاهره

مسرة كان طرف الشرع يرقبها ومطلب كانت العليا تجاوره

قاضي القضاة جلال الدين قد وضحت
سبل القريض وصاغ القول ماهره

هذي كؤوس الثنا والحمد مترعة
(باكر صبوحك أهنى العيش باكره)

واسمع مدائح قد فاه الجماد بها (وقد ترنم فوق الأيك طائره)

ما أحسن الدين والدنيا يسوسها والطيلسان فلا تخفى مفاخره

كأن أبيض هذا تلو أسود ذا عين الزمان الذي ما زاغ باصره

حيث المقاصد في أبوابه زمراً فليس للدهر ذنب وهو غافره

فاستجل طلعة ذي بشر وذي كرم

كالغيث بارقهُ الساري وماطره

تصبو لحبر فتاويه لواحظنا فما عيون المها إلا محابره

وينفذ الأمر كالسهم القويم فما

تحيد عن غرض التقوى أوامره

لا شيء أحسن من مرآه مقتبلاً إلا محاسن ما ضمت سرائره

تجلو المهابة في ناديه رونقها فما نكاد بنجوانا نجاهره

ويفهم السر من حاجات أنفسنا فما نطيق على أمر نساتره

يا حاكماً صان سوح الدين عاضده

ففاز بالشرف المأثور ظافره

انظر لحال غريب الدار مفتقر طال الزمان وما سدت مفاقره

نعم الفتى أنت قد برت أوائله في المكرمات وقد أربت أواخره

يممته دلفي الأصل منتسباً تأبى معاليه أن تخفى عناصره

لا يستقر بكفيه الثراء فما تلك الخطوط بها إلا معابره

زكا وأمكنه فعل الجميل فما في الناس لو قصرت جدواه عاذره

ما بعد علياه ركن أستجير به من الخطوب ولا بحر أجاوره

لئن تفرد بالعلياء سؤدده لقد تفرد بالآداب شاعره

وقال يمدح المؤيد لدين الله بن أيوب :

أهلاً بطيف على الجرعاء مختلس   والفجر في سحر كالثغر في لعس [1]
والنجم في الأفق الغربي منحدر   كشعلة سقطت من كف مقتبس
ياحبذا زمن الجرعاء من زمن   كل الليالي فيه ليلة العرس
وحبذا العيش مع هيفاء لوبرزت   للبدر لم يزه أو للغصن لم يمس
خود لها مثل ما في الظبي من ملح   وليس للظبي ما فيها من الأنس
محروسة بشعاع البيض ملتمعاً   ونور ذاك المحيا آية الحرس
يسعى ورا لحظها قلبي ومن عجب   سعي الطريدة في آثار مفترس
ليت العذول على مرأى محاسنها   لو كان ثنى عمى عينيه بالخرس
إني وإن علقت بالقلب صبوتها   لمحوج العيس طي الضوء والغلس
سفينة ليس تجري بي لذي بخل   إن السفينة لا تجري على اليبس
تؤم باب ابن أيوب إذا اعتكرت   سود الخطوب كما يؤتم بالقبس
المانح الرفد أفنانا مهدلة   فما يرد جناها كف ملتمس
والرافع البخل في الدنيا وساكنها   بجود كفيه رفع الماء للنجس
محا المؤيد بأس المقترين فما   تكاد تظفر جدواه بمبتئس
واستأنس الناس جدوى كفه فرووا   عن مالك خبر العليا وعن أنس
ملك يقاس مجاريه بسؤدده   إذا تقايس عير الدار بالفرس

---

(١) ديوانه : ٢٦٢

وينتهي لضحى بشر مؤمله إذا انتهي من بني الدنيا إلى عبس

مظفر الجد مشاء على جدد من حامه اللدن أو من حربه الشرس

يخفى اللها ودنانير الصلات بها تكاد تطرب للأسماع بالجرس

وينشر العلم لا قول بمختلف إذا رواه ولا معنى بملتبس

ويشبع الأمر آراء مسددة

تمضي وتدفع صدر الحادث الشكس

تكون كالعضب أحياناً وآونة

تكون من وقعات العضب كالترس

لو باشر الأفق يوماً بين طلعته لما سمعت بنجم ثم منتجس

ولو تولت حزون الأرض راحته لم يبق في الأرض صلد غير منبجس

من مبلغ قومي الزاكي نجارهم أني اعتزيت إلى جم العلى ندس

مجدداً لي في امداحه نسباً أبر من نسب في الترب مندرس

مازلت أخبر ممدوحاً فأهجره حتى اعتلقت بحبل محصد المرس

وطاهر الخيم لا تثني خلائقه على الملال ولا تطوى على الدنس

ما شمت بارق جدواه فأخلفني ولا عهدت إلى معروفه فنسي

تلك العلى لابن حمدان على حلب

ولابن عمار شأو في طرابلس

يا ابن الملوك الألى خذها عروس ثناً

مصرية المنتمى عربية النفس

الله أكبر صاغ الحق مادحكم كأنه ناطق من حضرة القدس

وقال في جمال الدين بن حجلة عند قدومه من الحج :

تذكر جرعاء الحمى فتجرعا
كؤوس الأسى بالدمع راحاً مشعشعا[1]
وفارق جيران الغضا غير أنه به أودع القلب الشجي وودعا
يكرر لثم الترب حتى كأنه يحاول ختماً للذي فيه أودعا
فادمعه قد صرن ألفاظ شجوه وألفاظه من رقة صرن أدمعا
أقول وقد راجعت بالشام ذكرهم
ألا قاتل الله الحمام المرجعا
يذكرني عهد العقيق كأنه بلؤلؤ دمعي صار عقداً مرصعا
عسى كل عام زورة لمفارق فيا حبذا من أجل لمياء كل عا
إمام الهدى والعلم هنيت مقصداً سعيداً وعوداً بالقبول ومرجعا
يطوف ويسعى للامام الذي سعى وطاف بذياك الحمى وتمتعا
تكاد ستور البيت تجذب برده لعرفان محمود الشمائل أروعا
فإن ملأ الاحسان كم مجاور فقد ملأ الحجر المحامد والدعا
وهنئ أفق الشام رجعة نير مليء باسعاد الرعية والرعا
تحييه أغصان البلاد كأنما هوت سجداً نحو الإمام وركعا
وتلثم حتى مبسم الغيث في الثرى
بدور لآثار الركائب مطلعا
لك الله ما أتقى وأنقى سريرة وأرفع قدراً في الأنام وأنفعا

(١) ديوانه : ٣٠٤

وأكرم في الانساب والفضل جمة   وأشرف في الدنيا وفي الدين موضعا

وأندى يداً لو أورقت عود منبر   لما عجب الرائي وإن قيل أينعا

كرامات من مدت يداً دعواتهُ   ظلالاً إلى أن عمت الناس أجمعا

اليك خطيب الشام لابن خطيبها   براعة مدح كان برك أبرعا

مديحك فرض لازم لي فطالما   بدأت فاسديت الجميل تطوعا

ومن مقطعاته قوله :

حلفت لها بالعاديات دموعي   وبالموريات النار وهي ضلوعي[1]

لئن كان من قد لامني غير مبصر   محاسنها إني لغير سميع

محجبة تفتر عن مبسم كما   ينظم في أزكى الأنام بديعي

فريد العلى والعلم والحلم والتقى   فيا لفريد حائز لجميع

يضوع قريضي في الورى بامتداحه   وما جوده لي في الورى بمضيع

أصوغ بسيطاً في الثناء وكاملا   على وافر من جوده وسريع

ولا عيب في إحسانه غير أنني   شرهت فمالي اليوم وصف قنوع

بشهر ربيع قد أتيت مهنئاً   وكل زماني منه شهر ربيع

فلا زال من خدام مدحي لفضله   صوابي ونجحي مقبلا وشفيعي

ومنها قوله :

لله طرف غداة البين ما هجعا   وحملته الليالي فوق ما وسعا[2]

---

(١) ديوانه : ١١٣

(٢) ديوانه : ٣١٤

بين السهاد وبين الدمع مقتسم فيكم فما جف من شوق ولا هجعا
يخادع الشوق طرفي عن مدامعه إن الكريم إذا خادعته انخدعا
ويقتضي الهم تسهيدي فيا حرباً من قاتلين على إنساني اجتمعا
سحقاً ليوم النوى ماذا رمى بصري حتى استهل وماذا بالحشا صنعا؟
وقائل مالذي أبكاك قلت له شخص رمى بالنوى طرفي فقد دمعا

وقال يمدح المؤيد لدين الله :

سرى طيفها حيث العواذل هجع
فنم علينا نشره المتضوع[1]
وبات يعاطينا الأحاديث في دجى كأن الثريا فيه كأس مرصع
أجيراننا حيى الربيع دياركم وإن لم يكن فيها لطرفي مربع
شكوت إلى سفح النقا طول نأيكم
وسفح النقا بالنأي مثلي مروع
ولابد من شكوى إلى ذي مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع
فديت حبيباً قد خلى عنه ناظري ولم يخل منه في فؤادي موضع
مقيم بأكناف الغضا وهي مهجة وإلا بوادي المنحنى وهو أضلع
أطال حجاز الصد بيني وبينه فمقلته الحورا ودمعي ينبع
لئن عرضت من دون رؤيته الفلا
فيا رب روض ضمنا فيه مجمع
محلٌ يرى فيه جوامع لذة بها تخطب الأطيار والقضب تركع

---

(١) ديوانه : ٢٩٥

قرأنا بـه نحو الهنـا فملابس تجر وأيد بالمـدامة ترفع

وقد أمنتنـا دولة شادوية فمـا نختشي اللأوا ولا نتخشع

مدائحها تمحو الأثام ورفدها يعوض من وفر الغنى ما نضيع

رعى الله أيام المؤيـد إننـا وجدنا بها أهل المقاصد قد رعوا

مليك له في الجود صنع تأنقت معـانيه حتى خلته يتصنع

وعلياء لو انا وضعنـا حديثهـا وجدنا سناها فوق ما كان يوضع

مذال الغنى لو حاولت يد سارق خزائنه ما كان في الشرع يقطع

أرانا طباق المال والمجد في الورى فذلـك مبذول وهـذا ممنع

وجانس ما بين القراءة والقرى فللجود منه والاجادة موضع

توقد ذهناً واستفاض مكارمـاً فاعلم أن الشهب بالغيب تهمع

وصان فجاج الملك عدلا وهيبة فلا جانب إلا من الروض مرتع

عزائم وضـاح المحامد أروع إذا قيل وضاح المحامد أروع

تفرق أحمـال النضار يمينه لمـا راح بالسمر الطوال يجمع

ولا عيب في أخلاقه غير أنه إذا عذلوه في الندى ليس يسمع

له كل يوم في السيادة والعلى أحاديث تملي المادحين فتبدع

إذا دعت الحرب العوان حسـامهُ

جـلا أفقهـا والرمـح للسن يقرع

وإن مشت الآمال نحو جنابه رأت جود كفيه لها كيف يهرع

فلا تفتخر من نيل مصر أصابع فـا النيل إلا من يمينك إصبع

أيا ملكا لمـا دعته ضراعتي تيقنت أن الدهر لي سوف يضرع

قصدتك ظمآناً فجدت بزاخر   أشق كما قد قيل فيه وأذرع

وفي بعض ما أسديت قنع وإنما   فتى كنت مرمى ظنه ليس يقنع

لك الله ما أزكى وأشرف همة   وأحسن في العلياء ما تتنوع

مديحك فرض لازم لي دينه   ومدح بني العليا سواك تطوع

يقول جامع هذا المجموع : لقد خرجت عن الاختصار في شعر هذا الرجل ، لغرابة أسلوبه ورقة ألفاظه ، ولولا خوف الاطالة لأثبت له أكثر من ذلك . فلله دره! ما أرق معانيه . وأثبت مبانيه ، وأبين فصوله . هو والله السهل الممتنع ، والعذب الزلال والسحر الحلال.

شعر

السيد عبد الغفار الاخرس [1]

هو السيد عبد الغفار بن السيد عبد الواحد بن السيد وهب ولد بالموصل سنة ١٢٢٠ وتوفي سنة ١٢٩٠ ألف ومأتين وتسعين بالبصرة رحمه الله وشعره في غاية الرقة والانسجام ، حسن الديباجة بديع النظام ، ترتاح الأرواح لسماع رقائق شعره وتحسد اللالي جواهر نثره وكان حسن العقيدة سلفي الأثر علوي النسب المفتخر .

فمن قوله يمدح صاحب المجد الأثيل والجاه العريض الطويل عبد الغني أفندي جميل :

---

(١) صحح شعر الاخرس بالمقابلة على ديوانه المطبوع في استنبول والعراقيات المطبوع في صيدا .

ألا من لأجفان أرقن رواء   وحر قلوب يا هذيم ظماء [1]

صواد إلى برد الثغور التي بها   إذا كان دائي كان ثم دوائي

وصحب أحالوا الوصل هجراً وأعقبوا   تدانيهم في صدهم بجفاء

نأوا فحنيني لا يزال إليهم   ويا ويح دان لا يحن لناء

أجيراننا لما جفوتم وبنتم   ولم تمنحونا مرة بلقاء

عرفت بعهد الود في الحب غدركم   وأنتم عرفتم في الغرام وفائي

وجدت بروحي ذمة وبخلتم   كذلك إشفاقي وحسن بلائي

وفيكم ومنكم قبلها وعليكم   نبذت كلام العاذلين ورائي

حلال لكم دم مني طله الهوى   ولا صانه قومي إذاً بفداء

أعيدوا علينا ساعة الوصل إنّها   لأقصى مرامي منكم ومنائي

صدودكم أوهى قواي وهجركم   فجودوا على مضناكم بشفاء

فإن لم تعودوني ولو بخيالكم   فلا تطمعوا من بعدها ببقائي

أحبتنا لم تنصفونا بحبكم   وما هكذا لو تنصفون جزائي

ذكرناكم والدمع ماء نريقهُ   فشبناه في ذكراكم بدماء

فمن لوعة يصلى بنيرانها الحشا   ومهجة قلب آذنت بفناء

توالى عليها حرقة الوجد والاسى   فلم يبق منها الحب غير ذماء

ويا سعد لا تلحا أخاك وقد مضى   به سهم راميه اشد مضاء

---

(٢) ديوانه : ص ١٠

صريع العيون النجل ما إن رمينه　　صريع الهوى والوجد والبرحاء

قتيل الهوى العذري قد فتكت به　　قدود غصون أو لحاظ ظباء

كأني به يستيقظ الحتف راقداً　　إذا شام برقاً لاح بعد خفاء

ولم يتبسم ذلك البرق منهم　　لعمرك إلا جالباً لبكائي

فمالك تلحوني على ما أصابني　　من الداء جهلاً لا بليت بدائي

دعوتك تستمري الدموع لما أرى　　فلم تستجب يوم الغميم دعائي

وهـذا هذيم كلما كر طرفه　　إلى مربع بالرقتين خلاء

تذكر أياماً بهن قصيرة　　يطول عليها شقوتي وعنائي

فأرسلها مهراقة وهي عبرة　　ترقرق يرقيها بفضل رداء

خليلي إن لم تسعداني على الهوى　　فأين ودادي منكما واخائي؟

فيا سعد إني قد منيت وراعني　　نوى يوم جد البين من خلطائي

فما للمطايا بين وجد ولوعة　　وبين حنين مزعج ورغاء

بربك حثحثها وخذ بزمامها　　وسر سير لاوان ولا ببطاء

إلى منزل لا يعرف الضيم أهله　　ولا خاب من وافاهم برجائي

يحل به عبد الغني فلا الغنى　　إذا مادنا الاملاق منك بناء

ربيع الندى لا يبرح الفضل فضله　　يطيب مصيفي عنده وشتائي

ألا لا سقتني غير راحته الحيا　　فتورث صوب المزن فرط حياء

صفا العيش لي منها وطاب ولم يزل　　يروق ولم يكدر علي صفائي

ولم يرو إلا عنه دام علاؤه　　رواية مجد باذخ وعلاء

مناقب تزهو بالمكارم كلها　　وتشرق من أنواره بوضاء

ولا كرياض الحزن وهي أنيقة وتفضلها في بهجة وبهاء
تأرج أنفاس النسيم بطيبها كما نسمت ريح الصبا بكباء
أخو العزمات الماضيات فما دجا دجى الخطب إلا اجاء بابن ذكاء
طربنا وأطربنا الأنام بمدحه فهل ديرت الصهباء للندماء
ورحنا نجر الذيل بالفخر كلما ذكرناه في الأشرف والعلماء
غذاء لروحي مدحه وثناؤه وإن أحاديث الغرام غذائي
له الله موقى من يلوذ بعزه به من صروف النائبات وقائي
فمن شدة فيه ومن لين جانب ومن كرم في طبعه وسخاء
وما خفيت تلك المزايا وإنما تلوح كما لاح الصباح لراء
مواهب أعطى الله ذاتك ذاتها وحسبك من معط لها وعطاء
بها رحت أجني العز من ثمراته ويخفق بين الأنجبين لوائي
عليك إذا أثنيت بالخير كله تقبل أبا محمود حسن ثنائي
رأيت القوافي فيك تزداد رونقاً
ولو أنها كانت نجوم سماء
ولم أر مثل الشعر أصدق لهجة إذا قال فيك القول غير مراء
غني عن الدنيا جميعاً وأهلها سواك وفيه ثروتي وغنائي
فقير إلى جدواك في كل حالة وإنك تدري عفتي وإبائي

وقال يمدحه :

عاد المتيم في غرامك داؤه أهل السليم تعوده آناؤه؟[1]

---

(١) ديوانه : ١٢

فتأججت زفراته وتلهبت جمراته وتوقدت رمضاؤه

حسب المتيم وجده وغرامهُ وكفاه ما فعلت به برحاؤه

بالله أيتهـا الحمـائم غردي ولطالما أشجى المشوق غناؤه

نوحي تجاوبك الجوانح أنة وتظل تندب خاطري ورقاؤه

هيهـات مـا صدق الغرام على امرىء

حـتى تذوب من الجـوى أحشاؤه

إن كان يبكي الصب لا من لوعة أخذت بمهجتـه فمم بكاؤه ؟

بترقرق العبرات وهي مذالة سر يضر بحاله إفشاؤه

يا قلب كيف علقت في إشراكهم أو ما نهاك عن الهوى نصحاؤه

لا تذهبن بك المذاهب غرة آرام ذياك الحمى وظباؤه

وبمهجتي من لحظ أحور فاتن مرض يعز على الطبيب شفاؤه

هل يهتدي هذا الطبيب لعلتي إن الغرام كثيرة أدواؤه

والليل يعلم ما أجن ضمـيره من لوعتي وتضمنت أرجاؤه

ما زلت أكتحل السهـاد بهجركم

أرقـا ويطرف ناظـري اقـذاؤه

حتى يشق الصبح أردية الدجى وتحيل صبغة ليله ظلمـاؤه

زعم العذول بأن همي همه ومن البلية همه وعناؤه

يدعو الفؤاد إلى السلو ودونه الشوق داع لا يرد دعاؤه

لا يطمعن في العذول فما له مني سوى ما خاب فيه رجاؤه

حكم الغرام على ذويه بما قضى
ومضى عليهم حكمهُ وقضاؤه

يا رحمة للمغرمين وإن تكن قتلى هواك فإنهم شهداؤه

ما كان داء الحب إلا نظرة هي في الصبابة داؤه ودواؤه

في الحي بعد الظاعنين لما به ميت بكته لرحمة أحياؤه

احبابه الناؤون عنه أأنتم أحبابه الأدنون أم أعداؤه ؟

حفظ الوداد فما لكم ضيعتم ووفى بعهدكم فدام وفاؤه

وجزيتموه على الوصال قطيعة
أكذا من الإنصاف كان جزاؤه

ماشرع دين الحب شرعة هاجر صدق الخلوص لوده شحناؤه

خاصمت أيامي بكم فرغمتها والحر أوغاد الورى خصماؤه

سفهاً لرأي الدهر يحسب أنني ممن يراع إذا دهت دهياؤه

ألقى قطوب خطوبه متبسماً
وسواي يرهب في الخطوب لقاؤه

إني ليعجبني ترفع همتي ويروق وجهي صونه وحياؤه

لا تعجبن من الزمان وأهله هذا الزمان وهذه أبناؤه

ليس المهذب من تطيش بلبه نعماؤه يوماً ولا بأساؤه

تمضي حوادثه فلا ضراؤه تبقى على أحد ولا سراؤه

لابد من يوم يسر به الفتى وتزول عن ذي غمة غماؤه

ولربما صدىء الحسام وناله قين فعاد مضاؤه وجلاؤه

أو ما تراني كيف كنت وكان لي
من كان أفخر حليتي نعماؤه

عبد الغني أبو جميل وابنه
وكذا بنوه وهكذا آباؤه

نسب أضاء به الوجوه وأشرقت
في مشمخر علائه ضوضاؤه

جعل الإله لنا نصيباً وافراً
من إسمه فتقدست أسماؤه

هذا القريب من العفاة عطاؤه
هذا الرحيب بمن ألم فناؤه

ضربت على قلل الفخار قبابه
وبدا لمشتط الديار سناؤه

إن كان يعرف نائل فنواله
أو كان يعلم باذخ فعلاؤه

شيخ إذا الملهوف أم بحاجة
في بابه نشطت لها أعضاؤه

يفدي النزيل بماله وبنفسه
نفسي ونفس العالمين فداؤه

متنمر إن سيم ضيماً أدميت
منه البراثن واستشاط إباؤه

فيه من الضرغام شدة بطشه
ومن المهند بأسه ومضاؤه

رفعت له فوق الكواكب عمة
وأحاط بالبحر المحيط رداؤه

حدث ولا حرج ولست ببالغ
ما تستحق لهابه آلاؤه

بهر العقول جميله وجماله
وجلاله وكماله وبهاؤه

هذي معاليه فما نظراؤه
غير النجوم علىً ولا أكفاؤه

تالله لم تظفر يداه بثروة
إلا ليفتك جوده وسخاؤه

راحت ذوو الحاجات يقتسمونها
فكأنهم في ماله شركاؤه

وجدانه فقد الثراء لنفسه ولغيره أبداً يكون ثراؤه

يمسي ويصبح بالجميل ولم يزل يثني عليه صبحه ومساؤه

لله منبلج السنا عن غرة لا الصبح منبلجاً ولا أضواؤه

لو تنزل الآيات في أيامه أثنى عليه الله جل ثناؤه

لا بدل الله الزمان بغيره حتى تبدل أرضه وسماؤه

مافي الزمان وأهله مثلاً له إذ لم تكن كرماءه لؤماؤه

وقف على الصنع الجميل جنابه

فكأنما هو لو نظرت غذاؤه

وطعامه وشرابه وسماعهُ ومرامه ورجاؤه وصفاؤه

ولربما لمعت بوارق غيثه فانهل عارضه وأهرق ماؤه

ولقد تجود بكل نوءٍ مزنة جود السحاب تتابعت أنواؤه

إني أؤمل أن أكون بفضله ممن يؤمل فضله وعطاؤه

بيت المروءة والأبوة والندى ومحله ومكانه ووعاؤه

سبحان من خلق المكارم كلها في ذلك البيت الرفيع بناؤه

أصبحت روض الحزن من سقيا الحيا

راقت محاسنه ورق هواؤه

يسري إليه نسيم أرواح الصبا فتضوع في نفحاتها أرجاؤه

يمري عليها الري كل عشية وتجودها من صيب أنداؤه

عهد الربيع بفصله وبفضله أبداً يمر خريفه وشتاؤه

ما زال يوليني الجميل تكرماً مولى على من الفروض ولاؤه

وكأنما اصطبح المدامة شاعر ... بمديحه فقريضه صهباؤه

فالله يبقي المكرمات وهاهما ... متلازمان بقاؤها وبقاؤه

ولـــه :

أرى هذي النياق لها حنين ... إلى إلف لهـا ولهـا رغـاء[1]

وأجفان بعبرتهـا رواءٌ ... وأحشاء بزفرتهـا ظمـآء

وإن بها من الأشجان داء ... وعندك يا هذيم لهـا دواء

حدا منها بها للشوق حـاد ... وفاز بهـا التوقص والنجاء

أراها والغرام قد ابتلاهـا ... بـلى إن الغرام هو البلاء

أراع فؤادهـا بـينٌ وإلا ... فـما هـذا التلهف والبكاء

وهل أودى بها يوماً وقوف ... عـلى رسم ومرتبع خـلاء

فذرها والصبابة حيث شاءت ... أليس الوجد يفعل ما يشاء

تحن إلى منازلهـا بسلـع ... عفتها الهوج والريح الرخاء

وقوم أحسنوا الحسنى إليها ... ولكن بعد ذلك قد أساؤا

نأوا عنها فكان لها التفات ... إليهـم تارة ولهـا انثنـاء

وظنت أنهم يدنون منهـا ... فخاب الظن وانقطع الرجاء

وقال يمدح السيد النقيب علي القادري :

أعادك يا سعد عيـد الهوى ... وأنت ملم بـدار اللوى[1]

فأصبحت تنحر فيها الجفون ... كما تنحر البدن يوم القرى

---

(١) ديوانه : ٢٠

(٢) ديوانه : ٢١

فمن حق طرفي هذي الدموع ... ومن شأن قلبي هذا الجوى
فـما غـير قلبي يصلى الغضا ... ولا غير طرفي يفيض الدما
وكيف وقفت على أربـع ... عفت قبل هذا بأيدي البلى
أتدفـع فيهـا بهـا ما ترى ... فكيف تداوي الأسى بالأسى
ولمْ لا اتبعت كلام النصوح ... وكفكفت دمعك لما جرى
إلى أن تحققت أن الغرام ... يعيد القوي ضعيف القوى
وحتى أطعت الهوى والشجي ... يعاصي الملام لطوع الهوى
فإن تلحني بعدهـا مرة ... جزيتك يا سعد بئس الجزا
ولمتك في عـبرات تفيض ... ووجـد يقطـع منك الحشا
وقلت تسل عن الظاعنـين ... فـإن السلو بأمر الفتى
ألم تك من قبلها لمتـني ... فماذا الوقوف وماذا البكا
وقد كنت مثلك بين الطلول ... أساجل بالدمـع وبل الحيـا
أروي الديار بمـاء الجفون ... فلم يرق دمعي وفيها ظما
وما برحت عـبراتي بهـا ... تبل الغليل وتروي الصـدا
وأذكر فيها على صبوتي ... زمان التصابي وعهد الصبا
قضيت لديـه بمـا أشتهي ... ولكنه قـد مضى وانقضى
أغازل غزلانه للوصـال ... وأشرب للهو كـأس الطلا
وأسمع من نغمات القيان ... كلامـاً يعشقني بالدمى
يحض على ما يسر النفوس ... ويدعو إلى ما هو المشتهى
ينادمني كل عذب الكلام ... يشابـه بالحسن بدر الدجى

وألقى الزمان بهم باسماً كوجه الكريم وزهو الربى

فإن ترني بعدهم راضياً ولو بالخيال فما عن رضى

ولكنها زفرات تهيج فأذكر يا سعد ما قد مضى

وإن جاشت النفس من وجدها

فتعليلها بحديث المنى

ففي مدحه ما يزيل الهموم وفي شكره يستفاض الندى

فلا بعده للعلى منتهى ولا غيره للعلى مرتقى

تواضع وهو علي الجناب رفيع المحل وسامي الذرى

بآثاره أبداً يقتفى وأقواله أبداً يقتدى

ملاذ [1] الجميع لمن قد دنا من العالمين ومن قد نأى

أعاد مناقب آبائه حياة العفاة وحتف العدى

ويرتاح للبذل يوم العطا فينفق أنفس ما قد غلا

فإما سألت ندى كفه فسل ما تشاء وثق بالغنى

وأعجب ما فيه يعطي الجزيل ويلحق ذاك الجدا بالجدا

ففيه مع الجود هذا الحياءُ وفيه مع البأس هذا التقى

أليس من القوم سادوا الأنام فهم سادة لجميع الورى

عليهم تنزل وحي الإله ومنهم تبلج صبح الهدى

وكيف يفاخرهم غيرهم إذا كان جدهم المصطفى

يلوذ بحضرتهم من يخاف خطوب الليالي ويخشى الأذى

---

(١) ذلك هو الله تعالى (جامع الكتاب)

حماة بهم يأمن الخـائفون نوائب من شـدة تتقى

لهم عند ضيق مجال الرجال عزائم ليست لبعض الظبى

أكارم لا نارهم في الظلام توارى ولا جارهم في عنا

مضوا وأتى بعدهم فرعهم ومن قد مضى مثل من قد أتى

مهاب إذا أنت أبصرته فتحسبه من أسود الشرى

يجيب إذا ما دعاه الصريخ همـام يلبي إذا مـا دعـا

صفـا من يديه نمير النوال لمن يجتديه فخذ مـا صفـا

أؤمل منه بعيد المرام وأرجو به فوق مـا يرتجى

وإني بنظم مديحي له كمن شرب الراح حتى انتشى

ولا زال في كل عيد يعود بـأرفع مجـد وأعلى بنـا

ومن قوله مادحاً شهاب الدين السيد محمود الألوسي ويهنئه ببعض الأعياد :

سكب الدمع لها فانسكبا وقضى من حقها مـا وجبا[1]

أربع لولا تبـاريح الهوى مـا جرى دمعك فيها صببا

وجدت فيها السوافي ملعباً للنوى فاتخذتهـا ملعبـا

ما لقينا بوقوف الركب في ساحة النعمان إلا نصبـا

ذكر الصب وهل ينسى بهـا زمن اللهو وأيام الصبـا

يا رعى الله بهـا لي قمراً مشرق الطلعة لكن غربا

أمنى للنفس في أهـل منى وقباب الحي في وادي قبـا

فلقد كنت وكانت فتية أنجم الأفق وأزهـار الربى

---

(١) ديوانه : رقم ٣٤ والعراقيات : رقم ٢٠٠

ذهب الدهر بهم فامتزجت ... فضة الأدمع فيهم ذهبا
يا خليلي وهلا شمتما ... بارقا لاح لعيني وخبا
فتورى كفؤادي لهباً ... ثم أورى زنده والتهبا
لعب الشوق بأحشائي وما ... جدَّ جد الوجد حتى لعبا
فانشدا لي في الحمى قلباً فقد ... ضاع مني في الحمى أو غصبا
نظرت عيني أسراب المها ... نظرة كانت لحيني سببا
يوم أصبتنا إلى دين الهوى ... فتعللنا بأرواح الصبا
وعدونا زورة الطيف أما ... آن ميعادهم واقتربا
أرب النفس وحاجات امرىء ... ما قضى منكم لعمري أربا
قضت الأيام فيما بيننا ... أننا لم نلق يوماً طربا
وهب الدهر لنا لذتهُ ... واسترد الدهر ما قد وهبا
ومنعنا من أفاويق الطلا ... منهلا كان لنا مستعذبا
فحدا الحادي لسقيا عهدكم ... عارضا إن ساقه البرق كبا
مقلة الوالع يذرى دمعها ... وبكى القطر لها وانتحبا
أمر القلب بصبر فعصى ... ودعى الصبر إليها فأبى
قلما يدعى فيقضي حاجة ... وإذا ما انتدبوه انتدبا
والليالي فلك يظهر في ... كل يوم عجباً مستغربا
وكآفاق العلى ما أطلعت ... كشهاب الدين فينا كوكبا
فتأمل في معاني ذاته ... وتفكر فتحدث عجبا
هيبة لله في مطلعه ... ملأت قلب الأعادي رعبا
يرتجي جوداً ويخشى سطوة ... رغباً يرجى ويخشى رهبا

عالم الدنيا وناهيك به | لا يشوب العلم إلا أدبا
معرب عن فكره الثاقب إن | زف أبكار المعاني عربا
كم تجلت فجلت أفكاره | من سنى كل عويص غيهبا
فأرتنا الحق يبدو واضحاً | بعد ما قارب أن يحتجبا
بلسان يفصل الأمر به | كشبا الصمصام أو أمضى شبا
فخذ اللؤلؤ من ألفاظه | واجتن إن شئت منها ضربا
وفكاهات إذا أوردتها | نظمت فوق المحيا حببا
وكمالات له معجزة | وأحاديثاً رواها نخبا
أين من أقلامه سمر القنا | أين من همته بيض الظبى
وكلام راق في السمع كما | قد يروق العين فيما كتبا
علوي من أعالي هاشم | هاشم الجود ويكفي نسبا
صاغه الله لقوم أدبا | ولقوم حسدوه عطبا
لا يزال الدهر يعلو جده | مرتقيها في المعالي رتبا
فإذا بوحث في الجد علا | وإذا غولب فيه غلبا
أبلج تحسبهُ بدر دجى | أو بأضواء الصباح انتقبا
ديمة منهلة ما شمت في | بارق الآمال منها خلبا
ولئن أصبح روضي ممحلاً | فكم اخضر به واعشوشبا
يهنك العيد فخذ من لائذ | بك ما كنت له مستوجبا
شاكراً منك على العيد يداً | لم أفاخر بسواها السحبا
فتفضل يا ابن بنت المصطفى | أشرف العالم أماً وأبا

وله فيه رحمه الله تعالى :

أبو الثناء شهاب الدين مابلغت عقائل المال إلا من مواهبه[1]

قضى على المال بالانفاق نائله فقلت يافوز راجيه وطالبه

وكلما رحت أستسقي سحائبه سقيت عذباً نميراً من سحائبه

مستعذب الجود يجني الشهد سائله

كما يسوغ ويستحلى لشاربه

سيف الشريعة ماضي الحد منصلت

فهل ظفرت بأمضى من مضاربه

وهل سمعت بفضل عدفي زمن ولم يكن آخذاً منه بغاربه

يا در در زمان من غرائبه إن كان أغرب شيء في غرائبه

قد عز جانبه العالي وبز على فالعز أجمع والعليا بجانبه

ولاح للفلك العالي مناقبه فعدها وهي أبهى من كواكبه

يا من يحدث عنه العلم يسنده حدث عن البحر وارو من عجائبه

وقال يمدح النقيب السيد علي أفندي القادري :

ما غاب بدر دجى منكم ولا غربا

إلا وأشرق بدر كان محتجبا[1]

لاينزع الله مجداً كان معطيه آل النبي ولا فضلا ولا أدبا

الكاشفين ظلام الخطب ما برحوا

بيض الوجوه فإن صالوا فبيض ظبى

---

(١) ديوانه : ٣٦

(٢) ديوانه : ٢٩

من كل أبلج يزهو بهجة وسنى   تخاله ببياض الصبح منتقبا

قد أنفقوا في سبيل الله ما ملكوا   واستسهلوا في طلاب العز ما صعبا

هم الجبال اشمخرت رتبة وعلا   هم الجبال وأما غيرهم فربى

أبناء جد فما تدنو نفوسهم   إلى الدنية لا جداً ولا لعبا

عارون من كل ما يزري ملابسه   يكسوهم المجد أبراداً لهم قشبا

ومنية قد بعثناها فتحسبها   نجائبا لا وجى فيها ولا لغبا

إلى علي علي القدر مرجعه   نقيب أشراف غر السادة النجبا

الواهب المال جماً غير مكترث   والمستقل مع الاكثار ما وهبا

يريك وفر العطايا من مكارمه   يوم النوال وإن عاديته العطبا

قد شرف الله فرعا للنبي سما   إلى السماء إلى ان طاول الشهبا

لِمَ لم يشرف على الدنيا باجمعها

من كان أشرف هذي الكائنات أبا

هذا هو المجد مجد غير مكتسب   وإنما هو ميراث أباً فأبا

من راح يحكيهم بين الورى نشباً   فليس يحكيهم بين الورى نسبا

أنتم رؤوس بني الدنيا وسادتها

إن عد رأس سواكم لاغتدى ذنبا

لكم خوارق عادات متى ظهرت   على العوالم كادت تخرق الحجبا

رقت شمائلك اللاتي ترق لنا   حتى كأنك مخلوق نسيم صبا

وفيك والدهر يخشى من حوادثه   ويرتجى رغباً إذ ذاك أو رهبا

صلابة قط ما لانت لحادثة

وقد تلين خطوب الدهر من صلبا

وعزمة مثل واري الزندلو لمست موجاً من اليم أضحى موجه لهبا

تجنب البخل بالطبع الكريم كما تجنب الهجر والفحشاء واجتنبا

فنال ما نال آباء له سلفت ندب إلى الشرف الاعلى قد انتدبا

إن كان آباؤه بالجود قد ذهبوا فقد أعاد بهذا العصر ما ذهبا

فانظر لأيديه إن جادت أنامله بالصيب الهامل الهامي تر العجبا

أين الكواكب من تلك المناقب إذ

تزهو كما قد زهت بالقطر زهر ربى

تلك المزايا كنظم العقد لو تليت على الرواسي لهزت عطفها طربا

يرضى العلاء متى يرضى على أحد ويغضب الدهر أحيانا إذا غضبا

قد بلغت نعم العافين أنعمه فلم تدع لهم في غيره أربا

يقول نائله الوافي لوافده قد فاز جالب آمالي بما جلبا

أكرم بسيد قوم لا يزال له مكارم تركت ما حاز منتهبا

الكاسب الحمد في جود وبذل ندى

يرى لكل امرىء في الدهر ما كسبا

نهز غصنا رطيبا كل آونة يساقط الذهب الإبريز لا الرطبا

فما وجدت إلى امداحه سبباً إلا وجدت إلى نيل الغنى سببا

وحبذا القرم في أيام دولته حلبت ضرع مرام قط ما حلبا

بمثله كانت الآمال توعدنا فحان ميعاد ذاك الوعد واقتربا

حتى أجابته إذ نادى مآربه بمنصب لو دعاه غيره لأبى

موفق للمعالي ما ابتغى طلباً إلا وأدرك بالتوفيق ما طلبا

سباق غايات قوم لا لحاق له   وكم جرى إثره من سابق فكبا

مذ كنت أنت نقيباً سيداً سنداً   أوضحت آثار تلك السادة النقبا

أضحكت بعد بكاء المجد طلعته

فقد تبسم مجد بعد ما انتحبا

أحييت ما فات من فضل ومن أدب

فلتفتخر في معاني مدحك الأدبا

يا آل بيت رسول الله إن لكم   علي فضلاً حباني الجاه والنشبا

وأيديا أوجبت شكري لأنعمها   واليوم أقضي لكم بالمدح ما وجبا

ومن قوله مادحاً عبد الغني أفندي جميل ، ومعرضاً بشكوى زمانه وتغير خلطائه وأخدانه :

سؤالك هذا الربع أين جوابهُ   ومن لا يعي للقول كيف خطابهُ

وقفت وما يغنيك في الدار وقفة   سقى الدار غيث مستهل سحابه

غناؤك في تلك المنازل ناظر   بدمع توالى غربه وانسكابه

إلى طلل أقوى فلم يك بعدها   بمغنيك شيئاً قربه واجتنابه

ذكرت كأيام الشبيبة عهده   وهل راجع بعد المشيب شبابه

وقد كان ذاك العيش والغصن ناعم

يروق ويصفو كالرحيق شرابه

وجدت لقلبي غير ما تجدينه   أسى في فؤادي قد أناخ ركابه

يفض ختام الدمع يامي حسرة   ذهاب شباب لا يرجى إيابه

ودهر أعاني كل يوم خطوبه   وذلك دأبي يا أميم ودأبه

مسوق إلى ذي اللب في الناس رزؤه
وقف على الحر الكريم مصابه

وحسبك مني صبر أروع ماجد | بمستوطن ضاقت عليه رحابه
يبيت نجي الهم في كل ليلة | يطول مع الأيام فيها عتابه
قضى عجباً منه الزمان تجلداً | وما ينقضي هذا الزمان عجابه
تذاد عن الماء النمير أسوده | وقد تلغ العذب الفرات كلابه
ألم يحزن الآبي رؤوس تطامنت | وفاخر رأس القوم فيها ذنابه
وأعظم بها دهياء وهي عظيمة | إذا اكتنف الضرغام بالذل غابه
متى ينجلي هذا الظلام الذي أرى | ويكشف عن وجه الصباح نقابه
وتلمع بعد اليأس بارقة المنى | ويصدق من وعد الرجاء كذابه
ومن لي بدهر لايزال محاربي | تفل مواضيه وينبو حرابه
عقور على شلوي يعض بنابه | وتعدو علينا بالعوادي ذئابه
رمته الروامي بالسباب مذمة | وما ضر في عرض اللئيم سبابه
تصفحت إخواني فلم أر فيهم | قويما على نهج الوفاء اصطحابه
أفي الناس لا والله من في إخائه | تشد علي العظم المهيض عصابه
يساورني كأس الهموم كأنما | يمج بها السم الذعاف لعابه
وأبعد ما حاولت حراً دنوه | دنوك مما يرتضي واقترابه
يصيبك منه شهده دون صابه | إذا كان ممزوجا مع الشهد صابه

يريك الرضى والدهر غضبان معرض
وترجوه للأمر الذي قد تهابه

لك الله ليست في المشارع شرعة ولا منهل عذب يسوغ شرابه

وما الناس إلا مثل ما أنت عارف

فلا تطلبن الشيء عز طلابه

بلوت بهم حلو الزمان ومره فسيان عندي عذبه وعذابه

كأني أرى (عبد الغني) بأهله غريباً من الاشراف طال اغترابه

يميزه عنهم سجايا منوطة بأروع من زهر النجوم سخابه

ثمين لآلي العقد حالية به من الفضل أعناق الحجى ورقابه

إذا ناب عن صوب الغمام فإنه إذا لم يصب صوب الغمام منابه

تألق فانهلت عزاليه وارتوى به ربع راجيه وسالت شعابه

أتعرف إلا ذلك القرم آبيا على الدهر يقسو أوتلين صلابه

تسربل فضفاض الأبوة كلها وزرت على الليث الهصور ثيابه

ولم ينزل الأرض التي قد تطامنت

ولو أن ذاك الربع مسكا ترابه

لقد ضربت فوق الرواسي وطنبت

على قلل المجد الاثيل قبابه

فاصبحت الشم العرانين دونه وحلق في جو الفخار قبابه

أبى الله والنفس الأبية أن يرى بغير المعالى همهُ واكتئابه

فدانت له الأخطار بعد عتوها وذلت له من كل خطب صعابه

ومجتهد في كل علم أبية فلا يتعداها لعمري صوابه

بفكر يرى مالا يرى فكر غيره

يشق جلابيب الظلام شهابه

مقيم على أن لا يزال قطاره يصوب وهذا صوبه وانصبابه

وناهيك بالندب الذي إن ندبته كفاك مهمات الأمور انتدابه

ذباب حسام البأس جوهر عضبه
وما الصارم الهندي لولا ذبابه

عليم بما يقني الثناء وعامل وداع إلى الخير العظيم مجابه

إذا انتسب الفعل الجميل فإنما يكون إلى رب الجميل انتسابه

وإني متى اخليت من ثروة الغنى وأغلق من دون المطامع بابه

بدا لي أن أعشو إلى ضوء ناره
وأصبو إلى ذاك المريع جنابه

فأصدرني عنه مصادر وارد من اليم زخار النوال عبابه

فاصبح مرموق السعادة بعدما خلت ثم لا زالت ملاءً وطابه

إذا ذهب المعروف في كل مذهب
إليك برغم الحادثات مآبه

فلست تراني ما حييت مؤملا سواك ولم يعلق بي النذل عابه

ولا مستثيباً من دني مثوبة حرام على الحر الأبي ثوابه

وغيرك لم أدفع إلى شيم برقه ولا غرني في الظامئين سرابه

وقال يمدح علامة العلماء مفتي الزوراء وقدوة الفضلاء ، صاحب تفسير روح المعاني ،ومن ليس له في فضله ثاني،السيد محمود أفندي الآلوسي رحمه الله تعالى :

سقاها الهوى من راحة الوجد صرخدا

وشوقها حادي الظعائن إذ حدا[(١)]

فظلت ترامي بين رامة والحمى وتطوي فيافيها حزوناً وفدفدا

ونشقها ريح الصبا رند حاجر فكادت لفرط الوجد أن تتوقدا

ولما بدت أعلام دار بذي الغضا أعاد لها الشوق القديم كما بدا

فلا تأمن الأشجان يجذبن قلبها

متى أتهم البرق اليماني وأنجدا

ويا سعد خذ بالجزع من أيمن الحمى

لعلي أرى فيها على الحب مسعدا

وذرها تروي بالدموع غليلها وأنى يبل الدمع من مغرم صدى

تعالج بالتعذيب قلباً معذباً وتدمي بوبل الدمع طرفاً مسهداً

وتنصب مثل السيل في كل مهمه فتحسبها من شدة العزم جلمدا

وبي من هوى مي وإن شط دارها

هوى يمنع المشتاق أن يتجلدا

ولمياء لم تنجز بوعد لمغرم وهل أنجزت ذات الوشاحين موعدا

إذا مارنت ظمياء من سرب لعلع أرتنا الردى من مقلة الريم أسودا

ألذ بها وصلاً وأشقى بهجرها ومن عاش بالهجران عاش منكدا

فيا عصر ذاك اللهو هل أنت عائد

ويا ريم ذاك الربع روحي لك الفدا

---

(١) ديوانه : ٨١

تركت بقلبي من هواك لواعجاً   عصيت بها ذاك العزول المفندا

لحى الله من يلحى محباً على الهوى

ولا راح إلا بالملام ولا اغتدى

يلوم ويغري بالهوى من يلومه   وكم جاهل رام الصلاح فأفسدا

أخذت نصيبي من نعيم ولذة   وصادمت آساداً ولاعبت خردا

فطوراً أراني في المشارق متهماً   وطوراً أراني في المغارب منجدا

ولا بت أشكو والخطوب تنوشني

زماناً لأهل الفضل من جملة العدى

ولولا شهاب الدين ما اعتز فاضل   ولا نال إلا فيه عزاً وسؤددا

فتى المجد يفني بالمكارم ماله   ويبقى له الذكر الجميل مخلدا

إذا فاض منه صدره ويمينهُ   فخذ من كلا البحرين دراً منضدا

وما زال يسمو رفعة وتفضلا   ويجمع شمل الفضل حتى تفردا

رأيت محياه البهي ومجده   فشاهدت أبهى ما رأيت وأمجدا

فمن ذا يهني الوافدين لبابه   بأكرم من أعطى وأرشد من هدى

وما افتر عن در الثنايا تبسماً   من البشر حتى أمطر الكف عسجدا

ومن يك أزكى صفوة الله جده

فلا غرو أن يزكو نجاراً ومحتدا

فيا بحر فضل ما رأيناك مزبداً   ويا مزن جود ما رأيناك مرعدا

أيطلب إلا من مفاخرك العلى   ويسأل ألا من أناملك الندى

لقد جئت هذا العصر للناس رحمة

فأصبح ركن الدين فيك مشيدا

وأحييت من أرض العراق علومه ولولاك كان الأمر يا سيدي سدى
أرى كل من يروي ثناءً ومدحةً فعنك روى حسن السجايا وأسندا
لك العز حار الواصفون بوصفه وجلت معاني ذاتها أن تحددا
إذا ما تجلت منك أدنى بلاغة
تخر لك الأقلام في الطرس سجدا
وفيك الندى والفضل قرت عيونه ولم يكتحل إلا بخطك أثمدا
تفقدت أرباب الكمال جميعهم ومن عادة السادات أن تتفقدا
وكم نعمة أسديتها فبذلتها وصيرت أحرار البرية أعبدا
ولولاك لم أظفر بعز ولا منى ولا نلت إلا من معاليك مقصدا
أسود إذ ما كنت مولاي في الورى
ومن كنت مولاه فلا زال سيدا
وما زلت كهفاً يستظل بظله كما لم تزل أيديك للناس موردا
ولا زلت ما كر الجديدان سالماً بجدواك يستغنى وفتواك يقتدى

ومن غزلياته الفائقة قوله :

نسيم الصبا أهدى إلى القلب ما أهدى
وقد حملت أرواحها الشيح والرندا[1]
ولي كبد حرى لعلي أرى لها بريا نسيم مر بي سحراً بردا
فأصبحت أذري الدمع فذاً وتوأما
تخد على خدي حينئذ خدا

---

(١) ديوانه : ١٠٧

كأني اعتصرت المعصرات بأعين　　نثرن غداة البين من لؤلؤ عقدا

فما بل ذاك الدمع مني حشاشة　　أبى الله إلا أن تضرم بي وقدا

ولام أصيحابي فؤاداً متيماً　　فما نفع اللوم الفؤاد ولا أجدى

ذكرتكم والدمع يجري فلم أكن　　ملكت لذاك الدمع يوم جرى ردا

وبت أداري مهجة لم أجد لها　　خلاصاً من الأشجان يوماً ولا بدا

وقلت لسعد دع ملامك في الهوى　　فمن زادني لوماً فقد زادني وجدا

يهيج وجدي وهو غير مساعدي　　وما أنا لاق منه إن لامني سعدا

يقول اصطبر عمن تحب إونني　　يريني الهوى من دون ماقاله سدا

ولا تشم البرق اليماني فإنه　　متى لاح أورى في حشاشتك الزندا

وإياك إياك الصريم واهله　　فإن الظباء العفر تقتنص الأسدا

وهل نافع ما قال من بعد مارمى　　بعينيه ريم الجزع سهم الردى عمدا

بنفسي الغزال القانصي بلواحظ　　من السحر مرضى تمنع الأسد الوردا

إذا ما رمين القلب سهماً أصبنه　　كأن قصدت في قتل عاشقها قصدا

به أربي يا هل ترى هذه النوى　　تبدلنا بالقرب من بعدها بعدا

أرى النفس لا تهوى سوى من توده　　ولم تتكلف مهجة الوامق الودا

وقال من صدر قصيدة :

لمن أنيق يا سعد ترقل أو تخدي　　تغور في غور وتنجد في نجد[1]

---

(١) ديوانه : ١١٠

حوان كأمثال القسي سوامها أعاريب ترمي بالسرى غرض القصد

لهم فتكات البيض والبيض شرع بأغبر من وقع الحوادث مسود

صواد إلى ورد المنون ومالهم من العز إلا كل صافية الورد

جحاجحة شم العوانين هتف بكل بعيد الغور ملتهب الزند

على مثل معوج الحنايا ضوامر طوين الفيافي كيفما شئن بالأيدي

أقول لحاديها رويدك إنها بقايا عظام قد تعقفن بالجلد

زجرت المطايا غير وان فسر بها على ضعفها لا بالذميل ولا الوخد

ألست تراها في رسوم دوارس لها وقفة المأسور قيد في قيد

وما ذاك إلا من غرام تجنه وما كان أن يخفى عليك بما تبدي

وإلا فما بال المطي يروعها رسيس جوى يعدو وداء هوى يعدي

وشامت وميض البرق ليلا فراعها سنا البارق النجدي وقداً على وقد

وعاودها ذكر الغميم فاصبحت تلوذ بماء الدمع من حرقة الوجد

فسيق إليها الوجد من كل وجهة وليس لها في ذلك الشوق من بد

وقد فارقت من بعد لمياء أوجها يسيل لها دمع العيون على الخد

وساء زمان بعد أن سرها بهم فماذا يلاقي الحر في الزمن الوغد

ويوشك أن تقضي أسى وتلهفاً على فائت لا يستمال إلى الرد

سقى الله من عيني أكناف حاجر إذا هي تستجدي السحاب فما يجدي

ورعياً لأيام مضت في عراصها تؤلف بين الظبي والأسد الورد

قضينا بها اللذات حتى تصرمت وكنا ولا نظم الجمان من العقد

سلام على تلك الديار وإن عفت   منازل أحبابي وعهد بني ودي

فمن مبلغ عني الأحبة انني
حليف الهوى فيهم على القرب والبعد

ذكرتهم والوجد في القلب كامن   عليهم كمون النار في الحجر الصلد

فهل ذكروا عهد الهوى يوم قوضوا   وهل علموا أني مقيم على العهد

وما اكتحلت عيناي بالغمض بعدهم
كما اكتحلت بالغمض أعينهم بعدي

ومارحت أشكو لو حظيت بقربهم   زماناً رماني بالقطيعة والصد

تم الاختيار من شعر عبد الغفار الاخرس ، ويليه الاختيار من شعر السيد عبد الجليل .

شعر

عبد الجليل البصري [1]

هو السيد عبد الجليل بن السيد ياسين البصري ، بن السيد إبراهيم بن طه بن السيد خليل بن السيد محمد صفي الدين ، المتصل نسبه إلى السيد إبراهيم الملقب بطباطبا ، بن السيد إسماعيل الملقب بالديباج ، بن السيد إبراهيم القمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب رضوان الله عليهم أجمعين .

---

(١) صحح شعر عبد الجليل البصري الطباطبائي على ديوانه المطبوع في بمباي (الهند).

ولد بالبصرة سنة ١١٩٠ ثم ارتحل من البصرة إلى الزبارة ، البلد المعروف بساحل قطر الشمالي ، ثم ارتحل منها إلى بلد البحرين ، وسكن بها إلى سنة ١٢٥٩ . ثم ارتحل إلى الكويت وتوفي بها سنة ١٢٧٠ رحمه الله تعالى . وكان فريد عصره في الحلم والأدب والكرم والشعر ، وديوان شعره يشهد له بذلك وكفى به شاهدا .

قال رحمه الله مادحاً الإمام فيصل بن تركي آل سعود ، وذلك بعد رجوع الإمام فيصل من الاعتقال بمصر سنة ١٢٥٩ وقد وفد بها إليه :

لرب العلى أهل الثنا وافر الحمد ... على نعم جلت عن الحصر والعد [1]

أقامت بنا طيب البشارة بهجة ... وبشرى وأفراحاً تنيف على الحد

ونلنا المنى من بعد مشكلة العنا ... وأحلى وصال ما أتى عقب الصد

نهني بما أولى الإله نفوسنا ... فيا طالما باتت على الغبن والكد

فنشكر مولى أبدل الكد راحة ... وبالخوف أمناً شامل الربع والوهد

وحف الهنا بالملك من كل جانب ... وأشرق وجه الكون عن طالع السعد

بعزة من يشتاقه كل مؤمن ... كما اشتاق ظام في الهجير إلى الورد

إمام أتانا بالمسرة والهنا ... وبالعز والعدل العميم وبالرشد

به شد أزر الدين واستوثقت به ... عراه وقام الحق في شدة العضد

وعادت قضايا الشرع مخضرة الربى ... معاهدها مأهولة في حمى صهد

---

(١) ديوانه : ٢١٥

هو النور بين الرشد والغي فيصل
بهدي ابن تركي ذي الأعاريب تستهدي

به الجار من كل الحوادث آمن قرين سرور القلب والعيش في رغد
بآرائه سود الفوادح تنجلي وبالرأي إدراك الفتى قبل ذي الجد
أخو همة تدني له كل شاسع ويرتاض من أعمالها كل مشتد
يهاب ويرجى حارباً ومسالماً وفي الحرب يسطو سطوة الأسد الورد
وفي السلم بر أريحي مهذب وأخلاقه الأزهار مطلولة البرد
له راحة في الجود تغني عن الحيا إذا بخلت أيدي الكرام عن الرفد
نفى العدم عن سوح الموالين بذله فما حل في أرجائهم عارض الجهد
معودة بسطا سوى قبضها على أعنة قب الأعوجيات والجرد
كذا قبضها يوما بقائم عضبه إذا اسود ليل النقع وابيض ذو حد
يكر به يوم الوغى كر عاشق وقدبات من وصل الغواني على وعد
له حملات والظبى تقطر الدما فما رده دون الطلى قط في غمد
صبور على اللأواء غير مؤفف ولا جازع إن قيل يا أزمة اشتدي

يقارع خطب الدهر عن بأس ماجد
فيرخص غالي الروح في طلب الحمد

فسل مصر هل عنه أتت غير حازم
أبي على حمل العنا صابر جلد

اتاها وفي إتيانها غير راغب ولا متوق ناب مفترس الأسد
وأسلمه من عمهم بنواله وعاملهم بالرفق في كلما يبدي

ففوض لله المهيمن أمره وعاذ برب العرش من شر ذي حقد
فأغناه لطف الله عن حزبه الذي يواسيه من كل الأقارب والجند
أعد التقى حصناً فرد به العدى وحسن طويات الفتى خير معتد
وعاد بحمد الله غير مدافع عن الأمر ميمون النقيبة والقصد
ودان له من شط عنه ومن دنا على رغبة بالماجد الحازم الفرد
فعاملهم بالصفح عن كل مجرم وعاد إلى إحسانه الوافر المد
وأدى لشكر الله فيما أناله من العز والتمكين بالملك والضد
وبرهان عقل المرء إعلان شكره يصون به النعماء عن طارق يردي
فيا ملكا بالإرث ساد وبالتقى
وبالحكم بالشرع الشريف عن المهدي
وبالعدل والإحسان والفتك بالعدى وبالسمهري اللدن والصارم الهندي
وبالجود ما كعب بن مامة حازه وبالصدق في الأقوال والعهد والوعد
لقد طابت البشرى بمقدمك الذي به زانت الدنيا لكل أخي ود
وعمت به الأفراح من قد رعيته ومن لم يكن يدري بنائلك العد
وقام بنا داعي المسرة والهنا على كل ناد بالثنا الفائح الند
وخفت لدى نطق البشير مقالتي سلام على نجد ومن حل في نجد
ولذ لنا طي الدجنة بالسرى وقطع الفيافي بالرسيم وبالوخد
لأحظى بتبليغ السلام مشافهاً وأدفع ما بي من ولوع ومن وجد
فأعملت بزل اليعملات مهنئاً بما قد حباك الله من تالد المجد
وأنهي إليك الحال مذ غبت غالنا بغيبتك الدهر العبوس على عمد

حوادث جاءتنا بكل ملمة وأيسرها يلهي الولود عن الولد
جلاء وتنكيد وغرم وذلة ولا ناصر للحق ذو نجدة يجدي
وقد أوحشت منا الديار ونالنا من البؤس مالا يلتقي اللحم بالجلد
وحسبك ما نلقاه من ألم الأذى مفارقة الأوطان والأهل عن قصد
وأرجو بك الرحمن يبدل ما مضى بحال يريح القلب من وصمة الكد
فيعلن بالأفراح كل موحد وترهو بك الأيام يا خير مستهد
وهاك إمام العصر مني فريدة يفوح لها عطر الثناء بما تبدي
إلى مثلها يرتاح كل معظم ويصبو إلى إنشادها كل ذي مجد
دعاني إلى ما قلت صدق مودة فرحت أجيد المدح منتظم العقد
ولا زلت يا عين الزمان موفقاً لكل مساعي الخير مستوجب الحمد
تروق بك الدنيا وتشمو بالصفا
وتكبو بك الأعداء عن منهج الرشد
معانا مطاع الأمر مالاح بارق وما جلبب الوسمي ميادة الرند

وله رحمه الله كتاب كتبه سنة ١٢٤٨ للامام تركي بن عبد الله السعود رحمه الله تعالى وهو هذا :

بسم الله الرحمن الرحيم

« إن أطرب ما سفرت به وجوه الصحائف ، وأطيب ما شنفت به الاسماع من لطائف الطرائف ، بعد حمد الله الذي توالت آلاؤه وجل سلطانه و كبرياؤه ، والصلاة والسلام على أحسن العالمين خلقاً وخُلقاً ، وأفصحهم براعة ونطقا ، سيدنا محمد المبعوث رحمة لجميع الامم ، الماحي ظلال

الظلام بآيتي السيف والقلم سلام نظمت فرائد عقوده يد الاخلاص ، وأوثقت عرى عهوده ألسن الاختصاص ، وثناء يعطر أريج عبيره محافل الأمجاد ، وتتحلى بمفصلات فرائد يواقيته الأجياد من كل حاضر وباد إلى حضرة من بزغت شموس سعوده ، فأضاءت الآفـاق ، واستمرت نجوم حسوده ملازمة للمحاق ، الامام الذي جادت ليالي أياديه بوابل معروفه ، فأزهرت رياض محبيه بأنواع إحسانه وصنوفه ، وأرهفت شبا عزماته فانفصمت عرى مكائد عداته والهمام الذي أعد لكل أمر هو رائمه أناة ، فإن لم تغن عقبها بوعيداته ، فـإن لم تغن أغنت عزائمه الذي نشر جناح الرفق على أرجاء البسيطة ، فغدت مودته بدوائر القلوب محيطة ، وقبض جنـاح الاعتساف ببسطة العدل والمنن ، وطوى بنشر الصفح جرائر الإحن ذي الآراء التي تفتح مغلقات الأمور ، ويستضيء بهـا من فوادح الخطوب كل ديجور الإمام تركي بن عبد الله السعود أدام الله أيام سعوده ، وأعلى منار وليه وأخبى نجم حسوده آمين .

أحرزت بالهمة العلياء منفرداً ... ما يعجز الجحفل الجرار مجتمعا [1]

ونلت بالحزم ما لم يجر في خلد ... وان يمـد اليه طالب طمعـا

وأتعب الناس من جلت مطالبه ... وجهده قاصر عن درك ما اتبعا

صبرت محتسباً تحت المكاره لا ... من مسعد منجد إن تدعه سمعا

في قفرة ليس فيها للطريد حمى ... ولم تجد موئلاً مهما تكن فزعا

---

(١) ديوانه : ٩٧

ولست تصحب إلا صارماً ذكراً يجري الفرند به كالماء إذ نبعا

لم يثنك الهول عما رمت غايته ولم تكن في الذي كابدته جزعا

حتى امتطيت ذرى العلياء لا أشراً ولا فخوراً ولا مستكبراً قذعا

ومن أناط الرجا بالله عن ثقة وصدق عزم ينله ما إليه سعى

فأصبحت ولله الحمد، وأنت الذي أعاد به ما الله عفى من معالم الدين، ولم به شتات شعث المسلمين، وجبر به قلوباً أناخ عليها الانكسار، وأنست به ديار، بعد طول وحشة الانتقال من دار إلى دار، ثبت الله دعام الاسلام بنافع وجودك، وأشرق في الآفاق طوالع سعودك، وأنالك من الخير غاية سؤلك ومقصودك، ثم ذكر الكتاب بطوله، واثنى على الامام تركي رحمه الله بما يطيب نشره أضربت عن نقله، طلباً للاختصار، فمن أراد الوقوف عليه، فعليه بديوانه، وذكر جامع ديوانه أن أمير الأحساء أحمد بن محمد السديري كتب إلى السيد كتاباً وصدره بهذه الابيات :

سلام عليكم والديار بعيدة سلام محب أتعبته المفاوز (١)

عزمت على المسرى لنحو جنابكم وإني عن المسرى إليكم لعاجز

فهذا كتابي نائباً عن زيارتي فإن حل في ساحاتكم فهو فائز

فأرسلته لما عجزت مبلغاً وفي عدم الماء التيمم جائز

---

(١) ديوانه : ٢١٩

فأجابه السيد رحمه الله بقوله :

بحمد إله يجمع الشمل عطفه ... وأيدي النوى عما يرام تحاجز [١]

أتاني سلام ضـاع بالند نشره ... وفاحت به عطراً إلينا المفاوز

به رد لي عهد الشبيبة والهوى ... وما الشيب لي عن ذلك العهد حاجز

سلام كعقد الدر في جيد غادة ... بضمن كتاب أبدعته الغرائز

كتاب به سر البلاغة واضح ... وكل بليغ عن مجـاريه عاجز

غدت نبلاء العصر مذعنة له ... وما كل مقدام جريء يبارز

ولله طرس قد أعاد لي الهوى ... وأبدى من الأشواق ما أنا كانز

فشوقي حكى شوق المتيم خانه ... سلو وصبر والمحجب ناشز

كتاب حبيب حالف الجود كفه ... وها هو في نوع المروءة فائز

همـام كريم الذات والأصل ماجد ... له في أثيل المجد قدمـاً مراكز

فريد المزايا أحمد الذكر باسل ... نجيب لغايات الثنا متجـاوز

أبي يفي طبعـاً عهود إخائه ... ولكن به يشقي العدو المبارز

له خلق كالروض كللـه الندى ... سحيراً وغاداه النسيم المجاوز

بودي لكم أبدي القريض مهذباً ... وليس كمدح زخرفته الجوائز

يرى النزر من شعري كأنفس حلية ... وبالطـل عن وبـل تسد العوائز

---

(٢) ديوانه : ٢٢٠

فلمـــا وصلت الابيات الى الامير أحمد بن محمد السديري ، اقترح على الشيخ حمد بن علي آل مشرف ان ينظم جوابهـــا للسيد عبد الجليل ، فأجابه الى ذلك بقوله :

أنظم بديــع هذبتـه الغرائز ... أم الدر من أصداف بحرك بارز؟[1]

أم الروض حاكت أدمـع المزن وشيه ... فعطر من ذاك النسيم المجاوز

أم ابكار فكر قد نطن لآلئاً ... من القول لا ما نظمته العجائز

نعم در ألفاظ القريض أتى بها ... بليغ لأنواع الفصاحة حائز

إلى العلويين الكرام قد انتمى ... ففي هاشم أعراقه والمراكز

أجال بميدان البلاغة خيلهُ ... فصار بها يدعى الكمي المناجز

لقد أحجمت فرسانها عن لقائه ... فكل بليغ عن مراميه عاجز

وأصبح في علم البديع ابن حجة ... ومن ذاله في كل فن يبارز

تجاوز حد الشعر حتى كأنما ... قصائده للمنكرين معاجز

إذا قال قولا أنشد الناس شعره ... وغنى به حـاد وباد وراجز

وما انشدت يوماً عرائس شعره ... على مقعد الا مشى وهو ناشز

ودبت به روح الصبابة واستوى ... ولو كان محمولا حوته الجنائز

لئن بلغتنا عنك يا ابن طباطبا ... نسيم الصبا شوقاً لحد يجاوز

فإن بنا من لاعج الشوق فوق ما ... بثثت وأضعاف الذي أنت كانز

فإن حكمت أيدي النوى بافتراقنا ... وصار لنا من شقة البين حاجز

فـإن لأرواح المحبين مجمعاً ... وإن بعدت بين الجسوم المفاوز

---

(١) ديوانه : ٢٢٤

ودونك من جهد المقل خريدة　　من الشعر أهدتها اليك الغرائز
أتتك من الأحساء تطلب كفأها　　وما مهرها إلا الرضى والتجاوز
عليك بحسن المدح اثنت مودة　　وما قصد كل الوافدين الجوائز
وخير ختـام أن أصلي مسلماً　　على المصطفى من أيدته المعاجز
وأصحابه والآل ما هزت القنا　　وما حركت للدارعين الهزاهز

وله رحمه الله قصيـدة سماهـا هداية الأكارم إلى سبيل المكارم ينبغي لكل أديب أريب أن يعتني بحفظها ، وتأمل معانيهـا ، وحسن مبانيهـا ، لأنها مما يبعث على مكارم الأخلاق ، ومحـاسن الشيم ، لاشتمالهـا على نصائح وآداب وحكم وهذه هي :

أحسن جنى الحمد تغنم لذة العمر　　وذاك في باهر الأخلاق والسير[1]
هم الفـتى المـاجد الغطريف مكرمـة　　يضوع نادي المـلا من نشرهـا العطر
وحيلة المرء في كسب المحامد لا　　في نظم عقد من العقيان والدرر
تكسو المحامد وجـه المرء بهجتهـا　　كما اكتسى الزهر زهر الروض بالمطر
يخلد الذكر حمد طاب منشأه　　وليس يمحو المزايا سالف العصر
تميز الناس بالفضل المبين كما　　تميزوا بينهم في خلقه الصور
بقـدر معرفـة الانسان قيمته　　وبالفضائل كان الفرق في البشر
ما الفضل في بزة تزهو برونقهـا　　وأي فضل لإبريز على مدر ؟!

---

(١) ديوانه : ١٨٤

وإنما الفضل في علم وفي أدب　　وفي مكارم تجلو صدق مفتخر
فلا تساو بأخلاق مهذبة　　أخلاق سوء أتت من سارح البقر
وخذ بمنهج من يعصي هواه وقد　　أطاع أهل الحجا في كل مؤتمر
إن الهوى يفسد العقل السليم ومن　　يعص الهوى عاش في أمن من الضرر
وجاهد النفس في غي يلم بها　　كيلا تماثل نذلا غير معتبر
وفي معاشرة الأنذال منقصة　　بها يعم الصدا مرآة ذي فكر
وليس يبلغ كنه المجد غير فتى　　يرى اكتساب المعالي خير متجر
إن الكريم يرى حمل المشقة في　　نيل العلى من لذيذ العيش فاصطبر
فالصبر عون الفتى فيما تجشمه　　إن السيادة نهج واضح الوعر
وأفضل الصبر صبر عن مهيأة　　من المعاصي لخوف الله فازدجر
واصبر على نصب الطاعات تحظ بما
أملته من عظيم الصفح مغتفر
نيف وسبعون من آي الكتاب أتت
في الصبر فاعمل بها طوبى لمصطبر
وعش محلىً بأخلاق محاسنها　　تجلى على أوجه الأيام كالغرر
دين به عصمة من كل فاحشة　　وكلما اسطعت من بر فلا تذر
إن العفاف حمى للنسل صنهُ به　　إذا أضعت الحمى يرعاه كل جري
قد جاء عفوا تعفن النساء وفي　　مثقال خير فشر أوضح النذر
ومن جمال الفتى صدق العفاف فكن
به محلي خليقاً منتهى العمر

والزم فوائد تقوى الله تعل بها إني سأوردها عن محكم الزبر

فبالتقى مخرجٌ من كل حادثة والحفظ من صولة الأعدا مع الظفر

والرزق في دعة بالحل مقترن وحسن عاقبة في خير مدخر

وجاء نور به تمشي ومغفرة من الذنوب ومنجاة من الحذر

به البشارة في الدنيا وضرتها به النجاة من الأهوال والشرر

ورحمة الله تغشى المتقي ولهُ قبوله وله الإكرام فاعتبر

وبالتقى تغنم الإصلاح في عمل وتستفيد به علماً بلا سهر

ونفع ذلك لا يحصى له عدد ونص ذلك في أي الكتاب قري

وخير ما يقتني الإنسان إن كرمت

أخلاقه واستفادت رقة السحر

ومن مكارمها عشر عليك بها فإنها حكم تروى عن الأثر

صدق الحديث فلا تعدل به خلقاً تبلغ من المجد أبهى باذخ السرر

وكن خليقاً بصدق البأس يوم وغى فشر عيب الفتى بالجبن والخور

أجب منادي العلى في خوض غمرتها

فالعز تحت ظلال البيض والسمر

بالصبر يكتسب المقدام نصرته ويلبس الضد منه ثوب منذعر

ولا يدني لك الإقدام من أجل يكفي حراسته مستأخر القدر

واحرص على عمل المعروف مجتهداً فإن ذلك أرجى كل منتظر

وليس من حالة تبقى كهيئتها فاغنم زمان الصفا خوفاً من الكدر

ولا يضيع وإن طال الزمان به معروف مستبصر أنثى أو الذكر

إن لم تصادف له أهلاً فأنت إذاً　　كن أهله واصطنعه غير مقتصر

أغث بإمكانك الملهوف حيث أتى　　بالكسر فالله يرعى حال منكسر

وكافئن ذوي المعروف ماصنعوا　　إن الصنائع بالأحرار كالمطر

ولا تكن سبخاً لم يجد ماطره　　وكن كروض أتى بالزهر والثمر

واذكر صنيعة حر حازعنك غنى　　وقد تقاضيته في زي مفتقر

واحفظ ذمام صديق كنت تألفه　　وذمة الجار صنها عن يد الغير

وصل أخا رحم تكسب مودته　　وفي الخطوب تراه خير منتصر

ووصله قد يجر الوصل في عقب　　وقد يزاد به في مدة العمر

وجد على سائل وافى بذلته　　ولو بشيء قليل النفع محتقر

واحفظ أمانة من أبدى سريرته　　مالاً وحالاً لحسن الظن والنظر

واقر الضيوف وكن عبداً لخدمتهم　　وهش بش ولا تسأل عن السفر

وبادرن إليهم بالذي اقترحوا　　عن طيب نفس بلا من ولا كدر

وخض بهم في فنون يأنسون بها　　من كل ما طاب للأسماع في السمر

لكل قوم مقام في الخطاب فلا　　تجعل محادثة الأعراب كالحضر

واعرف حقوق ذوي الهيئات إذ وردوا　　وللصعاليك فاحذر حالة الضجر

والزم لدى الأكل آداباً سأوردها　　تعش حميد المساعي عند كل سري

كن أنت أول باد بامتداد يد　　إلى الطعام وسم الله وابتدر

واشرع بأصفى حديث ذي مناسبة　　بالزاد انساً وترغيباً بلا هذر

لا تؤثرن بشيء لذ مطعمه نفساً ولا ولداً فالضيف فيه حري
وكن إذا قام كل القوم آخرهم وغض عن مد أيدي القوم بالبصر
ومن أقامك أهلاً للضيافة قم بشكره واستزد انعام مقتدر
ورأس ما قد ذكرناه الحياء فكن من الحياء بأوفى باهر الحبر
لا دين إلا لمن كان الحياء له إلفاً قريناً فيسمو كل مستتر
فاستحي من خالق يرعاك في ملا وفي خلاءٍ وكن منه على حذر
والعاقل الشهم من يأبى الرذائل بل
يختار من كل شيء أطيب الخبر
بالعقل تدرك غايات الكمال كما به تميز بين النفع والضرر
لولاه لم نعرف الله الكريم ولا نمتاز يوماً عن الأنعام في الفطر
فاستعمل العقل في كل الأمور ولا تكن كحاطب ليل أعمش البصر
دليل عقل الفتى بادي مروءته فمن تجنبها فالعقل منه بري
عاري المروءة نكس لا خلاق له وذو المروءة محبوب لدى البشر
أخو المروءة يأبى أن يرد ذوي الآمال عن فضله في حال منكسر
والجود أشرف ما تسمو الرجال به
وقد ينال به مستجمع الفخر
وبالسخاء لحفظ النعمة اعتمدوا ياحبذا عمل بالحفظ صار حري
لا يصلح الدين إلا بالسخاء أتى إن السخاء من الإيمان فاعتبر
والجود من شجر الجنات فاحظ به وخذ بغصن أتى من ذلك الشجر
يحب مولاك حسن الخلق مقترناً
بالجود لم يبقيا للذنب من أثر

إن السخي حبيب الإله له قرب من الله هذا جاء في الخبر

ولا ترح بلئيم سرح عارضة ترد في ظمأ من حافة النهر

ولا تغرنك منه طول مكنته حلفاء عار بلا ظل ولا ثمر

بذل النفيس على نفس الخسيس عناً

فعل الجميل لديه موجب الضرر

ومن يؤم لئيماً عند حاجته يعض كفيه كالكسعي وسطقري

واسلك سبيل كرام أصفياء مضوا بكل حمد على الآفاق منتشر

واحذر طبائع أهل اللؤم إن لهم ذماً يدور مع الآصال والبكر

واغنم مكارم تبقيها مخلدة في ألسن الناس من بدو ومن حضر

فخير فعل الفتى فعل يبلغه من المحامد ما يبقى على الأثر

فالمرء يفنى ويبقى الذكر من حسن

ومن قبيح فخذ ما شئته وذر

وهذه حكم بالنصح كافلة بالنقل جاءت وعن مصقولة الفكر

حررتها لي وللأولاد منبئة بكل وصف حميد الذكر مدخر

خذها إليك ولا تنظر إلى عملي إني سأكشف عني وجه معتذر

بالله أحلف لا أخشى به حرجاً ومن تألى بغير الله في خطر

بأن لي نفس جحجاح تطالبني سبقاً إلى شرف عال بلا أشر

وهمتي في المعالي فوق مقدرتي ولا أبالي بكون الباع في قصر

وإن أصعب ما يشقى الكرام به جهد المقل أتى في عزم مقتدر

والدهر في كل حر ذو مغايرة بالطل يقنعه عن واكف المطر

ما كنت ممن يراعي في العلى نشباً ولست أخشى بجد حال مفتقر

ولا اكتسبت من الدنيا لقصد غنى

أسمو به لا ولا عن باعث المطر

وإنما جل قصدي أن أقيم بها من المكارم ما يخفي سنا القمر

ورثت ذلك عن صيد غطارفة آباء صدق كرام الورد والصدر

من كل ندب جواد فاضل يقظ حليف جود بعز واضح الغرر

فسل ربيعة سل كعباً ومنتفقاً عنهم تجد فضلهم يسمو على الدهر

توارثوا المجد عن طه الرسول وعن

أبي تراب وعن فهر وعن مضر

وإن لي أملًا بالله عن ثقة أن يسبل الستر فينا مدة العمر

وخير ما يتحف المهدي لسيدنا

أزكى الورى صادق الإسرا وخير سري

جرثومة المجد ينبوع الفضائل من إليه كل فخار غير منحصر

محمد سيد الرسل الكرام ومن يتلى له المدح في الآيات والسور

أزكى صلاة وتسليم لنشرهما يفوح عرف ختام المندل العطر

والآل والصحب ما جاءت مكارمهم

تفوت عد الحيا والرمل والمدر

ما حن مشتاق مجد أو عشيق منى

لربع جود بأهل الفضل معتمر

وما تألق برق في الحمى وهمى ودقٌ على حاجر من كل منهمر

ومما قال في ذم الغضب أعاذنا الله منه :

للغيظ آفات يضيق بها الفتى   فإذا استطعت له دفاعاً فاجهد[1]

منها حجاب الذهن عن إدراكه   أمر تحاوله كأن لم يعهد

وبه الحليم إلى الجهالة صائر   ويهد عنهُ به منار السؤدد

وبه يغيب الرشد عنه فلا يرى   إلا سلوك سبيل غير المهتدي

وبه تسيء لدى الورى أخلاقه   حتى يقال له لئيم المحتد

لا يرعوي لصحيح قول نصيحه   ويرى النصوح كعائب ومفند

وبذمه الشرع الشريف قضى كذا

لك النهي جاء عن الرسول محمد

إذ قال لا تغضب وقال إلهنا   والكاظمين الغيظ فاتبع تهتد

هذا الخطاب لكل عبد مؤمن   والنصح يجدي بالكريم السيد

من حب طب بما تناول علمه   وأخو النباهة يقتدي بالمرشد

ومما قال مجاوباً للشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عثمان الأحسائي، ومحمد بن علي البغلي عن مناظيم وردت عليه منهما ، فأرسل لكل واحد منهما نسخة من القصيدة ، وأتبعها برسالة تخصه ، وقد أجاد في الرسالتين ، ولم أنقلهما لأجل الاختصار وهذه هي القصيدة :

إلى طيب ملهى بالعذارى وملعب   يحن فؤاد المستهام المعذب[1]

وأصبو إلى عصر تقضى على الصفا

وبرق الأماني والرضى غير خلب

---

(١) ديوانه : ٢٤٠

(٢) ديوانه : ١٩٣

أطيع الهوى فيما يشاء صبابة وأعصي نصيحي في الهوى ومؤنبي

لعز الهوى أذللت جامحة الصبى كما ارتاض بالالجام صهوة أصعب

وما زال لي في الحب أبعد مطمع تقصر عن أدناه أطماع أشعب

ليالي لا واش أحاذر بغيه ولا أتقي عين الرقيب المرتب

أسير الهوى طاق العنان خليعه أسير به في كل وجه ومذهب

ليالي الصبى مرت علينا كأنها خيال الكرى أو خلسة المتريب

تواصلني فيها الرباب وزينب ويا طيب عيشي بالرباب وزينب

ليالي إذ أدت عزيزة بيننا رسائل شوق هيجت كل مختبي

وإذ أنشقتني من عصابة منيتي

شذى المسك يغذى بالصديع المعقرب

وأملت أحاديث المنى دونها الصبا

سحيراً وقد مرت بأزهار معشب

فأسكرني ذاك الحديث وطيبه وتذكاره لليوم أسكر مطرب

وموقف ذل قد وقفت لنظرة أسارقها من ذات حسن محجب

فأبلغ طوراً ما أردت وتارة أرى دونها حد الحسام المشطب

ولست بناس إذ مررت فأومأت إلي بأطراف البنان المخضب

علقت هواها وهي طفل غريرة وكنت وإياها بأنزه مكتب

تصد وتبدي لي أسيلاً كأنه صبيحة بدر ضاء في جنح غيهب

ويا ليتنا لليوم في المكتب الذي حوانا ولم نحدث دواعي التجنب

لقد صرمت أيدي النوى سبب اللقا

وطار تلاقينا بعنقاء مغرب

وما زال بي من حبها كل لاعج يزيد وقود الوجد أي تلهب

إذا خطرت في القلب هام صبابة وناديت واشوقاه ياأخت جندب

ولست بساليها ولست بناقض عهود الهوى مادام أركان كبكب

ورب الهوى العذري لم يدر سلوة وإن كان مغموراً بحيلة أشيب

رعى الله أوقاتاً نعمنا بطيبها

وغادى ربوع الانس من كل صيب

وأروى عراص الروضتين التي بها تغازلني ألحاظ ريم وربرب

مغاني الغواني المائسات ومن حلا لها التيه عن لطف الدلال المحبب

وحيا ربوعاً حول ساحة جسرها بها نلت آمالي وغايات مطلبي

ونادمت فيها كل ثقف عطود حميد المساعي ماجد الخال والاب

تدار كؤوس الفضل فينا فنحتسي

شراب طلا الآداب أعذب مشرب

فمن مبحث في العلم طاب اجتذابه

ومن شاهد رقت معانيه أعذب

ونادرة تستنشق الروح عطرها يشنف منها سمع كل مهذب

مغاني كرام ليس يخذل جارهم ولا مجتدي إحسانهم بالمخيب

يصادف منهم ضيفهم كل بغية ببشر وتوقير وأهل ومرحب

ويرجع منهم والهاً مغرماً بهم لحسن مواساة وإن كان أجنبي

هم بهجة النادي نجوم سمائه مكارمهم تنسيك آل المهلب

أولئك أخداني وقومي وجيرتي فمن مثلهم من منجب وابن منجب

عليهم قضت أيدي الرزايا فلم تزل
تساقط منهم كوكباً إثر كوكب

وأضحت مغانيهم قفاراً من الدمى ومن كل غطريف جواد مدرب

كأن لم يكن فيها أنيس مسامر ولا حل فيها للقرى بعض لغب

وبعدهم أقوت معاهد جودهم
فيا ضيف خذ في حفظ زادك واعزب

فيالك من دهر تحكم ريبه وأودى بأقيال لهم نخوة الأب

ولا عوض عنهم يزاح به الأسى وفاقدهم أضحى كأجذم أعضب

وهل ساغ أن يعتاض عنهم بجاهل من النوك أو فدم عديم التأدب

عري من الآداب والفضل باقل تراه إذا طارحته يشبه الصبي

ألذ وأحلى كل شيء لديه ما إذا شام برقاً لاح في أفق مكسب

إذا دار في النادي لطيف نوادر وشعر يرى للثقل كالمتجنب

ولم ألف ذا فهم ونفس شريفة فيرتاح للآداب عن طيب مشرب

ولم يبق مما يستطاب سوى الذي تضمنه الأسفار من كل معرب

وما راق تنشيه القرائح حادثاً طرياً أتى من نحو شرق ومغرب

كمثل نظام جاءني فاق نشره على الروض جادته الغوادي بصيب

به يتحلى جيد هيفاء غادة فيدرك منها الحسن أبعد مطلب

تنظمه عقداً أنامل ماجد له في مقام الفضل أرفع منصب

نبيه نبيل ذي صفات حميدة تميزه بالنبل في كل موكب

حريص على كسب الفضائل مذ نشا
وقد يسبق الأقران فضل التكسب

لقد عرفت منه الظرافة شيمة ورب ظريف للقلوب محبب

كريم إخاء جامع حسن عشرة تقيم بعيداً كالحميم المقرب

سليقي منظوم ونثر كأنه كفاه سليم الطبع عن نحو قطرب

هو الشيخ عبد الله نجل محمد سليل كرام كل أنجب أغلب

جهابذة علماً فحلوه بالتقى إلى ورع صافي الموارد أعذب

وبالفرض حازوا العلم لاعن كلالة

فمن كابر عن كابر كالتعصب

تقصد عبد الله قصد سبيلهم ففاز بفضل نابه الذكر معجب

ففاق بنظم لا يباريه شاعر سوى ما أتى من نظم واف مهذب

كسمط من العقيان والدر فصلت فرائده من كل أغلى مثقب

نظام فريد في القريض مبرز فلم يرض من بكر المعاني بثيب

وثيق عهود الود مذ كان يافعاً وما زال حلفاً للإخاء المحبب

ذكي به علم العقاقير نير فأصبح جالينوس في جنبه غبي

هو ابن علي ذو الوفاء محمد محب لآل المرتضى عترة النبي

غدا نظمه وشي الربيع وكافلا بصدق وداد بالولاء مطنب

فقابله مني القبول مع الرضى وأعددته للأنس ألطف مطرب

فيا من أنافا في القريض تسامياً إلى كاهل الإحسان بالحسن قد حبي

خذا لكما مني جواباً منقحاً يفوق على أشعار بكر وتغلب

أتيت به والفكر مرتهن الصدا وقرضابه قد كل عن كل مضرب

ولست إلى نهج البلاغة ناظراً يحجبها عني شواغل حدن بي

ولو لم أحاذر نسبة الكبر لم أفه بما قلت كالعشواء تخبط محتبي

ولا زلتما في نعمة ومسرة دواماً وعيش بالمعافاة طيب
سعيدين ما لاحت بوارق مزنة وما فاح مسكي الختام المطيب

وقد اقترح عليه حسن بن عبد الله بن أحمد آل خليفة تشطير أبيات ستة ، امتدح بها أمية بن أبي الصلت في الجاهلية ابن جدعان القرشي المشهور بالكرم ، وضمن التشطير في قصيدة طنانة ، وامتزجت الأبيات بالقصيدة حيث لا يتميز بينهما ، بل ربما كان كلامه يفوق الأبيات الستة فقال :

ليالي الوصل حق بها الهناء وتلك مع الشباب هي المناء[1]
تسامرني بها غنجاء رود كعاب للدلال بها ازدهاء
برشق لحاظها داء المعنى وفي ترشاف مبسمها الدواء
ومن سود الذوائب جن ليل ولي من نور غرتها ضياء
إذا ما الحلي زين به العذارى فحليتها الملاحة والبهاء
إذا سقط النصيف لمنكبيها تلقته وواراها الحياء
لهوت بها على حذر ورقبى خليعاً بالملاح لي اعتناء
فأرشف من ثناياها عقاراً بها سكري وراق بها الصفاء
نعمت بها على رغم الليالي وزال بوصلها عني الشقاء
ويعجبها اكتسابي للمعالي ولي في فضل آبائي اقتداء
يروضها الصبا لي والتصابي وتجذبها النضارة والرواء
ومذ لاح المشيب ولان عودي لغامزه وبان به الخناء
نأت عني وقد صرمت حبالي كأن لم يجر وصل أو لقاء

---

(١) ديوانه : ١٧٩

ودأب الغانيات جحود ود فلا عهد لهن ولا وفاء
لعمرك ما الليالي صادقات بما عهدت إليك ولا النساء
إليك فدع مطارحة الغواني ففي تطلابهن لك العناء
تدارف أدمع وسهاد عين وذل وانزعاج وابتلاء
مواقف ريبة تسم الدنايا وليس لعرض آتيها وقاء
أيختار الكريم أخو المعالي مقام الذل يعقبه ازدراء
إذا سمح الفتى بالعرض يوماً فذلك والبهيمة قل سواء
وبئس العيش عيش فتى ذميم عليه من الخنا الداجي رداء
وأشرف ما اقتناه الحر ذكر تقاصر دون رياه الكباء
عفاف غيرة صدق وفاء رعاية منصب حزم إباء
وإقدام وجود صدق وعد وعهد ليس يخفره البلاء
ومن عشق الثنا هجر الدنايا ولم يلمم بساحته البذاء
تطلع للعلى والمجد دأباً وفي سبق الكرام له اعتناء
إذا جمع الكرام الصيد ناد يضيء له على العز اعتلاء
كما ضاءت فعال ذوي المعالي هم القادات غر اتقياء
لآل خليفة شيم تعالت عن الخلق الدنيء فهم براء
وبالمعروف امارون حقاً وجاني المنكرات بهم هباء
أولو همم نوازع للتسامي على زحل يلوح لها علاء
سراع الغوث إن يدعوا لعز وإن يدعوا لمنقصة بطاء
أكفهم لدى الجدباء غيث وكم رويت بها الأسل الظماء
لهم يوم الوغي وثبات أسد إذا أودى بأشبلها العياء

يخوضون الكريهة لم يبالوا   أحان الحين أم نزل القضاء

لقد سادوا وشادوا كل عز   وطال بعزهم ذاك البناء

بهاليل وتقوى الله ركن   به اعتصموا وبالتقوى وقاء

لهم حسن الجوار فلا الرزايا   تصيب الجار فيهم والأذاء

تفرغ منهم ندب جواد   كريم الطبع ديدنه العطاء

له خلق كزهر الروض يزهو   عليه من الندى سحراً رداء

فياذا الفضل يا حسن السجايا   كذا اسماً حيث حليتك العلاء

رأيتك للثنا تهتز طبعاً   فجئت بما يقل له الجزاء

أأذكر حاجتي أم قد كفاني   حباؤك ان شيمتك الحباء

بلى حسبي لآمالي شفيعاً   عن الإفصاح حدسك والذكاء

وعلمك بالحقوق وأنت فرع   لدوحة من بهم عرف الوفاء

وعن طرق الخنا واللؤم يأبى   لك الحسب المهذب والسناء

خليل لا يغيره صباح   يضيء به وصال أو جفاء

وليس يحول ما كرت غداة   عن الخلق الجميل ولا مساء

وأرضك كل مكرمة نمتها   فعالك حيث ينقطع الرجاء

أتدرك شأو قومك في التسامي   بنو تيم وأنت لها سماء

إذا أثنى عليك المرء يوما   تصدقه المروءة والسخاء

وراجي فضلك الداني جفاه   كفاه من تعرضه الثناء

تباري الريح مكرمة ومجداً   فتسبقها ولاح لك العلاء

ترى طلق المحيا ذا ازدهاء   إذا ما الكلب أحجره الشتاء

ودونك سمط در لاقواف   بها يحلو التغني والحداء

نظمت بسلكها ما قيل قدماً　　فهل فرق بها أم ذا سواء ؟

فسل من جاء من شرق وغرب　　أتأتي مثل نظمي الأذكياء

يحوز لي القوافي الغر فكري　　فأقطف من جناها ما أشاء

فسرح طرف طرفك في رباها　　تجد روضاً تغاديه السماء

أصون حماه من قدم دني　　لديه المدح ساواه الهجاء

ودم في نعمة ورغيد عيش　　تلازمك المسرة والغناء

معانا ما حدا حاد بقولي　　ليالي الوصل حق بها الهناء

وكتب إلى السيد الشيخ محمد الشيبي كتاباً وفيه هذه الأبيات ، والسيد إذ ذاك بالطائف سنة ١٢٤٩ وهي :

ياسادة بعدوا عني فما برحت　　أحشاء مضناكم بالنار تلتهب [١]

ما كان ظني بأن الدهر يبعدني　　عن أنجم بضياء الشمس تحتجب

فجددوا العهد كيما تشتفي كبدي　　وحققوا حالكم فالقلب مضطرب

باللحظ بالود بالتفاح من رشأٍ　　سهامه في فؤاد الواله الهدب

هل من ضمان لصب باع مهجته　　بلا جزا عليكم فالجزا يجب

لا تخرجوا رقكم عن طيب خاطركم　　بقربكم تكرم الأعجام والعرب

فأجابه السيد رحمه الله :

أحبتي لاعداكم صوب غادية　　باليسر واليمن والخيرات تنسكب [٢]

---

(١) ديوانه : ١٠٣

(٢) ديوانه : ١٠٤

فإن نـأت داركم عني فمنزلكم
في القلب والطرف يومـا ليس يحتجب

أنتم منائي وأنتم منتهى أملي — وليس لي بسواكم سادتي أرب

أعض من ندم كفي على زمن — مضى ومالي بكم وصل ولا سبب

إني أسير هواكم مغرم بكم — إني أسير ومالي عنك منقلب

أقول للمدعي في حبكم شبهي — لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

كلا ولم يلهـني خل أسـامره — ولا نديم ولا أهل ولا نشب

أنا الوفي بعهد الود من قـدم — فليس قلبي عن الأحباب ينقلب

أنفقت شرخ شبـابي في الهوى يقظـاً
فكدت أعلم ما يـؤتى ويجتنب

أقمت مني لكم حكم الصبي على — أهليه يا سادتي من بعض ما يجب

دمتم بعز ونعمى لا تبيد ولا — يفوت ربعكم الأفراح والطرب

ما حن صب إلى أحبابه ولهاً — ففاز إذا انعشته منهم الكتب

وقال مجاوباً أيضاً لمحمد الشيبي عن كتاب وأبيات وردت عليه فقال مجاوبا له ومادحاً :

خطرت بقـد البـانة المياس — ورنت بطرف الجوء ذر النعاس [1]

غيداء يلعب بالعقول حديثهـا — فعل الشمول حكت صفاء الكاس

تصمي الحشا بنبـال مقلتها وما — للسيع عقرب صدغها من آس

ما للذوائب كالأفاعي أرسلت — فوق الكثيب فضيعت إحساسي

---

(١) ديوانه : ١٠٧

بالغنج تسلب ذا الوقار وقاره ودلالها يقضي بنقض مراسي
لألاء غرتها وداجي فرعها بدر يلوح خلال غيم راسي
زارت فما ادري أ كانت يقظة أو من طروق الطيف أو وسواسي
حتى تعطرت الربوع بعرفها ونضا محياها دجى الإغلاس
فدهشت لما أن أمطت خمارها واستقبلتني زرقة الألعاس
ونشقت منها الطيب ظناً انه مسك وذلك عاطر الأنفاس
فطفقت أقطف ورد وجنتها وأر شف من ثناياها طلى الشماس
وغدا على قلبي الخفوق كقرطها فرحاً بطيب الوصل بعد الياس
فحظيت منها بالمنى متدرعاً
برد الصيانة والغرام لباسي
يا حبذا زمن الوصال يمده زهو الشباب الغض باستئناس
واليوم مالي والتغزل بالدمى من بعد ما نزل المشيب براسي
فذر الهوى وفنونه واهرع إلى إطراء ندب طيب الأغراس
الماجد الأنف الأبي الباسل القرم السري أخي الندى والباس
زاكي النجار عفيف منعقد الإزا ر قرير عين الجار بالإيناس
يرعى ذمام ذوي الإخاء تكرماً
بالبشر يلقاهم بغير شماس
هذا هو الشيبي ذا أسمى فتى في دارة البطحاء كالنبراس
من آل عبد الدار أكرم معشر حازوا مناقب كالنجوم رواسي

(نزهة الأبصار ج٢ م ٥٧)

منها حجابة بيت رب العرش قد
خلدت لهم وبنيهم الأكياس

لله منصب سؤدد ذي حلة — خير الأنام لهم بتلك الكاسي
وسواه من كل المناصب جاء عن — ملك وتغليب وشورى الناس
أمحمد يا فرع كل معظم — در الندى منه بلا إبساس
وافى كتابك والغرام بحاله — أين الهوى وزخارف الأطراس؟
إني أحن إلى اللقاء وهاج بي — شوق يرق له الفؤاد القاسي
جمع اصطباري فلّ لكن الرجا — قهرت دواعيه دعاة الياس
فيه التعلل والرجاء تعلة — و كذا المنى تغني ذوي الإفلاس
فعسى الإله يبيت اسباب النوى — عنا فنلبس حلة الجلاس
وإليك من أبكار فكري بضة — صينت معاطفها عن الأدناس
حسنا الشمائل من ذؤابه هاشم — بصميمها من كل أغلب آسي
لا زلت يارب الكمال برتبة — قعسا وعز محكم الآساس
ما أضحك الروض المرنح في ربى — مزن يسح بوا كف رجاس

ومن قوله :

لا تتخذ بالشيب عذراً للذي — ترجو على طول الحياة وصاله[1]
إن اعتذارك بالمشيب يجره — للصد أو يدني إليك ملاله
إذ أن ذلك لا يزال ملازماً — لو زاد فالوعد ارتكبت مطاله
والعذر أحسنه الذي قد زال عنـ — ـك وقد حمدت وقوعهُ ومثاله

---

(١) ديوانه : ٢٤٦

وفي سنة ١٢٦٤ بلغ السيد عبد الجليل أن داود باشا أرسل القصيدة الخالية إلى أدباء بغداد ليجاروها ، ونسبها لبعض شعراء النصارى ، وهو بطرس كرامة الشامي ، وهو غلط أو دعوى ، وإنما هي لبعض أهل جبل عاملة ، من قرى الشام . وهي متقدمة على عصره كما وجدت في بعض المجاميع ، وعند وصولها إلى بغداد تجاذبها الأدباء وأرادوا مجاراتها ، ولما علم السيد أنها صادرة من الباشا ، أحب أن يذيلها ويجعل ذيلها مدحاً فيه فيصير غزلها للعاملي ، ومديحها له . وآخر خالية العاملي قوله :

لكل جماح إن تمادى شكيمة … ولكن جماح الدهر ليس له خال

وأول قول السيد :

نعم خاله تقوى الإله فإنها … ستكسوك ثوب العز إن أعوز الخال

وهذه خالية (١) العاملي :

أمن خدها الوردي أفتنك الخال … فسح من الأجفان مدمعك الخال

السحاب

وأومض برق من محيا جمالها … لعينيك أم من ثغرها أومض الخال

البرق

رعى الله ذياك القوام وإن يكن … تلاعب في أعطافه التيه والخال

الكبر

---

(١) هذه القصيدة صححت نقلا عن ديوان بطرس كرامة منسوبة إليه رقم ٣٢٢ وديوان الطباطبائي رقم ٢٤٧

وللّه هاتيك الجفون فإنها على الفتك يرواها أخو العشق والخال

الخلي من العشق

مهاة بأمي أفتديها ووالدي وإن لام عمي الطيب الأصل والخال

أخو الأم

ولما تولى طرفها كل مهجة على قدرها من فرعها عقد الخال

اللـواء

إذا افتكت أهل الجمال فإنما لهن على أهل الهوى الملك والخال

الخلافـة

وليس الهوى إلا المروءة والوفا وليس له إلا امرؤ ما جد خال

السمح الكريم

وكم يدعي بالحب من ليس أهله وهيهات أين الحب والأحمق الخال؟

الضعيف القلب والجسم

معذبتي لا تجحدي الحب بيننا لما اتهم الواشي فإني الفتى الخال

البريء من التهمة

ولي شيمة طابت ثناء وعفة تصاحبني حتى يصاحبني الخال

الكفن

سلي عن غرامي كل من يعرف الهوى

تري أنني رب الصبابة والخال

الصاحب

ولا تسمعي قول الحسود فإنه　　لقد ساء فينا ظنه السوء والخال

التـــوهم

سعي بيننا سعي الحسود فليته　　أشل وفي رجليه أوثقه الخال

الظلع من الدابة والعرج

وظبية حسن مذ رأيت ابتسامها　　عشقت ولم تخط الفراسة والخال

المخيلة

توسم طرفي في محاسن وجهها　　فلاح له في بدر سيمائها الخال

التوسم بالخير

إلى مثلها يرنو الحليم صبابة　　ويعشقها سامي النباهة والخال

الرجل حسن
المخيلة والفراسة

أيا راكبا يفري الفلاة بجسرة　　يباع بها النهد المطهم والخـال

البعير الضخم

بعيشك إن جئت الشآم فعج إلى　　مهب الصبا الغربي يعن لك الخال

جبل بعينه

فإن ناشدتك الغيدعني فقل على　　عهود الهوى فهو المحافظ والخال

الملازم

فسلم بأشواقي على مربع عفا　　كأن رباه بعدنا الأقفر الخال

موضع لا أنيس فيه

فإن قيل هل سام التصبر بعدنا ... فقل صبره ولى وفرط الجوى خال

ثابت

لكل جماح إن تمادى شكيمة ... ولكن جماح الدهر ليس له خال

اللجام

انتهى كلام العاملي وهذا تذييل السيد رحمه الله تعالى بقوله :

نعم خاله تقوى الإله فإنها

ستكسوك ثوب العز إن أعوز الخال

الثوب الناعم

وقل لعفاة ساءهم سوء حالهم

وامطرهم عن واكف السحب الخال

السراب

هلموا سراعا واهرعوا نحو ماجد ... سري فما كل الفحول هو الخال

الرجل السمح

ولا تركنوا إلا لمن كسبه الثنا ... ولم يك في حسن السجايا الفتى الخال

المتكبر

إذا استبق الأقران في حلبة العلى ... فكل كريم رام سبقاً هو الخال

الحرون

فليس لدواد الهمام مزاحم ... بعلم وحلم لا يوازنه خال

جبل

وفياض جود عاض عن صيب الحيا

وعم به حتى ارتوى الوهد والخال

الاكم

ومن مثله والعلم والفهم حليه　　وهل يتسامى شامخ الطود والخال

المنخفض

له زاخر الفهم الذي فاض حكمة　　ومن علمه للناس في فضله خال

ترسم الخير

مليك كسى القطر العراقي بهجة　　بعدل وأمن شاد ركنيها الخال

السيف

غدا عصمة اللاجي إذا راعه العدى　　وكعبة جود طالما أمهُ الخال

المحتاج

إليك أمير المكرمات فريدة　　أتتك من الفيحاء يعنو لها الخال

نبت مزهر

تجوب من البيداء كل تنوفة　　بها للوجى تدمى النجائب والخال

الفحل الأسود من الابل

معارضة للعاملي بنسخة　　وعند رواة العصر إتيانها خال

وهم

لقد زانها مدح الوزير وقد أتى　　تغزلها قلب الذي في الهوى خال

فارغ القلب

ولا زلت ياعين الزمـان ممتعا بعز وذكر عنده يقدم الخال

الجبان

معاناً سعيد الجد متصل الهنا أخا نعمة تزهو وأنت بها الخال

المختـــال

ثم إن داود باشا أرسلها أيضاً إلى صالح التميمي طالباً منه مجاراتها فاعتذر وقال :

عهدناك تعفو عن مسيء تعذرا ألا فاعفنا عن رد شعر تنصرا

دع الشانيء المخصوص بالنص إننا نراه بميدان البلاغة أبترا

به سمةٌ من صبغة الخال سودت بصيرتـه لا كان ممن تبصرا

عـداه شبيث والأحص وفـاته

من الرند والقيصوم ما كان مزهرا

أما وعلوم ضمهـا صدرك الذي براه إله العرش للعلم إذ برا

وفيض أيادي حكمة في رقابنا مكارم كالأطواق محكمة العرى

لجم غفير صير الخـال قبله مكان القوافي بالقوافي مكررا

وما الشعر إلا ما أبانت صدوره قوافيه لا ما السمع فيه تحيرا

وغنى به الساقي على الكأس آخـذاً

عليك وإن لم تشرب الكأس أسكرا

لعمرك ما كعب ولا الشيخ قبله زهير بتكرار القوافي تصدرا

وإني أرى المصنوع منه تأمراً بما لا أرى المطبوع إلا تأمرا

فدع ذا ولكن اسأل الله بالذي دنا فتدلى ثم بالوحي أخبرا

بشيراً يوافي باللقـاء وطالمـا يوافي رسولاً بعد يأس مبشرا

لداود والأيدي الجسام صنائع　　لنا يسرت أمراً لنا ما تيسرا

رؤوف بنا بر عطوف ولم يكن　　تغير لو أن الزمان تغيرا

على البعد شاهدنا له كم عناية

تشكر والإحسان بالحر اثرا

ومذ وصلت هذه القصيدة إلى داود من صالح التميمي عرضهـا على بطرس كرامة فأجابه بقوله :

لكل امرىء شأن تبارك من برى

وخص بما قد شاء كلاً من الورى [1]

ولو شاء كان الناس أمة واحد　　ولم تلق يوماً بينهم قط منكرا

ولا يفتخر مرءٌ بمجد يناله　　تراثاً إذا عن طارف الفخر قصرا

ولا يحتقر در يجيء به فتى　　يخالف جنساً أو يرى غير ما يرى

إذا ضاع قدر الدر من حلي بائع　　فذلك جهل باللآلي بلا مرا

كما عاب شعري قائل في قريضه　　ألا فاعفنا عن رد شعر تنصرا

عداني شبيث والأحص وإنما　　رشفت من الآداب شهداً و كوثرا

ولي سمة من صبغة الخال قد سمت

وقد سودتني بالبلاغة منبرا

عجبت له من أنه نعم فاضل

فكيف تغاضى عن أخي الفضل وازدرى

نعم إنني من أمة عيسوية　　وأهل كتاب لن يشان وينكرا

(١) ديوان كرامة : ٢٥٤

وأقرب من كل الأنام مودة إليه كما قد جاء بالذكر مخبرا

وما أنا ممن آمنوا بنبيهم وقد أنكروا صحب الرسول المطهرا

ولو أنه يتلو وقل لا تجادلوا لكان أتى بالحق حكما وما افترى

لعمرك ما داعي الفصاحة ملة ولا نسب حتى ألام واهجرا

فذلك فضل الله يؤتيه من يشا ولن ينتهي فضل الإله ويحصرا

فقس مسيحي والسموأل موسوي وغيرهما ممن تقدم أعصرا

كذاك ابن سهل وابن صاعدة الذي ببغداد أهدته المنية للثرى

كذا الصابىء المشهور من شاع ذكره ومن فضله أملى ابن خاقان دفترا

كفاني فخراً أن شعري لم يعب بوزن ولا لحن ولم يحو ممقرا

وما الورد إلا الورد ريحاً ومنظراً وإن يكن الرومي هجا الورد وافترى

ولا يسلب الحسناء قول ضرائر صباح جمال عنده يحمد السرى

ولا يحسبني أعجمياً فإن لي من العلم والآداب قوماً ومعشرا

من العرب مطبوع الفصاحه والندى وغنى بشعري أهل فضل فأسكرا

فأطرب ذا علم ورنح ضيغماً وهز أخا شوق وأرقص جؤذرا

وإني لمنسوب لآل كرامة   وحاشاه أن يأبى الكرامة مدبرا

ففي حلب والشام رنت قصائدي   وشعري في روض الكنانة أزهرا

وما كان منه ذاك إلا ليبتلي   ويعلم آدابي فيغدوا مخبرا

وأحسبها منه يدا قد أراد أن   أكون شهيراً بالعراق وأذكرا

ولما وقف السيد رحمه الله على قصيدتيهما أحب أن يحكم بينهم فيما تشاجرا فيه .

فقال :

حكمت وحكم الحق ناء عن المرا   بأن التميمي الأديب تعثرا[1]

بذم قواف في تمام جناسها   وذلك نوع في البديع تقررا

وعند اتحاد الجنس فالنوع سائغ   تعدده بل كم أفاد تخيرا

وليس مرادا دين من رق طبعه   أكان حنيفاً مسلماً أو تنصرا

وحسبك منه ما يفصل عقده   من النظم والمنثور دراًوجوهرا

وكم مسلم منه اللسان وقلبه   على غير دين فضله قد تصدرا

وظلم ذوي الآداب والفضل عيبهم   بما صنعوا من رقة الشعر في الورى

وما كل وراد المناهل مفلق   ولا رعيه الحوذان كان المؤثرا

وأكثر كتاب البلاغة لم يرد   شبيثاً ولامس الخزامى المنورا

ولم يك للأديان في الشعر مدخل   وكل قديم الشعر كان المصدرا

وقادته الأعلون في جاهلية   وشرك وهل كالشرك تلقى مكفرا

---

(١) ديوانه : ٢٥٦

وقد قام من أهل الكتابين زمرة
جنوا من رياض الشعر ما كان مزهرا

فمن كابن عباد يجاري مهلهلا | وكان مسيحياً تقدم يشكرا
وكالاخطل المعروف شاعر تغلب | يسوق به القسيس في الدير كالفرا

وكعب هو ابن الأشرف القرظي من
بأشعاره وصف الخراعب أسفرا

وقس مضى طول الحياة موحداً | وما نقل التثليث عنه ولا اجترا
كذلك عابوا للتميمي قوله | ألا فاعفنا عن رد شعر تنصرا
إذا منه عجز عن مجاراة خاله | فمال إلى الأديان عمدا تهورا
ولو أنه يدري بقولي لقال لي | عهدناك تعفو عن مجيب تعذرا
وأي مقال قد خلا من معارض | فلو عابه بالانتحال لما افترى
إذا صح عنه الادعاء لنظم ما | بها الخال قد عم القوافي مكررا
فمن سرقات الشعر ما كان حده | يقام على الجاني فيصبح أبترا
ويبعد عن هذا الظريف ادعاؤها | لشهرتها بين الرواة ومن درى
ونسبتها للعاملي قديمة | وخمسها منهم نبيه فحررا
وعارضها ذاك المخمس فانثنى | بمدح جواد ضمنه أسد الشرى

وتخميسها عندي وما عورضت به
وأخرى بكسر اللام يعرب من قرا

على أنني ذيلتها بمديح من | يقرر فضل النظم والنثر إذ طرا
ولا زمت خالاً فوق وجنتها هوى | لأرشف من تلك الثنايا المكررا

وجاء له لحن ولكن مخففـا　　برائية فيهـا الجواب تقورا

فقال مسيحي ثم في البيت موسوي　　بتسكين ياء النسبة القول يزدرى

وذلك لحن في قواعد معرب　　كما جاء هـذا للنحاة مسطرا

وكل انتقاد الشعر دون انتحاله　　وذلك عيب ضمنه وصمة افترا

بدت لأبي سلمى زهير عنـاية　　بتهذيب حولياته قبل أن ترى

بها بلغ الغايات في حسن شعره　　وفي بيته فالشعر يروى محررا

كما شـاع حر الشعر في بيت بطرس

وفي نجـله بين المدائن والقرى

فصيح رقى أوج البلاغة يافعاً　　فأشعاره حلى بها ربع قيصرا

لأفكاره غر القوافي قريبة　　وعن غيره بعد الثريا عن الثرى

أتى منه نظم هد حجة صالح　　وإن كان في المنظوم قدماً تصدرا

فأيدت ذاك الرد إذ كان صالحاً　　وزدت له بالاحتجاج ليشكرا

وما قلته بين الفريقين واضح　　فأمعن لهذا القول في الحكم منظرا

وكن منصفاً فيما ترجح بعدما　　تدير الحجـا فيما تراه لتعذرا

لكل تراني قد قضيت بحقه　　وأسال هادينا الهدى والتصبرا

وقد كان لي من صالح خير صحبة

وعند اتبـاع الحق مـا زلت أجدرا

وقد مر لي بالشعر بعض علاقة　　وحكمي ماض فيه أنفذه الورى

بعصر تقضت فيه أيام صبوتي　　أطارح فيه من أشاء بلا ازدرا

ويسعدني فيما أردت شبيبتي　　وعهد الصبا ادعى لثائرة المرا

ليالي إذا قاد الهوى لي صبابة فأثني بها ألمى المراشف جؤذرا

وإني وإن فارقت أيام صبوتي فبالفكر أرعاها عياناً تحسرا

ومن خلقي تذكار عهد شبيبتي وبعض وفاء الحب أن اتذكرا

لعمرك فاتتني سريعاً حسبتها كزورة جاف مر في سنة الكرى

وسائل صب شاب للغيد قد وهت

كاعزل لاقى في الهياج غضنفرا

ويا طيب عصر صالح لي بصالح بصحبته كان الوداد مقررا

بمنعرج الفيحاء مر اجتماعنا وكان به ليل المسرة مقمرا

قضيت به للأنس كل لبانة

فإن شئت سل عما جرى حينئذ جرى

فيا طال ما حلى القريض بنظمهِ وفاح به النادي لذلك عنبرا

وكم نكت أبدى لنا من فنونه طرائف منها يرشف السمع كوثرا

سوى أنه في الارتجال لراجل اذا أبصر الأعيان في الربع حضرا

حياء وإن ضم اليراع بنانه أجاد أعاريض القريض مفكرا

عسى مالك الغفران يقبل عذره ويمحو له ما ظل فيه مقصرا

ودونك إبراهيم هيفاء كاعباً أحاديثها تغني عن الراح مسكرا

وترفل تيهاً في مطارف حسنها وبالغنج تجلو عن نديم مكدرا

أتتك من الفيحاء تطوي سباسباً قفاراً بها الخريت صاح تحيرا

فلا منهجاً دلت ولا منهلًا درت ولا سمة تهدابها يحمد السرى

وغاية ما في النفس علم ورودها إليك بها يسعى البريد محررا

ولا زلت تجلو كل خالية بها تسامر مصقول الترائب أحورا

وعش فارهـا مـا جـاد بالوصل نازح

على واله بالقرب وافى مبشرا

وقال مشطورا بيتي جرير في الغزل فقال »

« إن العيون التي في طرفها حور »

هن الشقـاء لقلب بالهوى دانا[١]

تلك الصحاح المراض الفاتنات لقـد

« قتلننا ثم لم يحيين قتـلانا »

يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به | بنظرة تـدع الخريت حيرانا

يالرجـال يقدن الأسد راغمة | « وهن أضعف خلق الله أركانا »

واقترح على السيد رحمه الله تعالى بعض أصحابه تشطير بيتين فاسعفه بمراده فقـال :

« عداي لهم فضل علي ومنة » | فقد أرهفوا مني شبا العزم ماضيا[٢]

بهم شدت أركان الفضائل جاهداً | فلا أبعد الرحمن مني الأعـاديا

هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها | ورب لبيب يطرق الأمر ساهيا

ومالي لا أكسوهم حال الثنا | « وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا »

ولما شطرهما راق له تخميسها فقال :

مجازاة ذي الإحسان والعرف سنة | وكل كريم للوفاء مظنـة[٣]

---

(١) ديوانه رقم : ١٤٧

(٢) ديوانه : ١٤٤

(٣) ديوانه : ١٤٥

وإني أرى والعقل للمرء جنـة عداي لهم فضل علي ومنـة

فلا أبعد الرحمن مني الأعاديا أما إنهم أبدوا أموراً حذرتها

وما رابني منها انبعثت أبتها ومذ زاحموني في المكارم حزتها

هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

ومن قوله والتزم في آخر كل بيت كلمة حكمة :

عشقت فريداً في الجمال محبباً إلى كل قلب والجميل حبيب[1]

خلائقـه الحسنى تريك نجابـة إلى ظرف والحسن فيه ضروب

لقد رمت منه الوصل ظناً بأنه قريب وما كل الظنون تصيب

فعاملني بالعطف من غير ريبة وكل أريب لن تراه يريب

وقال السيد رحمه الله : مادحاً الإمـام المقدم ، الملك المفخم ، قائـد المنصورة ، والألوية المشهورة ، المجـاهد في الله حق جهـاده ، المتمسك باتباع الشريعة في إصداره وإيراده.سعود بن عبد العزيز أسعده الله برضوانه وأسكنه أعلى فسيح جنانه آمين . وذلك في سنة ١٢٢٤ أربع وعشرين بعد المائتين والألف . وذلك بعد استيلاء الجيش الذي أرسله سعود ، بقيـادة سليمان بن سيف بن طوق إلى بلد الزبارة المعروفة شمالي قطر . وقد أثنى فيها على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وعلى الإمام عبد العزيز والد سعود رحمهم الله تعالى قال :

---

(١) ديوانه : ١٤٦

تباركت يا مولى الملوك الأعاظم
وعزيت يا مبدي الجميل وراحمي [1]

لك الحمد إذ واليتنا منك أنعما ... يضيق لها ذرعاً يراع لراقم
وأتحفتنا بالدين دين محمد ... عليه صلاة مع سلام ملازم
فأضحت به منا القلوب منيرة ... وتزهو كما تزهو الربا بالسواجم
فأعظم بها من نعمة حق شكرها ... علينا وشكر الله آكد لازم
جزى الله رب العرش بالصفح والرضى ... وبالخير من قد كان أصدق قائم
بنصرة دين المصطفى وظهيره ... هو الحبر ذو الإفضال حاوي المكارم
هو الورع الأواه شيخي محمد ... هو القانت السجاد في جنح فاحم
لقد قام يدعو للمهيمن وحده ... فريداً طريداً ماله من مسالم
وجاهد في الرحمن حق جهاده ... وفي الله لم تأخذه لومة لائم
همام بدا والناس إلا أقلهم ... على محض شرك في العبادة لاجم
يعدون للضراء قبة ميت ... كما طلبوا منها نتاج العقائم
فهم بين موم بالركوع لسيد ... وآخر يعنو وجهه للبهائم
ومن بين داع هاتف باسم شيخه ... يروم به نفعاً ودفع العظائم
يقرب للمقبور قربان ربنا ... ويجهد في تسليم نذر الكرائم
ويدفع عين الحاسدين بأعظم ... ويرجو لدى الحمى عقود التمائم
وقد طمست أعلام سنة أحمد ... وقد زاد سلطان الهوى والمآثم

---

(١) ديوانه : ٢٠ (نزهة الأبصار ج ٢ م ٥٨)

وقد طم أكناف البلاد وعمها فسوق وعصيان وهتك المحارم

عقوق وشرب واللواط مع الزنا وزور وقذف المحصنات النواعم

ولم تلق عن بادي المناكر ناهياً ولا آمراً بالعرف بين العوالم

فجرد عضب العزم إذ أوضح الهدى

بآيات حق للضلال صوارم

وقدَّ بها هام الغواية فانمحت قواعد زيغ محكمات الدعائم

سقى الله قبراً ضم أعظمه الذي حوى شرفاً من هاميات الغمائم

هتوناً برضوان وعفو ورحمة وأسكنه في الفردوس ياخير راحم

وأولِ الرضى عبد العزيز الذي احتمت

به بيضة الإسلام من كل ظالم

إمام كسا ظهر البسيطة عدلهُ مطارف أمن شاملات المعالم

فلو ضاع حلس في الفلا من مسالم

أتاه به من غاب ضاري الضراغم

فيرحل من أقصى تهامة راكب إلى الخط لا يخشى مكائد غاشم

عزيز جوار لم ينل جاره الردى وفي العهد تلقى خير واف ملازم

حليف التقى والعلم والفضل والندى

ويأبى المعالي بالقنا والصوارم

تساوى لديه ذو الغنى وابن فاقة لدى الحق أو حال المليك وخادم

غناءً أتى للمعتفين وكافلا لذي اليتم أو للمرملات وآيم

يغار على الإسلام عن أن يصيبه طوارق شر فهو أمنع عاصم

لياليه بالبر العميم بواسم وأيامهُ بالخير خيرُ مواسم

ففازت رعاياه بكل مسرة وعيش رغيد مترع بالغنائم

يحب أخا التقوى ويرفع شأنه ويبغض ذا الفحشا ورب الجرائم

إذا رمت أن تحظى لديه برفعة تقرب إليه بالتقى والمكارم

لقد عمر الدنيا وآثر غيرها ففاز بكلتا الضرتين البواسم

حريص على إعلاء أمر إلهنا بإظهار دين الأبطحي ابن هاشم

فأسرج للأعداء كل طمرة من الضمّر القلب العتاق العدائم

ورب جيوش كالسيول يقودها لها لجب كالرعد إثر الغمائم

وألبس أهل الشرك أثواب ذلة بأسر وقتل واكتساب الغنائم

إلى أن أباد الله كل معاند ومزق شمل الباطل المتراكم

وقد عاين الكفار نصر إلهنا

وفتحاً به قد جاءنا خير عالم

ورد جموع المشركين بغيظهم وما قط نالوا غير شر الهزائم

فآبوا لدين الله من بعد ما أبوا ودانوا به من بعد كفر مفاقم

وأعلن بالتوحيد كل موحد وطأطا له رأس الكفور المراغم

بعون إله العرش جل ثناؤه وتأييده تاج الملوك القماقم

سعود أدام الله أيام سعده وكان له الإقبال خير ملازم

إمام الهدى بحر الندى من سقى العدى

كؤوس الردى حتى اهتدى كل راغم

أخو همة يستصغر الخطب عندها وتعلو على هام السهى والنعائم

إذا نزل الأمر الفظيع رأيته نهوضاً بأعباه بهمة حازم

لقد علم الأعداء شدة بأسه   وكيف أذيقوا منه طعم العلاقم

فكم غادر الأعداء في كل منهل   معاش وحوش أو خماص الحوائم

وقد قذف الرحمن منه مهابة   بكل فؤاد من عدو مخاصم

يبيت المعادي منه يحرس نفسه   ولو لم يكن في قربه من مراوم

له عزمات تتقي الأسد بأسها   بها الله عنا زاح هول العظائم

وذو خلق يستعبد الحر حسنه   لطافته فاقت لطيف النسائم

إمام حوى مجداً وغر مناقب   فليس له في فضله من مزاحم

إذا رمت علماً فهو في العلم لجة   تدفق بالدر النفيس لناظم

وإن رمت جوداً فهو كالغيث للورى

إذا اختلفت أيدي السحاب الرواكم

ورأي سديد يستضاء بنوره   إذا عم أمر المعضلات الكوالم

وحلم رزين لا يجارى ببعضه   أليس محاكي الراسيات بواهم

صفوح عن الزلات مع فرط قدرة

وخذ صدق ما قد قلت عن خير عالم

ألست ترى ما كان من سوء فعلنا

من الصد والإعراض عن خير حاكم

وتفصيل أمر قد جنيناه واضح   شهير فأغنى عن إعادة ناظم

فارسل جيشاً سابق الرعب أهله   وقد أمه الفتح المبين لشائم

وقواده من كل أروع باسل   سري كريم الأصل ماضي العزائم

ومذ نزلوا حلوان والسعد أمهم   أقاموا حدود الله من كل ثالم

وقد حكموا في الناس شرع نبيهم
وقد طهروا البلدان من كل آثم

وألقى إليهم أمره ابن خليفة وعض لأمر غره كف نادم
فأولاه غفراناً وصفحاً إمامنا وناصحه في أخذه للكرائم
وعم على كل الرعية أمنهُ وعاملهم بالرفق في كل لازم
فيا ملكا دانت لدولته الورى وقيدت له غلب الأسود الضراغم
وطاع له عرب القبائل كلها وإنا لنرجوا الله طوع الأعاجم
هنيئاً لك الملك الذي أنت أهله ومانعه من سوء باغ وظالم
أعز بك الله الحنيفي دينه وأنت لشمل الدين أحسن ناظم
فشكراً لمولى قد حباك بفضله وخولك الحسنى برغم الخياشم
فأول رعاياك الضعاف رعاية وكن مانعاً عنهم مريد المظالم
وكف أكف الظالمين وكن بنا رفيقاً تنل أجراً بيوم التخاصم
ودمت سعيداً ما هما ودق مزنة وإياك وفقنا لحسن الخواتم
وهاك إمام المسلمين خريدة أتت من محب للإخاء ملازم
قوافٍ بديعات المعاني يزينها أنيق بيان كالرياض البواسم
على صفحات الدهر يبقى ثناؤها عليك وأنت الكفؤ يا ابن الأكارم
دعاني إلى ما قلت فيك مودة وصدق ولاء جاء من فرع هاشم
وما أملي إلا قبول فريدتي وإتحافها بالسمع عن قصد رائم
فلست أخا شعر أريد تكسباً بشعري فأحوي فيه نقد الدراهم
ولا زلت يا عين الزمان موفقاً لأمرك منقاداً جميع العوالم
وعشت طويلاً في سرور ونعمة وعز وإقبال ونصر مداوم

شعر

الشيخ احمد بن مشرف

هو الشيخ أحمد بن علي بن مشرف التميمي نسباً والأحسائي وطناً ، المالكي مذهباً ، والسلفي معتقداً . كان رحمه الله عالماً محدثاً فقيهاً ورعاً ناطقاً بالحق قوالا بالصدق ، لايخاف لومة لائم . وكان قاضي الأحساء في مدة ولاية الإمام فيصل بن تركي السعود ، وأول ولاية ابنه الإمام عبد الله رحمهما الله تعالى . وكان غاية في علم الأصول ، وصنف نسخاً عديدة ، ورسائل مفيدة ، ورد على من خالف معتقد السلف ردوداً شافية نظماً ونثراً . وأما الشعر فقد أجاد في جميع فنونه وأتى فيه من الغزل الرائق ، والمدح الفائق ، والفخر والحماسة ، بما يرتاح إلى سماعه ذوو الأذواق السليمة ، والنفوس الكريمة . أذكر إن شاء الله منها جملة ، تنبيك عن رسوخ قدمه في العلم والأدب . وبالله التوفيق . فمن ذلك ما مدح به الإمام فيصل بن تركي بن عبد الله السعود منهضاً له على جهاد الأعراب المفسدين وذلك في سنة ١٢٧٥ الف ومائتين وخمس وسبعين وهي قوله :

أشمس تجلت من خلال السحائب
أم البدر جلى حالكات الغياهب
أم انجابت الظلماء عن لمع بارق تلألأ من ثغر لإحدى الكواعب

نعم أقبلت سلمى فاشرق وجهها بصبح جمال تحت ليل الذوائب

فتاة تفوق الغانيات بحسنها كما فاق بدر التم زهر الكواكب

فما للمعنى لا يهيم بذكرها

وقد كان ذا جسم من الوجد شاحب

تناءت فزارت سحرة بعد هجعة وقد نام عنها كل واش مراقب

تنم برياها الصبا حين أقبلت تميس كغصن البان أو مثل شارب

فحيت بتسليم فأحسنت رده وقلت لها قول المحب المعاتب

صليت بنار الهجر أحشاء مولع فلم تطفها ماء العيون السواكب

فقالت ألم تعذر فكم حال بيننا من المهمه الزيزي وبعد السباسب

أنا في ربى نجد وأنت ببلدة أحاطت بها الأعداء من كل جانب

يغيرون في أطرافها وسروحها جهاراً ولا يخشون سوطاً لضارب

فكم قعدوا للمسلمين بمرصد وكم أفسدوا في سبلها بالنهائب

يقولون سيروا إن ظفرتم بنهبة

على رسلكم لا تحذروا درك طالب

وإن تسفكوا فيها الدماء فإنها لكم هدر لا تحذروا من معاقب

فياليت شعري هل سراة حماتها نيام فهم من بين لاه ولاعب

أم الحد منهم كل أم زندهم كبا أم القوم غروا بالأماني الكواذب

لقد كان تخشى بأسهم أسد الشرى

فصارت بهم تعدو صغار الثعالب

وأنى يحوط الملك إلا سميذع يخوض لظى الهيجاء ليس بهائب

له غيرة تحمي الرعايا كأنها حمية ضرغام جسور مواثب
فلا دين إلا بالجهاد قوامه ولا أمن إلا بعد سل القواضب
ولا ملك حتى تخضب البيض بالدمى
من الهام في أطرافها والجوانب
فسر لإمام المسلمين وقل له بنفسك أو بلغه مع كل راكب
وأنشده إن أحسست منه تثاقلا «إذا لم يسالمك الزمان فحارب»
ولا تحقر الخصم الضعيف لضعفه
فكم خرب الجرذي في سد مأرب
فقم واستعن بالله وانهض إلى العلى
فيكسب الثنا والأجر خير المكاسب
فكيف تنام العين منك عن العدى وقد أوقدوا للحرب نار الحباحب
ولا ترض إلا مقعد العز مقعدا على ظهر مهر للعنان مجاذب
ولا تستطب ظلاً سوى ظل قسطل وظل القنا الخطي بين الكتائب
وشن على الأعراب غارات محنق وأنهلهم صاب الردى بالمصائب
ومزق جماعات الضلال وحزبه
بريح سموم من لظى الحرب حاصب
وجر عليهم جحفلاً بعد جحفل وضيق عليهم أرضهم بالمقانب
جيوشاً تريهم ظلمة الليل بالضحى ولمع المواضي كالنجوم الثواقب
إلى أن يكون الدين لله كله وينقاد للإسلام كل محارب
ومن كان معوجاً فقومه بالظبى إذا لم يفد بذل الحبا والمواهب

فبالبيض مع سمر القنا تدرك المنى
وبالجود والإقدام نيل المطالب

بذلك تعطيك المعالى زمامها
وتسمو على أعلى الذرى والمراتب

وإن كره الناس الجهاد بداية
فآثاره محمودة في العواقب

وإثماره نصر وأجر ومفخر
وإن عميت عنه عيون الغياهب

فشمر بعزم للجهاد ولا تهن
فتدعو إلى سلم العدو المجانب

فإن أنت سالمت العدو مخافة
فأيسر ما تلقاه بول الثعالب

ولازم تقى الرحمن واسأله نصرة
يمدك من إسعافه بالعجائب

فإن التقى حصن حصين لأهله
ودرع يقي من حادثات النوائب

ودونك نظم ينهض الشهم للعلى
ويدعو إلى حسن الثنا والمناقب

بدا من أديب كالجمان قريضه
طبيب زمان عارف بالتجارب

إذا قال قولا أنشد الدهر شعره
وغنى به أهل الحجا والمناصب

وصلى إله العالمين مسلماً
على خاتم الرسل الكرام الأطايب

محمد الهادي إلى خير شرعة
به شرفت ابنا لؤي بن غالب

كذا الآل والاصحاب ما اهتزت القنا
وما انتدب الفرسان بين الكتائب

وفي سنة ١٢٥٠ ألف ومأتين وخمسين ، كان بين الامام تركي ، وبين آل خليفة حكام البحرين محاربة ، وارسل جيشاً بقيادة ابنه فيصل ، ونزل القطيف. فقدر الله ان مشاري بن عبد الرحمن آل سعود أزه الشيطان على قتل خاله الامام تركي المذكور بغيا وعدوانا ، فلما بلغه الخبر كر راجعاً إلى بلد الاحساء

وبايعه أهل الاحساء وعامة الجند والبادية ، وسار إلى بلد الرياض ومشاري بها ، فحاصره عدة أيام ثم ظفر به وقتله ومن معه . فقال الشيخ معزيا للامام فيصل رحمه الله مادحاً وناصحاً :

شكرت يديك يد المقل الأرمل   لنوالها الجم الغفير الأجزل

ولبست من تقوى الإله ملابساً   والدين أفضل حلية المتجمل

منن رقيت بها إلى فلك العلى   حتى قعدت على السماك الأعزل

وفتحت للدين الحنيفي أعيناً   وكفت سحائبها بدمع مسبل

ضحكت نواجذه وأصبح وجهه   بعد التعبس مشرقاً بتهلل

لما أقمت فروضه وحدوده   بحدود مرهفة وسمر ذبل

حللت أخلاط الردى فسما الهدى   وحللت عقدة كل خطب مشكل

ودعائماً أرسيتها بدعائم   للملك بعد تحرك وتزلزل

ما راعك الخطب الذي قد شابهت   أيامه ظلمات ليل أليل

لكن جليت ظلامه بلوامع   وببهم عزم كالشهاب المرسل

سيان حالك في المسرة والأسى   جلداً وذا شأن اللبيب الأكمل

ماجاش جاشك في الحوادث إذ دهت   في فتنة تغلي كغلي المرجل

أذكى الجهول ضرامها لسفاهة   كي يستضيء بنورها فبها صلي

قطع الذي أمر الإله بوصله   فلأجل ذا أسبابه لم توصل

وجنى على الاسلام شر جناية   وأقر عين أخي النفاق المبطل

فاحل منتهكا لحرمة مسلم   ملك فعوقب بالعقاب الأعجل

طلب العلو ببغيه وبظلمه جهلًا فرد إلى الحضيض الأسفل

ولأجل نصرة نفسه بذل القوى لكن من خذل المهيمن يخذل

حتى إذا ملك الخزائن واستوى

جهراً على القصر المشيد الأطول

ملأ الإله فؤاده وصحابه رعباً وصاح به القضاء ألا انزل

لاتحسب الملك القصور وما حوت

من آلة للحرب أو لتمول

بل مالك الملك الإله وإنه جعل الخلافة في الإمام الأعدل

جمع الإله له القلوب فأجمعت كل النفوس على إمامة فيصل

وانقاد كل المسلمين لأمره طوعاً وتلك مواهب المتفضل

حتى إذا حدق الخميس بمن بغى حنقاً وجدّ به الذي لم يهزل

عضّ على طرف البنان وقال من

فرط الأسى يا ليتني لم أفعل

فهناك أيقن أن أنجم سعده أفلت وطالع نحسه لم يأفل

وهناك أسامه الرجيم إلى البلى لما طغى وأطاع كل مضلل

في الظلم والعدوان والفعل الذي أضحى عن الشرع الشريف بمعزل

ودهاه ما صنع الإله لعبده من ذلك الفتح المبين الأعجل

ورأى التحصن مانعاً هيهات أن تغني الحصون عن القضاء المنزل

فأتاه بأس الله داخل حصنه مع ناصريه فلم يروا من موئل

فغدوا حصيداً للسيوف وللقنا صرعاء بين مجرح ومجندل

وسقي بما اسقت يداه حميمه كأساً أمر مذاقة من حنظل
واهاً لها من وقعة أبقت لنا عبراً لكل مفكر متأمل
تنبيك أن الظلم أشأم طائر والبغي أسرع صارع ومخذل
وتريك شؤم قطيعة القربى فمن يقطع حبال قريبه لم يمهل
فلقد بلغت من العدى يا فيصل أقصى مناك ونلت كل مؤمل
فاحمد إلهك إذ أنالك ملكه وحباك بالنصر العزيز الأجزل
وسقاك صفو الملك بعد كدورة
فنهلتنا من عذب ذاك المنهل
فاحفظ فواضله بواجب شكره إن الشكور لفي مزيد تفضل
وارع الرعية ما وليت أمورها بإقامة العدل السوي الأمثل
فالعدل تحكيم الشريعة في الورى حقاً فما عن عدلها من معدل
وسياسة الشرع الشريف هي التي جمعت لكل طريق عدل أسهل
فأقم بها عوج الأمور معالجاً فهي الدواء لكل داء معضل
واجعل بطانتك الخيار ذوي النهى
واحذر مخالطة السفيه الأرذل
كم دولة فسدت بآراء العدى إذ لاطفوا قاداتها بتحيل
فلرب ذي نصح يضن بنصحه ولرب آخر ناصح لم يعقل
فإذا هما اجتمعا لشخص واحد فاقبل جميع مقاله لا تهمل
وأسئ ظنونك بالزمان فإنه من فطنة اليقظ النبيه الأنبل
ما حسن ظن في الزمان وأهله إلا سجية أبله ومغفل
زمن به فقد الأمانة والوفا والصدق كالعنقاء غير محصل

وتوكلن على الاله فإنـه نعم الوكيل لعبده المتوكل
هذي نفائس فكرة قد صغتها ببديع نظم كالزلال السلسل
هجرية زفت إليك فعطرت نجداً بنفحة عنبر وقرنفل
لا زلت كهفـا للعفاة ومربعاً للوافـدين وللضيوف النزل
فاجعل جوائزها التجاوز والرضا صفحـاً وقابلهـا بحسن تقبل
ثم الصلاة على النبي محمـد والآل مع صحب هداة كمل

وقال مادحاً للامام فيصل أيضاً :

على الدوح ما غنى الحمام وغردا فجاوبهُ السدم المعنى وأسعدا
وهيج أشجانا تقادم عصرهـا وجدد منهـا دارسا فتجددا
وذكرني داراً لمية قد نـأت فبت لذكراهـا بليلة أرمدا
فتـاة كأن الشمس غرة وجههـا
ومن شعرهـا يبدو لك الليل أسودا
ويفضح غصن البان في الميد قدها ويحكي لك اللحظ الحسام المهندا
فـكم قتلت من عاشقيهـا بجـده
وكـم قد حمت من سلسل الثغر موردا
ولو أنها كانت بأرض قريبة لآب إليهـا صبها وتوددا
ولكنها بالصد والبعد قد نأت فلله مـا أقصى المزار وأبعـدا
فمن مسعدي من مبلغي لوصالها سوى ماجدقد حازفخراً وسؤددا
أخو همة في سالف العز قد علت فمن مثله في الفضل والبأس والندى؟
أبو المجـد وابن المجـد والمجـد أصله
حليف العلى من كان في الفضل أوحدا

إمام همام باسل باذخ العلى | له بسطة فضل وفضل على العدى
فأكرم به فرعاً سلالة مقرن | وآباؤه الغر الكرام أولو الهدى
لقد نصروا دين الإله وقوموا | من السنة الغراء ما قد تأودا
هو الأسد الضرغام والضيغم الذي | إذا ريم خسفا وجهه ظل أربدا
لقد أمن الله البلاد وأهلها | بوطأته الأعداء من كان ملحدا
وأصبح بالمعروف يأمر أهلها | وينهاهم عن سائر الظلم والردى
وانصف للمظلوم من كل ظالم | وللحق أضحى ناصراً ومؤيدا
أيا ملكا تاج الملوك حذاؤه | وهمته في الدهر تحكي مهندا
عليك بتقوى الله سراً وجهرة | ففيها جميع الخير حقا تأكدا
وخذ بيد المظلوم قد حق نصره | ولا تترك الباغي معيثا ومفسدا
وكن حافظاً لله فيما رعيته
وناصحهم بالفعل والقول جاهدا
لتجزى من الله الكريم بفضله | بمقعد صدق في الجنان مخلدا
كما حزت في الدنيا جميع فخارها
فحز فضل أخراها لتبقى مؤيدا
فتلك جميع المكرمات حويتها | فقدمت فخراً في المعالي مقلدا
وحق لمن حاز المروءة والسخا | وفي الحلم أضحى فائقا أن يسودا
إذا نظر الراجي سجاياه قال ذا | أبو دلف قد كان بالجود أجودا
فيا من سما هام المكارم والعلى | وأتهم في نيل المعالي وأنجدا
تعودت بسط الكف طوعاً وإنما | «لكل امرىء من دهره ما تعودا»

لقد أوجفت قصداً إليك مطيتي   واعملت نص اليعملات جواهدا

لأبلغ من جدواك ما قد رجوته   كما كنت للعافين مأوى وموردا

فكم كف عـني فيصل الجود من أذى

وكم نالـني من فيض معروفه ندى

جزاه إله العرش عـني بفضله   وبوأه في جنـة الخلد مقعدا

وأنت ابن تركي كنت ظـلًا وملجـأً

وغيثـاً عميماً في الشدائـد مرفدا

فلا زلت ألطاف الإله محفـة   بطلعتك الغرا ولا زلت منجدا

وصلى إله العـالمين مسلمـا   على خير مبعوث إلى الخلق بالهدى

محمد الهـادي الشفيع وآله   كذا الصحب ماغنى الحمام وغردا

وقد وردت من الأمير عائض ، صاحب عسير قصيدة تتضمن البشارة للإمام فيصل بانتصاره على العسكر المصري . وذكر فيهـا قائلها عـدة وقائع بينهم وبين الجند المصري وأولها :

أيا أم عبد مالك والتشرد   وممسراك في الليل البهيم لتبعدي

إلى أن قال :

فقل لمعـد لا تغر بسرحهـا   فتلقى كماة الحي جنبـا بموعد

بسمر العوالي والمواضي ودونها   ومبيض موضون الحديد المسرد

وأما إجازتك الدخول فحوملا   فصبحا فعرضا فالسراديح فاعتد

وسقها إلى نجد يؤمك ليلهـا   بنات لنعش والضحى فيه تهتدي

وإن خلأت يوما لشحط مزارها   فأبدل بهـا عينا بذات التعرد

ودعها من التهجير حتى إذا رأت ورودا بماء من صفار فأورد
وأشرف على وادي اليمامة قائلا ودمعك سفاح على الخد والثدي
سلام على عبد العزيز وشيخه وتابع رشد للإمام المجدد
دعا الناس دهراً للهدى فأجابه فـآم فمنهم عـالمون ومقتد
وقفـا هما حذواً سعود بسيفه يميز مجوّد النقود من الردي
وعرج بهـا ذات اليمين وقد هوت
على عرصـات للرياض بمقصد
ونادبأعلى الصوت بشرى لفيصل ومن نسل سادات الملوك مسدد
إليك نظامـاً نشره في وقائع على جحفل المصري قد شد باليد
فعشرون ألفاً من قضى الله منهم فما بين مقتول وعـار مجرد
ولم ينج منهم غير قواد قومهم على صافنات في قليل معود
كأن أنين الموقين ومن به جوارح رمي قاصفات لأعمد
أنين معيز زارها داؤها الذي باكبادها أضنى عليهـا ليعتدي
أو الساكني الأمصار قد حل فيهم
عقـاص فأصمـاهم على كل مرقد
أتاهم بهـا إذ غاب نجم مشعشع من الجو في مغرابه نحس أسعد
فكل الذي لاقوه يحسب دون ما تعكس من حزم الهمام المعمد
فقل لدليل القوم هـلا أفاده من العلم أن البغي قتـال معتد
ومهما أعادته الأمـاني لحربنا نصبنا لهم أمثالهـا بالتجدد
ويا قافلا إما ثنيت زمامهـا وأقبلت مـا أستدبرته للتعود

فسلم على الأحباب تسليم موجد ولاتنس جيران البجيري بالحد

وآخر قولي وابتدائي فيهم صلاة وتسليم على خير مرشد

وآل وصحب كلما قال منشد أيا أم عبد مالك والتشرد

فلما وصلت إلى بلد الرياض ، طلب الإمام فيصل رحمه الله من الشيخ أحمد بن مشرف الاجابة عليها فقال :

بشير سعاد جاء نحوك فاسعد وقد وعدت وصلاً فأوفت بموعد

لقد عرفت وقت المزار فأقبلت إليك وقد نامت عيونٌ لحسد

فجاءت تجر الذيل خشية قائف لمعرفة الآثار بالحدس يهتدي

يؤرج ترب الارض عرف عبيرها وتهدي لسمع الصب وسواس عسجد

أتتك سحيراً والنجوم كأنها دراري ترى في قبة من زبرجد

فلما حوتها عرصة الدار سلمت سلام حبيب زائر ذي تودد

فقر بليل الوصل عيناً فطالما تبيت لذكراها بليلة أرمد

فتاة يريك الصبح غرة وجهها ويبدو الدجى من شعرها المتجعد

ويخجل غصن البان إن هبت الصبا له سحراً من قدها المتميد

يريك ابتساماً لامع البرق ثغرها ويسفر عن شهد ودر منضد

وقد جمعت كل المحاسن جملة فلم يستطع تفصيلها من معدد

وفاقت جمالا كل هيفاء كاعب إذا ما مشت ما بين غيد وخرد

فعاصِ جميع العاذلين ولا تطع بها كل واش لائم أو مفند

فلو برزت يوماً لغيلان لم يهم بمي ولم يبد القريض لمنشد

ولو لمحت بالطرف طرفة ما بكى « لخولة أطلال ببرقة ثهمد »

لقد أصبحت في الغانيات فريدة كما انفرد الوالي بحزم وسؤدد

حليف المعالي فيصل ناصر الهدى مذيق العدى كأس الردى بالمهند

ترى الوفد والأضياف من حول قصره

عكوفاً كورد حوم حول مورد

فيصدر كل مدرك مايرومه من الفضل والجدوى ومن كل مقصد

يقضي ببذل المكرمات نهاره سماحاً ويحيي ليلهُ بالتهجد

لقد ساد أبناء الزمان وفاقهم بعفو وإقدام و كف له ندي

وميراث مجد ناله عن أئمة سموا للعلى حتى استوا وافوق فرقد

حنيفية في دينها حنفية فأنسابهم تعزى لأفخر محتد

هم نصروا التوحيد بالبيض والقنا

فنال المنى بالنصر كل موحد

وآووا إماماً قام لله داعياً يسمى بشيخ المسلمين محمد

لقد أوضح الإسلام عند اغترابه وقد جد في إخفائه كل ملحد

وجدد منهاج الشريعة إذ عفت فأكرم به من عالم ومجدد

وأحيا بدرس العلم دارس رسمها

كما قد أمات الشرك بالقول واليد

وكم شبهة للمشركين أزاحها بكل دليل كاشف للتردد

وألف في التوحيد أوجز نبذة

بها قد هدى الرحمن للحق من هدي

نصوصاً من القرآن تهدي من العمى
وكل حديث للأئمة مسند

فوازره عبد العزيز ورهطه　　على قلة منهم وعيش منكد
فما خاف في الرحمن لومة لائم　　ولم يثنه صولات باغ ومعتدي
وقفى سعود إثره طول عمره　　إلى حين ووري في الصفيح الملحد
وقد جاهدوا في الله أعداء دينه　　فما وهنوا للحرب أو لتهدد
وكم غارة شعواء شنوا على العدى　　وكم طارف منهم حووه ومتلد
وكم سنة أحيوا وكم بدعة نفوا　　وكم هدموا بنيان شرك مشيد
وقائعهم لا يحصر النظم عدها　　وإن تسأل السمار عن ذاك ترشد
وكم لهم من وقعة شاع صيتها　　بها أيد الرحمن سنة أحمد
وكم فتحوا من قرية ومدينة　　ودانت لهم بدو وسكان أبلد
وكم ملكوا ما بين ينبع بالقنا　　ومن بين جعلان إلى جنب مزبد
ومن عدن حتى تنيخ بأيلة
قلوصك من مبدى سهيل إلى الجدي
وقد طهروا تلك الديار وطردوا　　ذوي الشرك والإفساد كل مطرد
بأمر بمعروف ونهي عن الردى　　وبالصلوات الخمس للمتعبد
وقد هدموا الأوثان في كل قرية　　كما عمرت أيديهم كل مسجد
فكن ذاكراً فوق المنابر فخرهم　　وناد به في كل ناد ومشهد
تغمدهم رب العباد برحمة　　وأسكنهم روض النعيم المخلد
ولا تنس ذا الحي اليماني إنه　　لشيعة أهل الحق بالحق مقتد

قبائل من همدان أو من شنوءة
من الأزد أتباع الرئيس المسود
هم قد حموا للدين إذ فل عضده
وبدد منه الشمل كل مبدد
فهم فئة للمسلمين ومعقل وكهف منيع للشريد المطرد
سما للعلى حقاً علي ولم يزل يروح بأسباب الجهاد ويغتدي
وكم عسكر للمسرفين أباده بحد الظبى والسمهري المسدد
وصيرهم صنفين ما بين هالك وبين أسير في الحديد مصفد
وما زال يغزوهم ويرمي ديارهم
بفرسان حرب في الدلاص المسرد
وفتح المخا بالسيف للدين آية وزجر وإنذار لأهل التمرد
فلما تولى عاضنا الله عائضاً إماماً هماماً كالحسام المجرد
وما زال يحمي بالسيوف حمى الهدى
ويردي العدى في كل جمع ومحشد
ويهزم منهم عسكراً بعد عسكر ويضرب من هاماتهم كل قمحد
فلما أتى الأحزاب منهم وألبوا شفى النفس من أعداء دين محمد
فلا زال تأييد الإله يمده بنصر وإسعاف على كل مفسد
ودونكها بكراً عروساً زففتها إليك تهادى في حرير وعسجد
تجشمت الأخطار شوقاً ولم تهب وطيس هجير أو وغى ذي توقد
إليك من الأحساء زمت ركابها فكم جاوزت من فدفد بعد فدفد

فأحسن قراها بالقبول وبالرضى ودع أم عبد عنك ذات التشرد

وأحسن ما يحلو به الختم أننا نصلي دواماً في الرواح وفي الغد

على المصطفى والآل ماهبت الصبا وما أطرب السمار صوت المغرد

وقال أيضاً يمدح الامام فيصل رحمه الله تعالى في سنة ١٢٨٠ :

قل للمليحة في القميص الأحمر ماذا فعلت بعابد مستبصر ؟

ما زال يدأب في العبادة طالباً للعلم غير مفرط ومقصر

ترك الصبابة للصبا متسلياً عن ذكر كل غزالة أو جؤذر

حتى وضعتي عن محياك الغطا فانجاب عن بدر منير مقمر

فدهشت من ذاك الجمال وحسنه ووقفت وقفة والـع متحير

حسن به شغف الفؤاد وهاج لي شجناً فقل تجلدي وتصبري

سقتي إلى الجسم السقام وراءه من ذلك الطرف السقيم الأحور

سبحان من وهب المحاسن من يشا سبحانه من خالق ومصور

يا كاعباً تحمي بصارم أنفها من كل صاد ورد ماء الكوثر

شهد الرضاب وفيه خمر مسكر فالثم ولا حرج بذاك المسكر

كلمتها من بعد تكليم الحشا يا هند إن لم تسمحي لم أصبر

لا تتلفي بالصد مهجة مغرم فيصيب قومك سطوة من قسور

من فيصل ملك الجزيرة من سما للمجد حتى حل فوق المشتري

نصر الهدى وحوى الشجاعة والندى ليث وغيث للمقل المعسر

أضحى بخير أرومة لو رامها   ذو همة بتطاول لم يقدر
كفاه كف قد كفت أعداءه   والراحة الأخرى كمزن ممطر
أعراقه طابت فطاب فروعها   تعزى إذا نسبت لأطيب عنصر
من عصبة صبروا على نصر الهدى   وأذى العدى أكرم بهم من معشر
آووا إمام المسلمين محمداً   لما جفاه رئيس آل معمر
فدعا إلى التوحيد ضلال الورى   جهراً ولولا منعهم لم يجهر
وحموه من أعدائه بسيوفهم   مع ضعفهم وكفى بها من مفخر
ما هالهم جمع الخوالد إذ أتى   بمدافع في فيلق مع عرعر
بل صابروه بنية وبحسبة   حتى تولى كالجهام المدبر
وكذاك ما بالوا بتهديد أتى
من صاحب الحرم الشريف الحيدري
قاموا وما بالوا بلومة لائم   من مرجف ومخوف ومحذر
بل هدموا أو ثان شرك عظمت   ونهوا عن الأمر الشنيع المنكر
شنوا على أهل القرى غاراتهم   وعلى البوادي في الخلاء المقفر
حتى صفت لهم الجزيرة واجتنوا
للعز من ورق الحديد الأخضر
وبنوا مفاخر جمة مشهورة   شهد العدو بها ولما ينكر
ولقد حظي هذا الإمام ونسله   من ذاك بالحظ الوفي الأوفر
ما زال يقفو الاثر من أسلافه   بالنصر للشرع الأعز الأطهر
أفلا ترى أعلامه مشهورة   للغزو بين سرية أو عسكر
فيغير في غور البلاد ونجدها   فوق النجائب والجياد الضمر

حتـى أعزبـه المهيمن دينـه   وأذل كل معاند متجـبر
وانقادت الأعراب بعد عتوها   بالسمر والبيض الخفاف البتر
لا زال محفوظ الجناب مؤيدا   بالنصر والفتح المبين الأكبر
وعلى النبي وآلـه وصحـابه   أزكى صلاة مثل نفح العنبر
تترى مـدى الأيام ما هب الصبـا   سحراً عـلى الروض الأنيق المزهر

وقال رحمه الله تعالى مهنئاً للامام بظفره بوقعة الطبعة على العجـمان وذلك في سنة ١٢٧٧ :

لك الحمـد اللهم ياخير ناصر   لدين الهدى ما لاح نجم لناظر
وما انفلق الإصباح من مطلع الصبا   فجلى وجلى حالكات الدياجر
لك الحمـد ماهب النسيم من الصبـا   ومـا انهل ودق المعصرات المواطر
عـلى الفتح والنصر العزيز الذي سمـا   فقرت بـه منـا جميع النواظر
وإظهار دين قد وعدت ظهوره   على الدين طراً في جميع الجزائر
وعدت فأنجزت الوعود ولم تزل   معزاً لأرباب التقى والبصائر
لك الحمد مولانا على نصر حزبنا   على كل باغ في البـلاد وفاجر
ومن بعد حمد الله جل ثناؤه   على نعم لم يحصها عـد حاصر
نقول لأعداء بنا قد تربصوا   عليكم أديرت سيئات الدوائر
ألم تنظروا ما أوقـع الله ربنا   بعجمانكم أهل الجـدود العواثر
بأول هـذا العـام ثم بعجزه   بأيام شهر الصوم إحدى الفواقر

هم بدلوا النعماء كفراً وجاهروا
بظلم وعدوان وفعل الكبائر

فكم نعمة نالوا وعز ورفعة ... على كل باد في الفلاة وحاضر
إذا وردوا الأحساء يرعون خصبها ... وفي برها نبت الرياض الزواهر
وكم أحسن الوالي إليهم ببذله ... وبالصفح عنهم في السنين الغوابر
وكم نعمة أسدى لهم بعد نعمة ... ولكنه أسدى إلى غير شاكر

« ومن يصنع المعروف في غير أهله
يلاق كما لاقى مجير ام عامر »

لقد بطروا بالمال والعز فاجترؤا ... على حرمة الوالي بفعل المناكر
فمدوا يد الآمال للملك واقتفوا ... لكل خبيث ناكث العهد غادر
وأبدوا لأهل الضغن ما في نفوسهم ... من الحقد والبغضا وخبث السرائر

هموا حاولوا الأحسا ومن دون نيلها
زوال الطلى ضرباً وقطع الحناجر

فعاجلهم عزم الإمام بفيلق ... رماهم به مثل الليوث الخوادر
وقدم فيهم نجله يخفق اللوا ... عليه وفي يمناه أيمن طائر
فأقبل من نجد بخيل سوابق ... ترى الأكم منها سجداً للحوافر
فوافق في الوفرى جموعاً توافرت ... من البدو أمثال البحار الزواخر
سبيعاً وجيشاً من مطير عرمرماً ... ومن آل قحطان جموع الهواجر
ولا تنس جمع الخالدين فإنهم ... قبائل شتى من عقيل وعامر
فسار بموار من الجيش أظلمت ... له الأفق من نقع هنالك ثائر
فصبح أصحاب المفاسد جهرة ... بسمر القنا والمرهفات البواتر

بكاظمة حيث التقى جيش خالد بهرمز نقلٌ جاءنا بالتواتر

فلما أتى الجهراء ضاقت بجيشه وجالت بها الفرسان بين العساكر

فولى العدى الأدبار إذ عاينوا الردى

بطعن وضرب بالظبى والخناجر

فما اعتصموا إلا بلجة مزبد من البحر يعلو موجه غير جازر

فغادرهم في البحر للحوت مطعماً وقتلى لسرحان ونمر وطائر

تفاءلت بالجبران والعز إذ أتى بشيراً لنا عبد العزيز بن جابر

فواهاً لها من وقعة عبقرية تشيب لرؤياها نواصي الأصاغر

بها يسمر الساري إذا جد في السرى

ويخطب من يعلو رؤوس المنابر

نفوه بمدح للامام ونجله ومعشره أهل العلى والمفاخر

كفاه من المجد المؤثل ما انتمى إليه من العليا وطيب العناصر

فشكراً إمام المسلمين لما جرى وهل تثبت النعماء إلا لشاكر

فهنيت بالعيدين بالفتح قبله وعيد كمال الصوم إحدى الشعائر

وشكر الأيادي بالتواصي وبالتقى

بترك المناهي وامتثال الأوامر

صبرت فنلت النصر بالصبر والمنى

« وما انقادت الآمال إلا لصابر »

فدونك من أصداف بحري لآلئاً إلى نظمها لا يهتدي كل شاعر

وبكراً عروساً أبرزت من خبائها شبيهة غزلان اللواء النوافر

إلى حسنها يصبو وينشد ذو الحجا لك الخير حدثني بظبية عامر

وأختم نظمي بالصلاة مسلماً ... على من إليه الحكم عند التشاجر
محمد المختار والآل بعده ... وأصحابه الغر الكرام الأكابر
مدى الدهر والأزمان ماقال قائل ... لك الحمد اللهم ياخير ناصر

وقال مادحاً الامام عبد الله بن فيصل بعد وفاة والده رحمه الله. وذلك سنة ١٢٨٣

أتقبل عذر الصب أم أنت عاذله ... بذكر حبيب منه شطت منازلهُ؟
غزال حوى كل المحاسن والبها ... يغازلني بعد العشا وأغازله
غزال كأن الشمس غرة وجهه ... فأنى يبين البدر حين تقابله
نأت فنأى عن صبها كل عاذل ... فياليتنا تدنو وتدنو عواذله
فمن لعذول لا يزال بجهله ... يجادلني في حبها وأجادله
وما أنا إلا كالفتى في عقاله ... فلا أثر تبديه فيه عوامله
وقد أصبحت سلمى بأبعد شقة ... يكل بها كوم المطي وهازله
تميمية حلت بتيما ودونها ... من الجبل الطائي قفار وحائله
فعن مثلها فاثن العنان ميمماً ... مليكاً كريماً لم يخب قط سائله
إله السما والارض فاسأله راغبا ... تنل كلما ترجو وما أنت آمله
فنشكوا إلى الله الزمان الذي استوى ... لدى أهله قس الكلام وباقله
به اندرست كل العلوم وأقفرت ... فانكر فضل العلم بالعلم جاهله
وقائلة أقصر فما بعد فيصل ... لذي أدب حظ فماذا تحاوله؟
أترغب في نظم القريض وجسمهُ ... موارى بقبر غيبته جنادله؟

فقلت دعيني إن يكن مات فيصل ... نخـالقهُ حيٌّ ومـا مات نائله

فقد ورث المجد المؤثل والندى ... لنجل زكت أخلاقه وشمائله

أبو النجم عبد الله حـامي حمى الهدى ... بغرته بشرى الندى ومخـائـله

بنجد حشى المال الجزيل تبرعاً ... فعـاشت به أيتـامه وأرامله

وكم غارة شعواء شنَّ على العدى ... وكم فارس منهم نعته حلائله

فأثخن حربا بالحروب فسالمت ... ودانت له نجد وذلت قبـائله

ومن دم سراق الحجيج عتيبـة ... سقى البيض حتى انهل الرمح حامله

وقائع سل عنها الحجاز وأهله ... ونجداً ومن بالبحر ينبيك ساحله

جهاداً ودرءاً للفسـاد ونية ... وسعيـاً به يرجو المثوبة فاعله

تولى فلم يرض المكوس لدينه ... عفافا ومن يعفف تعف عوامله

ولما نمى الركبان أخبار عدله ... إلينا وشاعت في البلاد فضائله

بعثنـا له در القريض بمدحه ... وخير الثنا ما لا يكذب قائله

فـأبلغه تسليما إذا فض ختمه ... تأرج من أرض الرياض معاقله

فيا أيها الوالي نصرت على العدى ... وسددت في الأمر الذي أنت فاعله

حنانيك لا تسمع بناقول كاشح ... ولا حاسد تغلي علينا مراجله

ولا تصغ للنمام سمعك إنمـا ... يجيء به الإفساد والإثم حاصله

وما هو إلا فاسق أو منافق ... يريك صريح النصح والغش داخله

ولا يدخل النمام في الحشر جنة ... حديثا عن المختار يرويه ناقله

وأكرم بني الشيخ الرئيس الذي نهى
عن الشرك لما شاع في الأرض باطله

وألف في التوحيد تأليفه الذي شجت في قلوب المشركين دلائله
كذا عابد الرحمن أعني حفيده بنور الهدى يهدي فمن ذا يعادله؟
ينافح عن دين الهدى كل مبطل فيبطل تمويهاته ويناضله
وعبد اللطيف الحبر لاتنس فضله إمام هدى بالعلم تزهو محافله
فمن رام خذلانا لهم وتنقصا لقدرهم بالبغي فالله خاذله
ودونك نظماً كالزلال عذوبة صفت للعطاش الواردين مناهله
وكل امرىء يهدي على قدر وسعه فدونك ما نهدي فهل أنت قابله؟
وختمي صلاة الله ثم سلامه على من به الإرسال عمت رسائله
محمد المبعوث من آل هاشم
كذا الصحب ما غنت بروض بلابله

وقال رحمه الله رادا على من يفعل التذكير قبل آذان الصبح ، لأن ذلك بدعة لم يرد به كتاب ولا سنة ، ويذكر غربة الدين ويحض على اتباع سنة سيد المرسلين :

أراك بذكر الهجر تهذي وتطنب وتبكي على أطلال سلمى وتندب
وتستوقف الركب المجدين في السرى
على دارس الأطلال والدمع يسكب
تذكرت لما أن أهاج لك الهوى دياراً تعفيها جنوب وهيدب
فأضحت رسوماً باليات كأنها
من الدرس خط في الصحائف يكتب

محا رسمها هوج الرياح وهامع من المزن سحاً ودقه يتحلب
فلم يبق إلا موقد النار للقرى وموضع أطناب الخبا حين يضرب
كأن لم يكن فيها أنيس ولم تكن بها الكاعب الحسناء للذيل تسحب
ولم تسرح الأنعام بين مروجها ولم يلتق الحيان بكر وتغلب
تسائل عن إلف نأى كل راكب وما صاحب الأشجان إلا معذب
لريح الصبا تصبو وتعروك هزة إذا ذكرت سعدى لديك وزينب
وتعجب مني إن عذلتك في الهوى
وعشقك بعد الشيب في النفس أعجب
لئن كنت في دار عن الإلف نازحاً
غريباً فدين الله في الأرض أغرب
وإن ذوي الايمان والعلم والنهى هم الغربا طوبى لهم ما تغربوا
وقيل هم النزاع في كل قرية على حربهم أهل الضلال تحزبوا
ولكن لهم فيها الظهور على العدى وإن كثروا أعداؤهم وتألبوا
وكم أصلحوا ما أفسد الناس بالهوى
من السنة الغرا فطابوا وطيبوا
وقد حذر المختار من كل بدعة وقام بذا فوق المنابر يخطب
فقال عليكم باتباعي وسنتي فعضوا عليها بالنواجذ وارغبوا
وإياكم والابتداع فانه ضلال وفي نار الجحيم يكبكب
فدوموا على منهاج سنة أحمد
لكي تردوا حوض الرسول وتشربوا
فإن له حوضاً هنيا شرابهُ من الدر أنقى في البياض وأعذب

له يرد السني من حزب أحمد　　وعنه ينحى محدث ومكذب
وكم حدثت بعد الرسول حوادث　　يكاد لها نور الشريعة يسلب
وكم بدعة شنعاء دان بها الورى　　وكم سنة مهجورة تتجنب
لذا أصبح المعروف في الأرض منكرا
　　وذو النكر معروف لديهم محبب
وليس اغتراب الدين إلا كما ترى　　فسل عنه ينبيك الخبير المجرب
وقد صح أن العلم تعفو رسومه　　ويفشو الزنا والجهل والخمر يشرب
وتلك أمارات يدل ظهورها　　على أن أهوال القيامة أقرب
فسل فاعل التذكير عند أذانه　　أهذا هدى أم أنت بالدين تلعب؟
وهل سن هذا المصطفى في زمانه　　أو الخلفا أو بعض من كان يصحب؟
وهل سنه من كان للصحب تابعا　　إذا قام للتأذين يوما يثوب؟
وهل قاله النعمان أو قال مالك　　به أو رواه الشافعي وأشهب؟
وهل قاله سفيان أو كان أحمد　　إليه إذا نادى المؤذن يذهب؟
أقيموا لنا فيه الدليل فاننا　　نميل إلى الانصاف والحق نطلب
فخير الأمور السالفات على الهدى　　وشر الأمور المحدثات فجنبوا
وما العلم إلا من كتاب وسنة　　وغيرهما جهل صريح مركب
فخذ بهما والعلم فاطلبه منهما　　ودع عنك جهالا عن الحق أضربوا
خفافيش أعشاها النهار بضوئه　　فوافقها من ظلمة الليل غيهب
فظلت تحاكي الطير في ظلمة الدجى
　　وإن لاح ضوء الصبح للعش تهرب
نخذ إن طلبت العلم من كل عالم　　تراه بآداب الهدى يتأدب

لاهل السرى تهدي نجوم علومه وترمي العدى من شهبها حين تثقب

فلازمه واستصبح بمصباح علمه لتخلص من جسر على النار يضرب

وقاتل بسيف الوحي كل معاند فليس له من نبوة حين تضرب

وإياك والدنيا الدنية إنها لغرارة تعطي القليل وتسلب

فذو الجهل مغرور بزور جمالها وذو العلم فيها خائف يترقب

فدعها وسل النفس عنها بجنة بها كل ما تهوى النفوس وتطلب

مساكنها صافي اللجين وعسجد وتربتها من أذفر المسك أطيب

وكم كاعب حسناء في الخلد نعمت

يزوجها من كان للأجر يكسب

فسارع لما يرضي الإله بفعله ودع كل شيء كان لله يغضب

وما المرء بعد الموت إلا منعم بروح وريحان وإلا معذب

ودونك من در القريض قصيدة تكاد لها الحذاق بالتبر تكتب

أتتك من الأحساء ترفل في الحلى وتختال في برد الشباب وتعجب

بها ينشط الساري إذا جد في السرى

ويصبو لها الصب المعنى ويطرب

بدت من بصير بالقوافي يصوغها وينظم منها درها حين يثقب

تغطى بأثواب الخمول عن الورى

إلى أن يرى كفءاً له الدر يجلب

وختم نظامي بالصلاة مسلماً مدى الدهر مادامت معد ويعرب

على خاتم الرسل الكرام محمد به طاب ختم الأنبياء وطيبوا

كذا الآل والصحب الألى بجهادهم
أضاء بدين الله شرق ومغرب

وله رحمه الله يرثي العلم وأهله ، ويحض على طلبه والرحلة له ، ويذم الجهل والاتصاف به :

على العلم نبكي إذ قد اندرس العلم ... ولم يبق فينا منه روح ولا جسم
ولكن بقي رسم من العلم داثر ... وعما قليل سوف ينطمس الرسم
فآن لعين أن تفيض دموعها ... وآن لقلب أن يصدعهُ الهم
فإن بفقد العلم شراً وفتنة ... وتضييع دين أمره واجب حتم
وما سائر الأعمال إلا ضلالة ... إذا لم يكن للعالمين بها علم
وما الناس دون العلم إلا بظلمة ... من الجهل لا مصباح فيها ولا نجم
فعار على المرء الذي تم عقله ... وقد أملت فيه المروءة والحزم
إذا قيل ماذا أوجب الله يا فتى ... أجاب بلا أدري وأنى لي العلم؟
وأقبح من ذا لو أجاب سؤاله ... بجهل فإن الجهل مورده وخم
فكيف إذا ما البحث من بين أهله ... جرى وهو بين القوم ليس له سهم
تدور بهم عيناه ليس بناطق ... فغير حري أن يرى فاضلا فدم
وما العلم إلا كالحياة إذا سرت ... بجسم حيا والموت من فاته العلم
وكم في كتاب الله من مدحة له ... يكاد بها ذو العلم فوق السهى يسمو
وكم خبر في فضله صح مسنداً ... جميعاً وينفي الجهل من قبحه الفدم
كفى شرفاً للعلم دعوى الورى له ... عن المصطفى فاسأل به من له علم

فلست بمحصٍ فضله إن ذكرته فقد كل عن إحصائه النثر والنظم
فيا رافع الدنيا على العلم غفلة حكمت فلم تنصف ولم يصب الحكم
أترفع دنيا لا تساوي بأسرها جناح بعوض عند ذي العرش يافدم
وتؤثر أصناف الحطام على الذي به العز في الدارين والملك والحكم
وترغب عن إرث النبيين كلهم وترغب في ميراث من شأنه الظلم
وتزعم جهلًا ان بيعك رابح فهيهات لم تربح ولم يصدق الزعم
ألم تعتبر بالسابقين فحالهم تدل على أن الأجل هو العلم
فكم قد مضى من مترف متكبر ومن ملك دانت له العرب والعجم
فبادوا فلم تسمع لهم قط ذا كراً وإن ذكروا يوماً فذكرهم الذم
وكم عالم ذي فاقة ورثاثة ولكنه قد زانه الزهد والعلم
حيا ما حيا في طيب عيش ومذ قضى بقي ذكره في الناس إذ فقد الجسم
فكن طالباً للعلم حق طلابه مدى العمر لايوهنك عن ذلك السأم
وهاجر له في أي أرض وإن نأت عليك بإعمال المطي له حتم
وأنفق جميع العمر فيه فمن يمت له طالبا نال الشهادة لا هضم
فإن نلته فليهنك العلم إنه هو الغاية العلياء واللذة الجم
فلله كم تفتض من بكر حكمة وكم درة تحظى بها وصفها اليتم
وكم كاعب حسناء تكشف خدرها فيسفر عن وجه به يبرأ السقم

فتلك التي تهوى ظفرت بوصلها ... وقد طالما في حبها نحت الجسم

فعانق وقبل وارتشف من رضابها ... فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

فجالس رواة العلم واسمع كلامهم

فكم كلم منهم به يبرأ الكلم

وان أمروا فاسمع لهم وأطع فهم

أولو الأمر لا من شأنه الفتك والظلم

مجالسهم مثل الرياض أنيقة ... لقد طاب منها الريح واللون والطعم

أتعتاض عن تلك الرياض وطيبها ... مجالس دنيا حشوها الزور والإثم؟

فما هي إلا كالمزابل موضعاً ... لكل أذى لا يستطاع له شم

فدر حول قال الله قال رسوله ... وأصحابه أيضاً فهذا هو العلم

وما العلم آراء الرجال وظنهم ... ألم تر أن الظن من بعضه الإثم

وكن تابعاً خير القرون وممسكاً ... بآثارهم في الدين هذا هو الحزم

وأفضلهم صحب النبي محمد ... فلولاهم لم يحفظ الدين والعلم

ولولاهم كان الورى في ضلالة ... ولكن كلاً منهم للهدى نجم

فآمن كإيمان الصحابة وارضه ... فمنهاجهم فيه السلامة والغنم

وإياك أن تزور عنه إلى الهوى ... ومحدث أمر ماله في الهدى سهم

فإيماننا قول وفعل ونية ... فيزداد بالتقوى وينقصه الإثم

فنؤمن أن الله لا رب غيره

له الملك في الدارين والأمر والحكم

فليس له ولدٌ ولا والدٌ ولا ... شريك ولا يعروه نقص ولا وصم

إلهٌ قديم أولٌ لا بداية ... له وهو الباقي فليس له حسم

سميع بصير قادر متكلم مريد وحي لا يموت له العلم

وإيماننا بالاستواء استوائه تعالى على عرش السما واجب حتم

فأثبته للرحمن غير مكيف له وتعالى أن يحيط به العلم

ومن حرّف النص الصريح مؤولا فقد زاغ بل قد فاته الحق والحزم

وما الحزم إلا أن تمر صفاته كما ثبتت لا يعتريك بها وهم

قراءتها تفسيرها عند من نجا فدع عنك ماقد قاله الجعد والجهم

وإن جنان الخلد تبقى ومن بها وليس لما فيها انقطاع ولا حسم

ورؤية سكان الجنان لربهم تبارك حق ليس فيها لهم وهم

كرؤيتهم للبدر ليل تمامه

أو الشمس صحواً لا سحاب ولا قتم

فيا رب فاجعلني لوجهك ناظراً غداً فاخراً فيما به ينعم الجسم

وإن ورود الحوض حوض محمد لأمته حق به يجب الجزم

فما اللبن الزاكي يضاهي بياضه

وما العسل الصافي مع اللبن الطعم

ولكنه أنقى بياضاً وطعمه من الكل أحلى والعبير له ختم

وكيزانه مثل النجوم لنورها وكثرتها جداً فهل يحسب النجم

عليه نبي الله يدرأ كل من أتى من سوى اتباعه ولهم وسم

فأمته تأتيه كل محجل أغر وأما من سواهم فهم دهم

وعنه رجال مسلمون تذودهم ملائك لما بدلوا فبدا الجرم

فيا رب هب لي شربةً من زلاله

ومن يغترف من ذلك الحوض لا يظم

وإن عذاب النار حق أعاذنا إله الورى منها فتعذيبها غرم

أعدت لأهل الكفر دار إقامة إذا نضجت أجسادهم بدل الجسم

ولم يبق فيها من توفي موحداً بإجرامه حتى ولو عظم الجرم

وإن لخير المرسلين شفاعة بها المصطفى من بين أقرانه يسمو

فيشفع فيهم وهو خير مشفع فينزل من رب الورى لهم الحكم

فما ظالم إلا ويجزى بظلمه وما محسن إلا يوفى ولا هضم

فشفعه اللهم فينا بموتنا على ملة الإسلام يامن له الحكم

وصلى إله العالمين مسلماً على من به للأنبياء جرى الختم

كذا الآل والأصحاب ما قال قائل

على العلم نبكي إذ قد اندرس العلم

وقال رحمه الله تعالى لما قضى الله على أهل الدرعية وذلك سنه ١٢٣٣ :

أليل غشى الدنيا أم الأفق مسود أم الفتنة الظلماء قد أقبلت تعدو؟

أم السرج النجدية الزهر أطفئت فأظلمت الآفاق إذ أظلمت نجد

نعم كورت شمس الهدى وبدا الردى

وضعضع ركن للهدى فهو منهد

لدن حل بالسمحاء خطب فأوحشت

مساكنها وازور عيش بها رغد

تفرق أهلوها وسل على الهدى سيوف على هامات أنصاره تشدو

وفل حسام الدين بل ثل عرشه لدن غاب عن آفاقه الطالع السعد

بأيدي غواة مفسدين لقد عثوا وجاسوا خلال الدار وانتثر العقد

قضاء من الرحمن جار بحكمه ... ولله من قبل الأمور ومن بعد

فآه لها من وقعة طار ذكرها ... وكادت تميد الراسيات وتنهد

وفاضت دموع كالعقيق لما جرى ... وكادت لعظم الخطب تنصدع الكبد

وقد اقذع البصري في ذم شيخنا ... وأنصاره تباً لما قاله الوغد

أيهجو إماما هادياً أرشد الورى ... إلى منهج التوحيد فاتضح الرشد

وبصرهم نهج المحجة فاهتدوا ... وآبوا إلى الإسلام من بعد أن صدوا

سقى روحه الرحمن وابل رحمة ... وعم هتون العفو من ضمه اللحد

وأبناؤه الغر الكرام قد اقتفوا ... محجته المثلى وفي نصرها جدوا

فكانوا إلى التوحيد يدعون دأبهم ... فكم قد أفادوا من يروح ومن يغدو

وكم سنة أحيوا وكم بدعة نفوا ... وكم شبهة جلوا وأبوابها سدوا

وكم فتنة جلت فجلوا ظلامها ... بنور الهدى حتى استبان لنا الرشد

ومهما ذكرت الحي من آل مقرن ... تهلل وجه الفخر وابتسم المجد

هم نصروا الإسلام بالبيض والقنا ... فهم للعدى حتف وهم للهدى جند

غطارفة ما إن ينال فخارهم ... ومعشر صدق فيهم الجد والجد

وهم أبحر في الجود إن ذكر الندى ... وإن اشعلت نار الوغى فهم الأسد

فكم مسجد قد اسسوه على التقى ... وكم مشهد للشرك بنيانه هدوا

بهم أمن الله البلاد وأهلها ... فهم دون ما يخشونه الردم والسد

ولما مضت تلك العصابة لم يقم ... بعدلهم من ضمه الشام والهند

ولكن فشى فيها الخنى وبدا الزنا ... فلم تنكر الفحشا ولم يقم الحد

وكم فتنة عمت وكم طل من دم ... حرام وكم ضلت عصائب وارتدوا

وكم قطع السبل البوادي وأفسدوا
فصاروا بها مثل الذئاب التي تعدو

فإن كان هذا عنده الدين والهدى   فقد فتحت للدين أعينه الرمد
فشكراً بني الإسلام قد رد ربنا   لكم كرة من بعد ما يئس اللد
وأقسم قوم أنها دولة مضت   وليس لما قد فات عود ولا رد
وقلنا لهم نصر الإله لحزبه   به جاء في القرآن والسنة الوعد
فعادت كما كانت بفيصل رحمة   من الله مولانا له الشكر والحمد
فهذا إمام المسلمين مؤيدا   له النصر والإقبال والحل والعقد
علينا دعاء الله سراً وجهرة   له وله منا النصيحة والود
وصلى إله العالمين مسلماً   على المصطفى ماحن في سحبه الرعد
كذا آله الغر الكرام وصحبه   ومن لم يزل يقفو طريقهم بعد

وقال رحمه الله تعالى سنة ١٢٨٢، يرثي إمام المسلمين، وحامي الملة والدين، الملك القمقام، والبطل المقدام، أبو الأيتام والمساكين، ومن لا تأخذه لومة لائم في رضى رب العالمين. الإمام فيصل بن تركي السعود. تغمده الله برحمته وأدخله فسيح جنته آمين.

على فيصل بحر الندى والمكارم   بكينا بدمع مثل صوب الغمائم
إمام نفى أهل الضلالة والخنا   بسمر القنا والمرهفات الصوارم
فكم فل من جمع لهم جاء صائلا
وأفنى رؤوساً منهم بالملاحم
يجر عليهم جحفلاً بعد جحفل   ويرميهم في حربه بالقواصم

فما زال هذا دأبه في جهادهم تغير بنجد خيله والتهائم
إلى أن أقيم الدين في كل قرية وأصبح عرش الملك عالي الدعائم
وأخلى القرى من كل شرك وبدعة
وما زال ينهى عن ركوب المحارم
ويعطي جزيل المال محتقراً له سماحاً ويعفو عن كثير الجرائم
مناقب جود قد حواها جبلة فحاز الثنا من عربها والأعاجم
تغمده المولى الكريم برحمة وأسكنه الفردوس مع كل نائم
فلا جزع مما قضى الله فاصطبر وإلا ستسلوه سلو البهائم
فلما تولى خلف الله بعده لنجل خليق بالإمامة حازم
فقام بعون الله بالأمر سائسا رعيته مستيقظاً غير نائم
وشابه في الأخلاق والده الذي فشا ذكره بالخير بين العوالم
وقرب أهل الفضل والعلم والنهى وجانب أتباع الهوى غير نادم
ومن يستشر في أمره كل ناصح لبيب يكن فيما جرى غير نادم
على يده جل الفتوح تتابعت
فساوى القرى في الأمن مرعى السوائم
وأسلمت الأعراب كرهاً وجانبوا
حضوراً لدى الطاغوت عند التحاكم
فذكرنا عبد العزيز وشيخه وما كان في تلك الليالي القوادم
فلا زال منصور اللواء مؤيداً على كل باغ معتد ومخاصم
فدونك أبيات حوت كل مدحة
فأضحت كمثل الدر في سلك ناظم

ونهدي صلاة الله خالقنا على نبي عظيم القدر للرسل خاتم

محمد الهادي وأصحابه الألى حموا دينه بالمرهفات الصوارم

كذا آله الأطهار ذي الفضل ما سرى

نسيم الصبا وانهل صوب الغمائم

وفي سنة الف ومائتين وإحدى وعشرين توفي عثمان بن منصور ، وأتوا بكتبه إلى الرياض ، فلما وقفوا عليها وجدوا فيها أوراقاً نظماً ونثراً ، مضمونها الرد على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وكان في مدة حياته يتهم بذلك بغير تحقيق . فلما وقف المشايخ رحمهم الله عليها ردوا عليه ردودا شافية . منهم الشيخ عبد الرحمن بن حسن ، وابنه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، فأجابا بردود شافية أبطلا فيها تمويهاته ، وردا شبهاته بدلائل لائحة ، وحجج واضحة . ثم إن الشيخ عبد الرحمن بن حسن طلب من الشيخ أحمد بن مشرف رحمه الله أن يرد عليه فرد عليه بقوله :

وقفت على نظم لبعض بني العصر تضمن أقوالا بقائلها تزري

دليك قواف صاغها فتكسرت

وحاصلها كالعجل مستوجب الكسر

تخير حرف الراء عجزاً وإنما

يعدون حرف الراء عير أولي الشعر

عيوباً كساها زخرف القول خادعاً

فأضحت بحمد الله مكشوفة الستر

بها شبهٌ للجاهلين مضلة أكاذيب لا تخفى على كل ذي حجر

تصدى لها حبر الزمان ونجله فردًا وهدًا ما بناه من القعر

وقد بينا للناس ما في كلامه
من الزيف والإفراط والحيف والنكر

بأوضح برهان وأقوم حجة لها قرر الشيخان بالنظم والنثر

جزى الله عنا شيخنا في صنيعهِ فكم قد شفى بالرد والسد للثغر

إذا مبطل أجرى من الجهل جدولا أتاه بتيار من العلم كالبحر

فجلى ظلام الشك والجهل والعمى بنور هدى يجلي الغياهب كالفجر

لئن كان أهل العلم كالشهب في السما
فعالمنا بين الكواكب كالبدر

فما لابن منصور رأى هجو قومه صواباً فأزرى بالقريب وبالصهر

وأثنى على قوم طغام بكونهم بنوا في القرى تلك المساجد المذكر

كأن لم تكن تتلى عليه براءة ولم يتل فيها إنما سائر العمر

ولم ينظر الشرك الذي فيهم فشا فكم قبة قد شيدوها على قبر

وطافوا عليها خاضعين تقرباً إلى ذلك المقبور بالذبح والنذر

وكم سألوا الأموات كشف كروبهم
ولا سيما في الفلك في لجج البحر

فزادوا على شرك الأوائل إذ دعوا سوى الله في حال الرخاء وفي العسر

وتخريجه للمسلمين مشبها لهم بالحروريين بالبغي والفجر

فياليت شعري هل تجاهل أوغوى
فشتان ما بين الهداية والكفر

ولكنه أبدى موافقة العدى ليثني عليه الخصم في ذلك القطر

فهبه كمن أغوى الشياطين في الفلا فأصبح حيراناً بيهمهة قفر

وأصحابه يدعونه للهدى ائتنا ولا داء أدعى للعناد من السكر

فسبحان من أعمى عيوناً عن الهدى

وقد أبصرت والسمع ما فيه من وقر

ومن ينكر الشمس المنيرة في الضحى

إذا لم يكن غيم وفي ساعة الظهر

ورب فتى مستصرخ صاح نادباً لنا فأجبنا الصوت بشراك بالنصر

أتتك لنصر الدين منا كتائب تجر العوالي في المهندة البتر

وكم طاعن في ديننا ومثلب رميناه إذ هاجى بقاصمة الظهر

نسل المواضي في الحروب على العدي

ونضرب من يهجو بصمصامة الشعر

فدونك نظماً كالزلال عذوبة يجر ذيول العز للدين والفخر

بدا من أديب لم يقل متغزلا «عيون المها بين الرصافة والجسر»

وأزكى صلاة الله ثم سلامه على المصطفى ماحي الضلالة والكفر

كذا الآل والأصحاب ما هبت الصبا

وما لاح في الآفاق من كوكب دري

وما انهل في القفر الغمام ومابكى فأضحك دمع المزن مبتسم الزهر

ثم استزاده الشيخ عبد الرحمن حسن رحمه الله فقال :

يا ظبية البان بل يا ظبية الدور هل أنت من نسل حوا أم من الحور ؟

الصبح من وجهك الأسنى السني بدا
والفرع داج بظلماء وديجور

مددت للصب طرفاً فاقصرا فلذا
قد هام بين ممدود ومقصور؟

لاعيب منها سوى إخلاف موعدها
أو أنها لم تجد يوماً بميسور

كم واعدت بمزار غير موفية
والخلف للوعد معدود من الزور

فقلت وجداً بها إن كنت كاذبة
عليك آثام عثمان بن منصور

غدا يهاجي أولي التوحيد مشتغلاً
بمدح قوم خبيث خاسر بور

قد خالفوا السنة الغراء وابتدعوا
والشرك جاؤوا بحظ منه موفور

لم يسلكوا منهج التوحيد بل فتنوا
بكل ذي جدث في الترب مقبور

هذا يطوف وهـذا في تقربه
يـأتي إليه بمنذور ومنحور

وذا به مستغيثاً في شدائده
يرجو الإجابة في تيسير معسور

فقل جزى الله شيخ المسلمين بما
أبدى فجلى ظلام الشرك بالنور

بالعلم بصر قوماً قد عموا فهدوا
وأنقذ الله منهم كل مغرور

ليس العيون التي للحق مبصرة
كالأعين الرمد أو كالأعين العور

أدلة جامع التوحيد أودعها
من كل نص قراني ومأثور

لا يستطيع لهـا رداً مخاصمه
ولا يحرفها تأويل ذي زور

غزا بها عصباً للشرك قد نصروا
فأصبحوا بين مقتول ومأسور

فكم جلا بضياء العلم من شبه
بها أضل النصارى حزب نسطور

وأخلص الشيخ الرحمن دعوته
لا للعلو ولا أخذ الدنانير

حتى غدت سبل التوحيد عامرة　　وكل مشهد شرك غير معمور

فقام أبناؤه من بعده فدعوا　　إلى الهدى ونهوا عن كل محذور

فمن هجاهم بإفك غير ضائرهم

لاترهب الأسد نبح الكلب في الدور

وهاك نظماً بديعاً فائقاً حسناً　　والحمد لله حمداً غير محصور

ثم الصلاة وتسليم الإله على　　من قد وعى قوله موسى على الطور

محمد خير مبعوث وشيعته　　وصحبه الغر حتى النفخ في الصور

وقال رحمه الله لما أوقع الامام فيصل بن تركي ببني خالد ومن معهم بالسبية في سنة ١٢٤٠ :

انفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا

ولا تطع في سبيل الجود عذالا

فالمنفقون لهم من ربهم خالف　　ورب شح إلى الإتلاف قد آلا

من جاد جاد عليه الله واستترت　　عيوبهُ وكفى بالجود سربالا

من جاد ساد ومن شحت أناملهُ　　بالبذل أمست له الأعوان خذالا

ثنتان كلتاهما للود جالبة　　صبر جميل وكف يبذل المالا

لا تحسب المجد سهلًا في تناوله　　لولا المشقة كل للعلى نالا

مما أضر بأهل الملك أن خزنوا　　للنائبات من النقدين أموالا

وضيعوا الجند في وقت الرخاء وما　　خافوا الخطوب ولم يلقوا لها بالا

حتى إذا قام للهيجاء قائمها　　وأشعل الحرب مذكي الحرب إشعالا

قاموا يريدون تاليف الجنود بما　　حازو فلم يدركوا بالمال آمالا

كذا من ضيع الأحرار محتقراً　　واختار غمراً وأوباشاً وأنذالا

والحزم لو شكروا النعماء وادخروا للحرب خيلا وفرساناً وأبطالا

من يحفظ الجند بالاحسان يلقهم ان يدعهم في الوغى يأتوه أرسالا

فاجعل عطائك لأحرار الوغى ثمناً تملك به مهجاً منهم وأوصالا

لاملك يثبت إلا بالرجال ولا يقني الرجال سوى من كان بذالا

والمال يربو لمن ربى رعيته بعدله ونفى للظلم أغلالا

والطرق أمنها بالعدل فامتلأت أنسا فلا يرهب السلاك مغتالا

يا فيصل المجد يامن للفخار حوى فاستوجب المدح تفصيلًا وإجمالا

أوضحت للسنة الغرا رسوم هدى عفت فأحييت للإسلام أطلالا

أتى بك الله من مصر لملتنا نصرا وقهرا لمن عادى وإذلالا

فأنت طالع سعد حينما طلعت نجومه زدتنا حظاً وإقبالا

نازلت آل حميد في سبيتهم حتى سبيت لهم عزاً وأموالا

جاؤوك بالجد في خيل وفي خيلا تكاد ترجف منه الأرض زلزالا

كانوا جراءعليكم من سفاهتهم حتى رأوا منك في الهيجاء أهوالا

أقريتهم عاجلا لما بكم نزلوا كالمستضيفين صمصاما وعسالا

ومن حياض المنايا بعد أن طمعوا أرويتهم عللًا منها وإنهالا

فدبروا هربا ذعراً وما صبروا لما رأوا الصبر بين الأسل قتالا

ولوا سراعا ولم يلووا على أحد وأصبحوا في بقاع الأرض فلالا

وخلفوا خلفهم رغما عقائلهم مع البنين وأغناما وآبالا

فأصبحت مغنماً للمسلمين وفي يديك تقسمها في الناس أنفالا

واها لها وقعة من أفقها طلعت شمس الهدى فمحت للشرك أطلالا

فتح به فتحت للدين أعينهُ وأبصرت بعد دمع طالما سالا

فتح بـه فتح الرحمن أفئدة غلفا أدار عليهـا الرين أقفالا

فتح به استبشرت هجر وقد نخرت

لما ملكت لهـا مدنا وأعمـالا

أثواب عدلك قد ألبستها جددا من بعد أن خلعت للظلم أسمـالا

فيها بثثت أمور العدل فانتشرت وحكم الشرع أقوالا وأفعـالا

فأصبحت بك هجر كالعروس زهت بحلية لم تذر شنفـا وخلخالا

ماست من التيه واختالت وحق لها بزينة العدل أن تزهو وتختالا

« تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعـادا بعد أبوالا »

فاحمد إلهك إذ أولاك أنعمه واشكره ما دمت تعظيما وإجلالا

وهاك مني قريضا قد حوى دررا ما أن ترى مثلها في الحسن أمثالا

جهل المقل وقد أهداه معتذرا « لا خيل عندي أهديها ولا مالا »

ثم الصلاة على الهادي وعترته ورحمة تشمل الأصحاب والآلا

ما لاح برق وما غنى الحمام وما سح الغمام بجود الودق هطالا

تم الاختيار من شعر أحمد بن مشرف ويليه الاختيـــار من شعر الاديب ابن عثيمين النجدي .

شعر

ابن عثيمين النجدي

هو الأديب الأريب ذي الأدب الفائق ، والنظم الرائق ، محمد ابن عبد الله بن عثيمين النجدي أصلاً ووطناً ، والحنبلي مذهبا والسلفي معتقدا ، وكان حفظه الله ممن عاصر العلماء الكبار من علماء نجد ، سمع منهم ، وله معرفة وفهم في الأصول والفروع . وكان حسن السيرة ، مأمون السريرة مقبلاً على شأنه حافظاً لزمانة محبباً إلى قربائه ، ذا سمت ودين وعقل رصين . وأما الشعر فقد أخذ من الإجادة فيه بأوفر نصيب ، لايبارى في براعة اللسان ، ولا يجارى في ميدان الإحسان . له الأشعار الرائقة ، والمعاني الفائقة ، وسأذكر إن شاء الله منها في هذا المجموع ما يدل على تقدمه في عالم الأدب ، ورقة وجزالة المعاني والألفاظ في نظم الشعر . فمن ذلك مامدح به الملك المعظم ، والإمام المقدم ، إمام الإسلام والمسلمين ، وحامي حوزة الدنيا والدين ، عبد العزيز بن الإمام عبد الرحمن بن الإمام تركي آل سعود ، أدام سعوده وخذل مبغضه وحسوده ، ولا زال النصر محالفاً لراياته والتوفيق مساعداً له في جميع أوقاته آمين قال :

عج بي على الربع حيث الرند والبان
وإن خلت منه أحباب وجيران

فالمنازل في شرع الهوى سنن
يدري بها من له في الحب عمران

وقلّ ذاك لمغنى قد سحبن به ذيل التصابي برسم الشجو غزلان

القاتلات بلا عقل ولا قود سلطانهن على الأملاك سلطان

لله أحور ساجي الطرف مقتبل عذب اللمى لؤلؤي الثغر فتان

عبل الروادف يندى جسمه ترفا ضافي الوشاح لطيف الروح جذلان

يهتز مثل اهتزاز الغصن رنحه
سكر الصبا فهو صاحي القلب نشوان

كأنما البدر في لألاء غرته ياليت يسحب ذاك الحسن إحسان

لو كان يمكن قلنا اليوم أبرزه لينظر الناس كنه الحسن رضوان

قد كنت أحسب أن الشمل ملتئم
والحبل متصل والحي خلطان

فاليوم لا وصل أرجوه فيطمعني ولا يطيف بهذا القلب سلوان

في ذمة الله جيران متى ذكروا هاجت لذكراهم في القلب أحزان

فارقتهم أمتري أخلاف سائمة يسوقها واسع المعروف منان

لعل نفحة جود من مواهبه
يروي بها من صدى الإقتار عطشان

أريش منه جناحاً حصهُ قدر شكى تساقطهُ صحب واخوان

وفي اضطراب الفتى نجح لبغيته وللمقادير إسعاد وخذلان

فاربأ بنفسك عن دار تذل بها لو أن حصباءها در ومرجان

طفت المعاهد من شام إلى يمن ومن عراق ولبتني خراسان

فما لقيت ولن ألقى ولو بلغت بي منتهى السد همات ووجدان

مثل الجحاجحة الغر الذين سموا　مجداً تقاصر عن علياه كيوان

الضاربي الكبش هبراً والقنا قصداً

والتاركي الليث يمشي وهو مذعان

والفارجي غمم اللاجي إذا اصفرت　أو طابه واقتضاه الروح ديان

والصائنين عن الفحشا نفوسهم　والمرخصيها إذ الخطي أثمان

خضل المواهب أمجاد غطارفة　بيض الوجوه على الأيام أعوان

غر مكارمهم حمر صوارمهم　خضر مراتعهم للفضل تيجان

لكن أوراهم زنداً وأسمحهم　كفاً وأشجعهم إن جال أقران

عبد العزيز الذي نالت به شرفاً　بنو نزار وعزت فيه قحطان

مقدم في المعالي ذكره أبداً　كما يقدم بسم الله عنوان

ملك تجسد في أثناء بردته　ليث وغيث وإعطاء وحرمان

خبيئة الله في ذا الوقت أظهرها　وللمهيمن في تأخيرها شان

ودعوة وجبت للمسلمين به　أما ترى عمهم أمن وإيمان

حاط الرعية من بصرى إلى عدن　ومن تهامة حتى ارتاح جعلان

فجددوا الشكر للمولى وكلهم　يدعو له ما بقي في الأرض إنسان

ورب مستكبر شوس خلائقه　صعب الشكيمة قد أعماه طغيان

تركته وحده يمشي وفي يده　بعد المهند عكاز ومحجان

وعازب رشده إذ حان مصرعه　بخمرة الجهل والإعجاب سكران

أمطرته عزمات لو قذفت بها　صم الشوامخ أضحت وهي كثبان

عصائب من بني الإسلام يقدمهم　من جدك المعتلي بالرعب فرسان

ويل امه لو أتاه البحر ملتطماً آذيه الأُسد والآجام فرسان

لأصبح الغمر لاعين ولا أثر أو شاغبته قبيل الصبح جنان

ومشهدٍ لك في الإسلام سوف ترى

يوفى بـه لـك يوم الحشر ميزان

نحرت هديك فيه الناكثين ضحى

فافخر ففخر سواك المعز والضان

أرضيت آباءك الغر الكرام بما جددت من مجدهم من بعد مابانوا

نبهت ذكراً توارى منه حين علا للمارقين ضباب فيه دخان

فجئت بالسيف والقرآن معتزماً تمضي بسيفك ما أمضاه قرآن

حتى انجلى الظلم والإظلام وارتفعت

في الأرض للدين أعلام وأركان

دين ودنيا وبأس في الوغى وندى يفيض من كفه للجود خلجان

هذي المكارم لا ماقيل عن هرم ولا الذي قيل عمن ضم غمدان

أقول للعيس إذ تلوي ذفاريها لإلفها ولها في الدو تحنان

ردي بحاراً من المعروف طامية نباتها التبر لا شيح وسعدان

تدوم مادامت الدنيا بشاشتها فاسلم فأنت لهذا الخلق عمران

ثم الصلاة على الهادي الذي خمدت

في يوم مولده للفرس نيران

والآل والصحب ماناحت مطوقة خضباً يميد بها في الدوح اغصان

وقال أيضاً مادحاً صاحب الجلالة الملك عبد العزيز في سنة ١٣٥١ إحدي وخمسين بعد الثلاث المئة والألف :

هي الربوع فحي عرصة الدار وقف بها واسقها من دمعك الجاري

معاهدي وليالي العمر مقمرة قضيت فيها لباناتي وأوطاري

بكت عليها غوادي المزن باكرة وجرت الريح فيها ذيل معطار

فجر أذيال غضات الصبا خرد حور المدامع م الأدناس أطهار

للسمع ملهى وللعين الطموح هوى

فهن لذة أسماع وأبصار

كأنما أفرغت من ماء لؤلؤة نور تجسد في أرواح أبشار

إذا هززن القدود الناعمات ترى أغصان بان تثنت تحت أقمار

تشكو معاطفها لعباً روادفها يا للعجائب ذا كاس وذا عاري

فكم صرعن بسهم اللحظ من بطل

عمداً فعلن وما طولبن بالثار

يصبو إليهن مخلوع وذو رشد وليس يدنين من إثم ولا عار

تلك العهود التي مازلت أذكرها فكيف لا والذي أهواه سماري

أستغفر الله لكن النسيب حلى يكسى به الشعر في باد وحضار

قد أنشد المصطفى حسان شاعره قولاً تغلغل في نجد وأغوار

غراء واضحة الخدين خرعبة ليست بهوجى ولا في خمس أشبار

كأن ريقتها من بعد رقدتها مسك يداف بما في دن خمار

أقول للركب لما قربوا سحراً للسير كل أمون عبر أسفار

عيس كأن نعام الدو ساهمها ريش الجناح فزفت بعد إحضار

حثوا المطي فغب الجد مشربكم من بحر جود خضم الماء زخار

يروي عطاش الأماني فيض نائله
إذا تشكت صدى عدم وإقتار

ملك تجملت الدنيا بطلعته
وأسفر الكون عنه أي إسفار

ملك تفرع من جرثومة بسقت
في باذخ المجد عصراً بعد إعصار

هم جددوا الدين إذ خفت معالمه
وفللوا حد كسرى يوم ذي قار

هم المصيبون إن قالوا وإن حكموا
والطيبون ثنا مجد وأخبار

والباذلون نهار الروع أنفسهم
والصائنون عن الفحشاء والعار

مجد تأثل في نجد وسار إلى
مبدى سهيل وأقصى أرض بلغار

محامد في سماء المجد مشرقة
« مثل النجوم التي يهدى بها الساري »

لكن تاج ملوك الأرض إن ذكروا
يوماً وأرجح في فضل ومقدار

عبد العزيز الذي كانت خلافته
من رحمة الله للبادي وللقاري

أعطاهم الله أمناً بعد خوفهم
لما تولى ويسراً بعد إعسار

أشم أروع مضروب سرادقه
على فتى الحزم نفاع وضرار

مظفر العزم شهم غير مؤتشب
مسدد الرأي في ورد وإصدار

ما نال ما نال إلا بعد ما سفحت
سمر العوالي دماً من كل جبار

وجرها شزباً تدْمى سنابكها
تشكو الوجى بين إقبال وإدبار

تعدو بأسد إذا لاقوا نظائرهم
باعوا النفوس ولكن القنا الشاري

يحكي اشتعال المواضي في أكفهم
تألق البرق في وطفاء مدرار

وكم مواقف صدق في مجال وغىً حكمت فيها سنان الصعدة الواري

وكم عليً طلقتها نفس عاشقها من خوف بأسك لا تطليق مختار

قهراً أبحت حماهم بالقنا وهم أسد ولكن أتاهم ضيغم ضاري

سربلت قوماً سرابيل الندى فبغوا

فسمتهم حد ماضي الغرب بتار

نسخت آيات مجد الأكرمين وما يبني المعالي سوى سيف ودينار

ذا للمقيم على النهج القويم وذا لكل باغ بعهد الله غدار

فدم شجاً في حلوق المعتدين هدى للمهتدين غنى للجار والطاري

وهاك مني مديحاً قد سمعت له نظائراً قبل من عون وإبكار

غرائباً طوف الآفاق شاردها تبقى على الدهر طوراً بعد أطوار

لولاك ما كنت بالأشعار ذا كلف ولا شريت بها معروف أحرار

وموقف الهون لا يرضى به رجل لو أنه بين جنات وأنهار

لكنّ طوقتني نعمى فخرت بها بين البرية من بدو وحضار

لأحمدن زماناً كان منقلبي فيه إليكم وفيكم صغت أشعاري

فإن شكرت فنعماك التي نطقت

تثني عليك بإعلاني وإسراري

وصل ربي على الهادي وشيعته وصحبه وارض عن ثانيه في الغار

ومن قوله مادحاً للامام عبد العزيز أيضاً أعزه الله تعالى سنة ١٣٤٦ :

قفوا بي على الربع المحيل أسائله وإن كان أقوى بعد ما خف آهله

وما في سؤال الدار إطفاء غلة لقلب من التذكار جم بلابله

تعلل مشتاق ولوعة ذاكر لعهد سرور غاب عنه عواذله

فإن أسل لا أسلو هواهم تجلداً

ولكن يأساً أخلفتني أوائله

خليلي لو أبصرتما يوم حاجر مقامي وكفي فوق قلبي أبادله

عشية لا صبري يثيب ولا الهوى قريب ولا دمعي تفيض جداوله

لأيقنتما أن الأسى يغلب العزا

وأن غرامي لا غرام يماثله

فلله قلبي ما أشد احتماله ويا ويح صبري كيف هدت معاقله

نظرت إلى الأظعان يوم تحملوا فاشرقني طل الدموع ووابله

مضوا ببدور في بروج أكلة بهن حليم القلب يصبو وجاهله

وفيهن مقلاق الوشاح إذا مشى تملك حبات القلوب تمايله

يلوث على مثل الكثيب إزاره وأعلاه بدر قد تناهى تكامله

وزعت التصابي إذ علا الشيب مفرقي

وودعته توديع من لا يجامله

وفؤت إلى رشدي وأعطيت مقودي

نصيحي فمهما قاله أنا قائله

ومن صحب الأيام رنقن عيشه وألبسنه برداً سحيقاً خمائله

وليل غدافي الإهاب تسربلت كواكبه خال ترن صواهله

يمد على الآفاق سجف حنادس مخوف رداه موحشات مجاهله

هتكنا بأيدي الناعجات سدوله إلى ملك يخشى وترجى نوافله

إلى ملك لو كان في عهد حاتم لقال كذا فليبذل المال باذله

إمام الهدى عبد العزيز بن فيصل
به انهد ركن الشرك وانحط باطله

سما للمعالي وهو في سن يافع فأدرك أعلاها وما شق بازله

بطلعته زان الوجود وأشرقت على الأرض أنوار الهدى ووسائله

فلو نشرت أيام كسرى وتبع وأيام هارون الرشيد ونائله

لقال بحق ليت أيامنا الألى تعاد لنا كي يدرك السؤل آمله

ولا غرو أن يشتاقه عصر من مضى فقد نسخت مجد الملوك شمائله

رعى الدين والدنيا رعاية محسن
وقام بأعباء الإمامة كاهله

وأرضى بني الإسلام قولاً وسيرة فذو الظلم أرداه وذو اليتم كافله

وجدد منهاج الهدى بعد ما عفا وعز به الشرع الشريف وحامله

قصارى بني الدنيا دوام حياته عسى الله يبقيه وتعلو منازله

فكم كنز معروف أثار ومفخراً أشاد ومجداً ليس تحصى فضائله

قليل التشكي والتمني وإنما إذا هم لم تسدد عليه مداخله

خفي مدب الكيد يقظان لم تكن به غفلة لكن عمداً تغافله

ولا طالب أمراً سوى ما أفاده به سيفهُ أو عزمه أو عوامله

فقل للذي قد غره منهُ حلمه متى كافأ الذئب الهزبر ينازله

ألم تر أن البحر يسلك ساكناً
وإن حركته الريح جاشت زلازله

فلا تخرجوه عن سجية حلمه فتكثر في الساعي بذاك ثواكله

ولا تستطيبوا مركب البغي إنه إذا ما امتطاه المرء فالله خاذله

ضمنت لباغي فضله أن ينالـه ومن يطلب اللأوا تثيم حلائله

ومـا نال هـذا الملك حـتى تقصـدت

صـدور عواليـه وفلت منـاصله

وأنعل أيدي الجرد هام عداتـه وزلزلت الأرض البعيد قنابله

وما زاده تيه الإمـامة قسوة نعم زاد عفواً حين زاد تطاوله

من القوم بسامين والوقت أكدر من النقع وهابين والجدب شامله

علينا لك الرحمن أوجب طاعة بنص وبرهـان تـلوح دلائله

فقـال أطيعوا الله ثم رسوله وذا الأمر يدريه الذي هو عاقله

وقال رسول الله سمعاً وطاعة لذي أمركم لوشطفي الحكم عامله

اليكم بني الاسلام شرقاً ومغرباً نصيحة من تهدى إليكم رسائله

هلموا إلى داعي الهدى وتعاونوا على البر والتقوى فأنتم أماثله

وقوموا فرادى ثم مثنى وفكروا تروا أن نصحي لا اغتشاش يداخله

بأن إمام المسلمين ابن فيصل هو القائم الهادي بما هو فاصله

به الله أعطانا حيـاة جديدة رفهنا بها من ضنك بؤس نصاوله

فقد كان في نجد قبيل ظهوره من الهرج ما يبكي العيون تفاصله

تهارش هذا الناس في كل بلدة ومن يتعد السور فالذئب آكله

فمن بين مسلوب ومن بين سالب وآخر مقتول وهـذاك قاتله

فابدلكم ربي من الخوف دولة وبالذل عزاً بر خصمـاً يناضله

بيمن إمـام أنتم في ظـلاله يـدافع عنكم رأيه وذوابله

إليك إمام المسلمين زجرتها ترامى بها بعد السهوب جراوله
إذا ما ونت غنى الرديف بذكرها
فزفت زفيف الرأل فاجاه خاتله
وما زلت أدعو الله يبقيك سالماً وإن بعادي عنك تطوى مراحله
وانشد بيتاً قاله بعض من مضى وليس يموت الشعر لو مات قائله
«إذا ظفرت منك العيون بنظرة أثاب لها معيي المطي ورازمه»
فأقسم لا أنفك ما عشت شاكراً لنعماك ما غنت سحيراً بلابله
بسائرة تزهو بمدحك في الورى ويشدو بها في كل صقع أفاضله
وثن إلهي بالصلاة مسلماً على خير مبعوث، إلى من تراسله
وأصحابه الغر الكرام وآله إذا ما بدا نجم وما غاب آفله

وقال مادحا للامام أيضاً في سنة ١٣٣٩

أرقت لبرق ناصب يتألق إذا ماهفا أمسيت بالدمع أشرق
إذا فاض لم أملك سوابق عبرة تحم لها الأحشاء والقلب يخفق
أمد له طرفي ومن دون ومضه خبوت وأحقاف وبيداء سملق
ومجهلة للجن في عرصاتها عزيف يراع الذئب منه ويفرق
أرجم فيه الظن أين مصابهُ عسى في رياض المجد يهمي ويغدق
منابع أنوار الهدى في عراصها
لباغي الهدى والفضل هدي ومرفق
وموطن أملاك غطارف سادة لهم عنصر في باذخ المجد معرق
إذا نازلوا كانوا ليوثاً عوابساً وإن نزلوا كانوا بحوراً تدفق

أجل من يكن عبد العزيز فخاره فلا غرو لو فوق الكواكب يعنق

هو النعمة الكبرى من الله للورى ورحمته والله جل الموفق

بـه الله أعطاهم حياة جديدة وهم قبله أيدي سبا قد تمزقوا

قوام لهم في دينهم ومعاشهم إلى الحق يهديهم وبالحق ينطق

فمن يعتصم منه بحبل وذمة وإلا من الدين الحنيفي يمرق

أليس أتى في محكم الذكر أمرنا بطـاعته حقـاً ولا نتفرق

فقـال أطيعوا الله ثم رسوله كذاك ولي الأمر نص محقق

فقل لأناس بالكويت وحائل يقولون إنا بالكتاب نصدق

أهذا كتاب الله أم قول غيره أم الحكم منسوخ أفيدوا وحققوا

أفي الغرب أم في الشرق فيما علمتم

أم اليمن الأقصى وما ضم جلق

إمـام على نهج الشريعة سائر نبـايعه نحن وانتم ونصدق

وهل عد في آبائكم وجدودكم خليفة عدل أو إمام موفق

فـأنتم على آثاره تقتفونه أبينوا لنا أم ذا هوى وتحمق؟

وإلا فما يمنعكم أن تبايعوا على ما به يقضي الكتاب المصدق

إمام هدى للرشد يهدي ويهتدي مقيم سواء بالرعيـة يرفق

فمن بات ليلاً خالعـاً بيعة الذي به لـم شمـل المسلمين المفرق

فإن مات كانت ميتة جاهلية وإن عاش فهو المارق المتزندق

كما جاء في الأخبار نصاً مؤكداً فلسنا بـأدنى شبهة نتعلق

أمـا المسلمون الآن من جذم ريدة

إلى الشام قول محكم لا ملفق

ومن منتهى الريعان حتى تنيخها بأقصى عمان كلهم قد تحققوا

بأن له في عنق كل موحد من الله عهد بالإمامة موثق

فياليت شعري أين ضلت حلومكم

وغركم الغرار والحظ مخفق

فهلا اتقيتم وثبة مقرنية كأن لديها الأجدل الحرخرنق

فلا تخرجوه عن سجية حامه فما هو إلا الليث إن هم يصدق

فكم عف عمن لو جزاه بذنبه لطارت به العنقاء حيث تحلق

أريتكم لو جر من قد ذكرته عليكم يسوق الفيلق الجم فيلق

أهل كنتم إلا لقيمة آكل لهم قبل ما قرن الغزالة يشرق؟

جحافل فيها من سلالة ناهس أسود على أعدا الشريعة حنق

سراع إلى الهيجا عطاش إلى الوغى

إذا ما حياض الموت بالموت تدهق

وفيها ليوث من صميم هوازن أولئك أدرى بالطعان وأحذق

طوال الخطى في معرك الطعن للعدى

ثقال إذا ما مأزق الحرب ضيق

وفيها بنو قحطان قوم سما بهم مع العزم آباء إلى المجد سبق

هم هاجروا لله ثمة جاهدوا فبشراهم للرشد والخير وفقوا

ومن شمر فيها وحرب وغيرهم قبائل للدنيا الدنية طلقوا

وهم نصروا الدين القويم وأصبحت

لهم راية بالعز والنصر تخفق

وفيها سراة من سبيع وعامر لهام العدى بالمشرفي تفلق

وفيها بنو الاسلام أعلوا مناره ليالي وجه الأرض بالشرك مغسق

أولئك أهل المدن من كل باسل إلى الطعن في يوم اللقا يتدلق

بيمن إمام المسلمين تألفت قلوب وأهواء شقاها التفرق

إذا صلحت في داخل الجسم مضغة فإن صلاح الجسم فيها معلق

لقد كاد هذا الدين ينهد قبله وسيم بنوه الخسف جوراً وأرهقوا

فجاء به رب العباد بلطفه غياثاً لهم والله بالخلق أرفق

(فتى دهره شطران بأساً ونائلا) به الله في الدنيا يهين ويرزق

فتى طلبات ليس يغضي على القذى

ويقرع باب الخطب والخطب مغلق

إذا هم لم يردد عزيمة همه مقال مشير أو عذول يعوق

ولكنه يمضي وللحرب غلية تجيش لها نفس الكمي وترهق

يفيت ملوك الأرض ما يطلبونه لديه وإن يطلبهم فهو يلحق

إذا لاح أعشى الناظرين مهابة فهم نكس الأذقان والطرف يرمق

مهابة ملك لكن الدين تاجها ومن يعر من ثوب التقى فهو أخرق

وكالبحر في حال الرضى فيض كفه

وكالبحر قل ما شئت ان جاش يغرق

محامد شتى لكن الشخص واحد وربك مختار وما شاء يخلق

ولا كابن عجل في سفاهة رأيه وتسويله للقوم حتى توهقوا

قبائل شتى من أضاميم شمر على غير ما يرضي الإله تحزقوا

فصبحهم جند الإله وحزبه بملمومة فيها الصفائح تبرق

فأدموا من العض الأصابع ندما	فلم يغنهم طول الأسى والتحرق

وذي عادة المولى الكريم بمن غدا	ينادي بني الاسلام لا بدَّ يمحق

فيا معشر الإخوان دعوة صارخ	لكم ناصح بالطبع لا متخلق

يود لكم ما يبتنيه لنفسه	ويعلم أن الحب في الله أوثق

تحاموا على دين الهدى مع امامكم

وكونوا له بالسمع جندا توفقوا

وإياكم والافتراق فإنه	هو الهلك في الدنيا وللدين يوبق

فوالله ثم الله لارب غيره	يمين امرىءٍ لامفتر يتملق

ولا قاصداً يوماً بقولي مكانه	ولا عاجلا للدين والسمت يعرق

لما علمت نفسي على الارض مثله	إماما على الإسلام والحق يشفق

عسى أن نراها سيرة عمرية	يدين لها غرب البلاد ومشرق

ففيه ولا نعدمه تبدو مخائل	بها العز للاسلام والملك يورق

وصلى إله العالمين على الذي	بأنواره الأكوان تزهو وتشرق

كذا الآل والأصحاب ما لاح بارق

وما ناح في الدوح الحمام المطوق

وقال لما فتح الامام عبد العزيز بلد حائل في ربيع أول سنة ١٣٣٤هـ ويذكر ما من الله تعالى على هذا الامام بالعفو عند المقدرة وما خصه به من إقالة العثرة :

تهلل وجه الدين وابتسم النصر	فمن كان ذا نذر فقد وجب النذر

وأوفى خطيب العز في منبر العلى	ينادي ألا لله في صنعه الشكر

وإنا على وعد من الله صادق	وتأخيره إياه كي يعظم الاجر

ولله في طي الحوادث حكمة	يحار بها عقل ويعيا بها فكر

يمحص أقواما لهم عنده الرضى ويمحق أقواما لهم عنده التبر
إذا خط ذو العرش الشقاء على امرىء
فلن تغنه الآيات تتلى ولا النذر
وإلا ففيما قدجرى أهل حائل عليكم لكم من غيكم والهوى زجر
وقدما إمام المسلمين دعاكم إلى رشدكم لكن باذانكم وقر
تداركم حلم الامام وعفوه وقد بلغ السيل الزبى وطما البحر
فأصبحتموا منه بمنجاة منعم عليكم فهل يلفى لديكم له الشكر
فلا تكفروها نعمة مقرنية فإن كفرت كانت هي الغل والاصر
فكم خول النعماء قوماً تربصوا فأرداهم خبث الطوية والغدر
فلولا التقى والصفح عنكم لاصبحت
منازلكم يشتو بها الربد والعفر
هو الملك الوهاب والضيغم الذي له العزمات الشم والفتكة البكر
هو الملك السامي الذي سطواتهُ تبيح حمى من في خده صعر
بجيش يغيب الشمس عثير خيله ويحمده بعد اللقا الذئب والنسر
كأن اشتعال البيض في جنباته سنا البرق والرعد الهماهم والزجر
وصادق عزم إن طما ليل فتنة تبلج منه في حنادسه فجر
ركوب لما يخشى من الخطب عالم بأن المعالي دونها الخطر الوعر
مغاز لها في الغرب والشرق رجفة وفي أفق العليا هي الانجم الزهر
مشاهد فيها عُزز الدين واعتلى
وادحض فيها الجو وانمحق الكفر
وفيما مضى للشاهد اليوم عبرة ولكن قلوب حشوها الغل والوغر

ومن كان عما قلته متجاهلا   ستصدقه قولي المهندة البتر

فقل لحسين دام في القوس منزع   ألا ترعوي من قبل أن يقصم الظهر

زجرت طيور النحس تحسب أنها   سعود فلا طرق أفاد ولا زجر

أماني مخدوع يعلل نفسه   ومن دون هاتيك المنى المشرب المر

وضرب كأفواه المخاض مجاجه   دم تمتريه البيض واللدنة السمر

ترقب لها ملمومة تملأ الفضا

يسوق إليك الوحش من لغطها الذعر

تظل عليها سغب الطير عكفا   معودة أن القبيل لها جزر

يدبرها عزماً ورأيا ومنصلا   مدير رحاها لا كهام ولا غمر

إمام الهدى عبد العزيز الذي رنت   إليه المعالي قبل أن تكمل العشر

أتانا به الله الكريم بلطفه   على حين ماج الناس واستفحل الشر

وشعبت الاهواء دين محمد   ولم يك نهي عن فساد ولا أمر

وولي أمر الناس من لا يسوسهم   بشرع وخاف الفاجر المؤمن البر

فأسفر صبح المسلمين وأشرقت   بطلعته أنوارهم وانتفى العسر

وأعطوا بعيد الذل عزاً وبدلوا   من الخوف أمناً والشقا بعده اليسر

متى ما تيمم دار قوم جيوشه   إذا لم يكن عفر فعمرانها قفر

أليس الذي قاد المقانب شزبا   إلى كل جبار دخائله المكر

فلم يغنه طول الدفاع وحصنه   ولن يؤوه لوفرّ بر ولا بحر

مفيد ومتلاف إذا جاد أو سطا   فما الأسد الضاري وما الوابل الغمر

طلوب لأقصى غاية المجد كلما   رقى رتبة منها يقل فوقها القدر

إليك إمام المسلمين تطلعت تراعي بنيها الشام وانتظرت مضر
وناداك ملتف الحطيم ويثرب ولولا احترام البيت قد قضي الأمر
وأي امرئ لم يعتقدك أميره فإيمانه لغو وعرفانه نكر
وهل مؤمن إلا يرى فرض نصحكم وطاعتكم حقاً كما وجب الذكر
ومن شذ عن رأي الجماعة حظه وإن صام أو صلى من العمر الوزر
ودونكها ولاجة كل مسمع يقال إذ تتلى كذا يحسن الشعر
بك افتخرت في كل ناد ومحفل وكيف وأنت الفخر ما فوقه فخر
وصلى إله العالمين على الذي له الحوض والزلفى إذا ضمنا الحشر
محمد الهادي الأمين وآله وأصحابه ما هز نبت الربى قطر

شعر

سليمان بن سحمان

ومن قول الشيخ سليمان بن سحمان يسلي الإمام عبد العزيز، بعد الهزيمة التي أجراها الله عليه في يوم جراب سنة ١٣٣٣ :

أمور القضا ليست بحكم العوالم ولكن إلى رب حكيم وعالم
قضاها إله العرش جل جلاله وقدرها من قبل خلق العوالم
بخمسين ألفاً قدرت من سنينا فليس لأمر حمه من مقاوم
فلو أن لو تجدي وتنفع قائلا لأصبح مفتوناً بها كل لائم
يلوم على ما قدر الله وانقضى فتباً له ماذا جنى من مآثم

وما كان هذا الأمر بدعاً فقد جرى
لأفضل خلق الله صفوة هاشم
محمد الهادي إلى الرشد والهدى
وأصحابه أهل النهى والمكارم
لئن كان قد أضنى بنا ما أمضنا
بشؤم الذنوب المعضلات العظائم
من القرح مانرجوه من فضل ربنا
وإحسانه محواً لتلك الجرائم
فقد مسّهم من ذلك القرح فادح
فكانوا طعاماً للنسور الحوائم
بأيدي رجال من ذوي الصدق في اللقا
حماة كماة كالأسود الضراغم
يسومون في الهيجا نفوساً عزيزة
وترخص منهم في حضور المواسم
وقد غادروا أبناء حائل في الوغى
جثاثاً ركاماً كالهشيم لشائم
وقد منّ مولانا بطلعتك التي
أضاءت بها شمس العلى في العوالم
فأصبح هذا الناس في ظل مجدكم
بأمن وفي رغد من العيش ناعم
وجاء بك المولى معافىً مسلماً
وأعداك في كبت وذل ملازم
لتنصر دين المصطفى وتقيمه
وتنكأ من أعدائنا كل غاشم
وتعلي من الإسلام أعلام مجده
وتحميه من كيد العدو المراغم
فكن ناصراً للدين معتصماً به
فليسوا على شيء من الدين عاصم
وجرد بعزم نصل سيفك ناهضاً
بهمتك العليا لنيل المكارم
وجر عليهم جحفلاً بعد جحفل
وأثخنهم بالمرهفات الصوارم
وأعمل هديت اليعملات بغزوهم
وأرهبهم بالصافنات الصلادم
وأعدد لهم منها كميناً فإنه
يكون لكم ظهراً وردماً لرائم

وشن عليهم غارة بعد غـارة　　على غرة منهم وذا فعل حازم

ولا سيما الأعراب منهم فإنهم　　هم الرد، للأعدا بتلك الملاحم

أولئك هم أوباش جنـد ذوي الردى

وهم قوة الباغـين أهل المـآثم

فمزقتهـم أيـدي سبـا وأذقتهـم

كؤوس الردى بالمرهفـات الصوارم

وأنت بما قلناه أدرى وعلمـكم　　بكل الأمور الساميات المعالم

أحق وأعلى منظراً ومقامـكم　　أجل لدى أهل النهى والمكارم

لأنك محمود المـآثر في العـلى　　ومجدك سام فوق هام النعائم

بك الله يا عبد العزيز أعزنا　　وأنقـذنا من رق باغ وظالم

فلا زلت في عز أطيد مؤيد　　ولا زلت منصوراً على كل غاشم

يساعفك الإقبال والعز والهنا　　على كل من ناواك ياابن المكارم

وازكى صلاة الله ثم سلامـه　　على المصطفى المعصوم صفوة آدم

وأصحابه والآل مع كل تابـع　　وتابعهم ما انهل ودق الغمائم

وقال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله ايضاً مهنئاً للامام عبد العزيز لمـا فتح الله على يده بلد الأحساء والقطيف سنة ١٣٣١ هـ:

بهجر أضاء الفجر واستعلن الرشد　　وناء على آطامها الطالع السعد

وقد كان أهلوها باسوى، حالة　　وقد فتحت للكفر أعينه الرمد

وكانت قضاة السوء تصرخ جهرة　　بتمجيد عباد القبور وهم ضد

وتمجيد ضباط لهم وعساكر　　فبعداً لهم بعداً وسحقاً لمن ودوا

وقد صارحونا بالعداوة والأذى فهم للهدى ضد وللأشقيا جند

وقدأظهرالأرفاض فيها شعارهم ومدوا يداً نحو العلى وبها امتدوا

وفيها الخنا والخمر والزمر ظاهر وما ليس محصوراً وليس له عد

وقد كان فيها للضلالة والردى مقر وفيها للهوى صادح يشدو

وقد كان فيها للملاهي ملاعب وحادٍ على أعقاب أربابها يحدو

وأحـكام أهل الكفر تجرى بسفحها

وقانونهم يعلو بها ظاهراً يبدو

فناء بها سعد السعود فأسفرت بآل سعود هجر وافتخرت نجد

وأقلع عن هجر دياجي ماسجى من البغي والأرفاض حل بها النكد

وأصبح من فيها محباً وناصحاً ينادي ألا أهلاً بكم أيها الجند

فقدماً لقد كنا بأيدي عداتنا أذلاء والأعداء يسمو لهم جند

وهم قد أخافونا بها وتغلبوا يسوموننا خسفاً ويعلو بها الضد

فقوض عنا الغي والبغي والأسى

وأهل الردى والفحش واستعلن الرشد

وزال قتام الكفر عنا وأشرقت شموس الهدى والحق في الخلق ممتد

وأضحت بهجر شرعة الحق تجتلى وقانون أهل الكفر حل به النكد

وقد أشرقت فيها شموس ذوي الهدى

وحالت بحمد الله أحوالها الكمد

فيا من بها من عصبة الدين والهدى ليهنكم الإقبال والعز والمجد

فشكراً بني الإسلام قد رجعت لكم بنا كرة من بعد ما يئس اللد

وقد ظن قوم أنها دولة مضت وليس لما قد فات عود ولا رد

فقد عاد ماقد فات غضا كما بدا   فلله مولانا على ذلك الحمد

وذلك من فضل الإله ومده   فمن جوده الحسنى ومن فضله المد

وقد كان ما أجراه فضلًا ونعمة   ولله من قبل الأمور ومن بعد

بمهدٍ هزبر المعي مهذب   يقود أسوداً في الحروب بها حرد

وغيظ على اعداء دين محمد   وأحزابهم ممن عن الدين قد ندوا

أتاهم بها إذ غاب نجم مشعشع   وقائده الإقبال والعز والسعد

لسبع من الساعات في غسق الدجى   وقد هجع الحراس والترك والجند

فما راعهم إلا وآساد جنده   قد اقتحموا فيها وما مسهم نكد

وصاحوا بها من كل قطر وجانب   شعارهم التهليل والذكر والحمد

وقد ملكوا أبوابها وبروجها   ومن كل نهج نحو أعدائها تعدو

يقودهم ليث همام سميدع   أبيٌّ وفيٌّ فاتكٌ إن عثا الضد

يخوض عباب الموت والموت ناقع   إذا استعرت نارها في الوغى وقد

ويركب هول الخطب والخطب معضل   وقد هابه الأبطال رعباً وقد ندوا

هو الملك السامي إلى منتهى العلى   وقد أمه في نيلها الطالع السعد

إمام الهدى عبد العزيز الذي به   تضعضعت الأملاك واستعلن الرشد

لقد فاق أبناء الزمان وفاتهم   بعفو وإقدام وساعده الجد

فيا أيها الغادي على ظهر حرة   عرندسة ما مسها دهرها جهد

تجوب فيافي البيد وخداً ومساداً   وما نقبت أخفافها عندما تخدو

تحمل هداك الله مني تحيـة　　هدية مشتاق أمض به الوجد

وأروى به من لاعج الشوق جذوة　　ولكنه قد عاقه النـأي والبعد

وخامره من نشأة البشر نشوةٌ　　وفي قلبه سكر من البشر ممتد

إلى الملك الشهم الغيور أخي النـدى

مذيق العدى كأس الردى عنـدما يعدو

ومن أصله المجـد المؤثل والعلى　　ومن جوده الجدوى لمن مسه الجهد

فأبلغـه تسليماً كأن أريجـه　　شذى المسك لما ضاع من نشره الند

وناد بأعلى الصوت عند لقـائه　　بمجلسه الأسنى الذي حفه السعد

ليهنك يا شمس البلاد وبدرهـا　　بلوغ المنى لما تسامى بك المجد

ونال بك الإسلام فخراً ورفعةً　　وعزت بك الأحساء واستعلن الرشد

وذلت بك الأعداء من كل فاجر　　وكل خبيث دينه الكفر والجحد

فصار الأعادي والبوادي ومن بهم　　نفـاق أذلاءً وألوانهم كمد

فيـالك من فتح وعز مؤثل　　أطيد ومجد قد تسامت به نجد

فروح بالأفراح أرواح عصبة　　ورنح أعطافاً وأودهـا المجد

وأكمد أكباداً وأورى بجذرها　　سواعرهمّ قد أمض بها الوقد

فلله ربي الحمد والشكر والثنا　　فمن جوده الحسنى ومن فضله المد

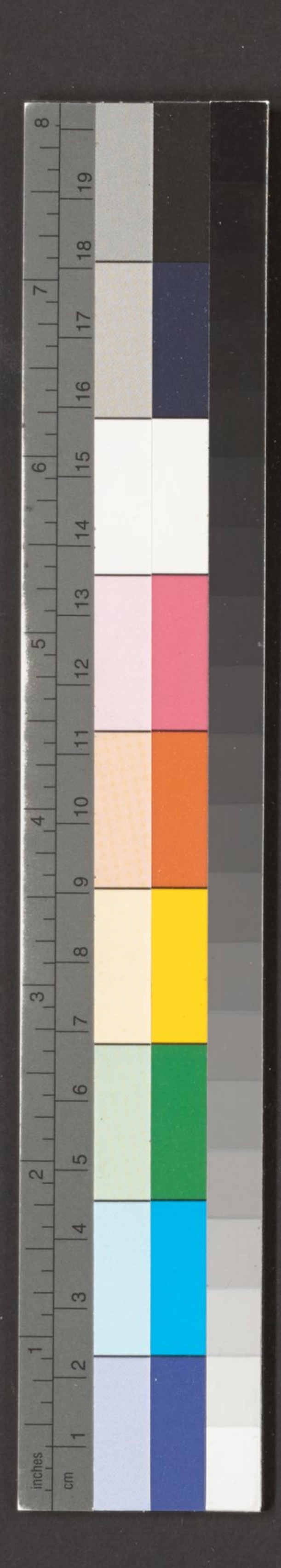
فلا زلت يا حـامي حمى الدين والهـدى

لك النقض والإبرام والحل والعقـد

ولا زلت في عز من الله دائمـاً　　يساعدك الإسعاف والنصر والسعد

وأعداك في كمد وكبت وذلة　　وفي قلة يعلوهم الحـد والجهد

فيا من سما مجداً وجوداً وسؤدداً وأم إلى هاماتها إذ هي القصد
ملكت فأسجح وابذل العفو والندى لتنجو في يوم اللقا حينما نغدو
إلى الله في حشر ونشر وموقف حفاة عراة مالنا منهما بد
وعامل عباد الله باللطف وارعهم بعدل وإحسان ليصفو لك الود
ومن كان ذا ود وقد كان محسناً فعامله بالحسنى لينمو لك الحمد
ومن كان قدماً قد أساء فاسقه زعافاً لكي يدري وينزجر اللد
وينحسم الداء العضال وينتهي ذوو الغي إن راموا فساداً أو ارتدوا
وخذ من تقى الرحمن درعاً وجنة تقيك إذا ما شدة للورى تبدو
وبالله فاستعصم وكن متوكلا عليه يقيك الله أشرار من صدوا
ونددوا عن الإسلام والدين والهدى وأشرار من كانوا بغاة وقد ندوا
ولا تستشر إلا صديقاً مجرباً سريرته التقوى وغايته الود
ولا تصغ للنمام سمعك إنما بزور أتى المأفون والكاشح الوغد
وأحسن فبالإحسان تستعبد الورى وتملكهم والحر يملكه الرفد
ولا يملك الأعراب ذاك لأنهم كما قيل أصنام لها الكسر والهد
فخفهم وجانبهم ولا تأمننهم والف بني الأحرار إذ هم لك الجند
ولا شك أن البذل والجود والندى بها يملك العاصي ويستألف الضد
ولكنه في حالة دون حالة وذلك لا يخفى على من له نقد
وأنت بهذا كله ذو فطانة وأدرى به منا ولكنما القصد



بهذا هو التنبيه والنصح والوفا   بحقك بل هذا علينا به العهد

أدام لنا ربي بك العز والهنا   وأولاك مجداً دائماً ما له حد

وعزاً وتمكيناً وفخراً ورفعة   يقصر عن إدراكها الحصر والعد

ودونك من أبكار فكري قلائداً   يجل سناها أن يماثلها عقد

إليك طوت بيد السباسب والفلا   تؤمك من نجد وأنت لها القصد

لتنشر من أعلام مجدك ماسمت   بأنواره الأحساء وافتخرت نجد

وأزكى صلاة الله ما انهل وابل   وما هبت النكبا وما قهقه الرعد

وما طلعت شمس وما جن غاسق

وما لاح في الآفاق من كوكب يبدو

وما حج بيت الله من كل راكب   على ضامر يهوي إلى بيته تخدو

على السيد المعصوم والآل كلهم   وأصحابه والتابعي نهجهم بعد

وقال يمدح الامام عبد العزيز أعزه الله ، ويذكر فيها ما من الله به عليه من النصر والتأييد على ابن رشيد ومن معه من العساكر ، وانهزامهم ورجوعهم خائبين سنة ١٣٢٢ هـ :

أهاجك أم أشجاك رسم المعاهد   معاهد أنس بالحسان الخرائد

أتذكر عهداً بالأوانس رافها   وتعقيد وصل حافد بالمقاصد

لغيداء يحكي البدر ضوء جبينها   منعمة مهضومة الكشح ناهد

كأن وميض البرق في غسق الدجى   رفيف ثناياها العذاب النضائد

كأن أريج المسك نكهة ثغرها   إذا هي ناجت وامقاً ذا تواجد

لها مقل دعج وكف مخضب   رخيص كأعناب بغصن العناقد

وفرع أثيث سابغ متجعد   كديجور ليل حالك اللون حاشد

وقـدّ قويم ناعم متـأود　　كغصن من البـان المذلل مائد
برهرهـة كالشمس في يوم صحوهـا
　　تفوق جميع الغـانيـات الخرائد
فلو كلمت شيخـاً بطاعة ربه　　مديبا عليها دائباً غير حائد
لأصبح مفتوناً بهـا ومولعـاً　　وخال رشاداً أن تفي بالمواعد
فضلت على تلك الديار واهلهـا　　كمثل سليم شاجن القلب ساهد
فدع ذكر عهد قد تقدم عصره　　وتذكار وصل للحسان الخرائد
ولـكن أزح عنك الهموم وسلها　　بعوجاء من قود الهجان الحرافد
وجب للطـاويح المفـاوز قـاصـداً
　　ولا تخش من فتك اللصوص الرواصـد
لشمس تبدى ضوؤها فهو ساطع　　وطالع سعد مشرق بالمحـامد
رأى ضوءه من بالوهاد ومن على　　رعان اليفاع الشامخات الفدافد
فثاب إلى ظل المحاسن وارعوى　　إلى ظل أفياء لهـا كل شارد
لقد بلغت شرق البـلاد وغربهـا
　　فكالشمس حلت في السعود الصواعد
تسامى بها شمس البلاد وبدرهـا　　وجمـاع شذاذ المعالي الشوارد
هو الملك الشهم الهمام أخو الندى　　مذيق العدى كاسات سم الأساود
إمـام الهدى عبد العزيز الذي له　　محامد في الإسلام أي محامد
أزاح جموع الترك عنـا بهمة　　تسامى بها فوق السهى والفراقد
ومزقهم أيدي سبـا وتمزقوا　　فما بين مقتول مصاب وشارد
ومـا بين محمول إلى عقر داره　　كسيراً حسيراً خاسئا غير فائد

بكره وإجبار وعنف توعد فعادوا وقد باؤوا بخيبة عائد
فهذا هو المجد الأثيل وإنما حوى ذاك من قوم كرام أماجد
وميراث آباء له ومآثر تأثلها عنهم بحسن المقاصد
لعمري لقد أضحى بها متسامياً على كل أملاك البلاد الأماجد
فتى حسنت أخلاقه فتألقت وغنت بها الركبان فوق الجلاعد
فتى دمث سهل الجناب مهذب ولكنه صعب المقاد لكائد
أذاق الأعادي والبوادي جميعها كؤوس حتوف من سمام الأساود
فكم جر من جيش لهام عرمرم يغادي به شوس الملوك السوامد
له رأي حزم كالحسام مجرداً ولهذم عزم نافذ للمعاند
ووثبة ضرغام أبي غضنفر إذا الحرب ألقت بالدواهي الشدائد
وبذل نوال كانسجام هوامع تعودها طبعاً لعاف وقاصد
فيا من سمت أخلاقه وتألقت محامده نحو السهى والفراقد
عليك بتقوى الله جل ثناؤه وإصلاح ما يدعو لعضل المفاسد
وبالعفو والإحسان والصدق والوفا
فإن بها تسمو لشأو المحامد
وراع جناب الحق والصدق راجياً جزيل ثواب الله يا ابن الأماجد
وإياك أن تصغي لمن جاء واشياً يرى أنه بالنصح أعظم وافد
وما قصده إلا ليحظى لديكم بما قال من زور وبهتان حاقد
وكن باذلا للجد والجهد قائماً بنصرة دين الله من كل كائد
فهذا الذي كنا نحب ونرتضي لمن يتولى الأمر من كل قائد
وكان على دين النبي محمد ويا حبذا الدين القويم لسائد

ونصح ولاة الأمر قد جاء ذكره   عن السيد المعصوم أرشد راشد
أبي وفي لايخيس بعهده   ولكنه لايرتضي بالمفاسد
وليس له قصد بأخذ تراثهم   وما جمعوا من طارف بعد تالد
ولكن ببذل المكرمات وفعلها   يجود وهذا قيد شبه الأوابد

وقال الشيخ سليمان أيضاً رحمه الله ، ردا على رجل من أهل العراق ، يقال له : جميل أفندي الزهاوي ، لنظمه قصيدة في مدح ابن متعب ، ويشكره في جره الترك على أهل نجد ، ويشجعه على حربهم ، فقال الشيخ رحمه الله مجيباً ومادحاً الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل أعزه الله بقوله :

ألا بلغا عني جميلًا رسالة   فقد جاءنا بالترهات الكواذب
وفاه بقول لا حقيقة تحته   وليس مقال الفدم يوماً بصائب
تهور فيما قاله حيث لم يكن   خبيراً بأحوال الورى والنوائب
فتعساً له من مارق متحذلق   وخب لئيم معرق في المعائب
يرى سفهاً أن البسالة كلها   لمن جاء بالأتراك من كل ناكب
ورام بهم إعلاء أعلام شركهم   وإعدام أعلام الهداة الأطايب
ومحوا لآثار الهدى بذوي الردى   فتباً له من جعظري مشاغب
فدع قوله في المعتدين ومدحه   وناد بما قلنا بكل المقانب
لقد من مولانا وأفضل وارتضى   لنا ملكا سامي الذرى والمناقب
فشام المعالي وارتضاها وأمها   بهمته العليا وجرد شواذب
وبيض قواض يختلي الهام حدها   ونص الهجان اليعملات النجائب
همه العليا وشأو مرامها   فأم إلى هاماتها والغوارب
، يثني همه ومرامهُ   طوال العوالي أوطوال السباسب

يخوض عباب الموت والموت ناقع
إذا استعرت نار الوغى بالكتائب
ويركب هول الخطب والخطب معضل
وقد هابه شوس الملوك الأصاعب

يرد لهام الجيش وهو عرمرم ويحطمه بالمرهفات السوالب
لقد فات أبناء الزمان وفاقهم بنيل المعالي الساميات المراتب
وجود وإقدام إذا استعر الوغى وضاق مجال الصافنات السلاهب
وأحجم أهلوها بيوم عصبصب به النقع يسمو كارتكام السحائب
هنالك لا تلقاه إلا كضيغم هزبر أبي شبلين حجن المخالب
ترى جثث الأبطال صرعى بغابه تراوحها الأشبال من كل شاغب
كذا الملك الشهم الهمام فإنما كماة العدى جزر له بالقواضب
ترى عافيات الطير يعصبن فوقه لتحظى بأشلاء العدو المشاغب
وتتبعه غرث السباع لعلها تروح بطانا من لحوم المحارب
وقد وثقت أن لا تعود خوامصاً وأن لها جزر كماة الكتائب
فلله من ندب همام مهذب أغاظ العدى من عجمها والأعارب
فنلنا المنى من بعد أن كادت العدى تحيط بنا من كل قطر وجانب
بعبد العزيز بن الامام ابن فيصل حليف العلى نسل الكرام الأطايب
ومن ألمعي أحوذي ومصقع بليغ بما قد شاءه في المقانب
يقود أسوداً في الحروب ضياغما تغير على الأعدى كأسد شواغب
حنيفية في دينها حنفية وليس لهم إلا العلى من مآرب
سما بهم نحو المعالي سميدع أبي وفي فاضل ذو مناقب

إذا هو أعطى ذمة لم يخس بها   وما كان ذا غدر وليس بكاذب

فإن رمت أخباراً له ووقائعا   فسل شمراً عنه بصدق المضارب

وحربا وسل عنها مطيراً وغيرهم   من العجم والأعراب من كل ناكب

فمزقهم أيدي سبا فتفرقوا   فما بين مقتول وما بين هارب

وما بين منكوب وقد خال أنه   بقوته قد حاز كل المآرب

بلطف من المولى له وأعانه   على كثرة الأعدى له والمحارب

إذا أم أمرا واعتلى متساميا   تمزقت الأعداء من كل جانب

وما ذاك إلا أنه لا ترده   طوال العوالي أوطوال السباسب

ولا غرو من هذا ولا بدع إنما

حواها من الشوس الكرام الاطايب

ومن والد سامي الذرى ذي مآثر   حسان وأخلاق يفاع المراتب

له فتكات بالأعادي شهيرة   يقصر عن إدراكها كل كاتب

أدام لنا ربي بهم كل بهجة   على السنن الحاوي لكل المطالب

وأزكى صلاة الله ثم سلامه   بعيد وميض البرق جنح الغياهب

على المصطفى الهادي الشفيع وآله

وأصحابه ما انهل وبل السحائب

شعر

أحمد الغزاوي

ومما مدح به الملك عبد العزيز أعزه الله ، وخذل من ناوأه ، آمين ! القصيدة الغراء التي ألقاها الأديب الأريب ، أحمد إبراهيم الغزاوي بين يدي جلالته في منى سنة ١٣٥٤ هـ :

هنيئا بك العيد الذي أنت ناظره — وفي الله تقواه وفيك بشائره

تلألأ وضاحاً كوجهك مشرقا — تداعبه شمس الضحى وتزاوره

وتدنو إليه كل عين قريرة — تمثل في أسراره ما تبادره

ترى بين عطفيك الامامة مثلما — تقمصها الفاروق طهراً مآزره

وتهفو قلوب نحو عرشك لم تزل — لها أمل يزهو بيمنك ناظره

قد ابتهجت تبغي إلى الله زلفة — لدن موقف بالله عجت مشاعره

وتلتمس الغفران من متطول — وترتع في أمن بك الله ناشره

وتصبو إلى مجد قديم تزينت — به صحف التاريخ واجتيح عاثره

إلى ذكريات الفتح والعرب أمة — سريعة مغدى العزم فيما تخاطره

يقحمها عصم المعاقل بأسها — وتأمن بالإخلاص مما تحاذره

ويمضي بها أيمانها وثباتها — على كسف الطغيان سود دياجره

فتلك وقد أضحت بتاجك وحده — تطلع للتاريخ تتلى مفاخره

تطلع للتاريخ حرى حرية — على درك الماضي الذي آن حاضره

تناجيه من أعماقهـا وشغافهـا كذي ظمأ أوفى على الماء حازره

ويستبق الطرف اللموح طموحها إلى المثل الأعلى الذي أنت سائره

أبت وهي انقاض الصروف شتاتها

وحنت إلى التوحيد تسطو بواتره

أبت وهي من آباء صدق توحشت بهم مدن الإسلام واعتز سامره

أبت وهي تتلو كل حين كتابها فتحفزها نحو الحياة مناذره

أبت وهي تستوحي تراث جدودهـا

وتصعقهـا صيحـاته وزواجره

أبت وهي آساد العرين حماسة وأحفاد شعب سودته مرائره

أبت أن ينـال الضيم منهـا فجاهدت

وصدع سمع الأرض صوت تجاهره

وليست بحمد الله تخشى هزيمة وانت لها الجيش المواضي غرائره

لهـا في حجا عبد العزيز وحزمه ضحى تترجى أن تعم مظاهره

لما اعتقدت بالبعث لو هي أغضبت وأغضت على خسف تعرت معاذره

كأنك منهـا كل قلب مشيع تدفق ارسالا إليك مخـامره

فمن حيث دين الله أهبط وحيه وحيث سبيل النصر سالت معابره

وحيث المصاليت المغاوير أوصلوا إلى المجد حتى أسلمته قياصره

رفعت لواء كان لولاك مثله أقر له بالفضل من كان ناكره

نحلت به أم العواصم واهتدى على ضوئه الساري ونهنه حائره

فيا رجل الدنيا وواحد أهلهـا ومن هو للدين المنزل ناصره

إليك أفاض الحج يزجي ثناءه   عليك وتقوى بالوفود أواصره

وقد راقهم ما أنت تدأب دونه   سريعا وتستأني له وتحاوره

تخذت لهم من ذات نفسك داعياً

إلى الله حتى استبين الرشد هاجره

وأنت ظهير المسلمين بموسم   تقربهم يوم التناد ذخائره

توافوا إلى باب مهيب حجابهُ   بك ائتلقت أبياته ومقاصره

إلى خاشع سمح رضي محبب   إلى ملك صلت عليه منابره

أضاءت به الأحساب ليلًا كأنها

شموس وحتى نظم الجزع شاذره

وقامت حفافيه الجنود كثيفة   تسابق في تنفيذ ماهو آمره

وحلق في آفاقه العز والتقى   وطنب في أفيائه من يوازره

تراءى به نسج الحديد وشائجاً   وغصت بأبناء النضال مواتره

كما اصطخب الآذي بالموج رهبة

لو اصطخبت في البحر قرت زماجره

تهلل من بين السلاطين ربه   وسحت أياديه وفاضت مواطره

له خلق مستمرىء من يقينه   يكاد من الإيمان يسطع نائره

تجاوب أصداء القرون بصدره   ولله أبقى للذي هو ذاخره

مليك حكاه المزن بشرى ونقمة   عزيز على كر الدهور نظائره

ولا غرو فهو التالد الطارف الذي

غذتهُ نمير المجد طفلاً حرائره

تجشم مالم يحتمله مملك   وشب وشابت بالكفاح غدائره

وأصبح موفور الجلال معظماً ترجى جوازيه وتخشى بوادره
إذا ارتجلت فصل الخطاب شباته حسبت ارتجاس الرعد ماهو ناثره
بهت إذاً لو كنت شاهد عبرة تحدرها خوف الإله محاجره
حمته عن الأدناس والرجس والخنا خلائق تقواه وطابت عناصره
له فطرة ضن الزمان بمثلها فجاءت كإعجاز به جل فاطره
يباهي بها في الله دون تكبر ويصلى بهاذات الوقود مكابره
فلله عينا من رآه فشاقه وراح سليباً تستبيه معاشره
تشع به آفاقنا وقلوبنا سروراً ويغدو بالسعادة طائره
يصافحه الغرب المدل مقدراً وتغبطه أحزابه وأباطره
وترقب فيه الشمس مطلع شمسه إذا اتخذت أشياعه ومصادره
وما الشمس هذا الضوء إلا تواضع ولكنه العز المخلد قاهره
بعيد مناط الهم تندق دونه رقاب أعاديه وتقسو جرائره
وقور حليم فاتك متعبد موارده محمودة ومصادره
ونزداد إيماناً وحباً وطاعة إذا ابتعثته للحديث خواطره
تألى يميناً في الجزيرة برة فوفى بها والبر أوشك سائره
لتغدو على رغم العوائق وحدة بحول الذي اصفاه ما هو قادره
ولن يخلف الله المهيمن وعده لمستخلق نارت لديه بصائره
ومهما أطلت الوصف فيه فإنني على العجز مضطر وإن هو غافره

فهل من عذير حين يرتج مقولي
قصوراً ولما يبلغ الشوط شاكره

أجل إن ملكاً ذلكم بعض شأنه ... لأجدر أن لا يلح بالعجز شاعره
فلا زال للاسلام سعد سعوده ... وتسمو به أرجاؤه وعشائره
واضفى عليه الله سابغ نصره ... ومكنه فيما تكن سرائره
وأبقاه ذخراً للعروبة كافلا ... وأبناءه ما طاف بالبيت زائره
وتغشى صلاة الله خيرة رسله ... وعترته ما وحد الله ذاكره

شعر

محمد رضى الخطيب

وممـا مدح به الملك عبد العزيز أيده الله بنصره ، قصيدة ألقاها الشاعر العراقي محمد رضى الخطيب أمام جلالته في منى سنة ١٣٥٤ هـ :

أرى العرب قد ألقت إليك قيادها
وأعطتك عفواً قلبها وفؤادها

بمغناك في الدنيا يطيب معاشها ... وباسمك في الأخرى تلاقي معادها
رأت فيك من يستدفع الضيم باسمه ... وتعطى بحمد الله فيك مرادها
فتحمي نواحيها وتجمع شملها ... وتمنع عنها بالأذى من أرادها
لقد وجدت فيك الجزيرة سيداً ... علاها على رغم الأنوف وسادها
وكانت مواتاً قبل ذاك وإنما ... أبو فيصل نحو الحياة أعادها

ليجعل فيها الأمن والعدل ظاهراً ويمحو بآيات الصلاح فسادها

أخو همة لم يبق في الناس بدعة تخالفه إلا إلى الدين قادها

أتى للورى نوراً من الحق مشرقاً

لتبصر من بعد الضلال رشادها

لئن أجدبت فالكف منه كفيلة تقوم مقام الغيث إن هو جادها

لقد محض الإسلام نية ناصح كما محضته كل نفس ودادها

دعوت فلباك الحجيج ملبياً من الأرض يطوي بحرها ووهادها

ولو لم تكن أرض الحجاز منيعة بحكمك ما استرعيت منها بلادها

قطعت إليك الفج والشوق رائدي

ونار الجوى أورت بقلبي زنادها

ولما بدت من أرض نجد نفوذها وقد قاربت نفس المشوق نفادها

تعللت في لقياك عن كل مأرب ونفسي من ذكراك صيرت زادها

وحين تراءت للحجاز هضابه وقد سلب الشوق العيون رقادها

فقلت لها قري فقد قرب الحمى وقاربت مولى يعرب وجوادها

وباتت تناجي الفرقدين مناعة مبانٍ لك الرحمن بالعز شادها

تسير وما زلت بك الرجل مرة وأوتيت في كل الأمور سدادها

عقدت على الشبل الكريم ولاية لعقدك قد شاء الإله انعقادها

ولاية حق عزز الله قدرها وشد على حقو السعود نجادها

إلى الحشر فيكم لا تزال وراثة نؤمل من باري الوجود امتدادها

تساهلت للقطر الشقيق وإننا لنأمل للقطرين فيك اتحادها

تقرب ما بين العروبة دائبا — لأنك حقاً لا تحب ابتعادها

وفي فيصل أكرم بطلعة فيصل — وجدنا ثغور المسلمين سدادها

يراه يداً للمسلمين وعدة — إذا فقدت يوم النضال عتادها

أمولاي دم للعرب حياً مملكا — وتلك حياة لا نحب افتقادها

لعلك إن شبت من الغرب فتنة — لتضمن للإسلام منها حيادها

أمولاي قد دبجت فيك قصائداً — جعلت سواد العين مني مدادها

وسيرتها للحشر فيك قوافياً — نواصع حتى الصخر مني استعادها

لي الفخر أني فيك أول شاعر — بكوفان أبيات القصيد أجادها

ملأت بها عين المحبين قرة — ومن عين أعداكم فقأت سوادها

ولا والذي استولاك حرمة بيته — وولاكها بطحاءها وجيادها

تجدد فيها العيد في كل حجة — وتثني إليك المكرمات وسادها

ومما مدح به الملك عبد العزيز أعزه الله سنة ١٣٥٣ قصيدة محمد عباس نقلتها من جريدة أم القرى وهي :

فاز الكرام وأهل البخل قد حبطوا — إذ بات سعد سعود العرب يغتبط

وأطرب العيس حادينا بنغمته — مذ راح صك إمام الحق يشترط

ذاك الإمام الذي بالعدل خط له — ملك وبالعدل كم خطت له خطط

يحكم الشرع في كل الأمور وما — يثنيه عنه رضى قوم ولا سخط

لا زال يأمر بالمعروف منبسطاً — وحبذا ملك بالعرف ينبسط

وينكر المنكر الممقوت مبتهجاً — وراجياً من عظيم الأجر ما غمطوا

فإن تكلم خلت البحث يسكبه تبراً أو اللؤلؤ المنثور يلتقط

وإن علا منبر التوحيد يخطبهم أصغت له العرب والأتراك والنبط

فآب كل فريق كان يخدعه شيء من الشرك في التوحيد يختلط

يسبح الله من خوف ومن وجل

وعنه زال العمى والغي واللغط

وصار يتلو كتاب الله متعظاً بوعظه ولكم بالوعظ يغتبط

ذاك الإمام وأنى كالإمام لنا يهذب الناس منه منهج وسط

فجرد الدين مما قد أضر به وزاد فيه غلواً ذلك الرهط

وأصبحت أمهات الكتب بارزة يزيد في حسنها الاشكال والنقط

فقام يشرحها أهل الحديث لهم

والقول في الدين ما حلوا وما ربطوا

وإن علا من كرام الخيل أشقرها والسيف في كفه يا سعد مخترط

تقول هذا علي في مهابته وعلمه في فنون الحرب منضبط

أمست به الكعبة الغراء آمنة من الأجانب وارفضت بها السلط

خابت مساعي العدى واسود طالعهم

وهل يسرح وجه الأمرد المشط ؟

فقد حوى الحزم والعزم العظيم به

كما حوى المسك من تضييعه السفط

أذوب فيه غراماً والغرام به نور وبالنور عنا الظلم ينكشط

نزلت من شامخات العز أرفعها وأشرف العز عندي ذلك النمط

جزاك ربي عن الإسلام قاطبة فقد قضوا حجهم أمناً وما عبطوا
عبد العزيز وشعري فيك أجمعه وكل شعر تعدى مدحكم شطط
ظهرت والدين يشكو من تصارفهم وكم شكا الدين من قوم به اختلطوا
من أين للدين تبييت العصابة في طي الوسادة منضماً لها الإبط
هذا هو الزور والكذب الصراح وكم
للقوم زور وكذب منهما هبطوا
وليس هذا عجيباً من تلاعبهم بالدين والدين من أعمالهم سخط
وإنما عجبي من أمة قنعت بكل قول ركيك الأصل ينمعط
طرائقاً راح يحييها وينشرها
بعض من الناس من معقولهم شحطوا
لا يعتنون بشرع الله خالقهم لأنهم من علوم الدين قد قحطوا
أعوذ بالله مما يفترون به على كتاب الهدى يا قوم واشترطوا
يخادعون أناساً لا عقول لهم وينفثون على المرضى وهم رقط
فكل باطلهم من علم باطنهم وأنف عاطلهم بالجهل يستعط
فاغلظ عليهم ولا تعطف على أحد فطالما عاندوا جهلا بما فرطوا
والخضر مات وهل في الموت منقصة
لدى الخلائق إذ زاغوا وإذ قسطوا
علي في البحث أن أبدي حقائقه وما علي إذ لم تعقل القطط
فقمت ترفع عن دين الهدى بدعاً وكل محدثة يا ابن الهدى غلط
كم حيلة نسبوا للدين فلسفة أعظم بما نسبوا أحقر بما خبطوا
جاد الإله بكم فضلاً ومرحمة على العباد عموماً بعد ما قنطوا

أحيت لنا سيرة الفاروق سيرتكم وإنما الدين بالدنيا له نشط

عادت بكم ملة الإسلام باسمة من بعد ماقد علاها ذلك الشمط

ساد الجزيرة أمن والأمان بكم فعمرت بكم الأوطان والربط

بيت المقدس يدعوكم لنصرته وفي المقدس عرب مسها الوهط

قلبي يحن لكم شوقاً ومن شغف كما تحن إلى أوكارها الغطط

دامت مفاخركم زادت منابركم

ضاءت ظواهركم ما استحسن القطط

مني السلام عليكم والمديح لكم والحب فيكم وعنكم تؤخذ اللقط

ولأحمد الغزاوي قصيدة أنشدها يوم عيد الفطر، بين يدي الأمير فيصل ابن الإمام عبد العزيز وذكر فيها ثورة الإخوان، ووقعة السبلة، والقبض على فيصل الدويش ومن معه من زعماء الثوار وذلك سنة ١٣٤٨ هـ :

شفى القلب عيد بالمسرات باهر ونصر مكين للمليك يوازر

وانباء صدق مترعات كؤوسها وآيات حمد رتلتها البشائر

فقد طوت الأيام شعبان باسماً طروباً بما لاقى الغواة الغوابر

تشتت شمل البغي وارتد ناكصاً على عقبيه واحتوته المقابر

على اثر تحشيد الليوث وزأرها ومن قبل أن تدنو الكماة القساور

وفرت جموع الناكثين وأصبحوا

وليس لهم مما قضى الله جابر

وحقت عليهم نقمة الله فاستوى لدى البأس رعديد الوغى والغشامر

وثابت مطير بعد أن مسها البلى كما فرت العجمان رغما تطاير

فلم تسع الأرض البراح برحبها　　رؤوس الأفاعي والمنايا شواغر

وأحدقت الأبطال من كل جانب　　وضاقت بأنفاس الجناة الحناجر

فولوا على الأدبار يبغون ملجأ　　وقد كان ما راموا وظن المحاذر

فشقت بهم أجوازها وشقوا بها　　شقيقة نسر الجو والسيد خادر

وألقت بهم في جانب البحر خشية

من البطش واسترعى المجير المجاور

وهيهات والآساد مشرعة القنا　　ودون انتجاء المجرمين مناذر

فما هي إلا ليلة وصباحها　　فسيق بها الدويش وارتاع ناكر

وما ساغ طعم النوم حتى تصفدت　　يداه على رغم العدى وهو صاغر

عليك ابن لامي وابن حثلين قد جرت

موارد سوء ليس فيها مصادر

أعدتم على قسر وما انفسحت بكم　　حبال الأماني والجدود العواثر

ولبى نداء العزم من صم سمعه　　إذا الصوت أعلته الظبى والخناجر

وجيء بكم والجيش في مستقره　　وذلك ما لم تحتسبه الدوائر

بنفسي وأهلي الرافعون لواءهم　　ولو زخرت يوم الحتوف المجازر

ولله ما لاقيت ياخير من سمت　　به همة هانت عليها المخاطر

ولله رهط من ذؤابة مقرن　　أضاءت بهم أحسابهم والمحابر

ومن أين لي نعت الذين بجدهم　　غدت تضرب الأمثال وهي سوائر

وحسبي إذا ما حانت اليوم فرصة　　أداء الذي أستطيع والعذر سافر

ألا صفرت أم الدويش وطابها　　لدى السبلة الجهاء والموت فاغر

عفى عنه من لو شاء لاستأثرت به　　سيوف الردى والجرح بالدم نافر

فما راقه ذاك التطول وارتمى على مضض والقلب بالحقد زافر

وما زال يستغوي الضفادع ضلة ويستهدف الآمال وهي دوابر

فـما كان إلا ثكله بعزيزه وقـد نكبته بالرزايا المقـادر

فويل لمن لم يرتض العز موطناً ويا هول ماجرت عليه المغامر

وبينا احتسينا من كؤوس حديثه وبتنا نشاوى واستشاط المكابر

بدا الصوم وضاح الجبين كأنما تمثل بالحسنى وطاب التزاور

فمن باقيـات صالحات تقدمت ومن بركات سابغات تنـاثر

ومن طاعة تدني إلى الله أو يـد تمـد سخاء والكريم يواتر

ومن قائم يتلو الكتاب وساجد يخر ويرجو يوم تبلى السرائر

تطوع فيه المؤمنون وأخبتوا وكل على ماوفق الله شاكر

ولما انقضى باليمن واستقبل الورى

هـلال التهـاني واجتلتـه النواظر

ترقرق ماءُ البشر في وجنة الضحى وسالت بأفواج الرجال المعابر

ولاح لنا عيد زها بسماته كما افتر ثغر الغيد أو رق هاجر

كأن المعاني إذ تأرج نشرها غوان تفيض المسك والجو عاطر

كأن الأماني في المطارف فصلت على الشعب فازدانت بهن المظاهر

ألا ليت من أضحى بنجد مقيله رأى كيف ماست بالأمير المشاعر

أجل قـد شهـدنا فيصلاً في جـلاله

كما انحسرت دون الشموس الستائر

ومن حوله الأمجاد من آل يعرب نجوم أحاطت بالمنير زواهر

تهلل كالغيث الهتون وأشرقت أسرتـهُ واستعذبته الضمائر

كأن به مروان في دست ملكه إذ الجيش غاز والحياة مآثر

كأن به هارون في ظل سدة تدانت إليها بالخضوع القياصر

كأن أخا الأشبال نفسي فداؤه مليك الحجا عبد العزيز المقاهر

فهل رأت الأبصار مثل وقاره حكيماً أنيرت في صباه البصائر

عزوفاً أنوفاً نائفاً متعطفاً ظريفاً لطيفاً للمقارف غافر

تدرع سربالاً من الحزم ضافياً وفاض كما تهمي المزون البواكر

ووطد أركان الأمان بسيفه فلا خوف إلا ماجنته الجرائر

فلله عينا من رآه بمجلس أنيق قد انثالت عليه الجماهر

وكل امرىء قد أبطن الحب قلبه

وفي وجهه ومضٌ من الود ظاهر

كأني وحولي من سلالة وائل عصائب تبني ما سفته الأعاصر

تبوأت مابين السماكين منزلاً ولم لا وشعبي حالفته المفاخر

أولئك أقوامي الذين توسدوا على هامة الجوزاء يوم تضافروا

لهم غابر لم يبله الدهر ساحر وعز على أنف العواذل حاضر

فرحى لأبناء الجزيرة نهضة قد ائتلفت منها الصوى والمنابر

وحي هلا بالبعث من بعد رقدة ويا نعم ما أوحت إلينا الفواقر

ويا حبذا التوحيد في كل حلبة وما المجد إلا ما حوته البواتر

وقد صفت الأجناد في كل بلدة وغصت بآساد الكفاح المغاور

فهيا إلى التعليم نحسوا شرابه لنروي نفوساً أصدأتها الهواجر

فـفي كل ربع للعلوم معـاهد وفي كل جمـع للرشاد منـابر

وفي كل نبع للبذور مغـارس وفي كل فرع للثمار مهاصر

فلا عذر للوانين إلا تكاسل ولا لوم للفـانين إلا التهاتر

ولست وإن طال الزمان بقانط فلي أمل في يقظة القوم ناضر

وللشعب في فخر العروبة فيصل وفي صاحب التاجين ذخر وناصر

فـلا زلتما للعيد عيـداً وللورى سعوداً ونظمي فيكما الدهر عامر

ومن مدح الملك عبد العزيز أعزه الله ، وخذل من ناواه ، الشيخ عبدالمحسن الكاظمي ، وذلك سنة ١٣٤٩ وقد أجاد فيها وأفاد :

الملك ملكك ما تقيم وترحل والأمر أمرك ما تقول وتفعل

العرش عرش المجد مذ بوئته والـتاج تاج بالفخار مكلل

ما كل عرش شيد عرش صـادق التـاج فيـه تاجـه المستكمل

فلرب عرش كـاذب شمخت بـه جـلاسه وهو الحضيض الأسفل

شتان من حفـلوا به وبذكره يوم الفخار ومن به لا يحفل

أمقطر الأبطال صاعك طافح ومقصر الآجـال باعك أطول

مهما يكن شاكي السلاح مدججاً بسلاحه فـأمـام عزمك أعزل

أوتيت من حكم وفكر ثاقب ما يضمن الفوز المبين ويكفل

وأتيت في الدنيا بما لم يؤته مأمونها فيها ولا المتوكل

إن كان في العهد الأخير ليعرب ملك فأنت لها المليك الأول

أو كان عدلك في الرعية شاملاً فسناك في الدنيا أتم وأشمل

فإذا الملوك العادلون تتابعوا متعادلين فشق بانك أعدل

رمت المطامع يعرباً فوقيتها لولاك لم يسلم ليعرب مقتل

وكفيتنا عنت الليالي كلما جاءت لياليها بما هو أليل

أفعالها كانت قواتل للرجا فرددتها قتلى بما هو أقتل

صنت البقية من دماء أوشكت تودي بها أطماعهم وتنكل

وغدوت في المجد الحديث لدى العلى مثلاً به المجد القديم مؤثل

طهرت شرعة أحمد من جاهل وحميتها مما افتراه الجهل

وبعثت رسلك للعباد مؤيداً ما سنه فيها النبي المرسل

لم تأت في حكم البلاد ولم تجيء إلا بما جاء الكتاب المنزل

داويت معتل العقيدة بالهدى فشفيته والداء داء معضل

ونصرت بالله المهيمن دينه والله ينصر من يشاء ويخذل

وأبنت للملأ الحقيقة عالماً إن الحقيقة في الورى قد تجهل

نجد غدت بعظيم قدرك تردهي وتهامة بقشيب ذكرك ترفل

يوم طلعت به على أم القرى يوم أغر على البلاد محجل

فإذا الأشاوس أبصروك تخاوصوا
وإذا الفوارس شاهدوك ترجلوا

يا حبذا يوم أقلك ركبه — فحذاه فضل أنت منه أفضل

وكتائب الإيمان خلفك زحف — وملائك الرحمن حولك نزل

الصافنات على الورى جرت بها — واليعملات بها تخب وترقل

وقف الزمان إلى الزمان مهنئاً — ومناه كل مناه لو تتقبل

يلقاك والأضحى جميل ذكره — ولقاك أطيب للنفوس وأجمل

العيد جاءك بالحمى متهللا — والعيد أنت بك الحمى متهلل

عيدان عيد كل عام مقبل — يوماً وعيد كل يوم يقبل

دنيا ودين في ذراك كلاهما — مأوى بروق الآملين وموئل

أقعى بهم عن نيل شخصك علمهم
أن النجوم منالها لايسهل

حجاج بيت الله اكبر حجة — قامت على من هولوا وتقولوا

عرفات تعرف فيك أي عوارف — متنقلات عنك إذ تتنقل

أنت الذي قد جاء والحسنى له — مرقى وآفاق المعالي منزل

أنت الذي علمت قومك دائباً — أن العلى حق لمن لايكسل

عنوان كل فضيلة محمودة — ما أنت تمنع في الأنام وتبذل

المسلمون على اختلاف ديارهم — بعثوا الرجاء إلى حماك وأملوا

وتساءلوا والأمر أشكل حله — أي الرجال به يحل المشكل

وتيقنوا والصعب غير مذلل — إن الصعاب على يديك تذلل

فإذا أقمت فقد تهلل مجمع — وإذا رحلت فقد تأهل مجهل

وإذا هممت فكل هم زائل　　وإذا عزمت فكل ظلم يجفل

لك في سماء المكرمات مناقب　　كالنجم إلا أنها لا تأفل

عبد العزيز وأنت خير وسيلة　　يسمو بها للعز من يتوسل

أدعوك للجلى وقد نزلت بنا　　والخطب خطب في البلاد مجلل

جارك يا نجد استغاث كلاهما

يرجو الخلاص على يديك ويأمل

أرأيت كيد الطامعين ومكرهم　　أرأيت كيف نجا الذي لا يغفل

دخلوا علينا الآمنات بلادنا　　دخلوا ولولا جهلنا لم يدخلوا

متيقظين على التخوم ترقبوا　　فإذا رأونا نائمين توغلوا

يحيا بنا وبمالنا وبمجدنا　　من ليس من أهل البلاد وتقتل

ويبيت ملء الجفن ينعم ليله　　ونبيت من ألم الجوى نتململ

جر الثقيل على البلاد وأهلها　　نفر على أهل البلاد استثقلوا

لا قرب الله الألى بعدت بهم　　أعمالهم حيث الجهالة تعمل

حسبوا الخيال حقيقة وتوهموا　　برق الكواذب صادقاً وتخيلوا

خدعتهم ألقابهم فتخبطوا　　ومشوا وراء غرورهم واسترسلوا

أغراهم تقصيرهم فتذبذبوا　　وتقلبوا وتلونوا وتشكلوا

إني بلوتهم على حالاتهم　　وبلوت غيرهم ومن هو يفضل

فبلوت صحباً أبخلين لشقوتي　　حلوا وصحباً أكرمين تحملوا

لرأيتهم أهلا لادراك المنى　　لو كان بين صفوفهم من يعقل

عللت قلبي بارتواء غليله　　فإذا بغير الآل لا أتعلل

أخذت بآفاقي الخطوب فزدنني علماً بدهري والحوادث حفل

لا أدعي علماً بغائب أمرها لكن علمت حقائقا لا تبطل

وعلمت من ماضي الزمان وحاله

ماذا به سيجيئنا المستقبل

وقدرت أن أسدي النصيحة آملا بنصيحتي تحقيق ما أتأمل

أصف الحقيقة تاركا تحقيقها لغد وفي التبعات لا أتنصل

لا يخدعنك من عدوك ظاهر يهدي وباطنه مواقد تشعل

فإذا تحول حاقد لمآرب في نفسه فالطبع لا يتحول

خضعت عزائمهم فأمسوا عالة وعلى حسامك في المكارم عولوا

خطبوا ودادك صاغرين وعلمهم ان يضرموا نار العداوة يصطلوا

عش واسلمن تجيب من سأل الندى

يوم الندى وتجيب من لا يسأل

قد جاد حتى قال كل مكابر أكذا الكريم بنفسه لا يبخل؟

وبقيت للأجيال مجداً خالداً تتزلزل الدنيا ولا يتزلزل

أيظل طلاب الروا في ظمأة ولديك منه ما يعل وينهل

لله قوما أكرمين تداولت سحب عليهم بالمصائب تهطل

قوم إذا نسبوا فقحطان لهم جد به مجد الجدود مؤثل

يا أيها العرب الكرام ذروا الونى

وخذوا بأسباب العلى واستعجلوا

إن العدو ببابكم متربص إن تتركوه فأمره مستفحل

إني أخاف إذا ونيتم فاتكم يوم تملك أمره من يعجل

لموا شتاتكم وكونوا كتلة — إن تهمل الكتلات ليست تهمل

عودوا إلى ماضيكم فتبينوا — ما في سجل الأكرمين يسجل

وسلوا شعوب الأرض في تفضيلها — من ذا عليكم في الشعوب تفضل

هل نعمة أو عزة أو حكمة — إلا وعنكم فى الورى تتنزل

العلم شارقة عليكم شمسة — والفضل ينقل عنكم وينقل

السمر أنتم في الكفاح نصولها — والبيض أنتم حدها والصيقل

والخيل تكرم باليدين وتلتظى — شوقاً إلى شن المغار وتصهل

فإذا تخضبت الظبا بدم العدى — فخضابها حمراء لاتتنصل

عجبا يضل الحائرون سبيلهم — وأمامهم فيه الإمام الأمثل

هذا لواء المجد رفرف فانضووا — بلغ الأماني من به يتظلل

قد جاء يحمله الإمام هداية — وفخار يوم النصر فيما يحمل

ألفوك حمال العظائم دونهم — يوم الجلاد فعظموك وبجلوا

يا ناجلا والدهر في وثباته — نجلاك حرز للبلاد ومعقل

أنجلت فينا صارمين كلاهما — يستأصل الجلى بما يستأصل

شبلاك ليس بمنجب شرواهما — ملك يصول ولا ضبارم مشبل

قمران قد بهر العيون سناهما — وسناك بينهما أتم وأكمل

عضداك بل عضدا المواطن كلها — فسعود ساعدها وفيصل فيصل

طلع النهار فلا ظلام حاجب — وسرى الضياء فلا حجاب يسدل

أحسنت بالخير الجزيل وأحسنا — والله يجزي المحسنين ويجزل

أحببت تفصيل الأمور وربما أغنى عن التفصيل هذا المجمل

ولبعض شعراء اليمن في مدح الملك عبد العزيز أعزه الله ، أنشده إياها سنة ١٣٤٨ هـ بمكة المشرفة :

عليك من المجد الرفيع سرادق ورايات عز بالسعود خوافق
سمت بك ياذا المجد والعزهمة تصافح أقمار الدجى وتعانق
فعزمك أمضى في الأمور من القضا
يلوح سريعاً مثلما لاح بارق
وأنت وحيد العصر جوداً ونجدة سبقت فلم يلحق غبارك لاحق
وحلمك مثل الشمس لاستردونه وذكرك مسك كلنا فيه ناشق
وأنت حليف النصر في كل موطن وسعدك ماض لم تعقه العوائق
وقد خصك الله العزيز بهمة تذل لها الشم الطوال الشواهق
تكاد تميد الأرض منك مهابة ويرجف منها غربها والمشارق
لقد قمت في نصر المعالي مشمراً وسيفك مسلول ونعم المرافق
فطهرت وجه الأرض من كل مفسد
ولولاك لم يرجع عن الفسق فاسق
وسرت كما سار الغمام مطبقاً وفيه غيوث للورى وصواعق
فمنهم سعيد فاز منك بسؤله ومنهم شقي روحه منك طالق
كذا فليكن من رام أن يدرك العلي ومن هو في دعوى الرياسة صادق
أطاعت لك الشم الرواسي وأقبلت
سراعاً فمسبوق إليك وسابق
أتتك على بعد الديار مطيعة كما استننت الخيل العرب السوابق

تيقن بأن الله أعطاك نصره وأن الذي يعصيك كالعبد آبق

فيالك من فتح سيأتيك بعده فتوح لها هادٍ إليك وسابق

حصون منيفات الذرى ومدائن قد انفتحت أبوابها والمغالق

فأمض سيوف العزم غير معقّب

فأنت بنصر الله لاشك واثق

فما تفتق الأيام ما أنت راتق ولا ترتق الأيام ما أنت فاتق

لقد خفقت رعباً قلوب معاشر وفارقها السلوان فيمن يفارق

فيا ملكاً للعُرب دمت موفقاً تنير بك الدنيا وتحمى الحقائق

عليك سلام الله ما لاح بارق وما صاح قمري وما ذر شارق

ولأحمد ابراهيم الغزاوي أنشدها بين يدي الأمير المبجل سعود بن الملك عبد العزيز بمكة المشرفة سنة ١٣٤٨ يهنئه بقدومه إلى الحجاز :

وافى السعود فبطن مكة معشب والمروتان تألقت والأخشب

وشدى الهزار على الأراك بسجعه لما استهل على الحجاز الموكب

فإذا المسامع والمرابع والربى تصغي وتندى والحيا يتحلب

والطير تصدح والقلوب استعذبت

صفو الإياب وساغ فيها المشرب

ظلت تعاني حجتين صدوده وتضيق ذرعاً بالنوى وتلهب

تتنسم الأنباء عن خاجانه وتود لو منح الضياء الكوكب

حتى شأى البرق البريد وشاقنا نبأ تبدد من سناه الغيهب

وسخا المليك لنا بأكرم وافد هو في الجزيرة قلبها المتوثب

قاد الفيالق والبيارق يافعاً — وحمى المفارق والبوارق خضب

وجنى ثمار النصر في وثباته — ووقى العروبة واصطفاه المنصب

عزت به نجد وأعلى ذكرها — شبل الأئمة والأمير الأغلب

منذ استقل جواده ما همه — إلا العلى تعنو لديه وتجنب

فدنت إليه وسلمته قيادها — إن الكرائم بالكفاة لتخلب

وتراه ردءاً في الحروب وملجأً

لذوي الكروب إذا غدت تتقطب

يلقى العظائم لا تلين قناته — ويثوب من طعناته المتنسب

إن شاء زحفاً أسعفته كماته — وظباته فوق الجماجم تخطب

أو رام عرفاً فالنضار نثاره — والفضل ودق والمكارم هيدب

يا من تأرجت الديار بقربه — وبذكره تزهو النفوس وتطرب

قد خلد التاريخ في صفحاته — مجداً يضاف إلى أبيك وينسب

عصر مجيد بالشريعة شاده — ملك عظيم بالجلال ملقب

فيه المعارف والعوارف والهدى

والحزم والرأي السديد المعجب

والعدل والإنصاف يسطع نوره — والأمن يطفو والمخاوف ترسب

ما بين جدة والعقير تعبدت — سبل القوافل واطمأن الربرب

من كان يحسب أن تقوم بنزهة — للنفس ثم بها التجارة تخصب

فتشق وعثاء النفود إلى الحسا — بين المساء وفي الصباح تأوب

هذا لعمر الله صدق عزيمة — وبشير خير بالرخاء معقب

ولقد بعثت بسيبك الأدب الذي
قد ضمه لحد العفاء المرعب

فسرى النسيم معطراً بأريجه وزهت بنهضته الحديثة يعرب
ونمت جذور للبيان ونافست أم القرى فيها الرياض ويثرب
فانعم بما آتاك ربك وارتشف كأس الهناء فشربك المستعذب
واحلل بسوداء القلوب فإنها كنف الذين بحبهم تتقرب
واعلم بأنا لا نقول تجملا هذا الذي نبدي هو المتحجب
لا زلت بدراً طالعاً في أفقنا
يمشي إليك الشعب وهو مرحب

ولأحمد إبراهيم الغزاوي أيضاً يمدح الملك عبد العزيز ويهنئه بعيد النحر وذلك سنة ١٣٤٩ هـ :

أرأيت كيف مظاهر العبّاد وأخوة الإسلام في الآماد
وشهدت أرهاط الحجيج كأنها حول الحطيم مواكب الأعياد
من كل ميمون النقيبة مخبت لله في صَدَرٍ وفي إيراد
متوشح بإزاره وشعاره تقوى القلوب وعفة الزهاد
همت به نحو الفريضة عزمة لم يثنها موج الخضم الهادي
لبى الدعاء مفارقاً أوطانه يرجو النجاة إذا مضى لمعاد
من كل فج في الدنا تجري بهم قمم البحار وضمر الأجياد
يا أمة التوحيد حسبك ضجعة أبكت عيون المجد والأجداد
فالدين بالدنيا وليس بباسط أفياءه من غير قدح زناد

كم ذا تمر الحادثات وتنطوي والمسلمون على هوى وبعاد

الناس قد غاصوا البحار وخططوا

جو السماء وحلقوا بجهاد

وتبادلوا الخطب الطوال بلحظة من دون واسطة بكل بلاد

فعلام فرقتكم وفيم شقاقكم وإلام يشرق بالزلال الصادي

مافي شريعتكم وهدي نبيكم إلا السمو وذلة الأضداد

خلوا التنابذ واسلكوا سبل العلى وتنافسوا في الخير والأعداد

واستعصموا بكتابكم وتناصروا والله للهمزات بالمرصاد

ولقد أنست بسنة منسوبة في قصر خير مملك مرتاد

عادت كمؤتلق الصباح ضياؤها

وحباؤها كالغيث في الإنجاد

يتمثل الإسلام فيها شاخصاً صعب القياد ميسر الأعضاد

يرنو إلى عبد العزيز تحية ويذود عنه غوائل الحساد

يتلو عليه من الثناء صحائفاً بيضاء خطتها يد الأشهاد

ويصيخ للحكم الذي هو ناسج أبرادها للجمع والإفراد

ما بين وعظ بالغ ونصيحة تحيي النفوس ودعوة ووداد

هي غاية في الحج منذ وجوبه للمسلمين وأصل كل سداد

أوهل مضى مثل الذي أنا ناظر كلا ورب البيت ذي الميعاد

لم تكحل الدنيا بسفح المنحنى بشبيه هذا القصر في الآباد

لا في البناء ولا الولاء وقد بدا

كالقصر ذي الشرفات من سنداد

قد شيدته على التقى وعلت به | نحو النجوم مواهب وأيادي
يضفي على الأضياف برد سخائه | مما حوته خزائن الامداد
حاطته أقدار المهيمن واحتوى | زمر الوفود وشوكة الأحفاد
تسمو إلى تاج ترصع دره | من وحدة جمعت شتات الضاد
هذا الفخار لمن أراد تأسياً | والسر في الأرواح لا الأجساد
جل الذي أولاك عزاً راسخاً | وحباك ملكا شامخ الأطواد
بالله ثم بما استقمت تأمنت | فيه السبيل لرائح أو غادي
ما إن تحدث ذا الجريمة نفسه
بالغي إلا بات رهن صفاد
حتى خطت فيه على اطمئنانها | شاة الرعاة مرابض الآساد
وأفضت في فلواته العذب الذي
يروي الغليل لعاكف أو باد
وجلوت أقمار العلوم بأفقه | وشرعت فيه وسائل الإسعاد
وأثرتها حربا عوانا في الألى | جمعت بهم أحلامهم لفساد
وهدمت صرح الجهل من آساسه
وقصمت ظهر الشرك والإلحاد
وأقمت بالشرع العدالة بيننا | حصنا وبالشورى وبالإرشاد
فاسعد وقل وافعل فأنت موفق | ودع الغواة على لظى الأحقاد
الله قدر أن تعيش مظفراً | من ذا يرد مشيئة الجواد
واهنأ بعيد للأضاحي مشرق | ما غنت الورقا على الأعواد

ولأحمد الكناني المصري يمدح الملك عبد العزيز أعزه الله سنة ١٣٤٩ هـ :

بالعزم أدرك أهل العزم ما طلبوا
ولم يفتهم على أجمالهم طلب

دانوا بمحض الوفا والنصح إذ ملكوا
أمر العباد وفي إصلاحهم دأبوا

وأسهروا منهم الأجفان لا لهوى
ولا استخفهم لهو ولا طرب

لكنما مدت العليا لهم يدها
فبايعوها وقاموا بالذي يجب

ولم تمل بهم الأهواء عن سنن
به لدى خطبة العلياء قد خطبوا

لم يعرفوا الطيب إلا من شمائلهم
ولا المكارم إلا ماله اصطحبوا

ولا المحاسن إلا ماله اجتذبوا
ولا المساوي إلا ماله اجتنبوا

لهم قلوب لأمر الناس قد فرغت
كادت مع الناس تأوي حيث تنقلب

آلت إليهم شؤون في إيالتها
أقدامهم نصبوا حتى لقد نصبوا

قد أصبحت بهم الأوطان باسمة
تفتر عن رغد العيش الذي جلبوا

في كل قطر ترى منهم أخا ثقة
لدى الشدائد والأهوال ينتدب

وللحجاز مليك منّ خالقنا
به هو ابن السعود الفيصل الدرب

الصائب الرأي والأقوام طائشة
آراؤهم وصواب الرأي محتجب

والثابت الجأش في ليل الخطوب وفي
فصل الخطاب إذا ماعي من خطبوا

عبد العزيز نشرت الأمن في بلد
كانت نفوس البرايا فيه تنتهب

وقد أقمت حدود الله معتمداً
على العدالة فارتاعت لها العصب

إذ ما رعوا حرمة البيت الحرام ولا
خافوا الإله ولم تردعهم النوب

فكان خير دواء أن ضربت على أيديهم واستتب الأمن واحتجبوا

فأنت أنت الذي لولاك ما أمن الـ

حجاج بل أنت في ذي الراحة السبب

بيوتنا في غنى عما يحصنها مادمت فينا فما الأبواب والحجب

صنت البلاد بعين منك فاعتصمت

ممن يظنونها نهبا لهم نهبوا

ولو أبيت عليها أن تقوم بها لأقسم الدهر لا يقوى لها سبب

فكم بكت وشكت للناس نكبتها

كأنما يسمع الشكوى لها رجب

أضحى رقيباً لأمر كان يرقبه

من لا يضيع سرى الأمر الذي رقبوا

بفطنة قد جلت غيب الأمور له وهمة قد علت تجلى بها الكرب

وفكرة ضبطت من كل آبدة ما ليس تضبطه الأقلام والكتب

قل للذين قصارى الأمر أنهم لا يذهبون لخير أينما ذهبوا

لقد بليتم بملك قلبه ذهبت به رعاية أمر الناس لا الذهب

ولم يشب نصحه للناس شائبة ولم تحوله عن مرضاته النوب

يا من به لإله الخلق قد عظمت يد علينا وكم يعطي وكم يهب

لست الذي بجلال الملك نال علا

إذ من علاك جلال الملك يكتسب

فلا تزال بك الدنيا ممتعة فما لها بعد أن تبقى لها أرب

ولمحمد الرضا آل السيد هاشم الخطيب العراقي في مدح الملك عبد العزيز سنة ١٣٥٣ ﻫ أعزه الله :

لو كان يقنع عاذلي أو يقلع كان استراح لأنني لا اسمع

ولع بتعنيفي ويعلم أنني لا أرعوي فملامه لا ينفع

هذا يؤنبني ولي قلب غدا قبلي يهرول للحبيب ويهرع

شاء الغرام لكل صب أن يرى خلاً يصد ومهجة تتصدع

مهلا أما يكفي العذول بأن لي قلباً يذوب ومقلة لا تهجع

هبني أطعتك أو أجبتك ظاهراً كيف السبيل لما حوته الأضلع

أنا هكذا يالائمي بحبه لا أنثني أبداً فلوموا أو دعوا

أسلوه وهو لعين قلبي قرة وهو السلو لخاطري والمفزع

إن كان أوجع مهجتي بصدوده فتحولي عنه لقلبي أوجع

قالوا تعوذ من سقامك بالرقى فالحب آخره خبال مفجع

فأجبتهم عز السلو وليس لي مما أكابد مفزع أو منزع

الا شميم عرار نجد إنه نحو الشفاء هو الطريق المهيع

وهوى الرياض فإن فيه لعلتي برء وغلة كل صاد تنقع

إن الذي ورد الرياض مجاوراً آل السعود هو السعيد الأرفع

من مبلغ عبد العزيز بأن لي قلباً تصارعه الهموم فيصرع

شوقاً إليه فقد يحن تعشقاً قبل العيان كما يغال المسمع

كيف الوصول إلى حماك وإنني فيه أعلل مهجتي لو تقنع

أصبحت بين إرادتين تناقضا عملا فحار الفكر فيما يصنع

قلب يحث على لقاك معجلا شغفاً وقلة ذات كف تمنع

أمجمعا من دين أحمد شمله ومفرقاً للكفر ما يتجمع

ما ألقت العليا إليك زمامها إلا لأنك للزعامة موضع

والعرب إن لم تأت بابك خضعاً فلأي باب غير بابك تخضع

لك راحتان فراحة تحيي الورى سيباً وبالأخرى الذعاف المنقع

تبا لمن قد حال عنك فإنه لاشك سن النادمين سيقرع

إن الذين بغوك كل منهم قد كان في جدوى يمينك يرتع

فأحاط بغيهم بهم فكأنهم خبر مضى والأرض منهم بلقع

عن حائل ما حال دونك حائل كلا ولا أغنى العدو المدفع

حتى ظفرت وكنت أكرم ظافر والغيظ عندك خير ما يتجرع

ولقد عفوت عن المسيء تكرما ورأيت أن العفو فيهم أنجع

سلطان قد شالت نعامته وفي وكد الدويش أناخ يوم أفظع

واسأل بجدة كيف حل وقبلها للمعتدين بيوم تربة مصرع

وبيوم خان الرفد بابن رفادة وبه لدى شرك المنية أوقعوا

خذلوه وقت الاحتياج إليهم والغدر حاق به فماذا يصنع

فأخذته أخذ المهيمن بغتة من حيث لا يدري ولا يتوقع

قد ظن خصمك منك أن ينجو وأن

تحميه منك سيوفه والأدرع

فيخال جيش الفيل حل ومنكم طير أبابيل عليه وقع

مهلا أبيت اللعن ما ابن رفادة ليحل عهدك وهو كلب أبقع

يا منقذ العرب الذي أحيى لها ما قد أمات المستبد المبدع

يا منعش العدل الذي فتكت به من قبل أيدي الظلم فهو مضيع

يا ناشر الأمن الذي عاثت به الـ أطماع فهو مشتت ومروع

الناس تخضع للزمـان وصرفه ونرى الزمان وصرفه لك يخضع

لو لم تكن عند الإله معززاً ويرى الأمانة مالديك تضيع

ماكان ربك قد أمدك نصره يومـا وكنت لبيته تستودع

قد كان ربع الوحي قبلك خائفاً واليوم فيك بأمنه يتمتـع

ولقومك الهُجر التي شيدتهـا للعلم نور في رباهـا يسطع

إني لانظر والأمور تكهنـاً ولربمـا سيكون مـا أتوقع

لابد يومـاً للجزيرة كلهـا علم السعود على رباهـا يرفع

أمعزز العرب استمع لي نفثة فلأنت أكرم من يعي إذ يسمع

شكوى يضيق لهـا الفضـاء برحبه

لكن خلقك من شكاتي أوسع

أنا في الصميم من العراق وأهله لكن لغيري شاته والمرتع

يا أيهـا الملك التقي ومن له عن كل شائنة نهى وتورع

خالفت قومي في هواك مودة رغمـا لكوني أنني أتشيـع

وقرعت بابك بالمديـح محققـا في أن بابك خير باب يقرع

أفهل أراك وهل تحوز نواظري ما كنت عنك من المحاسن أسمع

وله معارضا بعض الشعراء في قوله :

إني أحن إلى العراق وإنني لا من رصافته ولا من كرخه

فقـال :

إني إلى نجد أحن وإنني لا من دواسره ولا من وشمه

لكن قيصوم القصيم وشيحه أشهى إلي من العبير وشمه

للعرب في نجـد أب من أمه يلقـاه أحنى من أبيه وأمه

لذ فيه من جور الزمان فإنه ... ملك يجير على الزمان برغمه

سلم الفضيلة حرب كل رذيلة ... أكرم به وبحربه وبسلمه

ملك تحكم في الزمان فقاده ... حتى تصرف كيف شاء لحكمه

كم من أخي تيه يرى كل الورى

فوق الثرى طراً تسبح باسمه

ويظن من فرط الغرور بأنها ... تهوي الرواسي إن أشار بكمه

وافاك من حسد بمعول غيظه ... لبنائك الراسي يهم بهدمه

عرش بناه لك الإله وشاده ... أنى يضعضعه القوي بزعمه ؟

فغدا يعض بكفه متندما ... دعه يموت بغيظه وبسقمه

قال الشيخ سليمان بن سحمان : مادحاً الامام عبد العزيز أعزه الله ، وذلك سنة ١٣٣١ لما أراد عبد العزيز الرشيد المسير إلى العراق يستنهض الأتراك على المسير إلى نجد . أرسل حسين بن جراد في سرية من شمر وحرب ، ونزل الفيضة من أرض السر ، فنهض إليه الامام عبد العزيز بمن معه من المسلمين ، فصبحهم وأخذهم الله وولوا منهزمين ، وقتلوا عن آخرهم إلا نفراً قليلاً عفا عنهم الملك عبد العزيز أعزه الله فقال :

معالي الامور الساميات المعالم ... لاهل التقى والجود أهل المكارم

وبالحزم للأعدا وبالعزم في الوغى

منال العلى بالمرهفات الصوارم

وكل معالي الخلتين أخذتها ... ونلت ذراها في الخطوب العظائم

وقد فقت أبناء الملوك جميعهم ... بجد وإقدام وصدق العزائم

يلاحظك الإسعاد أين تيممت　بنودك لا تثنيك لومة لائم

وما قصرت أعداك في الحزم والدها
وتقليبهم　أفكارهم　المصارم

وقد جمعوا جيشاً لهاما عرمرما　وصالوا به واستنجدوا كل ظالم

ولكن دهاهم من دهائك فتكة　بفتيان صدق كالاسود الضراغم

وحسن رجاء الله فيما ترومه　بحزم وعزم والوفاء الملازم

وصدق وتدبير وحسن طوية　حللت بها فوق السهى والنعائم

ولاحظك الاقبال والعز فاستمى　لك النصر والاسفاف بين العوالم

وحل بهم ما حل بالناس قبلهم　قديما من الادبار عند الملاحم

لامر قضاه الله جل جلاله　وليس لامر حمه من مصادم

فسرت إليهم بالجيوش تقودها　لها زجل كالعارض المتراكم

لعمري لقد كانوا ليوثا لدى الوغى　وليس لهم عند اللقا من مقاوم

أبدت بها خضراءهم فتمزقوا　أيادي سبا واستأصلت كل غاشم

وولت على الاعتاب حرب وما ارعوت
ولكنهم　باؤوا　بشر　الهزائم

وقد غودروا في فيضة السر حيثما　طعام السباع والنسور الحوائم

ووالله ما من وقعة قبلها أتت　عليهم فقد باؤوا باحدى القواصم

وأخرى ستدهاهم بها في بلادهم　وتفجأهم فيها بأسد ضياغم

يسومون في الهيجا نفوسا عزيزة　وترخص منهم في حضور المواسم

وتستأصل الاعدا بها وتسومهم　بها الخسف والإذلال سوم البهائم

بحول الذي فوق السماوات عرشه ويسعدك الإسعاف في كل ظالم

فيا من سما مجداً وجوداً وسؤددا ونال العلى بالمرهفات الصوارم

ليهنك يا شمس البلاد وبدرها بلوغ المنى من كل باغ وغاشم

هنيئاً لك العز المؤثل والعلى هنيئا هنيئا فخرها في العوالم

فهذا هو الفتح الذي جل ذكره وهذا هو العز الرفيع الدعائم

فلله من يوم عظيم عصبصب يشيب النواصي هوله في الملاحم

فشكراً لمن أولاك عزاً ورفعة ونصراً وإسعافا على كل ظالم

فذي وقعة ما مثلها شاع ذكرها ولا مثلها فيهم أتت بالعظائم

ولا قبلها كانت عليهم فجائع ولا سامهم من قبلها ذل سائم

فلا زلت في عز أطيد مؤثل وأعداك في خفض وذل ملازم

ولا زلت وطاء على هامة العدى لك النقض والإبرام بين العوالم

ولا زلت كهفاً للعفاة ومعقلا منيعا منيفا في الخطوب العظائم

وصل على خير الأنام محمد وأصحابه والآل أهل المكارم

واتباعه والتابعين لنهجهم على سنة المعصوم صفوة آدم

ولتميم بن عبد الرحمن آل فهيد في مدح الامام عبد العزيز اعزه الله تعالى وذكر فيها وقعة السبلة وما أجرى الله في ذلك سنة ١٣٤٨ هـ :

أمن دنو ديار الحي في تخب بعد التفرق والهجران والصقب

أصبحت في حلل الأفراح مبتهجا بها ترنح من تيه ومن طرب

لكنه الفتح في الآفاق ساطعة أنوار بهجته أو أنسه الهذب

فالحمد لله حمداً لا انتهاء له   حمداً كثيراً بلا حصر ولا حسب

أف لقوم سكارى في جهالتهم   لا يألفون سوى العدوان والشغب

سائلهم ما جنوا من سوء فعلهم   إذ بدلوا بعد ذاك العز بالأدب

ساق الإله عليهم بالردى سحبا   في اثرها سحب تنزح عن سحب

فأصبحوا عبرة لكل معتبر   وهذه حالة الباغي وذي الكهب

مابين منصرع بالأرض منجدل   ومن بأسر رهين الهم والكرب

ويل لأم رعاء الشاء إن لهم   في أثر ما عزهم شغل لمكتسب

فللعرين حماة في زماجرها   ردى الأعادي من قاص ومقترب

لئن حوت عثر أسداً ضراغمة   ففي اليمامة أسد الغاب لم تغب

كم راغب رامها جهلاً بصولته   قدجرعته كؤوس السم والحرب

هم العوابس يوم البأس ليس لهم   إلا اكتساب العلى بالسيف من أرب

لاينكر الناس أفعالا لهم سمقت   ذباً عن الدين والأوطان والحسب

مهلاً رويداً فقد كانوا الذي علمت   كل الخلائق فليحذر من العطب

نجدية في سراة العرب محتدها   بطيب الذكر قد فازت وبالنسب

يقودها للعلى عبد العزيز إلى   أن حل غرتها بالبيض واليلب

وأحرزت قصباً للسبق حاوله   من لم ينله ولو قد جد في الطلب

لاتنثني عن بلوغ القصد عزمته   ولا له دون نيل المجد من أرب

يبيت مجتهداً في رفع أمته   والغير في وجل باتوا وفي نصب

كم ذا أعدد من حسنى ومفخرة   بهن تفخر مادامت بنو العرب

بالله ثم به اضحت مؤمنة   كل البلاد فلا ملجا لمنتهب

تمشي السوائم بالموماة راتعة سيان مرسلة أو كان عن هرب
من تأته قام بالأحجار يرجمها حتى كأن بها شيئاً من الجرب
لله أفعاله الغر التي سمقت فوق الثريا وحلت دارة الشهب
بنى العلى بالقنا عبد العزيز لكم حتى امتطيتم ونلتم شامخ الرتب
أحيى الذي كان من مجد لسالفكم
قضت عليه صروف الدهر والنوب
وقام بالسيف في كفيه يرفعه إلى المعالي كوثب الضيغم الهدب
حاط الحنيفية البيضا بنصرته من كل منتحل للشرك مرتكب
وأصبحت بعلوم الدين زاهية مدارس شادها باللغو لم تشب
تلك المناقب لا زالت ممتعة بها الجزيرة من نجد ومن صبب
حتى اصطفى في بلاد الله منتخباً فتى العلى فيصلا أكرم بمنتخب
الأروع الماجد المحبوب سيرته بين الخلائق وابن السادة النجب
رحب الذراع طليق الوجه منبسط
ليث عبوس إذا ما كان من غضب
شهم الجنان أبي حاذق فطن مهذب فاضل غيث لمتهب
يهتز جوداً إذ العافي ألم به كهيدب سائر بالغيث منسكب
إذا تراه ترى البشرى بغرته كأنها البدر إذ يبدو من الحجب
حباه مولاه ما فاق الكرام به وأكبروه من التدبير والأدب
يبيت ساهرة عيناه مجتهداً كي لا ينال وفود الله من تعب
فقل هلموا لحج البيت واغتنموا
وقت الأمان فإن الوقت من ذهب

ثرى الحجاز ولو شطت جوانبها عميمة الأمن في سهل وفي طرب

ما زال فيصل فيها فهي آمنة سيان شاسعها والبيت ذو الحجب

يا ابن المليك الذي أضحت مآثره فخراً لأندية الانشاد والخطب

سقيت أفئدة حللت أوسطها من فعل كفك كأس الود لم يشب

أحييتم العدل وانهدت بصولتكم حصون بغي بغت في ربعها الخرب

أرديتم فئة بالبغي سائرة بالأعوجيات والهندية القضب

خالوا العراق وإلا غيره لهم ملجا منيعاً فعاد الظن لم يصب

وأيما أحد أخطى طريقته لو كان مبتعداً ترميه عن قرب

أبقاكم الله للاسلام موئله آل السعود حماة الدين والعرب

ثم الصلاة على الهادي وشيعته وصحبه ما أضا برق من السحب

وما مشى نحو بيت الله من قدم وغرد الصدح من طير على قضب

وفي سنة أربع وخمسين وثلاثمئة وألف في يوم النحر، قسم الله أن نفراً من الزيدية أهل صنعاء اليمن وثبوا على الملك وابنه ولي العهد سعود، وهما يطوفان بالبيت، ومعهم نفر من خدامهم ففطنوا لهم قبل وصولهم إلى الملك، فالتزم سعود أحدهم وجرحه الزيدي جرحاً يسيراً، فأخذوهم وليس معهم إلا خناجر، فكفى الله شرهم وقتلوا في ساعتهم والحمد لله، ولم ينالوا إلا القتل والعار والبوار. فقال الشاعر الكبير الأستاذ الزركلي يصف ذلك ويشكر الله تعالى على سلامة هذا الملك من هؤلاء البغاة المارقين:

ضل الجناة سبيل النيل من ملك لولاه ماصين بيت الله والحرم

عبد العزيز الإمام الحق تكلؤه عين من الله لا جند ولا حشم

لبى وطاف ثلاثاً غير منصرف إلا إلى الله حيزوم له وفم

العين إنسانها بالغيب متصل والقلب عن غير ذكر الله منفصم

يحوطه من جلال الغيب ناصره وترتمي دونه الدنيا وما تصم

يستقبل الركن بالتكبير منتحياً قواعد البيت تطوافاً ويستلم

من كان في أمنه للخلق متسع ضاقت براصده الدارات والأطم

البغي والكيد مدا حوله شركاً فكان في شرك الجانين حتفهم

سلت يد الغدر نصلاً دون طلعته جبريل يرقى وميكائيل يحتدم

الجهل غرر بالعادي وشيعته فانساق من أكلته النار تلتهم

أبو قبيس له ارزام دمدمة يكاد من غضب يهوي فينهدم

لله موقف ليث الغاب حف به شبل يفديه والأبصار تقتحم

تماسكا بيدين الله فوقهما بر البنين رضى لله مغتنم

حمائم الحرم المحمي هائجة ريع الحمى أقتال في الحمى ودم؟

ما للجناة تنادوا من مكانهم أبالس ولدتهم للأذى الحمم

يبغون صدر مجير المستجير ومن عجائب الدهر أن تسعى بهم قدم

زيدية من حشا صنعاء منبتهم عمي القلوب على أكبادهم لجم

بالأمس قد رجم الرامون شرذمة ثلاثة أأفاقوا بعدما رجموا

وقى سعود فتى الفتيان خير أب فردها طعنة نجلاء تخترم

(نزهة الأبصار ج ٢ م ٦٥)

وقال بابنك إن كان الفداء فدى
هذي يدي وزناد العزم لا الضرم

تناول الفاتك الجياش يدفعه كالصخر بالزبد الهدار يصطدم

وانصبت النار ترجيها يد كرمت لم تنج من جمرها المستهتر العرم

طاح الثلاثة في أعناقهم دمهم صرعي تغاديهم العقبان والرخم

فقل لموقد نار الشر معتديا من هؤلاء وماذا أنت معتزم

عقبى الحفيظة إغراء بصاحبها
عقبى الرضى سلم عقبى الهوى ندم

اضرب على يد شرير منيت به لا تعلقن بك القالات والتهم

إني لألمح سراً غير مكتتم والسر بعد التقاضي كيف ينكتم

هذا الإمام أمير المؤمنين مشت من حوله السمر الهندية الخذم

لولا الأناة ولو لا الحلم لا نعقدت
سحائب النقع وانهالت دماً ديم

عبد العزيز وقاك الله فتنتهم ولا يزل لك فينا البند والعلم

صدقت عهدك والأيام شاهدة والعهد عندك عهد الله والذمم

عش للعروبة والإسلام معتصماً فإنما بك بعد الله يعتصم

وقد وجدت قصيدة عصرية ، ألقاها شاعر من أهل الشام ، يقال له : حليم دموس في مهرجان المتنبي ، يذكر فيها جودة شعر المتني وأنــه يبعث على الحماسة ومكارم الأخلاق ، وذلك في سنــة خمس وخمسين وثلاثمائة وألف وهي :

طلعت على الفصحى فحيتك حورها　　وخضت قوافيها فدانت بحورها

فتحت فتوحات تراءت حدودها　　وألهبت أرواحاً تلظى سعيرها

وأضرمتها في عالم الشعر ثورة　　على ربوات الخلد دق نفيرها

خلت حلب الشهباء من سيف دولة
ودولتك العصماء باق سريرها

فلك ولا تاج وفتح ولا دم　　ورايات نصر للنشور نشورها

هي الحكمة الغراء جاءتك تزدهي　　وليس سوى تلك القوافي خدورها

سلام على أم اللغات فوحيها　　أغانٍ على الأسماع يحلو مرورها

هي العروة الوثقى هي المنية التي　　يهز قلوب المخلصين بشيرها

تركنا ربى لبنان والشام قصدنا
وفي النفس من أشواقها ما يثيرها

حملنا إليها الشعر والشوق والهوى　　وذكرى ليال ليس ينسى سرورها

وفي ميسلون كان للركب وقفة　　على تربة من هالة العين سورها

على تربة العظمي رفت جوانح　　فأنت سواقيها وحنت صخورها

إذا رفعوا لاسم البطولة قبة　　مشينا إليها خاشعين نزورها

وهبت لنا من جانب الشام نفحة　　كأن ربى الفردوس فاح عبيرها

حللنا مغانيها وفي كل دارة　　لنا ذكريات ما سلاها سميرها

إذا صافح الأردن دجلة رفرفت　　على بردى من جو مصر طيورها

مواكب أقطاب البلاد تزاحمت　　فطابت لياليها ولاحت بدورها

إلى المجمع العلمي خفت وفودها　　وبالمعرض السوري حفت صقورها

وحيّت صلاح الدين حول ضريحه ففاضت مآقيها وجاشت صدورها

إلى الخلفاء الراشدين تطلعت وقد بسمت للخالدين ثغورها

مفاخر سفيان ومجد أمية وآثار مروان حوتها قصورها

غدت حيرة النعمان حيرى كأنما

خورنقها هذا وهذا سديرها

دقائق نقش في فنون صناعة فأولها يسبي النهى وأخيرها

يمر عليها الدهر وهي جديدة وتبقى ببقاء الزهر زهراء دورها

وأكبر رمز من رموز حياتها مصانع عمران يعج هديرها

فحدث عن صلب الحديد ترابها

وحدث عن لطف النسيم حريرها

إذا ذكروا للجاهلية منبراً أطل فتى ذبيان وهو مشيرها

وناجى عكاظ الشعر ربع أمية فأخطلها يشدو ويشدو جريرها

وإن خطبوا غر المعالي رنت إلى أبي الطيب الجبار تيها مهورها

وهللت الفصحى لآيات أحمد وسار إلى رب البيان سفيرها

إلى شاغل الدنيا ومالىء سمعها إلى الطائر المحكي تعنو نسورها

تغلغل في قلب الحياة ولبها ولم تلهه أعراضها وقشورها

إذا امتشق الأسياف صل صليلها أو امتشق الأقلام صر صريرها

صريع العلى والخيل والليل لفتة

إلى أمم في الشرق صرعى أمورها

ويا شاعر الإعجاز صيحة ثائر عسى من وراء الغيب ما يستثيرها

ويا طالما استصرختها فتنبهت إلى زأرات لا ينام هصورها
فعلمتها معنى الحياة وإنها إذا لم تذدعن حوضها اندك طورها
وعلمت أن الظلم في الناس شيمة وأن كؤوس المجد حلو مريرها
وعلمت أن الشر بالشر يتقى إذا الفتنة العمياء عمت شرورها
وعلمت ان المال في الأرض قوة وأن المنى لا يلتقيها فقيرها
وأن صغار الطير يسهل قنصها وأن أسود الغاب يخشى زئيرها
وحدثت عن ذل الضعيف بأمة تخاذل أهلوها وعاث غدورها
وعلمتها صبر الكريم وحلمه إذا ما الرياح الهوج سح مطيرها
وعلمتها أن السلامة سبة إذا لم يرق حول النفوس طهورها
وعلمتها أن الشعوب جميعها سواسية لا يستهان حقيرها
وعلمتها أن المعالي عزيزة ينال بأطراف الرماح خطيرها
وعلمتها أن الممالك بالظبى وبالثورة الحمراء تحمى ثغورها
وعلمتها أن الحياة شجاعة وما فاز باللذات إلا جسورها
تعاليم إن قامت بها أي امة وكانت على رق تحطم نيرها
هو الشعر نهواه ونهوى قديمه جديداً كشمس ما تغير نورها
تسيل على الأرواح منه سلافة من القلب لا العنقود يجري عصيرها
وما شعراء العرب إلا جداول تصب ببحر منه كان صدورها
ولن تدرك الأقوام في الشرق وحدة
إذا لم يكن منها إليها مصيرها
تكافح للإصلاح والأمر أمرها وتفعل ما يوحي إليها ضميرها

منزهة الأهواء شرقية الهوى تسير وأحرار البلاد تديرها

فتمشي إلى استقلالها في كرامة يوحدها يوم الجهاد شعورها

فيا فاتحاً بالسيف أغمده وافتتح قلوباً إذا والتك هان عسيرها

أما لمست كفاك داعي جراحها وكم حملت من دهرها مايضيرها

تهيم وأدغال السياسة حولها تفح أفاعيها وتسطو نمورها

كبار أمانيها فحيناً بشيرها يجاذ بها البشرى وحينا نذيرها

فيا سفن امراسها قد تقطعت تصارع أمواجاً توالى كرورها

تغير عليها موجة إثر موجة وأناتها تعلو ويعلو صفيرها

وتهوي بمن فيها إلى اللج تارة وتطفو ولا تدري أيأتي نصيرها

بأفجع من أرض تصيح شعوبها وتسمعها الدنيا ولا من يجيرها

نبي القوافي قد تنبأت صادقاً بآي على الأيام زاه نضيرها

ففي كل بيت حكمة نستمدها وفي كل شطر آيه نستشيرها

رواتك في الآفاق غنت وصفقت

لأبيات شعر خالدات سطورها

وكم قادة في الشعر تدلج في السرى

وأنت بمصباح البيان تنيرها

لقد كنت من عرش ابن حمدان سيفه

وشرعة إلهام يفيض غزيرها

ولولاك لم تخفق لأخشيد راية ولم يشتهر كافورها ووزيرها

ولولاك لم تعرف محاسن خولة وقد عطرت زهر الرياض عطورها

محجبة عن كل عين ونسمة وترنو لأخرى لا يغيض غديرها

فكيف سفحت الدمع يوم نعيمها وقد جزتها بيداء يكبو هجيرها
شريد فلاة بل طريد صبابة وفيك جراحات تنزى كثيرها
على كبد حرى وقلب مروع فتنت بتيجان سباك غرورها
تكتم حباً قد براك وفي الحشى لبانة نفس كاللهيب زفيرها
حنانيك يا أخت الأمير فرحبي بمن أطرب الدنيا فغنت دهورها
هناؤك ملقاه وقد طاف باسماً بجنات خلد جاريات نهورها
لعينك مالاقى الفؤاد من الهوى ودولة حمدان عزيز أسيرها
لقد غلبتهُ كبرياءٌ وعزةٌ وشتى مواعيد تبين زورها
فشرق أحياناً وغرب تارة وآماله تذوي فتذوي جذورها
وودع في الشهباء دار إمارة وشيع إجلاماً عظيماً صغيرها
لقد فتكت ليلاً به كف فاتك فزلزل من شم الجبال ثبيرها
وفاضت إلى الخلاق نفس كبيرة
وأفضى إلى عرش الخلود مسيرها
وأطبق جفنيه على شاعرية مثير طماح النابغين مثيرها
ألا فاعرضوا ديوان أحمد إنه ذخيرة أحداد يعز نظيرها
بدائع أقوال كبير نظيمها روائع أمثال كنظم نثيرها
إذا برزت للغانيات تزينت بأعلى وأحلى ما تحت نحورها
وإن حجبت يوماً تضوع عرفها وإن سفرت يوماً سباك سفورها
تمنيت لو ألهمت من فيض سحره
قوى كنت في شعره أستعيرها
فأنفخ في روح العروبة روحه وتنتفض الموتى وتمشي قبورها

وأنظم للأقوام في مهرجانـه مدائح من ذاك الفرات نميرها

وأنشد باسم الضاد أغلى قصيدة

إلى الشاعر الكندي تهدى سطورها

ومن جارة الوادي ومن در نهرها على مفرق الفيحاء تلقى شذورها

فتى الكوفة الخضراء فجرت للنهى

ينـابيع في أذن الزمـان خريرهـا

نشأت طموحـاً ثائراً متحفزاً أخا همة نحو النجوم تسيرهـا

تفلت من دنيـاك عن عبقرية بها أبصر الأعمى وتاه بصيرهـا

فخلدت عصراً أنت تاريخ قومه وكم باد أقوام وبادت عصورها

طويت من الأعوام ألفا فتنطوي ألوف على الفصحى وأنت أميرها

ولمحمد بن عمر بن عبد الوهاب العرضي الحلبي، المتوفي سنة ١٠٧١ هـ يتوجع من إعراض بعض الرؤساء، وكان خصيصاً به، فوقعت بينهما وحشة فجفاه فقال يستعطفه:

على أثلات الواديين سلام وبعض تحايا الزائرين غرام

تذكرت أيامي بها وأحبتي إذ العيش غض والزمان غلام

وإلمامتي بالحي حيث تواجهت قصور بأكناف الحمى وخيام

ألام على هجرانهم وهم المنى وكيف يقيم الحر وهو يضام

هم شرعوا أن الجفاء محلل وهم حكموا أن الوفاء حرام

وأبلج أما وجهه حين يجتلى فشمس وأما كفه فغمام

جرى طائري منه سنيحاً فعلني بدر أياد ما لهن فطام

وقد يسلب الرأي الفتى وهو حـازم

وينبو غرار السيف وهو حسـام

وقدوجدالواشون سوقاًفنفقوا بضائع زور مـا لهن دوام

يقرب دوني من شهدت وغيبوا ويوصل قبلي من سهرت وناموا

فأصبح شمل الأنس وهو مبدد لديه وحبل الوصل وهو رمام

وبعض كلام القائلين تريد وبعض قبول السامعين أثام

تزاور حتى مـا يرجى التفاته وأعرض حتى مـا يرد سلام

فلا عطف إلا سخطة وتنكر ولا رد إلا ضجرة وسآم

فإن كان رأي زل أو قدر جرى لنـازلة فيهـا علي مـلام

فوالله ما قارفت فيك خيانة أعاب بهـا في محفل وأذام

ولاقر لي بعد التفرق مضجع ولا طاب لي بعد الرحيل مقام

حياء فإن الرفق خير مغبـة ومعذرة إن الكرام كرام

أتبعد حتى ليس في العفو مطمع وتعرض حتى ما تكاد ترام

وتنسى حقوقي عند أول وهلة وأنت لأهل المكرمات إمام

هو الذنب بين السيف والعفو فاحتكم

بمـا شئت لم يعلق بفضلك ذام

ولا تبلني بالبعد عنك فإنمـا حيـاتي إلا في ذراك حرام

إذا مـا جزيت السوء بالسوء لم يكن

لفضلك بين الاكرمين مقـام

أعد نظراً في حالتي تلق باطناً سليما وسراً مـا عليه قتـام

فمثلك لم تغلب عوائد سخطهِ رضـاه ولم يبعد عليه مرام

أترضى لفضلي أن يضيع ذمامه ومثلك لا يخفر عليه ذمـام

فإن نمت عني واطرحت وسائلي فلله عينـاً لا تكاد تنـام

قال الشيخ محمد افندي حافظ ابراهيم يمدح المرحوم الشيخ محمد عبده ويهنئه بتولي منصب الافتاء :

رأيتك والأبصار حولك خشع فقلت أبو حفص ببرديك أو علي
وخفضت من حزني على مجد أمة تدار كتها والخطب للخطب يعتلي
طلعت بها باليمن من خير مطلع وكنت لها في الفوز قدح ابن مقبل
وجردت للفتيا حسام عزيمة بحديه آيات الكتاب المنزل
محوت به في الدين كل ضلالة وأثبت ما أثبت غير مضلل
لئن ظفر الافتاء منك بفاضل
لقد ظفر الإسلام منك بأفضل

رجعنا الى تمام المختار من شعر محمدبن عثيمين ، فمن ذلك ما مدح به حضرة الحاكم المبجل ذا الهمم العالية ، والمناقب السامية ، بيت المروءة والأمانة ، وينبوع الكرم والديانة ، حامي حمى المكارم والمعالي ، أبا حمد الشيخ عبد الله بن قاسم بن ثاني لا زال كهفاً للملتجي وأملا دائما للمرتجي آمين قال :

وقفت على دار لمية غيرت معالمها هوج الرياح النواسف
فأسبلت العينان دمعاً كأنه جمان وهي من سلكه مترادف
أسائلها من فرط ما بي وإنني بعجمة أحجار الديار لعارف
لعهدي بها بيض أوانس كالدمى
غرائر عما لا يحل صوادف
إذا ما سحبن الأتحمي تمايلت غصون النقا مالت بهن الروادف
وفيهن معلاة الوشاح كأنها
قضيب إذا ماست من البان وارف
ألا ليت شعري أين مني مزارها وقد حالت الصمان دوني وواجف

أظل نهاري انكت الأرض واجماً
وفي كبدي في الليل تحمى المراضف
وأجهل يوم البين أن يظهر الهوى وقد أعلنته الساجمات الذوارف
وإني وإن كانت إلى الغور نيتي لفي الربرب النجدي للقلب شاعف
أقول لركب يمموا قلة الحمى على شد قيات طوتها التنائف
قفوا حدثوني عن أجارع رامة
عسى انبجست فيها السحاب العواطف
وهل امرعت أجراع لعلع بعدنا وهل رددت فيها اللحون الهواتف
سقى هضبات بعد ماوان في الحمى من المزن ثجاج العزاليّ واكف
وجاد ربوعا باللوى كل مطفل أجش هزيم ودقه مترادف
فلي سكن ما بين ملتف دوحها يعز عليه أن يطول التقاذف
يظل إذا اضمرت للبين نية يلاحظني والدمع هام وذارف
خليلي ودعت التصابي وقوضت مآرب لي في ربعه ومواقف
وأذن صبح الشيب في ليل لمتي فآبت ولكني على الليل آسف
وباعد من كنا نسر بقربه وآخر مطوي عليه اللفائف
رجال وأوقات وشرخ شبيبة مضوا وزمان ما يجيب مساعف
فقل ما تشا في مهجة قد تصدعت
بلوعة موتور بما أنا واصف
جعلت سميري حين عز مسامري دفاتر أملتها القرون السوالف
فطوراً أناجي كل حبر موفق إذا ما دعا لبت نداه المعارف
وطوراً كأني مع زهير وجرول وطوراً يناجيني ملوك غطارف

تسليت عن كل بتذكار عصبة لهم في العلى مجد تليد وطارف

بهاليل سادوا من يليهم ومن نأى كهوف حصينات إذا اضطر خائف

مطاعيم في اللأوا مطاعين في الوغى بحور ندى لا يحتويهن غارف

ربيع لأقوام جفتهم بلادهم إذا استحكمت غبر السنين الجواحف

يعولونهم فضلا ولا صهر بينهم ولا نسب يدنيهم أو تعارف

ينسونهم أخدانهم وديارهم فكم أرمل في أدهم الفضل راسف

ليهن بني الشهم الغضنفر قاسم مآثر تبقى ما تخلف حالف

أولاك بنو خير له إن أردته وإن كان شراً فالأسود الزوالف

ولائي لهم لكن لمن حل في الثرى مزيد اختصاص بي وما ثم عاطف

سقى الله قبراً حله سيب رحمة ولقاه خيراً يوم تبلى الصحائف

لقد بان محمود النقيبة لم يكن بطائش لب والسيوف رواعف

ولي بعده ود بأروع ماجد أبي لخلات الكرام محالف

إذا الرائد الزهاف أخفق سعيه وضاقت بأرباب الموشى النفانف

هنالك إما رافد أو ممول يلوذ به الهلاك باد وعاكف

كذا الروع إن أبدى نواجذ عابس وخفت حلوم واستطيرت شراسف

ترى قسمات الأريحي ابن قاسم تهلل نوراً والوجوه كواسف

وإن قيل عبد الله وافى لمشكل تبجح مضهود وفاه مخالف

ألم تره يعطي الجزيل من اللهى ويقتحم الأهوال وهي مخاوف

فقل لامرىء يسعى ليدرك شأوه رويدك دون المجد فيح صفاصف

تعشقت أمراً جل في كف سيد فهيهات تأتي فعله أو تناصف

فما المجد إلا قنة في ممنع ودون ارتقاها معضلات متالف

ودونك أبياتاً شوارد في العلى تهز إذا تتلى لهن السوالف

أوابد إلا في مديحك أنسها نوافر إلا عن علاك عوازف

وأحسن ختم للنظام إذا انتهى صلاة وتسليم الإله المضاعف

على المصطفى الهادي الأمين وآله

وأصحابه ما طاف بالبيت طائف

وما هل مزن أو تألق بارق وماهتفت فوق الغصون الهواتف

وله أيضاً يمدحه :

نعم هذه أطلال سلمى فسلم وأرخ بها سبل الشؤون وأسجم

وقف في مغانيها وعفر بتربها صحيفة حر الوجه قبل التندم

فثم مثيل الوجد لابل مقامه وثم هوى نفس المشوق المتيم

ومسحب أذيال لغزلان جيرة سقوني سلاف الوصل غير مفدم

غضارة عيش قد توهمت أنها تدوم فكان الأمر غير التوهم

متى تذكراها لي يهج بين أضلعي عقابيل وجد كالحريق المضرم

أقول لصحبي والمراسيل ترتمي بناسهما ترمي الفيافي بسهم

ألا عوجة منكم على الربع ربما شفى بعض ما بي أو قضيت تلومي

فعاجوا فغطت ناظر العين عبرة فلم أتبين شاخصاً من مهدم

أجدكما أن لا أمر بمنزل لمية إلا أمزج الدمع بالدم

ولا أستبين البرق يفري وميضه

جلابيب مسدول من الجنح مظلم

بجزع اللوى إلا أبيت مسهداً كأن شراسيفي نفذن بأسهم

سهرنا فناموا وارتحلنا فخيموا عناء لنجدي علاقة متهم

بلى حين خادعت اللجاجة بالأسى

ومنيتها بالظن صبر المرجم

تراءت لمشغوف بها لتعيده ظلوم الهوى في دائه المتقدم

واوحت إلى طرفي بإيماض طرفها وهزت قواماً كالقضيب المنعم

فكنت أمني النفس جد تسلياً فعدت بما شاهدته جد مغرم

وقائلة لي والركاب مناخة وقد رقرقت دمع الحزين المكتم

إلى كم بها ترمي الفجاج مخاطراً

والرزق أسباب بغير التجشم

فقلت لها مهلاً فإن تقلقلي إلى كعبة يهوي لها كل معدم

وينتابها قوم كرام أعزة ففيها ابن عكاز وفيها ابن ضيغم

مناسك فضل قد أقيمت فروضها خلا أن من يسعى بها غير محرم

بناها عماد الدين والفضل قاسم وبوأها أبناءه قل فاعظم

هم القوم لا الجاني عليهم بسالم ولا جارهم للحادثات بمسلم

إذا نزلوا الأرض الجديب تزخرفت

وإن نازلوا يشق القنا بالتحطم

وتجهل أيديهم على المال في الندى ... وتحلم عمن ذنبه بالتكلم

على رسلكم ياطالبي المجد فاتكم ... إلى غلواء المجد جري المطهم

أغر عليه للطلاقة ميسم ... يلوح له نور بغير توسم

سرى للعلى وهناً وهوم غيره ... وهيهات سار للعلى من مهوم

هو الندب عبد الله والضيغم الذي ... به الأسد في يوم الكريهة تحتمي

فتى طلبات إن تباعدن نالها ... بجرد المذاكي والوشيج المقوم

وعزمة سباق إلى كل غاية ... وهمة مقدام على كل معظم

لعمري لفرع بين قيس وحاجب ... قديماً وللفياض قاسم ينتمي

لفرعٍ زكا في مغرس الفضل أصله ... وفاح شذاه بين عرب وأعجم؟

إليه مصونات المعالي تشوفت ... تشوف ذي وجد إلى الزوج أيم

ولوع بكسب الحمد والمجد هاجر ... خلال الدنايا شيمة بتشيم

إذا ما انتدى زواره وضيوفه ... تبدى كبدر التم من بين أنجم

يغادون مغشي الرواقين باسماً ... قبائل شتى من فصيح وأعجم

فمن معلن شكوى ومن طالب جدى ... ومن مستقيل عثرة المتندم

أبا الفضل لم يفضلك زيد وحاتم ... ومعن إذا قسنا بغير التقدم

لئن هم أبانوا في العلى منهج الندى ... فكم شدت منها معلماً بعد معلم

ترحلت عنكم لا اغتباطاً بغيركم ... ولا عن مقام في حماكم مذمم

فكنت وسيري واعتياضي سواكم ... كبائع دينار بمغشوش درهم

فجاءك بي ود قديم غرسته وتابعته سقياً بسجل التكرم
إليك رحلنا كل محبوكة القرى أمون السرى بين الجديل وشدقم
إذا التحفت أكم الفيافي بآلها ونشر فيها كالملاء المعلم
ترف كهداج يؤم فراخه تكنس من ريح وغيم مخيم
هدى ماهدى حتى إذا الليل جنه وخاف ارتكام العارض المتبسم
تنفس مزؤوداً وخف كأنه فليتة مسنون الصوائد أقطم
طويت بأيديها الفلا متعسفاً بهما ميثها في الأمعز المتسنم
وصل إلهي ما همى الودق أو شدا
على الأيك مطراب بحسن الترنم
على المصطفى الهادي الأمين وآله وأصحابه والتابعين وسلم

وقال لما أغار الشيخ عبد الله بن القاسم على العجمان ، فنصره الله عليهم . وذلك أنه صالحهم فنكثوا الصلح ، وأغاروا على بعض طوارف أهل قطر ، فغزاهم وأوقع بهم ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وغنم جميع أنعامهم . وذلك في ذي الحجة سنة ١٣٢٧ قال :

يا بارقاً بات يحيي ليله سهراً هل ترو لي عن أهيل المنحنى خبرا
وهل تألقت في تلك الربوع وهل
جرت عليك الصبا أذيالها سحرا؟
لا استقيل الهوى ما أكابده ولا أبالي بمن قد لام أو عذرا
نفسي الفداء لأقوام متى ذكروا تحدرت عبراتي تشبه المطرا
من لي باحور مهزوز القوام إذا بدا توهمته في سعده القمرا
يجنيك من خده ورداً ومن فمه شهداً مذاباً ومن ألفاظه دررا

يحلو لعينيك حسناً في غلائله ويطرد الهم اما كان متزرا

أستغفر الله مالي بعد ما بزغت

شمس المشيب بليل الفود وانحسرا

فدع تذكر آرام شغفت بهم أيام روض التصابي بالصبا خضرا

واصرف مقالك فيمن لو نظمت له زهر الكواكب مدحاً كان محتقرا

ملك تكون من بأس ومن كرم يغني العفاة ويسقي ضده كدرا

طغت بيام أمانيها فجر لها دهم الكتائب فيها كل ليث شرى

جرد متى صبحت حياً بمنزلة

لم يلق مستعصماً منها ولا وزرا

فصبحتهم جنود الله ضاحية فغادرتهم لحد المشرفي جزرا

كتائب كتبت أيدي المنون بها آجال من خان دين الله أو غدرا

أهجتم أسداً تدمي أظافره كم أصيد تركت في الترب منعفرا

ما حكتم واقتضاكم ذو مماحلة ما اعتاد في طبعه جبناً ولا خورا

فجاءكم حيث لا خف يسير بكم ولا جناح إذا ما طرتم شهرا

وليتم بين مقتول ومنهزم قد استعار جناح الرال إذ ذعرا

يدعو الوليد أباه بعد معرفة فما يرد له ليتاً وإن جأرا

لما انجلت عنكم غماء جهلكم كنتم كناكثة الغزل الذي ذكروا

وبعدها إن أردتم سوء منقلب فشاغبوا أو فقولوا لا إذا أمرا

فمن يكون كعبد الله يوم وغى إذا الكماة تهاب الورد والصدرا

الضارب القرن هبراً والقنا قصداً

والمكره الخيل حتى تركب الوعرا

شبل الأسود التي كانت فرائسهم صيد المليك إذا ما أشعروا صعرا

هلا سألتم عمانا كيف أشعلها ناراً إلى الآن فيها تقذف الشررا

لاذوا بمعقلهم أن سوف يمنعهم فجاءهم كعقاب الجو إذ كسرا

وأنتم ذقتم من بأسهم طرفاً يوم العنيقا دماكم الغيث هدرا

وفي البطارق يوم الشقب معتبر لو كان فيكم رجال تعقل الخبرا

يا أيها الملك الميمون طائره أنشر لواءك تلق العز والظفرا

بسعد جدك هذا الدهر مبتسماً

بعد العبوس وهذا المجد مفتخرا

فانهض فأنت بحول الله منتصر واملك إذا شئت باديها ومن حضرا

وشد قواعد مجد كان وطده قدماً أبوك وبحر الموت قد زخرا

واشدد يديك بسيف إن ضربت بهِ أصبحت تحمد من أفعاله الأثرا

أمضى من القدر الجاري عزائمه

طوعاً لأمرك فيما جل أو صغرا

سامي المكارم وهاب الكرائم كساب العظائم لا يستعظم الخطرا

أخوك صنوك حامي كل عاثرة عبد الرحيم الذي بالبأس قد شهرا

لا زلتما فرقدي أفق بلا كدر تقضيان بأسنى الرتبة العمرا

ولما بنى الشيخ عبد الله بن المرحوم الشيخ قاسم قصره المسمى بالريان ، وذلك في سنة ١٣٣٨ . قال فيه الشاعر المذكور ذاكراً للقصر ومادحاً له حرسه الله تعالى :

أريج مجد من الريان حيانا ... أهدى لنا نشره روحاً وريحانا

إسم حكاه مسماه وطابقهُ ... فكم شفى من أوام العدم عطشانا

فدىً له القاعة الزهرا وساكنها ... والغوطتان وملهى شعب بوانا

تفاوحت فيه أرواح الندى فسرت ... حتى لكادت تعيد الشيب شبانا

والجود والبأس ماحلا بمنزلة ... إلا أشادا لها بالمجد بنيانا

قد شرف الله أرضاً أنت ساكنها ... وفاخرت بحصاها القض عقيانا

بحر تعبق في أرجائه كرم ... يعلو الروابي لا نقعاً وغدرانا

لولا أواصر يرعاها ويحفظها ... لكان غير الذي بالأمس قد كانا

لأنه من أناس من سجيتهم ... محو الصغائر اجمالاً واحسانا

لكن لهم فتكات عند غضبتهم ... تشجي العدو وتخلي منه أوطانا

يا ابن الألى طوق الأعناق فضلهم ... فقرطوا لهم في المجد آذانا

سموت للمجد إذ كنت الخليق به ... حتى لأرغمت آنافا وأذقانا

وليس سار إلى نيل العلاء كمن ... أضحى بنوم المنى والعجز وسنانا

أيحسبون العلى تجنى أزهارها ... بغير سيف وبذل المال مجانا

والناس قد فاوتت أقدارهم هممٌ ... وقد أقمت على ما قلت برهانا

كما بهمتك العليا بنيت بها ... للمجد والفضل أعلاماً وأركانا

قالوا هو الندب عبد الله قلت لهم ... لو كان عند سواكم عد سلطانا

فادعوا له بالبقا تبقى سعادتكم إذ كان روحاً وكان الغير جثمانا
لا تخرجوه بكره عن سجيته فالليث لا يعرف البقياء غضبانا
إني أقول وخير القول أصدقه وليس من قال صدقاً مثل من مانا
لقد حبا الله أرضاً كان مالكها منه بغيث يسح الجود هتانا
يسيم مثريهم فيه ومقترهم لم يخش من غيره ظلما وعدوانا
فيالها نعمة ما كان أكبرها فهل تصادف منا اليوم شكرانا
إن لم تفدك منا أنفس كرمت فقد جحدناك ما أوليت كفرانا
أقمت للمجد أسواقاً معطلة تعد قبلك شيئاً بان إذ كانا
كنا سمعنا بها في الغابرين فقد أتيت كانت بعيد الوهم أعيانا
لو صور الله شخصا من مكارمه
صورت من كرم الأخلاق إنسانا
لما مدحتك قال الناس كلهم الآن مدحك بالممدوح قد زانا
فالله يبقيك محروساً ومغتبطاً آلاً وحالاً وأولاداً وإخوانا
ثم الصلاة على من كان مبعثه لنا سعادة دنيانا وأخرانا
وآله الغر والأصحاب كلهم ما قطع الليل تسبيحاً وقرآنا

ولما توفي الشيخ القادم إلى رحمة الله وغفرانه قاسم بن محمد الثاني ، رثاه محمد بن عثيمين المذكور بهذه القصيدة وذلك في ١٥ شعبان سنة ١٣٣١هـ قال :

برغم المعالي فارق الدست صاحبه وثلت عروش المجد وانهد جانبه
وأضحت بنو الآمال سهماً وجوهها
تقلب طرفاً خاشعاً ذل جانبه

تقول إلى من نطلب العرف بعدما على قاسم المعروف بنيت نصائبه

مضى كافل الأيتام في كل شتوة وموئل من ضاقت عليه مذاهبه

أقول لناعيه إليّ مجاوباً بفيك البرى هل تدر من أنت نادبه

نعيت امرءاً للبر والدين سعيه وللجود والمعروف ماهو كاسبه

فيا قاسم المعروف للبأس والندى وللخصم مشتطاً على من يطالبه

ويا قاسم المعروف للطارق الذي من الزاد قد أصبحن صفرا حقائبه

ويا قاسم المعروف للملتجي الذي تحاماه من عظم الجناية صاحبه

وللمرهق المكروب يفرخ روعه إذا سلمته للخطوب أقاربه

وللجحفل الجرار يهدي رعيله إلى كل جبار أبي يشاغبه

هو المانع الخصم الألد مرامه وإن رام منه معضلا فهو سالبه

فقل للجياد المشمعلات لاحها تجاوز غيطان الفلا وسباسبه

على قاسم فابكي طويلا فإنه فتاك إذا ما استخشن السرج راكبه

إذا ما رمى المرمى البعيد ذرعنه

به ناجيات زاملتها شوازبه

جحافل سهلن الروابي فأصبحت سباسب مما بعثرتها كتائبه

إذا نشرت أعلامهن تحدبت بأرجائها صيد الملوك تراقبه

فما مشرق إلا له فيه وقعة ولا مغرب إلا أرنت نوادبه

أقول لقلبي حين جد به الأسى وللجفن لما أقرحته سواكبه

تعز بما عزيت غيرك إنه طويل أساً من أودع اللحد غائبه

هو الدهر يستدعي الفناء بقاؤه وتستصغر الخطب العظيم مصائبه

له عثرة بالمرء لا يستقيلها إذا ما أنيخت للرحيل ركائبه

أباح حمى كسرى بن ساسان صرفه

فلم تستطع عنه الدفاع مرازبه

وكر على أبناء جفنة كرة سقاهم بها كأساً ذعافاً مشاربه

وأعظم من هذا وذلك مصيبة قضى النحب فيه المصطفى وأقاربه

هم الأسوة العظمى لمن ذاق غصة من الدهر أم من أجرضته نوائبه

بني قاسم إن كان أودعتم الثرى أباً طرزت برد المعالي مناقبه

فخلوا الهوينا واجعلوا الرأي واحداً

يهابكم نائي البلاد وصاقبه

وألقوا مقاليد الأمور لماجد أخي ثقة قد أحكمته تجاربه

بعيد المدى لا يدرك النبت غوره أبي على الأعداء محض ضرائبه

أبا حمد لولاك كان مصابه على الناس ليلاً لا تجلى غياهبه

سقى الله قبراً ضم أعظم قاسم من العفو شؤبوبا رواء سحائبه

وثن إلهي بالصلاة على الذي سمت في مقامات الكمال مراتبه

كذا الآل والأصحاب ما ناح طائر

بأفنان دوح تستميل ذوائبه

وقال يرثي الشيخ المرحوم قاسم أيضاً، وكتب بها إلى ابنه المرحوم الشيخ عبدالرحمن تغمدهما الله بغفرانه، وأحلهما في مقر رحمته ورضوانه آمين:

ترى من حنيني كان شجو الحمائم ومن أدمعي كان استقاء الغمائم

فلا غرو أن انطقت بالشجو صامتاً

وأبكيت حتى راتعات السوائم

فقل جل هذا الخطب حتى تد كدكت
لموقعه شم الجبال المعالم
وحتى هوى بدر الدجنة واكتست
له ظلمة زهر النجوم العوائم
لعمرك ما يوم قضى فيه قاسم
على الناس إلا مثل يوم التراحم
مضى هضبة الدنيا وبدر دجائها
وفارسها المشهور بين العوالم
أجل إنه والله ما مات وحده
ولكنه موت العلى والمكارم
وإلا فما بالي أرى البيض والقنا
وجرد المذاكي بعده في مآتم
وما بال أبناء السبيل كأنما
بهم لوحت هيف الرياح السمائم
يبكون مغشي الرواقين ماجداً
أبياً على الأعداء صعب الشكائم
أخا الحرب لا يلفى لها متخشعاً
إذا ما أتت بالمعضل المتفاقم
ولكنه يغشى لهيب شواظها
إذا حاد عنها كل أروع غاشم
حلفت بمن حج الملبون بيته
يؤمونه من نازحات المخارم
على أنه لو كان أزهق نفسهُ
من الناس مرهوب الشبا والمناقم
لصبحه أبناؤه بجحافل
لها زجل كالعارض المتراكم
وجاسوا خلال الدار منه بفتية
على الموت أمضى من شفار الصوارم
ولكنه المقدار والله غالب
ونرضى بما يقضي به خير حاكم
وهيجت لي يا ابن الأكارم لوعة
تردد ما بين الحشا والحيازم
فلا تحسبني غافلا أو مضيعاً
أياد لكم عندي عذاب المطاعم
وفيك لنا لا زلت منه بقية
شجاً للاعادي مغنم للمسالم
فيا عابد الرحمن يا خير من جرت
به الجرد بين المأزق المتلاحم

ويا خير مقصود أناخ ببابه رذايا سفار داميات المناسم

لكم مني الود الذي لا يشوبهُ مدى العمر تدليس المداجي المكاتم

وصلى إله العالمين مسلماً على المصطفى من عبد شمس وهاشم

كذا الآل والأصحاب ما قال قائل ترى من حنيني كان شجو الحمائم

ومن رثى الشيخ المرحوم قاسم رحمه الله ومدح ابنه الشيخ عبد الله ، الشاعر المشهور علي العماري البغدادي بقوله :

ومجدك ما نبهن وجدي الحمائم ولا الطرف إن نام الخليون نائم

ولا هزني برق تألق ومضهُ دجى فاستهلت للدموع غمائم

ولا ملكت قلبي فتاة طويلع فرفت خوافي شوقه والقوادم

بلى لملم قد أناخ بقاصم قرى المجد اذ أودى ابن ثانيه قاسم

فتى ثكلت فيه البدواة حاكماً به فجعت صيد الملوك الخضارم

وبدراً به الأقطار ضاءت وقطره منير إذا ما قطب العام باسم

وقد فقدت منه الحضارة أصيداً يقل له في حوزة الحزم حازم

له العرب العرباء ألقت زمامها ولا غرو فهو الفرد للكل خاطم

تسوس جماح الدهر منه رياضة يدين لأدناها الملوك القهارم

لقد أغمدوا في اللحد منه مذلقاً تفل لحديه السيوف الصوارم

ونافذ رأي سدد الحزم رمحه فيا لفداه النافذات اللهاذم

وما مات من أبقى لحوزة مجده فتى لعلاه لا يزال يلازم

تتوج عبد الله بالفخر والعلى ولفت عليه بالوقار العمائم

فتى المجد والمعروف من جود كفه دنانيره وقف العطا والدراهم

لنعم بصدر الدست هضبة سؤدد
يخف له رضوى إذا عد حالم
ونعم ركوب الخيل يملأ ظهرها إذا ما جرت جرد العتاق الصلادم
وهوب فلولا أن حاتم سابق لقلت عدا بيت السماحة حاتم
وكعب ابن مام في العطية دونه نعم إنه في حلبة السبق سالم
فيا ابن الهزبر اسمع مقالة صادق له ناثر يعنو خضوعاً وناظم
إليكم غدا أميّ بغداد مرسلا (على قدر أهل العزم تأتي العزائم)

ومن مدح الشيخ المرحوم قاسم الثاني رحمه الله وابنه الشيخ عبد الله بن قاسم الشاعر المشهور الأنطاكي صاحب جريدة العمران بهذه القصيدة وهي هذه :

نسيم الصبا العطري عرج مسلما على قطر إني به كنت مغرما
وعرض بذكري في رباه لأهله لعلهم يعنون بالصب قبلما
وقل لهم إني محب متيم وما مثلكم يجفو المحب المتيما
وافصح لهم عما يكن الحشا الذي
بنار الجوى في ذا الهوى قد تضرما
وقل لهم إن المحب بمصره ينوح ويبكي بالمدامع والدما
فلا شاغل أُعنى به غير ذكركم وما ذكر الأحباب إلا تتيما
أأصحابنا الأمجاد في قطر أما ترون لوصلي حسن وصلكم أما
وهل تذكروني في مرابع أنسكم وما زلت في ذكراكم مترنما
وأنتم من الأعراب أهل العلى الألى
وقفت لهم نفسي ولن أتندما

كرام قد امتازوا بحسن الوفا لمن — وفى لهم في الود أولهم انتمى

يراعون عهد الجار لو جار واعتدى — فكيف بمن والى وصافى وذمما

وتلقون بالا كرام قاصد فضلكم — وما خاب راج نحوكم قد تقدما

وتحمون بالبيض القواضب كل من — بكم من خطوب الدهر قد لاذ واحتمى

وتعفون عن حلم وتعطون عن رضى — فتحيون آمال البرية فيهما

ببطش وإقدام وجود وسؤدد — لقد شدتم للمجد صرحاً مفخما

وباتت معاليكم يطاول فخرها السحاب — وكادت أن تواصلها السما

وفخركم كالشمس لألأ نوره — ولا ينكر الأنوار إلا أخو العمى

أما منكم قام الرسول بهديه — فخلف معوج الضلال مقوما

بساطع آيات الكتاب لقد دعا — الأنام إلى التوحيد حتماً وعلما

وكان نذير الناس وهو بشيرهم — وفيهم أحكام الشريعة عمما

وساوى الرعايا بالحقوق فلم يدع — بهم مسلماً في الجاه يفضل مسلما

وخلف في القرآن حسن حضارة — مشيدها والله لن يتهدما

فمن قال إن الشرع قد فات وقته — لقد قال قولا في الحقيقة مبهما

وشرع رسول الله لولا ذيوله — وشراحه أخلق به أن يعمما

لنلقى به أجلى وأزهى تمدن — يشاد على أسّ الصلاح وأعظما

فيا علماء الدين هبو لشرحه — بحسن اجتهاد يجعل القول محكما

فنظهر للأفرنج فاسد حكمهم ... عليه ونجلو في هداه التوهما

ويا أمراء العرب فيكم رجاؤنا ... لتجديد مجد عهده قد تقدما

فهبوا إلى إحياء دارس مجدكم ... بسعي حميد يترك الضد مرغما

وكونوا أسوداً للعروبة إنها ... بكم تلتقي هول القضا إن تجهما

نعم عندنا نحن الأعارب سطوة ... ضراغم في يوم الوغا تسفك الدما

وفي السلم تولي الناس في جودها الغنى ... فلم تر مبؤوسا ولم تر معدما

إذا تلق يوماً قاسماً في مقامه ... تلاق عميداً بالمكارم أكرما

ومن حوله أهل العشائر جملة ... يرجون منه أن يفيض التكلما

فيخطب فيهم ناصحاً ومؤدباً ... ويحكم فيهم عادلا ومقوما

فطوبى لمن أصغى له نال سؤله ... وأصبح محبوباً صفياً مكرما

ويا ويل من ناواه قد ناله الفنا ... وكان لدى أهل القبيل مذمما

له الله إن أعطى العطايا بجوده ... لينثر من كفيه للناس أنجما

يجود بلا منّ ويسبق نيله ... سؤال الذي يرجو نداه تكرما

ويسعى إليه الناس مثنى وموحداً ... فينفع كلا ما أراد وينعما

وتقصده الركبان من كل وجهة ... فيرحل كل من ذراه مكرما

وتنشده في شعرها باهر الثنا ... فتلقى من الإحسان غيثاً لقدهمى

وتنظر منه مشفقاً محسناً أباً ... خليقاً بأن يغني ويعطي ويرحما

يقابلها في صدره الرحب محسناً ... كريم ويلقاه بثغر تبسما

كذلك من نال الزعامة حقق الـ ... أماني وأضحى في الرعاية قيما

ويفني العدى في سيفه وهو باسم ... ويسقيهم من مورد الموت علقما
وينثر هـامات الرجال بضربة ... يخوض بها فوق المطهم بالدما
ويلقون من نيران بنـدق جيشـه ... شظـايا كما يلقون بعـد جهنما
فقل لعداه راجعوا السلم وارفقوا ... بأنفسكم تلقون سيد أرحما
ألا واسألوه الصفح والعفو إنه ... أبي الحرب إلا أن يحارب مرغما
ولا تحرجوه للنزال فإنه ... ليشفق أن يفني الأعادي ويرحما
وإن كان في حسن السياسة حازماً ... وفي دفع آراء البريه أحزمـا
كذا عابد الله ابن قاسم ذو العلى ... هماماً وصنديداً وبراً ومنعما
إذا أنا لم أمدحه في كل مقول ... فلم شق لي الرحمن سمعي والفما
وان انا لم انصفه في الحمد والثنا ... لما حق أن ألقى من العرب مكوما
وإن أنا لم أنظم بصادق وصفه ... الدراري لما نظمت عقداً منظماً
وقد شمت من آثاره الغر ما به ... على كل ذي أمر وذي سؤدد سما
أخا المجد عبد الله يا خير مرتجى ... وأفضل من يُثنى عليه وأكرما
تقبل عروس الفكر إنك كفؤها ... ولولاك لم تلمح لها الشمس مبسما
لعلياك بالإقبال بشرى نظمتها ... فزانت من الأيام جيداً ومعصما
وما مهرها غير الرضى في قبولها ... فجد بالرضى عني وعنها تكرما
ودم بالغاً أوج الفخار على المدى ... وعش بالهنا يا ابن العلى متنعما

وقـال الشيخ سليمان بن سحمان النجدي قدس روحه ، ونور ضريحه ، مهنئاً للشيخ قاسم بن محمد آل ثاني بانتصاره على من قصده

من العساكر التركية ، ويذكر ما من الله به عليه من العز والتأييد وقمع العدو الباغي العنيد ، وكانت تلك العساكر في غاية القوة عدة وعددا ، ولم يبق عند الشيخ قاسم رحمه الله إلا قليل من قومه أهل الصدق والوفاء ، وقد تفرق عنه كثير من الجند ، وساءت الظنون ، فصبر هو واولئك النفر القليل ، فأعزهم الله على عدوهم ، وفر الطغاة منهزمين لا يلوي منهم أحد على أحد ، وقتل منهم الكثير ، وأخذ سلاحهم وما معهم من المدافع وجميع آلة الحرب ، ورجعوا خاسئين ولله الحمد والمنة ، وذلك في شهر رمضان سنة ١٣١٠ الف وثلاثمئة وعشر

قال رحمه الله :

هو الله معبود العباد فعامل فليس سوى المولى لراج وآمل
أليس الذي يرضى إذا ما سألته ويغضب من ترك السؤال لسائل
ولله آلاء علينا عديدة والطافه تترى بكل الفضائل
فكم فتن جلى وكم فتن وقى وكم فادح من معضلات النوازل
أزاح حناديسا سجت بدجائة يعاليل كفر قد غشت بالعواضل
كعارض بؤس مكفهر عنانه له زجل بالموجفات القلاقل
طما وطفا فالجو بالنقع أكلف وأرجاؤه مغبرة بالزلازل
وطاغية الأتراك من تركوا الهدى وهدوا من الإسلام شم المعاقل
وزلزلت الأحساء منهم مهابة وفر البوادي واعتلى كل واغل
ورحب أقوام بهم وتألبوا وحشوا على حرب الهدى كل جاهل
وساءت ظنون من أناس كثيرة وقد أزعجتهم موجفات البلابل

وقد أظهروا للكفر والفسق والخنا … وللحكم بالقانون أبطل باطل

وللمكر والمكروه والفحش جهرة … وما الله عما يعملون بغافل

وجاؤوا من الفحشاء ما لا يعده … ويحصيه إلا الله أحكم عادل

يزيل الرواسي مكرهم وخداعهم … يشيب النواصي إذ أتى بالهوائل

لذلك زلت بابن حمدان رجله … إلى هوة الأهوى وأسفل وسافل

فتعساً له من جاهل ذي غباوة … وتباً له من زائغ ذي دغائل

لقد زاغ عن نهج الشريعة وارتضى … ولاية أحباب الضلال الاراذل

وظن سفاهاً ظن سوء بربه … وليس لعمري للمعالي بآهل

كما ظن غوغاء الكويت سفاهة … سمواً وعزاً بالبغاة الأسافل

وأوباش حمقاء الحساء ذوو الغبا … وأشياعهم من كل غاو وجاهل

أما علموا أن الإله لدينه … يغار ويخزى كل باغ مخاتل

ويعلي ذوي الإسلام والدين والهدى … ولكن أهل الريب من كل واغل

بغاث إذا أبصرن بازاً وإن خلا … لها الجو صالت كالبوازي البواسل

وإن جن ديجور الضلالة أبصرت … وجالت بليل حالك اللون حائل

وإن طلعت شمس من الدين والهدى … تجحرن واستوحشن من كل صائل

لئن كان أعداء الشريعة قد طغوا … وضاق بأهل الدين رحب المنازل

وقد أقبلوا والأرض ترجف منهم … لقد أدبروا كالمعصرات الجوافل

يسوقهم ريح من الرعب عاصب وبرق صفاح المرهفات الصقائل

وزجل رعود المارتين وقد همت بوبل لأعداء الشريعـة قـاتل

وضرب يزيل الهام من مكناته وقد أسعرت نار الوغى بالجحافل

بأيدي رجال لا تطيش عقولهم ولا يعتريهـا خفـة للزلازل

إذا عظم الهول استعدوا لدفعه بصبر وضرب المرهفات النواحل

صوارم عزم ليس يفلل حدها وإن جل بغي من عدو مزايل

لعمري لقد أولاك مولاك رفعة وفخراً رفيعاً ماله من مماثل

وعزاً أطيـداً بالثنـا متألقـاً يقصر عن إدراكه كل فاضل

فـإن رمت أن تحيـا عزيزاً مؤيـداً

وتصبـح في ثوب من المجـد رافل

فاعدد لأعداء الشريعة فيلقـاً من الحزم مقروناً بعزم ونائل

ولا تـأمنن من خون الله إنهـم

ذوو المكر فاحذرهم وكن غـير حافل

لقد ضل سعيُ من أخي ثقة بهم وخاب وأضحى عادماً للفضائل

وفـاز فتى ناجاهم بحسامه وجاهدهم في الله لا للمـآكل

ولا للعـلى في الأرض والملك إذ همـا

عن الأجل الأعلى عجالة جـاهل

فعامله بالتقوى لتقوى على العدى وتنجو من يوم عصيب وهائل

فثق واعتصم بالله ذي العرش واستقم

أليس هو المولى لراج وآمل

وقد خصك الرحمن منه برحمة   فأعلى بك الإسلام بعد التضاؤل

وهد بناء الناكبين عن الهدى   بنصرك من بعد اعتلاء الأسافل

رماهم بك الرحمن فانثل عرشهم   فآبوا وخابوا بل بلوا بالبلابل

وذلوا وقد عزوا وأبدل منهم   بخوف فتعساً للطغاة الأراذل

ولما رأى الطاغي عقوبة بغيه   نجا وجا في البحر من خوف باسل

همام إذ لاقى الكماة سميدع   أخي ثقة عند الأمور الجلائل

وولى على الأعقاب كالهيق نا كصاً   مخافة حد المرهفات الصواقل

وقد كان قبل الضرب في حومة الوغى

وزج العوالي في صدور الجحافل

يسائلهم خسراً من المال معضلا   ويأمل أمراً فوق ذا غير حاصل

فخلى لهم كرهاً وأرخص ذلة   بما قد حوى من بعد جهل التحامل

وأطلق من في الحبس من كان موثقاً

صغاراً وذلاً والتجاءة واجل

فشكراً لمولاك الذي جل فضله   عليك وأخزى كل طاغ مزاول

ولله ربي الحمد مالاح بارق   وما انهل وبل الساريات الهواطل

وما لاح نجم في الدجى متألق   وازهر نور في مروج الخمائل

وقهقهه رعد أو تنسمت الصبا   على الروض في أسحارها والأصائل

وأزكى صلاة يبهر البدر حسنها

على السيد المعصوم سامي الفضائل

وأصحابه والآل ما قال قائل   هو الله معبود العباد فعامل

وقال معزياً للشيخ قاسم أيضاً بعد قتل ابنه المرحوم علي بن قاسم المقتول شهيدا في ١٧ رمضان سنة ١٣٠٥ غفر الله له :

ألم تر أن الصبر أجمل بالفتى | وأحمد في الاخرى لأهل البصائر

وبالصبر نال الأجر كل موحد | وفاز ببر الله أقدر قادر

فصبراً على ما قدر الله ربنا | تنل كل خير من رحيم وغافر

فإن يك قد أودى عليّ مصابه | فبالأجل المحتوم فاصبر وصابر

فلا زال ريحان وروح ورحمة | تسح كودق المعصرات المواطر

على جدث قد حله قمر العلى | مدى الدهر في آصاله والبواكر

ولا زال رضوان الإله يمده | بعفو واحسان ومحو البوادر

لئن كان ذا علم وشأو حماسة | تسامى بها نحو النجوم الزواهر

لقد كان ذا تقوى وآداب ماجد
وفي طاعة الرحمن سامي المآثر

وحاز من الأخلاق كل كريمة | وكان فريداً في الزمان لسابر

وعاش حميداً مستفيداً من العلى | مآثر أخلاق الكرام الأكابر

ومات شهيداً مستزيداً من التقى
وصار إلى رب كريم وغافر

وإنا لنرجو أن يكون محبراً | مع الشهداء الصالحين الأطاهر

يروح ويغدو في الجنان منعما | ويسلو بحورٍ في القصور قواصر

فلا تجزعن إذ كان ليس بأول | من الناس في هذا وليس بآخر

فمن قبله مات النبي محمد | وهل نحن إلا بعدهم للمقابر

تصبر وثق بالله لا رب غيره | فربي بصير بالطغاة الغوادر

(نزهة الأبصار ج ٢ م ٦٧)

وما هذه الدنيا بدار إقامة ولكن إلى الأخرى انتقال المسافر

وما هي إلا معبر لمقرنا بدار الجزا دار البقاء لعابر

فكن صابراً بالله وارج ثوابه فليس عظيم الأجر إلا لصابر

وفي سنة ١٣٢٦ ست وعشرين بعد الثلاثمئة والألف : قسم الله أن المرحوم عبد الله بن محمد بن خاطر يخرج للقنص مع صاحب له وبعض خدامه ، واتفق أن يعرض لهم ركب من آل جابر ، وأغاروا على عبد الله وأصحابه ، ورماهم عبد الله وأصاب منهم رجلا ، ورموا عليه عدة بنادق وقتلوه ، فلما وصل خبر مقتله البلاد حزن الناس عليه حزناً شديداً لما يعهدون فيه من حسن السيرة وجميل الأخلاق، وكرم الذات ، ورثي بالمراثي الفائقة . وممن رثاه الشيخ محمد بن حسن المرزوقي رحمه الله بمرثية طويلة أجاد فيها ، واستقصى جميع مآثره ، ولم اظفر بها ، ثم إنه أرسلها إلى الشيخ سليمان بن سحمان وطلب منه أن يساعده بمرثية أخرى فأجابه بقوله :

بسم الله الرحمن الرحيم

من سليمان بن سحمان إلى جناب الأخ المكرم محمد بن حسن المرزوقي سلمه الله تعالى وأسبغ عليه نعمه ووالي ، آمين ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأزكى وأشرف تحياته وبعد. فقد وصلت إلينا المرثية في الأخ عبد الله بن خاطر ، وطلبت مني الجواب وأنت لم تترك مقالا لقائل ، قد استوفيت المقصود ورثيت المفقود ، ولكن لم يسعني إلا مجاوبتك بهذا النزر اليسير ، ليكون لك تسلية في هذا الخطب الخطير .

يا راكباً من رياض المجد مرتحلا
عجلان منتجعاً ذا العفة السامي
لذي الفضائل من دين ومكرمة محاميا لحمى الإخوان عن ذام
لله لا لهوى يدعوه أو طمع أكرم به من محب صادق حام
ولم يزل باذلا للجد مجتهداً في قمع كل لئيم خانع رام
وقد دهاه مصاب من أخي ثقة وقد رثاه فأعلى مجده السامي
لفقده لأمور كان يأملها دينا ودنيا وتبجيلاً بإكرام
للوافدين وللإخوان أجمعهم وللمحاويج من كلٍّ وأرحام
وكان مما دهانا من مصيبته مما نؤمل من جود وإنعام
فوات عزم على موعوده وعلى طبع الصواعق ردي بهت أقوام
فهل ترى يا أخي من بعده أحداً
يروم ما رامه في الخير أو حامي
إني لأرجو إلهي أن يعوضنا من آله الغر ذا عزم وإقدام
وفي بني الشيخ أعني قاسماً درر غر ميامين من سادات حكام
هم أهل مجد ونور يستضاء به في الدين بل هم لعمري أهل إنعام
أنصار دين الهدى في كل معضلة
كهف العفاة وأرحام وأيتام
وقد أتاني نظام منك تطلبني فيه الجواب ولم آلو بإكرام
لكنما الخل قد أبدى محاسنه وقد رثاه فلم يترك لنظام
من الرثاء مقالا في مدائحه أم من مآثر إحسان وإنعام

لكن أجيبك إكراماً وتسلية فيما أصابك من غم وأسقام
فهاك نظماً فريداً في محاسنه نزراً يسيراً يسلي بعض أيام
يا عين جودي بدمع هامع هامي
على الأغر الأبي الفاضل السامي
لا تسأمي أن تفضي الدمع عن كثب
على الدوام بدمع منك سجام
على الوفي الصفي اللوذعي ومن بالدين يسمو عن الأدناس والذام
أخي المكارم عبدالله من حسنت في المسلمين له آثار إنعام
لله من ألمعي فاضل ورع مهذب أريحي ذي تقى سام
أبكيه لما اتانا نعيه حزنا يالهف نفسي على ذي العفة الحامي
مجاهداً جاهداً فيما يقربه من الإله بإخلاص وإعظام
وبذل جود وإحسان ومكرمة قد كان ذلك منه منذ أعوام
يغار لله أن تؤتى محارمه لم يخش في ذاك من لو مات لوام
يحب في الله أهل الدين مرتجيا فضلا من الله من جود وإكرام
وإن عرا الدين ثلم قام منتصراً في قمع كل مجد فيه أورامى
حوى المكارم عن جد أخي ثقة وعن مآثر أخوال وأعمام
ماكان في قطر من فضل منقبة إلا وقاسم فيها القادم السامي
حامى على الدين حتى اعتز جانبه لله درك من حام للإسلام
يا لهف نفسي ويا حزني ويا أسفي
على الزكي الرضي المنهل الطامي

مضى شهيداً وحيداً في مكارمه ··· لله درك من حام وضرغام

لما أتاه الأعادي قاصدين له ··· لم يثنه الخصم عن ورد وإقدام

ولا استكان لدى الأوباش من رهق ··· منهم هنالك من ذل وإحجام

لكن رماهم فأودى من رماه فقد ··· لاقى المنون ولاقى ضرب مقدام

فليبكه كل ذي دين ومكرمة ··· على الدوام بدمع هامع هام

إذ كان ذا طاعة لله مجتهداً ··· براً وصولا لأيتام وأرحام

وكان ذا عفة عن كل معضلة ··· وكل فاحشة تدعو لآثام

مصاحباً لذوي التقوى ويألفهم ··· مجانباً لذوي الآثام والذام

فقل لقاتله بغياً وعن أشر ··· لا زلت ما عشت في ذل وأسقام

لا زلت إن مت في مسجور لاظية ··· من السعير وفي يحمومها الحامي

وحيث ذكرت مرثية الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله، في المرحوم الشيخ عبد الله بن محمد آل خاطر، أحببت أن أذكر طرفاً من سيرته وحسن سمته ومروءته، وهو عبد الله بن محمد بن حسن بن خاطر العيوني من القبيلة المعروفة بآل أبي عينين، وكان الشيخ المرحوم قاسم الثاني رحمه الله جده لأمه، ومات أبوه صغيراً وربي في كنف جده الشيخ قاسم وخاله الشيخ عبد الله بن الشيخ قاسم وناله ببركة تربيتهما صلاح وحسن أدب وعفة وسمو للمكارم، واجتناب للرذائل، ولما توسما فيه مخائل النجابة جل في أعينهما، وأمداه من المال بما جمله وأغناه، وكان يتجر في اللؤلؤ،

ورزق في تجارته قبولا وبركة وحسن توفيق . وكان رحمه الله من خيار بني جنسه في جميع أحواله ، ذا دين متين ومحبة لأهل العلم والصلاح ، وكان كثير المطالعة في كتب العلم والتواريخ والأدب ، وكان ذا شفقة على أقاربه وذويه وأصحابه ومن يدانيه ، يبذل لهم من الإحسان ما يقدر عليه بتواضع وتودد ونفس مطمئنة ، لا يمله جليسه ولا ينفر منه أنيسه ، فرزق لذلك محبة من الخاص والعام ، ونظر بعين الإجلال والاحترام ، وكان كثير التلاوة للقرآن وكان مواظباً على الأوراد الواردة في الصباح والمساء ، لا يخل بها . وأما الكرم والسماحة ، وحسن الخلق وحسن المحاضرة ، لمن جالسه فقد أخذ من ذلك بحظ وافر ، وكان ذا عقيدة سلفية محباً لأهل هذه العقيدة ، قالياً لمن سواهم ، وكان مواظباً على الصلاة في أول وقتها ، ومتفقداً جيرانه وخدامه مؤدبا لمن تخلف عنها بلا عذر ، ولم يزل يزداد من الخصال الحميدة إلى أن اخترمته المنية ، أحله الله أعلى منازل الأبرار آمين .

وكان بيني وبينه مودة أكيدة دينية وصحبة أدبية لا أكاد آنس إلا بمجالسته ، ولا أطمئن إلا بمحاضرته ، وكنت في ذلك الوقت مشتغلا بطلب المعيشة ، وأتأخر عن زيارته في بعض الأيام ، فإذا زرته نسيت ما نابني من أمر معيشتي كما قيل :

خليل أظل إذا زرته ... كأني أنشأ خلقاً جديدا
أراني وإن كثر المؤنسون ... ما غبت عنه فريداً وحيدا
بلوت سجاياه في النائبات ... فلم أبل منهن إلا حميدا

فلله دره من صاحب لايمله صاحبه ، ولا تسري إليـــه عقاربه ، عار من الكبر ، قبول للعذر ، لايجتويه خليل ، ولا يمله نزيل كما قيل :

فكنت به أجلو همومي وأجتلي ... زماني طلق الوجه ملتمع الضيا

أرى قربـه قربي ومغناه غنيـة ... ورؤيتـه ريًا ومحياه لي حيا

إلى أن قضى الله عليه ما قضاه ، أحله الله أعلى منازل أحبابه وأوليائه آمين :

فما راقني من لاقني بعد موته ... ولا شاقني من ساقـني لوصاله

ولا لاح لي مذ ند ندٌ لفضله ... ولا ذي خلال حاز مثل خلاله

وكان إذا انتقل في أيام الشتاء إلى البرية يتعاهدني بالمكاتبة ، فوافق أنه غفل عن ذلك مدة لم تكن عادته ، فاهمني ذلك و كتبت إليه :

خذ من زمانك ما صفا ... واقنع هديت بما كفى

واعلم بأنك لن تجـد ... خلاً يدوم على الصفا

كلا ولن تر صاحبا ... فـيما أهمك مسعفـا

وإذا أخـا ثقـة رأيـ ... ـت الود منـه تكلفا

فتسل عنه ولا تكن ... متحزنـاً متأسفـا

وإذا المحب رأيتـه ... متوددا متلطفـا

فاشدد به عقد الوداد ... وكـن له مستعطفـا

كأخي الفضائل والتقى ... بيت المروءة والوفـا

أعني ابن خاطر من بنى ... للمجد بيتـاً مشرفـا

وسما على الأقران لا ... سنًا ولا متكلفـا

ألف المكارم مذ نشا ... وأشاد منهـا ما عفى

لكنه قـد سامني ... هجراً بصبري أجحفا

يا أيها الخل الذي ... مازل قط ولا هفا

ما ذنب مملوك لكم ... أسقيته كأس الجفا

إن كان عن ذنب فأنـ ... ـت أحق من عنه عفى

أو لم يكن ذنب فإني ... قد عهدتك منصفا

تالله حلفة صادق ... في الجهر مني والخفا

ما لذ لي من بعدكم ... نوم وعيشي ما صفا

والقلب بعد فراقكم ... أضحى جوى متلهفا

فإلى متى هذا الصدود ... إلى متى هذا الجفا

ما كان ضرك لو كتبـ ... ـت إلى محبك أحرفا

وكتبت اليه في صدر كتاب :

سلام من المملوك ما لاح بارق ... وما هل ودق الهاميات المواطر

وما اخضر عود أو ترنم طائر ... وفاح شذى تلك الرياض العواطر

يخص به ذو الجود والفضل والتقى ... حليف الندى عبد الإله بن خاطر

أخي إن جفاني كل خل وصاحب ... ومن لم يزل يرعاه قلبي وخاطري

لقد جمع الله المروءة والوفا ... لما جد أعراق زكي العناصر

أخي همة تأبى لكل دنية ... تقي نقي العرض عف المآزر

له في العلى بيت أشاد عماده ... تراث جدود كالبدور السوافر

ولكنه قد زانه وبنى له ... من المجد أركان العلى والمفاخر

وكتبت اليه أيضا في صدر الكتاب :

فارقتكم وبقلبي من فراقكم ... ماليس يوصف من هم ومن حزن

أشكوا إلى الله ما بالقلب من ألم ... فهو المرجى لكشف الضر والمحن

كيف السلو وعيني لا يلذ لها ... نوم وقلبي لايخلو من الشجن

وناولني مرة مسواكا فاستحسنته وقلت على البديهة :

وهبت لي المسواك يا ابن محمد ... أثابك رب العرش خير جزائه

ولا زلت في الدنيا بعز ورفعة ... وأسكنك الفردوس يوم لقائه

ولا زلت موسوما بكل فضيلة ... يقصر عن إدار كها كل تائه

فلما قضى الله ما قضاه ، أصابني عليه من الامتعاض والحزن ما الله به عليم ، وبقيت أياما لا أخالط أحدا ولا آنس بفؤاد دام ولب حائر ، وقلب في جناحي طائر ، من هذا الطارق المطوق والنبأ المغص المشرق ، فيا له من خطب جليل ، أنساني جميع الخطوب ومصاب أليم شقت له القلوب ، ولكنه امر الله الذي لا يقابل بغير الرضا والتسليم له فيما قدر وقضى ، سقى الله بغيث الرحمة ثراه وأضاء بنور الشهادة مثواه .

عجبت لصبري بعده وهو ميت ... وقد كنت أبكيه دما وهو غائب

وقال أيضاً :

فأية شمس فيه للمجد كورت ... وأي بناء للمكارم قد وهى

المجد يبكي عليه جازعاً أسفاً ... والفضل يندبه والجود والكرم

وكثيراً ما كنت أنشد قول الشاعر :

وأخ وفيّ لاأطيق فراقه ... حكم الإله بأن أراه مفارقي

بأن الأسى إذ بان وابيضت أسى ... لنواه سود نواظري ومفارقي

ولم أزل انشد قول بعضهم :

من لي بانسان إذا أغضبته　　وجهلت كان الحلم رد جوابه
وإذا طربت إلى المدام شربت من　　أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغي للحديث بطرفه　　وبسمعه ولعله أدرى به
سمح الخليقة لا يمل جليسه　　متضوعا كالمسك طيب جنابه

اقول ولا اتردد انه ليس بدون من اتصف بهذه الأوصاف ، يشهد لي بذلك من عرفه ومارسه ، ثم ان الله سبحانه وتعالى الهمني الصبر والاحتساب ، واكثرت من قول لا حول ولا قوة الا بالله ، انا لله وانا اليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف علي خيرا منها ، فخلف الله علي بأصحاب آنسوني وواسوني ، فجزاهم الله عني ، احسن الجزاء ، ثم اني تطفلت على نظم مرثية فيه احله الله منازل الأبرار وهي هذه :

أعيني جودا بالدموع السواكب　　فإن بكاء الإلف أعظم واجب
ولا تبخلا بالدمع لو كان من دم　　على طاهر الأخلاق عف المذاهب
فلست بباك بعده فقد هالك　　ولا جزع من حادثات النوائب
إلى الله اشكوا ما دهى من مصيبة　　ونازلة من موجعات المصائب
مصيبة خل أورث القلب فقده　　لهيب جوى بين الحشى والترائب
مصيبة ذي الإحسان والفضل والتقى
حليف الندى والمجد سامي المناقب
تقي نقي عابد متبتل　　تبارك من أولاه خير المواهب
محب لأهل الحق حرب لضدهم　　مهين لأرباب الخنا والمعائب
فلله مقتول مضى لسبيله　　لنعم الفتى عند الخطوب الكوارب
أبو الفضل عبد الله أعني ابن خاطر　　أخي إن جفاني كل خل وصاحب

أخو الصدق مأمون السريرة من سمت
مكارمه أوج النجوم الثواقب

بلوت بني الأيام طراً فلم أجد ... صديقاً سواه مسعدا في النوائب
فأصفيته مني الوداد فلم يشب ... صفاء ودادي بالقذى والشوائب
فأصبحت موتوراً أعزى لفقده ... أعلل نفسي بالأماني الكواذب
لئن ذهبت أيامه الغر وانقضت ... فما الحزن من قلبي عليه بذاهب

بنفسي أخاً لم يصف لي العيش بعده
ولا ساغ لي يوماً لذيذ المشارب

خليلي ما ذاك الهمام بعائد ... علينا ولا ذاك الغمام بساكب
فما أوحش الدنيا علي وأهلها ... غداة ثوى في الترب بدر الغياهب
فلله أياما تقضت بقربه ... فعادت كأحلام الرقاد الكواذب
إذا خطرت يوماً على القلب خطرة ... بتذكار هاتيك الليالي الذواهب
تكدرت الدنيا علي وأوحشت ... مسالكها عندي وضاقت مذاهبي
فلا غرو أني قد فجعت بسيد ... كريم على السمت الجميل مواظب
بعيد المدى بدر الدجى معدن الوفا ... كسوب الثنا والحمد عف المكاسب

حسيب كريم الذات والأصل ماجد
جواد إذا انسدت وجوه المطالب

له في أثيل المجد بيت مشيد ... ومن رتب الاحسان أعلى المراتب
له خلق سهل ونفس أبية ... وكف تضاهي غاديات السحائب
له مجلس ينتابه كل طارق ... مناخ لاضياف الشتاء السواغب
همام تحلى بالديانة والتقى ... ورفض الدنايا وابتذال الرغائب

عزيز جوار أريحي مهذب يعد اصطناع العرف أسنى المكاسب
وكم من سجايا لابن خاطر لم يكد يحيط بها عداً يراع لكاتب
فإن يك عبد الله أقفر ربعه فأصبح ميدان الصبا والجنائب
وأقصده سهم من الموت صائب قضاء مليك لا يغالب غالب
فما مات حتى فاق مجداً وسؤددا وشيد بنيان العلى والمناقب
وأعظم فينا فقده ومصابه فكل فتى يوما لاحدى النوائب
وأبقى من الذكر الجميل مآثرا مناراً لطلاب العلى والمراتب
حيا ما حيا ذا رفعة وجلالة وأودى جميل الذكر عالي المناصب
عليه رضى الرحمن ماذر شارق وما لاح برق في خلال السحائب
ولا زال مصحوباً بعفو ورحمة ومغفرة من فضل جزل المواهب
وإني لأرجو الله جبر مصيبتي وتفريج هم صار ضربة لازب
واختم نظمي بالصلاة مسلماً على سيد السادات بدر الغياهب
محمد الهادي الشفيع وآله وأصحابه الغر الكرام الاطايب

وقد رثاه ايضاً الشيخ احمد بن محمد ماجد الأحسائي رحمه الله تعالى بهذه القصيدة :

جرى الدمع حتى بل حجري هاطله
وأشرقني بالريق مذ سال سائله
وضعضع طود المجد بل ثل عرشه وعاجلنا من غائل البين عاجله
وصارعنا صرف الردى بصروفه وحلت بنا منذ ناخ فينا كلاكله
وحاق بنا جور الزمان بحكمه فجل بنا من فادح الخطب نازله
وأعظم فينا الرزء لما تخيرت يداه كريما وهو في المجد كامله

سخياً وفياً واسع الجود ماجداً جزيل عطاء يسبق الوعد نائله
سماهمة فوق السهاء ورفعة فهيهات أنى أن تنال منازله
تقدم بالتقوى وبالدين والنهى فأخر عنه من أراد يشاكله
عفيف إزار لم يطأ قط ريبة نعم قد أتى من عف عفت حلائله
فتى همه كسب الثناء وذخره صنائع جود أبرزتها فضائله
رأى المال يفنى والمكارم تقتنى فجاد بما تحويه منه أنامله
له كف ضرغام بها البأس والندى
تحاكي لصوب المزن إن سح وابله
إذا أخلف الوسمي أو الوت السما
أغاث الورى من صيب الجود وابله
وإن كالح الوقت العبوس بوجهه فطوبى لوفد قد حوتهم مناهله
ترى الوفد حول الحي يأويه شرعا كما أحدقت بالما عطاشاً نواهله
لقد عطلت بئر الوفود لفقده وهدم من قصر السخاء معاقله
فقولوا لوفد يمموا الجود والندى رويداً فعبد الله ناخت كلاكله
وحط بلحد غيبته حنادس وواراه منه تربه وجنادله
حثوا فوقه من ذلك الترب والحصى وخلي به فردا لوحش ينازله
وعطل منه سرح أجرد سابح وقصر زهت لما حوته منازله
وربع به للوفد حط رحالهم إذا خيف من ريب الزمان غوائله
وحي به إن خيم البيت ضاربا لاطنابه حلت لديه أرامله
وتقصده الركبان من كل وجهة من الحضر والأعراب ترجى رواحله
فالقوا رحال الإرتجال وأيقنوا بأن الندى والجود حقت مناهله

أمن بعد عبد الله تقصد ذا ندى فتظفر منه بالذي أنت آمله
فواحسرتا ماذا فقدت بفقده فرزؤك عبد الله للمرء قاتله
فقدنا به نور الحياة وطيبها وإسداء جود من نداه يواصله
فهل يشف شق الجيب أم شق مهجتي
فطود العزا والصبر هدت معاقله
لواعج أحزاني ونار تلهفي يؤججها في القلب ما عشت شاعله
على أروع وافي الذمام محبب منيع جوار لم يخب قط سائله
نعمنا به وقتاً بظل جنابه بناد به من كل حي أفاضله
منزهة من كل شين رباعه صفت لورود الواردين مناهله
عليه غزير الدمع وقفا أهله
وقد حق أن يجري من الدمع باخله
لقد قل أن نبكيه بالدمع والدما ويجري عليه من دم القلب سائله
عليه من الرحمن واسع رحمة وصب عليه مغدق العفو هاطله
وأتحفه بالروح منه وبالرضى وبالجود والإحسان غاداه شامله
وعوضه جنات عدن منعما بحور وولدان وفوز ينازله
وأعظم إلهي أجر إخوانه الألى
لهم طول مجد طال في الفضل طائله
ووازرهم بالعز والنصر عاجلا وجدد لهم عونا هداك يواصله
وصل إلهي ما تنسمت الصبا وما غرد القمري وناحت بلابله
على المصطفى الهادي الشفيع وآله وأصحابه ما انهل ملودق وابله

منظومة غراء ألقاها الشاعر الاديب عبد الكريم بن جهيمان ، عند قدوم الملك المعظم الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل السعود في ذي الحجة سنة ١٣٠٩ ﻫ اعزه الله تعالى مكة المشرفة زادها الله تشريفاً .

قدم المليك تحفه النعماء ... واستبشرت بقدومه البطحاء

وتهللت تلك المشاعر والربى ... وازينت لمجيئه الأرجاء

وأرى الحياة تدب في أجسامنا ... بقدومكم وتحوطنا السراء

أهلا بمولاي المليك ومرحبا ... طاب السرور وتمت النعماء

نتطلع الأخبار عنك إذا بدا ... نور الصباح أو انتهى الإمساء

حتى سعدنا باللقاء وإنه ... يوم سعيد بالسنى وضاء

فيكم تمثلت العروبة كلها ... وتجمعت في حبك الأهواء

وتفنن الأقوام في تمجيدهم ... وشدا وردد مدحك الشعراء

كل يردد ما يجول بفكره ... في مدحكم وتسوقه الآلاء

والمسلمون على اختلاف شعوبهم ... لك في قلوبهم رضاً وثناء

أي امرىء إلا ويعجبه هنا ... عدل وأمن واسع ورخاء

حتى العدى لهجوا بذلك في الورى ... والحق ما شهدت به الأعداء

وصحائف التاريخ ملأى بالذي ... لا يستطيع لحصره الإحصاء

العطف فيكم والحنان تمثلا ... والفائزون غدا هم الرحماء

كم من يد لك في الورى مشكورة ... هي في سجل المكرمات سماء

دبت إلى الفقراء في أكواخهم فغدا يرددها لك الفقراء
كم من يتيم قد جبرت مصابه وكشفت عنه ما به يستاء
وأرامل يشكرن فضلك في الدجى ويحثهن مكارم بيضاء
كم دعوة لك من فؤاد صادق هو بالقبول تلفها الظلماء
صعدت إلى رب السماوات العلى فغداً يكون لكم بهن جزاء
دم يامليك العرب موفور الحمى ما جاء ليل واقتفاه ضياء
دم للعروبة كي تقيم حقوقها وتحوط مجداً شاده الآباء
دم للمكارم يعتفيها المجتدي إن جاء قحط واستمر غلاء
دم للأمور المشكلات تحلها بمهارة تعنو لها العظماء
العرب لا ترضى سواك مليكها أبداً ولو غضب الورى جمعاء
الملك فيك وفي بنيك مخلد والعرب كلهم لكم نصراء
عرش الرياسة أنتم أولى به وبكل قطر منكم أمراء
فسعود في بلد الرياض مفخم يلتف حول مقامه الكبراء
وهنا بمكة في الحكومة فيصل شهم له في المعضلات مضاء
والله حافظكم مدى أيامكم من كل باغ دأبه الشحناء
مولاي هذى نفثة من مخلص لكم لديه محبة وثناء
فيه التفاني للمليك وشعبه ما خالطاه تصنع ورياء
فاقبل بفضلك ما يقول فإنه يحدوه فيما قد تراه وفاء
أبقاك ربي للعروبة ناصراً ما شع بدر واقتفته ذكاء

ولمحمد بن حسن الأنصاري يمدح سعادة الشيخ الاجل عبد الله بن المرحوم الشيخ قاسم الثاني :

تدوم بالعز والإقبال والظفر   في نعمة الله تبقى مدة العمر

لا زلت ترقى وقدري عندكم أبداً

ترقى إلى غارب السعدان والقمر

وبرج سعد صعدتم في العلى درجا   من صولة قد سمت بالأنجم الزهر

بهمة ضاهت العيوق غايتها   عنها يقصر أهل المجد عن قصر

زاد اشتياقي لما أن سمعت بكم   والسمع أسبق أحيانا من النظر

كم بت في سهري قلبي أعلله   « لعل بالجزع أعوانا على السهر »

ولم أزل في هموم قد برت جسدي

والدمع ينهل من عيني كالمطر

لما أهاج لظى التذكار قلت له

« يا ساهر البرق أيقظ راقد السمر »

وقلت يا قلب لا تجزع فذا فرج   أتى به الله وافانا على قدر

فافتر مبتسماً وقال مبتهجاً   أهلا وسهلا بكم يا غاية الوطر

فالورق تصدح والأغصان راقصة   والغانيات ذوات الغنج والخفر

من كل فاتنة الألحاظ فاترة الأ

جفان ساحرة الولهان بالحور

بطرة زانها ليل على فلق   كطلعة الشمس تغنينا عن القمر

مظلومة الريق في تشبيهها ضرباً   مهضومة القد في التشبيه بالسمر

نحيفة الخصر هيفاء القوام غدت   تختال في حلل حمر وفي حبر

حوراء غيداء قد رقت شمائلها   ولا شبيه لها في البدو والحضر

تهتز أردافها بالتيه من طرب والبدر ينقط بالابريز والدرر

وأفصحت بلسان الحال قائلة وفي ابن قاسم عبد الله بالظفر

أعني ابن ثاني من سارت بسيرته الرّ كبان تمدحه في البدو والحضر

مولي الجزيل مربي للجميل له جمال وجه غدا يعلو سنا القمر

هو الهمام الأريب الأريحي ومن

حاز المكارم عن آبائه الغرر

ذو فطنة ووقار لا يوازنه إلا أبوه طويل الباع خير سري

نقادة في تصاريف الأمور له رأي يخلص بين الدر والمدر

بحزم ذي وثبات والثبات له خلق بعزم غدا كالصارم الذكر

هذي نتائج أفكاري بعثت بها ولست إلا كمهدي التمر في هجر

لا مال عندي أهديه لحضرتكم إلا قلائد سمط النظم كالدرر

تبقى على صفحات الدهر خالدة لكم تبث الثنا من نشرها العطر

فاقبل فرائدها واقبل خرائدها

أتت إليك تجوب الأرض في قطر

لا ترتجي صلة إلا القبول لها والفوز فيها بحسن الفكر والنظر

في ليلة قالها نجل الحسين لكم أبو خليل يروم الفوز بالوطر

واسلم ودم في نعيم لا نفاد له يا تابعاً ما أتى عن سيد البشر

عليه مني صلاة لا انتهاء لها

والآل والصحب في الآصال والبكر

ما سح مزن وما غنت مطوقة على الأراك مدى الأعوام والعصر

وقال السيد أمين بن مكين اليماني : مادحاً جلالة الشيخ عبد الله بن المرحوم الشيخ قاسم . قال : إلى زبرقان هالة سماء الأفاضل ، والمنهل العذب الزلال ، دوحة المجد واللطافة ، وكهف المستجير مما يخافه ، غوث الملهوف ومعدن الفضل والمعروف ، الماجد الشهم الشيخ المحترم عبد الله بن المرحوم الشيخ قاسم بن محمد الثاني دام مجده وعلا عزه وسعده . وبعد . فالذي ننهيه إلى جنابكم بأنا وصلنا إليكم من شقة بعيدة ، مفارقين أهلنا وأوطاننا من مدة مديدة ، حتى أوصلتنا الأقدار إلى هذه الدار ، وقصدناك لما يبلغنا عنك بأنك تعظم أهل بيت النبوة ، ونحن من سادات اليمن ، وقد أصابنا في هذه السنين قحط وديون مجحفة ، ولم يسعنا إلا الخروج لطلب الإعانة ممن هو مثلكم ، وها نحن منتظرون حلول أنظارك الأريبة ، لا زلت محروساً آمين .

دمعي من البين لا ينفك ساجمهُ
وقادح الشوق في الأحشاء ضارمهُ

فمن لمن قذفت أيدي البعاد به ... وخانه الصبر وانحلت عزائمه

إن رام كتم الهوى شنت مدامعه ... فأظهرت لجوىً في القلب كاتمه

يبيت من ذكر من حل الحمى كلفاً
ينوح شوقاً كما ناحت حمائمه

يرجو التلاقي بهم والدهر يبعده ... ولم يقل قد قضى بالجور حاكمه

أعني بذلك عبد الله من فضحت ... سحائب القطر بالجدوى براجمه

ومن هو الأسد الضاري إذا شرعت
يوم الوغى البيض واستلت صوارمه
إلى المعاضيد ينمى وهو خير فتى من لم يكن في العلى شخص يزاحمه
بحر المكارم إنسان الزمان فما ذاك الزمان ومن في الجود حاتمه
فقد زهى قطر مذ شاخ في نعم عن غيره وبه طابت معالمه
ينبيك عن مجده في الناس سيرته وعن مناقبه تنبي تراجمه
عج بالرياض وسل عن ذات شيمته
تجد خلائقه كالزهر باسمه
لو اشتكى أحد جور الزمان لما راعته في عمره يوماً مظالمه
أو جاءه زائر يوماً فليس يرى له نديماً سوى مجد ينادمه
ياماجداً في الورى قد طاب محتده إليك نظماً قصير الباع ناظمه
فاقبله وافضل على منشيه محتسباً
فقد شكى من صروف الدهر راقمه
واسلم ودم في سماء المجد مرتقياً أوج المكارم صافي العيش دائمه
ثم الصلاة على خير الورى حسبا ما لاح برق وما هلت غمائمه
وآله الطهر والأصحاب مارقصت أغصان بان وما غنت حمائمه

شعر

علي بن سليمان

هو الشيخ العلامة ذو العقل الراجح والشهامه ، علي بن سليمان آل يوسف التميمي ، ثم الوهيبي نسباً ، والحنبلي مذهباً ، والسلفي معتقداً ، والبصري مسكناً ، طلب العلم في بغداد على مشايخ كثر ، منهم آل الألوسي ومنهم الشيخ نعمان الألوسي ، والشيخ شكري الألوسي ، ومشايخ لم احفظ أسماءهم ، وادرك في كثير من الفنون إدراكا تاماً ، وقد رأيته واجتمعت به واستفدت منه في مدة اقامته عندنا ببلدنا قطر ، وهو إذ ذاك في صحبة الشيخ يوسف آل إبراهيم في أيام قدومه على الشيخ المرحوم قاسم الثاني رحمه الله سنة ١٣١٥ ، فرأيت رجلاً لا يجارى فيما تكلم فيه من أي فن ، خصوصاً في الأصول وعلم العقائد والتحقيق لعقيدة السلف ، والدعوة إليها والرد على من خالفها ، وأما الشعر والأدب ، فحدث عنه ولا حرج ، إن نثر شنف بنثره الآذان ، وإن نظم أزرى بعقود الجمان ، له الأشعار الفائقة ، والمعاني الرائقة ، أنقل إن شاء الله منها في هذا المجموع نموذجاً يدلك على سمو مقامه وجودة نظامه . فمن ذلك ما كتبه تقريظاً على النسخة التي جمعها وهو إذ ذاك ببلدنا فإنه جمع سبع قصائد في عقيدة السلف أولها القحطانية النونية ذكرها في هذه الأبيات وهي :

أشمس سعود أشرقت من سما المجد

أم المسك أمسى فائحاً من صبا نجد؟

أم الروضة الغناء باكرها الحيا

فأحيا بها روض البنفسج والورد

أم البرق من أفق الخليصاء لائحٌ أم المزن حنت فازدهى حادي الرعد

أم البدر للسارين ليل تمامه تجلى فشاموا طالع الأنس والسعد

أم الغادة الحسناء أسفر وجهها فزدت بها ياصاح وجداً على وجدي

ولكنها مجموعة قد تجمعت بها نسخ تحكي الزواهر في العقد

حوت حكما واستحكمت بأدلة تدل على نيل السعادة والقصد

عقيدة أهل الحق من كل جهبذٍ هم القدوة المثلى لمن كان مستهدي

تقدم هذي السبع منها قصيدة لحبر بني قحطان والعلم الفرد

ويتلو سناها في الثنا واسطية وهاهي في التحقيق واسطة العقد

وميمية ابن القيم الجهبذ الذي به الله أحيا دارس العلم والزهد

ولامية السامي الذرى ابن مشرف

وميمية فاقت على عبهر النـد

وبائية الشهم الغيور أخي العلى

أمام بني صنعا وتاج ذوي المجـد

وتائيـة كالدر أندلسية تحث على كسب الفضائل بالجد

فسمعاً لما فيهن فاعتصموا به لتحظوا بدار الخلد في العيشة الرغد

وعضوا عليها بالنواجذ واسمعوا نصائح منها لا تنهنه بالعد

على منهج الاصحاب والسلف الألى

أقاموا عماد الدين بالصارم الهندي

وقد أصبحت ترمي نجوم سمائها بشهب شواظ ويك مسعورة الوقد

على تابعي علم الكلام وأهله لقد أصبحوا عن منهج الحق في بعد

وقد سفهت أحلامهم حين ما نحوا مسالك جهم واقتفوا مذهب الجعد

وقد عطلوا رب الورى عن صفاته

لرأي شيوخ خالفت سبل القصد

وقالوا بأن الله ليس بمستوٍ على عرشه بل قابلوا ذاك بالرد

وقد أنكروا معراج أحمد حينما حباه إله العرش بالقرب والود

فدع قولهم يامن يروم سلامة فإنا نرى أقوالهم جرباً يعدي

فما الهدي إلا هدي أحمد لا كما

يقول أولو التعطيل والمذهب المردي

فكن تابعا ما قاله سيد الورى

وقال به الصحب الكرام أولو الرشد

وتابعهم ثم الأئمة بعدهم كمالك والنعمان ذي العلم والزهد

كذا الشافعي الحبر ثم ابن حنبل

إمام الهدى مردي ذوي الزيغ والجحد

وكل إمام بعدهم ومحقق فهم قدوتي حتى أوسد في لحدي

فكن تابعاً ماقرروا في اعتقادهم وكن حذراً من منهج الخاسر الجعد

وقال مؤرخا عام طبعه، وانتشر نفعه :

زهت روضة الايمان وابتهج التقى
وشيد عماد الدين من بعد وضعه
ولاحت شموس العلم في أفق الهدى
وحلت بدور الفضل في سوح ربعه
وقرت عيون الحق بعد عمائها وبان من التوحيد أعلام رفعه
بطبع كتاب قدحوى كل محكم من القول من هدي النبي وشرعه
لقد ربحت فيه تجارة مقتف وخاب امرؤ قد فاته نيل نفعه
به فافتخر يا من يؤرخ مجده فقد سطعت في الكون أنوار طبعه

قال مادحاً الشيخ القادم إلى رحمة الله وغفرانه المرحوم قاسم بن محمد الثاني عليه الرحمة والرضوان :

شجاني بسفح البان سجع الحمائم
فحل عزالي مقلتي بالسواجم
وأرقني منها ترنم نوحها وما ليل مأسور الفؤاد بنائم
وأجج في كانون قلبي ناره فزاد غراماً بالأسى المتفاقم
وما ذاك من وجد بسلمى وزينب فما عقل من يهوى الحسان بسالم
فلا الوصل من سلمى بأسنى مآثري
ولا زينب في القرب خير مغانمي
ولا شاقني ذكرى حبيب ومنزل ولا خفقت قلبي بروق المباسم
ولكنه يا سعد شوقاً لماجد يزيل عن العاني ثقال المغارم
فقد طفت في شرق البلاد وغربها وسيرت رحلي بين تلك المعالم
فلم أر من يرجى لكشف ملمة ولم أر من يهوى اكتساب المكارم

فناد دع التسيار عنك فلن تجد لعمرك مطلوباً سوى الشيخ قاسم

همام لنصر الحق أضحى مجرداً ولا يختشي في الله لومة لائم

وندب له كسب الفخار سجية وميراث آباء أباة أكارم

وطود منيع لايرام وجاره عزيز وما اللاجي إليه بنادم

تضلع من علم وفهم وعفة وأمسى لديه الجود أسنى المغانم

فدته أناس لا تهش لمدحه ولا ترتجى يوماً لكشف المظالم

فمن حل في أرجائه حل آمناً وراح بعز من معاليه دائم

له صدمات أرجفت قلب ضده وما ليل من عادى علاه بنائم

مواقف صدق طم فيها على العدى ببحر حديد بالقنا متلاطم

فسل قطراً عن فعله أو سل الحسا وماذا حسا أعداؤه من علاقم

وسل عنه جند الروم ماذا أصابهم

وما بالهم أضحوا طعام القشاعم

وسل عنه خنوراً أو من حل سوحها وماذا دهاهم من سيول صورام

وإن بني ثاني على البعد والنوى لبيت فخار ويك سامي الدعائم

أياديهم مشكورة لذوي العلى وأيامهم مشهورة في المواسم

أبا فهد يا فخر من سكن الفلا ويا عز أصحاب القرى والأعاجم

لكم عندنا أيد جزيل نوالها وإن علينا الشكر ضربة لازم

وما عندنا شيء يكافىء حقها سوى در نثر أو لآلىء ناظم

فلا زلت يا شمس السماحة والعلى

بعز على مر الجديدين دائم

وكان لك الباري معيناً مساعداً لتنصف أهل الحق من كل ظالم

وله عفى الله عنه يمدح السيد طالب النقيب ، وهي طويلة جـدا فاختصرت بعضها وهي من غرر القصائد وفائق الشعر :

فؤادي إثر الظـاعنين عميـد ... وصبري إذا جد المسير فقيـد

وشوقي إلى نجد وأطلال رامة ... سقتها الغوادي يا هذيم شديد

وإن غرامي باللوى وظبـائه ... وسكان سلع مـا عليه مزيد

تريد شجوني ما أضاءت بذي الغضـا ... بروق وحنت بالعقيق رعـود

ويسفح دمعي ما جرى الخيف من منى ... فبحر دموعي وافر ومـديد

ألا يا لقومي للصبابة والأسى ... فهل من مجير إنني لوحيد

عدمتكم هبوا لاسعاف مغرم ... به بين أفلاذ الضلوع وقود

أيهنيكم أن يحمل الضيم جانبي ... وأنتم على لين الوطـاء رقود

تبيت فتاة الحي تردع همتي ... وترعم أني في اللقـاء شرود

اذاً لا نمتني من تميم كرامهـا ... ولا نجحت لي في العلاء جدود

بلى إنني في مأزق الحرب فارس ... تحطم من فتكي ظبى وبنود

وإني في الهيجاء مسعر نارهـا ... وليث شراها إذ تذل أسود

وما ملكت مني القياد كماتهـا ... ولكن سبتني بالكريهة خود

وقيدني في ربقة الأسر حبهـا ... وللصب في أسر الغرام قيود

فما عشت لا أنسى ليال تصرمت ... بربع زرود لا جدبت زرود

وساعات أنس قد بلغت بها المنى ... إذ العيش غض والرقيب بعيد

وقد نسجت أيدي الربيع مطارفاً ... تفتح من أكمـامهن ورود

فاضحك ثغر الأقحوان بأدمع بهـا أعين الغيث الملث تجود

ورصع في روض الشقائق أنجمـاً

ولاح عـلى عطف الشقيق برود

وإذ أشرقت نار المجوس بأكؤس لدنهـا الندامى ركع وسجود

شمول إذا مامسها المزج أبرزت فقاقع تحكي الدر وهو نضيد

مشعشعة يعشي العيون سناؤها لها في العصور السالفات عهود

تطوف بهـا ريا المخلخل ناهـد مهفهفة غرثى الوشـاح ميود

بعيدة مهوى القرط لمياء ناعس

تقد الحشـا منهـا نواظر سود

تأرج من أردانهـا المسك فائحاً وضرج منهـا بالدماء خدود

تصول علينا والسيوف لواحظ وتفتك فينـا والرمـاح قدود

وتبسم عن در نضيد وحبذا إذا لاح منهـا برقع وعقود

اما وبدور اشرقت وهي أوجه وسود ليال طلن وهي جعود

وأغصان بان تنثني في غلائل وسمر رمـاح فوقهن برود

لقد رقرق الدمـع الهتون بمحجري

شهيـد غرام بالدمى وصـدود

ولم ألف من عون سوى الشهم طالب

وحسبي بمن فيه الكرام تسود

رفيع الذرى ليث الشرى عمت الورى

مكارم منه يا هـذيم وجود

فتى لا يراع المستظل بظله وعيش الموالي في حماه رغيد

وقرم إذا هز اليراع بكفه تسيل نفوس أو تسير جنود
وندب إذا ما اعضل الأمر حله بعزم بـه شم الجبال تميد
ومنهل جود أمَّهُ الناس فانثنوا لهم صدَر من فيضه وورود
وسائس ملك في الرياسة معرق يدل بني السادات كيف تسود
وذو رتبة قعساء أما عروقها فتزهو وأما ظلها فمديد
وشهم دعا العليا فلبت كأنما عليها من العهد القديم عهود
وحاز فخاراً من طريف وتالد وما الفخر إلا طارف وتليد
فما سيفه المشهور إلا كبارق له فوق هام المعتدين رعود
وما ربعه المعمور إلا مرابع إذا سار وفد حل فيه وفود
أخو همة يستصغر الدهر عندها وشأو إذا رام البعيد بعيد
يجلي ظلام المشكلات إذا دجت
بصائب فكر والأنام رقود
فسل عن عطاياه خزائن ماله وعن بذله التيار حين يجود
يبن من عطاياه وحسن صنيعه قلائد في جيد الورى وعقود
له كل يوم للمفاخر نهضة وكسب ثناء والأنام هجود
وعزم لو ان البيض تحكيه ما نبت
لها من رؤوس الدارعين حدود

الى أن قال

وفيك أرى الفيحاء يزدان ربعها وبحر نداها وافر ومديد
شفا النفس أن تسمو بعلياك رتبة وينقاد دهر أنت فيه وحيد
فلا زلت ياشمس السيادة في العلى وشانيك في كل البلاد طريد

ودمت مهنى في هنـاً ومسرة لها ما بقي هـذا الزمان خلود

تم الاختيار من شعر الشيخ علي بن سليمان آل يوسف رحمه الله تعالى ويليه الاختيـــار من شعر الشاعر المشهور بطرس النصراني .

شعر

بطرس النصراني (١)

قال مجاوباً السيد الشيخ عبد الجليل الحسيني عن قصيدة أرسلها له جوابا عن قصيدة أرسلها إليه أولهـا :

سرت بالهنا سعدى إلي على بعد فأدنت كما شاءت جنى ثمر الورد

فاجابه بطرس بهذه الدالية يقول في مطلعها :

أتت تنجلي حسنـاً فهل نافـع جدي
إذا لم يساعدني على وصلهـا جـدي (٢)

سلاها فؤاداً ما سلاها ولم يزل يهيم بها وجدا على القرب والبعد

غزالة حسن بالغزالة تزدري ومن عجب اشتاقها وهي في كبدي

إذا نسمات التيه لاعبن قدها فيا خجل الخطي ويا خجلة الملد

محجبة كم بات دون حجابها أخو لوعة بين الصبابة والوجد

مولعة بالفتك نادت لحاظها قفوا وانظروا فعل الجآذر بالأسد

---

(١) صحح شعر بطرس النصراني على ديوانه المطبوع في بيروت سنة ١٨٩٨

(٢) لم اجد هذه القصيدة في ديوانه المذكور وإنما وجدتها في ديوان عبد الجليل الحسيني المطبوع في الهند رقم ٢٤٢ .

وأبدت نبال الغنج في قوس حاجب
وابيض فصالا بادعج مسود

ففي الجفن كسرى والنجاشي خالها
نزيل على النعمان في روضة الخد

لقد غصبت مني الفؤاد وهاجرت أما للهوى شرع فيحكم بالرد

رأتني فقالت من أرى قلت مغرم
أراقت دماه مقلتاك على عمد

ألا رب يوم والزمان مساعد ولم يك فيه من رقيب ولا ضد

أتتني بليل من ذوائب شعرها تجر على آثارها فاضل البرد

تميس وفي الأعطاف لين وصبوة وفي النشر من أردانها أرج الند

ومن ورد خديها ونور جبينها لقد بت أروي شرح لامية الوردي

رنت بلثام عن غدائر فرعها
فحقاً رأيت الشمس في الحالك الجعد

تقول وقد هزت من القد أسمراً حذار رماح الخط من أسمر القد

ومنت وما ضنت بكاس مزاجها من المبسم الدري والحبب الشهد

تدير الحميا من سلافة ثغرها لتجمع بين الهزل في ذاك والجد

مداماً على أقداحها الزهر أشرقت حباباً يبث الروح في الحجر الصلد

تشابه لوناً خدها وسلافها ومن شبه لم أدر أيها قصدي

فاحتسب الصهباء خداً وخدها سلافاً وقد أضلت بينهما رشدي

وشابه منها الثغر كأساً تديرها كما أشبه الدري كوكبها النهدي

نسيم الصبا إن جئت دار أحبتي　　سقاها الحيا غيث السماحة والرفد

فبثي من المشتاق نشر صبابه　　لسحار جفن عنده مثل ما عندي

يبغلني نشر الخزامى حديثه　　ويخبرني عن ثغره البارق النجدي

فابكي لذكراه ويبكي مردداً　　لذكري در الدمع في درر العقد

فكم بات مهتوك النقاد موسداً　　على عفة يهتز وجد على زندي

إلى الصبر أشكو ما لقيت من النوى

وهيهات صبري إن شكوت له يجدي

وعاهدت قبل البين قلبي تصبراً　　ففرولم يحفظ غداة النوى عهدي

نديمي أدر كأساً بذكرى أحبة　　ومالي من ذكرى الأحبة من بد

ودع عنك ذكرى الحادثات فإنها　　تدور مع الأيام بالحل والعقد

وباكر صبوحاً كالصباح وغنني　　بذكر الحسيني لا بهند ولا دعد

خدين العلى عبدالجليل ومن غدا　　بآدابه الغراء كالعلم الفرد

هو البحر مداً بالعلوم ولم يكن

بساحله جزر يطول على المد

فضائله بين الأنام كأنها　　نجوم سماء ليس تحصر بالعد

سليل كرام ياله من مهذب　　أخي شيم قد طابقت شرف الجد

فلم تره إلا مقيماً على الثنا　　ولم تلقه إلا الموشح بالحمد

فمن أدب زاه تسامى محامداً　　ومن نسب باه تزين بالمجد

إمام بني الآداب بالنفس تشترى

على ربح فضل ما يعيد وما يبدي

لقد أنفذ الآذان دراً تلألأت فرائده نظماً يجل عن النقد

كريم حليم طاهر حسن الوفا شريف منيف قدره صادق الود

أبحت الورى مدحي له فإذا الورى جميعهم مثلي ولست أنا وحدي

ألا أيها الندب الذي شاع فضله وليس له عند البلاغة من ند

أتاني بلا وعد كتابك زائراً ولله محبوب يزور بلا وعد

هو التحفة الزهراء من خير ماجد له الفضل من قبل عليٍّ ومن بعد

به من بنات النظم هيفاء غادة تجاوز معناها البليغ عن الحد

فكم من زهير تحت أزهار لفظها وكم طرفة تزهو على طرفة العبد

فمن كل معنى ألف بيت لناظر ومن كل بيت ألف معنى لمستجد

فما قيس مع لبنى يقبل ثغرها وعبد ابن عجلان يدير لمى هند

بأوفر مني لذة حين أقبلت تبلغ من مولى ثناء على عبد

كفاني حديث الغانيات نسيبها وأغنت عن الصهبا فصيرتها وردي

ولما شفى قلبي الكئيب وصالها

غفرت لدهري ما جناه من الصد

وصيرتها في غربتي خير مؤنس وأنزلتها في منزل الأهل والولد

وسميتها سلوى الغريب لأنها ألذ من السلوى وأحلى من القند

فني لها أهدي إليك وليدة جويرية فاقبل بفضلك ما أهدي

وخذها بعفو عن قصور فإنها بنية نظم من مقل على جهد

سرت من بلاد الروم وهي رقيقة ومن عجب أن لا تمل من الوخد

فلو كنت حسان البلاغة لم تقم بجمع معانيك الحسان يدا جهدي

وحسبك منها أنها من موحد بحبك عن توحيده غير مرتد

تسير بها أشواقه ودليلها نوافح فضل منك لا نفحة الرند
لها كل يوم في مديحك رغبة ولكنها عن مدح غيرك في زهد
كريمة نفس وهي بنت كرامة تهادي كريم الدر أكرم مستهدي
بأوصافك الحسنى تتيه وتنجلي بحسن إلى روض البلاغة ممتد
فلا زلت مأوى كل عز ومدحة ترف لك الأشعار وفداً على وفد
وتخدمك الأيام فيما تريده سليم المنى من حادث الزمن النكد
قرين التهاني والمسرات ظافراً بنيل الأماني لابساً حلل السعد

وقال مادحاً عبد الله البحري كاتب خزانة والي الشام :

يهيجني تذكار خل كما البدر فليت التنائي لم نجده ولم ندر [١]
أحن إذا ما ناح قمري روضة حنيناً بأشجان يزدن على الصبر
رعى الله أياماً مضين فلم يكن لنا بعدها إلا التلذذ بالذكر
أويقات أنس قد سلفن بلذة وعصر هني كان يحسب من عمري
أبيت ولي قلب يهيم بذكرهم غراماً وأشواقاً توقدن بالجمر
خليلي عوجا بالمنازل والحمى وقولا لمن أهواه صبك بالأسر
وخود سبتنا باللحاظ فلم تدع لناظر جفنيها فؤاداً بلا سحر
مهفهفة بيضاء نور جبينها إذا أظلم الديجور يغني عن البدر
كأن الثريا عقد در بجيدها توارت حياء من ضيا المبسم الدري
إذا افتر منها الثغر أو لاح وجهها
أرتك سهيلا قد تصور بالثغر

---

(١) ديوانه : ٦٥

وفي فمها المعطار كأس مدامة سلاف رضاب لا سلاف من الخمر
إذا هز بان القد منها دلالها تميس بأعطاف تملن بلا سكر
علقت بها حباً فلما تملكت فؤادي وأحشائي تصدت إلى هجري
تثنت فبان البان خيفة قدها وماست فأزرت بالردينية السمر
رأتني فقالت من أرى قلت مغرماً
قتيل الهوى بين القلادة والخصر
أرتنا من الاجفان سحراً كأنه أساطير عبدالله ذي القلم البحري
هو الجوهر المكنون دلت صفاته عليه كما دل السحاب على البر
به افتر ثغر للبلاغة مشرق كما افتر ثغر الروض عن مزنة القطر
إذا سن أقلاماً وقط رؤوسها يقول الرديني خجلة قط لا أجري
وإن ضمن القرطاس خطا تخاله جبين مليح قد تلألأ بالشعر
بدا فضله لما تعالى يراعه بإنشائه الباهي كعقد على نحر
تقول له الحسناء حلوا بخطه على الرق تشبيه الوسام على صدري
فكم قلم هندي بدا في بنانه يفاخر هندياً صقيلاً إذا يسري
ويبدو لنا من رقه كل مطرف نوادر إنشاء أرق من السحر
أليس من الإعجاب أن جواهراً
ودراً يرينا في الطروس من الحبر
إذا مد قرطاساً وأنشا رسالة يجر على سحبان أردية الستر
قلائد عقيان البديع كتابه عبارته الفصحاء تغني عن القطر

---

(١) ديوانه : ٦٨

مهذب خلق في فصيح خطابه　　يشير لنا عما تضمن بالفكر
فكم وشح القرطاس برد رسالة　　مؤنقة زهراء تركية بكر
تقر له الأتراك بالفضل إنها　　لهم تحفة جاءت تفوق على الزهر
لقد كان للكتاب ياقوت قدوة　　قديماً وأما الآن ذا قدوة العصر
ألا أيها الكتاب عوجوا لنحوه　　تروا مورداً عذباً فوردكم بحري

وقال متغزلا :

باح الفؤاد بسر كنت أخفيه　　فكيف يخفى الهوى والشوق يبديه [١]
مازلت أكتم سر الحب في كبدي　　حتى أباحت دموعي بالذي فيه
وحق أيام أنس واللقاء بها　　وحق ورد جني كنت أجنيه
وحق ما فعلت تلك الجفون بنا　　وحق خمر حواه الدر في فيه
ما باح نطقي بكتمان الهوى أبداً　　لكن طرفي أبدى ما أواريه
وجد بي الوجد من عذل العذول وكم
بدا رقيب بهذا الوجد يلحيه
فيا ليال قضيناها معانقة　　مع الحبيب قصيرات بناديه
وكم أويقات أنس بالربوع لنا　　فوق الأماني سقاها الغيث ساريه
كم موعد قد أقمنا للقاء بها　　وضمنا الربع إذ ضمت حواشيه
يا طالما ذاب قلبي في قواه وكم　　بدا لويلاً برشف الثغر ينشيه
عجبت من شخص قلبي مات فيه أسى
وكيف رشف زلال الريق يحييه

---

(١) ديوانه : ٦٧

فيا نسيماً سرى من مهجتي سحراً قف بالجديد واعطف عن يمانيه
تجد نسيم غرام نافح وبه معطار نشر فعرج نحو هاديه
وسر بلطف إلى المحبوب متبعاً شذاء عرف زكي شم من فيه
فانزل وسلم على ذاك الغزال وقل
يقريك حبك شوقاً كاد يفنيه
واخفض جناحاً لديه عند رؤيته واشرح غرامي الذي فيه أعانيه
وقد تركت كئيباً فيكم شبحاً من الصبابة قد بانت خوافيه
يا صاح إن جزت ذاك الحي معتمداً
نحو الأنيس الذي طابت أمانيه
أو جئت يا صاحبي نحو الديار فجز حمى العبيد وعطفاً عن شماليه
وأقرأ تحية حب كالخيال فلم يدع له الوجد معنى من معانيه
فيا لويلاتنا اللاتي سلفن لنا هل أنت بالطيف ميت الحب تأتيه
أحبابنا لم يكن لي بعد بعدكم صبر ولا جلد مما اقاسيه
لك السلام أيا ربع الحبيب ويا حمى الحبيب ويا مغنى أهاليه
لك السلام أيا يوم العناق ويا يوم الوداع ويا يوماً الاقيه

وقال متغزلا أيضاً :

أراك سخي الدمع طال بك الأمر أبرح فيك الحب أم نفد الصبر [1]
أبحت الذي قد كان عندي مكتماً وأعلنت وجداً فيك أم خفي السر
نعم إنني في الحب ميت صبابة فأطوي غراماً ثم ينشره الفكر

---

(١) ديوانه : ٧٠

يهيجني ذكر الربوع وأهلها　　وكل أخي عشق يهيجه الذكر

تذكرت أزمان الأحبة واللقا　　ليال وأيام بوصلهم قصر

ليال قطعناها ونحن بمجلس　　تجلى على بدر السماء لنا بدر

من الخود هيفاء القوام غريرة　　تحلت بها الجوزاء وابتهج النسر

وقد ظهر المريخ في سيف لحظها　　وقابلت الأقمار فانبهم الامر

ومن نور ثدييها النجوم قد اكتست

ومن سحر جفنيها لقد عُلم السحر

كلفت بها حباً وشط مزارها　　وكم منع العشاق من لذة دهر

رضعت هواها ثم صرت فطيمها　　فبدء الهوى حلو وآخره مر

ويوماً على وصل المشوق تعذرت　　فلذ لنا سقم ولذ لها هجر

لقد كنت في رحب قبيل غرامها

فرحت بها مضنى وضاق بي البر

ألا رب يوم كان لي فيه موعد　　بصدق اجتماع الشمل وارتفع العذر

فجئت وقد غاب المنيران والسها　　وقد ظهرت في الافق أنجمه الزهر

ولما توافينا وقد غاب كاشح　　ونام رقيب واطمأن بنا الخدر

أماطت عن الوجه المنير لثامه　　فأشرق منه البدر إذ بسم الثغر

تذود عن المرجان في صحن خدها

حياءً بأجفان لها النهي والأمر

وأزرت قضيب البان لما تمايلت　　بأعطافها الحسنا يرنحها سكر

وأعجب مما في الجبين رأيته　　ظلاما وصبحاً لاح بينهما بدر

فلولا ظلام الشعر لاح لنا الضيا　　ولولا ضياء الوجه جن بنا الشعر

فباتت تعاطيني المدام صبابة　　ومن ثغرها الألمى المدامة والخمر

تدير الحميا بالظلام على سنى　　كؤوس عقيق قد تضمنها الدر

تصافحني وجداً فيعطفني الهوى　　وأضممها شوقاً فينعطف الخصر

وما راعني إلا الصباح مفاجئاً　　وقدذهب الديجور مذ طلع الفجر

ولما اعتنقنا للتودع وانقضت　　لويلتنا رحنا وادمعنا بحر

وقمت عليلا بالغرام مقيدا　　وأودعتها قلباً تلظى به الجمر

وكتب مجاوباً لنصر الله بن فتح الله الطرابلسي الحلبي ولم يكن احدهما لقي الآخر :

ورد الكتاب مصرحا ومسطرا　　بحديث محبوب عشقت ولم أر[1]

وافى وكان وروده ورداً لذي　　ظمأ ألم بـه الغرام وأسعرا

ففضضت منه ختامه ولطالما　　فاضت دموع قبله لن تنكرا

ولثمت محياه فأشرق ثغره　　ورشفت كأساً من لماه معطرا

وثملت لما أن رشفت سلافة　　صهباء حب لا سلافاً أصفرا

أهدى إلى المشتاق نشأة مغرم　　فاحت رياح الشوق منها عنبرا

فكأن أسطره ذوائب غادة　　هيفاء لاحت من ترائب قيصرا

أو أن أحرفه مراشف أعين　　تعطي الرحيق معللا ومقطرا

وقلائد العقيان خلت جمانه　　أو ثغر محبوب تبسم جوهرا

أربى على سحبان سحب فصاحة　　لو شامها الكندي عاد مؤخرا

---

(١) ديوانه : ٨٢

وكذا ابن ساعدة الأيادي لو رآ ه لعاد منه مخجلا متسترا

رق النسيم للطف معناه كما شهد الفؤاد بفضله لما قرا

يا حسن برق من محياه بدا عن نصر فتح الله لاح مخبرا

نشأت بنصر الله روح صبابة وأبى الفؤاد لغيرها أن يذكرا

فرع لفتح الله أينع مخصباً بحديقة الآداب شب وأثمرا

ولذا اسم قلبي حين أشبه قلبهُ فبناه صرف الحب لما أن طرا

فإليك يعزى الفضل يامن لاح لي منه الوداد ولم يراني ويبصرا

قرب الدار كنت فيها وحبذا الشـ ـهباء نصر الله فيها قد سرى

واهاً لها لما حللت ربوعها رغداً وآهاً من بعادك أوفرا

ياليت لا كان البعاد ولا النوى ياليت لا شط المزار ولا الذرى

أواه من حر البعاد وطالما جار البعاد على الأحبة وافترى

خذها لقد وافت من ابن كرامة برسائل الأشواق تهدي الأسطرا

تنبيك عن حب سماعي الهوى متجاوز حد القياس لدى الورى

فأجابه نصر الله المذكور من البحر والقافية بقوله :

زند القريحة مذ علقت بكم ورى يا من شهرت بحبهم بين الورى [١]

وجعلت شخصهم أمامي قبلة هيهات أن أرضى الرجوع إلى ورا

لولا توقع ضيف طيف خيالكم ليزورني زوراً لما اشتقت الكرى

كلا ولولا بارق من أرضكم ما أرسلت عيني سحاباً ممطراً

---

(١) ديوان كرامة : ٨٣

يا من كلفت بهم ولم أر وجههم   إني أراه بالفؤاد مصورا
ما كنت أشتاق النسيم هبوبه   إلا لعلمي أنه عنكم سرى
فسقى طرابلس السحاب وليهُ   سحاً وتهتاناً يرى متفجرا
بلد كأن الدهر عاندني بها   فاستاق أهلي قبل أن أطأ الثرى
لو فاخرت كل البلاد بأن فيـ   ـها بطرس لكفى بذلك مفخرا
الأوحد الندب الفريد الأمجد   الندس المجيد الألمعي الأنورا
أقسيم روحي بل حشاشة مهجتي   بل تاج أرباب الكمال بلا مرا
وافى كتابك موضحاً لبلاغة   لو ناظرت ذاك الصفاء تكدرا
وثملت لما أن رأيت جماله   فغدوت معروفاً و كنت منكرا
في ضمنه عربية قد أعربت   عن عامل الشوق الذي منكم جرى
فاقت على الأعراب لما أعربت   نظماً فما طائيهم والشنفرى
وأهاجت الأشواق مني ظاهراً   إذ كان حبي قبل ذلك مضمرا
وغدا بقلبي لوعة فكأنها   بين الجوانح نار أسعد للقرى
والدمع من عيني حكى صوب الحيا
بل كف أسعد حين يكرم مقترا
يا نخبة الفضلاء بل يا سيد الشعراء بل مولى الكمال الأكبرا
من قال مثلك بالبلاغة كائن   قد جاء إداً بل حديثاً مفترى
خذها إليك عقيلة حلبية   ولديك من خجل تروم تسترا
فاسبل عليها ذيل عفوك كونها   إن قصرت عن شأو تلك فتعذرا
شتان ما بين البديع وباقل   أنى يقاس يد الثريا بالثرى

واسلم ودم بمهابة و كرامة يا مورداً لم أرض عنه مصدرا

ما سارت الركبان تقطع فدفداً من عاشق ولهان يهدي الأسطرا

قال مجاوباً له (عن كتاب نثري) :

زارت فكان بأمر الله اسراها غراء قد خطرت فالكل أسراها[1]

خليلة المجد قد هام الخليل بها وبات من وله بالنحو يهواها

أحيت عروض فؤاد الحب مذ بسمت

ثغراً وقام ابن بسام لمحياها

ترى شقائق خديها ممنعة عن ثابت وعن النعمان نعماها

أربت على ابن كثيرٍ في محاسنها حسناً كثيراً وعين اللطف ترعاها

بكر لمى فمها عذب مراشفه صافي المودة عند الصب أوفاها

لو قابل العامري أسرار طلعتها لها في بيتها المعمور أو باهى

رشيقة اللفظ قد جادت وقد سمحت

من البديع بما نالته كفاها

شمس تعبدها العبدي مذ بزغت يوماً وأغنت عن المغني بمغناها

واستمطرت لؤلؤاً من لؤلؤ وروى عن النسيم غصون البان عطفاها

كأنما القطر من ترشاف ريقتها يحيي بمبسمها صباً معناها

شهباء وافت من الشهباء ترتع في برد الجمال فكان القلب مرعاها

غر مطالعها زهر مراتعها بين المضارب من عدنان مرباها

---

(١) ديوانه : ٨٦

رقت كمارق جسمي في الهوى أسفاً

لبعد من بلآلي نظمها فاها

البارع الفاضل الموصوف سيدها رب المفاخر من بالحسن أنشاها

المشمعل إلى الآداب وهي له عرفاً ويزرع في أحكام مجراها

سباق غايات نظم فالبروق إذا جارته أوقفها سيراً وأعياها

في النظم تصفو له أهل القريض وكم

قلائد من لآلي النثر وشاها

تملك الروع مني حبه وبدت بين الجوانح نار الشوق يصلاها

بحبه يا هواه جد بطرق كرى لعل بالطيف تلك الذات نلقاها

ويا نسيم الصبا إن جزت مربعه فخبري عن صباباتي وشجواها

وإن ظفرت بشيء من براعته فصافحيها وحييني برياها

قد كاد يتلفني شوقي لطلعته لو لم يكن في جنان القلب مأواها

سقيت يا حلب الشهباء غيث ندى

وجاد ربعك م الأنواء أنداها

شهباء مذ بزغت خضراء مد نشرت

قعساء منبت زهر العز صحراها

جليلة القدر ذات الفخر معجبة جلا العيون من الأقذاء مرآها

فاقت على كل مصر وهي مشرقة ثغراً أضاء بنصر الله منشاها

يا سعد من نظرت عيناه روضتها ونزه الطرف في فياح مغناها

حسناء غارت على الحور الحسان ضحى

فاستخلصت من ثغور العيد لألاها

إني متيمها إني المشوق لها   إني المعنى بها إني لمضناها

يا صاحبي أطرباني وانشدا سحراً   وعللا الصب من وجد بذكراها

عذراء مدت على كل البلاد يداً   مخضوبة الكف واشوقي لحناها

يا فاضلا حل في ساحاتها رغداً   بشراك في عزها إذ فيك بشراها

وافت رسالتك الغراء تبسم عن   در تضمن نثراً في ثناياها

أهدت كؤوسا بأسماع الورى شربت   فعطلت كل خمر عند صهباها

شيدت أبياتها اللاتي سمت وبدت   فكلنا قاصر عن نيل علياها

تقاعست فتدانى كل مرتفع   لما سما في سما القرطاس برداها

فاقت على العرب لما أعربت ورووا   عنها البلاغة لما استنطقوا فاها

تفاخر الناظمون البارعون بها   والكل يعجز عن إدراك معناها

مني إليك لها أهديك جارية   مغضوضة عن قذى النقصان عيناها

من العدية قدماً غرس كرمتها   والآن في روضة الفيحاء سكناها

فاسبل عليها ذيول الستر إذ خطرت   ترجو القبول ورفقاً عند مسراها

هل ظالع مدرك يوماً على عجز   شأو الضليع فعفواً عند مرماها

واسلم ودم في هناء غير منتقل   ورتبة فوق مرقى الشهب مرقاها

ما قال حبك عن شوق وعن وله   زارت فكان بنصر الله اسراها

فأجابه نصر الله :

زارت بـلا موعد مـا كان أو فاهـا

فهل أرى البدر أم ذي الشمس أوفاهـا[١]

غراء يروي عن الضحاك مبسمها وقد روت عن أبي در ثناياهـا

وريقها العذب يروي في تسلسله عن المبرد والوردي خداهـا

وطرفها عنه مكحول روى سندا كما روى ابن هلال عن محياهـا

بديعة الحسن في خلق وفي خلق بيـانه والمعـاني من رعاياهـا

تتيه عجبا بخصر غير مختصر وردفهـا ثقله لاشك أعياهـا

تجلو الظلام بظلم اللعس من شبم ويجلب الليل بعد الصبح فرعاها

غصن إذا خطرت شمس إذا ظهرت

ريم إذا نفرت واهتز عطفـاهـا

ممنطق بعيون خصرها نظراً مخضب بدما العشاق كفاهـا

إذا مشت فقلوب الناس تتبعها كما اشرأب إلى العفراء خشفاها

بالفضل كاملة بالحسن وافرة فجل من فتنة للناس سواهـا

غدوت في حبها لا أرعوي أبداً فهل ترى ذكرت من ليس ينساها

وهل بهـا مثل مـا بي من هوى وجوى

ولوعة كل نار دون أدناهـا

وهل تسامر نجم الأفق ليلتها شوقاً ولم تكتحل بالغمض عيناها

وهل تفي بمواعيد لنا سلفت وهل تراعي عهوداً قد رعيناها

---

(١) ديوان كرامة ٩٥

وهل تضن على المضنى بما وعدت　　بزورة في الدياجي لا عدمناها

وهل ترق لمكلوم الحشا دنف　　ما كان يعرف ما الأشجان لولاها

نعم نعم إنها تبغي لقاي كما　　أبغي لقاها وتهواني وأهواها

لم أنس لا أنس إذ زارت مسلمة　　وحسنها عاد مقروناً بحسناها

فقمت أنشد من شوق ومن طرب

يا من بزورتها أحييت لقتلاها

يا فتنة لم تراعي في رعيتها　　حق العبيد ولا حنت لأسراها

ملكت رقي وهذي العين جارية　　أسرفت في الصب جوراً فاتقي الله

فهمل الدمع لما سال أعرب عن　　ضمائر في الهوى كنا سترناها

فاستضحكت ثم قالت وهي معجبة

لا تعدمنك روح أنت سراها

فساقطت درراً باللفظ من درر　　وأسكرت كل صب من حمياها

وفضلها عم كلا عندما سفرت　　لأنها أخذت من فضل مولاها

السيد المدره الملسان بطرس من　　قد نال من طبقات الفضل أعلاها

اليلمع المصقع اليهفوف من وخدت

نجب القريض إليه وهو وفاها

مولى البلاغة غواص غطامطها　　رب الفصاحة طلاع ثناياها

إذا انتضى القلم المحروس في يده　　يريك من واردات العلم أسناها

وإن يولج صبح الطرس في غسق　　المداد فاتل وفل والليل يغشاها

سحر قصائده در فرائده　　بحر محامده يعييك احصاها

الأريحي الذي ريح الوفا خطرت
من عنده فشفى الأرواح رياها
ياذا العلا والولا والفضل من خلبت
ألفاظ فيه قلوباً وهو يرعاها
وأوحد الناس إلا أنت معرفة ومنطقاً وكمالات رويناها
شرفتنا بكتاب منك قد بزغت أنواره فهدينا واقتبسناها
رسالة أرسلت للقلب تحفظه فما له ضاع مني عند مسراها
ظننتني بعدها نومي يواصلني فطال في الليل إيقافي وإياها
فيالها درراً من يمكم قذفت سفن العلوم فبسم الله مجراها
وشطرها من بنات البدو مشعرة بالحب أشهد أن لاشعر إلاها
بلفظها فتنت فتنت لبي كما فتنت لبنى لقيس فصار القلب مأواها
وصرت ألثمها شوقاً وانشدها توقاً لمن ببديع النظم وشاها
إن أسعد الله عيني ساعة ورأت محياكم وجلت بالنور مرآها
غفرت للدهر ما أبداه من نكد
ونلت من واردات العمر أهناها
صبراً فللدهر أوقات معينة ينال فيها الأماني من تمناها
لازلت في نعم تترى وفي همم لا ترتضي منزل العيوق سكناها
ما قال ذو الشوق نصر الله من طرب
وافت بلا موعد ما كان أوفاها

ومن جيد شعر بطرس قوله يتغزل ويتشوق الى لبنان وقد بعث به الى المعلم نقولا الترك :

يا نائيا وفؤاد الصب مأواه رفقاً بمن أضرمت بالوجد أحشاه [1]

وعامل الله في قلب غدا دنفاً قد بات يرعى حبيباً ليس يرعاه

كسى النوى بدني ثوب السقام وقد

نفى الحبيب منامي ورد ذكراه

معذبي بالهوى عطفعاً على كبد أسير أيدي النوى والحب أغراه

دعاه يوم تنائينا الهوى فأتى طوعاً على عجل يسعى فلباه

لا آنس الله أيام الفراق فقد أودت بقلب فتى ذابت سويداه

حسبي الغرام الذي لا أرتضي أبداً

إلا المنام قرى والبين ولاه

أستودع الله من بالطرف منزله حباً وإن سار كان القلب مسراه

إني ولو بالنوى والهجر أتلفني قرباً وبعداً على الحالين أهواه

سلوه أن يمنح المشتاق بعض كرى

لعل طيف خيال منه نلقاه

لا آخذ الله عينيه بما فعلت فالصبر ولى وهذا القلب يفداه

كيف السلو ولي عهد يذكرني من الحبيب وداداً لست أنساه

سقى معاهد لبنان الحيا غدقاً وجاده من سحاب الجود أوفاه

لقد سما طوده بالأمن مفتخراً والبر زينه والعدل أنشاه

طابت مرابعه بالشيح واتشحت

من الخزامى بثوب الرند صحراه

---

(١) ديوانه : ١٠٩

وقام غصن النقا يهتز من طرب   لما شدت في رياض العز ورقاه

وفـاح زهر الربى عرفـاً شذا عطرا

يا حبـذا نشـره الـذاكي وريـاه

وغار سوسنه من عين نرجسه   وقام ورد البهـا يزهو بسـيماه

ولؤلؤ الطل في جيد الأقاح حكى   ثغر الحبيب إذا افترت ثناياه

والياسمين من النسرين في وله   يصافح البان لما اهتز عطفـاه

وقال مادحاً علي بك الأسعد ويستعطفه وقد عتب عليه :

سل البان هل مرت عليه النوافح   بوجدي وهل نمت بدمعي السوافح[1]

وهل في ربى تلك الطلول مقيمة   كعهدي على الأفنان ورق صوادح

سقى مدمعي الهتان فياح مربع   تلوح به تلك الظباء السوارح

ولله مشتـاق تذكر بعـده   فبات بأقـداح الغرام يطارح

ومن عجب دمعي يفيض وفي الحشا

سعـير وزنـد الشوق وار وقـادح

ولله صب حظـه من أحبـة   بعـاد وهجران ولاحٍ يكافح

إذا مادجا ليل الغرام تسهدت   عيون لهجران الحبيب قرائح

فهل من رقاد والزمان محارب   وقد هجر الأحباب والصبر جامح

إذا رمت كتمان الهوى باح مدمعي

وإن الهـوى العـذري بالدمـع بائـح

---

(١) ديوانه : ٤٢

يميناً بهم ما حلت عن قيد طاعة وهل حال عن رق عُبَيد ومادح

فإني على عهد الوداد محافظ وإن وخدت بالبين عيس طلائح

ولي بين أطلال الحمى وهضابه فؤاد مهيم بالأجارع شاطح

أمالك رقي قل هجراً وجفوة إذا هجر الأحباب من ذا يصالح

رعى الله أيام التصافي وعهدها وأيام كنا للحبيب نصافح

وأيام عز نجتلي صفو كأسها هناء ولم ينجح إذا لام كاشح

بروحي دياراً قد سما برج عزها وطالت صحاريها وتلك الأباطح

بها خير قوم كالنجوم طوالع وغدران أنس بالسرور طوافح

تنوعت الأزهار في ظل دوحها فيا حبذا عرف من النشر فائح

وقامت بها الأغصان تهتز للصبا

كأن غصون البان خود روادح

وفاضت عيون الجود فيها وقد زهت

بمخضل فيحاها الربى والصحاصح

نسيم الصبا هل نسمة من غياضها سحيراً وهلا من شذا ها نفائح

ويا ماءها هل نهلة منك في فمي يدواى بها قلبي وتشفى الجوانح

ربوع ببرج المجد تسمو كما سمت بوصف العلي الأسعدي المدائح

أمير روت عنه المعالي فضائلا وكل ثناء نحو علياه جانح

تظاهر في برج العلى نعم كوكب وفي بيت سعد بالسعادة لائح

إذا افتخر الأمجاد يوماً فإنه على كل ذي فخر علي وراجح

غدا كفهُ للكف والو كف جامعاً ... فللضد أخاذ وللوفد مانح

همام تهاب الأسد صولة بأسه ... ففي العزم فتاك وفي الحزم ناجح

وفي البذل هتان وبالنصر قاطع ... وبالمجد معروف وبالرأي صالح

لقد خضع الأعدا لماضي يراعه ... فكيف إذا جاء العدى وهو رامح

إذا الخطب وافى مشكلاً أو معمياً

فـآراؤه للمشكلات شوارح

كفاني فخراً أنني من عبيده ... وقد فاخرت قبلي الرقاق الصفائح

فيعفو عن الجاني ويوسع بره ... فكنت أنا الجاني ولا ذنب واضح

أمولاي إن الحاسدين تفننوا ... بذنبي ولكن أنت عن ذاك صافح

فإني وإن لم أخط جئتك تائباً ... وإن كنت ذا ذنب فأنت المسامح

ولا أبتغي إلا رضاك لأنني ... عبيد ببحر من أياديك سابح

فشأنك صفح والسماح شعاره ... وبابك باب الحلم بالعفو فاتح

إذا صح لي منك الرضى بت شاكراً

وحققت ان الدهر بالعهد فاصح

وان حزت صفحاً مثل عهدي بحلمكم

فما الدهر إن خصم هو أم مصالح

فلا تنكروا عبداً نشا في نعيمكم ... أتقطع إذ تجني فروع سوانح

بنو أسعد للحلم أنتم وللرضى ... وإن جنت الظلماء أنتم مصابح

وإن شحت الأنواء أنتم سحائب ... وإن دارت الهيجاء أنتم صحاصح

لعليا كم هيفاء مدح تقدمت ... وفيكم لسان الحمد بالشكر فاصح

علي الرضى خذها بحلم ومهرها　　　إذا سعدت عفو وذا المهر رابح

فلا زلت ذا مجد يُلألأُ فضله　　　ترف بنات النظم فيه القرائح

وقال متغزلا ويذكر بعض معاهده :

سرى النسيم بعرف من ربى الطلل　　　مؤرجاً بربوع الحي والحلل [١]

محملاً نشر أشواق تفوح لنا　　　شذاء عطر شممناه على عجل

أتى نخبر عن ذات الجعود وعن　　　أم الخدود وعن دنانة الحجل

جرى فذكرني يوم الوداع وما　　　عهدته باعتناق الحب والقبل

يا قلب صبراً وكن منه على أمل

من حيث قررت أن العيش في الأمل

وذات حسن عرفناها وكم ذرفت　　　يوم الرحيل دميعات من المقل

نأيت عنها ودهري غير معتدل　　　وسوف من بعده يأتي بمعتدل

قامت تودعني يوم البعاد ضحى　　　تميس مثل اهتزاز الشارب الثمل

ثم استمرت وقالت وهي باكية　　　تالله ماعشت عن حبيبك لم أمل

واشوق قلبي لذياك الحمى وإلى　　　أغصانه السالبات اللب بالميل

لله صب غدا بالوجد منفردا　　　مؤرق الطرف بياتاً على العلل

وجاذبته رياح الفجر عرف أسى　　　ورنحت قده الأشجان بالوجل

يا حادي الركب قف بالشط معتكفاً

نحو الديار وعج عن أيمن الجبل

(١ ديوانه : ٥٤

وانشد هنالك عن قلبي المشوق وسل
ناشدتك الله عن جيراننا الأول
واحبس قلوصك يا حادي وعج بحمى
وادي الجديدة ذات السح والهطل
وسائل الريح هل مرت بذي حدر
فوق الكناس ذوات الأربع الخضل
وقف بعوجاء وادي النهر واعش إلى
تلك الطلول ومل بالربع واشتمل

عسى تصادف من أضحى به تلفي ... ومن سباني بنبل الأعين النجل
فاشرح له حال صب ما يكابده ... من لوعة البين والتشتيت والنكل
لولاه مابات لي جفن أريق أسى ... كلا ولا فاض لي دمع على طلل
سقاك يا ربع أحبابي ومعهدهم ... دمعي صباحاً ودمع العارض الهطل
فا فؤادي سلا عن حفظ حبهم ... وعهدهم ليس لي عنهم بمبتدل
كيف السبيل إلى السلوان يا تلفي ... هذا غرامي وفيه منتهى أجلي
يا صاحبي إذا شاهدتماه غداً ... فذكراه بماضي عيشنا النفل
وبلغاه وقولا في حديثكم ... الصبر غايته أحلى من العسل

وقال متغزلا أيضاً :

كفي فإن سحاب الجفن قد وكفا
وأنعمي إن ما لاقيت منك كفى[1]

---

(١) ديوانه : ٥٦

ما ترحمي حال مفتون الغرام ومن لغير حبك يوماً قط ما ألفا

قد حن لي مضجعي عند المنام كما قد رق لي عاذلي عند البكا لهفا

من لي بسحارة العينين مائسة ال عطفين قامتها الهيفا حكت ألفا

لم أنس حين أتت تهتز من وله لدى المحب وتثني قدها كلفا

ماست بغصن علاه البدر واكتسبت مستشرفين من البلور قد خطفا

يا عاذليَّ دعاني فالهوى تلفي ولست أصغي لعذل فاتركا السرفا

وعللاني بذكراها ومعهدها وأطربا مغرماً في حبها دنفا

أحبابنا كيف حال العهد عندكم إن الفؤاد بحال الحب ما خلفا

فمن رآى لوعتي بالوجد بان له صدقي وجد به عشق وقد شغفا

ولو رأى وجهك الوضاح بدر دجى لعاد مستتراً أو راح منخسفا

ولو رأى المزن دمعاً كنت أسكبه هتان من مقلتي فيضاً لما ذرفا

واستعظم الصبر وجدي حين باعدني وسام للقلب سلوانا فما عطفا

معذبي والليالي بالهوى سلفت وخمر ثغر رشفناه فكان شفا

ما لذ جفني بنوم بعد بعدكم كلا وداعي الكرى بالطرف ما هدفا

لكنني والهوى قد بت ذا قلق أساجع الورق نوحا كلما هتفا

هيهات ما كل ذي عشق اخي تلف كلا ولا كل حب بالغرام وفا

ومن غزلياته قوله

يامي يا ظبية وادي اللوى هواك لم يترك بقلبي هوى[1]

ياهل ترى لاقيت مثل الذي لاقى معناك غداة النوى

---

(١) ديوانه ١٨٠

أبيت أرعي النجم ذا مهجة | أضرم فيها الشوق نار الجوى
آهـا من البين ولوعـاته | لولا النوى لم تلق صبا ثوى
واهـاً لأيام مضت ذكرها | ينشر وجداً في الفؤاد انطوى
في ذمـة الله حبيب إذا | ما غاب عن عيني بقلبي ثوى
ذو قامة كالغصن ميـاسة | من فوقها بدر الجمال استوى
أفديه دون الناس من شادن | هاروت عن أجفانه قد روى
بدر إذا أسفر ريم إذا | دنا رديني إذا مـا التوى
مولع بالتيـه لا يرعوي | وخاطري عن حبه ما ارعوى
يا قمراً فـارقـه حبـه | ومن حميـا ثغره مـا ارتوى
وجؤذر يشتاقه ناظري | وإن يكن قلبي عليه احتوى
من سقم عينيك سقامي ومن | نيران خديك فؤادي اكتوى
جد واردد النوم على مقلة | ما سهرت قط بحب السوى
وابعث خيالا منك يرتادني | إذ علتي منك وانت الدوا

وقوله :

ظبي بلبنان قد سلت لواحظه | للعاشقين سيوف الغنج والحور[1]
مورد الخدساجي الطرف مبتسم | عن الحباب وعن طلع وعن درر
في ذمة الله ذاك الريم إن له | بين الجوانح عهداً غير مندثر
أفديه من قمر كم بت أرصده | شوقاً له وهو في سمعي وفي بصري
لو لم يكن قمراً ضاءت محاسنه | ما أصبحت داره تعزى الى القمر

تم الاختيار من شعر بطرس ويليه الاختيار من شعر الرصافي البغدادي

(١) ديوانه ٢٨١

شعر

الرصافي البغدادي[١]

قال الرصافي البغداي واسمه معروف :

أما آن أن يغشى البلاد سعودها ... ويذهب عن هذي النيام هجودها[٢]

متى يتأتى في القلوب انتباهها ... فينجاب عنها رينها وجمودها

أما أسد يحمي البلاد غضنفر ... فقد عاث فيها بالمظالم سيدها

برئت إلى الأحرار من شر أمة ... أسيرة حكام ثقال قيودها

سقى الله أرضاً أمحلت من أمانها

وقد كان رواد الأمان ترودها

جرى الجور منها في بلاد وسيعة ... فضاقت على الأحرار ذرعاً حدودها

عجبت لقوم يخضعون لدولة ... يسوسهم بالموبقات عميدها

وأعجب من ذا أنهم يرهبونها ... وأموالها منهم ومنهم جنودها

إذا وليت أمر البلاد طغاتها ... وساد على القوم السراة مسودها

وأصبح حر الناس في كل وجهة

يرد مهاناً عن سبيل يريدها

وصارت لئام الناس تعلو كرامها ... وعاب لبيداً في النشيد بليدها

---

(١) قوبل شعر الرصافي على ديوانه المطبوع في بيروت .

(٢) ديوانه ١٢١

فما أنت إلا أيها الموت نعمة ... يعز على أهل الحفاظ جحودها

ألا إنما حرية العيش غادة ... منى كل نفس وصلها ووفودها

يضيء دجنات الحياة جبينها ... وتبدو المعالي حيث أتلع جيدها

لقد واصلت قوماً وخلت وراءها ... أناساً تمنى الموت لولا وعودها

وقد مرضت أرواحنا في انتظارها ... فما ضرها والهفتا لو تعودها

بني وطني مالي أراكم صبرتم ... على نوب أعيا الحصاة عديدها

أما آدكم حمل الهوان فإنه ... إذا حملته الراسيات يؤودها

قعدتم عن السعي المؤدي إلى العلى ... على حين يزري بالرجال قعودها

ولم تأخذوا للأمر يوماً عتاده ... فجاءت أمور ساء فيكم عتيدها

ألم تروا الأقوام بالسعي خلدت ... مآثر يستقصي الزمان خلودها

وساروا كراماً رافلين الى العلى ... بأثواب عز ليس يبلى جديدها

قد استحوذت يا للخسار عليكم ... شياطين أنس صال فيكم مريدها

وما اتقدت نار الحمية منكم ... لفقد اتحاد فاستطال خمودها

ولولا اتحاد العنصرين لما غدا ... من النار يذكو لو علمتم وقودها

إذا جاهل منكم مشى نحو سبة ... مشى جمعكم من غير قصد يريدها

كأنكم المعزى تهاوين عندما ... نزا فنزت فوق الدحال عتودها

وما ثلة قد أهملتها رعاتها ... بمأسدة جاءت لعشر اسودها

فباتت ولا راع يحامي مراحها ... فرائس بين الضاريات تبيدها

بأضيع منكم حيث لاذو شهامة ... يذب الرزايا عنكم ويذودها

أتطمع هذي الناس أن تبلغ المنى
ولم تور في يوم الصدام زنودها

فهل لمعت في الجو شعلة بارق ... وما ارتجست بين الغيوم رعودها

وأدخنة النيران لولا اشتعالها ... لما تم في هذا الفضاء صعودها

وإن مياه الأرض تعذب ما جرت
ويفسدها فوق الصعيد ركودها

ومن رام في سوق المعالي تجارة ... فليس سوى بيض المساعي نقودها

وله أيضاً :

تيقظ فما أنت بالخالد ... ولا حادث الدهر بالراقد[1]

فخلد بسعيك مجداً يدوم ... دوام النجوم بلا جاحد

وابق لك الذكر بالصالحات ... وخل النزوع إلى الفاسد

ورد ما يناديك عنه الصدور ... ألا در درك من وارد

وصر بين قومك في سيرة ... تميت الحقود من الحاقد

فإن فتى الدهر من يدعي ... فتأتي أعاديه بالشاهد

ولاتك مرمى بداء السكون ... فتصبح كالحجر الجامد

وكن رجلا في العلى حوّلاً ... تفنن في سيره الراشد

إذا اطردت حركات الحياة ... ومرت على نسق واحد

ولم تتنوع أفانينها ... ودامت بوجه لها بارد

ولم تتجدد لها شملة ... من السعي في الشرف الخالد

---

(١) ديوانه : ١٨١

فما هي إلا حياة السوام تجول من العيش في نافد

وما يرتجى من حياة امرىء كماء على سبخة راكد

وليس له في غضون الحياة سوى النفس النازل الصاعد

يغض على الجهل أجفانه ويرضى من العيش بالكاسد

فذاك هو الميت في قومه وإن كان في المجلس الحاشد

وما المرء إلا فتى يغتدي إلى العلم في شرك صائد

سعى للمعارف فاحتازها وصاد الأنيس مع الآبد

وطالع أوجه أقمارها بعين بصير لها ناقد

فأبدى الحقائق من طيها وألقى القيود على الشارد

إذا هو اصبح نادى البدار وشمر للسعي عن ساعد

فكان المجلي في شأوه بعزم يشق على الحاسد

وإن بات بات على يقظة بطرف لنجم العلى راصد

وأحدث مجداً طريفاً لهُ واضرب عن مجده التالد

وما الحمق إلا هو الاتكال على شرف جاء من والد

فذاك هو الحي حي الفخار وإن لحدته يد اللاحد

ومن قوله أيضاً :

الشعر مفتقر مني لمبتكر ولست للشعر في حال بمفتقر [1]

دعوت غر القوافي وهي شاردة فأقبلت وهي تمشي مشي معتذر

---

(١) ديوانه : ٨٠

وسلمتني عن طوع مقـادتهـا   فرحت فيهن أجري جري مقتدر
إذا أقت أقامت وهي من خدمي
وأين ما سرت سارت تقتفي أثري
صرفت فيهن أقلامي ورحت بها   أعرف الناس سحر السمع والبصر
ملكن من رقةرق النفوس هوى   من حيث أطربن حتى قاسي الحجر
سقيتهن المعـاني فارتوين بهـا   وكن فيها مكان الماء في الثمر
كم تشرئب لهـا الأسماع مصغية   إذا تنوشدن بين البدو والحضر
طابقت لفظي بالمعنى فطـابقه   خلواً من الحشو مملوءاً من العبر
إني لانتزع المعنى الصحيح على   عري فأكسوه لفظاً قد من درر
سل المنازل عني إذ نزلت بها   ما بين بغداد والشهباء في سفري
ما جئت منزلة إلا بنيت بها   بيتاً من الشعر لابيتاً من الشعر
وأجود الشعر ما يكسوه قائله   بوشي ذا العصر لا الخالي من العصر
لايحسن الشعر إلا وهو مبتكر   وأي حسن لشعر غير مبتكر
ومن يكن قال شعراً عن مفاخرة   فلست والله في شعر بمفتخر
وإنمـا هي أنفـاس مصعدة   ترمي بها حسراتي طائر الشرر
وهن إن شئت مني أدمع غزر   أبكي بهن على أيامنا الغرر
أبكي على أمة دار الزمان لها   قبلاً ودار عليهـا بعد بالغير
كم خلد الدهر من أيامهم خبراً   زان الطروس وليس الخبر كالخبر
ولست أذكر الماضين مفتخراً   لكن أقيم بهم ذكرى لمدكر
وكيف يفتخر الباقون في عمهٍ   بدارس من هدى الماضين مندثر

لهفي على العرب أمست من جمودهم
حتى الجمادات تشكو وهي في ضجر

أين الجحاجح ممن ينتمون إلى ذؤابة الشرف الوضاح من مضر
قوم هم الشمس كانوا والورى قمر ولا كرامة لولا الشمس للقمر
راحوا وقد أعقبوا من بعدهم عقباً ناموا على الأمر تفويضاً إلى القدر
أقول والبرق يسري في مراقدهم (ياساهر البرق أيقظ راقد السمر)

يا أيها العرب هبوا من رقادكم
فقد بدا الصبح وانجابت دجى الخطر

كيف النجاح وأنتم لا اتفاق لكم والعود ليس له صوت بلا وتر
مالي أراكم أقل الناس مقدرة يا أكثر الناس عداً غير منحصر

وقال مواسياً لصديق له قد أضاعه أصحابه وجفاه احبابه :

علام حرمنا منذ حين تلاقيا أفي سفر قد كنت أم كنت لاهيا
عهدناك لا تلهو عن الخل ساعة فكيف علينا قد أطلت التجافيا
ومالي أراك اليوم وحدك جالساً بعيداً عن الخلان تأبى التدانيا
أنابك خطب أم عراك تعشق فإني أرى حزناً بوجهك باديا
وما بال عينيك اللتين أراهما تديران لحظاً يحمل الحزن وانيا
وأي جوى قد عدت أصفر فاقعاً به بعد أن كنت أحمر قانيا
تكلم فما هذا الوجوم فإنني عهدتك غريداً بشعرك شاديا
تجلد تجلد ياسليم ولا تكن بما ناب من صرف الزمان مباليا
ولا تبتئس بالدهر إن خطوبه سحابة صيف لاتدوم ثوانيا
فقال ولم يملك بوادر أدمع تناثرن حتى خلتهن لآليا

لقد هجتني يا أحمد اليوم بالأسى   وذكرتني ما كنت بالأمس ناسيا

أتعجب من حزني وتعلم انني   قريع تباريح تشيب النواصيا

لقد عشت في الدنيا أسيفاً وليتني   ترحلت عنها لا علي ولا ليا

وقد كنت أشكو الكاشحين من العدى

فأصبحت من جور الأخلاء شاكيا

وما رحت أستشفي القلوب مداوياً

من الحقد إلا عدت عنها كما هيا

وداريت حتى قيل لي متملق   وما كان من داء التملق دائيا

وحتى دعاني الحزم ان خل عنهم   فإن صريح الرأي أن لا تداريا

ورب أخ أوقرت قلبي بحبه   فكنت على قلبي بحبيه جانيا

فان أحق الناس بالرحمة امرؤ   أضاع وداداً عند من ليس وافيا

وما كان حظي وهو في الشعر ضاحك

ليظهر إلا في سوى الشعر باكيا

ركبت بحور الشعر رهواً ومائجاً   وأقحمت منها كل هول يراعيا

وسيرت سفني في طلاب فنونه   وألقيت في غير المديح المراسيا

وقلت اعصني ياشعر في المدح انني   أرى الناس موتى تستحق المراثيا

ولو رضيت نفسي بأمر يشينها   لما نطقت بالشعر إلا أهاجيا

وكم قال ينعى حين أنشدت مادحاً   إلي الندى ناع فأنشدت راثيا

وكم بشرتني بالوفاء مقالة   فلما انتهت للفعل كانت مناعيا

فلما بكى أمسكت فضل ردائه   وكفكفت دمعاً فوق خديه جاريا

وقلت له هون عليك فإنما   تنوب دواهي الدهر من كان داهيا

وما ضر أن أصفيت ودك معشراً   من الناس لم يجنوا لك الود صافيا
كفى مفخراً أن قد وفيت ولم يفوا   فكنت الفتى الأعلى وكانوا الأدانيا
لعل الذي أشجاك يعقب راحة   فقد يشكر الانسان ما كان شاكيا
ألا رب شر جر خيراً وربما   يجر تجافينا إلينا التصافيا
فلو أن ماء البحر لم يك مالحاً   لرحنا من الطوفان نشكو الغواديا
ولولا اختلاف الجذب والدفع لم تكن   نجوم بأفلاك لهن جواريا
وكيف نرى للكهرباء ظواهراً   إذا هي في الاثبات لم تلق نافيا
تموت القوى إن لم تكن في تباين   ويحيين ما دام التباين باقيا
فلا تعجبن من أننا في تنافر   ألم تر في الكون التنافر ساريا
وهبهم جفوك اليوم بخلًا بودهم   ألم تغن عنهم أن ملكت القوافيا
فطر في سماوات القريض مرفرفاً   واطلع لنا فيها النجوم الدراريا
فأنت امرؤٌ تعطي القوافي حقها   فتبدو وإن ارخصتهن غواليا

هذا آخر ما أردت نقله في هـذا المجموع والحمد لله أولا وآخرا وباطنا وظاهرا ، وكان الفراغ من تسويده في شعبان لثمان وعشرين خلت من سنة خمس وخمسين بعد الثلاث المئة والألف من هجرة خير الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، وعلى آله الكرام وأصحابه السادة الأعلام ، بقلم جامعه الفقير إلى رحمة باريه الواثق به فيما يؤمله ويرتجيه عبد الرحمن بن عبد الله بن درهم .

الفهرس

